سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٥٩١)

قول القلب

من مصنفات العقيدة والفرق

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"ولم يثبته (١) فيرجع (٢) إلية، فنقول (٣): إن الله سبحانه قال: ﴿ثم يعودون لما قالوا﴾ [المجادلة: ٣] وأنت لم يتعين لك بعد قولهم الذي يرتبط به الحكم، فترى (٤) أن يكون العود إليه، هل **هو قول القلب أم** قول اللسان؟ وما صفة ذلك القول؟ أو رأيت إن قاله ثم نسيه وأنت قد عينته؟ وإن قلت (٥): أخذ بالعموم فيه. فكل قول يكون ذلك فيه (٦)، أقول به مهما كان فيه ذكر الظهر. قلنا له: ويكون فيه ذكر الظهر (٧) فيهما جميعا أو (٨) في الزوجة وحدها، أو في الأم (٩) وحدها.

منزلة أخرى:

يقال له: أرأيت إن لم يعد لما (١٠) قال، ولا كلم الزوجة؟ فليس له ما يقول مما فيه أثر عن النبي – صلى الله عليه وسلم – . وانظروا رحمكم الله إلى قول النبي – صلى الله عليه وسلم – للذي وقع على امرأته (١١) المظاهر منها قبل أن يكفر: "لا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله به" وقال للآخر الذي وقع على امرأته قبل أن يكفر: "أعتق رقبة أو أطعم" ولم يقل له: عد لما قلت، لأنه قد رآه عاد لما قال، ومعنى الآية قد بيناه في "الأحكام" (١٢) وتحقيقه: أنه لما قال: ﴿ثم يعودون لما قالوا﴾ أنهم لا يعودون إليه لأنه لما قال لها: أنت (١٣) علي كظهر أمي، قد قال: أنه لا يطأها، فلما عاد إلى الوطء لزمته الكفارة، أو إلى التمسك بالزوجية، أو إلى العزم (١٤) على ما بيناه هنالك والله أعلم. [و ٩٥ أ] أي (١٥)، وهكذا فخذ مسائلهم تجدها كما قلناه بتوفيق الله، وتنخل (١٦) من ذلك كله، المعنى المطلوب وهو تنزيل الشريعة منازلها، وتوفيتها مقاديرها، وعصمها بعواصم من

---

(١) د: يبينه. ج: يتثبته.

(٢) د: فرجع.

(٣) ب، ج، ز: فيقول.

(٤) د: فنرى. وكتب على هاش ز: فترى يكون.

(٥) ز: في نسخة: قال.

(٦) د: يكون فيه ذلك فيه.

(٧) د: الظهار.

(٨) ج: الأيام.

(٩) ب: بما.

(١٠) د: المرأة.

(١١) هوكتابه: أحكام القرآن.

(١٢) ب، ج، ز: لأنه لو قال أنت.

(١٣) ج، ز: الغرم.

(١٤) د: – أي.

(١٥) ب، ز: ينحل، ج: ينجل.

(١٦) ب، ج، ز: – في.." [(١)]

"وَمَا أَعْجَبَ مَا أَجَابَ بِهِ أَبُو الْمُعِينِ النَّسَفِيُّ وَغَيْرُهُ، عَنِ اسْتِدْلَالِهِمْ بِحَدِيثِ شُعَبِ الْإِيمَانِ الْمَذْكُورِ، وَهُوَ: أَنَّ الرَّاوِيَ قَالَ: بِضْعٌ وَسِتُّونَ أو بضع وسبعون، فقد شهد الراوي بفعله نَفْسِهِ حَيْثُ شَكَّ فَقَالَ: بِضْعٌ وَسِتُّونَ أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، وَلَا يُظَنُّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّكُّ فِي ذَلِكَ! وَأَنَّ هَذَا الْحَدِيث مُخَالِفٌ لِلْكِتَابِ.

فَطَعَنَ فِيهِ بِغَفْلَةِ الرَّاوِي وَمُخَالَفَتِهِ الْكِتَابَ، فَانْظُرْ إِلَى هَذَا الطَّعْنِ مَا أَعْجَبَهُ! فَإِنَّ تَرَدُّدَ الرَّاوِي بَيْنَ السِّتِّينَ وَالسَّبْعِينَ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ عَدَمُ ضَبْطِهِ، مَعَ أَنَّ الْبُخَارِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ إِنَّمَا رَوَاهُ: بِضْعٌ وَسِتُّونَ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ١. وَأَمَّا الطَّعْنُ بِمُخَالَفَةِ الْكِتَابِ، فَأَيْنَ فِي الْكِتَابِ مَا يَدُلُّ عَلَى خِلَافِهِ؟! وَإِنَّمَا فِيهِ مَا يَدُلُّ عَلَى وِفَاقِهِ، وَإِنَّمَا هَذَا الطَّعْنُ مِنْ ثَمَرَةِ شُؤْمِ التَّقْلِيدِ وَالتَّعَصُّبِ.

وَقَالُوا أَيْضًا: وَهُنَا أَصْلٌ آخَرُ، وَهُوَ أَنَّ الْقَوْلَ قِسْمَانِ: قَوْلُ الْقَلْبِ وَهُوَ الِاعْتِقَادُ، وقون اللِّسَانِ وَهُوَ التَّكَلُّمُ بِكَلِمَةِ الْإِسْلَامِ، وَالْعَمَلُ قِسْمَانِ: عَمَلُ الْقَلْبِ، وَهُوَ نِيَّتُهُ وَإِخْلَاصُهُ، وَعَمَلُ الْجَوَارِحِ. فَإِذَا زَالَتْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةُ زَالَ الْإِيمَانُ بِكَمَالِهِ، وَإِذَا زَالَ تَصْدِيقُ الْقَلْبِ لَمْ يَنْفَعْ بَقِيَّةُ الأخر٢، فَإِنَّ تَصْدِيقَ الْقَلْبِ شَرْطٌ فِي اعْتِبَارِهَا وَكَوْنِهَا نَافِعَةً، وَإِذَا بَقِيَ تَصْدِيقُ الْقَلْبِ وَزَالَ الْبَاقِي فَهَذَا مَوْضِعُ الْمَعْرَكَةِ!!

وَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِ طَاعَةِ الْجَوَارِحِ عَدَمُ طَاعَةِ الْقَلْبِ، إِذْ لَوْ أَطَاعَ الْقَلْبُ وَانْقَادَ، لَأَطَاعَتِ الْجَوَارِحُ وَانْقَادَتْ، وَيَلْزَمُ مِنْ عَدَمِ طَاعَةِ الْقَلْبِ وَانْقِيَادِهِ عَدَمُ التَّصْدِيقِ الْمُسْتَلْزِمِ لِلطَّاعَةِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ" ٣. فَمَنْ صَلَحَ قَلْبُهُ صَلَحَ جَسَدُهُ قَطْعًا، بِخِلَافِ الْعَكْسِ، وَأَمَّا كَوْنُهُ يَلْزَمُ مِنْ زَوَالِ جُزْئِهِ

---

١ قلت: ورواه مسلم بلفظ: "بضع وسبعون" كما تقدم "برقم ٤٠٦"، وهو الأرجح عندي كما هو مبين في المجلد المشار إليه من "الصحيحة".

٢ في الأصل: الأجزاء.

٣ هو طرف من حديث متفق عليه عن النعمان بن بشير، وهو مخرج في "غاية المرام في تخريج الحلال والحرام" برقم "٢٠".." [(٢)]

"وَأَمَّا الطَّعْنُ بِمُخَالَفَة الْكِتَابِ، فَأَيْنَ فِي الْكِتَابِ مَا يَدُلُّ عَلَى خِلَافِهِ؟! وَإِنَّمَا فِيهِ مَا يَدُلُّ عَلَى وِفَاقِه، وَإِنَّمَا هَذَا الطَّعْنُ مِنْ ثَمَرَة شُؤْمِ التَّقْلِيدِ وَالتَّعَصُّبِ.

---

(١) النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم، ابن العربي ص/٢٧٤

(٢) شرح الطحاوية – ط دار السلام، ابن أبي العز ص/٣٤١

وَقَالُوا أَيْضًا: وَهُنَا أَصْلٌ آخَرُ، وَهُوَ: أَنَّ الْقَوْلَ **قِسْمَانِ: قَوْلُ الْقَلْبِ وَهُوَ** الِاعْتِقَادُ، وَقَوْلُ اللِّسَانِ وَهُوَ التَّكَلُّمُ بِكَلِمَةِ الْإِسْلَامِ. وَالْعَمَلُ قِسْمَانِ: عَمَلُ الْقَلْبِ، وَهُوَ نِيَّتُه وَإِخْلَاصُه، وَعَمَلُ الْجَوَارِحِ. فَإِذَا زَالَتْ هَذِهِ الْأَرْبَعَة زَالَ الْإِيمَانُ بِكَمَالِه، وَإِذَا زَالَ تَصْدِيقُ الْقَلْبِ لَمْ يَنْفَعْ بَقِيَّة الْآخر، فَإِنَّ تَصْدِيقَ الْقَلْبِ شَرْطٌ فِي اعْتِبَارِهَا وَكَوْنِهَا نَافِعَة، وَإِذَا بَقِي تَصْدِيقُ الْقَلْبِ وَزَالَ الْبَاقِي فَهَذَا مَوْضِعُ الْمَعْرَكَة!!

وَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِ طَاعَة الْجَوَارِحِ عَدَمُ طَاعَة الْقَلْبِ، إِذْ لَوْ أَطَاعَ الْقَلْبُ وَانْقَادَ، لَأَطَاعَتِ الْجَوَارِحُ وَانْقَادَتْ، وَيَلْزَمُ مِنْ عَدَمِ طَاعَة الْقَلْبِ وَانْقِيَادِه عَدَمُ التَّصْدِيقِ الْمُسْتَلْزِمِ لِلطَّاعَة. قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَة إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ». فَمَنْ صَلَحَ قَلْبُه صَلَحَ جَسَدُه قَطْعًا، بِخِلَافِ الْعَكْسِ. وَأَمَّا كَوْنُه يَلْزَمُ مِنْ زَوَالِ جُزْئِه زَوَالُ كُلِّه، فَإِنْ أُرِيدَ أَنَّ الْهَيْئَة الِاجْتِمَاعِيَّة لَمْ تَبْقَ مُجْتَمِعَة كَمَا كَانَتْ، فَمُسَلَّمٌ، وَلَكِنْ لَا يَلْزَمُ مِنْ زَوَالِ بَعْضِهَا زَوَالُ سَائِرِ الْأَجْزَاءِ، فَيَزُولُ عَنْهُ الْكَمَالُ فَقَطْ.

وَالْأَدِلَّة عَلَى زِيَادَة الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِه مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْآثَارِ السَّلَفِيَّة كَثِيرَةٌ جِدًّا: مِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ (١). ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ (٢). ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ (٣). ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ (٤). ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا﴾

---

(١) سورة الْأَنْفَالِ آية ٢

(٢) سورة مَرْيَمَ آية ٧٦

(٣) سورة الْمُدَّثِّرِ آية ٣١

(٤) سورة الْفَتْحِ آية ٤." [١]

"وكذلك القدرية قالوا: أن للحوادث خالقين، فالحوادث التي من فعل العبد يخلقها العبد، والحوادث التي من فعل الله يخلقها الله.

الجبرية يخرجون عن أحكام الله حكمها ومصالحها فما وجه ذلك؟

وجه ذلك أن الجبرية لا يفرقون بين فعل العبد اختياراً وفعله بدون اختيار، كلاهما عندهم مجبر عليه كما سبق، وإذا كان كذلك صار ثوابه على الطاعة وعقابه على المعصية لا حكمة له، إذ الفعل جاء بدون اختياره، وما كان كذلك فإن صاحبه لا يمدح عليه فيستحق الثواب، ولا يذم عليه فيستحق العقاب.

الإيمان:

الإيمان لغةً : التصديق، **واصطلاحا: قول القلب واللسان** وعمل القلب والجوارح. فقول القلب تصديقه وإقراره، وعمل

---

(١) شرح الطحاوية – ط الأوقاف السعودية، ابن أبي العز ص/٣٢٥

القلب إرادته وتوكله ونحو ذلك من حركاته؛ وقول اللسان نطقه، وعمل الجوارح الفعل والترك. والدليل على أن الإيمان يشمل ذلك كله قوله صلى الله عليه وسلم:." [1]

"(الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته .. الخ) (١). **وهذا قول القلب وقوله** صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا اله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) (٢). فقول لا اله إلا الله قول اللسان، وإماطة الأذى عن الطريق عمل الجوارح، والحياء عمل القلب.

زيادة الإيمان ونقصانه:

الإيمان يزيد وينقص لقوله تعالى: (لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ (الفتح: ٤). وقول النبي صلى الله عليه وسلم في النساء: (ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن) (٣).

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام ... رقم (٨) عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه

(٢) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب شعب الإيمان رقم (٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري كتاب الحيض باب ترك الحائض الصوم رقم (٣٠٤) ومسلم كتاب الإيمان باب نقصان الإيمان بنقص الطاعات رقم (٧٩) عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما.." [2]

"عمل القلب : وهو الإخلاص ، والحب ، والخوف ، والرجاء ، والذل ، والانقياد ، والتوكل والشكر ، والصبر ، والشوق ، ونحو ذلك .

عمل اللسان والجوارح : من صلاة ، وزكاة ، وصيام ، وحج ، وجهاد ، وبر ، وصلة ، وإحسان إلى الخلق ، وأمر بالمعروف ، ونهي عن المنكر .

وزيادة قول القلب بالكمية : كلما علم الإنسان شيئاً من الشرع فصدق بما لم يكن يعلمه ولا يصدق به .

وزيادة قول القلب بالكيفية : بزيادة اليقين بتظاهر الأدلة ، قال تعالى : (أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) (١).

وزيادة قول اللسان : في الشهادتين في حق من بلغه خبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، فشهد له بالرسالة بلسانه ، فهو أكمل إيماناً ممن لم يبلغه خبره ؛ فنطق بلا إله إلا الله فقط .

وكذا في كل تفصيل يبلغ العبد من الشرع فيقر به بلسانه يزداد به إيماناً ، قال تعالى :

(قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)(٢) (٣)

....

---

(١) مذكرة على العقيدة الواسطية، ابن عثيمين ص/٧٢

(٢) مذكرة على العقيدة الواسطية، ابن عثيمين ص/٧٣

أما المسألة الثانية :-

وهي الوعد ، والوعيد ، وأحوال الناس في الآخرة.

فنقول : أجملها أهل السنة في أصول ، أهمها كالتالي :-

من مات على التوحيد دخل الجنة – يوماً من الدهر ، أصابه قبل ذلك اليوم ما أصابه .

من مات على الشرك بعد بلوغ الرسالة فهو مخلد في النار أبداً .

---

(١) – البقرة ٢٦٠

(٢) – البقرة ١٣٦

(٣) – منة الرحمن في نصيحة الإخوان فضيلة الشيخ الدكتور / ياسر برهامي ٧٢-٧٣ بتصرف يسير .." [١]

"س : ما هو الإيمان ؟

ج : الإيمان قول وعمل : **قول القلب واللسان** ، وعمل القلب واللسان والجوارح ، ويزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، ويتفاضل أهله فيه .." [٢]

"س : ما هو ضد الإيمان ؟

ج : ضد الإيمان الكفر ، وهو أصل له شعب ، كما أن الإيمان أصل له شعب ، وقد عرفت مما تقدم أن أصل الإيمان هو التصديق الإذعاني المستلزم للانقياد بالطاعة ، فالكفر أصله الجحود والعناد المستلزم للاستكبار والعصيان ، فالطاعات كلها من شعب الإيمان وقد سمى في النصوص كثير منها إيمانا كما قدمنا ، والمعاصي كلها من شعب الكفر وقد سمى في النصوص كثير منها كفرا كما سيأتي ، فإذا عرفت هذا عرفت أن الكفر كفران ، كفر أكبر يخرج من الإيمان بالكلية وهو الكفر الاعتقادي المنافي لقول القلب وعمله أو لأحدهما ، وكفر أصغر ينافي كمال الإيمان ولا ينافي مطلقه وهو الكفر العملي ، الذي لا **يناقض قول القلب ولا** عمله ولا يستلزم ذلك .." [٣]

"س : بين كيفية منافاة الكفر الاعتقادي للإيمان بالكلية وفصل لِيّ ما أجملته في إزالته إياه ؟

.

ج : قد قدمنا لك أن الإيمان قول وعمل : **قول القلب واللسان** ، وعمل القلب واللسان والجوارح ، فقول القلب هو : التصديق ، وقول اللسان هو : التكلم بكلمة الإسلام ، وعمل القلب هو : النية والإخلاص ، وعمل الجوارح هو الانقياد

---

(١) إعتقاد أهل السنة .. للإمام أبي بكر بن قاسم الرحبي، ص/١٥

(٢) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، ص/٣٩

(٣) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، ص/٢٢٥

بجميع الطاعات ، فإذا زالت جميع هذه **الأربعة قول القلب وعمله** وقول اللسان وعمل الجوارح زال الإيمان بالكلية ، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع البقية ، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة ، وذلك كمن كذب بأسماء الله وصفاته أو بأي شيء مما أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه ، وإنزال عمل القلب مع اعتقاد الصدق ، فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان كله بزواله وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب ، وهو محبته وانقياده كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول بل ويقرون به سرا وجهرا ويقولون : ليس بكاذب ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به .." [1]

"س : إذا قيل لنا : هل السجود للصنم والاستهانة بالكتاب وسب الرسول والهزل بالدين ونحو ذلك هذا كله من الكفر العملي فيما يظهر ، فلم كان مخرجا من الدين وقد عرفتم الكفر الأصغر بالعملي ؟

ج : اعلم أن هذه الأربعة وما شاكلها ليس هي من الكفر العملي إلا من جهة كونها واقعة بعمل الجوارح فيما يظهر للناس ولكنها لا تقع إلا مع ذهاب عمل القلب من نيته وإخلاصه ومحبته وانقياده ، لا يبقى معها شيء من ذلك ، فهي وإن كانت عملية في الظاهر فإنها مستلزمة للكفر الاعتقادي ولا بد ، ولم تكن هذه لتقع إلا من منافق مارق أو معاند مارد ، وهل حمل المنافقين في غزوة تبوك على أن ﴿ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾ إلا ذلك مع قولهم لما سئلوا : ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ . قال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ . ونحن لم نعرف الكفر الأصغر بالعملي مطلقا ، بل بالعملي المحض الذي لم يستلزم الاعتقاد ولم **يناقض قول القلب ولا** عمله .." [2]

"فإذا لا أثر في الخلاف في مسألة زيادته أو نقصانه على كونه مرجئا.

فإذا قال أحد (الإيمان ما يزيد ولا ينقص) فإن هذا لا يدل على كونه مثلا مرجئا؛ لكنه يدل على أنه ليس من أهل السنة.

إذا قال (الإيمان نقول بزيادته ونقصانه) فهذا لا يدل على أنه من أهل السنة والجماعة، بل قد يكون مرجئا.

فلا ارتباط بين مسألة الزيادة والنقصان ومسائل التعريف السالفة للإيمان.

(المسألة الثامنة:

عرف الإيمان بقوله إقرار باللسان، وتصديق بالجنان، وقلنا في التعريف اعتقاد بالجنان.

والفرق ما بين التصديق والاعتقاد:

أن التصديق شيء واحد؛ بمعنى أنه أمر واحد، عبادة واحدة.

وأما الاعتقاد فإنه يشمل أشياء كثيرة من أعمال القلوب.

لهذا قالت طائفة من السلف في تعريف الإيمان (الإيمان قول وعمل) وهذا دقيق لأنه **يشمل قول القلب وقول** اللسان.

---

(١) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، ص/٢٢٦

(٢) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، ص/٢٣٤

(قول القلب) هو تصديقه وإخلاصه في الله ؟.

(وقول اللسان) هو إعلانه الشهادة.

وعمل: يشمل عمل القلب وعمل الجوارح.

(وعمل القلب) من محبة الله ؟ والتوكل عليه والخوف منه ؟ ورجاؤه والإنابة إليه وخشية الرب ؟ ونحو ذلك من أعمال القلوب.

فإذا ما يتصل بالقلب من أمور الإيمان ليست شيئا واحدا، ليس هو التصديق فقط، بل ثم أشياء كثيرة في القلب، والتصديق هو أحدها.

ولهذا فإن التفاضل –الزيادة والنقصان– زيادة ونقصان باعتبار العمل الظاهر، وزيادة ونقصان باعتبار عمل القلب الباطن.

فالناس يتفاوتون في الإيمان من جهة:

١ – زيادته ونقصانه في أعمالهم الظاهرة وهي أمور الإسلام: من الصلاة والزكاة والصيام والحج والاستسلام لله ؟ في الأوامر والانقياد ونحو ذلك والانتهاء من المحرمات.

٢ – وكذلك أعمال القلوب.

وأعمال القلوب نوعان:

* أعمال واجبة الفعل.

* وأعمال محرمة العمل أو واجبة الترك.." (١)

"فالقلب يتقلب سريعا وأكثر شيء يتقلب فيه **القلب قول القلب وعمل** القلب واعتقاد القلب؛ لأن هذه مبناها على العلم، والعلم ينفع ويذهب، فكلما ترك شيئا من العلم كلما أثر ذلك على القلب، فإذا ترك مسائل العقيدة أثر ذلك على عقيدة القلب إما أثر بنقص العلم وهذا له أثر في اليقين والاعتقاد الحق، أو أثر بوجود الشبهة مع عدم العلم أو ضعف العلم.

والشيطان أفرح ما يكون من الإنسان أن يتغير قلبه، لأنه إذا تغير قلبه فإن الجوارح تتغير كما قال ؟ "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"٦، ففساد القلب يكون بالشبهات وبالشهوات، فإذا عرضت الشبهات وتمكنت، وسبب تمكنها نقص العلم فإن القلب يفسد، وأعظم ما تعرض الشبهات في مسائل العقيدة.

لهذا ما زال الأئمة وأهل العلم والنصحة للأمة حق النصيحة لأئمة المسلمين ولعامتهم مازالوا يوصون بالاهتمام بالتوحيد والعقيدة؛ لأنه أقرب ما يكون تغير القلب في العقيدة لأنها تنسى، وقد تبقى المجملات لكن التفصيلات تنسى، ثم تأتي ذنوب القلب شيئا فشيئا وتقع الشبهة وتقع المرية ويقع الريب في القلب، ثم يضر الإنسان بنفسه شيئا فشيئا.

لهذا من أعظم الأدعية التي علمنا إياها ربنا ؟ الدعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم في الصلاة: ؟اهدنا الصراط

---

(١) إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل، ٧/٣٠

المستقيم؟[الفاتحة:٥]، والهداية للصراط طلب بأن يهدى إلى الصراط، والصراط هو الإسلام والقرآن والسنة، والإسلام والإيمان والقرآن والسنة له تفاصيل، تفاصيل مختلفة، الإسلام شيء يتعلق بالقلب وشيء يتعلق بالجوارح والعمل، والإيمان يتعلق بالقلب، والقرآن ثم أشياء كثيرة فيه آيات التوحيد وفي الغيبيات، هذه كلها عقائد والسنة كذلك.." [١]

"السؤال الثاني :

هناك من يقول : (الإيمان قول وعمل واعتقاد لكن العمل شرط كمال فيه)، ويقول أيضا : (لا كفر إلا باعتقاد) ، فهل هذا القول من أقوال أهل السنة أم لا ؟

الجواب :

ليست هذه الأقوال من أقوال أهل السنة ، أهل السنة يقولون : الإيمان هو قول باللسان وقول بالقلب وعمل بالجوارح وعمل بالقلب ، ومن أقوالهم : الإيمان قول وعمل ؛ ومن أقوالهم : الإيمان قول وعمل ونية ، فالإيمان لا بد أن يكون بهذه الأمور الأربعة :

١- قول اللسان وهو النطق باللسان .

٢- قول القلب وهو الإقرار والتصديق .

٣- عمل القلب وهو النية والإخلاص .

٤- عمل الجوارح .

فالعمل جزء من أجزاء الإيمان الأربعة ، فلا يقال : العمل شرط كمال أو أنه لازم له فإن هذه أقوال المرجئة ، ولا نعلم لأهل السنة قولا بأن العمل شرط كمال .." [٢]

"وَتَصْدِيقٌ بِالْجَنَانِ (١)

---

(١) – ما ذهب إليه المصنف من أن الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان هو مذهب عامة السلف، وهو من شعائر أهل السنة بل قد وضع الإجماع عليه كما حكاه غير واحد. فقد قال الإمام الشافعي في "الأم" وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركنا يقولون: "الإيمان قول وعمل ونية ولا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر" الإيمان لابن تيمية ص ١٢٣ وقال الإمام البخاري: "لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص" فتح الباري ٤٧/١. وقد أورد اللالكائي في "شرح أصول السنة" فصلا بعنوان: سياق ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في أن الإيمان تلفظ باللسان واعتقاد في القلب وعمل بالجوارح ثم أورد عشرات الأدلة على ذلك من الآيات والأحاديث (ق ١/١٩٨). وذكر ابن جرير في عقيدته بسنده إلى الوليد بن مسلم

---

(١) إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل، ٨/٥٢

(٢) أسئلة وأجوبة في الإيمان والكفر، ص/٧

قال: سمعت الأوزاعي ومالك بن أنس وسعيد بن عبد العزيز رحمهم الله ينكرون قول من يقول إن الإيمان إقرار بلا عمل ويقولون: "لا إيمان إلا بعمل ولا عمل إلا بإيمان" ص ١٠...المجموعة العلمية. وقال البغوي: "اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان" ثم قال أيضا: وقالوا: "إن الإيمان قول وعمل وعقيدة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية على ما نطق به القرآن في الزيادة وجاء الحديث في النقصان في وصف النساء" شرح السنة ٣٨/١-٣٩. وقال شارح الطحاوية: "ذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحاق وسائر أهل الحديث وأهل المدينة وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين إلى أنه تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان" ص ٢٧٤. وقال ابن تيمية: "ومن أصول أهل السنة أن الدين والإيمان قول **وعمل قول القلب واللسان** وعمل القلب واللسان والجوارح" "الواسطية" المجموعة العلمية ص ٦٢. ذهب المصنف إلى القول بزيادة الإيمان ونقصه تبعا لائمة السلف، وهذا أمر طبيعي ما داموا يقولون بدخول العمل في مفهوم الإيمان ولهذا فالإيمان يزيد بأعمال الطاعة والقول الحسن وينقصه العصيان لأن الاشتغال بالمعصية يؤدي إلى نقص الطاعة التي كان خليقا أن يفعلها مكان تلك المعصية. أما الذين يقولون بأن الإيمان تصديق قلبي فقط فإنهم يذهبون إلى أن التصديق له حقيقة واحدة وهي التصديق التام المطابق للواقع الناشيء عن دليل. وإذا نقص الإيمان عن هذه الحقيقة كان شكا أو ظنا أو وهما ومن ثم لا يذهبون إلى القول بزيادة الإيمان أو نقصه. أما ما ذكره المصنف من أن الإيمان له بداية فهو أقل ما يتحقق به من التصديق والقول والعمل وليس للإيمان كما قال نهاية ما دام باب الإحسان مفتوحا أمام الإنسان يزداد منه ويرتقي فيه قولا وعملا وقد استشهد المصنف على ما ذكره من زيادة الإيمان ونقصه بما أورده من الآيات القرآنية، والواقع أن القول بهذا هو المعروف عن السلف لدى عامة أهل العلم وبه تشهد النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة ومن ثم كان الإيمان يقبل التبعيض والتجزئة كما جاء في الحديث الصحيح (الإيمان بضع وسبعون شعبة. .) رواه البخاري ٥١/١ ومسلم ٣/١. وسبق أن ذكرنا قول الإمام البخاري وأنه لقى أكثر من ألف عالم لا يختلفون في أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص. وقال الطبرى: والصواب في الإيمان قول من قال هو قول وعمل يزيد وينقص ويه جاء الخبر عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه مضى أهل الدين والفضل ص ١٠ المجموعة العلمية. وساق الآجري في "الشريعة" بسنده إلى أبي هريرة وابن عباس أنهما قالا: "الإيمان يزادا وينقص" وبسنده إلى عمرو بن حبيب قال: الإيمان يزيد وينقص، قيل له ما زيادته ونقصانه قال: "إذا ذكرنا الله عز وجل وحمدناه وخشيناه فذلك زيادته وإذا غفلنا وضيعنا فذلك نقصانه" ص ١١١.." [(١)]

"وقوله : (قول) **أي قول القلب واللسان** ، فقول القلب هو الاعتقاد ، وأما قول اللسان فهو التكلم بكلمتي الإسلام والإيمان .

قوله : (وعمل) العمل قسمان : عمل القلب وهو الإخلاص والنية ، وعمل الجوارح وهي الأعضاء .

وقوله : (لا يقولون) وهذه المقالة من البدع التي أحدثها أهل الكلام ، وأصلها يرجع إلى القول باللفظ بالقرآن ، فقد تقدم أن الإمام أحمد نهى أن يقال لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق ، ونهى كذلك أن يقال الإيمان مخلوق أو غير مخلوق ، فقد

(١) متن كتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة لابن بطة، ص/١٧٦

نقل ابن حامد أن أبا طالب نقل عن الإمام أحمد أنه يقول في الإيمان : (إن من قال مخلوق فهو جهمي ، ومن قال إنه غير مخلوق فقد ابتدع وأنه يهجر حتى يرجع) . [طبقات الحنابلة (٢ / ١٧٦)] .

وقال القاضي أبو يعلى في مختصر المعتمد [ص (١٩١)] : (واعلم أنه لا يجوز إطلاق القول في الإيمان أنه مخلوق أو غير مخلوق لأن من قال مطلقا إنه مخلوق أوهم أن كلام الله وأسماءه وصفاته مخلوقة ، ومن قال إنه غير مخلوق أوهم أن أفعال العباد قديمة غير مخلوقة) .

الخلاصة :

يؤمن أهل السنة أن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، ولا يقولون مخلوق أو غير مخلوق .

المناقشة :." (١)

"الفرق بين الإسلام والإيمان

قال الشيخ الحافظ أبو بكر الإسماعيلي رحمه الله تعالى في بيان اعتقاد أهل السنة في بحثه في مسائل الإيمان: [وقال كثير منهم: إن الإيمان قول وعمل، والإسلام فعل ما فرض على الإنسان أن يفعله إذا ذكر كل اسم على حدته مضموما إلى الآخر فقيل: المؤمنون والمسلمون جميعا.

أو مفردين أريد بأحدهما معنى لم يرد بالآخر، وإن ذكر أحد الاسمين شمل الكل وعمهم.

وكثير منهم قالوا: الإسلام والإيمان واحد، فقال الله عز وجل: ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ﴾ [آل عمران:٨٥]، فلو أن الإيمان غيره لم يقبل، وقال: ﴿ فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾ [الذاريات:٣٥-٣٦].

ومنهم من ذهب إلى أن الإسلام مختص بالاستسلام لله والخضوع له والانقياد لحكمه فيما هو مؤمن به، كما قال: ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ [الحجرات:١٤]، وقال: ﴿ يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان ﴾ [الحجرات:١٧]، وهذا أيضا دليل لمن قال: هما واحد.

ويقولون: إن الله يخرج من النار قوما من أهل التوحيد بشفاعة الشافعين برحمته، وإن الشفاعة حق، وإن الحوض حق، والميزان حق.

والحساب حق، ولا يقطعون على أحد من أهل الملة أنه من أهل الجنة أو أنه من أهل النار؛ لأن علم ذلك مغيب عنهم لا يدرون على ماذا يموت: أعلى الإسلام أم على الكفر؟ ولكن يقولون: إن من مات على الإسلام مجتنبا للكبائر والأهواء والآثام فهو من أهل الجنة؛ لقوله تعالى: ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ﴾ [البينة:٧]، ولم يذكر عنهم ذنبا، ﴿ جزاؤهم عند ربهم جنات عدن ﴾ [البينة:٨].

---

(١) اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث، ص/١٠٦

ومن شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بعينه بأنه من أهل الجنة وصح له ذلك عنه فإنهم يشهدون له بذلك اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتصديقا لقوله].

تكلم هنا على الفرق بين الإسلام والإيمان، وقد تقدم قول أهل السنة أن الإيمان قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح، قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، وعلى هذا اتفق سلف الأمة، ولما ابتدأ البخاري كتابه بعد المقدمة بالإيمان قال: وهو قول وفعل.

ويريد بالفعل فعل القلب وفعل الجوارح، جاء بهذه العبارة من نفسه، ونقل عنه أنه لما ذكر مشايخه الذين ذكرهم في صحيحه قال: إني خرجت هذه الأحاديث عن أكثر من ثلاثمائة شيخ كلهم يقولون: الإيمان قول وعمل.

ولكن اختلفوا هل الإسلام والإيمان بمعنى واحد أو بينهما فرق.

على أقوال.

فذهب كثير من العلماء إلى أن الإسلام والإيمان شيء واحد، وأن من أطلق عليه مسلم فإنه يصدق عليه أنه مؤمن وبالعكس، ويميل إلى هذا ابن رجب في شرح الأربعين النووية في شرح حديث جبريل الذي فيه تفسير الإسلام والإيمان، أن أحدهما يفسر بما يفسر به الآخر، سواء اجتمعا أو افترقا.

وذهب آخرون إلى أنهما إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، ومعنى ذلك أنهما إذا ذكرا جميعا فلكل واحد منهما تفسير، وإذا ذكر أحدهما أغنى عن الآخر، فيفسر الإيمان بأنه الأعمال الباطنة والإسلام بأنه الأعمال الظاهرة، وذلك بناء على الأصل، فإن أصل الإيمان هو التصديق بالقلب الذي هو يقينه وتصديقه، وأصل الإسلام هو الإذعان والانقياد، يقال: استسلم فلان للأمير وبمعنى: انقاد له وأذعن ولم يعص ولم يتخلف ولم يتبرم.

فلذلك يقال: المسلم هو الذي استسلم لأمر الله وانقاد له، وأذعن وخضع له وتواضع، وأطاعه طوعا وكرها، أطاع الله تعالى مختارا دون أن يتردد في أمر من أمور الدين، إذا أمر بأمر بادر إليه، وإذا نهي عن شيء في الإسلام تركه وابتعد عنه، يعتقد أن ما أمر الله به فإنه عين المصلحة، وما نهى عنه فإنه عين المفسدة، متى سمع بأن لله طاعة في كذا سارع إليها وأتى إليها محبا لها مندفعا إليها اندفاعا قويا كأنه يقاد باختياره دون أن يكون مكرها، فمثل هذا يسمى مسلما، ويقال مثلا في الإبل: استسلم البعير لقائده.

أي: أذعن وانقاد له.

فمثلا: إذا رأيت اثنان يقودان جملين، أحد الجملين مطاوع لمن يقوده، عندما يقوده يتبع قائده ولا يتردد ولا يستعصي ولا يعاند، بل هو مذعن منقاد لا يلتوي ولا يمتنع، فيسمى هذا مستسلما، بينما الجمل الثاني دائما ينفر ممن يقوده ويستعصي عليه ويجر رأسه إذا قاده بخطامه، وربما تفلت من الذي يقوده وشرد وهرب منه، فيقال: هذا الجمل غير مستسلم.

وورد في ذلك حديث ولو كان ضعيفا لكنه يستشهد به: (مثل المؤمن كمثل الجمل الأنف إن قيد انقاد، وإن أنيخ ولو على صخرة استناخ)، هكذا مثل المسلم بأنه كالجمل الأنف، أي: الجمل المذلل الذي يكون بيد من يقوده، إن قاده إلى مرتفع، وإن قاده إلى منخفض، وإن قاده إلى مكان مظلم، وإن قاده إلى مكان فيه حجارة أو نحو ذلك فإنه ينقاد مع

من يقوده ويستسلم ولا يستعصي أبدا، هذا حقا هو الذي يصير مثل المؤمن، إن قيد انقاد، وإن أنيخ ولو على صخرة ولو على رأس جبل استناخ، هذا تعريف الإسلام.

وفسره الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بأنه الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

فالاستسلام هو ما ذكرنا، يقول الله تعالى: ﴿ وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها ﴾ [آل عمران:٨٣] يعني: له أسلموا واستسلموا، وأنابوا وأذعنوا، فجميع المخلوقات مستسلمة له تحت تصرفه وتقديره.

فهذه حقيقة الإسلام، فعرفنا أن كلا من الإسلام والإيمان له معنى في اللغة وله معنى في الشرع، ولكن يظهر أن الشرع يستعمل الإسلام فيما يستعمل فيه الإيمان، ففي حديث جبريل المشهور فرق بينهما، قال: (فأخبرني عن الإيمان.

قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)، ففسر الإيمان بالأعمال الباطنة، وذلك دليل على أنه هو في الأصل اليقين أو عمل القلب، وفي تعريف الإسلام (وقال: أخبرني عن الإسلام.

قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا)، ففسر الإسلام بالأعمال الظاهرة، فالشهادتان ولو كانتا قولا لكنها ظاهرتان، فيظهر أثرهما بأن يعبد الله وحده ويطيعه، والصلاة أمر ظاهر مشاهد، والصوم كذلك أيضا أمر ظاهر مشاهد، والزكاة إيتاؤها أيضا أمر ظاهر، والحج أمر ظاهر، فهذه هي الأعمال الظاهرة، لكن جاء في حديث ابن عباس في وفد عبد القيس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (آمركم بأربع: آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيموا الصلاة، وتؤتوا الزكاة، وتؤدوا الخمس من المغنم)، فجعل هذا هو الإيمان، فذكر فيه الشهادتين والصلاة والزكاة، فدل على أنه قد يفسر الإسلام بما يفسر به الإيمان، وبالعكس فإن كلا منهما يدخل في الآخر، فإذا ذكرا جميعا فالإسلام هو الأعمال الظاهرة والإيمان هو أعمال القلب، وإذا اقتصر على الإسلام فإنه يستلزم دخول أعمال القلب فيه، وإن اقتصر على الإيمان كذلك دخلت فيه الأعمال الظاهرة لأنها من تعريفه، وقد كتب فيه شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية رحمه الله، وهو أوسع من كتب فيه، فكتب فيه كتاب الإيمان الكبير، وكتاب الإيمان الأوسط، وكتاب الإيمان الصغير، ولكن كتاب الإيمان الصغير يظهر أنه ليس من كتابته، وإنما هو من كتابة بعض أصحابه اختصره من كتبه، وإذا تأملنا كتاب الإيمان الكبير ظهر لنا أنه رحمه الله كأنه لا يوافق على أن الإسلام يدخل فيه الإيمان، بل يرى أن الإسلام يختص بالأعمال الظاهرة، وأن من وصف بأنه مسلم لا يوصف بالإيمان، فهذا هو الذي يميل إليه، وقد سبقه إلى الكتابة في الإيمان علماء كثر، فمنهم: ابن أبي شيبة صاحب المصنف له رسالة في الإيمان مطبوعة، ومنهم أبو عبيد القاسم بن سلام ، وإن كان من علماء اللغة لكنه أيضا من علماء الشرع، له رسالة أيضا مطبوعة في الإيمان، ومنهم الإمام ابن منده واسمه: محمد بن إسحاق ، عالم مشهور، له كتاب مطبوع في ثلاثة أجزاء اسمه أيضا (الإيمان)، مما يدل على أن السلف رحمهم الله اهتموا بهذه المسألة، فكتبوا فيها وتوسعوا، فالحاصل أن الإسلام يفسر عند الإطلاق بالأعمال الظاهرة، وهي الشهادتان، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وتدخل فيه بقية الأعمال الظاهرة، وتكون الأركان الخمسة بمنزلة الدعائم التي يقوم عليها ولا يتم إلا بها، كما إذا فرضنا مثلا أن بيتا قائما على أربعة أركان فإننا نسمي كل

ركن دعيمة، وجمعها دعائم، أي: أسس يقوم عليها ولا يتم إلا بها، فلو انهد جانب من جوانبه أصبح مفتوحا تدخله السباع والدواب، ويدخله اللصوص، ولا يصلح أن يسكن، سواء انهد الجانب الأيمن أو الأيسر أو الأمامي أو الخلفي فلا يصلح للسكنى، فيقولون: كذلك الإسلام إذا ترك ركن من أركانه فإنه لا يتم ولا ينتفع به صاحبه، وجعلوا الركن الأساسي عمديته اللتين يعتمد عليهما، فقالوا: الشهادتان بمنزلة الأساس أو بمنزلة الأرض التي يعتمد عليها والسقف الذي يظله، فإذا عدمت الشهادتان أو إحداهما فإنه لا ينتفع به، ولا يمكن أن يكون، فالإنسان لا يبني بيتا في الهواء، لابد أن يكون البيت على قرار، ثم لو بناه ولم يسقفه بل تركه مفتوح السقف لم ينتفع به، فلابد أن يكون له أساس وهو الأرض وسقف وهو أعلاه، فجعل الشهادتين بمنزلة الأساس والسقف، وجعلت." (١)

"وسائط بينهم وبين الله ويزعمون أنها تشفع لهم فقط، ولم يكونوا يعتقدون أن الأصنام والمعبودات التي جعلوها معبودات لهم وسموها آلهة لم يكونوا يعتقدون أنها تتصرف مع الله، وإنما كانوا يقولون: إنها تشفع لنا عند الله، فهذه الشفاعة التي يزعمونها هي الشرك بعينه. و المقصود أن معنى الإسلام هو ما اقتضته شهادة أن لا إله إلا الله؛ لأن قول الإنسان: أشهد أن لا إله إلا الله معناه: أن لا أعبد إلا الله. والأفعال التي يفعلها تكون تبعا للعبادة، سواء في المعاملات التي تكون في البيع والشراء، أو المعاملات التي تكون مع الناس، أو غير ذلك، أي أنه لا يجوز أن يحل حراما أو يحرم حلالا ويقول: إنني حر أتصرف كيف أشاء فإنه ليس حرا، بل هو عبد لله، يجب أن يمتثل لأمر الله جل وعلا وينقاد مطيعا خاضعا له، فإذا خرج عن ذلك فإنه يخرج عن عبادة الله إلى عبادة هواه أو الشيطان. ......

القلب أصل الإيمان والأعمال

قال الشارح رحمه الله: [وقال رحمه الله: ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام له وحده، فأصله في القلب، والخضوع له وحده بعبادته وحده دون ما سواه، فمن عبده وعبد معه إلها آخر لم يكن مسلما، ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلما، وفي الأصل هو من باب العمل عمل القلب والجوارح، وأما الإيمان فأصله تصديق القلب وإقراره ومعرفته، فهو من **باب قول القلب المتضمن** عمل القلب . **انتهى]. قول القلب وعمل** القلب: هو عبارة عن الأمور التي تكون في القلب من العلم والخشوع والخشية والخوف الرجاء والإنابة والاستسلام والانقياد . فهذه هي أعمال القلب، ثم تنبعث هذه على الجوارح، ويأتي العمل تبعا للقلب؛ فلهذا قال: (الأصل في القلب) يعني: أصل الإيمان في القلب. بل أصل الأعمال كلها في القلب؛ فإن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (إنما الأعمال بالنيات) والنية هي: عمل القلب. ......

وجوب تخيير الكفار قبل قتالهم إذا لم تكن الدعوة قد بلغتهم." (٢)

"الواضحة. قال الشارح رحمه الله: [وقال مجاهد : الإيمان يزيد وينقص وهو قول وعمل. رواه ابن أبي حاتم]. يدخل في القول: قول اللسان وقول القلب مثل الخوف والخشية والوجل والإنابة والمحبة والرضا هذا كله من قول القلب؛ لأن القول ينقسم إلى قسمين عند أهل السنة: قول يكون باللسان، وقول يكون بالقلب وهو: عقيدته وعمله. قال الشارح رحمه الله:

---

(١) شرح كتاب اعتقاد أهل السنة لابن جبرين، ٢/١٠

(٢) شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للغنيمان، ٢٢/٢

[وحكى الإجماع على ذلك الشافعي و أحمد و أبو عبيد وغيرهم رحمهم الله تعالى. وقوله: وعلى ربهم يتوكلون [الأنفال:٢]، أي: يعتمدون عليه بقلوبهم، مفوضين إليه أمورهم فلا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون أن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك وحده والمعبود وحده لا شريك له. وفي الآية وصف المؤمنين حقا بثلاثة مقامات من مقامات الإحسان وهي: الخوف، وزيادة الإيمان، والتوكل على الله وحده]. بل خمس مقامات؛ لأن تمام الآية: الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون [الأنفال:٣]، فهي خمس مقامات واضحة. قال الشارح رحمه الله: وهذه المقامات تقتضي كمال الإيمان وحصول أعماله الباطنة والظاهرة، مثال ذلك: الصلاة، فمن أقام الصلاة وحافظ عليها وأدى الزكاة كما أمره الله استلزم ذلك العمل بما يقدر عليه من الواجبات، وترك جميع المحرمات كما قال تعالى: إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر [العنكبوت:٤٥]].......

معنى قوله تعالى: (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين)." (١)

"يفسر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى للعبادة في أول رسالته العبودية حيث قال: إن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. وهذا التعريف مناسب؛ لأنه أيسر في الفهم أولا، والثاني أنه قريب المأخذ من النصوص، فقال: إن العبادة اسم جامع؛ يجمع أشياء كثيرة، جامع لأي شيء ؟ لكل ما يحبه الله ويرضاه، كيف نصل إلى أن هذا العمل أو القول يحبه الله ويرضاه؟ لابد أن يكون مأمورا به، أو مخبرا عنه بأن الله جل وعلا يحبه ويرضاه. أنواعها، قال: من الأقوال والأعمال؛ فهناك قول وعمل. فإذن العبادات تنقسم إلى:

- عبادات قولية.
- وعبادات عملية.

ليس ثم قسم ثالث، إما أن تكون قولية، وإما أن تكون عملية. قال: الظاهرة والباطنة؛ قد يكون القول ظاهرا، وقد يكون باطنا، وقد يكون العمل ظاهرا، وقد يكون باطنا.

فتحصل أن أنواع العبادات هي الأقوال والأعمال التي يحبها الله ويرضاها:

والقول: قد يكون باللسان، وقد يكون بالجنان.

قول اللسان أعمال كثيرة مما أمر الله جل وعلا به مثل الذكر والتلاوة، كلمة المعروف ونحو ذلك، هذه كلها من أنواع العبادات اللسانية.

قول القلب هو نيته، قصده، التبست النية على قوم فكانوا يتلفظون بها، نعم النية قول، لكنها قول القلب، إذا قصد القلب وتوجه إلى شيء كان قائلا به، ليس متكلما، لأن الكلام من صفات اللسان؛ كلام ظاهر، أما القول قد يكون ظاهرا وقد يكون باطنا.

العمل: عمل القلب وعمل الجوارح.

(١) شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للغنيمان، ٣٠٨/٤

وهذه الأنواع التي ذكرها الشيخ رحمه الله تعالى ممثلا بعضها من الأقوال والأعمال، بعضها ظاهر، وبعضها باطن، بعضها لساني، وبعضها قلبي، وبعضها عملي قلبي، وبعضها من عمل الجوارح.." (١)

"فأما معناه في اللغة فهو التصديق أو التصديق الجازم ، كما قال تعالى مخبرا عن قول إخوة يوسف لأبيهم ؟وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين؟ يعني ما أنت بمصدقنا ولو كنا صادقين .

فالإيمان في اللغة هو التصديق ، آمن بفلان يعني صدقه ، آمنت لكلامك يعني صدقت لكلامك بحيث إنه لا ريب عندي فيما أقول.

أما معناه في الشرع فإن الإيمان قول وعمل :

قول القلب وعمل القلب ، وكذلك قول اللسان ، وقول القلب ، وعمل الجوارح والأركان .

فإذن الإيمان في اللغة له معنى أما في الشرع فزيادة على معناه اللغوي أنه له موارد القلب والجوارح قول وعمل .

حصل هذا أهل العلم بقولهم إن الإيمان في الشرع هو القول باللسان . يعني بشهادة التوحيد . والاعتقاد بالجنان . الاعتقاد المفصل الذي سيأتي هنا . والعمل بالجوارح والأركان .

فهذا هو معنى الإيمان في النصوص وهو المراد بالايمان عند أهل السنة والجماعة .

قول القلب هو اعتقاد القلب ، الإيمان قول وعمل ، **قول القلب وقول** اللسان وعمل القلب وعمل الجوارح والأركان ، هذه أربعة أشياء تحتاج إلى تفصيلها .

– قول القلب هو اعتقاده ، لا بد من أن يكون ثم قول وهو اعتقاد القلب :

اعتقادات القلب هي أقواله لأنه يحدث بها نفسه قلبا فهو يقولها بقلبه ، فأقوال القلب هي الاعتقادات وهي التي ستأتي مفصلة في هذا الكتاب .

– قول اللسان بالشهادة لله بالتوحيد ، بقوله لا إله إلا الله محمد رسول الله .

– ثم عمل القلب ، عمل القلب أوله نيته وإخلاصه ، أنواع أعمال القلوب من التوكل والرجاء والرغب والرهبة والخوف والمحبة والإنابة والخشية ونحو ذلك من أنواع أعمال القلوب .

– عمل الجوارح بأنواع الأعمال مثل الصلاة والزكاة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك من الأعمال . هذا هو الإيمان

بعضه . بعض هذا الإيمان . **هو قول القلب الذي** هو اعتقاداته وهذا هو الذي سيأتي تفصيله في هذه الأركان .." (٢)

"لأنه سأل ، وهكذا من خاض في القدر فإنه يحرم العلم ومن لم يسلم فيه يحرم العلم ، قال :

ـمكلم إذ ألم به لماما كذا الخضر المكرم والوجيه الـ

فعجل صاحب السر الصراما تكدر صفو جمعهما مرارا

---

(١) شرح عدة متون في العقيدة، ١/٤٧

(٢) شرح عدة متون في العقيدة، ١٢/٣٠

وقد ثنى على الخضر الملاما ففارقه الكليم كليم قلب

علوم هناك بعضا أو تماما وما سبب الخلاف سوى اختلاف ال

إله مخالفا فيها الأناما فكان من اللوازم أن يكون ال

فلا تجهل لها قدرا

يعني هذه الحكمة البليغة وهذا البيان

شكورا للذي يحيي الأناما فلا تجهل لها قدرا وخذها

فهذا باب هدى الله جل وعلا فيه أهل السنة كما هداهم في غيره ونحمد الله جل وعلا أن جعلنا منهم ونسأله لنا ولكم الثبات على القول الصالح والعمل الصالح وأن يميتنا ثابتين غير خزايا ولا مفتونين وأن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد .

حقيقة الإيمان

وحكم

مرتكب الكبيرة

ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح.

وأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.." (١)

"قال من أصولهم (أن الدين والإيمان قول وعمل) الدين يشمل مراتب الدين الثلاثة : الإسلام والإيمان والإحسان ، وعطف الإيمان عليه من باب عطف الخاص على العام وذلك للاهتمام به ولأن الكلام كان في الإيمان .

فالإيمان إذن قول وعمل ، فصل ذلك فقال :

(قول القلب واللسان)

القول يرجع إلى القلب وإلى اللسان ، والقلب له قول واللسان له قول :

- أما القلب فقوله اعتقاده ، لأنه باستحضار أنه ينطق في قلبه بهذه المعتقدات أو يقولها قلبا.

- واللسان بتكلمه بالشهادتين .

- وعمل القلب هو النية .

- وعمل اللسان هو ما يجب أن يتكلم به المرء في عباداته بلسانه من مثل الفاتحة والأذكار الواجبة إلى غير ذلك مما يجب .

- والجوارح عملها بما يتصل بعمل اليدين والرجلين وسائر جوارح ابن آدم أو سائر جوارح المكلفين .

هذا من حيث الجملة في صلة هذه الكلمات .

فإذن رجع أن (القول والعمل والنية) هو القول والعمل .

---

(١) شرح عدة متون في العقيدة، ١٣/١١٩

فإذا قلت إن الإيمان (قول وعمل) عند أهل السنة فالعمل هو عمل القلب واللسان والجوارح وعمل القلب هو نيته .

فإذن من قال هو (قول وعمل ونية) فصل العمل فأخرج عمل القلب فنص عليه وقال هو النية .

ومعلوم أن عمل القلب أوسع من النية يدخل فيه أنواع عبادات كثيرة كما سيأتي بيانه ، إنما أردت بذلك أن تنوع العبارات في هذا راجع إلى شيء واحد وإنما هو تفصيل لبعض المجملات ، فمنهم من فصل ومنهم من قال قول وعمل واكتفى بذلك والكل صحيح موافق للأدلة .

هذه مقدمة لبيان تنوع العبارات في الإيمان .

والإيمان من الألفاظ التي لها استعمال في اللغة ولها استعمال في الشرع .

لها استعمال في الكتاب والسنة ولها استعمال في اللغة .

فالإيمان لغة مشتق من الأمن (أمن يأمن أمانا) واشتق منه (إيمان) .

فالإيمان من حيث الاشتقاق راجع إلى الأمن .

ومعنى الإيمان في اللغة : التصديق والاستجابة .." (١)

"إذا تبين ذلك فإن الإيمان الشرعي له صلة كما ذكرنا بالإيمان اللغوي ، والإيمان اللغوي منه العمل ، منه الاستجابة ، حتى التصديق لا يقال إنه صدق الأمر حتى يمتثل في اللغة .

يعني التصديق الجازم متى ؟

إذا امتثل ، ?وناديناه أن يا إبراهيم (١٠٤) قد صدقت الرؤيا? متى صار مصدقا ؟ لما ?أسلما وتله للجبين? .

الإيمان عند أهل السنة والجماعة أخذوا أركانه بما دلت عليه النصوص فقالوا إن الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد وينقص ، وهذه هي الجملة التي ذكرها شيخ الإسلام هنا فقال :

(من أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول **وعمل قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح. وأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية)

قول وعمل (قول القلب واللسان) هذا ركن القول .

" **قول القلب واللسان** :

ﷺ **أما قول القلب فهو** جملة الاعتقادات التي تكون في القلب :

- الاعتقاد بالله وملائكته وكتبه ورسله

- الاعتقاد بجميع الأخبار الاعتقاد بالتزام جميع الأوامر والتزام جميع النواهي ونعني بكلمة (التزام) أنه يعتقد أنه مخاطب بذلك غير اعتقاد الوجوب ،لا ، اعتقاد الالتزام **، قول القلب جملة** الاعتقادات .

ﷺ قول اللسان الذي يدخله في الإسلام وهو أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

" ثم عمل القلب :

(١) شرح عدة متون في العقيدة، ١٢٣/١٣

أعمال القلب كثيرة متنوعة فأول الأعمال وأعظمها النية والإخلاص .

النية والإخلاص مترادفان تارة وأحدهما يفارق الآخر تارة أخرى .

النية تارة تستعمل لتمييز العبادة عن غيرها ، وتارة تستعمل النية في إخلاص القصد ، إخلاص العمل لله .

فإذا قلنا إن عمل القلب يدخل فيه النية والإخلاص فنعني :

– بالنية تمييز العبادة عن غيرها حتى يكون يتعبد وقد ميز هذا العمل من غيره .." (١)

"ولهذا قال (ولكثرة الغلط فيها) يعني في زمانه وفي كل زمان يشبه زمانه (فنقول: لا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلما)، قوله (لا خلاف) يعني عند أهل السنة والجماعة لأن أهل السنة والجماعة عندهم الإيمان ثلاثة أشياء مسماه يقع على ثلاثة أشياء الاعتقاد الباطل والقول باللسان والعمل بالأركان، فالإيمان عندنا هو:

- اعتقاد بالجنان وهذه هي النون الأولى.
- والقول باللسان وهذه هي النون الثانية.
- والعمل بالأركان.

والإيمان أركانه ستة وأعظمها وأولها الإيمان بالله.

والإيمان بالله منقسم إلى ثلاثة أقسام:

- إيمان بتوحيد الله في ربوبيته.
- وإيمان بتوحيد الله في إليهته.
- وإيمان بتوحيد الله في أسمائه وصفاته.

فإن أقر بقلبه بتوحيد الربوبية والألوهية ونطق بلسانه بتوحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات؛ لكنه لم يعمل بتوحيد الألوهية فلا خلاف أنه فقد ركنا من أركان الإيمان، لم يعمل بالإيمان بالله؛ لأن الإيمان بالله فيه توحيد الله بالعبادة فإذا أشرك مع الله جل وعلا إلها آخر فإنه لا خلاف كما ذكر الإمام رحمه الله أنه لم يصر مسلما بإيمانه بكل الأركان إذا فقد العمل بتوحيد الإلهية، ولهذا قال فإن اختل شيء من هذا؛ يعني من هذه الثلاثة مجتمعة، أن يكون بالقلب والمقصود **به قول القلب وهو** اعتقاده.." (٢)

"**وقولنا قول القلب هذا** مسماها بعض السلف سمى الإخلاص والاعتقاد قول القلب، وهذه تسمية اصطلاحية وإلا فإن القول لا ينسب للقلب لفظا، وإنما **قيل قول القلب للتقسيم** ما بين العمل والقول، فالقول قسيم العمل، ولما كان للقلب عمل بالاتفاق سموا ما ليس من عمل القلب قول القلب، لاكتمال التقسيم، ولهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يقول في مواضع عن الإخلاص والاعتقاد يقول هو الذي يسميه بعضهم قول القلب، وهذا ظاهر المقصود

---

(١) شرح عدة متون في العقيدة، ١٢٦/١٣

(٢) شرح عدة متون في العقيدة، ٤٤٦/١٧

أن قول الشيخ رحمه الله (لابد أن يكون بالقلب) يعني الإيمان يكون بالقلب الذي هو الإقرار بتوحيد الله جل وعلا والعلم بذلك وإخلاص الدين لله جل وعلا إخلاص الإقرار يعني أن لا يكون مقرا كحال المنافقين؛ بل أن يكون في اعتقاده مخلصا، أو كحال المستكبرين وما أشبه ذلك، واللسان يعني أن يشهد فيما دل عليه الإيمان، والشهادة عند السلف فيما فسروا به موالد الشهادة في القرآن كقوله شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولي العزم قائما بالقسط وكقوله إلا من شهد بالحق وهم يعلمون وأشباه ذلك، ففسروا الشهادة بأنها اعتقاد ونطق وإعلام وإخبار، فالشهادة ليست هي القول وحده وليست هي الاعتقاد وحده؛ بل لابد أن يعتقد وأن يقول وأن يعلم غيره بذلك إلا إذا كان ثم ما يرخص به في كتمان الإيمان في مواضع، فالشهادة تضم هذا، ولهذا صار قول اللسان هذا جزء من الإيمان، هناك اعتقاد بالجنان وقول باللسان والعمل بالأركان يعني بما دل عليه.." (١)

"الذين يقولون الإيمان اعتقاد وقول فقط، وهم مرجئة الفقهاء هؤلاء يقولون لا يخرج إلا بالاعتقاد؛ لأن العمل أصلا عندهم ليس داخل في مسمى الإيمان، فلا يخرجونه من ذلك، هذا من حيث التنظير تنظير المذهب؛ لكن من حيث الواقع فإن أشد المذاهب في التكفير بالعمليات الحنفية الذين هم مرجئة الفقهاء، فهم أشد الناس في التكفير، حتى إنهم نصوا في كتبهم و قال هذا مصيحف ارتد، ولو قال هذ مسيجد ارتد، يعني حتى في تصغير ما أوجب الله جل وعلا تعظيمه.

فالمسألة نقول أن الكفر يكون بالقول والعمل والاعتقاد هذا بالاتفاق بين أتباع الأئمة الأربعة، حتى المرجئة عندهم يخرج بذلك، وهذا ما حدا طائفة من أهل العلم أن يقولوا الخلاف مع المرجئة خلاف لفظي أو يؤول إلى أن يكون الخلاف لفظيا؛ لأنهم يجعلون العمل شرط صحة ويجعلونه يكفر إذا لم يعمل أو عمل عملا مخالفا.

هذه المسألة تكلمنا عنها مرارا لأنه ثم بعض الكتب التي شككت في هذه المسألة.

س٧/ هل هناك فرق **بين قول القلب والتكلم** الذي عليه المعتزلة نرجو البيان؟

ج/ لا، الكلام الذي عليه –قصده– الأشاعرة الكلام النفسي الذي هو في **الداخل، قول القلب ذكرنا** أنه الإخلاص والاعتقاد فقط، هذا تسمية، سماها بعض السلف القرن الثاني والثالث **سموها قول القلب تقسيما** كما ذكرت لأن عمل القول معروف قالوا الأشياء التي لا تدخل في عمل القلب أنها قول القلب، لكن الكلام الذي هو الكلام النفسي هو كل ما يجري في النفس من حديث ولم ينطق به هذا يسمونه كلام نفسي، ليس هو الإخلاص والاعتقاد كل ما يجري في النفس، إذا دوت في نفسك كلاما فيقولون هذا يسمى كلاما نفسيا قبل خروجه، فهو كلام قبل أن يخرج.

س٨/ هل يجوز الجمع أكثر من نية في العمل الواحد كأن يصوم يوم الخميس الموافق للرابع عشر من الشهر بنية صيام أيام البيض صيام يوم الخميس؟." (٢)

"٢. والقسم الثاني: الذين يقولون إن الإيمان قول واعتقاد، ويخرجون العمل من مسمى الإيمان، فيجعلونه تابعا للإيمان، وليس منه، وليس من مسماه، يعني أن العمل ليس ركنا في الإيمان لا يقوم الإيمان إلا به، وهؤلاء يسمون مرجئة

---

(١) شرح عدة متون في العقيدة، ١٧/٤٤٧

(٢) شرح عدة متون في العقيدة، ١٧/٤٦٠

الفقهاء، كثر هذا في الحنفية لأنه قد قال به الإمام أبو حنيفة.

وطائفة أخرى خالفت، وقالت: إن الإيمان إما أن يبقى جميعه، وإما أن يذهب جميعه، فليس متفاضلا، فإذا عمل العبد بالمعصية الكبيرة فإنه يذهب جميع إيمانه. فالإيمان على حالين إما أن يبقى، وإما أن يذهب، وليس الإيمان متبعضا يزيد وينقص وقد يذهب بعضه ولا يذهب أصله، وهذا هو المعروف من قول الخوارج ومن نحى نحوهم من التكفير بالذنوب والمعاصي.

ومعتقد أهل السنة والجماعة في الإيمان أنهم يقولون: إن الإيمان هو ما جمع خمسة أمور؛ يعني معتقدهم في الإيمان ما جمع خمسة أمور:

؟الأول: اعتقاد القلب.

؟الثاني: قول اللسان.

؟الثالث: العمل؛ عمل بالأركان.

؟الرابع: أن الإيمان يزيد بطاعة الرحمان.

؟الخامس: أن الإيمان ينقص بمعصية الرحمان وبطاعة الشيطان.

فهذه خمسة أمور تميز بكل واحد منها أهل السنة والجماعة عمن خالفهم في هذا الأصل، وأدلة ذلك ظاهرة بينة، فهو قول وعمل.

فالإيمان قول **وعمل؛ قول القلب وعمل** القلب، وقول الجوارح وعمل الجوارح:

- وقول القلب: هو نيته وإخلاصه.
- وعمل القلب: هو ما يقوم به من الاعتقاد.
- وقول الجوارح: هو قول اللسان.
- وعمل الجوارح: هو جنس الأعمال التي تعمل بها الجوارح من طاعة الله جل وعلا.

فهو قول وعمل، فمن قال من السلف إن الإيمان قول وعمل فيعني به هذه الأمور الخمسة؛ لأن قوله: قول وعمل. يشمل ذلك.

أما زيادته و نقصانه فقد دلت عليها الأدلة الكثيرة، فإذن صار عندنا مسمى للإيمان غير ما تدل عليه اللغة في الإيمان، وذلك أن الإيمان:." (١)

"فالسلف من الصحابة والتابعين والأئمة ومن بعدهم، بينوا هذا الأمر العظيم، بينوا حقيقة الإيمان، وأنه إقرار باللسان، وتصديق بالقلب، وعمل بالجوارح.

هذه حقيقة الإيمان التي دلت عليها النصوص من كتاب الله –تعالى–، وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – وبينها أهل العلم من الصحابة والتابعين والأئمة من بعدهم: أن حقيقة **الإيمان قول القلب وإقراره** وتصديقه، وقول اللسان وهو النطق،

---

(١) شرح عدة متون في العقيدة، ٦٥/١٩

وعمل القلب، والنية والإخلاص، وأعمال الجوارح.

حقيقة الإيمان تشمل هذه الأمور الأربعة: قول اللسان وهو النطق، لا بد أن يتلفظ المسلم بالشهادتين، لا بد أن يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ولا بد من قول القلب، وهو الإقرار والاعتراف والتصديق، ولا بد من عمل القلب: النية والإخلاص والصدق والمحبة والانقياد، ولا بد من عمل الجوارح: الصلاة والصيام والزكاة والحج، وبر الوالدين وصلة الرحم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، والإحسان إلى الجيران، وكف المسلم نفسه عن المحرمات التي أعظمها وأغلظها وهو الشرك بالله – عز وجل– والعدوان على النفس في الدماء، والعدوان على النفس في الأموال، والعدوان على النفس في الأعراض.

يبتعد عن المحرمات تدينا وإيمانا بالله، وبما جاء عن الله، وبما جاء عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من ترك المحرمات، هذه هي حقيقة الإيمان التي دلت عليها النصوص، من كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – وأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم، كما قال كثير من السلف الإيمان قول باللسان، وتصديق بالجنان –أي: القلب– وعمل بالأركان وهي الجوارح.." (١)

"نعم، كتاب الإيمان لابن أبي شيبة نصوص وآثار، كتاب الإيمان لأبي عبيد أنه أوسع، وفيه تفصيل، وأما شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– بين في هذا، ونقل نقولا عن علماء بأن مرجئة الفقهاء وإن كان خلافهم لفظيا، في كون مرتكب الكبيرة لا ينفى عنه الإيمان، وأن مرتكب الكبيرة عليه الوعيد، نقل نقولا في أن فتنتهم، قال عن بعض العلماء عن العلماء إن فتنتهم أشد من فتنة الأزارقة والخوارج نظرا لما يترتب عليه من الآثار التي سبق الكلام عليها. نعم.

يقول: ما الفرق بين قول القلب وعمله وقول اللسان وعمله؟

نعم، قول القلب: التصديق والإقرار. وعمل القلب: النية والإخلاص والصدق والمحبة. قول اللسان النطق، وقد يسمى قول اللسان عملا. نعم.

يقول المؤلف: –رحمه الله– لما قال: إن أهل العلم افترقوا فرقتين. يلاحظ أنه لم يذكر في مذهب السلف مسألة زيادة الإيمان ونقصانه، حتى يكتمل مذهب السلف

سيأتي، سيأتي مسألة زيادة الإيمان ونقصانه، سيأتي فيما بعد، نعم.

يقول: هل هناك فرق بين هاتين الكلمتين: يكمل، ويستقيم؟ يعني: الإيمان.

أيش؟

يكمل ويستقيم، هل هناك فرق بين هاتين الكلمتين؟.

يكمل ويستقيم.

يستقيم، قد يقال: يستقيم الإنسان على طاعة الله. هنا يكمل إيمانه، من كمل إيمانه هو مستقيم، يعني كأن الاستقامة نتيجة لكمال الإيمان، من كمل إيمانه قد استقام على طاعة الله واستقام دينه. فمن كمل إيمانه استقام دينه، ومن استقام

(١) شرح رسالة كتاب الإيمان، ص/٦

دينه فقد كمل إيمانه، يعني قد يقال: إن إحداهما نتيجة للأخرى. نعم.

السؤال الأخير: هذا سائل يقول: بعض المؤلفين في علوم القرآن يذكرون أن النبي – صلى الله عليه وسلم –كانت دعوته للتوحيد فقط في مكة أما الشرائع فكانت في المدينة ما صحة هذه المقولة؟.

أيش؟ أعد.

بعض المؤلفين في علوم القرآن يذكرون أن النبي – صلى الله عليه وسلم –كانت دعوته للتوحيد فقط في مكة أما الشرائع فكانت في المدينة ما صحة هذه المقولة؟." [1]

"والذي يزعمه أنه بالقول خاصة، يعني مرجئ المرجئ الواحد من المرجئة يزعم أن الإيمان بالقول خاصة والذي يزعم أن الإيمان بالقول خاصة يجعله مؤمنا حقا كامل الإيمان بمجرد القول، **بمجرد قول القلب وإقراره** تصديق، وإن لم يكن هناك عمل.

ويقول إن هذا معاند للكتاب، كتاب الله وسنة رسوله؛ لأن النصوص كما سمعتم واضحة، هذا الكتاب – القرآن – ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (١) والحديث الإيمان بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان .

فالذي يقول إن الإيمان هو القول خاصة، ويكون مؤمنا كامل الإيمان بمجرد القول، عاند الكتاب وعاند السنة، عاند كتاب الله وعاند السنة، وهم المرجئة –نعم– والمؤلف –رحمه الله– اشتد عليهم؛ لأن النصوص واضحة فيها، نعم.

قوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات"

ومما يبين لك تفاضله في القلب قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ﴾ (٢) ألست ترى أن هاهنا منزلا دون منزل، ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ ﴾ (٣).

يعني يقول أن هذا مما يدل على أن الإيمان يتفاضل في القلب خلافا للمرجئة الذين يقولون: الإيمان في القلب واحد، شيء واحد لا يزيد ولا ينقص، ومما يدل عليه آية الممتحنة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ ﴾ (٤) دل على أن الإيمان يتفاضل في قلوبهن.

---

(١) – سورة الأنفال آية: ٢.

(٢) – سورة الممتحنة آية: ١٠.

(٣) – سورة الممتحنة آية: ١٠.

(٤) – سورة الممتحنة آية: ١٠.." [2]

---

[1] شرح رسالة كتاب الإيمان، ص/٣١

[2] شرح رسالة كتاب الإيمان، ص/٩٢

"" فالأمر الذي عليه أهل السنة عندنا ما مضى عليه علماؤنا، مما اقتصصنا في كتابنا هذا"، يعني مما ذكرنا في كتابنا هذا من الأدلة والنصوص. " أن الإيمان بالنية والقول والعمل " يكون كم جزءا ؟ ثلاثة أجزاء: النية والقول والعمل.

النية، يعني لا بد من النية، النية ما يكون منها الإنسان ينوي في الصلاة في الزكاة في الصوم في الحج، العبادات لا بد لها من نية إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى ولا تصح الأعمال إلا بالنية، فالنية من الإيمان، النية. والقول، والقول يشمل قول اللسان وهو النطق، وقول القلب وهو التصديق والإقرار. والعمل يشمل عمل القلب وعمل الجوارح.

فصار الإيمان مكونا من أي شيء ؟ من النية والقول -يشمل **أمرين: قول القلب وقول** اللسان- والعمل يشمل أمرين: عمل القلب وعمل الجوارح.

يقول الإمام أبو عبيدة -رحمه الله-:

الأمر الذي عليه السنة عندنا ما مضى عليه علماؤنا مما اقتصصنا في كتابنا هذا: أن الإيمان بالنية والقول والعمل جميعا وأنه درجات بعضها فوق بعض.

خلاف المرجئة الذين يقولون شيئا واحدا المرجئة يقولون: الإيمان شيء واحد، ما فيه درجات، ولا فيه نية ولا عمل ما فيه إلا التصديق بالقلب فقط، وأنه درجات بعضها فوق بعض، إلا أن أولها وأعلاها، أول الدرجات وأعلاها ما هي ؟ كلمة التوحيد، كلمة التوحيد؛ لأنها أصل الدين وأساسها الشهادة لله، الشهادة لله تعالى بالوحدانية و لنبيه - صلى الله عليه وسلم - بالرسالة.

هذا أصل الدين وأساسه، هذا أول الإيمان، أول درجات الإيمان، وأصلها وأسسها الذي تنبني عليه الأعمال، والشهادة لله تعالى بالوحدانية ولنبيه بالرسالة -أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله- هذا أولاها وأعلاها، الشهادة باللسان.. " (١)

"أما الذين رأوا الإيمان قولا، يعني: **هو قول القلب وتصديقه** وإقراره بدون عمل، فإنهم ذهبوا في هذه الآيات إلى أربعة أوجه، يعني تأولوا هذه الآيات الخمس الصريحة في أن الإيمان يزيد، تأولوها بأربعة تأويلات:

التأويل الأول: قالوا: أصل الإيمان الإقرار بجمل الفرائض، مثل: الصلاة والزكاة وغيرها، قالوا: أصل الإيمان معناه: هو أن يقر المسلم في جمل هذه الفرائض. يعني: يؤمن بها إيمانا إجمالا، يؤمن بأن الله فرض الصلاة، ويؤمن بأن الله فرض الزكاة، بأن الله قد فرض الصوم، فرض الحج.

ثم بعد ذلك جاءت النصوص بتفصيل هذه النصوص المجملة ففصلت الصلاة، جاء تفصيل الصلاة بأن الصلاة المفروضة خمس صلوات في اليوم والليلة، وبأن صلاة الظهر أربع ركعات، وصلاة العصر أربع ركعات، وصلاة المغرب ثلاث ركعات.. إلى آخره، وكذلك أيضا الزكاة جاء تفصيلها ببيان نصب الزكاة واشتراط الحول للأموال، لما يشترط له الحول وهكذا.

وهكذا الصوم جاء تفصيله بأنه صوم شهر رمضان، وبأنه من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وهكذا الحج جاء تفصيله بأنه لا يجب إلا في العمر مرة، فتأولوا الزيادة على أنها على الزيادة في الإيمان، على أن المراد تفصيل النصوص المجملة، قالوا:

---

(١) شرح رسالة كتاب الإيمان، ص/٩٨

فالنصوص المجملة النصوص جاءت بوجوب الصوم والصلاة والزكاة والحج، فآمن بها المسلمون ثم جاء تفصيلها بعد ذلك. فالتفصيل هو الزيادة، تأولوا الزيادة على أنها تفصيل، هذا التأويل الأول.." (١)

"وأصله: تصديق القلب وإقراره وإيمانه، ثم النطق بالشهادتين شاهد على ما في القلب وينبع عما في القلب، ثم الأعمال تصدق هذا الإيمان، فالإيمان أصله التصديق والإقرار والاعتراف، الإيمان بالقلب بالتصديق والإقرار والاعتراف، وهذا أصل الإيمان، التصديق بالقلب وإقراره، ثم النطق بالشهادتين شاهد لهذا الإقرار، ثم أعمال الجوارح تصدق هذا الإيمان. ثم قال المؤلف –رحمه الله–: "وإنما أعطى الله كل جارحةٍ عملا لم يعطه الأخرى" كل جارحة من الجوارح لها عمل تعبده الله بها: فعمل القلب الاعتقاد، وعمل اللسان القول والنطق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله وتلاوة القرآن والذكر.. إلى غير ذلك.

وعمل اليد التناول، يتناول بها ويأخذ ويعطي، وعمل الرجل المشي، وكلها يجمعها اسم العمل؛ فالإيمان على هذا التناول إنما هو كله مبني على العمل، فالإيمان مبني على العمل من أوله إلى آخره، إلا أنه يتفاضل في الدرجات على ما وصفناه، فعمل القلب الاعتقاد والتصديق والإقرار، وعمل اللسان النطق، والجوارح أيضا تعمل. نعم.

تناقض قول المرجئة الإيمان قول دون عمل

وزعم من خالفنا أن القول دون العمل، فهذا عندنا متناقض؛ لأنه إذا جعله قولا فقد أقر أنه عمل، وهو لا يدري بما أعلمتك من العلة الموهومة عند العرب في تسمية أفعال الجوارح عملا.

نعم، "وزعم من يخالفنا" وهم المرجئة أن الإيمان هو القول دون العمل، القول **يعني: قول القلب وإقراره** وتصديقه، زعمت المرجئة أن الإيمان هو تصديق القلب وإقراره، وأن العمل لا يدخل في مسماه. يقول المؤلف: –رحمه الله– هذا متناقض. متناقض لماذا؟ لأنه إذا جعله قولا فقد أقر أنه عمل؛ **لأن قول القلب وإقراره** وتصديقه عمل، هذا عمل القلب؛ وذلك أن العرب تسمي أفعال الجوارح عملا.." (٢)

"نعم، يقول المؤلف –رحمه الله–: إنا وجدنا النصوص من كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم– وإجماع العلماء والنظر الصحيح كلها تدل لمذهب أهل السنة والجماعة من أن الإيمان: قول باللسان، وتصديق بالقلب، وعمل بالجوارح وأن أقوال الإنسان تسمى عملا، وكذلك أيضا النظر الصحيح واللغة؛ فصارت الأدلة التي تدل على مذهب أهل السنة والجماعة من أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، وأن أقوال اللسان وأعمال القلوب وتصديق القلب، كلها داخلة في مسمى الإيمان. دلَّ على هذا القرآن الكريم، النصوص من كتاب الله –تعالى–، والآثار من سُنَّة النبي – صلى الله عليه وسلم– وإجماع العلماء، والنظر الصحيح كلها تصدِّق أهل السنة في الإيمان.

" فيبقى القول الآخر –يعني قول المرجئة الذي يقول: "الإيمان **هو قول القلب وتصديقه**– فأيُّ شيء يتبع بعد هذه الحجج الأربع؟" الحجج الأربع التي استدل بها على أن قول اللسان يسمى عملا: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ

(١) شرح رسالة كتاب الإيمان، ص/١٤٢

(٢) شرح رسالة كتاب الإيمان، ص/١٥٧

وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ (١) الحجج الأربعة الأدلة التي استدل بها المؤلف على أن قول اللسان داخل في العمل، يقول: فأي شيء يتبع بعد هذه الحجج الأربع؟ نعم.

مناقشة المؤلف للمرجئة وإلزامهم بإثبات الإيمان لإبليس اليوم

---

(١) - سورة النساء آية: ١٠٨.." [١]

"فهذا الباب عقده المؤلف -رحمه الله- لبيان الآثار الواردة عن السلف والصحابة والتابعين فمن بعدهم، في عيب المرجئة وذمهم، والنهي عن مجالستهم، وهم الذين يقولون: إن الإيمان قول بلا عمل **-أي: قول القلب وتصديقه** وإقراره بلا عمل- وأن أعمال الجوارح وأعمال القلوب لا تدخل في مسمى الإيمان. ثم ذكر أثر حذيفة - رضي الله عنه- قال: إني أعرف أهل دينين، أو أهل ذلك الدينين في النار: قوم يقولون الإيمان قول، وإن زنى وإن سرق. يعني يقولون: الإيمان كامل في القلب، ولا تضره المعاصي، وإن زنى وإن سرق، ما يضر إيمانه.

هذا قول المرجئة يقولون: إيمان العاصي كامل مثل إيمان المطيع، فإيمان الزاني والسارق مثل إيمان المطيع سواء بسواء، الإيمان قول -يعني: الإيمان كامل، قول يعني تصديق وإقرار القلب- وهو كامل في القلب وإن زنى وإن سرق.

والدين الثاني قوم يقولون: ما بال الصلوات الخمس، وإنما هما صلاتان. قال: فذكر صلاة المغرب أو العشاء، وصلاة الفجر. قال: وقال زمرة بن ربيعة يحدِّثه عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن حميد المقرائي عن حذيفة يقول: قارِن حديث حذيفة هذا فإنه، قد قرن الإرجاء بمن يقول: إن الصلاة الواجبة صلاتان لا خمس صلوات.

الأثر كان فيه بعض السقط، لكن كأنه يقول إن حذيفة - رضي الله عنه- عقد مقارنة بين المرجئة -الذين يقولون: إن الإيمان قول بالقلب وتصديق بالقلب، ولا يضره، ولا ينقص الإيمان، ولو زنى و لو سرق- وبين من يقول: الصلاة الواجبة صلاتان في اليوم والليلة، لا خمس صلوات، وهي صلاة المغرب وصلاة الفجر، أو صلاة العشاء وصلاة الفجر فقط.

فكونه قرن المرجئة بمن يقول إن الصلاة الواجبة صلاتان، دليل على ذم المرجئة وعيبهم، وأن مذهبهم مذهب مذموم.." [٢]

"يفسر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى للعبادة في أول رسالته العبودية حيث قال: إن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. وهذا التعريف مناسب؛ لأنه أيسر في الفهم أولا، والثاني أنه قريب المأخذ من النصوص، فقال: إن العبادة اسم جامع؛ يجمع أشياء كثيرة، جامع لأي شيء ؟ لكل ما يحبه الله ويرضاه، كيف نصل إلى أن هذا العمل أو القول يحبه الله ويرضاه؟ لابد أن يكون مأمورا به، أو مخبَرا عنه بأن الله جل وعلا يحبه ويرضاه. أنواعها، قال: من الأقوال والأعمال؛ فهناك قول وعمل. فإذن العبادات تنقسم إلى:

* عبادات قولية.
* وعبادات عملية.

---

(١) شرح رسالة كتاب الإيمان، ص/١٦٧

(٢) شرح رسالة كتاب الإيمان، ص/١٩٧

ليس ثمَّ قسم ثالث، إما أن تكون قولية، وإما أن تكون عملية. قال: الظاهرة والباطنة؛ قد يكون القول ظاهرا، وقد يكون باطنا، وقد يكون العمل ظاهرا، وقد يكون باطنا.

فتحصل أن أنواع العبادات هي الأقوال والأعمال التي يحبها الله ويرضاها:

والقول: قد يكون باللسان، وقد يكون بالجنان.

قول اللسان أعمال كثيرة مما أمر الله جل وعلا به مثل الذكر والتلاوة، كلمة المعروف ونحو ذلك، هذه كلها من أنواع العبادات اللسانية.

قول القلب هو نيته، قصده، التبست النية على قوم فكانوا يتلفظون بها، نعم النية قول، لكنها قول القلب، إذا قصد القلب وتوجه إلى شيء كان قائلا به، ليس متكلما، لأن الكلام من صفات اللسان؛ كلام ظاهر، أما القول قد يكون ظاهرا وقد يكون باطنا.

العمل: عمل القلب وعمل الجوارح.

وهذه الأنواع التي ذكرها الشيخ رحمه الله تعالى ممثلا بعضها من الأقوال والأعمال، بعضها ظاهر، وبعضها باطن، بعضها لساني، وبعضها قلبي، وبعضها عملي قلبي، وبعضها من عمل الجوارح.." (١)

"ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول **وعمل قول القلب واللسان** وعمل القلب واللسان والجوارح . وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي . كما قال سبحانه في آية القصاص : ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [الآية (١٧٨) من سورة البقرة] . وقال : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ الآيتان (٩، ١٠) من سورة الحجرات . ولا يسلبون الفاسق الملي الإسلام بالكلية . ولا يخلدونه في النار كما تقوله المعتزلة . بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالى : ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ الآية (٩٢) من سورة النساء . وقد لا دخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) الآية (٢) من سورة الأنفال . وقوله . صلى الله عليه وسلم . : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن) [رواه البخاري (٢٤٧٥) ومسلم (٥٧) عن أبي هريرة] . ونقول هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم .

الشرح :." (٢)

---

(١) شرح ثلاثة الأصول - آل الشيخ، ص/٤٧

(٢) شرح العقيدة الواسطية للفوزان، ص/١٣٤

"قوله : (ومن أصول أهل السنة والجماعة) أي : القواعد التي بنيت عليها عقيدتهم (أن الدين) هو لغة : الذل والانقياد . وشرعًا : هو ما أمر الله به (والإيمان) لغة : التصديق (١) ، وشرعًا : هو ما ذكره الشيخ بقوله : (قول وعمل : **قول القلب واللسان** . وعمل القلب واللسان والجوارح) هذا هو تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة : أنه قول وعمل . فالقول قسمان : **قول القلب وهو** الاعتقاد، وقول اللسان هو التكلم بكلمة الإسلام . والعمل قسان : عمل القلب وهو نية وإخلاص . وعمل الجوارح . أي : الأعضاء . كالصلاة والحج والجهاد .

والفرق بين أقوال القلب وأعماله : أن أقواله هي العقائد التي يعتبر فها ويعتقدها، وأما أعمال القلب فهي حركته التي يحبها الله ورسوله، وهي محبة الخير وإرادته الجازمة وكراهية الشر والعزم على تركه . وأعمال القلب تنشأ عنها أعمال الجوارح وأقوال اللسان . ومن ثم صارت أقوال اللسان وأعمال الجوارح من الإيمان .

أقوال الناس في تعريف الإيمان :

١ . عند أهل السنة والجماعة : أنه اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان .

٢ . عند المرجئة : أنه اعتقاد بالقلب ونطق باللسان فقط .

٣ . عند الكرامية : أنه نطق باللسان فقط .

٤ . عند الجبرية : أنه الاعتراف بالقلب أو مجرد المعرفة في القلب .

٥ . عند المعتزلة : أنه اعتقاد القلب ونطق اللسان وعمل الجوارح .

والفرق بينهم، أي : المعتزلة وبين أهل السنة أن مرتكب الكبيرة يسلب اسم الإيمان بالكلية ويخلد في النار عندهم، وعند أهل السنة لا يسلب الإيمان بالكلية بل هو مؤمن ناقص الإيمان ولا يخلد في النار إذا دخلها . والحق ما قاله أهل السنة والجماعة لأدلة كثيرة .." (١)

"وفيه من الفوائد: دخول أعمال القلب في الإيمان، ولهذا أحد تعاريف الإيمان أنه قول وعمل... إلخ، فهذا **من قول القلب**؛ علمه وإقراره أن الله معك حيثما كنت ؛ ثم ما دل عليه من كونه أفضل الإيمان لكونه يكسب مقام الإحسان، فإن الدين مراتب ثلاث أعلاه الإحسان، كما في حديث جبريل، والإحسان كما وضحه النبي - صلى الله عليه وسلم - : «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك» (١) .

....

وفائدة أخرى: أن التقسيم الذي في حديث جبريل يفيد أن الإحسان ليس خارجًا من الإيمان بل منه، كما أنه من الإسلام، فإذا أفرد دخل فيه الآخر، وإذا اقترنا فكلٌّ له مرتبة.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للفوزان، ص/١٣٥

وَقَوْلُهُ – صلى الله عليه وسلم – : (إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاةِ؛ فَلاَ يَبْصُقَ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلاَ عَنْ يَمِينِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ) . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَقَوْلُهُ – صلى الله عليه وسلم – : (اللهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ

[إثبات صفة القرب لله لا ينافي علوه وفوقيته]:

---

(١) رواه البخاري ١/٢٧ رقم ٥٠، ومسلم ١/٣٦ رقم ٨.." [١]

"وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ قَوْلٌ **وَعَمَلٌ، قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ**، وَعَمَلُ الْقَلْبِ.

(فصل)

[ومعتقد أهل السنة والجماعة في حد الإيمان أنه قول واعتقاد وعمل يزيد وينقص]:

(ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان) الدين هو الإيمان، من عطف الصفة على الصفة، وفي ذلك مزية وهو أنه يسمى الدين ويسمى الإيمان.

ولنعرف مسألة، وهي أدلة جاءت في القرآن: ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ ﴾ ، ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ﴾ هذا المعدى باللام: التصديق، وما تعدى بالباء فهو الشرعي، وبعضٌ عرفه بأنه تصديق خاص وهو ناقص.

وأهل السنة لهم عبارات في حد الإيمان نحو خمس عبارات منها: الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان. وكلها ترجع إلى شيء واحد، ومن أحسنها وأجمعها وأشملها ما عرفه به شيخ الإسلام هنا.

(قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح).

[معنى قول القلب وعمله]:

(قول القلب) علمه وتصديقه وإقراره.

(وعمل القلب) عمل القلب انقياده بمقتضى ما أقر به من الأعمال القلبية، كالخشية والخضوع والرغبة والرهبة، والتوكل عليه

وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ .

ورجائه ومحبته، وأشياء غير ذلك من أعمال القلوب، فإنه أولاً يصدق ثم ينقاد لما صدق به، وكونه يصدق ولا ينقاد من الحجة عليه كما قال: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ فلا بد من أن ينقاد ويعمل.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية – ابن إبراهيم، ص/٨٣

[الفرق بين قول اللسان وعمله]:

(و) قول (اللسان) نطقه بما يدخله في الإسلام.

(و) أما (عمله) فهو نطقه بالشيء الزائد على كلمة الإسلام من أنواع العبادة كالذكر ونحو ذلك (١) .

فدخل في ذلك فعل الواجبات والمندوبات، وترك المحرمات و المكروهات.

فقول اللسان وعمله قسمان:

---

(١) (عبارة أخرى): «وعمله: انقياده».." [1]

"الإيمان بالقدر على درجتين، وكل درجة تتضمن شيئين: ... ٦

الدرجة الأولى: العلم، والشيء الأول منه علم الله السابق للأشياء علمًا تفصيليًّا: ... ٦

الشيء الثاني من الدرجة الأولى: الإيمان بالكتابة: ... ٦

نتيجة الإيمان بالقدر: ... ٦

أنواع الكتابة: ... ٦

الكتاب الأول: الجملة: ... ٦

الكتاب الثاني: التفصيل: ... ٦

الرد على من أنكر ذلك: ... ٦

الدرجة الثانية: ... ٦

الشيء الأول من الدرجة الثانية: الإيمان بالإرادة والمشيئة: ... ٦

الشيء الثاني من الدرجة الثانية: الإيمان بخلق الله الكائنات بقدرته: ... ٦

القدر لا ينافي الشرع: ... ٦

الطوائف في القدر والشرع: ... ٦

يريد سبحانه أشياء يحبها وأشياء لا يحبها: ... ٦

العباد لهم أفعال حقيقية والله خالقها: ... ٦

القدرية النفاة من المعتزلة وغيرهم، يخرجون أفعال العباد عن أن تكون مخلوقة لله، وزعموا أن العبد يخلق فعل نفسه: ... ٦

الجبرية يسلبون العبد قدرته واختياره: ... ٦

أهل السنة آمنوا بالشرع والقدر جميعًا: ... ٦

ومعتقد أهل السنة والجماعة في حد الإيمان أنه قول واعتقاد وعمل يزيد وينقص: ... ٦

معنى قول القلب وعمله: ... ٦

---

(١) شرح العقيدة الواسطية – ابن إبراهيم، ص/١٣٦

الفرق بين قول اللسان وعمله: ... ٦
معنى عمل الجوارح: ... ٦
الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية: ... ٦
الإيمان عند المعتزلة والخوارج: ... ٦
أهل السنة لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر، كما يفعله الخوارج: ... ٦
أهل السنة لا يسلبون عصاة الموحدين اسم الإيمان بالكلية: ... ٦
ولا يخلدونه في النار: ... ٦
الفاسق الملي لا يخرج من الإيمان بالكلية، ولا يدخل في الإيمان المثُنى به: ... ٦
العاصي يقال له، مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته: ... ٦
من أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم للصحابة رضي الله عنهم: ... ٦
مذهب الرافضة في أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : ... ٦
كفر الرافضة: ... ٦
أهل السنة والجماعة يمتثلون ما وصفهم الله به من سلامة قلوبهم للصحابة: ... ٦
أهل السنة والجماعة أشد الناس طاعة للنبي – صلى الله عليه وسلم – في محبة الصحابة: ... ٦." (١)
"الأسئلة:

س: ما رأيكم في كتاب قوت القلوب لأبي طالب المكي ؟

ج: ما قرأته ولا أحكم عليه بشيء .

س: ما رأيكم في كتاب شرح العقيدة الطحاوية لمؤلف يدعى عبد الغني الغنيمي الميداني الحنفي الدمشقي المتوفى سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف، علما بأنه يباع في الرياض؟.

ج: ما قرأته. لكن علي بن أبي العز شارح الطحاوية هذه ذكر أن الطحاوية شرحت بشروح متعددة، وأن شراحها شرحوها على ما يتمشى مع معتقد أهل الكلام وأهل البدع، فأراد أن يشرحها على معتقد أهل السنة والجماعة.

فأنسب الشروح هو هذا الشرح "شرح الطحاوية" لابن أبي العز المنتشر بين أيدي طلبة العلم، هذا الذي أنصح بقراءته وما عداه فلا ينبغي؛ فلعله من الشروح التي ذكر الشارح أنها تتمشى مع معتقد أهل البدع.

وأما ما قرأت هذا الشرح الذي ذكرت. نعم.

س: باب الأفعال أوسع من باب الصفات، فهل معنى هذا أن نقف على ورود اللفظ في النص إن كان فعلا فنطلقه فعلا دون الوصفية ؟ .

---

(١) شرح العقيدة الواسطية – ابن إبراهيم، ص/١٩٩

ج: نعم. الأفعال لها صفة الأفعال يطلق على لفظ الفعل الخَلْق مثلا يثبت لله على ما ورد الخَلْق والتصوير والقبض والبسط والخفض والرفع كل هذه صفات أفعال على ما وردت.

﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤)﴾ ما يشتق منها الماكر بل يقال: يمكر الله المكر اللائق به. يخادعون الله وهو خادعهم يقال: إن الله يخدع من خدعه، وهو خادع من خدعه جاء على لفظ الفعل، وعلى لفظ اسم الفاعل بالإضافة لكن ما يشتق منه اسم الخادع.

وكذلك ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦)﴾ وإن الله يكيد من كاد، ولا يشتق منها اسم فيقال: من أسماء الله الكائد إن فعل يأتي على لفظ الفعل . نعم.

س: بعض أهل العلم يجعل شروط لا إله الله شرطين فقط هما: العلم والإخلاص ويقول: مرد الشروط السبعة إلى هذين الشرطين.

ج: نعم هذا من باب الاختصاص؛ لأن الصدق المانع من النفاق من الإخلاص؛ ولأن اليقين كذلك ولكن عند التفصيل تفصيلها أولى . نعم.

س: يقرر بعض أهل العلم أن شروط لا إله الله ثمانية، فما هو الشرط الثامن ؟ .

ج: الكفران -كما قالوا-: الكفر بما يعبد من دون الله، وهو معروف، مأخوذ من الشروط الأخرى . نعم.

س: كيف الإجابة عن هذه الشبهة، وهي قول بعضهم: أنتم تقولون: الإيمان قول وعمل واعتقاد، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في الأصول الثلاثة يقول في العلم: هو معرفة الله، فاكتفى بالمعرفة وهذا مذهب باطل، وجزاكم الله خيرا ؟.

ج: هذا تفسير العلم ما قال الإيمان، تفسير العلم والمعرفة. الإيمان قول وعمل واعتقاد، هذا قول أهل السنة قاطبة، وبعضهم يقول: قول وعمل، **فالقول: قول القلب وهو** الإقرار والتصديق، وقول اللسان، والعمل عمل القلب والجوارح، أما تفسير العلم فهذا غير تفسير العلم والمعرفة، والشيخ محمد فسر العلم بالمعرفة، فتفسير العلم ما فيه تفسير الإيمان، فالعلم غير الإيمان، نعم.

السؤال في غير محله، ما فيه وجه مقارنة. نعم.

س: أحسن الله إليكم، يقول السائل: إن من القواعد في الصفات أن باب الأخبار أوسع من باب الصفات يعنى ذلك أنه يجوز الإخبار عن الله بشيء لم يرد في الكتاب والسنة، لكن قيده بعضهم بقوله بما ورد جنسه في الكتاب والسنة، فهل هذا القيد صحيح، وإن كان صحيحا فنرجو إيضاحه، ومن ذكره من أهل العلم ؟.

ج: هذا سبق قوله البارحة هذا من باب الخبر أوسع من باب الصفات يخبر عن الله بأنه شيء بأنه ذات وبأنه موجود . هذا من باب الخبر، ولا يقال من أسماء الله الذات، من أسمائه الموجود.

وشيخ الإسلام كذلك في باب الرد على البدع، يخبر شيخ الإسلام علل بأنه الصانع والذات لها أصل

وذلك في ذات الإله وإن يشأ *** ....

والصانع ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ لها أصل.

والوجود كذلك له أصل. نعم.." (١)

"والإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان

هذا قول الطحاوي، يقرر مذهب المرجئة، المرجئة يقولون: الإيمان لا يكون إلا بالتصديق بالجنان، يعني القلب، والإقرار باللسان فقط شيئان، أما أعمال القلوب أعمال الجوارح ما تدخل ليست من الإيمان، هذا هو المشهور عن الإمام أبي حنيفة –رحمه الله– وأول من قال بالإرجاء شيخ أبي حنيفة حماد بن أبي سليمان من أهل الكوفة، هذا يسمى قول مرجئة الفقهاء .

والرواية الثانية عن الإمام أبي حنيفة أن الإيمان شيء واحد، وهو التصديق بالقلب، والإقرار باللسان ركن زائد لا يستلزمه مسمى الإيمان، هذا تقرير لمذهب المرجئة، والناس اختلفوا في مسمى الإيمان اختلافا كثيرا، اختلفوا فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلافا كثيرا .

وخلاصة الأقوال في هذه المسألة أنه ذهب الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد وجمهور أهل السنة والأوزاعي وإسحاق ابن راهويه وسائر أهل الحديث وأهل المدينة وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين، وهو قول الصحابة والتابعين والأئمة والعلماء إلى أن الإيمان تصديق بالقلب بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالجوارح، فالإيمان تصديق بالقلب ونطق باللسان وعمل بالقلب وعمل بالجوارح، أربعة أشياء .

وأحيانا يقولون: الإيمان قول وعمل الإيمان قول وعمل والقول قسمان، والعمل قسمان، الإيمان قول وعمل قول القلب، وهو النطق والإقرار قول اللسان، وهو النطق والإقرار وقول القلب، وهو التصديق قول اللسان، وهو النطق، يشهد أن لا إله إلا الله وقول القلب وهو التصديق والإقرار وعمل القلب، وهو النية والإخلاص وعمل الجوارح، لا بد منهما قول مع عمل، فهو قول باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالقلب وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، ولهذا يقول العلماء: تصديق بالجنان، يعني القلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، يعني الجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، هذا هو الحق الذي تدل عليه النصوص من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي أجمع عليه الصحابة والتابعون والأئمة .

المذهب الثاني: مذهب الإمام أبي حنيفة –رحمه الله– وكثير من أصحابه وحماد ابن أبي سليمان شيخ أبي حنيفة ذهبوا إلى ما ذكره الطحاوي من أن الإيمان شيئان الإقرار باللسان والتصديق بالجنان، كما قال المؤلف: يكون الإيمان مكون من شيئين: إقرار باللسان وتصديق بالقلب، وهذه الرواية عليها جمهور أصحاب الإمام أبي حنيفة المذهب .

الثالث: ذهب بعض أصحاب أبي حنيفة، وهي رواية عن الإمام أبي حنيفة أيضا، وإليها ذهب أبو منصور الماتريدي: أن الإيمان تصديق بالقلب فقط، تصديق بالجنان، والإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلى، بل هو شرط إجراء أحكام الإسلام

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية – عبدالعزيز الراجحي، ص/٢٦

في الدنيا، ولو لم يقر بلسانه، فهو مؤمن عند الله، هكذا يقولون هذا مذهب من؟ رواية عن الإمام أبي حنيفة ومذهب أبي حنيفة ومذهب الماتريدية، يقولون: الإيمان شيء واحد، التصديق بالقلب، والإقرار باللسان هو مطلوب، لكن ليس من الإيمان شرط لإجراء أحكام الإسلام ، فإذا لم يقر بلسانه قتل، لكن إذا كان مصدق بقلبه، فهو مؤمن عند الله، ولو قتل؛ لأن الإيمان هو التصديق بالقلب، والإقرار هذا أيضا من الإيمان مطلوب لإجراء أحكام الإسلام، ولو لم ينطق يعني بالشهادتين، وهذا باطل .

المذهب الثالث أو المذهب الرابع: ذهب الكرامية اتباع محمد بن كرام إلى أن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط، مذهب الكرامية الإيمان هو النطق باللسان فقط، قالوا ولو لم يصدق بقلبه، فهو مؤمن يكفي أن يقر بلسانه، لكن إذا لم يصدق بقلبه، فإنه يكون منافقا ، فالمنافقون عند الكرامية مؤمنون كاملو الإيمان، لكن يقولون بأنهم يستحقون الوعيد الذي أوعدهم الله، فعلى مذهب الكرامية إذا نطق بالشهادتين، وهو مكذب في الباطن يكون مؤمنا، ويخلد في النار، فيكون مخلدا في النار، وهو مؤمن على مذهب الكرامية، وهذا من أبطل الباطل، وهو ظاهر الفساد لأنه يلزم تخليد المؤمن الكامل الإيمان في النار .." (١)

"والراجح والصواب في هذه المسألة أن مسمى الإسلام ومسمى الإيمان يختلف مسماهما عند الأفراد وعند الاقتران ، فإذا قرن أحدهما بالآخر، فإنه فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة والإيمان بالأعمال الباطنة كما في حديث جبريل، وإذا أطلق أحدهما دخل فيه الآخر كما في حديث وفد عبد القيس إذا أطلق الإيمان وحده دخل فيه الأعمال الظاهرة والباطنة، وإذا أطلق الإسلام وحده شمل الأعمال الظاهرة والباطنة، وإذا اجتمعا فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة والإيمان بالأعمال الباطنة، كما حديث جبريل .

هذا هو الصواب وهو الراجح، وهذا هو التحقيق في هذه المسألة أن الدلالة تختلف بالتجريد والاقتران، ومن فهم هذا انجلت عنه إشكالات كثيرة في كثير من المواضع التي حاد عنها كثير من الطوائف، فإن الإسلام أصله هو الانقياد والطاعة والإيمان، أصله هو ما في القلب من الاعتقاد وحقيقة الفرق أن الإسلام دين، والدين مصدر دان يدين دينا، إذا خضع وذل .

ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده، فأصله في القلب هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه، والإسلام هو الاستسلام لله وهو الخضوع له والعبودية له، هكذا قال أهل اللغة: أسلم الرجل إذا استسلم فالإسلام في الأصل من باب العمل عمل القلب وعمل الجوارح، وأما الإيمان فأصله التصديق والإقرار، أصله تصديق وإقرار ومعرفة، فهو من **باب قول القلب المتضمن** عمل القلب .

والأصل فيه التصديق والعمل تابع له، فلهذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان بإيمان القلب وخضوعه وفسر الإسلام بالأعمال. نعم .." (٢)

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - عبدالعزيز الراجحي، ص/٢٣٦

(٢) شرح العقيدة الطحاوية - عبدالعزيز الراجحي، ص/٢٤٨

"[المسألة الثامنة]:

عرَّف الإيمان بقوله إقْرارٌ باللِّسانِ، وتصديقٌ بالجَنَانِ، وقلنا في التعريف اعتقاد بالجنان.

والفرق ما بين التصديق والاعتقاد:

أنَّ التصديق شيء واحد؛ بمعنى أنَّهُ أمْرٌ واحد، عِبَادَةٌ واحدة.

وأما الاعتقاد فإنه يشمل أشياء كثيرة من أعمال القلوب.

لهذا قالت طائفة من السّلف في تعريف الإيمان (الإيمان قول وعمل) وهذا دقيق لأنه **يشمل قول القلب وقول** اللّسان.

(قول القلب) هو تصديقه وإخلاصه في الله – عز وجل –.

(وقول اللّسان) هو إعلانه الشّهادة.

وعَمَلٌ: يشمل عمل القلب وعمل الجوارح.

(وعَمَلُ القلب) من محبة الله – عز وجل – والتوكل عليه والخوف منه – جل جلاله – ورجاؤه والإنابة إليه وخشية الرّب – جل جلاله – ونحو ذلك من أعمال القلوب.

فإذاً ما يتّصِلُ بالقلب من أمور الإيمان ليست شيئاً واحداً، ليس هو التصديق فقط، بل ثَمَّ أشياء كثيرة في القلب، والتصديق هو أحدها.

ولهذا فإنَّ التفاضل –الزيادة والنقصان– زيادةٌ ونقصان باعتبار العمل الظاهر، وزيادةٌ ونقصان باعتبار عمل القلب الباطن.

فالناس يتفاوتون في الإيمان من جهة:

١ – زيادته ونقصانه في أعمالهم الظاهرة وهي أمور الإسلام: من الصلاة والزكاة والصيام والحج والاستسلام لله – عز وجل – في الأوامر والانقياد ونحو ذلك والانتهاء من المحرمات.

٢ – وكذلك أعمال القلوب.

وأعمال القلوب نوعان:

– أعمالٌ واجِبَةُ الفعل.

– وأعمالٌ مُحَرَّمَةُ العمل أو واجبة الترك.

@ أما واجبة الفعل مثل: محبة الله – عز وجل –، والإنابة إليه، والتوكل عليه، وخشيته، والخوف منه، والطمأنينة له، ونحو ذلك من أعمال القلوب.

@ وما يجب تركه من أعمال القلوب المحرمات، محرمات أعمال القلوب التي هي الكِبْرْ والبَطَر وتزكية النفس وسوء الظن بالله – عز وجل – ونحو ذلك، هذه كلها يجب تركها.

فإذاً أعمال القلوب مشتملة على:

١ – تصديق.

٢ – ومشتملة على أمور واجبٌ أن يعملها القلب، وأمور واجب أن ينتهي عنها القلب.

* وهذه كلها في الحقيقة متصلة؛ فالتصديق مُتَأَثِرٌ زيادَةً ونُقْصَاناً بأعمال القلوب.

فأعمال القلوب تؤثر على تصديقه، فأعمال القلوب الواجبة إذا زادت محبته لله – عز وجل – زاد تصديقه، إذا زادت إنابته إلى الله وزاد خشوعه وخضوعه بين يدي الله وزاد توكله على الله سبحانه وتعالى زاد تصديقه وزاد يقينه.

وكذلك إذا انتهى عن المحرمات، خضع لله – عز وجل –، لم يكن مُتَكبرا، ذليلاً لله – عز وجل –، غير مترفع على الخلق، مُحِبَاً لسلامته –سلامة قلبه–، مُبْتَعِداً عما يفسد القلب، هذه كلها مؤثرة في تصديقه.

فإذاً رجع الأمر في زيادة الإيمان وفي نقصانه إلى زيادة الإيمان في أركانه الثلاثة ونقصان الإيمان في أركانه الثلاثة.

فإذاً زيادة الإيمان (يزيد بطاعة الرحمن) يعني:

- يزيد التصديق أو الاعتقاد بطاعة الرحمن.
- يزيد الإقرار باللسان بطاعة الرحمن.
- يزيد العمل بالأركان أيضا بطاعة الرحمن.

فزيادة الإيمان راجِعَةٌ للثلاثة جميعاً.

لأنَّ الزيادة: تارةً تكون بالعمل الظاهرمثل زيادة صلاة، زيادة صدقة، زيادة بر، زيادة جهاد في سبيل الله، طلب علم ونحو ذلك، فيَرْجِعُ هذا إلى التصدِيقِ وإلى الإقرار بزيادة.

فيكون تصديقه واعتقاده أكثر وأعظم وأمتن وأثبت وكذلك إقراره.

وهذا يُحِسُّهُ الإنسان من نفسه فإنه إذا زاد إيمانه زاد لَهَجُهُ بذكر به – عز وجل – تهليلاً وتسبيحاً وتحميداً وتكبيراً وتمجيداً.

المسائل كثيرة نرجئ البقية إلى موضعٍ آتٍ إن شاء الله.." (١)

"وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الْإِيمَانِ، وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ، وَيَعْصِمَنَا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْآرَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ، وَالْمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ، مِثْلَ الْمُشَبِّهَةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْجَبْرِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَحَالَفُوا الضَّلَالَةَ، وَنَحْنُ مِنْهُمْ بَرَآءٌ، وَهُمْ عِنْدَنَا ضُلَّالٌ وَأَرْدِيَاءُ وَبِاللَّهِ الْعِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ.

هذه هي الجملة الأخيرة من هذه العقيدة المباركة، عقيدة أبي جعفر الطحاوي رحمه الله حيث بَيَّنَ فيها أصول الاعتقاد في الله – عز وجل – وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرّه، وبيَّنَ فيها تفاصيل الكلام على مسائل كثيرة تدخل تحت أركان الإيمان الستة، وذَكَرَ فيها كعادة من ألَّف في عقائد السلف ما يتصل بذلك من الكلام في الصحابة وما وقع من الفتن والكلام في من الأحق بالخلافة، والكلام في العشرة المبشرين بالجنّة، وما أشبه ذلك من المسائل المتصلة بمسائل الإيمان، وكذلك ذكر عِدَّةَ مسائل تتعلق بالقول في أهل العلم، وأننا لا نذكر أهل العلم سواءٌ أكانوا من أهل الحديث والأثر أو من أهل الفقه والنظر إلا بالخير ومن ذَكَرَهُم بغير الخير فهو على غير السبيل، وما شابه ذلك من المسائل.

وهذه المسائل التي ذَكَرَهَا حقّ، ويُقِرُّها عامَّة الأئمة إلا فيما استُثْنِي مما وافق فيه أبا حنيفة رحمه الله في بعض مسائل الإيمان

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية – صالح آل الشيخ، ص/٤٠٨

ونحوه، مما لاحظنا عليه ولاحظ عليه العلماء من قبل وبعض الألفاظ التي تجنُّبُهَا أولى، كما مرّ معنا في مواضعه.

فلما ذَكَرَ ذلك كله قال (فَهَذَا دينُناً واعْتِقَادُناً ظَاهِراً وَبَاطِناً. وَنَحْنُ بُرَآءُ إلى الله مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وبَيَّنَّاهُ).

ولا شك أَنَّ أبواب الاعتقاد متعلقة بالقلب، فالقلب أشد ما يكون في التغير، وأشد ما يكون في التقلُّب، ولهذا كان من دعائه صلى الله عليه وسلم أنَّهُ كان يقول «يا مقلّب القلوب صرِّف قلوبنا إلى طاعتك»(١)، «يا مقلب القلوب ثبّت قلبي على دينك»(٢)، ونحو ذلك مما ورد في الآثار.

فالقلب يَتَقَلَّبْ سريعاً وأكثر شيء يتقَلَّبُ فيه **القلب قول القلب وعمل** القلب واعتقاد القلب؛ لأنَّ هذه مبناها على العلم، والعلم ينفع ويذهب، فكلما ترك شيئاً من العلم كلما أثَّرَ ذلك على القلب، فإذا ترك مسائل العقيدة أَثَّرَ ذلك على عقيدة القلب إما أَثَّرَ بنقص العلم وهذا له أثر في اليقين والاعتقاد الحق، أو أَثَّرَ بوجود الشبهة مع عدم العلم أو ضعف العلم.

والشيطان أفرح ما يكون من الإنسان أن يَتَغَيَّرَ قلبه، لأنه إذا تغير قلبه فإنَّ الجوارح تتغير كما قال صلى الله عليه وسلم «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»(٣)، ففساد القلب يكون بالشبهات وبالشهوات، فإذا عَرَضَت الشُبُهَاتْ وتَمَكَّنَتْ، وسبب تمكنها نقص العلم فإنَّ القلب يفسد، وأعظم ما تعرض الشبهات في مسائل العقيدة.

لهذا ما زال الأئمة وأهل العلم والنَّصَحَة للأمة حق النصيحة لأئمة المسلمين ولعامّتِهِم مازالوا يوصون بالاهتمام بالتوحيد والعقيدة؛ لأنَّهُ أقرب ما يكون تغَيُّرْ القلب في العقيدة لأنها تُنْسَى، وقد تبقى المُجْمَلَات لكن التفصيلات تُنْسَى، ثُمَّ تأتي ذنوب القلب شيئاً فشيئاً وتقع الشُّبْهَة وتقع المِريَة ويقع الرَّيْبْ في القلب، ثمّ يُضِرُّ الإنسان بنفسه شيئاً فشيئا.

لهذا من أعظم الأدعية التي علمنا إياها ربنا – عز وجل – الدعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم في الصلاة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة:٥]، والهداية للصراط طلب بأنْ يُهْدَى إلى الصراط، والصراط هو الإسلام والقرآن والسنة، والإسلام والإيمان والقرآن والسنة له تفاصيل، تفاصيل مختلفة، الإسلام شيء يتعلق بالقلب وشيء يتعلّق بالجوارح والعمل، والإيمان يتعلَّقْ بالقلب، والقرآن ثَمَّ أشياء كثيرة فيه آيات التوحيد وفي الغيبيات، هذه كلها عقائد والسنة كذلك.

(١) مسلم (٦٩٢١)

(٢) الترمذي (٢١٤٠)

(٣) سبق ذكره (٣٤٥)." (١)

"قول السلف الذي حكى الإجماع عليه غير واحد من الأئمة أن الإيمان قول وعمل، وألفاظ السلف في هذا المقام مختلفة، ولكن اختلافها من باب اختلاف الألفاظ، فالذي عبر به الجماهير من أئمة السنة والحديث هو أن الإيمان قول وعمل، وعبر طائفة منهم بأن الإيمان قول وعمل واعتقاد، وعبر طائفة منهم البخاري في صحيحه بأن الإيمان: (قول وفعل)،

(١) شرح العقيدة الطحاوية – صالح آل الشيخ، ص/٧٤٤

وعبر بعضهم بأن الإيمان: (قول وعمل ونية واتباع للسنة)، إلى أمثال ذلك من الجمل المأثورة عن بعض أعيان السلف. وهذه الجمل ليس بينها اختلاف عند التحقيق، بل هي جمل متفقة من حيث المعنى، وإن كان المأثور عن جماهير من السلف هو أجود التعبيرات، وهو قولهم: الإيمان قول وعمل، ومرادهم بالقول **هنا: قول القلب وقول** اللسان، ومرادهم بالعمل: عمل القلب وعمل الجوارح، فأما قول اللسان فبين، وأما عمل الجوارح فبين، وهي الشرائع الظاهرة كالصلاة والصوم والحج وأمثال ذلك، **وأما قول القلب** -وهو أصل الإيمان عند السلف ومبناه- فمرادهم به: تصديق القلب. وأما عمل القلب فهو: حركته بهذا التصديق في أعماله المناسبة له، كالمحبة والرضا والخوف والاستعانة إلى غير ذلك من أعمال القلوب، وعليه فأصول الإيمان على هذا الاعتبار تكون أربعة: تصديق القلب وعمل القلب وقول اللسان وعمل الجوارح. وأما ذكره الشافعي وأمثاله -وهو الشائع في كلام أكثر المتأخرين من أهل السنة- من أنه قول وعمل واعتقاد، فإنهم يريدون بالقول: قول اللسان، ويريدون بالعمل: الأعمال الظاهرة والباطنة، ويريدون بالاعتقاد: التصديق. فالقصد أن هذه الجمل المأثورة عن السلف لا خلاف بينها في نفس الأمر.." (١)

" قوله : (والإيمان : هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان وجميع ما صح عن رسول الله صلى الله عليه و سلم من الشرع والبيان كله حق والإيمان واحد وأهله في أصله سواء والتفاضل بينهم بالخشية والتقى ومخالفة الهوى وملازمة الأولى)

ش : اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلافا كثيرا : فذهب مالك و الشافعي و أحمد و الأوزاعي و إسحق بن راهويه وسائر أهل الحديث وأهل المدينة رحمهم الله وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين : إلى أنه تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان وذهب كثير من أصحابنا إلى ما ذكره الطحاوي رحمه الله : أنه الإقرار باللسان والتصديق بالجنان ومنهم من يقول : إن الإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلي وإلى هذا ذهب أبو منصور الماتريدي رحمه الله ويروى عن أبي حنيفة رضي الله عنه وذهب الكرامية إلى أن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط ! فالمنافقون عندهم مؤمنون كاملو الإيمان ولكنهم يقولون بأنهم يستحقون الوعيد الذي أوعدهم الله به ! وقولهم ظاهر الفساد وذهب الجهم بن صفوان وأبو الحسن الصالحي أحد رؤساء القدرية - إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب ! وهذا القول أظهر فسادا مما قبله ! فإن لازمه أن فرعون وقومه كانوا مؤمنين فإنهم عرفوا صدق موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام ولم يؤمنوا بهما ولهذا قال موسى لفرعون : ﴿ لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر ﴾ وقال تعالى : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ﴾ وأهل الكتاب كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه و سلم كما يعرفون أبناءهم ولم يكونوا مؤمنين به بل كافرين به معادين له وكذلك أبو طالب عنده يكون مؤمنا فإنه قال :

(ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا)

(لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا)

بل إبليس يكون عند الجهم مؤمنا كامل الإيمان ! فإنه لم يجهل ربه بل هو عارف به ﴿ قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون ﴾ ﴿ قال : رب بما أغويتني ﴾ ﴿ قال : فبعزتك لأغوينهم أجمعين ﴾ والكفر عند الجهم هو الجهل بالرب تعالى ولا

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص/١٧٤

أحد أجهل منه بربه ! فإنه جعله الوجود المطلق وسلب عنه جميع صفاته ولا جهل أكبر من هذا فيكون كافرا بشهادته على نفسه ! وبين هذه المذاهب مذاهب أخر بتفاصيل وقيود أعرضت عن ذكرها اختصارا ذكر هذه المذاهب أبو المعين النسفي في تبصرة الأدلة وغيره

وحاصل الكل [يرجع] إلى أن الإيمان : إما أن يكون ما يقوم بالقلب واللسان وسائر الجوارح كما ذهب إليه جمهور السلف من الأئمة الثلاثة وغيرهم رحمهم الله كما تقدم أو بالقلب واللسان دون الجوارح كما ذكره الطحاوي عن أبي حنيفه وأصحابه رحمهم الله أو باللسان وحده كما تقدم ذكره عن الكرامية أو بالقلب وحده وهو إما المعرفة كما قاله الجهم أو التصديق كما قاله أبو منصور الماتريدي رحمه الله وفساد قول الكرامية والجهم بن صفوان ظاهر

والاختلاف الذي بين أبي حنيفة والأئمة الباقين من أهل السنة – اختلاف صوري فإن كون أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب أو جزءا من الإيمان مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان بل هو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه – : نزاع لفظي لا يترتب عليه فساد اعتقاد والقائلون بتكفير تارك الصلاة ضموا إلى هذا الأصل أدلة أخرى وإلا فقد نفى النبي صلى الله عليه و سلم الإيمان عن الزاني والسارق وشارب الخمر والمنتهب ولم يوجب ذلك زوال اسم الإيمان عنهم بالكلية اتفاقا ولا خلاف بين أهل السنة أن الله تعالى أراد من العباد القول والعمل وأعني بالقول : التصديق بالقلب والإقرار باللسان وهذا الذي يعنى به عند إطلاق قولهم : الإيمان قول وعمل لكن هذا المطلوب من العباد : هل يشمله اسم الإيمان ؟ أم الإيمان أحدهما وهو القول وحده والعمل مغاير له لا يشمله اسم الإيمان عند إفراده بالذكر وإن أطلق عليهما كان مجازا ؟ هذا محل النزاع

وقد أجمعوا على أنه لو صدق بقلبه وأقر بلسانه وامتنع عن العمل بجوارحه – : [أنه] عاص لله ورسوله مستحق للوعيد لكن فيمن يقول : إن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان من قال : لما كان الإيمان شيئا واحدا فإيماني كإيمان أبي بكر الصديق و عمر رضي الله عنهما ! بل قال : كإيمان الأنبياء والمرسلين وجبرائيل وميكائيل عليهم السلام ! ! وهذا غلو منه فإن الكفر مع الإيمان كالعمى مع البصر ولا شك أن البصراء يختلفون في قوة البصر وضعفه فمنهم الأخفش والأعشى و [من] يرى الخط الثخين دون الدقيق إلا بزجاجة ونحوها ومن يرى عن قرب زائد على العادة وآخر بضده

ولهذا – والله أعلم – قال الشيخ رحمه الله : وأهله في أصله سواء يشير إلى أن التساوي إنما هو في أصله ولا يلزم منه التساوي من كل وجه بل تفاوت [درجات] نور لا إله إلا الله في قلوب أهلها لا يحصيها إلا الله تعالى : فمن الناس من نور [لا إله إلا الله] في قلبه كالشمس ومنهم من نورها في قلبه كالكوكب الدري وآخر كالمشعل العظيم وآخر كالسراج المضيء وآخر كالسراج الضعيف ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بأيمانهم وبين أيديهم على هذا المقدار بحسب ما في قلوبهم من نور الإيمان والتوحيد علما وعملا وكلما اشتد نور هذه الكلمة وعظم أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته بحيث إنه ربما وصل إلى حال لا يصادف شهوة ولا شبهة ولا ذنبا إلا أحرقه وهذه حال الصادق في توحيده فسماء إيمانه قد حرس بالرجوم من كل سارق ومن عرف هذا عرف معنى [قول النبي صلى الله عليه و سلم : إن الله حرم على النار من قال : لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله] [وقوله : لا يدخل النار من قال لا إله إلا الله] وما جاء من هذا النوع من الأحاديث التي أشكلت على كثير من الناس حتى ظنها بعضهم منسوخة وظنها بعضهم قبل ورود الأوامر والنواهي وحملها

بعضهم على نار المشركين والكفار وأول بعضهم الدخول بالخلود ونحو ذلك والشارع صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلا بمجرد قول اللسان فقط فإن هذا من المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم وهم تحت الجاحدين في الدرك الأسفل من النار فإن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب وتأمل حديث البطاقة التي توضع في كفة ويقابلها تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر فتثقل البطاقة وتطيش السجلات فلا يعذب صاحبها ومعلوم أن كل موحد له مثل هذه البطاقة وكثير منهم يدخل النار وتأمل ما قام بقلب قاتل المائة من حقائق الإيمان التي لم تشغله عند السياق عن السير إلى القرية وحملته وهو في تلك الحال أن جعل ينوء بصدره وهو يعالج سكرات الموت وتأمل ما قام بقلب البغي من الإيمان حيث نزعت موقها وسقت الكلب من الركية فغفر لها وهكذا العقل أيضا فإنه يقبل التفاضل وأهله في أصله سواء مستوون في أنهم عقلاء غير مجانين وبعضهم أعقل من بعض وكذلك الإيجاب والتحريم فيكون إيجاب دون إيجاب وتحريم دون تحريم هذا هو الصحيح وإن كان بعضهم قد طرد ذلك في العقل والوجوب

وأما زيادة الإيمان من جهة الإجمال والتفصيل – : فمعلوم أنه لا يجب في أول الأمر ما وجب بعد نزول القرآن كله ولا يجب على كل أحد من الإيمان المفصل مما أخبر به الرسول ما يجب على من بلغه خبره كما في حق النجاشي وأمثاله وأما الزيادة بالعمل والتصديق المستلزم لعمل القلب والجوارح – : [فهو] أكمل من التصديق الذي لا يستلزمه فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من العلم الذي لا يعمل به فإذا لم يحصل اللازم دل على ضعف الملزوم ولهذا [قال النبي صلى الله عليه و سلم : ليس المخبر كالمعاين] وموسى عليه السلام لما أخبر أن قومه عبدوا العجل لم يلق الألواح فلما رآهم قد عبدوه ألقاها وليس ذلك لشك موسى في خبر الله لكن المخبر وإن جزم بصدق المخبر فقد لا يتصور [المخبر به نفسه كما يتصوره] إذا عاينه كما قال إبراهيم الخليل صلوات الله على نبينا محمد وعليه : ﴿ رب أرني كيف تحيي الموتى قال : أولم تؤمن قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي ﴾ وأيضا : فمن وجب عليه الحج والزكاة مثلا يجب عليه [من] الإيمان أن يعلم ما أمر به ويؤمن بأن الله أوجب عليه ما لا يجب على غيره [الإيمان به] إلا مجملا وهذا يجب عليه فيه الإيمان المفصل وكذلك الرجل أول ما يسلم إنما يجب عليه الإقرار المجمل ثم إذا جاء وقت الصلاة كان عليه أن يؤمن بوجوبها ويؤديها فلم يتساو الناس فيما أمروا به من الإيمان ولا شك أن من قال بقلبه التصديق الجازم الذي لا يقوى على معارضته شهوة ولا شبهة – : لا تقع معه معصية ولولا ما حصل له من الشهوة والشبهة أو إحداهما لما عصى بل يشتغل قلبه ذلك الوقت بما يواقعه من المعصية فيغيب عنه التصديق والوعيد فيعصي ولهذا – والله أعلم – [قال صلى الله عليه و سلم : لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن] الحديث فهو حين يزني يغيب عنه تصديقه بحرمة الزنا وإن بقي أصل التصديق في قلبه ثم يعاوده فإن المتقين كما وصفهم الله بقوله : ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ قال ليث عن مجاهد : هو الرجل يهم بالذنب فيذكر الله فيدعه والشهوة والغضب مبدأ السيئات [فإذا أبصر رجع ثم قال تعالى : ﴿ وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون ﴾ أي : وإخوان الشياطين تمدهم الشياطين في الغي ثم لا يقصرون قال ابن عباس : لا الإنس تقصر عن السيئات] ولا الشياطين تمسك عنهم فإذا لم يبصر بقي قلبه في عمى والشيطان يمده في غيه وإن كان التصديق في قلبه لم يكذب فذلك النور والإبصار وتلك الخشية والخوف تخرج من قلبه وهذا كما أن الإنسان يغمض

عينه فلا يرى وإن لم يكن أعمى فكذلك القلب بما يغشاه من رين الذنوب لا يبصر الحق وإن لم يكن أعمى كعمى الكافر [وجاء هذا المعنى مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه و سلم : أنه قال : إذا زنا العبد نزع منه الإيمان فإذا تاب أعيد إليه]

إذا كان النزاع في هذه المسألة بين أهل السنة نزاعا لفظيا فلا محذور فيه سوى ما يحصل من عدوان إحدى الطائفتين على الأخرى والإفتراق بسبب ذلك وأن يصير ذلك ذريعة إلى بدع أهل الكلام المذموم من أهل الإرجاء ونحوهم وإلى ظهور الفسق والمعاصي بأن يقول : أنا مؤمن مسلم حقا كامل الإيمان والإسلام ولي من أولياء الله ! فلا يبالي بما يكون منه من المعاصي وبهذا المعنى قالت المرجئة : لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله ! وهذا باطل قطعا فالإمام أبو حنيفة رضي الله عنه نظر إلى حقيقة الإيمان لغة مع أدلة من كلام الشارع وبقية الأئمة رحمهم الله نظروا إلى حقيقته في عرف الشارع فإن الشارع ضم إلى التصديق أوصافا وشرائط كما في الصلاة والصوم والحج ونحو ذلك

فمن أدلة الأصحاب لأبي حنيفة رحمه الله : أن الإيمان في اللغة عبارة عن التصديق قال تعالى خبرا عن إخوة يوسف : ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ﴾ أي بمصدق لنا ومنهم من ادعى إجماع أهل اللغة على ذلك ثم هذا المعنى اللغوي وهو التصديق بالقلب هو الواجب على العبد حقا لله وهو أن يصدق الرسول صلى الله عليه و سلم فيما جاء به من عند الله فمن صدق الرسول فيما جاء به من عند الله فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى والإقرار شرط إجراء أحكام الإسلام في الدنيا هذا على أحد القولين كما تقدم ولأنه ضد الكفر وهو التكذيب والجحود وهما يكونان بالقلب فكذا ما يضادهما وقوله : ﴿ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾ يدل على أن القلب هو موضع الإيمان لا اللسان ولأنه لو كان مركبا من قول وعمل لزال كله بزوال جزئه ولأن العمل قد عطف على الإيمان والعطف يقتضي المغايرة قال تعالى : ﴿ آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ وغيرها في مواضع من القرآن

وقد اعترض على استدلالهم بأن الإيمان في اللغة عبارة عن التصديق - بمنع الترادف بين التصديق والإيمان وهب أن الأمر يصح في موضع فلم قلتم إنه يوجب الترادف مطلقا ؟ وكذلك اعترض على دعوى الترادف بين الإسلام والإيمان ومما يدل على عدم الترادف : أنه يقال للمخبر إذا صدق : صدقه ولا يقال آمنه ولا آمن به بل يقال : آمن له كما قال تعالى : ﴿ فآمن له لوط ﴾ ﴿ فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف ﴾ وقال تعالى : ﴿ يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ﴾ ففرق بين المعدى بالباء والمعدى باللام فالأول يقال للمخبر به والثاني للمخبر ولا يرد كونه يجوز أن يقال : ما أنت بمصدق لنا لأن دخول اللام لتقوية العامل [كما إذا تقدم المعمول أو كان العامل] إسم فاعل أو مصدرا على ما عرف في موضعه فالحاصل أنه لا يقال : قد آمنته ولا صدقت له إنما يقال آمنت له كما يقال : أقررت له فكان تفسيره بأقررت - أقرب من تفسيره بصدقت مع الفرق بينهما لأن الفرق بينهما ثابت في المعنى فإن كل مخبر عن مشاهد أو غيب يقال له في اللغة : صدقت كما يقال له : كذبت فمن قال : السماء فوقنا قيل له : صدقت وأما لفظ الإيمان فلا يستعمل إلا في الخبر عن الغائب فيقال لمن قال : طلعت الشمس - : صدقناه ولا يقال : آمنا له فإن فيه أصل معنى الأمن و الإئتمان إنما يكون في الخبر عن الغائب فالأمر الغائب هو الذي يؤتمن عليه المخبر ولهذا لم يأت في القرآن وغيره لفظ آمن له - إلا في هذا النوع ولأنه لم يقابل لفظ الإيمان قط بالتكذيب كما يقابل لفظ التصديق وإنما يقابل بالكفر والكفر لا يختص بالتكذيب بل لو قال : أنا أعلم أنك صادق ولكن لا أتبعك بل أعاديك وأبغضك وأخالفك - : لكان كفرا أعظم فعلم أن الايمان

ليس التصديق فقط ولا الكفر التكذيب فقط بل إذا كان الكفر يكون تكذيبا ويكون مخالفة ومعاداة بلا تكذيب فكذلك الإيمان يكون تصديقا وموافقة وانقيادا ولا يكفي مجرد التصديق فيكون الإسلام جزء مسمى الإيمان ولو سلم الترادف فالتصديق يكون بالأفعال أيضا كما ثبت في الصحيح [عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : العينان تزنيان وزناهما النظر والأذن تزني وزناها السمع] إلى أن قال : [والفرج يصدق ذلك ويكذبه] وقال الحسن البصري رحمه الله : ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكنه ما وقر في الصدور وصدقته الأعمال ولو كان تصديقا فهو تصديق مخصوص كما في الصلاة ونحوها كما قد تقدم وليس هذا نقلا للفظ ولا تغييرا له فإن الله لم يأمرنا بإيمان مطلق بل بإيمان خاص وصفه وبينه فالتصديق الذي هو الإيمان أدنى أحواله أن يكون نوعا من التصديق العام فلا يكون مطابقا له في العموم والخصوص من غير تغير اللسان ولا قلبه بل يكون الإيمان في كلام الشارع مؤلفا من العام والخاص كالإنسان الموصوف بأنه حيوان ناطق ولأن التصديق التام القائم بالقلب مستلزم لما وجب من أعمال القلب والجوارح فإن هذه من لوازم الإيمان التام وانتفاء اللازم دليل على انتفاء الملزوم ونقول : إن هذه لوازم تدخل في مسمى اللفظ تارة وتخرج عنه أخرى أو إن اللفظ باق على معناه في اللغة ولئن الشارع زاد فيه أحكاما أو أن يكون الشارع استعمله في معناه المجازي فهو حقيقة شرعية مجاز لغوي أو أن يكون قد نقله الشارع وهذه الأقوال لمن سلك هذا الطريق

وقالوا : إن الرسول قد وافقنا على معاني الإيمان وعلمنا من مراده علما ضروريا أن من قيل إنه صدق ولم يتكلم بلسانه بالإيمان مع قدرته على ذلك ولا صلى ولا صام ولا أحب الله ورسوله ولا خاف الله بل كان مبغضا للرسول معاديا له يقاتله - : أن هذا ليس بمؤمن كما علمنا أنه رتب الفوز والفلاح على التكلم بالشهادتين مع الإخلاص والعمل بمقتضاهما فقد [قال صلى الله عليه و سلم : الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول : لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق] [وقال أيضا صلى الله عليه و سلم : الحياء شعبة من الإيمان] [وقال ايضا صلى الله عليه و سلم : أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا]

[وقال أيضا صلى الله عليه و سلم : البذاذة من الايمان] فإذا كان الإيمان أصلا له شعب متعددة وكل شعبة منها تسمى : إيمانا فالصلاة من الإيمان وكذلك الزكاة والصوم والحج والأعمال الباطنة كالحياء والتوكل والخشية من اللة والإنابة إليه حتى تنتهي هذه الشعب إلى إماطة الأذى عن الطريق فإنه من شعب الايمان وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها [إجماعا] كشعبة الشهادتين ومنها ما لا يزول بزوالها إجماعا كترك إماطة الأذى على الطريق وبينهما شعب متفاوتة تفاوتا عظيما منها ما يقرب من شعبة الشهادة ومنها ما يقرب من شعبة إماطة الأذى وكما أن شعب الإيمان إيمان فكذا شعب الكفر كفر فالحكم بما أنزل الله - مثلا من شعب الإيمان والحكم بغير ما أنزل الله كفر وقد [قال صلى الله عليه و سلم : من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان] رواه مسلم وفي لفظ : [ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل] [وروى الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال : من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله - : فقد استكمل الإيمان] ومعناه - والله أعلم - أن الحب والبغض أصل حركة القلب وبذل المال ومنعه هو كمال ذلك فإن المال آخر المتعلقات بالنفس والبدن متوسط بين القلب والمال فمن كان أول أمره

وآخره كله لله كان الله إلهه في كل شيء فلم يكن فيه شيء من الشرك وهو إرادة غير الله وقصده ورجاؤه فيكون مستكملا الإيمان إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على قوة الإيمان وضعفه بحسب العمل

وسيأتي في كلام الشيخ رحمه الله في شأن الصحابة رضي الله عنهم : وحبهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان فسمى حب الصحابة إيمانا وبغضهم كفرا

وما أعجب ما أجاب به أبو المعين النسفي وغيره عن استدلالتهم بحديث شعب الإيمان المذكور وهو : أن الراوي قال : بضع وستون أو بضع وسبعون فقد شهد الراوي بفعله نفسه حيث شك فقال : بضع وستون أو بضع وسبعون ولا يظن برسول الله صلى الله عليه و سلم الشك في ذلك ! وأن هذا الحديث مخالف للكتاب

فطعن فيه بغفلة الراوي ومخالفته الكتاب فانظر إلى هذا الطعن ما أعجبه ! فإن تردد الراوي بين الستين والسبعين لا يلزم منه عدم ضبطه مع أن البخاري رحمه الله إنما رواه : بضع وستون من غير شك وأما الطعن بمخالفة الكتاب فأين في الكتاب ما يدل على خلافه ؟ ! وإنما فيه ما يدل على وفاقه وإنما هذا الطعن من ثمرة شؤم التقليد والتعصب

وقالوا أيضا : وهنا أصل آخر وهو : أن القول قسمان : **قول القلب وهو** الإعتقاد وقون اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام والعمل قسمان : عمل القلب وهو نيته وإخلاصه وعمل الجوارح فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله وإذا زال تصديق القلب لم ينفع بقية الأخر فإن تصديق القلب شرط في اعتبارها وكونها نافعة وإذا بقي تصديق القلب وزال الباقي فهذا موضع المعركة ! !

ولا شك أنه يلزم من عدم طاعة الجوارح عدم طاعة القلب إذا لو أطاع القلب وانقاد لأطاعت الجوارح وانقادت ويلزم من عدم طاعة القلب وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة [قال صلى الله عليه و سلم : إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب] فمن صلح قلبه صلح جسده قطعا بخلاف العكس وأما كونه يلزم من زوال جزئه زوال كله فإن أريد أن الهيئة الاجتماعية لم تبق مجتمعة كما كانت فمسلم ولكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الأجزاء فيزول عنه الكمال فقط ." (١)

"والإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب، والإيمان بالرسل، والإيمان بلقاء الله ـ تعالى ـ يشير إلى الإيمان بالبعث وما بعد البعث؛ كلُّ ذلك من قول القلب؛ أن يعتقد الإنسان بقلبه صحّة ما أخبر الله عن نفسه أو أخبره عنه رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله، واعتقاد أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ فعّال لما يريد، والحكمة؛ والإيمان بالملائكة وما بعد الملائكة ـ كما تعلمون ـ، والإيمان بالبعث وما يترتّب على ذلك . هذا **يسمى قول القلب** .

((وقول اللسان)) . وأما قول اللسان : ((الإخبار عنه بذلك)) أن تتحدّث وتُخبر بأن الله له الأسماء الحسنى والصفات العلى وأنه فعّال لِمَا يريد، أن تتكلّم وتتحدّث بذلك وتُخبر الناس .

((والدعاء إليه)) والدعاء إلى ذلك : الدعاء **إلى قول القلب على** التفصيل الذي تقدّم .

((والذَبُّ عنه)) أي : رد الشبه عن أسماء الله ـ تعالى ـ وصفاته وأفعاله والإيمان بالملائكة والإيمان بلقائه .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص/٣٣١

((وتبيين بُطلان البدع المخالفة له)) . الدعوة والدفاع وتبيين البدع المخالفة له . هذا قولُ اللسان ـ أو وظيفة اللسان ـ .

((والقيام بذكره ـ تعالى ـ)) . ذكر اللسان كتلاوة القرآن والأذكار المأثورة .

((وتبليغ أمره)) الأمر والنهي والنصح والإرشاد . هذه وظائف اللسان؛ ويسمى في اصطلاحه (قول اللسان)؛ هذه قاعدة من القواعد ـ أو قسم من أقسام العبادة، وإنْ شئت قسم من أقسام الإيمان ـ .

.))"[١]

"وعمل القلب)) الجوارح ((كالمحبة له، والتوكُّل عليه ...)) إلى آخره؛ فرّق بين عمل القلب وقول القلب؛ إذًا : **قول القلب** : الاعتقاد ـ على هذا الاصطلاح ـ اعتقاد ما تقدّم شرحه، وعمل القلب : عملٌ اعتقاديٌّ يقوم بالقلب؛ هو عمل؛ التفريق **بين قول القلب وبين** عمل القلب مجرّد اصطلاح؛ لذلك بعضهم يجعله شيئًا واحدًا، يتبيّن لكم هذا من بحث الإيمان؛ الإيمان : قولٌ وعمل، عند تفصيل (قول وعمل) يختلفون هذا الاختلاف منهم من يفصِّل هذا التفصيل، ومنهم من يجعل ثلاثة .

((وعمل القلب كالمحبة)) محبة الله ـ تعالى ـ، ((والتوكُّل عليه، والإنابة إليه، والخوف)) منه، ((والرجاء، والإخلاص، والصبر على أوامره ونواهيه)) كذلك الصبر على طاعته، والصبر عن معصيته، والصبر على المكاره ((وإقراره)) ـ تعالى ـ، أي : الإيمان بوجوده وجودًا حقيقيًّا، ((والرضا به)) ربًّا، ((و)) الرضى ((له)) أي : لأجله، ((و)) الرضى ((عنه)) ﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ ، ((والموالاة فيه)) في الله، ((والمعادات فيه)) . هذا هو العنوان الذي كنا نتحدّث عنه يُعتبر قاعدة من قواعد الإيمان ـ أو قاعدة من قواعد العبادة، أو قسمًا من أقسام العبادة ـ : الموالاة في الله والمعادات في الله؛ أن تحب الشخص وتواليه، لا تحبه إلا لله وفي الله، وأن تعاديه لا تعاديه إلا في الله، لا لهوىً في النفس أو لأيِّ غرض آخر .

((والإخبات إليه)) الخضوع والتذلُّل لله ـ سبحانه وتعالى ـ .

((والطمأنينة)) عدم الشك في هذه المعاني كلها : في وجود الرب ـ سبحانه وتعالى ـ بأسمائه وصفاته وجميع ما يجب الإيمان به؛ الطمأنينة المراد بها : اليقين، أن يصل إيمانك إلى درجة اليقين، من فقد اليقين في إيمانه فهو مضطّرب، تجده يتقلّب، لكن من رزقه اليقين والطمأنينة في إيمانه مهما تقلّبت الدنيا وتقلّبت الأحوال واختلفت الناس ومهما أوذيَ لا يبالي؛ اليقين والطمأنينة النهاية في الإيمان .

.))"[٢]

"ومساعدة العاجز، والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك)) . الإحسان إلى الخلق قد يكون إحسانًا ماديًّا كأن تحسن إليهم بمالك، أو إحسانًا معنويًّا تحسن إليهم بعلمك وحسن المعاملة، ولو تَبُشُّ في وجه أخيك المسلم، كلُّ هذا من الإحسان؛ الإحسان كثير، أنواع .

قال المؤلِّف ـ رحمه الله تعالى ـ : ((فقول العبد في صلواته : ﴿ إياك نعبد ﴾ التزام أحكام هذه الأربعة وإقرارٌ بها)) . **التزام**

---

(١) شرح تجريد التوحيد، ص/١٨٩

(٢) شرح تجريد التوحيد، ص/١٩٠

قول القلب وعمل القلب وقول اللسان وعمل الجوارح؛ ﴿ إياك ﴾ وحدك ﴿ نعبد ﴾ بهذه العبادات التي تقدّم شرحها، التزامٌ بذلك .

((وقوله : ﴿ وإياك نستعين ﴾ طلب الإعانة عليها)) على هذه القواعد وعلى هذه العبادات، ((و)) طلب ((التوفيق لها)) اعترافًا من العبد بأنه لا يستطيع أن يعمل ويعبد الله لا بلسانه ولا بقلبه ولا بجوارحه إلا بتوفيق من الله وإعانة .

هذا الكلام الذي تقدّم كله في تحقيق : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ ؛ من فهم مقام ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ وتدبّر ونظر في كلام أهل العلم الذين يحلّلون هذا المعنى يُدرك أنّ العبادات كلها راجعة إلى هاتين الجملتين : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ : إخلاص العبادة لله ـ تعالى ـ في ﴿ إياك نعبد ﴾ ، والاعتراف بالعجز وعدم الحوْل والقوة وطلب الاستعانة من الله في عبادته وفي كلِّ شيء .

((وقوله : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ متضمِّنٌ للأمرين)) متضمِّنٌ لالتزام أحكام تلك العبادة والإقرار بها، ومتضمِّنٌ لطلب العون والاستعانة من الله .

((على التفصيل الذي تقدم)) على التزام العبادة، على طلب العون .

((وإلهام القيام بهما)) إلهام القيام بالتزام العبادة وبالتزام طلب العون من الله ـ تعالى ـ .

.))"[1]

"و في " الصحيحين " عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم سُئل : أي العمل أفضل ؟ فقال (إيمان بالله و رسوله) ، قيل : ثم ماذا ؟ قال (الجهاد في سبيل الله) قيل : ثم ماذا ؟ قال (حج مبرور) .

و في " صحيح مسلم " عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، و ذلك أضعف الإيمان) .

و قد استفاض عن أهئمة أهل السنة – مثل : مالك بن أنس ، و الأوزاعي ، و ابن جريج ، و سفيان الثوري ، وسفيان بن عيينة ، و وكيع بن الجراح ، و غيرهم الكثير – قولهم (الإيمان قول و عمل) .

و أرادوا بالقول : **قول القلب و** اللسان ، و بالعمل : عمل القلب و الجوارح .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في " العقيدة الواسطية " (ومن أصول أهل السنة و الجماعة أن الدين والإيمان قول و عمل ، **قول القلب واللسان** ، و عمل القلب ، واللسان ، والجوارح)

فظهر أن اسم الإيمان يشمل كل ما أمر الله به و رسوله من : الاعتقادات و الإرادات ، و أعمال القلوب ، وأقوال اللسان ، و أعمال الجوارح أفعالاً و تروكاً ، فيدخل في ذلك فعل الواجبات و المستحبات ، وترك المحرمات ، والمكروهات ، وإحلال الحلال ، و تحريم الحرام .

و هذه الواجبات والمحرمات ، بل و المستحبات والمكروهات ، على درجات متفاوتة تفاوتاً كبيراً .

---

(١) شرح تجريد التوحيد، ص/١٩٢

وبهذا يتبين أنه لا يصح إطلاق القول بأن العمل شرط صحة أو شرط كمال بل يحتاج إلى تفصيل ؛ فإن اسم العمل يشمل عمل القلب وعمل الجوارح ، و يشمل الفعل و الترك ، و يشمل الواجبات التي هي أصول الدين الخمسة ، وما دونها ، و يشمل ترك الشرك و الكفر و ما دونهما من الذنوب .

فأما ترك الشرك و أنواع الكفر والبراءة منها فهو شرط صحة لا يتحقق الإيمان إلا به .

و أما ترك سائر الذنوب فهو شرط لكمال الإيمان الواجب .." (١)

"القلب أصل الإيمان والأعمال

قال الشارح رحمه الله: [وقال رحمه الله: ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام له وحده، فأصله في القلب، والخضوع له وحده بعبادته وحده دون ما سواه، فمن عبده وعبد معه إلها آخر لم يكن مسلما، ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلما، وفي الأصل هو من باب العمل عمل القلب والجوارح، وأما الإيمان فأصله تصديق القلب وإقراره ومعرفته، فهو من **باب قول القلب المتضمن** عمل القلب .

انتهى].

قول القلب وعمل القلب: هو عبارة عن الأمور التي تكون في القلب من العلم والخشوع والخشية والخوف الرجاء والإنابة والاستسلام والانقياد .

فهذه هي أعمال القلب، ثم تنبعث هذه على الجوارح، ويأتي العمل تبعا للقلب؛ فلهذا قال: (الأصل في القلب) يعني: أصل الإيمان في القلب.

بل أصل الأعمال كلها في القلب؛ فإن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (إنما الأعمال بالنيات) والنية هي: عمل القلب.." (٢)

"إجماع أهل السنة على أن الإيمان يزيد وينقص

قال الشارح رحمه الله: [قوله: ﴿ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ﴾ [الأنفال:٢]: استدل الصحابة والتابعون ومن تبعهم من أهل السنة بهذه الآية ونظائرها على زيادة الإيمان ونقصانه.

قال عمير بن حبيب الصحابي: إن الإيمان يزيد وينقص، فقيل له: وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله وخشيناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه.

رواه ابن سعد].

يعني: أن الإيمان يزيد بالعمل، ولهذا قال أهل السنة في تعريف الإيمان: هو قول واعتقاد وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فجعلوا الزيادة والنقص من تمام التعريف؛ لأن أهل البدع، -مثل المعتزلة والخوارج- وإن وافقوا أهل السنة أول التعريف، إلا أنهم خالفوهم فيما يتعلق بالزيادة والنقصان، فالإيمان عند الخوارج والمعتزلة هو فعل الطاعات وعقيدة القلب

---

(١) جواب في الإيمان ونواقضه، ص/٣

(٢) شرح كتاب التوحيد / الغنيمان، ٧/٢٦

-يعني: تصديقه- وكذلك عمل الأركان: القول والعمل، فلو كان يأتي بجميع الواجبات مصدقا عاملا بها ثم ترك واجبا فإنه يكون خارجا من الإيمان عند الخوارج وعند المعتزلة، إلا أنه عند الخوارج يصير كافرا وعند المعتزلة يبقى في منزلة بين الكفر والإيمان، فلا يكون كافرا ولا مؤمنا، وإنما يكون قد خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر! وهذه من بدعهم التي انفردوا بها، ولم يقل بها أحد غيرهم.

ثم إنهم وافقوا الخوارج في حكم الآخرة وقالوا: إذا مات على ذلك صار في النار، أما أهل السنة فزادوا في تعريفهم للإيمان: قول واعتقاد وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فقولهم: يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، من تمام التعريف وهو لمخالفة المبتدعة، أما غيرهم من أهل البدع فيجعلونه: قولا، وبعضهم يجعله تصديقا، وجعله قولا هذا من أغرب ما يكون؛ لأنه يلزم منه أن الإنسان إذا قال بلسانه فهو مؤمن وإن كان كافرا بقلبه.

وعلى كل حال فكل من خالف ما جاء في كتاب الله وما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلابد أن يقع في الأخطاء الفضيعة الواضحة.

قال الشارح رحمه الله: [وقال مجاهد : الإيمان يزيد وينقص وهو قول وعمل.

رواه ابن أبي حاتم].

يدخل في القول: قول اللسان وقول القلب مثل الخوف والخشية والوجل والإنابة والمحبة والرضا هذا كله من قول القلب؛ لأن القول ينقسم إلى قسمين عند أهل السنة: قول يكون باللسان، وقول يكون بالقلب وهو: عقيدته وعمله.

قال الشارح رحمه الله: [وحكى الإجماع على ذلك الشافعي و أحمد و أبو عبيد وغيرهم رحمهم الله تعالى.

وقوله: ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ [الأنفال:٢]، أي: يعتمدون عليه بقلوبهم، مفوضين إليه أمورهم فلا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون أن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك وحده والمعبود وحده لا شريك له.

وفي الآية وصف المؤمنين حقا بثلاثة مقامات من مقامات الإحسان وهي: الخوف، وزيادة الإيمان، والتوكل على الله وحده].

بل خمس مقامات؛ لأن تمام الآية: ﴿ الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ [الأنفال:٣]، فهي خمس مقامات واضحة.

قال الشارح رحمه الله: وهذه المقامات تقتضي كمال الإيمان وحصول أعماله الباطنة والظاهرة، مثال ذلك: الصلاة، فمن أقام الصلاة وحافظ عليها وأدى الزكاة كما أمره الله استلزم ذلك العمل بما يقدر عليه من الواجبات، وترك جميع المحرمات كما قال تعالى: ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر ﴾ [العنكبوت:٤٥]] .." (١)

"ونتيجة هذا المبحث، أن الإيمان في اللغة – عند المحققين من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله – ليس مرادفا للتصديق، وأنه على فرض الترادف بينهما فليس المقصودُ بالتصديق مجردَ الحكمِ الذهني بنسبةِ المحمولِ للموضوع، كما هو

(١) شرح كتاب التوحيد / الغنيمان، ١١/٩٠

الأمر في اصطلاح أهل المنطق والكلام(١)، ولكنه التصديقُ في عُرف السلف، الشاملُ للالتزام العملي الذي يقتضيه تمامُ الإذعان.

وعليه، فإن أصلحَ تعريف للإيمان من جهة اللغة هو الإقرارُ لا التصديق، والإقرار يتضمن أمرين اثنين **هما: قول القلب وهو** التصديق وعمل القلب وهو الانقياد، أي تصديق الرسول فيما أخبر، والانقياد له فيما أمر(٢). قال شيخ الإسلام عليه رحمة الله: » ... فكان تفسيره بلفظ الإقرار أقربَ من تفسيره بلفظ التصديق، مع أن بينهما فرقا « (٣)

الفصل الثاني: تعريف الإيمان شرعا عند أهل السنة والجماعة:

قلت في النظم:

في الاصطلاح عند من قد سلفا

بالقول والفعل لديهم عُرفا

والبعضُ بالسنة زاد اعتصما

وزاد الاعتقادَ بعضُ العلما

وبعضُهم بنية قد عَبروا

وأول المُعرفات أظهر

الشرح:

(في الاصطلاح) أي في الشرع، متعلقٌ بعُرف (عند مَن قد سلفا) أي عند السلف الصالح، رضوان الله عليهم، والألفُ لإطلاق القافية (بالقول) **أي: قولِ القلب وقول** اللسان (والفعل) أي: عمل القلب وعمل الجوارح (لديهم) أي لدى السلفِ (عرِّفا) بتشديد الراء والبناء للمجهول، والألفُ للإطلاق. والمعنى أن السلف عَرَّفوا الإيمان في الشرع بأنه قول وعمل، وستأتي النقول بذلك عنهم.

---

(١) – أي أغلبهم، وقد جعل بعضهم التصديق شاملا للإذعان والقبول، مثل السعد في شرح العقائد النسفية: ٤٢٣ كما في الجامع في طلب العلم الشريف:٥٣٦/٢، والبيجوري في شرح الجوهرة: ٦٧.

(٢) –.مجموع الفتاوى: ٦٣٨/٧.

(٣) – مجموع الفتاوى: ٢٩١/٧.." [1]

"أن الشارع لم ينقلها ولم يغيِّرها، ولكن استعملها مقيدة لا مطلقة(١). وهذا القول الثالث هو الذي رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، واستدل عليه بأدلة متعددة وطويلة(٢).

---

(١) شرح منظومة الإيمان، ص/٢٧

والمسألة تبحث في علم أصول الفقه، فلتنظر تفاصيلها هناك(٣).

وإذا علم هذا، فإن الألفاظ الموجودة في الكتاب أو السنة يُنظر في بيان المراد بها إلى مقصود الشارع لا إلى اللغة أو العُرف الحادث. ألا ترى أننا إذا قرأنا في الكتاب أو السنة أمرا بإقامة الصلاة فإن أذهاننا تنصرف إلى وجوب إقامة تلك العبادة المخصوصة التي تبدأ بالتكبير وتختم بالتسليم؟ ونفس الشيء يقال بالنسبة لألفاظ أخرى كالزكاة والصوم والحج وغيرها.

ولفظ الإيمان – ومثله ألفاظ الإسلام والنفاق والكفر والفسق وغيرها – من هذا النوع، فلا ينبغي أن يؤخذ تعريفُها إلا من بيان رسول الله – صلى الله عليه وسلم –. يقول شيخ الإسلام رحمه الله: » فالنبي – صلى الله عليه وسلم – قد بيَّنَ المراد بهذه الألفاظ بيانا لا يُحتاج معه إلى الاستدلال على ذلك بالاشتقاق وشواهد استعمال العرب ونحو ذلك، فلهذا يجب الرجوع في مسميات هذه الأسماء إلى بيان الله ورسوله، فإنه شافٍ كاف «(٤).

وسأذكر– بحول الله عز وجل – أدلةَ كون الإيمان قولا وعملا من الكتاب والسنة وأقوال السلف، عند تفصيل الكلام على أركان الإيمان فيما سيأتي والله أعلم.

الكلام على قول القلب:

قلت في النظم:

فالقول قول القلب أي تصديقُه

بما عن الرسول جا توثيقه

والجزم فيه أعظم المطلوب

فنقضُه بالشك والتكذيب

الشرح:

---

(١) – حاشية ابن الحاج على شرح ميارة: ٢٨٩.

(٢) – مجموع الفتاوى: ٧/٢٩٨.

(٣) – إرشاد الفحول: ٤٩ وشرح المحلي على جمع الجوامع: ١/٣٠٢.

(٤) – مجموع الفتاوى: ٧/٢٨٧.." [1]

"(فالقول) الذي هو ركن في الإيمان الشرعي –كما سبق بيانه — نوعان، الأول منهما هو (قول القلب أي تصديقه) وإيقانه الجازم (ب)كل (ما عن الرسول) محمد – صلى الله عليه وسلم – (جا)ءَ، مقصور للوزن (توثيقه) بنصوص الكتاب الجلية، والأحاديث النبوية السَّنِيَّة.

---

(١) شرح منظومة الإيمان، ص/٣١

(والجزم) أي: القطعُ والتيقن بأي طريق حصل (فيه أعظم المطلوب) أي أول ما يطلب. لذلك (فنقضه) يكون (بالشك) وهو التردد بين أمرين دون ترجيح أحدهما (والتكذيب) وهو نقيض التصديق.

واعلم بأن هذا الركن العظيم — أعني تصديقَ القلب — قد تظافرت أدلة الكتاب والسنة على اعتباره وبيان خطورته، كما أجمع الناس — باستثناء الكرامية — على كونه ركنا في الإيمان.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُتَّقُونَ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

قال مجاهد: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ أصحابُ القرآن المؤمنون يجيئون يوم القيامة فيقولون هذا ما أعطيتمونا فعمِلنا فيه بما أمرتمونا. قال ابنُ كثير في تفسيره: » وهذا القول عن مجاهد يشمل كل المؤمنين، فإن المؤمنين يقولون الحق ويعملون به والرسولُ – صلى الله عليه وسلم – أَوْلى الناس بالدخول في هذه الآية على هذا التفسير فإنه جاء بالصدق وصدق المرسلين وآمن بما أُنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله«(١).

---

(١) – تفسير ابن كثير: ٤/٥٠.." [1]

"وبالجملة، فإن المُتتبّعَ للآثار عن السلف رضوان الله عليهم، يجزِم بأن هذه العقيدة كانتْ مستقرةً عندهم، لا يدور حولها خلاف. فمن أراد السلامة في دينه ودنياه، فلينهَجْ سبيلَهم، ولينسُجْ على مِنْوالهم، وأما من تَنكَّبَ عن طريقهم، وربأَ بفهمه عن فهومهم فلا يلومَنَّ إلا نفسه والله تعالى أعلم.

الفصل الثاني: أوجه الزيادة والنقصان.

قلت في النظم:

تفاضل الإيمان ذو أسباب

قد ظهرت لدى أولي الألباب

من بينها تفاضل التصديق

وذاك ظاهر لدى التحقيق

ومنه ما يكون بالأعمال

بين مقصر وذي كمال

الشرح:

(تفاضل الإيمان) زيادة ونقصا (ذو أسباب) كثيرةٍ سيأتي ذكرُ بعضِها (قد ظهرت لدى أولي الألباب) من أهل العلم، (مِن بينِها) أي مِن بينِ أوجُه تفاضلِ الإيمان (تفاضل التصديق) أي حصول الزيادة والنقص في نفس قول القلب، وهذا أمر

---

(١) شرح منظومة الإيمان، ص/٣٢

ممكن وحاصل خلافا لمن أنكره، لذلك قلت: (وذلك) التفاضل (ظاهر) لكثرة أدلته العقلية والنقلية (لدى التحقيق) في هذه المسألة بعيدا عن التعصب والجُمود. (ومنه) أي: أن من التفاضل (ما يكون بـ)سببِ (الأعمال) الظاهرة، ما (بين مُقَصِّرٍ) في الإتيان بهذه الأعمال، فإيمانه ناقص تبعا لتقصيره، وبين آخرَ (ذي كمال) في التزامِه العملي بالشريعة، أي في إتيانه بالطاعات واجتنابه للمعاصي، فإيمانه زائد تبعا لأعماله الصالحة.

واعلم بأن هذه الوجه الثاني، هو أشهر أوجه زيادة الإيمان ونقصانه، حتى إن بعض أهل العلم قد يقتصر عليه فلا يُعَرّج على غيره. كما أن الوجه الأول فيه من الخفاء ما جعل العلماء يختلفون حوله فينكره بعضهم. ولأجل هذا ذكرت هذين الوجهين في النظم ولم أذكر غيرهما، مع أن أوجه زيادة الإيمان ونقصانه أكثر من ذلك، فقد حصرها شيخ الإسلام ابن تيمية في تسعة أوجه(١):

الوجه الأول:

---

(١) - انظر مجموع الفتاوى: ٧/٢٣٢-٢٣٧ و ٧/٥٦٢-٥٧٤ وكتاب "زيادة الإيمان ونقصانه: ١٣٦ وما بعدها.." [١]

"- باعتبارها مصدرا يعني التعبد هي : "التذلل لله محبة وتعظيما بفعل أوامره واجتناب نواهيه وفق شريعته".

- وباعتبارها اسما يعني المتعبد به، هي كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة"(١).

فتبين من هذا التعريف أن العبادة لا تقوم إلا على أركان التذلل والمحبة والتعظيم، وأنها تجمع أقوالا وأعمالا كثيرة يمكن تقسيمها على المراتب الأربع التي سبق تفصيلها في حقيقة الإيمان، وأقصد **بها قول القلب وقول** اللسان وعمل القلب وعمل الجوارح.

فهذه الأقوال والأعمال كلها لا يجوز صرفها لغير الله عز وجل، لأنها حق خالص له سبحانه وتعالى: يقول ابن القيم رحمه الله: " فالسجود والعبادة والتوكل والإنابة والتقوى والخشية والتحسب والتوبة والنذر والحلف والتسبيح والتكبير والتهليل والتحميد والاستغفار، وحلق الرأس خضوعا وتعبدا، والطواف بالبيت، والدعاء، كل ذلك محض حق الله، لا يصلح ولا ينبغي لسواه من ملك مقرب، ولا نبي مرسل"(٢). ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "توحيد الألوهية هو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه، وهو توحيد الله بأفعال العباد كالدعاء والرجاء والخوف والخشية والاستعانة والاستعاذة والمحبة والإنابة والنذر والذبح والرغبة والرهبة والخشوع والتذلل والتعظيم"(٣).

واعلم أن توحيد الألوهية هو أصل هذا الدين، وركنه الركين، وهو أساس دعوة المرسلين، ولب الكتب المنزلة على النبيئين.

---

(١) قاعدة جليلة في العبادة (ضمن مجموعة التوحيد): ٢٦٧.

---

(١) شرح منظومة الإيمان، ص/٧٣

(٢) الجواب الكافي: ١/٩٣.

(٣) الدرر السنية: ٢/٣٥.." [١]

"السميع، البصير، العزيز، الحكيم... فتجد أن كل اسم يختص بمعنى لم يذكر في الآخر بنفس الدرجة، وإن كان قد يكون لازماً في الاسم الآخر.. وهلم جراً. إذاً.. تعابير السلف في مسمى الإيمان الاختلاف بينها لفظي محض. فإذا قيل: أي هذه التعابير أجمع وأحكم من جهة التعبير؟ قيل: أحكمها ما عبر به جمهورهم، وهو قولهم: الإيمان قول وعمل؛ وهذه الجملة أحكم من التعبير الذي ذكره الموفق رحمه الله. لأن فيها إبانة لتضمن العمل للظاهر والباطن، والقول الظاهر والباطن، كما أن فيها إشارةً إلى التلازم بين الظاهر والباطن، فإن العبارة التي ذكرها المصنف هي الصحيحة، لكن حين يقال: الإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان، واعتقاد بالجنان. فإن هذا يُفهم منه أن الجنان –الذي هو القلب– ليس فيه إلا الاعتقاد، وأن الأعمال هي أعمال الجوارح، مع أنك تعلم أن الأعمال القلبية في الجملة أجل وأعظم من أعمال الجوارح الظاهرة التي أعمال الأركان. والمتكلمون من السلف يقصدون دخول أعمال القلب في الإيمان، لكن هذا التعبير فيه اختصار، ولذلك نقول: إن التعبير الذي يقول: الإيمان قول وعمل أتم وأحسن، وهو الذي عبر به جمهور السلف. لكن قد يقول قائل: إن هذا التعبير ليس فيه ذكر للاعتقاد. نقول: لما قال السلف: الإيمان قول وعمل. أرادوا **بالقول: قول القلب وقول** اللسان، وأرادوا بالعمل: عمل القلب وعمل الجوارح. أما قول القلب: فهو كل تصديق شرعي أخبر الله أو رسوله صلى الله عليه وسلم به. وقول اللسان: النطق بالشهادتين وغيرها مما يكون باللسان. وعمل القلب: هو حركته بهذا التصديق بأعماله المناسبة له، مثل: المحبة، والخوف، والرجاء، والإنابة، والتوكل... وغير ذلك. وعمل الجوارح: كالصلاة والطواف بالبيت، والحج... إلى غير ذلك من الأعمال الظاهرة. والأعمال القلبية ثبوتها في النفس من جنس ثبوت الأعمال الظاهرة، فإن كل عاقل يدرك ما في قلبه من المحبة أو الخوف أو الرجاء أو التعظيم أو." [٢]

"يقول شارح العقيدة الطحاوية الإمام ابن أبي العز "وهنا أصل آخر وهو أن القول قسمان : **قول القلب وهو** الإعتقاد (١) وقول اللسان وهو التكلم بكلم الإسلام : والعمل قسمان عمل القلب وهو نيته وإخلاصه وعمل الجوارح"(٢).

ويقول صاحب "معارج القبول" : "(اعلم) يا أخي وفقني الله وإياك والمسلمين (بأن الدين) الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه ورضيه لأهل سماواته وأرضه . وأمر أن لا يعبد إلا به ولا يقبل من أحد سواه ولا يرغب عنه إلا من سفه نفسه ولا أحسن دينا ممن التزمه واتبعه هو (قول) أي بالقلب واللسان (وعمل) أي بالقلب واللسان والجوارح"(٣).

ويقول الإمام ابن القيم : "وهاهنا أصل آخر ، وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل . والقول قسمان **: قول القلب وهو** الاعتقاد ، وقول اللسان وهو التكلم بكلم الإسلام . والعمل قسمان : عمل القلب وهو نيته وإخلاصه وعمل الجوارح"(٤).

---

(١) شرح منظومة الإيمان، ص/١٧٤

(٢) شرح لمعة الاعتقاد للشيخ الغفيص، ص/١٢٤

(١) وإن الاصطلاح على **تسمية قول القلب هنا** "الاعتقاد" وقصره على ذلك يجب أن يفهم منه شمول الاعتقاد لمعنى الالتزام كما سيأتي بعد ، وليس "الاعتقاد" **أو قول القلب هو** مجرد التصديق بمعنى نسبة الصدق إلى الخبر أو المخبر وإنما إن قيل هو التصديق فيعنى به التصديق المخصوص المتضمن للإقرار والالتزام والانقياد ، فإنه من المعلوم من الدين بالضرورة أن من "صدق" بشريعة من شرائع الإسلام دون "الالتزام بها" التزام الطاعة بالقبول – وليس التنفيذ كما سيأتي في التفريق بينهما – كان ولا ينجيه الاعتقاد بمعنى التصديق فقط بهذا إلا تضمن الالتزام بطاعة الله فيها فيكون مسلماً ، حتى وإن ترك أعمال الطاعات كسلاً أو هوى ، وهذا ما سنفصله بعد في الفصل الثالث من هذا الباب إن شاء الله تعالى .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٤٥.

(٣) معارج القبول جـ٢ص١٧.

(٤) كتاب الصلاة لابن القيم ص٢٤.." [1]

"وبيان هذه الأقسام(١)هو أن :

قول القلب : تصديقه وانقياده(٢).

قال تعالى : (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون)(٣). وقال تعالى : (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) (٤). وفي حديث الشفاعة : "يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه من الخير ما يزن شعيرة ..." (٥).

قول اللسان : وهو النطق بالشهادتين : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والإقرار بلوازمهما(٦)

---

(١) راجع في بيان معاني هذه الأقسام إلى كل من شرح الطحاوية ص٢٤٥ ومعارج القبول جـ٢ص١٧ وغيرها.

(٢) وهو المعنى الذي نبهنا عليه سابقاً من أنه إذا اعتبر "الاعتقاد" **هو قول القلب لزم** أن يكون "قول القلب" يشمل التصديق والانقياد.

(٣) الزمر ٢٣.

(٤) الحجرات ١٥.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

(٦) وننبه هنا إلى أمرين : أولهما: أن النطق بالشهادتين المعتبر شرعاً هو المستلزم لمعرفة معناهما وتحقيق لوازمهما مع ترك ما يناقضهما ، وليس هو مجرد النطق اللفظي فقط كما سنبين في الفصل الثاني من الباب الثالث ، وإلا فإن الجهل بمعناهما يتنافى كلية مع **معنى قول القلب السابق** لقول اللسان ، والذي أجمع العلماء على اعتباره ركن الإيمان ، إذ كيف يجتمع الجهل بالشئ مع تصديقه والإقرار به؟! ويرجع في هذا تفصيلا لكتابنا عن عارض الجهل في الشريعة المسمى "الجواب المفيد".

---

(١) حقيقة الإيمان، ص/١٥

ثانياً : أن المراد بالنطق بالشهادتين هو ظهور دلالة الإسلام ، فإن إسلام الفارسي الذي لا يتكلم العربية يتحقق بمجرد إعلانه الإستسلام بلفظ "ميتراس" أي أسلمت ، وأي دلالة على الإسلام تكون معتبرة طالما أنها تكفي للتدليل على الإنخلاع من الشرك والتبري من دين الكفر ، فإن قول الشهادة يكون معتبراً في بعض الحالات كحالة عباد الأوثان فإنه يكتفي منهم بقول لا إله إلا الله لأنهم لم يكونوا عليها قبل الإسلام ، وأما أهل الكتاب المعتقدين لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم إلى العرب فلا يكتفى بنطقه الشهادتين منهم بل لابد من أن ينضم إليهما قول "إلى العرب العالم كافة" يقول الإمام النووي في شرحه على مسلم: "ذكر القاضي عياض معنى هذا وأوضحه ، فقال اختصاص عصمة المال بالنفس بمن قال لا إله إلا الله تعبير عن الإجابة إلى الإيمان. وأن المراد بهذا مشركو العرب وأهل الأوثان ومن لا يوحد وهم كانوا أول من دعى إلى الإسلام وقوتل عليه فأما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فلا يكتفي في عصمته بقول لا إله إلا الله إذ كان يقولها في كفره وهي من اعتقاده ، ولذلك جاء في الحديث الآخر وأني رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة"اهـ.

كلام القاضي شرح النووي على مسلم جـ١ ص ٢٠٧.

كما نص على هذا المعنى ابن قدامة المقدسي في المغني ، قال: "والثانية" أنه إن كان مقراً بالتوحيد كاليهود حكم بإسلامه لأن توحيد الله ثابت في حقه وقد ضم إليه الإقرار برسالة محمد صلى الله عليه وسلم فكمل إسلامه ، وإن كان غير موحد كالنصارى والمجوس والوثنيين لم يحكم بإسلامه حتى يشهد أن لا إله إلا الله وبهذا جاءت أكثر الأخبار وهو الصحيح لأن من جحد شيئين لا يزول جحدهما إلا بإقراره بهما جميعاً ، وإن قال أشهد أن النبي رسول الله لم يحكم بإسلامه لأنه يحتمل أن يريد غير نبينا ... وعن عمران بن حصين قال: أصاب المسلمون رجلاً من بني عقيل فأتوا به النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد إني مسلم فقال صلى الله عليه وسلم "لو كنت قلت وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح" رواه مسلم ويحتمل أن هذا في الكافر الأصلي أو من جحد الوحدانية ، أما من كفر بجحد نبي أو كتاب أو فريضة ونحوها فلا يصير مسلماً بذلك – أي بقوله إني مسلم أو نطقه بالشهادتين – لأنه ربما اعتقد أن الإسلام ماهو عليه ، فإن أهل البدع كلهم يعتقدون أنهم هم المسلمون ومنهم من هو كافر"اهـ .

المغني جـ٨ص١٤٣.

ويراجع في نفس المعنى بدائع الصنائع للكاساني جـ٩ص٤٣١٢ ، فهذا المعنى متواتر في كتب الفقه والعقائد بأجمعها على اختلاف مذاهبها – فابن قدامة حنبلي والنووي شافعي والقاضي عياض مالكي والكاساني حنفي – والشاهد فيه أن نطق الشهادتين باللسان إنما هو معتبر في حالة دلالته على الإسلام ، وليس في كل حالة على الإطلاق ، والحديث مبسوط في هذا الأمر في كتابنا عن "التوحيد" وغيره فارجع إليه.." (١)

"ثم يفسر بعدها ما أردناه فيقول : "والمقصود هنا أن من قال من السلف الإيمان قول وعمل ، **أراد قول القلب واللسان** وعمل القلب والجوارح ، ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر ، أو خاف ذلك فزاد الإعتقاد بالقلب ، ومن قال قول وعمل ونية ، قال : "القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان ، وأما العمل فقد لا يفهم

(١) حقيقة الإيمان، ص/١٦

منه النية فزاد ذلك ، ومن زاد اتباع السُّنَّة فلأن ذلك لا يكون محبوباً لله إلا باتباع السُّنَّة ، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل ، إنما أرادوا ما كان مشروعاً من الأقوال والأعمال ، ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولاً فقط ، فقالوا بل هو قول وعمل ، والذين جعلوه أربعة فسروا مرادهم كما سئل سهل بن عبدالله التستري عن الإيمان ما هو ، فقال : قول وعمل ونية وسُنة ، الإيمان إذا كان قولاً بلا عمل فهو كفر ، وإذا كان قولاً وعملاً بلا نية فهو نفاق ، وإذا كان قولاً وعملاً ونية بلا سُنة فهو بدعة"(١).

ثم إن الشبهة قد دخلت على من دخلت عليه – قديماً وحديثاً – في هذا الباب من أمرين رئيسيين :

أولهما : الخطأ في فهم معنى الكفر العملي .

الثاني : الخلط فيما هو لازم لإجراء الحكم في الظاهر وما هو من أحكام الآخرة .

فنقول وبالله تعالى التوفيق :

أولاً : الخطأ في فهم معنى الكفر العملي :

فقد جرى هؤلاء في فهم الكفر العملي على أنه كفر لا يخرج من الملة مطلقاً ، واعتقدوا أن كل عمل مكفر بالجوارح هو كفر عملي لا يخرج من الملة لوقوعه بالجوارح وعدم دخول الاعتقاد فيه – ولا ندري كيف ظنوا أن ارتكاب أي عمل مكفِّر لا يلازمه سقوط الاعتقاد؟! فيكون كل كفر عملي عندهم كفراً أصغر لا ينقل عن الملة !!.

والمقصود بالكفر العملي أنه المعاصي التي أطلق عليها الشارع اسم الكفر ، ولكن لم يمكن اطلاق الكفر الأكبر عليها لوجود أدلة أخرى من الشريعة تدل على أنها ليست منه .

---

(١) "الإيمان" لابن تيمية ص١٤٦ وبعدها.." (١)

"، فلن يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، وإنما أراد بذلك نقص الإيمان ونفي كماله"(١) إلا أن صاحب الكتاب نفسه قد بين بعد ذلك مباشرة أن هناك من أعمال الجوارح ما يوجب الكفر على صاحبه بمجرده إجماعاً ، كالساجد للصنم ، مثلاً ، رغم أنه كفر بالعمل لا بالاعتقاد يقول :

"س : وإذا قيل لنا هل السجود للصنم والاستهانة بالكتاب وسب الرسول صلى الله عليه وسلم والهزل بالدين ونحو ذلك ، هذا كله من الكفر العملي فيما يظهر فلم كان مخرجاً من الدين وقد عرفتم الكفر الأصغر بالعملي؟"

ج : اعلم أن هذه الأربعة وما شاكلها ليس هي من الكفر العملي إلا من جهة كونها واقعة بعمل الجوارح فيما يظهر منها ، ولكنها لا تقع إلا مع ذهاب عمل القلب من نيته وإخلاصه ومحبته وانقياده لا يبقى معها شئ من ذلك ، فهي وإن كانت عملية في الظاهر فإنها مستلزمة للكفر الاعتقادي ولابد ، ولم تكن هذه لتقع إلا من منافق مارق أو معاند مارد . وهل حمل المنافقين في غزوة تبوك على أن (قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا) إلا ذلك مع قولهم لما سئلوا (إنما كنا نخوض ونلعب) قال الله تعالى : (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) .

---

(١) حقيقة الإيمان، ص/٤٠

ونحن لم نُعرِّف الكفر الأصغر بالعملي مطلقاً بل بالعملي المحض الذي لم يستلزم الاعتقاد ولم **يناقض قول القلب وعمله**"(٢).
فتبين من هذا أن هناك ما يثبت كونه كفراً أكبر ناقل عن الملة ، وهو من أعمال الجوارح ، فلا يصح عندئذ أن يطلق عليه أنه كفر عملي بمعنى أنه كفر أصغر ، لمجرد أنه قد أتى بالجوارح ، حتى لا يختلط أمره بأفعال المعاصي التي يطلق عليها اسم الكفر – وهي من الكفر الأصغر – فيظن أن هذا من ذاك .

---

(١) "أعلام السنة المنشورة" المطبوع تحت اسم ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة لحافظ حكمي ص٧٥.
(٢) "أعلام السنة المنشورة" ص٧٦.." [١]

"والحق في ذلك أن لفظ الاعتقاد إنما هو بمعنى "ما يجب أن يعقد عليه القلب" من معان ، فخرج بذلك منه كل الأعمال سواء الأعمال التركية – أي ترك أعمال الشرك – كالسجود لصنم والدعاء لغير الله – دعاء عبادة ومسألة – أو الأعمال الفعلية المشترطة لصحة الإسلام – على اختلاف فيها – وصار هو **بمعني قول القلب وعمله** . فالقدر المنجي من الخلود في النار إذن – حسب ما قررنا قبل ذلك – هو :
الاعتقاد : وهو ما يجب أن يعقد عليه القلب من معان خاصة بالربوبية والألوهية ، وبرسالة الرسول صلى الله عليه وسلم وما يتضمنها من أوامر ونواهي – عند من بلغته الأوامر والنواهي تفصيلاً – معرفة وتصديقاً وإقراراً قلبياً (أو التزاماً بها) وهذا **معنى قول القلب وعمله**(١) .
العمل : وهو ترك أعمال الشرك الأكبر كلها كالسجود للصنم أو دعاء غير الله تعالى وإتيان الأعمال المشروطة لصحة الإسلام كما أوضحنا من قبل – على خلاف فيها – لمن بلغته الشرائع ، تحقيقاً لإتيان جنس العمل اللازم لصحة الإيمان إجماعاً .
ثم إن هؤلاء قد قالوا – من غير دليل معتبر – أن المسلم مهما أتى من عمل من الأعمال لا يكفر بذلك طالما أن اعتقاده صحيح فيه ، وطردوا ذلك المعنى في جميع الأعمال فلم يفرقوا بين أعمال الكفر وأعمال المعاصي ، وجعلوا فساد الاعتقاد شرطاً في كفر من عمل أي عمل من أعمال الجوارح أياً كان هذا العمل ، والحق أن هذه المسألة لها تفصيل .
فإنه يجب أن نفرق بين الأعمال التي يكفر فاعلها ، وبين أعمال المعصية عامة .

---

(١) والكفر من باب الاعتقاد يكون إما **بسقوط قول القلب أي** تصديقه ، ويكون من المكذب وهو كفر التكذيب ، أو بسقوط عمل القلب أي انقياده والتزامه ومحبته كمن أنزل الله تعالى فيهم (لا تعتذروا ..) الآية ، وجهمية المرجئة قد قصروا الكفر على **سقوط قول القلب فانتبه**.." [٢]

---

(١) حقيقة الإيمان، ص/٤٣
(٢) حقيقة الإيمان، ص/٦١

"ثم يقول: "واعلم أن الإيمان وإن قيل هو التصديق فالقلب يصدق بالحق والقول يصدق في القول ، والعمل يصدق القول(١) والتكذيب بالقول مستلزم للتكذيب بالقلب ، ورافع للتصديق الذي كان في القلب ، إذ أعمال الجوارح يؤثر في القلب ، كما أن أعمال القلب يؤثر في الجوارح ، فإنما قام به كفر تعدى حكمه إلى الآخر"(٢) .

ونخلص من هذا إذن إلى أنه من زعم أنه معتقد اعتقاداً صحيحاً وهو يعمل عملاً من أعمال الكفر الأكبر ، فهذا لا يصح أن يعتبر مسلماً بأي حال من الأحوال بل هو كافر رغم زعمه صحة الاعتقاد ، لأن اعتقاده القلبي يكون قد سقط ولا محالة(٣) لإتيانه ما يضاده مضادة كاملة وإن لم يصرح بذلك.

ومن قال إنه يعتبر مسلماً لصحة اعتقاده فهو من المرجئة الذين يجعلون الإيمان هو مجرد عقد القلب دون الأعمال.

أما عن أعمال المعاصي كلها فالشأن فيها أن لا يكفر فاعلها إلا إن كان مستحلاً لها ، وفي هذا المقام نُقلت أقوال الفقهاء كلهم عن أن مرتكب أي عمل – ويقصدون به من أعمال المعاصي لا الكفر – لا يكفر إلا إن كان مستحلاً له فهو إن كان معتقداً للتحريم آتياً للمعصية بدافع الشهوة فهذا هو المسلم العاصي خلافاً للخوارج الذين كفروا بالمعصية مطلقاً .

---

(١) المراد بالتكذيب بالقول هنا ما يدل على التكذيب ، ولا يلزم التصريح بالقول بالتكذيب ، فالتكذيب بالقول لا يستلزم القول بالتكذيب كأنه يقول: "أنا مكذب بالرسول مثلاً" فهذا كفره من نوع آخر ، والشاهد على ذلك هو استشهاده بقصة المستهزئين بقولهم (إنما كنا نخوض ونلعب) وهم لم يقولوا قولاً فيه التصريح بالتكذيب بل كفرهم من باب سقوط عمل القلب من محبة الرسول صلى الله عليه وسلم وتوقيره والانقياد لدينه فانتبه لهذا.

(٢) "الصارم المسلول" لابن تيمية ص٥٢٤.

(٣) كما سبق أن ذكرنا أن كفره إما **بسقوط قول القلب أي** تصديقه فيكون كافراً كفر تكذيب ، أو سقوط عمل لب بسقوط التزامه التزام الطاعة وانقياده ومحبته وتوقيره .." (١)

"الفصل الأول

مجمل أقوال المرجئة

تدور مفاهيم الأرجاء – قديماً وحديثاً – حول ثلاث نقاط رئيسية ليس لهم عليها دليل ، وإنما هو التناقض في فهم الكتاب والسُّنَّة ، وانحراف مناهج الاستدلال(١) كما ذكرنا من قبل.

وسنورد إن شاء الله تعالى هذه النقاط ، ثم نعقبها بالرد ما تيسر لنا ذلك.

النقطة الأولى :

وهي تدور حول مفهوم الإيمان ، فقد انقسموا إلى ثلاثة أقوال على الجملة:

أن الإيمان مجرد ما في القلب – **أي قول القلب –** ثم منهم من يدخل فيه أعمال القلب ومنهم من لا يدخلها.

---

(١) حقيقة الإيمان، ص/٦٣

(١) وأما عن مناهج استدلالهم فسيأتي بيانها في مبحثنا التالي إن شاء الله تعالى عن "أصول الفكر والنظر عند أهل السنة والجماعة" وسنعرض فيه بإذن الله تعالى إلى مآخذ كل من المرجئة والخوارج في طرق استدلالهم ، وحجياتهم التي يقيمون عليها مذاهبهم في فهم نصوص الكتاب والسنة ، ومنها ما أخذه المرجئة من أنه ليس للعموم صيغ بالمرة تدل على الاستغراق ، وأن هذه الصيغ – مثل الجمع المعرف بأل ، ومن في معرض الشرط والفكرة في سياق النفي ، ولفظ كل وجميع وأمثال ذلك من صيغ العموم – لا تدل على الاستغراق لغة وشرعاً ، وما اتبع ذلك من استدلال على مذهبهم المنقوض .. إلى غير ذلك من طرق استدلالهم سواء في اللغة ودلالاتها أو في القواعد الأصولية اللغوية أو الشرعية أو في اعتبار الدليل الشرعي والدليل العقلي وعلاقة كل منهما بالآخر .." (١)

"يقول ابن القيم: "فإن هذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام ، فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم ، وهم تحت الجاحدين لها في الدرك الأسفل من النار ، فلابد **من قول القلب وقول** اللسان .

وقول القلب يتضمن من معرفتها والتصديق بها ، ومعرفة حقيقة ما تضمنته من النفي والإثبات ، ومعرفة حقيقة الإلهية المنفية عن غير الله ، المختصة به ، التي يستحيل ثبوتها لغيره ، وقيام هذا المعنى بالقلب علماً ومعرفة ويقيناً وحالاً ما يوجب تحريم قائلها على النار . وكل قول رتب الشارع ما رتب عليه من الثواب ، فإنما هو القول التام"(١).

وهذا المعنى إنما يأتي من أن الألفاظ لا تراد لذواتها وإنما تراد لمعانيها ، يقول الإمام ابن القيم مدللاً على هذا المعنى في كلام بليغ:

"الألفاظ موضوعة للدلالة على ما في النفس":

إن الله تعالى وضع الألفاظ بين عباده تعريفاً ودلالة على ما في نفوسهم ، فإذا أراد أحدهم من الآخر شيئاً عرفه بمراده وما في نفسه بلفظه ، ورتب على تلك الإرادات والمقاصد أحكامها بواسطة الألفاظ ، ولم يرتب تلك الأحكام على مجرد ما في النفوس من غير دلالة فعل أو قول ، ولا على مجرد ألفاظ مع العلم بأن المتكلم بها لم يرد معانيه ولم يحط بها علماً ، بل تجاوز للأمة عما حدثت به أنفسها ، ما لم تعمل به أو تكلم به ، وتجاوز لها عما تكلمت به مخطئة ، أو ناسية ، أو مكرهة ، أو غير عالمة به إذا لم تكن مريدة لمعنى ما تكلمت به ، أو قاصدة إليه ، فإذا اجتمع القصد والدلالة القولية أو الفعلية ترتب الحكم. هذه قاعدة الشريعة .. الخ"(٢) .

---

(١) "مدارج السالكين" جـ١ ص ٣٣١.

(٢) "إعلام الموقعين" جـ٣ ص ١٠٥.." (٢)

"ص -٩٩- --

[الحجرات: من الآية١٤]، فإن من حكمت له النصوص أنه مؤمن فإنه مسلم على كل حال، فإن الإيمان وصف أعلى من

---

(١) حقيقة الإيمان، ص/٧٨

(٢) حقيقة الإيمان، ص/٩٧

وصف الإسلام، لأنه مشتق من الأمن فهو من الأمور الباطنة الذي يؤتمن عليه، ويكون خفية، والإسلام من الأمور المدركة المحسوسة في الظاهر،مشتق من التسليم أو المسالمة كما تقدم، فإذا أطلق الإيمان في النصوص دخل فيه الإسلام، وإذا أطلق الإسلام لم يدخل فيه الإيمان، ومن أثبت له الإيمان في النصوص، فإنه ثابت له الإسلام، والمسلم لابد أن يكون معه إيمان يصحح إسلامه، وإلا كان منافقاً، ولكن لا يستحق أن يمدح به ويثنى عليه، بل إيمانه ناقص، ويأتي تمثيله، والإيمان الرعي: **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، ويزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فدخل فيه جميع المأمورات، سواء كان من بالواجبات أو المستحبات، ودخل فيه ترك جميع المنهيات، سواء." (١)

"ثالث ما ذكره النبي (من شعب الإيمان في هذا الحديث (وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)، إماطته يعني: إزالته عن الطريق المسلوك، سواء كان طريق مشاةٍ أو طريق سياراتٍ أو طريق دواب، كل ما استطرقه الناس ومشوا فيه بأرجلهم أو في دوابهم فإنه يدخل في قوله: (وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) وإماطة الأذى من عمل الجوارح، وبه نعرف أن من مسمى الإيمان عمل الجوارح، وأن من أخرج الأعمال عن مسمى الإيمان فقد خالف ما أجمع عليه السلف وما دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة.

فهمنا من هذا الحديث أن الإيمان يكون في القلب ويكون في اللّسان ويكون في الجوارح، واعلم أن قول النبي (: (فأعلاها قول: لا إله إلاّ الله) ليس المراد مجرد القول الخالي من تدبر ما تضمنته هذه الكلمة من العمل، فالحقيقة أن قوله: (فأعلاها قول: لا إله إلاّ الله) يشمل القول وعمل القلب، لأن القول **هو قول القلب وقول** اللسان، وقول القلب يكون بتصديقه وإخلاصه، وقول اللسان يكون بنطقه وتلفّظه.

إذاً: فهمنا الآن ما هو الإيمان، وأنه قول وعمل قول القلب، وقول اللسان وعمل القلب وعمل الجوارح، وعلى هذا تواطأت كلمات السلف، فمهما اختلف لفظها وتنوع تعبيرها فإنها ترجع إلى أن الإيمان قول وعمل.

هل قوله: (والإيمان بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول: لا إله إلاّ الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان) هو تعريف الإيمان إذا قرن به الإسلام ، لأننا ذكرنا قبل قليل: أن الإسلام هو الأعمال الظاهرة إذا اقترن بالإيمان وأن الإيمان يكون عمل القلب، والحديث تضمن قول اللسان وعمل الجوارح وعمل القلب.." (٢)

"عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة..."الحديث.

٢٤- والإيمان قول وعمل يزيد وينقص كما جاء في الخبر:"أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خُلُقاً".

... ش:الإيمان شرعاً هو ما ذكره المؤلف :قول وعمل فالقول قسمان:قول القلب وهو الاعتقاد.وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام.والعمل قسمان:عمل القلب وهو نية وإخلاص وعمل الجوارح كالصلاة والحج.

فعند أهل السنة والجماعة الإيمان اعتقادٌ بالقلب ونطقٌ باللسان وعملٌ بالأركان.قال البخاري رحمه الله في صحيحه من كتاب الإيمان:(باب الإيمان)وقول النبي صلى الله عليه وسلم:"بُني الإسلام على خمس"وهو قول وفعل يزيد وينقص قال الله

---

(١) حاشية الأصول الثلاثة لابن قاسم، ص/٩٩

(٢) شرح الأصول الثلاثة، ص/٦٧

تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ (٧٦) سورة مريم.﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ﴾(١٧)سورة محمد.﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾(٣١)سورة المدثر.وقوله: ﴿ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾(١٢٤)سورة التوبة.وقوله تعالى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾(٢٢)سورة الأحزاب. والحبُّ في الله والبغض في الله من الإيمان.والحديث الذي أورده المؤلف رحمه الله حديثٌ صحيح رواه أحمد في مسنده والترمذي.وقد دلَّ على أنَّ الأعمال تدخل في مسمَّى الإيمان.ودلَّ على أن الإيمان يتفاضل.قال الإمام البربهاري رحمه الله في شرح السنة(والإيمان بأن الإيمان قول وعمل ،وعمل وقول ونية وإصابة،يزيد وينقص يزيد ما شاء الله وينقص حتى لا يبقى منه شيء).

٢٥- ومن ترك الصَّلَاةَ فقد كَفَرَ" و"لَيْسَ مِنَ الأعمال شيءٌ تركُهُ كُفْرٌ إلا الصلاة" من تَرَكها فهو كافر وقد أحلَّ الله قتله.." (١)

"وإذا ذكر مفردا كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (الأنفال الآية : ٢ - ٣) ، وكما في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الإيمان بضع وستون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » ، أريد به الدين كله ، كما أن الإسلام إذا أفرد دخل فيه أصل الإيمان وهو ما في القلب .

ومن هنا قلنا : الإيمان قول وعمل .

والمراد قول القلب وهو الاعتقاد ، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام .

وعمل القلب : وهو النية والإخلاص ونحو ذلك ، وعمل الجوارح كالصلاة والزكاة ونحوهما .." (٢)

"الأول: قولنا ومن أصول الفرقة الناجية: أن الإيمان والدين قول وعمل، يزيد **وينقص، قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، قالوا: فإذا قيل إن هذا من أصول الفرقة الناجية، خرج عن الفرقة الناجية من لم يقل بذلك: مثل أصحابنا المتكلمين، الذين يقولون إن الإيمان هو التصديق، ومن يقول الإيمان هو التصديق والإقرار، وإذا لم يكونوا من الناجين: لزم أن يكونوا هالكين............

فأجبتهم عن الأسئلة، بأن قولي اعتقاد الفرقة الناجية هي الفرقة التي وصفها النبي (بالنجاة، حيث قال: "تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، وهي من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي"(٥٥).

فهذا الاعتقاد: هو المأثور عن النبي (، وأصحابه رضي الله عنهم، وهم ومن اتبعهم الفرقة الناجية، فإنه قد ثبت عن غير واحد من الصحابة أنه قال: الإيمان يزيد وينقص، وكل ما ذكرته في ذلك فإنه مأثور عن الصحابة بالأسانيد الثابتة لفظه ومعناه، وإذا خالفهم من بعدهم لم يضر في ذلك، ثم قلت لهم: وليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكا، فإن المنازع قد يكون مجتهدًا مخطئًا يغفر الله خطأه، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه

---

(١) شرح أصول السنة للإمام أحمد -عمر الحربي، ص/٣٠

(٢) رسالة في أسس العقيدة، ص/١٢٤

الحجة، وقد يكون له من الحسنات ما يمحوا الله به سيئاته؛ وإذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة له لا يجب أن يدخل فيها المتأول، والقانت، وذو الحسنات الماحية، والمغفور له وغير ذلك: فهذا أولى؛ بل موجب هذا الكلام أن من اعتقد ذلك نجا في هذا الاعتقاد، ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجيًا، وقد لا يكون ناجيًا، كما يقال من صمت نجا). "الفتاوى" (٣/١٧٧,١٧٩)..." [١]

"أما المتعلق الأول : فالقلب ، والقلب له قول وله فعل ، فالقلب له قول وله فعل **أما قول القلب فمطلق** التصديق ، فتصديق الإنسان بوجود الرب . سبحانه وتعالد ، وتصديق المرء بأن الإسلام ناسخ لجميع الديانات السابقات كل ذلك **من قول القلب** ، وأما فعل القلب فما يَطْرَأُ و يَعْرُضُ للقلب من أحوال كبُغض ومحبة وكراهية وتوكل وغيرها .

وأما المتعلق والمحل الثاني : فهو اللسان ، واللسان له قول وله فعل ، ومن أقوال اللسان النطق بلا إله إلا الله ، ومن أعماله أيضاً فلا يُفَرِّقُ جماهير اللغويين والعقائديين بين قول اللسان وفعله بل جعلوا الأمر يتعلق بفعل وعمل اللسان فقط ولا يذكرون بأن لِلّسان قولا وهذا هو المتمشي مع مفهوم القول والفعل السابقين ، ومن أفعال وأعمال اللسان قراءة القرآن ، وذكر الله الرحمن ، والمجيء بأوراد الصباح والمساء وغيرها مما فيه تحرك اللسان هذه اللحمة المضغة الصغيرة ، بين فكي وجوف الفم .

وأما المحل والتعلق الثالث : فهي بقية الجوارح من يدين وقدمين وغيرهما ، وهذه ليس لها إلا عمل ولا قول لها ، وأعمال الجوارح كثيرة ومن أمثلتها السجود الذي فيه انثناء للجسد ووضعٌ للجبهة والأنف على الأرض وبسطٌ للكفين على الأرض إلى غير ذلك. ومن أعمال وأفعال الجوارح أيضاً عقد التسبيح بالكف أي بأصابعها ، فإن ذلك من أعمال اليد أيضاً ، إلى غير ذلك من أمثلة .." [٢]

" عن رءوسهم يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن و اعلم أن النصوص الواردة في فضل هذه الشهادة كثيرة لا يحاط بها و فيما ذكرنا كفاية و سنذكر إن شاء الله تعالى عند ذكر شروطها ما تيسر من نصوص الكتاب و السنة و يكفيك في فضل لا إله إلا الله اخبار النبي صلى الله عليه و سلم أنها أعلى جميع شعب الإيمان كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم الإيمان بضع و سبعون أو بضع و ستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله و أدناها إماطة الأذى عن الطريق الحديث و هذا لفظ مسلم

من قالها أي قال هذه الكلمة حال كونه معتقدا أي عالما و متيقنا معناها الذي دلت عليه نفيا و إثباتا و كان مع ذلك عاملا بمقتضاها على وفق ما علمه منها و تيقنه فإن ثمرة العلم العمل به في القول **أي قول القلب و** اللسان و الجوارح قال الله عز و جل يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون الصف ٢ ٣ مات مؤمنا أي على ذلك و هذا شرط لا بد منه فإنما الأعمال بالخواتيم قال صلى الله عليه و سلم ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة الحديث في الصحيحين عن أبي ذر بطوله يبعث يوم الحشر أي يوم الجمع ناج من النار

---

(١) مفهوم أهل السنة والجماعة، ص/١٤٩

(٢) مفتاح الوصول شرح ثلاثة الأصول، ص/٥٨

آمنا من فزع يوم القيامة كما قال تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها و هم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الأكبر و تتلقاهم الملائكة هذا يومكم ." (١)

" التزمه واتبعه هو قول أي بالقلب واللسان وعمل أي بالقلب واللسان والجوارح فهذه أربعة أشياء جامعة لأمور دين الإسلام

الأول قول القلب وهو تصديقه وإيقانه قال الله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم مايشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين الزمر ٣٣ ٣٤ وقال تعالى وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين الأنعام ٧٥ وقال تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الحجرات ١٥ صدقوا ثم لم يشكوا وفي حديث الدرجات العلى بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وقال تعالى والذين يؤمنون بالغيب البقرة ٣ وقال تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم البقرة ١٣٦ الآيات وقال تعالى وقل امنت بما أنزل الله من كتاب الشورى ١٥ وغير ذلك من الآيات

وفي حديث الشفاعة يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه من الخير ما يزن شعيرة الحديث

وفي الحديث الآخر فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان ثم من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ثم من كان في قلبه أدنى أدني أدني من مثقال حبة من خردل من إيمان ." (٢)

" الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين التوبة ١١١ ١١٢ والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدا ليس هذا موضع بسطها وإنما المقصود تقرير هذه الأمور من أصول الدين فإذا حققت هذه الأمور الأربعة تحقيقا بالغا وعرفت ما يراد بها معرفة تامة وفهمت فهما واضحا ثم أمعنت النظر في أضدادها ونواقضها تبين لك أنواع الكفر لا تخرج عن أربعة

كفر جهل وتكذيب

وكفر جحود

وكفر عناد واستكبار

وكفر نفاق فأحدها يخرج من الملة بالكلية وإن اجتمت في شخص فظلمات بعضها فوق بعض والعياذ بالله من ذلك لأنها إما أن تنتفي هذه الأمور **كلها قول القلب وعمله** وقول اللسان وعمل الجوارح أو ينتفي بعضها فإن انتفت كلها اجتمع أنواع الكفر غير النفاق قال الله تعالى إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم البقرة ٦ ٧ وإن انتفى تصديق القلب مع عدم العلم

---

(١) معارج القبول، ٤١٥/٢

(٢) معارج القبول، ٥٨٨/٢

بالحق فكفر الجهل والتكذيب قال الله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتيهم تأويله يونس ٣٩ وقال تعالى أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أم ماذا كنتم تعملون النمل ٨٤ وإن كتم الحق مع العلم بصدقه فكفر الجحود والكتمان قال الله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين النمل ١٤ وقال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنه الله على ." (١)

" متفرقه منها ما هو **من قول القلب وعمله** ومنها ما هو من قول اللسان ومنها ما هو من عمل الجوارح

ولما كانت الصلاة جامعة لقول القلب وعمله وقول اللسان اللسان وعمله وعمل الجوارح سماها الله تعالى إيمانا في قول الله عز و جل وما كان الله ليضيع إيمانكم البقرة ١٤٣ يعني صلاتكم كما يعلم من سبب نزول الآية وروى سعيد بن منصور عن عبد الرحمن بن يزيد كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا أصحاب محمد صلى الله عليه و سلم وما سبقونا به فقال عبد الله إن أمر محمد صلى الله عليه و سلم كان بينا لمن رآه والذي لا إله غيره ماآمن أحد قط إيمانا أفضل من إيمان بالغيب ثم قرأ آلم ذلك الكتاب إلى قوله المفلحون البقرة ١ ٥ والآيات والأحاديث في هذا الباب يطول ذكرها وإنما أشرنا إلى طرف منها يدل على ما وراءه وبالله التوفيق

وهذا المعنى هو الذي قصده السلف الصالح بقولهم رحمهم الله تعالى إن الإيمان اعتقاد وقول وعمل وإن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان وحكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم وأنكر السلف على من أخرج الأعمال عن الإيمان إنكارا شديدا وممن أنكر ذلك على قائله وجعله قولا محدثا ممن سمي لنا سعيدا بن جبير وميمون بن مهران وقتادة وأيوب السختياني والنخعي والزهري وإبراهيم ويحيى بن أبي كثير والثوري و الأوزاعي وعمر بن عبد العزيز وغيرهم قال الثوري هو رأي محدث أدركنا الناس على غيره وقال الأوزاعي كان من مضى من السلف لا يفرقون بين العمل والإيمان وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الامصار أما بعد فإن الإيمان فرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم ." (٢)

" والحالة الثانية أن يطلق الإيمان مقرونا بالإسلام وحيئذ يفسر بالاعتقادات الباطنة كما في حديث جبريل هذا وما في معناه وكما في قول الله عز و جل والذين امنوا وعملوا الصالحات النساء ٥٧ وكما في غير ما موضع من كتابه وكما في قول النبي صلى الله عليه و سلم في دعاء الجنازة اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان وذلك أن الأعمال بالجوارح وإنما يتمكن مها في الحياة فأما عند الموت فلا يبقى **غير قول القلب وعمله** وكحديث أنس عند أحمد عن النبي صلى الله عليه و سلم قال الإسلام علانية والإيمان في القلب

والحاصل أنه إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ بل كل منهما على انفراده يشمل الدين كله وإن فرق بين الاسمين كان الفرق بينهما بما في هذا الحديث الجليل والمجموع مع الإحسان هوالدين كما سمى النبي صلى

(١) معارج القبول، ٢/٥٩٣

(٢) معارج القبول، ٢/٦٠٠

الله عليه و سلم ذلك كله دينا وبهذا يحصل الجمع بين هذا الحديث وبين الأحاديث التي فيها تفسير الإيمان بالإسلام والإسلام بالإيمان وبذلك جمع بينه وبينهما أهل العلم

قال ابن رجب رحمه الله وأما وجه الجمع بين هذه النصوص وبين حديث سؤال جبريل عليه السلام عن الإسلام والإيمان وتفريق النبي صلى الله عليه و سلم بينهما وإدخاله الأعمال في مسمى الإسلام دون الإيمان فإنه يتضح بتقرير أصل وهو أن من الأسماء ما يكون شاملا لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه فإذا قرن ذلك ." (١)

"وكذلك الكفر ذو أصل وشعب، فكما أن شعب الإيمان إيمان، فشعب الكفر كفر، والحياء شعبة من الإيمان، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر، والصدق شعبة من شعب الإيمان، والكذب شعبة من شعب الكفر، والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الإيمان، والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر، والمعاصي كلها من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان.

وشعب الإيمان قسمان: قولية وفعلية، وكذلك شعب الكفر نوعان: قولية وفعلية. ومن شعب الإيمان القولية: شعبة يوجب زوالها زوال الإيمان، فكذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوال الإيمان. وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية، فكما يكفر الإتيان بكلمة الكفر اختياراً، وهي شعبة من شعب الكفر، فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف، فهذا أصل.

وههنا أصل آخر، وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل. والقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد، وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام. والعمل قسمان: عمل القلب،. وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح، فإذا زالت هذه الأربعة، زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب، لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة. وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق، فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة، فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب، وهو محبته وانقياده، كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول، بل ويقرون به سراً وجهراً ويقولون: ليس بكاذب، ولكن لا نتبعه، ولا نؤمن به.." (٢)

"((وروى مسلم في صحيحه عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اثنتان في الناس هما بهم كفر)).

أي هاتان الخصلتان هم كفر قائم بالناس، ففي الخصلتين كفر، حيث كانتا من أعمال الكفار، وهما قائمتان بالناس، لكن ليس كل من قام من شعبة من شعب الكفر يصير كافراً الكفر المطلق، حتى يقوم به حقيقة الكفر.

كما أنه ليس كل من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمناً، حتى يقوم من أصل الإيمان وفرق بين الكفر المعرف باللام، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: ((ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة)). وبين كفر مُنكرٍ في الإثبات.

---

(١) معارج القبول، ٦٠٣/٢

(٢) مسألة الإيمان للشبل، ص/٤٧

وفرق أيضاً بين معنى الاسم المطلق إذا قيل: كافر، أو مؤمن، وبين المعنى المطلق للاسم في جميع موارده، كما في قوله: ((لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض)).

فقوله: ((يضرب بعضكم رقاب بعض)) تفسير الكفار في هذا الموضع، وهؤلاء يُسمون كفاراً تسمية مقيدة، ولا يدخلون في الاسم المطلق إذا قيل: كافر، ومؤمن.

كما أن قوله تعالى : ﴿ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ سمى المني ماء تسمية مقيدة، ولم يدخل في الاسم المطلق حيث قال: ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً فَتَيَمَّمُوا ﴾ ..)).

٦-أن أهل السنة والجماعة يعظمون لفظ التكفير جداً، ويجعلونه حقاً لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فقط، فلا يجوز ولا يسوغ عندهم تكفير أحدٍ إلا من كفره الله أو كفره رسوله.

ولذا يقول الطحاوي في عقيدته المشهورة المتداولة: ((ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله. ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله)).

وكذا قرره ابن تيمية في عقيدته: الواسطية المتلقاه بالقبول، حيث يقول:

((فصل، ومن أصل أهل السنة: أن الدين والإيمان قول **وعمل: قول القلب واللسان** وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.." [1]

"الأصل الرابع : مسألة الإيمان

فأهل السُنة يعتقدون ما جاء به الكتاب والسُنة من أن الإيمان هو تصديق القلب المتضمن لأعمال الجوارح فيقولون الإيمان اعتقادات القلوب وأعمالها وأعمال الجوارح وأقوال اللسان وأنها كلها من الإيمان.

الشرح: شرع المؤلف رحمه الله في بيان الأصل الرابع من أصول الاعتقاد وهو (مسألة الإيمان) وخصها رحمه الله بالذكر وجعلها أصلاً من أصول الاعتقاد لأن هناك فِرقاً قد ضلت في هذا الأصل العظيم وخالفت الطريق المستقيم ولذا نجد علماء الأمة يخصون هذه المسألة بالذكر في كتبهم فهذا شيخ الإسلام رحمه الله نجده كثيراً ما يتكلم عن هذه المسألة فانظر إلى المجلد السابع من مجموع الفتاوى له تجده خُصِّص لهذه المسألة فقط.

وقول المؤلف رحمه الله: (فأهل السُنة يعتقدون بما جاء به الكتاب والسُنة من أن الإيمان هو تصديق القلب ... إلخ) هنا بين رحمه الله اعتقاد أهل السُنة في الإيمان.

فقوله: (الإيمان هو تصديق القلب) أي اعترافه وقوله كما قال شيخ الإسلام في الواسطية (**الإيمان قول القلب واللسان** وعمل القلب واللسان والجوارح).

وقوله: (المتضمن لأعمال الجوارح) لأن الجوارح شاهدة على ما في القلب من إيمان فمتى امتلأ القلب بالإيمان خضعت الجوارح وسكنت لخالقها فركعت وسجدت وقامت وقعدت فيكون عملها إيماناً شرعاً لأن الحامل لهذه الأعمال هو الإيمان.

---

(١) مسألة الإيمان للشبل، ص/٥٠

وقوله: (فيقولون الإيمان اعتقادات القلوب وأعمالها) عمل القلوب تحركها وإرادتها مثل الإخلاص في العمل فهذا عمل القلب وكذا التوكل والرجاء والخوف والصبر والخشية والإنابة وغيرها من أعمال القلوب .

وقوله: (وأعمال الجوارح وأقوال اللسان أنها كلها من الإيمان) هنا يريد أن يرد على الذين قالوا بأن الإيمان قول فقط ويخرجون الأعمال عن مسمى الإيمان كالمرجئة وغيرهم.

وأن من أكملها ظاهراً وباطناً فقد أكمل الإيمان ومن انتقص شيئاً منها فقد انتقص من إيمانه.." (١)

"الفصل الثالث: الإيمان عند الفرق ((إجمالاً))، عرضت فيه لأقوال الوعيدية والمرجئة مع مناقشة أهم أقوالهم وأدلتهم:

أ- الإيمان عند الوعيدية:

- تعريفه - قولهم في الزيادة والنقصان.

- موقفهم من نصوص الوعد والوعيد.

- الفرق بين الكبائر والصغائر عندهم.

- حكم أهل الكبائر عندهم.

ب- الإيمان عند المرجئة:

تعريف:

- الصلة بين الإيمان والعمل عندهم.

- موقفهم من الزيادة والنقصان.

- موقفهم من نصوص الوعد والوعيد.

- الكفر عندهم.

الباب الثاني:

ضوابط التكفير وموانعه عند أهل السنة: ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: ضوابط التكفير: وأهم مباحثه:

- الحكم بالظاهر وأدلة ذلك.

- الاحتياط في تكفير المعين ((ليس كل من قال الكفر أو عمله يكون كافراً)).

- ما تقوم به الحجة.

- عدم التكفير بكل ذنب.

الفصل الثاني: موانع التكفير وأهمها:

(١) الجهل: حالات الجهل، ومتى يكون عذراً؟

- أدلة العذر بالجهل.

---

(١) مختصر في أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ص/١

- أدلة من لا يعذرون ثم الترجيح.

حكم من لم تبلغهم الدعوة.

(٢) الخطأ: المراد به.

- الفرق بينه وبين الجهل.

- متى يكون عذراً في العقائد والأحكام؟

(٣) الإكراه:

- المراد به.

- أنواعه، متى يكون عذراً؟

(٤) التأويل:

- المراد به.

- متى يكون عذراً؟

(٥) التقليد — المراد به في العقائد والأحكام.

- هل يكون عذراً؟

الباب الثالث:

نواقض الإيمان الاعتقادية، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: ما يناقض قول القلب: ويشمل:

١- كفر الجحود والتكذيب.

٢- استحلال أمر معلوم تحريمه من الدين بالضرورة.

٣- الشك في حكم من أحكام الله عز وجل أو خبر من أخباره.

٤- من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع النبي - صلى الله عليه وسلم -.

٥- الجهل، ومتى يكون كفراً.

٦- الشرك في الربوبية.

٧- اعتقاد ألوهية غير الله عز وجل.

الفصل الثاني: ما يناقض عمل القلب، ويشمل:

١- الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به.

٢- النفاق الاعتقادي.." (١)

---

(١) نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/٤

"وروى الإمام اللالكائي(١)عن الإمام البخاري قوله: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص(٢).

والنصوص عن الأئمة كثيرة جداً في قولهم: إن الإيمان قول وعمل، نقل كثيراً منها المصنفون في عقيدة أهل السنة من الأئمة المتقدمين كالإمام اللالكائي وابن بطه(٣)وابن أبي عاصم وغيرهم.

ولا فرق بين قولهم: إن الإيمان قول وعمل، أو قول وعمل ونية، أوقول وعمل واعتقاد. فكل ذلك من باب اختلاف التنوع، فمن قال من السلف: إن الإيمان قول وعمل **أراد قول القلب واللسان** وعمل القلب والجوارح.

ومن زاد الاعتقاد رأى لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك، فزاد الاعتقاد بالقلب.

ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد (قول القلب)، وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية (عمل القلب)، فزاد ذلك(٤).

---

(١) الإمام اللالكائي : أبو القاسم، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبرى اللالكائي، درس فقه الشافعي على أبي حامد الإسفرائيني، وروى عنه، الخطيب البغدادي وغيره له مصنفات من أشهرها ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة)) وهو من أجمع الكتب في عرض أصول أهل السنة والآثار عن السلف في ذلك، توفي سنة ٤١٨ هـ-، انظر سير أعلام النبلاء ٤١٩/١٧، تاريخ بغداد ٧٠/١٤.

(٢) نفسه، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح ٤٧/١.

(٣) عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري المعروف بابن بطة، ولد سنة ٣٠٤ هـ- سمع من إسماعيل الوراق، وأبي القاسم الخرقي، وأبو بكر عبد العزيز وغيرهم، صاحب زهد وعبادة وكان أماراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، له مصنفات كثيرة من أشهرها وأعظمها ((الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية)) يعد من كبار الحنابلة، توفي سنة ٣٨٧ هـ- انظر المنهج الأحمد ٨١/٢ - ٨٥ وطبقات الحنابلة ١٤٤/٢ وتاريخ بغداد ٣٧٢١/١٠.

(٤) انظر الإيمان لابن تيمية ١٦٣، والإيمان الأوسط ٤٧، ٤٨.." (١)

"خلاصة ما سبق من حقيقة الإيمان الشرعي أنها (مركبة من قول وعمل، والقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد، وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام.

والعمل قسمان: عمل القلب: وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح. فإذا زالت هذه الأربعة، زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة، وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة، فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب، وهو محبته وانقياده، كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول، بل ويقرون به سراً وجهراً، ويقولون: ليس بكاذب، ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به)(١).

---

(١) نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/٣٢

العلاقة بين المعنى اللغوى والشرعي:

عرفنا أن من معاني الإيمان لغة: التصديق، وأن التصديق يكون بالقلب واللسان والجوارح، وهكذا الإيمان الشرعي، عبارة عن تصديق مخصوص، وهو ما يسمى عند السلف، بقول القلب، وهذا التصديق لا ينفع وحده، بل لابد معه من الانقياد والاستسلام، وهو ما يسمى بعمل القلب ويلزم من ذلك قول اللسان، وعمل الجوارح، وهذه الأجزاء مترابطة، لا غنى لواحدة منها عن الأخرى ومن آمن بالله عز وجل، فقد أمن من عذابه.

ثانيا: الإيمان اعتقاد وقول وعمل

الإيمان أصله في القلب:

قال عز وجل: (ولما يدخل الإيمان في قلوبكم)(٢).

وقال تعالى: (ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم)(٣).

وقال أيضاً: (كتب في قلوبهم الإيمان)(٤).

وقال أيضاً: (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان)(٥).

---

(١) الصلاة وحكم تاركها لابن القيم ص ٥٤.

(٢) سورة الحجرات، آية : ١٤

(٣) سورة الحشرات آية : ٧

(٤) سورة المجادلة، آية : ٢٢

(٥) سورة النحل، آية : ١٠٦." [1]

"وقال – صلى الله عليه وسلم: " يا معشر من آمن بلسان، ولم يدخل الإيمان إلى قلبه"(١).

إلى غير ذلك من الأدلة الصريحة في أن إيمان القلب شرط في الإيمان، ولا يصح الإيمان بدونه، وأنه إذا وجد سرى ذلك إلى الجوارح ولابد.

وإيمان القلب ليس مجرد العلم والمعرفة والتصديق بالله عز وجل، وخبر الرسول صلى الله عليه وسلم – بل لابد مع ذلك من الانقياد والاستسلام، والخضوع والإخلاص، مما يدخل تحت عمل القلب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب، ولابد فيه من شيئين:

تصديق القلب وإقراره ومعرفته، ويقال لهذا: قول القلب، قال الجنيد بن محمد(٢)" التوحيد قول القلب، والتوكل عمل القلب " فلا بد فيه **من قول القلب وعمله**، ثم قول البدن وعمله، ولا بد فيه من عمل القلب، مثل حب الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده، وتوكل القلب على الله وحده، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها جزءاً من الإيمان ثم القلب هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن ضرورة لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده

---

(١) نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/٣٣

القلب، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم " ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب(٣).

---

(١) رواه أحمد ٤/٤٢٠، ٤٢١ وأبو داود في كتاب الأدبة " باب في الغيبة " رقم ٤٨٨، والترمذي كتاب البر والصلة "" باب ما جاء تعظيم المؤمن رقم ٢٠٣٢ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٠٨/٦

(٢) ... الجنيد بن محمد البغدادي، شيخ مذهب الصوفية، له عدة رسائل في التوحيد والوعظ توفي ببغداد سنة ٢٩٧ هـ- الأعلام ١٤١/٢

(٣) متفق عليه، البخاري "الإيمان" باب فضل من استبرأ لدينه رقم ٥٢، ومسلم، المساقاة " باب أخذ الحلال وترك الشبهات رقم ١٥٩٩." (١)

"فإذا كان القلب صالحا بما فيه من الإيمان علماً وعملاً قلبياً لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر، والعمل بالإيمان المطلق..)(١).

ويقول أيضاً (الإيمان أصله معرفة القلب وتصديقه وقوله، والعمل تابع لهذا العلم والتصديق ملازم له، ولا يكون العبد مؤمناً إلا بها)(٢).

ويقول – رحمه الله – مبيناً شدة الترابط بين الأصل والفرع: (إذا قام بالقلب التصديق به، والمحبة له (قول القلب، وعمله) لزم ضرورة أن يتحرك البدن بموجب ذلك من الأقوال الظاهرة، والأعمال الظاهرة، فما يظهر على البدن من الأقوال والأعمال هو موجب ما في القلب ولازمه، ودليله ومعلوله، كما أن ما يقوم بالبدن من الأقوال والأعمال له أيضاً تأثير فيما في القلب، فكل منهما يؤثر في الآخر، لكن القلب هو الأصل والبدن فرع له، والفرع يستمد من أصله، والأصل يثبت ويقوى بفرعه)(٣).

---

(١) الإيمان ١٧٦ - ١٧٧

(٢) الإيمان ٣٦١ وراجع الإيمان الأوسط ٧٢١

(٣) الإيمان الأوسط ٨٣." (٢)

"ويقول الإمام المروزي(١)- رحمه الله -: (أصل الإيمان التصديق بالله، وبما جاء من عنده، وعنه يكون الخضوع لله لأنه إذا صدق بالله خضع له، وإذا خضع أطاع.. ومعنى التصديق هو المعرفة بالله، والاعتراف له بالربوبية، بوعده، ووعيده، وواجب حقه، وتحقيق ما صدق به من القول والعمل.. ومن التصديق بالله يكون الخضوع لله، وعن الخضوع تكون الطاعات، فأول ما يكون عن خضوع القلب لله الذي أوجبه التصديق من عمل الجوارح والإقرار باللسان)(٢).

---

(١) نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/٣٤

(٢) نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/٣٥

ويقول أيضاً: (وإنما المعرفة التي هي إيمان، هي معرفة تعظيم الله، وجلاله، وهيبته، فإذا كان كذلك، فهو المصدق الذي لا يجد محيصاً عن الإجلال، والخضوع لله بالربوبية، فبذلك ثبت أن الإيمان يوجب الإجلال لله، والتعظيم له، والخوف منه، والتسارع إليه بالطاعة على قدر ما وجب في القلب من عظيم المعرفة)(٣).

ويقول: (أصل الإيمان هو التصديق، وعنه يكون الخضوع، فلا يكون مصدقاً إلا خاضعاً، ولا خاضعاً إلا مصدقاً، وعنهما تكون الأعمال)(٤)

---

(١) هو أبو عبدالله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، ولد ببغداد سنة ٢٠٢هـ- توفي سنة ٢٩٤هـ- من كبار علماء الحديث، رحل كثيراً في طلب العلم، ومن أشهر شيوخه إسحاق بن راهويه، وابن أبي شيبة، وهناد، قال الخطيب : كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة، له تصانيف كثيرة في الفقه وفي نصرة مذهب السلف، من أشهرها " تعظيم قدر الصلاة " ونصفه حول مسائل الإيمان، " والسنة " حول حجية السنة، انظر ترجمة موسعة له في مقدمة كتاب تعظيم قدر الصلاة كتبها د. عبد الرحمن الفريوائى ١/١٥-٦٤

(٢) تعظيم قدر الصلاة ٢/٦٩٥، ٦٩٦

(٣) تعظيم قدر الصلاة ٢/٧٧٥، ٧٧٦ ويلاحظ من هذا النقل، والذي قبله أنه لا فرق بين مفهومي التصديق، والمعرفة عند الإمام المروزي وكلاهما داخل تحت قول القلب.

(٤) تعظيم قدر الصلاة ٢/٧١٥، ٧١٦ .." [1]

"يتضح لنا من النقل السابق أن العلم والمعرفة والتصديق (أي قول القلب)، إن لم يصحبها الانقياد والاستسلام والخضوع، (أي عمل القلب والجوارح) لم يكن المرء مؤمناً، بل تصديق هذا شر من عدمه(١)لأنه ترك الانقياد مع علمه ومعرفته.

والدليل على أن التصديق والمعرفة فقط لا تنفع صاحب-ها وصف الله به إبليس بقوله: (خلقتني من نار)(٢)وقوله: (فبعزتك لأغوينهم أجمعين)(٣)، فأخبر أنه قد عرف أن الله خلقه، ولم يخضع لأمره فيسجد لآدم كما أمره، فلم ينفعه معرفته إذ زايله الخضوع.

والدليل على ذلك أيضاً شهادة الله على قلوب بعض اليهود أنهم يعرفون النبي – صلى الله عليه وسلم – وما أنزل إليهم كما يعرفون أبناءهم، فلا أحد أصدق شهادة على ما في قلوبهم من الله، إذ يقول لنبيه: (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به)(٤)، وقال: (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)(٥)، وقال: (ليكتمون الحق وهم يعلمون)(٦)فشهد على قلوبهم بأنها عارفة عالمة بالنبي – صلى الله عليه وسلم – ولم يوجب لهم اسم الإيمان بمعرفتهم وعلمهم بالحق إذ لم يقارن معرفتهم التصديق والخضوع لله ولرسوله بالتصديق له والطاعة(٧).

ومما يجدر ذكره أن بعض السلف يطلق التصديق أو اعتاد القلب ويقصد **به قول القلب وعمله** جميعاً، أو عمل القلب

---

(١) نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/٣٦

وحده.

---

(١) للاستزاده راجع الصارم المسلول / ٥٢٠ – ٥٢٥ .

(٢) سورة الأعراف، آية : ١٢

(٣) سورة ص، آية : ٨٢

(٤) سورة البقرة، آية : ٨٩

(٥) سورة البقرة، آية ١٤٦

(٦) سورة البقرة، آية : ١٤٦

(٧) انظر تعظيم قدر الصلاة للمروزي ٢/٦٩٦، ٦٩٨." [١]

"يقول الإمام أحمد – رحمه الله –: " وأما من زعم أن الإيمان الإقرار، فما يقول في المعرفة؟ هل يحتاج إلى المعرفة مع الإقرار؟ وهل يحتاج أن يكون مصدقاً بما عرف؟ فإن زعم أنه يحتاج على المعرفة مع الإقرار، فقد زعم أنه من شيئين، وإن زعم أنه يحتاج أن يكون مقرا ومصدقا بما عرف، فهو من ثلاثة أشياء، وإن جحد وقال: لا يحتاج إلى المعرفة والتصديق فقد قال قولاً عظيماً(١)فالملاحظ من كلام الإمام أحمد أنه يعني بالتصديق عمل القلب ويعني بالمعرفة قول القلب، أما الإقرار فقول اللسان(٢)وقال الإمام أبو ثور لما سئل عن الإيمان ما هو؟: (فاعلم يرحمنا الله وإياك أن الإيمان تصديق بالقلب والقول باللسان وعمل بالجوارح، وذلك أنه ليس بين أهل العلم خلاف في رجل لو قال: أشهد أن الله عز وجل واحد، وأن ما جاءت به الرسل حق، وأقر بجميع الشرائع، ثم قال: ما عقد قلبي على شيء من هذا ولا أصدق به أنه ليس بمسلم ولو قال: المسيح هو الله، وجحد أمر الإسلام، قال لم يعتقد قلبي على شيء من ذلك أنه كافر بإظهار ذلك وليس بمؤمن، فلما(٣)لم يكن بالإقرار إذا لم يكن معه التصديق مؤمناً ولا بالتصديق إذا لم يكن معه الإقرار مؤمناً، حتى يكون مصدقاً بقلبه مقراً بلسانه فإذا كان تصديق بالقلب وإقرار باللسان كان عندهم مؤمناً(٤)وعند بعضهم لا يكون حتى يكون مع التصديق عمل، فيكون بهذه الأشياء إذا اجتمعت مؤمناً...)(٥)

ثم رد على من أخرج العمل من الإيمان فالغالب أنه يقصد بالتصديق هنا (قول القلب وعمله) والله أعلم

---

(١) الإيمان ٣٧٦

(٢) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (فأراد أحمد بالتصديق أنه مع المعرفة به صار القل–ب مصدقا له، تابعاً له، محباً له، معظماً له .. وهذا أشبه بأن يحمل عليه كلام الإمام أحمد) الإيمان ٣٨٠

(٣) قال محقق " شرح أصول اعتقاد أهل السنة " لم أجد جواب لما في السياق

---

[١] نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/٣٧

(٤) عند أبي حنيفة وأصحابه

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٨٤٩/٤، ٨٥٠." (١)

"يقول ابن تيمية (وكذلك قول من قال: اعتقاد بالقلب، وقول باللسان وعمل بالجوارح، جعل القول والعمل اسماً لما يظهر، فاحتاج أن يضم إلى ذلك اعتقاد القلب، ولا بد أن يدخل في قوله: اعتقاد القلب، أعمال القلب المقارنة لتصديقه، مثل حب الله، وخشية الله والتوكل عليه، ونحو ذلك، فإن دخول أعمال القلب في الإيمان أولى من دخول أعمال الجوارح باتفاق الطوائف كلها)(١)

ويقول الإمام ابن القيم موضحاً ذلك: (ونحن نقول: الإيمان هو التصديق، ولكن ليس التصديق مجرد اعتقاد صدق المخبر دون الانقياد له، ولو كان مجرد اعتقاد التصديق إيماناً لكان إبليس وفرعون وقومه وقوم صالح واليهود الذين عرفوا أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم – كما يعرفون أبناءهم مؤمنين صادقين)(٢)

ونختم هذا البحث بالتأكيد على أهمية الخضوع والاستسلام والانقياد (عمل القلب والجوارح) وأنه أساس دعوة الأنبياء والرسل، وأن قضيتهم مع أقوامهم دائماً ليست قضية المعرفة والعلم المجرد (أي قول القلب) قال تعالى: (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون)(٣)

وقال تعالى: (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً)(٤)

---

(١) الإيمان الأوسط ص ٤٨

(٢) الصلاة وحكم تاركها، ٤٤، ٤٥

(٣) سورة الأنعام، أية : ٣٣

(٤) سورة النمل، آية : ١٤

(*)أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الشافعي، ولد في جرجان سنة ٣٨٣هـ-، من أشهر شيوخه أبو بكر القفال أخذ عنه الفقه الشافعي، وكان الحليمي من مجتهدي المذهب، وهو رئيس المحدثين والمتكلمين فيما وراء النهر وكان ذكياً مناظراً طويل الباع في الأدب والبيان، له تصانيف من أشهرها " المنهاج في شعب الإيمان " توفي سنة ٤٠٣ هـ- في بخارى، سير أعلام النبلاء ٢٣١/١٧ – ٢٣٤ وانظر ترجمة موسعة في مقدمة كتابة المنهاج.." (٢)

"فالكفار والمنافقون غالباً ما يقرون بالربوبية والرسالة ولكن الكبر والبغض وحب الرياسة والشهوات ونحوها تصدهم عن الطاعة والإخلاص والمتابعة (أي توحيد الألوهية) ومن ثم فلا ينفعهم ذلك، ولا ينجيهم من عذاب الله عز وجل في الآخرة ولا من سيف المؤمنين في الدنيا، فيجب على الدعاة إلى الله أن ترتكز دعوتهم على ذلك، وأن لا يقتصروا بالاهتمام بتوحيد الربوبية دون الدعوة إلى توحيد الألوهية، وإنما يكون اهتمامهم بالربوبية طريقاً ومنطلقاً لترسيخ وتثبيت توحيد الألوهية

---

(١) نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/٣٨

(٢) نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/٣٩

وعبادة الله وحده لا شريك له.

قول اللسان (الإقرار باللسان)(١)

قول اللسان جزء من مسمى الإيمان، والمقصود بقول اللسان: الأعمال التي تؤدى باللسان: كالشهادتين والذكر وتلاوة القرآن والصدق والنصيحة والدعاء وغير ذلك مما لا يؤدى إلا باللسان وهذه الأعمال منها ما هو مستحب ومنها ما هو واجب ومنها ما هو شرط لصحة الإيمان ولنبدأ أولاً بالنصوص الدالة على أن قول اللسان يدخل في مسمى الإيمان ومنها:

١- قوله - عز وجل- (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)(٢)ثم قال - عز وجل - (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق)(٣).

قال الحليمي(٤)(فأمر المؤمنين أن يقولوا " آمنا " ثم أخبر بقوله تعالى: (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به) أن ذلك القول منهم إيمان، وسمي قولهم مثل ذلك إيمانا، إذ لا معنى لقوله (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به).

---

(١) لا فرق بين الأقرار باللسان، وقول اللسان عند التقييد، أما عند إطلاق لفظ الإقرار أو القول فيفهم من الإقرار إقرار اللسان ومن القول، قول القلب، وقد يقصد به قول اللسان

(٢) سورة البقرة، آية : ١٣٦

(٣) سورة البقرة، آية : ١٣٧." (١)

"لكن - بعدما عرفنا أن مرتبة الإيمان أعلى - كيف يكون معناهما عند الاقتران؟ قالوا: (حقيقة الفرق أن الإسلام دين، والدين مصدر دان يدين ديناً: إذا خضع وذل، ودين الإسلام الذي ارتضاه الله، وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده.. وهو الخضوع له، والعبودية له، هكذا قال أهل اللغة: أسلم الرجل إذا استسلم، فالإسلام في الأصل من باب العمل، عمل القلب والجوارح. وأما الإيمان فأصله تصديق وإقرار ومعرفة، فهو من **باب قول القلب المتضمن** عمل القلب والأصل فيه التصديق، والعمل تابع له، فلهذا فسر النبي - صلى الله عليه وسلم - الإيمان بإيمان القلب وبخضوعه، (**أي قول القلب وعمله**) وفسر الإسلام باستسلام مخصوص هو المباني الخمس، هكذا في سائر كلامه - صلى الله عليه وسلم -: يفسر الإيمان بذلك النوع، ويفسر الإسلام بهذا، وذلك النوع أعلى)(١)، لأن المؤمن الإيمان التام لابد أن يكون مسلماً، ولذلك ورد في الشرع إطلاق الإيمان على أعمال الجوارح.

أما المسلم فلا يلزم أن يكون تام الإيمان، يقول الإمام ابن رجب: (قال المحققون من العلماء: كل مؤمن مسلم، فإن من حقق الإيمان ورسخ في قلبه قام بأعمال الإسلام كما قال - صلى الله عليه وسلم -: ((ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)). فلا يتحقق القلب بالإيمان إلا وتنبعث الجوارح في أعمال الإسلام، وليس كل مسلم مؤمناً، فإنه قد يكون الإيمان ضعيفاً فلا يتحقق القلب به تحققاً تاماً، مع عمل جوارحه

---

(١) نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/٤٠

أعمال الإسلام فيكون مسلماً، وليس بمؤمن الإيمان التام)(٢).

القول الثاني:

---

(١) ... الإيمان ٢٤٩، ٢٥٠.

(٢) جامع العلوم والحكم ٢٧ والحديث مشهور متفق عليه، البخارى، والإيمان ١ رقم ٥٢ مسلم رقم ١٥٩٩.." [1]

"قال أبو طالب المكي: (.. فمثل الإسلام من الإيمان، كمثل الشهادتين إحداهما من الأخرى في المعنى والحكم، فشهادة الرسول، غير شهادة الوحدانية، فهما شيئان في الأعيان، وإحداهما مرتبطة بالأخرى في المعنى والحكم كشيء واحد، كذلك الإيمان والإسلام أحدهما مرتبط بالآخر، فهما كشيء واحد، لا إيمان لمن لا إسلام له، ولا إسلام لمن لا إيمان له، إذ لا يخلو المسلم من إيمان به يصح إسلامه، ولا يخلو المؤمن من إسلام به يحقق إيمانه، من حيث اشترط الله للأعمال الصالحة الإيمان، واشترط للإيمان الأعمال الصالحة، فقال في تحقيق ذلك: (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه)(١)

وق–ال ف–ي تحقي––ق الإي––مان بالعمل: (وم–ن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى..))(٢)(٣).

ويقول ابن أبي شيبة: (لا يكون الإسلام إلا بإيمان، ولا إيمان إلا بإسلام...)(٤).

وقال الإمام البغوي في تعليقه على حديث جبريل عليه السلام: (جعل النبي – صلى الله عليه وسلم – في هذا الحديث الإسلام اسماً لما ظهر من الأعمال، وجعل الإيمان اسماً لما بطن

من الاعتقاد، وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان، أو التصديق بالقلب ليس من الإسلام(٥)، بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد، وجماعها الدين ولذلك قال: ((ذاك جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم)) والتصديق والعمل يتناولهما اسم الإيمان والإسلام جميعاً....)(٦).

إذاً يمكن تلخيص هذه القاعدة بما يلي:

---

(١) سورة الأنبياء، آية : ٩٤.

(٢) سورة طه، آية : ٧٥.

(٣) الإيمان لابن تيمية ٣١٦.

(٤) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ٥٢٨/٢.

(٥) لو قال : ليس شرطاً في الإسلام لكان أولى لأنه لم يرد في النصوص إطلاق الإسلام على التصديق (**أي قول القلب**

---

(١) نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/٦٥

.)

(٦) شرح السنة للبغوي ١/١٠.." [١]

"ج – وأخيراً قال: (والآيات التي احتج بها محمد بن نصر تدل على وجوب الإسلام، وأنه دين الله، وأن الله يحبه ويرضاه، وأنه ليس له دين غيره، وهذا كله حق، لكن ليس في هذا ما يدل على أنه هو الإيمان، بل يدل على أنه بمجرد الإسلام يكون الرجل من أهل الجنة، فإن الله وعد المؤمنين بالجنة في غير أية، ولم يذكر هذا الوعد باسم الإسلام (أي المجرد) وحينئذ فمدحه وإيجابه ومحبة الله له تدل على دخوله في الإيمان، وأنه بعض منه)(١)

خلاصة المناقشة والترجيح:

الرأي الراجح كما يتضح من العرض السابق أن مسماهما مختلف وذلك للأدلة التالية:

١- أصل الإيمان التصديق، والخضوع والانقياد تابع، وأصل الإسلام الخضوع والانقياد، ومنه الأركان الخمسة، لذلك نجد في أكثر النصوص إطلاق الإيمان على الباطن، والإسلام على الظاهر، ومن ذلك حديث جبريل عليه السلام المشهور.

٢- لم يرد في النصوص الوعد بالجنة على الإسلام المطلق، كما في الإيمان المطلق.

٣- لم يرد في النصوص أن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله (قول القلب)، يدخل في مسمى الإسلام، كما ورد في دخول أعمال القلب والجوارح في الإيمان، وإن كان يلزم الإسلام جنس تصديق.

٤- لا يعرف في النصوص نفي الإسلام عمن ترك شيئاً من الواجبات، أو فعل الكبائر(٢) كما ورد في الإيمان.

فالأدلة السابقة –كما ترى – صريحة في اختلاف مسماهما، ومع ذلك فهناك استعمالات وحالات تجعلهما يتفقان ومن ذلك:

١- الإيمان الكامل، لابد أن يكون معه إسلام كامل، أما الإسلام الكامل فلا يلزم منه الإيمان الكامل ولكن لابد أن يكون معه أصل الإيمان.

٢- أيضاً يمكن أن يقال إن المسلم الممدوح هو المؤمن الممدوح، وذلك كمدح الأنبياء بالإسلام

---

(١) الإيمان ٣٥١ – ٣٥٢ وانظر تفاصيل أخرى في الإيمان أيضاً ٣٤٧ – ٣٥٢ – ٣٦٠ – ٣٦٣ – ٣٩١ – ٣٩٦

(٢) انظر جامع العلوم والحكم ٢٧." [٢]

"ولعل الإمام النووي يشير إلى أن القول بنقصان الإيمان يساوي عند البعض وخاصة ممن يقول بأن الإيمان واحد، وأن التصديق لا يتفاضل، وأن الأعمال لا تدخل في مسمي الإيمان يساوى عند هؤلاء القول بكفر أهل المعاصي فحيث إن الإيمان عند هؤلاء واحد فهو غير قابل للزيادة ولا النقصان فالقول بأن المعاصي تنقص الإيمان بمعنى تبطله عندهم فيكون القول بالنقصان يشبه قول الخوارج في زعمهم، أما القول بالزيادة فلا يحصل به عندهم هذا اللبس.

---

(١) نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/٧٥

(٢) نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/٨٢

ولذلك توقف الإمام مالك في بعض الروايات خشية أن يظن أنه موافق للخوارج والله أعلم
وأخيراً يمكن أن يقال لعل ذلك كان قولاً قديماً له تراجع عنه لما بلغته الآثار عن الصحابة وفيها التصريح بالنقصان ولذلك نقل ذلك أكثر أصحابه وكذلك الأئمة نقلوا قوله بالزيادة والنقصان ولم يحكوا عنه خلافه.

مجالات الزيادة والنقصان

عرفنا أن الإيمان: قول وعمل، وأن القول **يشمل قول القلب واللسان**، وأن العمل يشمل عمل القلب والجوارح فهل التفاضل يكون بعمل الجوارح فقط؟ أم بعمل القلب فقط؟ أم أن التصديق والمعرفة يشملها التفاضل أيضاً؟ وإذا كان كذلك فكيف تكون الزيادة والنقصان في التصديق والمعرفة؟ وللجواب على ذلك نقول ابتداء: إن الكلام عن زيادة الإيمان ونقصانه فرع عن القول في الطاعات وأنها إيمان(١)فمن لا يدخل الطاعات في الإيمان، لا يقول بالزيادة والنقصان، لأن الإيمان عندهم واحد لا يتبعض ولا يتفاضل(٢)

(١) راجع الجامع لشعب الإيمان ١/١٥٩

(٢) سيأتي بيان ذلك عند مناقشة الفرق في مفهوم الإيمان." [1]

"أما من يدخل العمل في الإيمان – وهم أهل السنة – فيتفقون على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ويزيد بذكر الله عز وجل وينقص بالغفلة ونسيان ذكر الله عز وجل لكن قد يفهم البعض من ذلك أن السلف يقصرون مجال التفاضل على عمل الجوارح وقول اللسان، والحقيقة خلاف ذلك، فقول السلف إن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، لا يقصدون بالطاعة عمل الجوارح وقول اللسان فقط بل عمل القلب من الطاعة، فالحـ–ـب في الله والبغض في الله وحب الأنصار، وأن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، والخوف، والرجاء، والتوكل.. الخ كل ذلك من الطاعات وهو من الإيمان كما سبق، ومن ثم يتفاوت الناس فيه، والأمر في هذا بين، فهل يمكن أن يقال إن الناس متساوون في حبهم وبغضهم وخوفهم ورجائهم؟ كذلك أيضاً يقولون إن الإيمان ينقص بالحسد والكبر والعجب إلخ مما ينافي عمل القلب الواجب أيضاً التصديق والمعرفة والعلم (أي قول القلب) تشمله الزيادة والنقصان وهو من الطاعات(١).

يقول ابن رجب رحمه الله (... التصديق القائم بالقلوب يتفاضل، وهذا هو الصحيح.. فإن إيمان الصديقين الذي يتجلى الغيب لقلوبهم حتى يصير كأنه شهادة بحيث لا يقبل التشكيك والارتياب ليس كإيمان غيرهم ممن لا يبلغ هذه الدرجة بحيث لو شككك لدخله الشك.....)(٢).

(١) من المعلوم قطعاً أن طلب العلم مطلوب شرعاً، والعلم المفصل وكذلك العلم الذي يصحبه عمل أكمل وأتم وأفضل .

(٢) جامع العلوم والحكم ٢٨، وراجع المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ١/٥٥." [2]

(١) نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/٩١

(٢) نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، ص/٩٢

"ص –٣٥– ... قوله: " من شهد أن لا إله إلا الله " أي من تكلم بها عارفا لمعناها، عاملا بمقتضاها، باطنا وظاهرا، فلا بد في الشهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولها؛ كما قال الله تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾١، وقوله: ﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾٢. أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه: من البراءة من الشرك، وإخلاص القول **والعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح فغير نافع بالإجماع٣.." (١)

"ص –٩٢– ... وفيه: أمر الإمام عماله بالرفق من غير ضعف ولا انتقاض عزيمة؛ كما يشير إليه قوله: " ثم ادعهم الى الإسلام "١ أي الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإن شئت قلت الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وما اقتضته الشهادتان من إخلاص العبادة لله وحده، وإخلاص الطاعة لرسوله صلي الله عليه وسلم. ومن هنا طابق الحديث الترجمة كما قال تعالى لنبيه ورسوله: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾٢.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: والإسلام هو الاستسلام لله، وهو الخضوع له والعبودية له. كذا قال أهل اللغة.

وقال – رحمه الله تعالى –: ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله: هو الاستسلام له وحده، فأصله في القلب. والخضوع له وحده بعبادته وحده دون ما سواه. فمن عبده وعبد معه إلها آخر لم يكن مسلما، ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلما، وفي الأصل: هو من باب العمل، عمل القلب والجوارح. وأما الإيمان فأصله تصديق القلب وإقراره ومعرفته، فهو من **باب قول القلب المتضمن** عمل القلب. انتهى.

فتبين أن أصل الإسلام هو التوحيد ونفي الشرك في العبادة وهو دعوة جميع المرسلين، وهو الاستسلام لله تعالى بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة فيما أمرهم به على ألسن رسله؛ كما قال تعالى عن نوح أول رسول أرسله ﴿أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون﴾٣.

وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه،

وفيه: مشروعية الدعوة قبل القتال، لكن إن كانوا قد بلغتهم الدعوة جاز قتالهم ابتداء؛ لأن النبي صلي الله عليه وسلم أغار على بني المصطلق وهم غارون٤. وإن كانوا لم تبلغهم الدعوة." (٢)

"العالمين، فسحقا لهذا الجاهل المفتري، وبعدا لكل ضال غوي.

ص –٢١٥–

ومن تأمل كلام الشيخ وسياقه عرف مقصوده، وأن الكلام فيمن كفر العصاة وأهل الكبائر، وذكر نزاع الناس في ذلك ثم قال: وأما السلف والأئمة فاتفقوا على أن الإيمان قول وعمل، فيدخل في **القول: قول القلب واللسان**، وفي العمل: عمل القلب والأركان.

---

(١) موسوعة توحيد رب العبيد، ٦٤/٦

(٢) موسوعة توحيد رب العبيد، ١٧٣/٦

قال: وقال المنتصرون لمذهبهم : إن للإيمان أصولا وفروعا، وهو مشتمل على أركان وواجبات ومستحبات، بمنزلة اسم الحج والصلاة؛ فإن اسم الحج يتناول كل ما يشرع فيه من فعل وترك، مثل الإحرام وترك محظوراته، والوقوف بعرفة ومزدلفة ومنى، والطواف والسعي. ثم الحج مع هذا مشتمل على أركان، متى تركت لم يصح الحج، كالوقوف بعرفة، وعلى ترك محظور متى فعله فسد حجه، وهو الوطء . ومشتمل على واجبات، من فعل وترك، يأثم بتركها عمدا، ويجب لتركها لعذر أوغيره الجبران بدم، كالإحرام من المواقيت، والجمع بين الليل والنهار بعرفة، وكرمي الجمار ونحو ذلك. ومشتمل على مستحبات من فعل وترك يكمل الحج بها، ولا يأثم بتركها، ولا توجب دما، مثل رفع الصوت بالإهلال والإكثار منه، وسوق الهدى، وذكر الله في تلك المواضع، وقلة الكلام إلا في أمر ونهي. فمن فعل ذلك الواجب، وترك المحظور، فقد تم حجه وعمرته، وهو مقتصد من أصحاب اليمين في هذا العمل .

لكن من أتى بالمستحب فهو أكمل وأتم حجا وعملا، وهو سابق مقرب، ومن ترك المأمور، وفعل المحظور، لكنه أتى بأركانه، وترك مفسداته فحجه ناقص، يثاب على ما فعله من الحج، ويعاقب على ما تركه، وقد سقط عنه أصل الفرض. . إلى أن قال .: فمسألة تكفير أهل والأهواء والبدع متفرعة على هذا الأصل . . ثم ذكر مذاهب الأئمة في ذلك وذكر تكفير الإمام أحمد للجهمية، وذكر كلام السلف في تكفيرهم وإخراجهم من الثلاث والسبعين فرقة، وغلظ القول فيهم، وذكر الروايتين في تكفير من لم يكفرهم، وذكر أصول هذه الفرق، هم: الخوارج، والشيعة،." (١)

"" لقد بين النبي صلى الله عليه وسلم المراد بلفظ الإيمان وما يضاده بيانا لا يحتاج معه إلى الاستدلال على ذلك بالاشتقاق وشواهد استعمال العرب ونحو ذلك، فلهذا يجب الرجوع في مسميات هذه الأسماء إلى بيان الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فإنه شاف كاف، بل معاني هذه الأسماء معلومة من حيث الجملة

ـــ ص (١٥)

للخاصة والعامة، بل كل من تأمل ما يقوله الخوارج(١) والمرجئة(٢) في معنى الإيمان، علم بالاضطرار أنه مخالف للرسول...(٣)"

فالإيمان من الأحكام المتلقاة عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وليس ذلك مما يحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم.

...وقد عرف أهل السنة الإيمان بأنه قول **وعمل: قول القلب وقول** اللسان وعمل القلب وعمل الجوارح، وقد حكى غير واحد منهم الإجماع على ذلك كابن عبد البر(٤) في التمهيد(٥)، ولقد تلقى أهل السنة هذا التعريف بالقبول والتسليم، اتباعا للنصوص القرآنية، والأحاديث النبوية الصحيحة الدالة على أن الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح

فمن الأدلة على أن الإيمان تصديق بالقلب:

قوله تعالى: ﴿ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ [الحجرات، آية ١٤]

وقوله تعالى: ﴿كتب في قلوبهم الإيمان﴾ [المجادلة، آية ٢٢]

ـــ ص (١٦)

---

(١) منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس، ١٥/٣

وقوله تعالى ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾ [المائدة، آية ٤١]

ومن الأدلة على أن الإيمان إقرار باللسان:

قوله تعالى ﴿قولوا آمنا بالله ومآ أنزل إلينا﴾ [البقرة، آية ١٣٦]

وقوله تعالى ﴿وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم﴾ [العنكبوت، آية ٤٦]." (١)

"____ ص (١٨)

وعرف القاضي أبو يعلى(١١) – رحمه الله –. الإيمان فقال: " وأما حد الإيمان في الشرع فهو جميع الطاعات الباطنة والظاهرة، والباطنة أعمال القلب، وهو تصديق القلب، والظاهرة هي أفعال البدن الواجبات والمندوبات(١٢) "

وقال قوام السنة إسماعيل الأصبهاني(١٣)ــ رحمه الله ــ: " الإيمان في الشرع عبارة عن جميع الطاعات الظاهرة والباطنة(١) "

وعلى كل فأقوال السلف في مثل هذا المعنى كثيرة جدا، يصعب حصرها في هذا المبحث القصير(٢).

٢ – تنوعت عبارات السلف الصالح في تعريف الإيمان، فتارة يقولون: هو قول وعمل، وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية، وتارة يقولون: قول وعمل ونية واتباع السنة

وكل هذا صحيح، فليس بين هذا العبارات اختلاف معنوي، كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية قائلا: ــ " إذا قالوا: قول وعمل فإنه يدخل في القول قول

____ ص (١٩)

...القلب واللسان جميعا، وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام، ونحو ذلك إذا أطلق فإن القول المطلق، والعمل المطلق في كلام السلف **يتناول قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح، فقول باللسان بدون اعتقاد القلب هو قول المنافقين، وهذا لا يسمى قولا إلا بالتقييد "كقوله تعالى ﴿يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم﴾ [الفتح، آية ١١] وكذلك عمل الجوارح بدون أعمال القلوب، هي من أعمال المنافقين، التي لا يتقبلها الله، فقول السلف يتضمن القول والعمل الباطن والظاهر.." (٢)

"...ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك، فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك، ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوبا لله إلا باتباع السنة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل، إنما أرادوا ما كان مشروعا من الأقوال والأعمال، ولكن كان مقصودهم الرد على " المرجئة " الذين جعلوه قولا فقط. فقالوا: بل هو قول وعمل، والذين جعلوه " أربعة أقسام " فسروا مرادهم، كما سئل سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان ما هو؟ فقال: ــ

---

(١) نواقض الإيمان القولية والعملية، ١/١٠

(٢) نواقض الإيمان القولية والعملية، ١/١٢

قول وعمل ونية وسنة، لأن الإيمان إذا كان قولا بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق وإذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة(٣) "

٣ــ في هذه المسألة سنورد كلام بعض السلف الصالح في توضيح تعريف الإيمان عندهم، وبيان غلط المخالفين في هذا الباب، وسنسوق هذا التوضيح الموجز على النحو التالي: ــ

(أ) يتضمن تعريف **الإيمان: قول القلب وعمله**، **فأما قول القلب فهو** الاعتقاد والتصديق، فلابد من تصديق الرسل عليهم الصلاة والسلام فيما أخبروا به، " فإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها، وكونها نافعة(٤) "

ـــ ص (٢٠)

كما يتضمن الإيمان: عمل القلب مثل: الإخلاص، والحب، والخوف، والرجاء، والتعظيم، والإنقياد، والتوكل، وغيرها من أعمال القلوب...(٥)

" وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق، فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب.(١) "

وسأورد بعض النقول المختارة في هذه المسألة.." [١]

"يقول ابن تيمية رحمه الله: ــ " إن الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب، ولابد فيه من شيئين: تصديق بالقلب وإقراره ومعرفته، ويقال لهذا قول القلب، قال الجنيد بن محمد: التوحيد قول القلب، والتوكل عمل القلب، فلابد فيه **من قول القلب وعمله**، ثم قول البدن وعمله، ولابد فيه من عمل القلب مثل حب الله ورسوله، وخشية الله، وحب ما يحبه الله ورسوله، وبغض ما يبغضه الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده، وتوكل القلب على الله وحده، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله، وجعلها من الإيمان.(٢) "

ويقول أيضا: " إن معرفة الشيء المحبوب تقتضي حبه، ومعرفة المعظم تقتضي تعظيمه، ومعرفة المخوف تقتضي خوفه، فنفس العلم والتصديق بالله، وماله من الأسماء الحسنى والصفات العلى، يوجب محبة القلب له، وتعظيمه وخشيته، وذلك يوجب إرادة طاعته وكراهية معصيته، والإرادة الجازمة مع القدرة تستلزم وجود المراد، ووجود المقدور عليه منه.(٣) "

ويؤكد في موضع ثالث على أهمية أعمال القلوب، ذاكرا أنها " من أصول الإيمان، وقواعد الدين مثل محبة الله ورسوله، والتوكل على الله، وإخلاص الدين لله، والشكر له، والصبر على حكمه، والخوف منه، والرجاء له...وهذه

ـــ ص (٢١)

الأعمال جميعها واجبة على جميع الخلق باتفاق أئمة الدين.(٤) "

---

(١) نواقض الإيمان القولية والعملية، ١٣/١

ويقول أيضا: " وفي الجملة فلابد في الإيمان الذي في القلب من تصديق بالله ورسوله، وحب الله ورسوله، وإلا فمجرد التصديق مع البغض لله ورسوله، ومعاداة الله ورسوله ليس إيمانا باتفاق المسلمين.(٥) "." (١)

"أ ــ عظم قول اللسان، وعمل الجوارح، وأهميتهما ووجود التلازم بينهما **وبين قول القلب وعمله**.

ب ــ غلط الجهمية الذين زعموا أن الإيمان مجرد معرفة قلبية بالله تعالى وإن لم يكن هناك قول ولا عمل، وقد رد أبو عبيد القاسم بن سلام هذا القول، ووصفه بأنه " منسلخ من قول أهل الملل الحنفية، لمعارضته لكلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بالرد والتكذيب.. ثم قال ــ ولو كان أمر الله ودينه على ما يقول هؤلاء ما عرف الإسلام من الجاهلية، ولا فرقت الملل بعضها من بعض، إذ كان يرضى منهم بالدعوى في قلوبهم، غير إظهار الإقرار بما جاءت به النبوة...(٢) "

جـ- غلط الماتريدية(٣) الذين ادعوا أن قول اللسان ركن زائد، ليس بأصلي، وإنما هو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية، حتى قالوا: ــ " ومن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه، فهو كافر عندنا، وعند الله تعالى مؤمن من أهل الجنة (٤)"

د – غلط عموم المرجئة الذين أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان، حتى قال قائلهم: " من حصل له حقيقة التصديق، فسواء أتى بالطاعات، أو ارتكب المعاصي، فتصديقه باق على حاله، ولا تغير فيه أصلا(٥) " حيث أن هؤلاء المرجئة لم يفرقوا بين جنس العمل ــ والذي يعد شرطا في صحة الإيمان عند أهل السنة ــ وبين آحاد العمل وأفراده والذي يعد تاركه غير مستكمل للإيمان، وسيأتي توضيحه في موضعه إن شاء الله.

ــص (٢٨)

وقال الفضيل بن عياض ــ رحمه الله ــ: ((ميز أهل البدع العمل من الإيمان، وقالوا: إن فرائض الله ليس من الإيمان، ومن قال ذلك فقد أعظم الفرية، أخاف أن يكون جاحدا للفرائض رادا على الله عز وجل أمره(٦)))

...وكما يقول القاضي أبو يعلى في الرد على هؤلاء المرجئة.." (٢)

"٧ ــ إذا كان الإيمان قولا وعملا، فكذا الكفر يكون قولا وعملا، فهو ــ أي الكفر **ــ قول القلب** (التكذيب)، كما أنه أعمال قلبية ــ كالبغض ــ تناقض الإيمان، وهو قول باللسان، كما أنه أعمال ظاهرة بالجوارح تنقل عن الملة.

...و لمزيد من التفصيل لهذا التعريف نقول: إن الكفر قد يكون تكذيبا في القلب، وهذا الكفر قليل في الكفار ــ كما يقول ابن القيم(٥) ــ؛ لأن الله تعالى أيد رسله، وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم ما أقام به الحجة، وأزال به المعذرة

وقد يكون الكفر قولا باللسان، وإن كان القلب مصدقا، أو غير معتقد بهذا الكفر القولي، يقول أبو ثور ــ وقد سبق إيراد قوله بتمامه: ــ

ــ ص (٤٠)

ولو قال / المسيح هو الله، وجحد أمر الإسلام، وقال: لم يعتقد قلبي على شيء من ذلك أنه كافر بإظهار ذلك، وليس

---

(١) نواقض الإيمان القولية والعملية، ١٤/١

(٢) نواقض الإيمان القولية والعملية، ٢٠/١

بمؤمن(٦).

...ويقول ابن حزم: ــ

" ومما يتبين أن الكفر يكون بالكلام، قول الله ــ عز وجل ــ ﴿ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا ﴿٣٥﴾ وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا ﴿٣٦﴾ قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا﴾ إلى قوله ﴿يا ليتني لم أشرك بربي أحدا﴾ [الكهف الآيات، ٣٥ ــ ٤٢]، فأثبت الله الشرك والكفر مع إقراره بربه تعالى، إذ شك في البعث.(٧) "." (١)

"(أ) أن سب الله عز وجل يناقض الإيمان، فالسب أذى قولي **يناقض قول القلب** (التصديق)، وعمله من محبة الله وإجلاله وتعظيمه، كما أنه يناقض الإيمان الظاهر باللسان؛ لأن الإيمان يتضمن تصديقا لله عز وجل، وانقيادا وخضوعا له تعالى، وأما السب فكما يقول ابن تيمية: ــ " فهو إهانة واستخفاف، والانقياد للأمر إكرام وإعزاز، ومحال أن يهين القلب من قد انقاد له وخضع، واستسلم، أو يستخف به، فإذا حصل في القلب استخفاف واستهانة، امتنع أن يكون فيه انقياد أو استسلام، فلا يكون فيه إيمان، وهذا بعينه كفر إبليس، فإنه سمع أمر الله فلم يكذب رسولا، ولكن لم ينقد للأمر.(٧) "
ويقول ابن تيمية: ــ إن التصديق بالقلب يمنع إرادة التكلم وإرادة فعل فيه استهانة واستخفاف، كما أنه يوجب المحبة والتعظيم، واقتضاؤه وجود هذا، وعدم هذا، أمر جرت به سنن الله في مخلوقاته، كاقتضاء إدراك الموافق للذة وإدراك المخالف للألم، فإذا عدم المعلول كان مستلزما لعدم العلة، وإذا وجد الضد، كان مستلزما لعدم الضد الآخر، فالكلام والفعل المتضمن للاستخفاف والاستهانة مستلزم لعدم التصديق النافع، ولعدم الانقياد والاستسلام، فلذلك

ــ ص (١٠٩)

كان كفرا (١) "

(ب) أن الله تعالى قال: ــ ﴿يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤوا إن الله مخرج ما تحذرون ﴿٦٤﴾ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون ﴿٦٥﴾ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طآئفة منكم نعذب طآئفة بأنهم كانوا مجرمين﴾[التوبة، الآيات ٦٤ ــ ٦٦]..." (٢)

"ويقول ابن تيمية عن قوله تعالى:- ﴿قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون ﴿٦٥﴾ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ وهذا نص في أن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر ...(٢) "

(ب) إن الإيمان بالكتب المنزلة يتضمن الإقرار بها وتصديقها، ولا شك أن إنكارها يناقض هذا الإقرار والتصديق، فإنكار الكتب المنزلة **يناقض قول القلب وهو** التصديق، كما يناقض قول اللسان وهو الإقرار.

والإيمان بالكتب المنزلة يتضمن أيضا وجوب تعظيمها وإجلالها وإكرامها، وإن الاستهزاء بها لا يجتمع مع هذا التعظيم والإجلال، فهو مناقض لعمل القلب، كما أنه يناقض الإيمان الظاهر باللسان.

---

(١) نواقض الإيمان القولية والعملية، ٣٠/١

(٢) نواقض الإيمان القولية والعملية، ٨٩/١

(ج) إن إنكار الكتب السماوية يتضمن إنكارا لصفة الكلام الإلهي، ونفي هذه الصفة من الإلحاد في أسماء الله تعالى، وسوء الظن بالله تعالى، وعدم قدر الله تعالى حق قدره.(١)

صـ٢٠٢

كما أن هذا الإنكار طعن في الرسل عليهم السلام وتنقص لهم، قد سبق بيان أن الطعن في الرسل عليهم السلام وسبهم من نواقض الإيمان.(٢)

كما أن هذا الإنكار والاستهزاء هو إنكار واستهزاء بشرائع الدين وأحكامه الإلهية المتلقاة من هذا الوحي، والاستهزاء بالدين كفر (٣)؛ لأن أصل الدين قائم على التعظيم (٤).

(د) روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " المراء في القرآن كفر (٥) " ومما قاله الخطابي في بيان هذا الحديث:- " اختلف الناس في تأويله. فقال بعضهم: معنى المراء هنا: الشك فيه، كقوله تعالى ﴿فلا تك في مرية منه﴾ [هود، آية ١٧] أي في شك، ويقال: بل المراء هو الجدال المشكك فيه.." [(١)]

"نواقض الإيمان القولية والعملية

تأليف

د. عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف

صـ٢٦١ الباب الثاني

نواقض الإيمان العملية

صـ٢٦٢

سيكون الحديث في هذا الباب عن الأعمال التي تناقض الإيمان، ولا تجامعه، وقد سبق - في تمهيد هذا البحث - تقرير أن الإيمان قول وعمل، وأن الكفر كذلك، فكما أن الإيمان ليس تصديقا فحسب، بل هو قول **وعمل، قول القلب وعمله**، وقول اللسان وعمل الجوارح، فكذلك الكفر ليس هو التكذيب فقط - كما ظن المرجئة -، كما دلت على ذلك النصوص، مثل قوله تعالى:- ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين﴾ [النور، آية ٤٧] فحكم الله تعالى عليهم بالكفر ونفى الإيمان، بسبب توليهم وامتناعهم عن الطاعة، وقال سبحانه: - ﴿فلا صدق ولا صلى ﴿٣١﴾ ولكن كذب وتولى﴾ [القيامة، آية ٣١، ٣٢] فهذه الآية الكريمة تبين أن التولي غير التكذيب، فإن التكذيب ضده التصديق، وأما التولي فضد الطاعة والامتثال، فالكفر قد يكون اعتقادا، وقد يكون قولا باللسان، وقد يكون عملا ظاهرا كالسجود للصنم وامتهان المصحف ونحوهما، فهذه الأعمال نواقض للإيمان؛ لأنها واقعة فيما يظهر عن طريق الجوارح، مع أن هذه الأعمال الظاهرة مناقضة لما في القلب من الأعمال الإيمانية كالانقياد والمحبة والتعظيم ونحوها.

صـ٢٦٣

---

(١) نواقض الإيمان القولية والعملية، ١٧٣/١

الفصل الأول

نواقض الإيمان العملية في التوحيد

المبحث الأول:: الشرك في العبادة

١- سبق الحديث بإيجاز عن معنى توحيد العبادة وأهميته، كما مر بنا الحديث عن حد الشرك في توحيد العبادة وضابطه، وعرفنا أن الشرك الأكبر هو أن يصرف العبد نوعا أو فردا من العبادة لغير الله تعالى.(١)." (١)

"٣- إذا كان الإيمان قولا **وعملا، قول القلب وعمله**، وقول اللسان وعمل الجوارح، فهذا النواقض إما أنها **تضاد قول القلب أو** عمله، أو تضاد قول اللسان أو عمل الجوارح. وحيث إن الإيمان تصديق وإقرار، وانقياد والتزام بطاعة الله تعالى ظاهرا وباطنا، فالكفر عدم الإيمان وهو تكذيب وجحود، وإباء واستكبار، وامتناع وإعراض.

٤- ضرورة مراعاة ضوابط التكفير، وعوارض الأهلية والتي سبق الاشارة إلى بعضها، فإن الاعتناء بمثل ذلك يوجب توسطا واعتدالا بين الإفراط والتفريط.

٥- الاعتناء بالتفصيل والتوضيح عند دراسة تلك النواقض، وتحقيق حدودها وتعريفاتها شرعا ولغة وعرفا، والحذر من الإجمال والإطلاق.

٦- تضمن هذا البحث جملة من نواقض الإيمان، كان من أهمها: الشرك في العبادة، فتحدثت - ابتداء - عن وجوب إفراد الله تعالى بالعبادة وحدة لا شريك له، ثم ذكرت حقيقة الشرك في العبادة، سواء كانت العبادة قولية أو عملية، ووضحت الفرق بين تلك المظاهر الشركية وما دونها من المعاصي،

ص٥٢٥

كالفرق - مثلا - بين السجود الشركي وسجود التحية، والفرق بين النذر الشركي، ونذر المعصية....، ثم أوردت عدة اعتبارات في كون تلك الممارسات ناقضا من نواقض الإيمان.

٧- ظهر من خلال عرض مسألة الحكم بغير ما أنزل الله، أهمية وضرورة التحاكم إلى شرع الله تعالى وحده، وعظم منزلته من الدين، ثم ذكرت جملة من الحالات التي يكون فيها الحاكم بغير ما أنزل الله تعالى خراجا عن الملة، كمن جحد حكم الله تعالى، أو فضل حكم الطاغوت على حكم الله تعالى، أو ساوى بينهما، أو جوز الحكم بما يخالف شرع الله تعالى، أو لم يحكم بما أنزل الله إباء وامتناعا. وأما المحكوم فإن كفره متعلق بقبوله لغير شريعة الله تعالى، ورضاه بها.." (٢)

" فصل

والإيمان قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح مطابقا للكتاب والسنة والنية لقوله إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى

---

(١) نواقض الإيمان القولية والعملية، ١/٢

(٢) نواقض الإيمان القولية والعملية، ٢٤٣/٢

والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية قال الله تعالى فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وقال تعالى ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم وقال تعالى ويزداد الذين أمنوا إيمانا وفي الحديث الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق فجعل القول والعمل جميعا من الإيمان ومع ذلك لا يكفر أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما قالت الخوارج بل الأخوة الإيمانية باقية مع المعاصي كما قال تعالى في آية القصاص فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء بإحسان وقال تعالى وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل ." (١)

"ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح . وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي . كما قال سبحانه في آية القصاص : ﴿ فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف ﴾ [الآية (١٧٨) من سورة البقرة] . وقال : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ﴾ الآيتان (٩، ١٠) من سورة الحجرات . ولا يسلبون الفاسق الملي الإسلام بالكلية . ولا يخلدونه في النار كما تقوله المعتزلة . بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالى : ﴿ فتحرير رقبة مؤمنة ﴾ الآية (٩٢) من سورة النساء . وقد لا دخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) الآية (٢) من سورة الأنفال . وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن) [رواه البخاري (٢٤٧٥) ومسلم (٥٧) عن أبي هريرة] . ونقول هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم .

الشرح :." (٢)

"قوله : (ومن أصول أهل السنة والجماعة) أي : القواعد التي بنيت عليها عقيدتهم (أن الدين) هو لغة : الذل والانقياد . وشرعا : هو ما أمر الله به (والإيمان) لغة : التصديق (١) ، وشرعا : هو ما ذكره الشيخ بقوله : (قول وعمل : قول القلب واللسان . وعمل القلب واللسان والجوارح) هذا هو تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة : أنه قول وعمل . فالقول قسمان : قول القلب وهو الاعتقاد، وقول اللسان هو التكلم بكلمة الإسلام . والعمل قسان : عمل القلب وهو نية وإخلاص . وعمل الجوارح ـ أي : الأعضاء ـ كالصلاة والحج والجهاد .

والفرق بين أقوال القلب وأعماله : أن أقواله هي العقائد التي يعتبر فها ويعتقدها، وأما أعمال القلب فهي حركته التي يحبها

---

(١) قطف الثمر، ص/٨٠

(٢) كتب العقيدة، ١٣٤/٢١

الله ورسوله، وهي محبة الخير وإرادته الجازمة وكراهية الشر والعزم على تركه . وأعمال القلب تنشأ عنها أعمال الجوارح وأقوال اللسان . ومن ثم صارت أقوال اللسان وأعمال الجوارح من الإيمان .

أقوال الناس في تعريف الإيمان :

١ . عند أهل السنة والجماعة : أنه اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان .

٢ . عند المرجئة : أنه اعتقاد بالقلب ونطق باللسان فقط .

٣ . عند الكرامية : أنه نطق باللسان فقط .

٤ . عند الجبرية : أنه الاعتراف بالقلب أو مجرد المعرفة في القلب .

٥ . عند المعتزلة : أنه اعتقاد القلب ونطق اللسان وعمل الجوارح .

والفرق بينهم، أي : المعتزلة وبين أهل السنة أن مرتكب الكبيرة يسلب اسم الإيمان بالكلية ويخلد في النار عندهم، وعند أهل السنة لا يسلب الإيمان بالكلية بل هو مؤمن ناقص الإيمان ولا يخلد في النار إذا دخلها . والحق ما قاله أهل السنة والجماعة لأدلة كثيرة .." (١)

"ومنهم من يقول: إنه مجرد النطق.

ومنهم من يقول: إنه مجرد النطق والاعتقاد.

وكلهم مع اختلاف أقوالهم في الإيمان إلا أنهم متفقون على إخراج العمل

عن مسمى الإيمان .

ولما كان هذا هو معتقدهم حذر المؤلف من الأخذ بعقيدتهم فقال:

=ألا إنما المرجي بالدين يمزح+ وذلك لأن أهل الإرجاء يلعبون بالدين لعباً من جهة أن أصحاب المعاصي والذنوب إيمانهم كإيمان الأنبياء والمرسلين، وهذا في الحقيقة لعب بالشريعة.

من قال هذا؟ لا يقوله صاحب عقل على الإطلاق.

ولذلك ترى أهل الإرجاء شجعوا الناس على ترك الطاعات، وفعل المنكرات فكم من تارك للصلاة، وتارك للزكاة، وغيره من الطاعات بحجة أن الإيمان مجرد النطق فقط، وهذا كله ضلال مبين .

ومن هنا كان أهل السنة وسطاً بين الخوارج الذين جعلوا الأعمال شرطاً في الإيمان مَنْ تَرَكها كفر، وأن المعاصي تُذْهب الإيمان بالكلية، وبين المرجئة الذين قالوا بعدم دخول الأعمال في مسمى الإيمان، وأنه لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

فأهل السنة وسط بين هؤلاء وهؤلاء، فأهل السنة يقولون إن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان.

وقال ×:

الشرح :

---

(١) كتب العقيدة، ١٣٥/٢١

هنا بيّن × عقيدة أهل السنة والجماعة في مسألة الإيمان، وينصح السني باعتقادها، والتمسك بها، والدعوة إليها.

فيقول: =وقل إنما الإيمان قول ونية+: أي أيها السني قل إنما الإيمان =قول ونية وفعل على قول النبي مصرح+.

هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان وهي أربعة أشياء:

الأول: قول القلب، وهو تصديقه وإيقانه.

الثاني: قول اللسان، وهو النطق بالشهادتين، والإقرار بلوازمها.

الثالث: عمل القلب،وهو النية،والإخلاص،والمحبة،والانقياد، والإقبال على الله، والتوكل عليه، ولوازم ذلك وتوابعه.." (١)

"ص –٣٥– ... قوله: " من شهد أن لا إله إلا الله " أي من تكلم بها عارفا لمعناها، عاملا بمقتضاها، باطنا وظاهرا، فلا بد في الشهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولها؛ كما قال الله تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾١، وقوله: ﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾٢. أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه: من البراءة من الشرك، وإخلاص القول **والعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح فغير نافع بالإجماع٣.

---

١ سورة محمد آية : ١٩.

٢ سورة الزخرف آية : ٨٦.." (٢)

"ص –٩٢– ... وفيه: أمر الإمام عماله بالرفق من غير ضعف ولا انتقاض عزيمة؛ كما يشير إليه قوله: " ثم ادعهم الى الإسلام "١ أي الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإن شئت قلت الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وما اقتضته الشهادتان من إخلاص العبادة لله وحده، وإخلاص الطاعة لرسوله صلى الله عليه وسلم. ومن هنا طابق الحديث الترجمة كما قال تعالى لنبيه ورسوله: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾٢.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: والإسلام هو الاستسلام لله، وهو الخضوع له والعبودية له. كذا قال أهل اللغة.

وقال – رحمه الله تعالى –: ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله: هو الاستسلام له وحده، فأصله في القلب. والخضوع له وحده بعبادته وحده دون ما سواه. فمن عبده وعبد معه إلها آخر لم يكن مسلما، ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلما، وفي الأصل: هو من باب العمل، عمل القلب والجوارح. وأما الإيمان فأصله تصديق القلب وإقراره ومعرفته، فهو من **باب قول القلب المتضمن** عمل القلب. انتهى.

فتبين أن أصل الإسلام هو التوحيد ونفي الشرك في العبادة وهو دعوة جميع المرسلين، وهو الاستسلام لله تعالى بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة فيما أمرهم به على ألسن رسله؛ كما قال تعالى عن نوح أول رسول أرسله ﴿أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون﴾٣.

---

(١) فتح الودود بشرح منظومة ابن أبي داود المصححة، ص/٥٧

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ٦٣/١

وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه،

وفيه: مشروعية الدعوة قبل القتال، لكن إن كانوا قد بلغتهم الدعوة جاز قتالهم ابتداء؛ لأن النبي صلي الله عليه وسلم أغار على بني المصطلق وهم غارون٤. وإن كانوا لم تبلغهم الدعوة." (١)

" حديث عبادة من شهد أن لا إله إلا الله إلخ

وقوله ([عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل] أخرجاه)

عبادة بن الصامت بن قيس الأنصارى الخزرجى أبو الوليد أحد النقباء بدرى مشهور مات بالرملة سنة أربع وثلاثين وله اثنتان وسبعون سنة وقيل : عاش إلى خلافة معاوية رضى الله عنه

قوله (من شهد أن لا إله إلا الله) أى من تكلم بها عارفا لمعناها عاملا بمقتضاها باطنا وظاهرا فلابد فى الشهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولها كما قال الله تعالى : '٧ ٤ : ١٩' ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ وقوله '٤٣ : ٨٦' ﴿ إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ﴾ أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه : من البراءة من الشرك وإخلاص القول والعمل : **قول القلب واللسان** وعمل القلب والجوارح - فغير نافع بالإجماع

قال القرطبي فى المفهم على صحيح مسلم : باب لا يكفى مجرد التلفظ بالشهادتين بل لابد من استيقان القلب - هذه الترجمة تنبيه على فساد مذهب غلاة المرجئة القائلين بأن التلفظ بالشهادتين كاف فى الإيمان وأحاديث هذا الباب تدل على فساده بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها ولأنه يلزم منه تسويغ النفاق والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح وهو باطل قطعا ا هـ

وفى هذا الحديث ما يدل على هذا وهو قوله : من شهد فإن الشهادة لا تصح إلا إذا كانت عن علم ويقين وإخلاص وصدق

قال النووي : هذا حديث عظيم جليل الموقع وهو أجمع - أو من أجمع - الأحاديث المشتملة على العقائد فإنه صلى الله عليه و سلم جمع فيه ما يخرج من ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدها فاقتصر صلى الله عليه و سلم فى هذه الأحرف على ما يباين جميعهم ا هـ ." (٢)

" إعطاء على الراية يوم خيبر وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام

قال : (ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال يوم خيبر : [لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه و سلم كلهم يرجو أن يعطاها فقال : أين علي بن أبي طالب ؟ فقيل : هو يشتكي

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ١/١٧٠

(٢) فتح المجيد، ص/٣٦

عينيه قال فأرسلوا إليه فأتي به فبصق فى عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية قال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه فو الله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم])

يدوكون أي يخوضون

قوله : (عن سهل بن سعد) أي ابن مالك بن خالد الأنصارى الخزرجى الساعدى أبي العباس صحابي شهير وأبوه صحابي أيضا مات سنة ثمان وثمانين وقد جاوز المائة

قوله : (قال يوم خيبر) وفى ا لصحيحين عن سلمة بن الأكوع قال : [كان علي رضي الله عنه قد تخلف عن النبي صلى الله عليه و سلم فى خيبر وكان أرمد فقال : أنا أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فخرج علي رضى الله عنه فلحق بالنبى صلى الله عليه و سلم فلما كان مساء الليلة التى فتحها الله عز و جل فى صباحها قال صلى الله عليه و سلم : لأعطين الراية – أو ليأخذن الراية – غدا رجل يحبه الله ورسوله أو قال : يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه فإذا نحن بعلي وما نرجوه فقالوا : هذا علي فأعطاه رسول الله صلى الله عليه و سلم الراية ففتح الله عليه]

قوله : (لأعطين الراية) قال الحافظ : فى رواية بريدة : [إنى دافع اللواء إلى رجل يحبه الله ورسوله] وقد صرح جماعة من أهل اللغة بترادفها ولكن روى أحمد والترمذي من حديث ابن عباس [كانت راية رسول الله صلى الله عليه و سلم سوداء ولواؤه أبيض] ومثله عند الطبرانى عن بريدة وعن ابن عدي عن أبى هريرة وزاد مكتوب فيه : لا إله إلا الله محمد رسول الله

قوله : (يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) فيه فضيلة عظيمة لعلي رضى الله عنه

قال شيخ الإسلام : ليس هذا الوصف مختصا بعلي ولا بالأئمة فإن الله ورسوله يحب كل مؤمن تقي يحب الله ورسوله لكن هذا الحديث من أحسن ما يحتج به على النواصب الذين لا يتولونه أو يكفرونه أو يفسقونه كالخوارج لكن هذا الاحتجاج لا يتم على قول الرافضة الذين يجعلون النصوص الدالة على فضائل الصحابة كانت قبل ردتهم فإن الخوارج تقول في علي مثل ذلك ولكن هذا باطل فإن الله تعالى ورسوله لا يطلق مثل هذا المدح على من يعلم الله أنه يموت كافرا

وفيه إثبات صفة المحبة خلافا للجهمية ومن أخذ عنهم

قوله : (يفتح الله على يديه) صريح فى البشارة بحصول الفتح فهو علم من أعلام النبوة

قوله : (فبات الناس يدوكون ليلتهم) بنصب (ليلتهم) و يدوكون قال المصنف : يخوضون أي فيمن يدفعها إليه وفيه حرص الصحابة على الخير واهتمامهم به وعلو مرتبتهم فى العلم والإيمان

قوله : (أيهم) هو برفع أي على البناء لإضافتها وحذف صدر صلتها

قوله : (فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه و سلم كلهم يرجو أن يعطاها) وفى رواية أبي هريرة عند مسلم أن عمر قال : [ما أحببت الإمارة إلا يومئذ]

قال شيخ الإسلام : إن فى ذلك شهادة النبى صلى الله عليه و سلم لعلي بإيمانه باطنا وظاهرا وإثباتا لموالاته لله تعالى ورسوله ووجوب موالاة المؤمنين له وإذا شهد النبى صلى الله عليه و سلم لمعين بشهادة أو دعا له أحب كثير من الناس

أن يكون له مثل تلك الشهادة ومثل ذلك الدعاء وإن كان النبى يشهد بذلك لخلق كثير ويدعو لخلق كثير وهذا كالشهادة بالجنة لثابت بن قيس

وعبد الله بن سلام وإن كان شهد بالجنة لآخرين والشهادة بمحبة الله ورسوله للذي ضرب فى الخمر

قوله : (فقال أين علي بن أبى طالب) فيه سؤال الإمام عن رعيته وتفقد أحوالهم

قوله : (فقيل هو يشتكي عينيه) أي من الرمد كما فى صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص فقال : ادعوا لي عليا فأتي به أرمد الحديث وفى نسخة صحيحة بخط المصنف : فقيل هو يشتكي عينيه فأرسل إليه مبني للفاعل وهو ضمير مستتر في الفعل راجع إلى النبى صلى الله عليه و سلم ويحتمل أن يكون مبينا لما لم يسم فاعله ولمسلم من طريق إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال : فأرسلنى إلى علي فجئت به أقوده أرمد

قوله : (فبصق) بفتح الصاد أي تفل

وقوله (ودعا له فبرأ) هو بفتح الراء والهمزة أي عوفي في الحال عافية كاملة كأن لم يكن به وجع من رمد ولا ضعف بصر

وعند الطبراني من حديث علي فما رمدت ولا صدعت منذ دفع النبي صلى الله عليه و سلم إلي الراية وفيه دليل على الشهادتين

قوله (فأعطاه الراية) قال المصنف : فيه الإيمان بالقدر لحصولها لمن لم يسع ومنعها عمن سعى

وفيه إن فعل الأسباب المباحة أو الواجبة أو المستحبة لا ينافي التوكل

قوله (وقال انفذ على رسلك) بضم الفاء اي امض ورسلك بكسر الراء وسكون السين أي على رفقك من غير عجلة وساحتهم فناء أرضهم وهو ما حولها

وفيه : الأدب عند القتال وترك العجلة والطيش والأصوات التى لا حاجة إليها

وفيه : أمر الإمام عماله بالرفق من غير ضعف ولا انتقاض عزيمة كما يشير إليه قوله ثم ادعهم إلى الإسلام أي الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإن شئت قلت الإسلام : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وما اقتضته الشهادتان من إخلاص العبادة لله وحده وإخلاص الطاعة لرسوله صلى الله عليه و سلم ومن هنا طابق الحديث الترجمة كما قال تعالى لنبيه ورسوله : '٣ : ٦٤' ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾

قال شيخ الإسلام رحمه الله : والإسلام هو الاستسلام لله وهو الخضوع له والعبودية له كذا قال أهل اللغة

وقال رحمه الله تعالى : ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله : هو الاستسلام له وحده فأصله فى القلب والخضوع له وحده بعبادته وحده دون ما سواه فمن عبده وعبد معه إلها آخر لم يكن مسلما ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلما وفى الأصل : هو من باب العمل عمل القلب والجوارح وأما الإيمان فأصله تصديق القلب وإقراره ومعرفته فهو من **باب قول القلب المتضمن** عمل القلب انتهى

فتبين أن أصل الإسلام هو التوحيد ونفي الشرك فى العبادة وهو دعوة جميع المرسلين وهو الاستسلام لله تعالى بالتوحيد والانقياد له بالطاعة فيما أمرهم به على ألسن رسله كما قال تعالى عن نوح أول رسول أرسله : '٧١ : ٣' ﴿ أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون ﴾

وفيه : مشروعية الدعوة قبل القتال لكن إن كانوا قد بلغتهم الدعوة جاز قتالهم ابتداء لأن النبى صلى الله عليه و سلم أغار على بنى المصطلق وهم غارون وإن كانوا لم تبلغهم الدعوة وجبت دعوتهم

قوله وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه أي في الإسلام إذا أجابوك إليه فأخبرهم بما يجب من حقوقه التى لابد لهم من فعلها : كالصلاة والزكاة كما فى حديث أبى هريرة : [فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها] ولما قال عمر لأبي بكر فى قتاله مانعي الزكاة : [كيف تقاتل النساء وقد قال رسول الله صلى اله عليه وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها قال أبو بكر : فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم لقاتلتهم على منعها]

وفيه : بعث الإمام الدعاة إلى الله تعالى كما كان النبي صلى الله عليه و سلم وخلفائه الراشدون يفعلون كما فى المسند عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال فى خطبته : [ألا إني والله ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسننكم] ." (١)

"فالعبادة باعتبارها مصدراً تعني التعبد ، وهو فعل العابد (١) وتعريفها " التذلل لله محبة وتعظيماً بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه " (٢) اهـ

وأما باعتباره اسماً فهي تعني : المتعبد به (٣) وتعريفها : " اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة " (٤) .

ومن التعريف المذكور في معنى العبادة باعتبارها اسماً يتضح أن للعبادة أربع مراتب وهي : **قول القلب**، وقول اللسان ، وعمل القلب ، وعمل الجوارح وهذا معنى قوله : " من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة " وقد فصل ابن القيم هذه المراتب فقال :

" **قول القلب** : هو اعتقاد ما أخبر الله سبحانه به عن نفسه وعن أسمائه وصفاته وأفعاله ، وملائكته ولقائه على لسان رسله .

وقول اللسان : الإخبار عنه بذلك والدعوة إليه والذب عنه وتبيين بطلان البدع المخالفة له ، والقيام بذكره وتبليغ أوامره .

وعمل القلب : كالمحبة له والتوكل عليه والإنابة إليه والخوف منه والرجاء له ، وإخلاص الدين له ، والصبر على أوامره ونواهيه وعلى أقداره والرضى به عنه ، والموالاة فيه والمعاداة فيه ، والذل له ، والخضوع ، والإخبات إليه والطمأنينة به ، وغير ذلك من أعمال القلوب ، التي فرضها من أعمال الجوارح ومستحبها أحب إلى الله من مستحبها ، وعمل الجوارح بدونها إما عديم المنفعة أو قليل المنفعة .

---

(١) فتح المجيد، ص/٨٥

وأعمال الجوارح : كالصلاة والجهاد ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات ، ومساعدة العاجز والإحسان على الخلق ، ونحو ذلك " (٥) اهـ

فظهر من هذا أن جميع أمور الديانة من الاعتقادات والإرادات والأقوال والأعمال داخلة في مسمى العبادة .

ولما جهل كثير من المتأخرين حقيقة العبادة على الوجه المذكور أعلاه كان من الأفضل زيادة البيان لبعض أنواع العبادة بذكر أمثلة لها – خاصة المتنازع فيها – مع نقل أقوال الأئمة الأعلام وبيانهم أنها من العبادة وأن صرفها لغير الله لا يجوز .." [١]

"بعد أن تحدث عن الإيمان بذلك كله قال :

" ومن أصول أهل السنة والجماعة : أن الدين والإيمان قول وعمل ؛ **قول القلب واللسان** ، وعمل القلب واللسان والجوارح ، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

ومع ذلك لا يكفِّرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر ، كما يفعله الخوارج ، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي ، كما قال سبحانه وتعالى في آية القصاص :

﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة : ١٧٨] .

وقال : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات : ٩ ، ١٠] .." [٢]

"١٢) أفعال الناس عند القبور وزيارتها ثلاث أنواع:

الأول: مشروع وهو زيارة القبور؛ لتذكر الآخرة، وللسلام على أهلها، والدعاء لهم .

الثاني: بدعي ينافي كمال التوحيد، وهو وسيلة من وسائل الشرك، وهو قصد عبادة الله تعالى والتقرب إليه عند القبور، أو قصد التبرك بها (٢) أو إهداء الثواب عندها، والبناء عليها، وتجصيصها وإسراجها، واتخاذها مساجد، وشد الرحال إليها، ونحو ذلك مما ثبت النهي عنه، أو مما لا أصل له في الشرع .

الثالث: شركي ينافي التوحيد، وهو صرف شيء من أنواع العبادة لصاحب القبر: كدعائه من دون الله، والاستعانة والاستغاثة به، والطواف، والذبح، والنذر له، ونحو ذلك .

١٣) الوسائل لها حكم المقاصد، وكل ذريعة إلى الشرك في عبادة الله أو الابتداع في الدين يجب سدها، فإن كل محدثة في الدين بدعة، وكل بدعة ضلالة .

رابعاً: الإيمان

١) الإيمان لغة: التصديق .

وفي الشرع: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، **فهو قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، فقول القلب

---

(١) ماذا تعرف عن التوحيد، ص/١١

(٢) مجمل اعتقاد أئمة السلف، ص/٧٢

اعتقاده وتصديقه، وقول اللسان، إقراره، وعمل القلب، تسلميه وإخلاصه، وإذعانه، وحبه وإرادته للأعمال الصالحة .

وعمل الجوارح: فعل المأمورات وترك المنهيات .

٢) من أخرج العمل عن الإيمان فهو مرجئ،ومن أدخل فيه ما ليس منه فهو مبتدع.

٣) من لم يقر بالشهادتين لا يثبت له اسم الإيمان ولا حكمه لا في الدنيا ولا في الآخرة.

٤) الإسلام والإيمان اسمان شرعيان بينهما عموم وخصوص من وجه، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمن، ويسمى أهل القبلة مسلمين .

٥) مرتكب الكبيرة التي دون الكفر والشرك لا يخرج من الإيمان فهو في الدنيا مؤمن ناقص الإيمان، وفى الآخرة تحت مشيئة الله، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، والموحدون كلهم مصيرهم إلى الجنة وإن عذب منهم بالنار من عذب، ولا يخلد أحد منهم فيها قط .

٦) لا يجوز القطع لمعين من أهل القبلة بالجنة أو النار إلا من ثبت النص في حقه .." [١]

"والذي اختاره في تعريف الإيمان أنه الإقرار وبهذا قال شيخنا محمد الصالح –رحمه الله– في شرحه للواسطية (١).

ثانيا : تعريفه في الشرع هو:

... «قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح»

شرح التعريف:

أولا: المراد بقول القلب معرفته للحق وتصديقه به، قال الله تعالى (– صدق الله العظيم (﴿ صدق الله العظيم – رضي الله عنه – تم بحمد الله – رضي الله عنهم – – (– – رضي الله عنهم –((– – – رضي الله عنهم – – (– – – (– (المحتويات (– – عليه السلام –– صلى الله عليه وسلم – – رضي الله عنه – تمت قرآن كريم (– فهرس – ((– رضي الله عنه – – ([الزخرف ٨٦] أي تشهد بأنه لا إله إلا الله ؟وهم يعلمون؟ أي بقلوبهم معنى ما نطق به بألسنتهم (٢).

ولذلك كان معرفة القلب وتصديقه من لوازم الشهادتين، قال الإمام أحمد رحمه الله :«من جحد المعرفة والتصديق فقد قال قولا عظيما ، فإن فساد هذا القول معلوم من دين الإسلام» (٣). قال شيخ الإسلام: «الإيمان الذي في قلبه لا بد من شيئين: تصديق بالقلب وإقراره ومعرفته ويقال لهذا قول القلب» (٤).

أهمية معرفة القلب وتصديقه

... «إن معرفة القلب وتصديقه بالحق إذا صادفت قلبا سليما خاليا من الحسد والكبر والانشغال بالشهوات والأهواء وما إلى ذلك فإن هذا القلب سيخضع للحق حتما وينقاد له لأن القلوب مفطورة على حب الحق وإرادته و لا شيء أحب إلى هذه القلوب السليمة من الله – عز وجل –» (٥).

---

(١) الإيمان الأوسط لابن تيمية ص٧٣ ، وشرح الواسطية (٢٣٠/٢)

---

(١) مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة، ص/٦

(٢) انظر في ذلك معارج القبول (٣٠٧/١)

(٣) كتاب الإيمان لابن تيمية (ص ٣٧٦، ٣٧٧)

(٤) الإيمان (ص ١٧٦)

(٥) الإيمان الأوسط للشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٧٩)." [١]

"وهكذا أسماء كتابه : القرآن، والفرقان، والكتاب، والهدى، والبيان، والشفاء، /والنور، ونحو ذلك هي بهذه المنزلة، وكذلك أسماء رسوله : محمد، وأحمد، والماحِي، والحاشر، والْمُقَفِّي، ونبي الرحمة، ونبي التوبة، ونبي الْمَلْحَمَة، كل اسم يدل على صفة من صفاته الممدوحة غير الصفة الأخرى، وهكذا ما يثنى ذكره من القصص في القرآن كقصة موسى وغيرها، ليس المقصود بها أن تكون سَمَرًا، بل المقصود بها أن تكون عبراً كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾ [يوسف : ١١١] ، فالذي وقع شيء واحد وله صفات،فيعبر عنه بعبارات متنوعة،كل عبارة تدل على صفة من الصفات التي يعتبر بها المعتبرون،وليس هذا من التكرير في شيء .

وهكذا أسماء دينه، الذي أمر الله به ورسوله يسمى إيماناً، وبراً، وتقوى، وخيراً، وديناً، وعملاً صالحاً، وصراطاً مستقيماً، ونحو ذلك، وهو في نفسه واحد، لكن كل اسم يدل على صفة ليست هي الصفة التي يدل عليها الآخر، وتكون تلك الصفة هي الأصل في اللفظ،والباقي كان تابعاً لها لازماً لها،ثم صارت دالة عليه بالتضمن، فإن الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب، ولابد فيه من شيئين : تصديق بالقلب، وإقراره ومعرفته . ويقال لهذا : قول القلب، قال الجنيد بن محمد : التوحيد : **قول القلب** . والتوكل : عمل القلب، فلابد فيه من قول القلب، وعمله، ثم قول البدن وعمله، ولابد فيه من عمل القلب، مثل حب الله ورسوله، وخشية الله، وحب ما يحبه الله ورسوله، وبغض ما يبغضه الله ورسوله،وإخلاص العمل لله وحده، وتوكل القلب على الله وحده،وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها من الإيمان .." [٢]

"٦ – ثم وصفه بأنه صاحب الحوض وهذه ليست من خصائص الرسول بل من صفاته ، فإن كل نبي له حوض ، ولكن حوض النَّبِيّ عليه السلام أعظمها وأشرفها، وأكبرها، وقوله (المورود) أي يرده المؤمنون من هذه الأمة ، وزمن الورود في عرصات القيامة في أرض الموقف والمحشر .

٧ – ثم قال (إمام النبيين) وقد أمّهم عليهم السلام في ليلة الإسراء والمعراج.

٩ – ومن صفاته وأيضاً من الخصائص ، قال (وخطيبهم) والضمير يعود على الأنبياء .

هذه بعض صفات الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، منها ما اختص بها الرسول ، ومنها ما شاركه غيره فيها ، ولم يقصد المصنف الاستيعاب ، وإلا خصائص الرسول كثيرة .

مسألة :

ثم ذكر المصنف حكم من لم يؤمن به ، فقال : (لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته) وقوله لا يصح ،

---

(١) مباحث في العقيدة، ٢/٣

(٢) كفر أبي طالب، ص/١٥٤

لا نافية ، نفت الصحة ، وعلى ذلك فمن لم يؤمن برسالته فهو كافر .

مسألة : معنى الإيمان برسالته :

معناه هو قول وعمل واعتقاد ، هذا معنى الإيمان بالرسالة ، ومعنى القول أي يشهد برسالته ، ومعنى الاعتقاد أن يحصل في قلبه العلم برسالة الرسول والتصديق بذلك ، ويقصد بالعمل شيئان :

أ – عمل القلب ، وهو محبة الرسول واليقين والصدق والإخلاص والقبول لرسالته – صلى الله عليه وسلم –

ب – عمل الجوارح وهو الانقياد لأوامر الرسول وعملها بالجوارح ، وطاعته بذلك، وهذا جزء من كلام السلف في الإيمان .

أما مذاهب الناس في الإيمان برسالة الرسول ، فهي كالتالي :

١ – الكرامية : وهؤلاء عندهم الشهادة بالرسالة للرسول ، هو قول فقط ، فمن قال بلسانه : أشهد أن محمداً رسول الله ، فهو عندهم مؤمن كامل الإيمان بالرسالة .

٢ – الجهمية : وعندهم أن الإيمان بالرسالة **هي قول القلب** ، ويُقصد بقول القلب العلم والمعرفة ، فمن علم وعرف أن محمداً رسول الله فهو مؤمن بالرسالة كامل الإيمان .." (١)

"أما الموالاة الاعتقادية فهي قول المصنف : (واعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم وهذا **يسمى قول القلب وهو** العلم والمعرفة) .

الموالاة العملية : أشار إليها بقوله (ومحبتهم) وما يتبع ذلك من احترامهم والثناء عليهم بالقلب ، وقولنا عملية يشمل عمل القلب وهو المحبة والاحترام والتوقير لهم ، ويشمل أيضاً عمل الجوارح ، وهي نصرتهم ومتابعتهم والعمل بأعمالهم.

الموالاة القولية : وهي قول اللسان ، وأشار إلى ذلك بقوله (وذكر محاسنهم والترحم عليهم والاستغفار لهم ، والكف عن ذلك مساوئهم وما شجر بينهم) وهذه أربعة أمور تكون باللسان ، منها ثلاثة إيجابية أي مطلوب فعلها وهي الثلاث الأول، ومنها واحد سلبي ، أي المقصود عدمه وهو الكف والحبس عن التكلم فيهم، والكف وحده لا يكفي فلابد من الثناء والترحم والاستغفار .

ثم ذكر المصنف دليلين لذلك : الأول : قوله تعالى : ﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا ... ﴾ (١) .

الثاني : قوله تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار﴾(٢) ، هذا من القرآن .

ثم ذكر المصنف مسألة سب الصحابة ، وسبب ذكر مسألة السب لأن السب يضاد التولي فمن سب الصحابة أو أحداً منهم فهذا ينافي تولي الصحابة ، أما حكم سب الصحابة فهو على النحو التالي :

١ – أن يسبهم كلهم أو أكثرهم فهذا كافر بالإجماع .

٢ – أن يسب بعضهم أو الواحد منهم أو النفر القليل ، فهذا على قولين :

---

(١) الزناد في شرح لمعة الاعتقاد، ص/٧٧

الأول : أن سب الواحد والاثنين من الصحابة من غير المشهورين كالخلفاء والعشرة أنه لا يكفر واستدلوا بالحديث الذي ذكره المصنف : " لا تسبوا أصحابي..." (٣) وهذا نهي والنهي يقتضي التحريم ولم يذكر أنه كفر .

قالوا : وكذا خالد بن الوليد تكلم في عبد الرحمن بن عوف ولم يكفر بهذا السب .

---

(١) ... الحشر : ١١ .

(٢) ... الفتح : ٢٩ .

(٣) ... أخرجه البخاري ٥/٦٩٥ (ح٣٨٦١) ، ومسلم ٤/١٩٦٧ (ح٢٥٤٠) .." [١]

"بساحتهم(١)، ثم ادعهم إلى الإسلام(٢)، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه(٣)

---

(١) قوله: «حتى تنزل بساحتهم» ساحتهم: ما قرب من حصونهم.

(٢) قوله: «ثم ادعهم إلى الإسلام» بزيادة ثم كما وقع في حديث بريدة في صحيح مسلم، وذكرها يوهم الابتداء بغير الدعوة إلى الإسلام، والصواب إسقاطها كما روى أبوداود وأبوعبيد في كتاب الأموال، وكماجاء مصرحاً بذلك في حديث ابن عباس الذي في الصحيحين المذكور أول الباب أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لَمَّا بعث معاذاً إلى اليمن قال: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله»، وهنا أمره أن يدعوهم إلى الإسلام الذي دلَّت عليه شهادة أن لا إله إلاّ الله، وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة. وهكذا ينبغي لأهل الإسلام أن يكون قصدهم بالجهاد هداية الخلق إلى الإسلام والدخول فيه، وينبغي لولاة الأمر أن يكون هذا معتمدهم ومرادهم ونيتهم.

وفيه: الدعوة إلى الإسلام قبل القتال، وأنه مشروعٌ لمن دُعُوا قبل ذلك وقُوتلوا. قاله المصنف رحمه الله. لكن إن كانوا قد بلغتهم الدعوة جاز قتالهم ابتداءً ؛ لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – أغار على بني المصطلق وهم غارُّون. قاله في «فتح المجيد»*.

قال شيخ الإسلام [الفتاوى ٧/٢٦٣]: «والإسلام هو الاستسلام لله وهو الخضوع له والعبودية له، كذا قال أهل اللغة»، وقال [الفتاوى ٧/٢٨٦]: «دين الإسلام الذي ارتضاه الله، وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده فأصله في القلب والخضوع لله وحده بعبادته دون ما سواه، فمن عبده وعبد معه إلهاً آخر لم يكن مسلماً، ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلماً، وأما الإيمان فأصله تصديق القلب وإقراره ومعرفته، فهو من **باب قول القلب المتضمن** عمل القلب». انتهى.

(٣) قوله: «وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ‘‘، أي في الإسلام كالصلاة والزكاة وغيرهما مما أمر الله به وشرعه من حقوق لا إله إلا الله.

---

(١) الزناد في شرح لمعة الاعتقاد، ص/٩٦

....

* (٢٠٣/١).." [(١)]

"والردة بعد الإسلام كم جاء في كتاب فاكهة القلوب والأفواه، وقال العلامة الشيخ رشيد رضا : " وأفضل الذكر لا إله إلا الله فهي مما أمرنا بالإكثار منها" ، وإن من أعظم العوامل التي تساعد المسلم على إقامة دينه العمل بالمقتضى الإيمان ظاهرا وباطنا وبه يتحقق التوحيد كما قال عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ كتاب مفيد المستفيد بقلم فضيلة الشيخ إبراهيم أل الشيخ : " من شهد أن لا إله إلا الله من تكلم بها عارفا لمعناها عاملا بمقتضاها باطنا وظاهرا فلا بد في الشهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولها كما قال تعالى : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ وقوله : ﴿ إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ﴾، وأما النطق بها من غير معرفة لمعناها، ولا يقين، ولا عمل بما تقتضيه من البراءة من الشرك وإخلاص القول **والعمل قول القلب واللسان** وعمل القلب والجوارح : فغير نافع بالإجماع، كما قال عمر رضي الله عنه : [إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية] ، وهذا لأنه إذا لم يعرف الشرك و ما عابه القرآن وذمه وقع فيه وأقره وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية فتنقض بذلك عرى الإسلام ويعود المعروف منكرا والمنكر معروفا والبدعة سنة والسنة بدعة،ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد ويبدع بتجريد متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومفارقة الأهواء والبدع ومن له بصيرة و قلب حي يرى ذلك عيانا فالله المستعان ".

٢- فساد وزيغ مذهب المرجئة

قالت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء :

[رسالة التحذير من الإرجاء وبعض الكتب الداعية إليه ص٨-٩]." [(٢)]

"مقالة المرجئة الذين يخرجون الأعمال عن مسمى الإيمان، ويقولون : الإيمان هو التصديق بالقلب أو التصديق بالقلب والنطق باللسان فقط، وأما العمال فغنها عندهم شرط كمال فيه فقط وليست منه، فمن صدق بقلبه ونطق بلسانه فهو مؤمن كامل الإيمان عندهم و لو فعل ما فعل من ترك الواجبات وفعل المحرمات ويستحق دخول الجنة ولو لم يعمل خيرا قط ، و لزم على ذلك الضلال لوازم باطلة منها: حصر الكفر بكفر التكذيب و الاستحلال القلبي، ولا شك أن هذا قول باطل وضلال مبين مخالف للكتاب والسنة وما عليه أهل السنة والجماعة سلفا وخلفا، وأن هذا يفتح بابا لأهل الشر والفساد للانحلال من الدين وعدم التقيد بالأوامر والنواهي، والخوف والخشية من الله سبحانه ويعطل الجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويسوي بين الصالح والطالح، والمطيع والعاصي والمستقيم على دين الله والفاسق المتحلل من أوامر الدين ونواهيه، ما دام أن أعمالهم هذه لا تخل بالإيمان كما يقولون، ولهذا اهتم أئمة الإسلام قديما وحديثا ببيان بطلان هذا المذهب والرد على أصحابه وجعلوا لهذه المسألة بابا خاصا في كتب العقائد بل ألفوا فيها مؤلفات مستقلة ،كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وغيره ،قال شيخ الإسلام رحمه الله – في العقيدة الواسطية – : " ومن أصول أهل

---

(١) الدر النضيد، ص/٦١

(٢) القواطع الإلهية، ص/١٦

السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول **وعمل، قول القلب واللسان** ،وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية"..(١)

"قالت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية في رسالة التحذير من الإرجاء وبعض الكتب الداعية إليه ص١١: " قال ابن تيمية : " وأصل الإيمان في القلب، **وهو قول القلب وعمله** وهو إقرار بالتصديق والحب والإنقياد ، وما كان في القلب فلابد أن يظهر موجبه ومقتضاه على الجوارح، وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دلّ على عدمه أو ضعفه، ولهذا كانت الأعمال الظاهرة من موجب إيمان القلب ومقتضاه وهي تصديق لما في القلب ودليل عليه وشاهد له وهي شعبة من الإيمان المطلق وبعض له"، ومن لوازم الشهادة أن تكون بصدق ويبتغى بها وجه الله تعالى ، أي لا بد أن تكون مصحوبة بافخلاص المحض الذي لا يخالطه شرك كما روى البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه لما طعنوا في الصحابي مالك بن دخشم رضي الله عنه : [ألا تراه قال لا إله إلا الله يبتغى بها وجه الله تعالى]، قال النووي في شرح صحيح مسلم ج١ص٢٧٥: قال أبو عمر ابن عبد البر : " ولا يصح عنه النفاق فقد ظهر من حسن إسلامه ما يمنع من اتهامه" وقال النووي: " فهذه شهادة من رسول صلى الله عليه وسلم له بأنه قالها مصدقا بها معتقدا صدقها متقربا بها إلى الله تعالى وشهد له في شهادته لأهل بدر بما هو معروف، فلا ينبغي أن يشك في صدق إيمانه رضي الله عنه وفي هذه الزيادة رد على غلاة المرجئة القائلين : بأنه يكفي في الإيمان النطق من غير اعتقاد فإنهم تعلقوا بمثل هذا الحديث و هذه الزيادة تدمغهم و الله أعلم"، فسهام الإسلام هي منارات المؤمن التي تحدد للمسلم مقتضى طريق الإسلام المستقيم لإقامة عبودية الله تعالى وحده ولاجتناب الشرك والكفر به سبحانه، وإقامة أمره وهذا كله يدخل في مسمى الإيمان روى الحاكم (٢١/١)وقال حديث صحيح وأبو نعيم بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [إن للإسلام ضوءا في رواية [صوى] ومنارا كمنار الطريق : أن تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتى." (٢)

"الأول: مشروع وهو زيارة القبور لتذكر الآخرة وللسلام على لأهلها والدعاء لهم.

الثاني: بدعي ينافي كمال التوحيد وهو وسيلة من وسائل الشرك وهو قصد عبادة الله تعالى والتقرب إليه عند القبور أو قصد التبرك بها (١) أو إهداء الثواب عندها والبناء وتجصيصها وإسراجها وإتخاذها مساجد وشد الرحال إليها ونحو ذلك مما ثبت النهي عنه أو مما لا أصل له في الشرع.

الثالث: شركي ينافي التوحيد وهو صرف شيء من أنواع العبادة لصاحب القبر كدعائه من دون الله والاستعانة به والطواف والذبح والنذر له ونحو ذلك.

١٣- الوسائل لها حكم المقاصد وكل ذريعة إلى الشرك في عبادة الله أو الابتداع في الدين يجب سدها. فكل محدثة في الدين بدعة وكل بدعة ضلالة.

رابعا: الإيمان

---

(١) القواطع الإلهية، ص/١٧

(٢) القواطع الإلهية، ص/٢٣

١- الإيمان قول وعمل يزيد وينقص فهو قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح.

فقول القلب: اعتقاده وتصديقه، وقول اللسان: إقراره، وعمل القلب: تسليمه وإخلاصه وإذعانه وحبه وإرادته للأعمال الصالحة. وعمل الجوارح: فعل المأمورات وترك المنهيات.

٢- من أخرج العمل من الإيمان فهو مرجئ ومن أدخل فيه ما ليس منه فهو مبتدع.

٣- من لم يقر بالشهادتين لا يثبت له اسم الإيمان ولا حكمه لا في الدنيا ولا الآخرة.

٤- الإسلام والإيمان اسمان شرعيان بينهما عموم وخصوص من وجه، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمن، ويسمى أهل القبلة مسلمين.

٥- مرتكب الكبيرة التي دون الكفر والشرك لا يخرج من الإيمان فهو في الدنيا مؤمن ناقص الإيمان وفي الآخرة تحت « مشيئة الله» إن شاء غفر له إن شاء عذبه، والموحدين كلهم مصيرهم إلى الجنة وإن عذب منهم بالنار من عذب ولا يخلد أحد منهم فيها قط.

٦- لا يجوز القطع لمعين من أهل القبلة بالجنة أو النار إلا من ثبت النص في حقه.

٧- الكفر الوارد ذكره في الألفاظ الشرعية قسمان:

أكبر مخرج من الملة، وأصغر غير مخرج من الملة ويسمى أحيانا بالكفر العملي.

---

(١) بمعنى طلب البركة بها لا منها .." (١)

"فالعبادة باعتبارها مصدراً تعني التعبد ، وهو فعل العابد (١) وتعريفها " التذلل لله محبة وتعظيماً بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه " (٢) اهـ

وأما باعتباره اسماً فهي تعني : المتعبد به (٣) وتعريفها : " اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة " (٤) .

ومن التعريف المذكور في معنى العبادة باعتبارها اسماً يتضح أن للعبادة أربع مراتب وهي : قول القلب ، وقول اللسان ، وعمل القلب ، وعمل الجوارح وهذا معنى قوله : " من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة " وقد فصل ابن القيم هذه المراتب فقال :

" قول القلب : هو اعتقاد ما أخبر الله سبحانه به عن نفسه وعن أسمائه وصفاته وأفعاله ، وملائكته ولقائه على لسان رسله .

وقول اللسان : الإخبار عنه بذلك والدعوة إليه والذب عنه وتبيين بطلان البدع المخالفة له ، والقيام بذكره وتبليغ أوامره .

وعمل القلب : كالمحبة له والتوكل عليه والإنابة إليه والخوف منه والرجاء له ، وإخلاص الدين له ، والصبر على أوامره ونواهيه وعلى أقداره والرضى به عنه ، والموالاة فيه والمعاداة فيه ، والذل له ، والخضوع ، والإخبات إليه والطمأنينة به ، وغير ذلك

---

(١) الطريق إلى الجنة: التوحيد، ٦/٧

من أعمال القلوب ، التي فرضها من أعمال الجوارح ومستحبها أحب إلى الله من مستحبها ، وعمل الجوارح بدونها إما عديم المنفعة أو قليل المنفعة .

وأعمال الجوارح : كالصلاة والجهاد ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات ، ومساعدة العاجز والإحسان على الخلق ، ونحو ذلك " (٥) اهـ

فظهر من هذا أن جميع أمور الديانة من الاعتقادات والإرادات والأقوال والأعمال داخلة في مسمى العبادة .

ولما جهل كثير من المتأخرين حقيقة العبادة على الوجه المذكور أعلاه كان من الأفضل زيادة البيان لبعض أنواع العبادة بذكر أمثلة لها – خاصة المتنازع فيها – مع نقل أقوال الأئمة الأعلام وبيانهم أنها من العبادة وأن صرفها لغير الله لا يجوز .." [١]

"وبهذا يتكامل التوحيد ويؤتي ثماره، وهذا معنى قول أبي عبدالرحمن السلمي: ما كنا نتجاز عشر آيات حتى نعلم ما فيها من العلم والعمل، ولنتأمل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢،٣].

١٦- جهل كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام بمعنى لا إله إلا الله ومقتضياتها ولوازمها.

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: ((ليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنه: لا خالق إلا الله، وأن الله رب كل شيء ومليكه، كما كان عباد الأصنام مقرين بذلك وهم مشركون، بل التوحيد يتضمن من محبة الله، والخضوع له، والذل له، وكمال الانقياد لطاعته، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال، والمنع والعطاء، والحب والبغض، ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصي و الإصرار عليها.

ومن عرف هذا عرف قول النبي صلى الله عليه وسلم : ((إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله))(٥٥) وقوله ((لا يدخل النار من قال لا إله إلا الله))(٥٦) . وما جاء من هذا الضرب من الأحاديث، التي أشكلت على كثير من الناس، حتى ظنها بعضهم منسوخة! وظنها بعضهم قيلت قبل ورود الأوامر والنواهي واستقرار الشرع، وحملها بعضهم على نار المشركين والكفار، وأول بعضهم الدخول بالخلود، وقال: المعنى لا يدخلها خالدًا، ونحو ذلك من التأويلات المستكرهة. فإن النبي صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلا بمجرد قول اللسان فقط، فإن هذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام؛ لأن المنافقين يقولونها بألسنتهم، وهم تحت الجاحدين لها في الدرك الأسفل من النار.

بل لا بد من قول القلب، وقول اللسان.." [٢]

"وقال أيضاً: (ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار؛ لا مجرد التصديق، والإقرار **ضمن قول القلب الذي** هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد) (١).

وقال – رحمه الله – في رده على من ادعى الترادف بين الإيمان والتصديق:

(إنه – أي الإيمان – ليس مرادفاً للتصديق في المعنى؛ فإن كل مخبر عن مشاهدة، أو غيب، يقال له في اللغة: صدقت، كما

---

(١) القول السديد في وجوب الاهتمام بالتوحيد، ص/١٢

(٢) القول السديد في وجوب الاهتمام بالتوحيد، ص/٧٢

يقال:

كذبت؛ فمن قال: السماء فوقنا، قيل له: صدق، كما يقال: كذب.

وأما لفظ الإيمان؛ فلا يستعمل إلا في الخبر عن غائب، لم يوجد في الكلام أن من أخبر عن مشاهدة، كقول: طلعت الشمس وغربت، أنه يقال: آمناه، كما يقال: صدقناه.

ولهذا؛ المحدثون والشهود ونحوهم، يقال: صدقناهم، وما يقال: آمنا لهم؛ فإن الإيمان مشتق من الأمن، فإنما يستعمل في خبر يؤتمن عليه المخبر؛ كالأمر الغائب الذي يؤمن عليه المخبر، ولهذا لم يوجد قط في القرآن وغيره لفظ: آمن له؛ إلا في هذا النوع) (٢).

وقال أيضاً: (إن لفظ الإيمان في اللغة لم يقابل بالتكذيب؛ كلفظ التصديق؛ فإنه من المعلوم في اللغة أن كل مخبر يقال له: صدقت، أو كذبت، ويقال: صدقناه، أو كذبناه، ولا يقال: لكل مخبر: آمنا له، أو كذبناه.

ولا يقال: أنت مؤمن له، أو مكذب له؛ بل المعروف في مقابلة الإيمان لفظ الكفر، يقال: هو مؤمن أو كافر، والكفر لا يختص بالتكذيب) (٣).

وقال الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله:

(أكثر أهل العلم يقولون: إن الإيمان في اللغة: التصديق، ولكن في هذا نظر! لأن الكلمة إذا كانت بمعنى الكلمة؛ فإنها تتعدى بتعديها، ومعلوم أن التصديق يتعدى بنفسه، والإيمان لا يتعدى بنفسه؛ فنقول مثلاً: صدقته، ولا تقول آمنته! بل تقول: آمنت به، أو آمنت له.

---

(١) مجموع الفتاوى) ج ٧، ص ٦٣٨.

(٢) مجموع الفتاوى) ج ٧، ص ٢٩١.

(٣) مجموع الفتاوى) ج ٧، ص ٢٩١.." [١]

"وأن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم رسول الله، وخاتم النبيين، وقبول جميع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم عن ربه – جل وعلا – وعن دين الإسلام؛ من الأمور الغيبية، والأحكام الشرعية، وبجميع مفردات الدين، والانقياد له صلى الله عليه وسلم بالطاعة المطلقة فيما أمر به، والكف عما نهى عنه صلى الله عليه وسلم وزجر؛ ظاهراً وباطناً، وإظهار الخضوع والطمأنينة لكل ذلك.

وملخصه: (هو جميع الطاعات الباطنة والظاهرة).

الباطنة : كأعمال القلب، وهي تصديق القلب وإقراره.

الظاهرة : أفعال البدن من الواجبات والمندوبات.

ويجب أن يتبع ذلك كله: قول اللسان، وعمل الجوارح والأركان، ولا يجزيء واحد من الثلاث إلا بالآخر؛ لأن أعمال الجوارح

---

(١) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، ص/٩

داخلة في مسمى الإيمان، وجزء منه.

فمسمى الإيمان عند أهل السنة والجماعة؛ كما أجمع عليه أئمتهم وعلماؤهم، هو:

(تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية).

ومن أصولهم التي اتفقوا عليها في مسمى الإيمان على اختلاف عباراتهم في التعبير – إجمالاً وتفصيلاً – وذلك خوفاً من الاشتباه، أو الالتباس؛ أن الإيمان مركب من:

(قول، وعمل). أو (قول، وعمل، ونية). أو (قول، وعمل، ونية، واتباع السنة).

أي: أن مسمى الإيمان يطلق عند أهل السنة والجماعة على ثلاث خصال مجتمعة، لا يجزيء أحدهما عن الآخر، وهذه الأمور الثلاثة جامعة لدين الإسلام:

(اعتقاد القلب، إقرار اللسان، عمل الجوارح).

وبعبارة أخرى عندهم:

قول القلب، وقول اللسان.

عمل القلب، وعمل الجوارح.

ويمكن توضيح ذلك؛ بالتفصيل التالي:

أولاً – قول القلب: هو معرفته للحق، واعتقاده، وتصديقه، وإقراره، وإيقانه به؛ وهو ما عقد عليه القلب، وتمسك به، ولم يتردد فيه، قال الله تبارك وتعالى:." [1]

"اتفق أئمة أهل السنة والجماعة – سلفاً وخلفاً – على أن الإيمان : قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح؛ يزيد بالطاعة وكثرة العبادة، وينقص بالمعصية والغفلة، وقد حكى الإجماع على ذلك أكثر أهل العلم – رحمهم الله – بل أصبح هذا القول من مميزات أهل السنة والجماعة، والفارقة بينهم وبين أهل البدع والأهواء.

وأقوالهم في هذا الباب كثيرة جداً لا يمكن حصرها في هذه الرسالة، ولكن نذكر بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر:

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يقول لأصحابه: (هلموا نزدد إيماناً) فيذكرون الله تعالى(١).

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

(الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، من لا صبر له لا إيمان له) (٢).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

(اللهم زدنا إيماناً، ويقينا، وفقها) (٣).

وقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه :

(تعالوا نؤمن ساعة؛ تعالوا فلنذكر الله ونزدد إيماناً؛ لعله يذكرنا بمغفرته) (٤).

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه :

---

(١) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، ص/١١

(اجلس بنا نؤمن ساعة) (٥).

وقال جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه :

(كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن فتيان حزاورة؛ فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن؛ ثم تعلمنا القرآن؛ فازددنا به إيماناً) (٦).

---

(١) السنة) الخلال: ٥/٣٩ (١١٢٢). و (شرح أصول اعتقاد أهل السنة) اللالكائي: ٥/١٠١٢ (١٧٠٠). و (الإبانة) ابن بطة: ٢/٨٤٦ (١١٣٤).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة) اللالكائي: ٤/٩٢٤ (١٥٦٩). و (الإيمان) ابن أبي شيبة: ص ٤٨ (١٣٠).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة) اللالكائي: ٥/١٠١٣ (١٧٠٤) .

(٤) الإيمان) ابن أبي شيبة: ص ٤٣ (١١٦) .

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة) اللالكائي: ٥/١٠١٤ (١٧٠٦) .

(٦) ابن ماجة) كتاب السنة، باب (الإيمان) انظر (صحيح سنن ابن ماجة): ١/١٦ .." [١]

"(قال عبد الرزاق: سمعت من أدركت من شيوخنا وأصحابنا: سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وعبيد بن عمر، والأوزاعي، ومعمر بن راشد، وابن جريح، وسفيان بن عيينة، يقولون: الإيمان: قول وعمل؛ يزيد وينقص. وهذا قول: ابن مسعود، وحذيفة، والنخعي، والحسن البصري، وعطاء، وطاوس، ومجاهد، وعبد الله بن المبارك؛ فالمعنى الذي يستحق به العبد المدح والولاية من المؤمنين هو إتيانه بهذه الأمور الثلاثة: التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح)(١).

وقال: (إن الطاعات تسمى إيماناً وديناً، وإذا ثبت هذا علمنا أن من كثرت عبادته زاد إيمانه ودينه، ومن نقص عبادته نقص دينه) (٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت ٧٢٨هـ):

(ومن أصول أهل السنة: أن الدين والإيمان قول **وعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية)(٣).

وقال: (ولهذا كان القول: إن الإيمان قول وعمل – عند أهل السنة – من شعائر السنة، وحكى غير واحد الإجماع على ذلك) (٤).

وقال الإمام الحافظ ابن القيم رحمه الله (ت ٧٥١هـ):

(حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل. والقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد، وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام، والعمل قسمان: عمل القلب، وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح؛ فإذا زالت هذه الأربعة، زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب، لم تنفع بقية الأجزاء) (٥).

---

(١) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، ص/٢٨

وقال الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله (ت ٧٤٤هـ) في تفسير الآية ﴿٢﴾ من سورة الأنفال:

---

(١) شرح صحيح مسلم) النووي: ١/١٤٦.

(٢) شرح صحيح مسلم) النووي: ٢/٦٨.

(٣) مجموع الفتاوى): ٣/١٥١ .

(٤) الإيمان) ابن تيمية: ٢٩٢ .

(٥) كتاب الصلاة وحكم تاركها) ابن القيم: ص ٥٤ فصل: (في الحكم بين الفريقين).." [١]

"(إن الإيمان الشرعي المطلوب لا يكون؛ إلا اعتقاداً وقولاً وعملاً؛ هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة بل قد حكاه الشافعي وأحمد وأبو عبيد، وغير واحد إجماعاً أن الإيمان قول وعمل)(١).

وقال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله (ت ١٣٧٦هـ) في تفسير الآية ﴿٧٦﴾ من سورة مريم:

(وفي هذا دليل على زيادة الإيمان ونقصه؛ كما قاله السلف الصالح، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ لِيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾، ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ ويدل عليه أيضاً الواقع؛ فإن **الإيمان: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، والمؤمنون متفاوتون في هذه الأمور أعظم تفاوت.

وقال العلامة حافظ الحكمي رحمه الله (ت ١٣٧٧هـ):

(الإيمان: قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح؛ يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ويتفاضل أهله فيه)(٢).

وقال الشيخ العلامة المفسر محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله (ت ١٣٩٣هـ):

(إن الحق الذي لا شك فيه الذي هو مذهب أهل السنة والجماعة أن الإيمان شامل للقول والعمل مع الاعتقاد، وذلك ثابت في أحاديث صحيحة كثيرة)(٣).

وهذا غيض من فيض؛ من أقوال أئمة السلف الصالح أهل السنة والجماعة: أن الإيمان قول وعمل؛ يزيد وينقص، لا قول لهم غيره؛ بل أجمعوا على ذلك، ومن نسب إليهم خلاف ذلك؛ فقد أخطأ، وجهل مذهبهم، ونسب إليهم ما لم يقولوه.

وعلى هذه العقيدة توفي الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى هذا المنهج كان جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان: من المحدثين، والفقهاء، وجميع أئمة الدين، ولم يخالفهم أحد من السلف والخلف؛ إلا الذين مالوا عن الحق في هذا الأمر، وجانبوا الصواب.

---

(١) بغية الرائد في شرح العقائد) القنوجي: ص ٤٤. الطبعة الهندية .

---

(١) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، ص/٣٩

(٢) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة): ص ٤٥ تحقيق أحمد الرشد .

(٣) أضواء البيان) الشنقيطي: ٧/ ٢٠١ .." (١)

"فإن أعمال الجوارح لا تستقيم إلا باستقامة القلب، ومعنى استقامة القلب أن يكون ممتلئاً من محبة الله، ومحبة طاعته، وكراهية معصيته ... وحركات الجسد تابعة لحركة القلب وإرادته، فإن كانت حركته وإرادته لله وحده؛ فقد صلح وصلحت حركات الجسد كله، وإن كانت حركة القلب وإرادته لغير الله تعالى، فسد، وفسدت حركات الجسد بحسب فساد حركة القلب .. .

ومعنى هذا أن حركات القلب والجوارح إذا كانت كلها لله؛ فقد كمل إيمان العبد بذلك ظاهراً وباطناً، ويلزم من صلاح حركات القلب صلاح الجوارح؛ فإذا كان القلب صالحاً ليس فيه إلا إرادة الله، وإرادة الله ما يريده لم تنبعث الجوارح إلا فيما يريده الله) (١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

(فأصل الإيمان في القلب، **وهو قول القلب وعمله**، وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد، وما كان في القلب، فلا بد أن يظهر موجبه ومقتضاه على الجوارح، وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دل على عدمه أو ضعفه، ولهذا كانت الأعمال الظاهرة من موجب إيمان القلب ومقتضاه، وهي التصديق لما في القلب، ودليل عليه وشاهد له، وهي شعبة من مجموع الإيمان المطلق وبعض له؛ لكن ما في القلب هو الأصل لما على الجوارح؛ كما قال أبو هريرة – رضي الله عنه – إن القلب ملك، والأعضاء جنوده؛ فإن طاب الملك، طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده) (٢).

---

(١) ...انظر: (جامع العلوم والحكم) لابن رجب؛ ج١، ص ٢١٠ في شرح الحديث السادس من الأربعين النووية. تحقيق شعيب الأرناؤوط.

(٢) مجموع الفتاوى) ج ٧، ص ٦٤٤.." (٢)

"وقال – أيضاً – رحمه الله: (إذا نقصت الأعمال الظاهرة الواجبة؛ كان ذلك لنقص ما في القلب من الإيمان؛ فلا يتصور مع كمال الإيمان الواجب الذي في القلب أن تعدم الأعمال الظاهرة الواجبة، بل يلزم من وجود هذا كاملاً، وجود هذا كاملاً؛ كما يلزم من نقص هذا، نقص هذا؛ إذ تقدير إيمان تام في القلب بلا ظاهر من قول وعمل، كتقدير موجب تام بلا موجبه، وعلة تامة بلا معلولها، وهذا ممتنع(١).

وقال الإمام الحافظ ابن القيم رحمه الله:

(وها هنا أصل آخر: وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل. والقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد. وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام. والعمل قسمان: عمل القلب، وهو نيته وإخلاصه. وعمل الجوارح.

---

(١) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، ص/٤٢

(٢) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، ص/٥٠

فإذا زالت هذه الأربعة، زال الإيمان بكماله. وإذا زال تصديق القلب، لم ينفع بقية الأجزاء؛ فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة.

وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق؛ فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة؛ فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب، وهو محبته وانقياده؛ كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه، واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول؛ بل ويرون به سراً وجهراً، ويقولون: ليس بكاذب، ولكن لا نتبعه، ولا نؤمن به.

وإذا كان الإيمان يزول بزوال عمل القلب؛ فغير مستنكر أن يزول بزوال أعظم أعمال الجوارح، ولا سيما إذا كان ملزوماً لعدم محبة القلب وانقياده الذي هو ملزوم لعدم التصديق الجازم –كما تقدم تقريره – فإنه يلزم من عدم طاعة القلب عدم طاعة الجوارح، إذ لو أطاع القلب وانقاد؛ أطاعت الجوارح وانقادت، ويلزم من عدم طاعته وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة، وهو حقيقة الإيمان.

---

(١) مجموع الفتاوى) ج ٧، ص ٥٨٢.." (١)

"(وقد أجمعت العلماء – لا خلاف بينهم – أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب، ولا نخرجه من الإسلام بمعصية؛ نرجو للمحسن، ونخاف على المسئ)(١).

ونقل الإمام أبو إسماعيل الصابوني - رحمه الله – اعتقاد أئمة السلف، أصحاب الحديث، أهل السنة والجماعة، وقال: (ويعتقد أهل السنة : أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرة صغائر كانت، أو كبائر؛ فإنه لا يكفر بها، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها، ومات على التوحيد والإخلاص؛ فإن أمره إلى الله – عز وجل – إن شاء عفا عنه، وأدخله الجنة يوم القيامة سالماً غانماً، غير مبتلى بالنار، ولا معاقب على ما ارتكبه من الذنوب، واكتسبه ثم استصحبه – إلى يوم القيامة – من الآثام والأوزار، وإن شاء عاقبه وعذبه مدة بعذاب النار، وإذا عذبه لم يخلده فيها؛ بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار) (٢).

وقال الإمام البغوي رحمه الله تعالى:

(اتفق أهل السنة على أن المؤمن لا يخرج عن الإيمان بارتكاب شيء من الكبائر، إذا لم يعتقد إباحتها، وإذا عمل شيئاً منها؛ فمات قبل التوبة، لا يخلد في النار؛ كما جاء به الحديث؛ بل هو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه بقدر ذنوبه، ثم أدخله الجنة برحمته)(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

(من أصول أهل السنة والجماعة: أن الدين والإيمان قول **وعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. وهم مع ذلك:

---

(١) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، ص/٥٢

(١) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة) المسمى بـ (الإبانة الصغرى): ص ٢٩٢ تحقيق د. رضا بن نعسان معطي.
(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث) : ص ٢٧٦ تحقيق د. ناصر بن عبد الرحمن الجديع.
(٣) شرح السنة) الإمام البغوي: ج١، ص ١٠٣.." [١]

"وذكر مثل ذلك ابن بطة في الإبانة ، والآجري في الشريعة ، وسائر الكتب التي ألفت في العقيدة كلها تنقل الإجماع على ذلك، والشاهد أن الإجماع منقول وثابت على أن الإيمان قول وعمل.

شرح تعريف الإيمان

أما معنى هذه العبارة -كما فسرها السلف ومنهم الأوزاعي والشافعي وسفيان بن عيينه وغيرهم- **فهو: قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح.

فالقول يطلق على أمرين: قول القلب، وقول اللسان.

والعمل يطلق على أمرين: عمل القلب، وعمل الجوارح.

هذه الأربعة يتكون منها الإيمان، فهو يتكون من: قول القلب، وقول اللسان، وعمل القلب، وعمل الجوارح وإذا عرفنا هذه الأربعة بالتفصيل عرفنا حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة ، وعرفنا بعد ذلك لماذا يحكمون على مرتكب الكبيرة بأنه ناقص الإيمان، فلا يخرجونه من الملة كما تقوله الخوارج ، ولا يقولون هو كامل الإيمان كما تقوله المرجئة .

فأما قول القلب: فهو الإقرار والاعتقاد الجازم بما جاء في حديث جبريل عليه السلام، وهو: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، أي: انقياد القلب وإذعانه وتصديقه الجازم، بالإيمان المجمل وهو: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، الذي هو: الإيمان بالغيب. وهي الصفة الأولى التي ذكرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من صفات المؤمنين في أول سورة مدنية، وهي سورة البقرة، فقول القلب: هو الإقرار والاعتقاد والتصديق الجازم بما ورد في حديث جبريل.

وأما قول اللسان: فهو إظهار هذا الإيمان وقوله وتلفظه بشهادة أن لا إله إلا الله، أو ما يقوم مقامها في حال البدء، كأن يقول الرجل: آمنت أو أسلمت أو دخلت في دين الإسلام، أو شهدت بأن الله حق، إلى آخر ذلك، ثم يلتزم بسائر العبادات والشرائع، ومنها: وهو أولها وأعظمها: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فهذا هو قول اللسان.." [٢]

(١) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، ص/١٢١
(٢) الإيمان عند أهل السنة والجماعة، ص/٤

"ومن أعظم ذلك الحياء، ولذلك أفرد في حديث شعب الإيمان الذي يقول فيه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿الإيمان بضع وسبعون –أو وستون– شعبة، فأعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان ﴾ فهذه الشعبة لأهميتها: أفردت، ولأنها خيرٌ كلها كما في الحديث الصحيح: ﴿الحياء كله خير ﴾.

ولا يمكن أن نحكم أو نعرف أو نقول: إن الإنسان لديه حياء –وهو عمل قلبي– إلا أن يظهر ذلك على جوارحه، فإن مشية الإنسان الحيي غير مشية الإنسان الذي لا يستحي، وكلام الإنسان صاحب الحياء غير كلام الآخر، وكذلك صلاته وعبادته، وفعله لما أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإن الحيي يتورع عن ارتكاب المحرمات، ومن تجرأ على المحرمات وعلى المنكرات جزمنا وعلمنا بأنه فاقد للحياء كله أو بعضه، فهذه هي أعمال القلب، فعمل القلب –إذاً– هو هذه الأمور الباطنة من الإيمان.

وأما عمل الجوارح فهو: جميع التعبدات التي فرضها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على الجوارح، كإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمثال ذلك.

الإيمان حقيقة مركبة

ومن هذه الأربعة –أي **من قول القلب وقول** اللسان ، وعمل القلب وعمل الجوارح– تتكون حقيقة الإيمان الكلية المركبة الذي هو الإيمان الشرعي، الذي جاء به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبلغه لنا بما أنزله الله من الوحي في القرآن، وبما علَّمنا إياه وفسره لنا في السنة.." (١)

"فقال للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿أخبرني ما الإسلام؟ فقال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج البيت ﴾ فذكر الأركان الخمسة في جواب قوله: ما الإسلام؟ ثم لما ﴿قال: ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره ﴾ وفي رواية صحيحة على شرط مسلم –رواها ابن مندة – قال له جبريل بعد أن ذكر أركان الإسلام: ﴿فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم؟ قال: نعم –وقال له بعد أن ذكر أركان الإيمان– فإذا فعلت ذلك فأنا مؤمن؟ قال: نعم ﴾ وفهم الإمام أحمد من ذلك تكفير من ترك ركناً من أركان الإسلام أو ركناً من أركان الإيمان، قال: " ومن قال إنه يكون مؤمناً وإن لم يعمل شيئاً، فقد عاند الحديث " فهو يقول: من قال: إن الرجل يكون مؤمناً بالتصديق القلبي الباطن فقط فقد عاند الحديث، ألم تره يقول: فإن فعلت ذلك فأنا مسلم، فإن فعلت ذلك فأنا مؤمن، فالصحابة رضوان الله تعالى عليهم وأهل السنة والجماعة –أيضاً– فهموا من هذا أن الإيمان قول وعمل: القول الباطن والعمل الباطن، القول الباطن الذي هو قول القلب، والقول الظاهر الذي هو قول اللسان، والعمل الباطن الذي هو عمل القلب، والعمل الظاهر الذي هو عمل الجوارح.

---

(١) الإيمان عند أهل السنة والجماعة، ص/٦

فمن هذا الحديث علمنا أن الأركان الستة هي أركان الإيمان، وهي أعمال باطنة: أن تؤمن بقلبك بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر.

وأما أركان الإسلام الخمسة فهي أركان ظاهرة: شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج، أي أعمال ظاهرة بالجوارح.." (١)

"فقالوا: إذاً: ما دام الشارع فعل ذلك، -لم يحكم على صاحب الكبيرة بحد الردة- فمرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان، وقالوا: إنه كامل الإيمان لأن الإيمان عندهم شيء واحد أصلاً لا يزيد ولا ينقص، إذاً الإيمان كله متحقق لدى صاحب الكبيرة، والخوارج يقولون: الإيمان كله منفيٌ عن صاحب الكبيرة.
فكان هذا الغلو وهذا السخف من هاتين الفرقتين.

ولكن الأمة الوسط والفرقة الناجية هم أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين ظهرت الخوارج في أيامهم، وناظروهم في ذلك كما ناظرهم ابن عباس رضوان الله تعالى عليهم.

أما الإيمان الواجب أو الإيمان الذي يطلق وهو اسم مدحٍ في الإنسان، ودرجة عليا، وهو كمال الإيمان، فهذا يُنفى عن صاحب الكبيرة، ولكن نقول: إن عمل الجوارح نقص عندما زنى وعملت جارحته، وفقد عمل قلبه، أي إيمانه القلبي.

إذاً عمل القلب فقد عند الزاني، لكن هل فقد قول القلب؟ هو قد يكون مستحلاً فيكفر، لكن الكلام مختص بمرتكب الكبيرة غير المستحل.

فنقول: هذا فَقَدَ عمل القلب، الذي هو الالتزام والانقياد والإذعان لأمر الله الذي حرم الزنا، وهو لما زنى لم يكن لديه عمل القلب، لكن هل نقول: إنه فقد قول القلب، الذي هو الإقرار والاعتقاد الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؟ الصحيح أنه ليس هناك دليل -لا من الشرع ولا من واقعه- أنه فقد قول القلب، فهو تارك لجزء من الإيمان الذي هو عمل القلب، ولم يترك الجزء الآخر الذي هو قول القلب.

متى يكفر الإنسان." (٢)

"لا يكفر الإنسان ولا يحكم بكفره إلا إذا **ترك قول القلب الذي** ينخرم بفقدان عمل القلب بالكلية، أو بفقدان عمل الجوارح بالكلية؛ لأنه إذا انتفى هذا أو هذا بالكلية انتفت الحقيقة المركبة التي هي الإيمان، والتي يتركب منها هذا الإيمان، وقد أوضح الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذلك في القرآن، وفي المثل الذي ضربه، والذي به نفهم جميعاً الفرق بين مذهب أهل

(١) الإيمان عند أهل السنة والجماعة، ص/٩
(٢) الإيمان عند أهل السنة والجماعة، ص/١٣

السنة والجماعة وغيرهم في الإيمان، فيقول الله تبارك وتعالى: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا [إبراهيم:٢٤-٢٥] والشجرة الطيبة هي: شجرة الإيمان، التي هي شهادة أن لا إله إلا الله، ولو تصورنا نحن الآن هذه الشجرة لعرفنا حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة .

فهو مثلما قلنا: إنه يتركب من روح وجسد، والشجرة تتكون من الجذع ثم الفروع ثم الأوراق والثمرة، وهناك جانب أسفل سطح الأرض وهو الجذور التي تمتد إلى أسفل والتي تتغذى بالماء وتدفع الغذاء إلى الأغصان فتنمو، فإذا كثر الغذاء كثرت هذه الفروع وإذا قلَّ قلَّت، فهذا المثال ينطبق تماماً على حقيقة الإيمان.

وإذا قارنا ما يقول هؤلاء، وما يقول أولئك، عرفنا أولاً حقيقته، ثم عرفنا ثانياً أنه هو الحق، فهذه الشجرة إذا قُطع غصن منها، فهو مثل مرتكب الكبيرة، أو مثل من كترك واجباً من الواجبات غير الأركان الخمسة، ترك -مثلاً- فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو كان من أهل الغيبة أو النميمة، فنقول هذا الإنسان ذهب عنه غصن من هذه الشجرة، لكنه لم يفقد الشجرة بالكلية، ولهذا على قول الخوارج أن مرتكب الكبيرة قد خرج من الدين، كمن يقول: الذي قطع غصناً من الشجرة، فإن الشجرة لا وجود لها.." (١)

"ومذهب الإمام أبي حنيفة على فهمين: منهم من فهم إدخال عمل القلب في الإيمان وهي اليقين والإنابة والإخلاص والصدق والرغبة وما إلى ذلك، فكل الإيمان الباطن يجعله من الإيمان، ويجعل القول من الإيمان، فيكون عنده أن أركان الإيمان ثلاثة **وهي: قول القلب وعمل** القلب وقول اللسان وأخرجوا عمل الجوارح وهو الرابع عند أهل السنةوالجماعة ، ثم جاء أبو منصور الماتريدي الحنفي وقال: لا. حقيقة الإيمان عند أبي حنيفة مثله عند جهم ، فجعلوه كجهم ، قالوا: يقصد فقط قول القلب، وهو التصديق، فعمل القلب غير داخل، والعمل غير داخل في الإيمان عند أبي حنيفة ، والذي نظنه نحن بأبي حنيفة أنه لا يخرج عمل القلب، لكن الحنفية يخرجون عمل القلب.." (٢)

"الجواب: الموضوع خارج عن نطاق الإيمان، لكن نقول باختصار: التأويل منه ما يكون كفراً، ومنه ما يكون بدعة، ومنه ما يكون خطأً، كما قال ذلك شارح العقيدة الطحاوية في أولها، والتأويل المكفر كتأويل الباطنية ، والتأويل البدعي كتأويلات الأشعرية ، والتأويل الخطأ مثل بعض من أخطأ من أهل السنة والجماعة في صفة القدم مثلاً.

حكم تارك الصلاة

السؤال: عندما قلتم إن من ارتكب الزنا، **فإن قول القلب ما** زال موجودًا عنده، مع أنه فقد عمل القلب، فلماذا لم نقل لمن ترك الصلاة: إنه فقد عمل القلب، وقول القلب ما زال موجوداً عنده؟ أرجو بيان ذلك مفصلاً وحكم تارك الصلاة؟ سواءٌ أكان منكراً أم تاركاً عمداً أم تاركاً تكاسلاً، وهل بعد دعوة تارك الصلاة مرات كثيرة وإصراره على الترك يقال: إنه كافر؟

---

(١) الإيمان عند أهل السنة والجماعة، ص/١٤

(٢) الإيمان عند أهل السنة والجماعة، ص/٢٦

الجواب: الموضوع الأول ليس هناك داع لأن نطيل فيه؛ لأننا قلنا: إن هناك أركان أساسية: الأركان الخمسة من الإسلام، والستة من الإيمان، فهذه أساسية وبفقد أحدها يفقد الإيمان أو الإسلام، وأما بقية الأشياء فهي واجبات، وتختلف عن الأركان الأساسية، وهناك -أيضاً- خلاف أساسي بين ترك المأمورات وبين ارتكاب المحرمات، فارتكاب المحرمات مهما كثر مع الإتيان بالأركان الخمسة فإن صاحبه يبقى مرتكباً لكبيرة، كما في حديث صاحب البطاقة -وكما تعلمون- أنه لم يعمل خيرًا قط، لكن عنده التوحيد فنفعه ذلك التوحيد، وحديث المذنب الذي يأتي بصلاة وصيام وزكاة، لكن الأعمال السيئة تأخذ كل ذلك حتى يطرح في النار، فالأحاديث كثيرة تدل على أن ارتكاب المحظورات جميعاً، ليس مثل ترك الواجبات جميعاً، بل ترك الواجبات جميعاً يخرج من الملة، ولو أن أحدًا لم يعمل من الواجبات شيئاً، فهذا لا يكون مؤمناً قط، لكن لو فعل المحرمات جميعاً ما عدا الشرك؛ فإنه لا يخرج من الملة، فهذا فارق أساسي بين شارب الخمر أو الزاني وبين تارك الصلاة.." (١)

"والإيمان قول وعمل ، **قول القلب واللسان** ، وعمل القلب واللسان والجوارح ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بمجرد المعصية ، ولا نسلب الفاسق الملّي اسم الإيمان بالكلية ، ولا نخلده في النار كما تقول المعتزلة ، ولا نكفره بالكبائر كما تقول الخوارج ، وإنما نقول هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، على ما جاءت به الشريعة واجب .

ونعتقد إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء أبرارا كانوا أو فجارا ، وندين بالسمع والطاعة لهم في غير معصية عدلوا أو جاروا ما أقاموا الصلاة ، ونحافظ على الجماعة ونَدِين الله بالنصح للأئمة خاصة وللأمة عامة ، ونبرأ إلى الله من طريق الخوارج والمعتزلة ، الذين يرون الخروج على الأئمة بمجرد الجور والمعصية .

فهذا الذي نَدِين الله به ، ونعتقده ، وندعوكم إليه ، وحسبنا فيه كتاب الله وسنة رسوله ، وسلف الأمة الذين شهد لهم رسول الله بالخير ، قال صلى الله عليه وسلم : "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا ، كتاب الله وسنتي" وقال : "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم" فتمسكوا بدينكم فهذا زمان القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر ، زهيت فيه الحياة بزخرفها ، وثملت الناس بنشوتها ، وكثر الدخيل في الإسلام ، وأوقع في القلوب الضعيفة ما أوقع من الأوهام ، وتحقق فيه قول ابن مسعود رضي الله عنه "كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير ، ويهرم عليها الكبير وتتخذ سنة يجري الناس عليها ، فإذا غير منها شيء قيل غيرت السنة" قيل متى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟ قال : "إذا كثر قراؤكم وقل فقهاؤكم وكثرت أموالكم وقل أمناؤكم وتعلم لغير الدين" ومعلوم أنه كلما تقادم عهد أمة بنبيها ألقى الشيطان في أفرادها تعاليم تظن فيما بعد أنها من الدين ، والدين منها براء يريد بذلك إماتة السنة ، وطمس معالمها .." (٢)

"وتوحيد الأسماء والصفات : وهو إثبات ما وصف الرب تعالى وسمى به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء الحسنى والصفات العلى إثباتا يليق بجلاله وعظمته ، ويختص به من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ومن

---

(١) الإيمان عند أهل السنة والجماعة، ص/٢٩

(٢) البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد، ص/٨

غير تكييف ، ولا تمثيل ، وجميع أصحاب المقالات من الفرق الإسلامية متفقون على إثبات هذه المقدمة ، وهي أن الله تعالى موصوف بصفات الكمال منزه عن صفات النقص ، وإنما اختلفوا فيما هو كمال وما هو نقص ، أو يلزم منه النقص ، فمنهم من ظن أن وصف الباري تعالى بما وصف به نفسه يلزم منه التجسيم والتشبيه، فنفى ما أثبته الله تعالى لنفسه وعطل أسماءه وصفاته وألحد فيها ، ومنهم من أثبت ذلك وغلا في الإثبات ، حتى شبه الله صفات الباري تعالى بصفات خلقه ، وهدى الله تعالى أهل السنة الذين هم الفرقة الناجية ، وهم الوسط في فرق الأمة ، كما أن الأمة وسط بين سائر الأمم ، إلى القول بما دل عليه الكتاب والسنة ومضى عليه سلف الأمة ، من إثبات جميع ما وصف به تعالى نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات العلى وإمرارها كما جاءت ، وهذا هو طريق النجاة ومن ذلك الإيمان بما أخبر به تعالى في كتابه ، وتواتر عن رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأجمع عليه سلف الأمة من أن الله فوق سماواته ، على عرشه ، عليٌّ على خلقه ، وهو سبحانه فوق معهم أينما كانوا ، يعلم ما هم عاملون ، ومما نعتقده وندين الله به أن الدين والإيمان قول وعمل **، قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح ، وأن الإيمان يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، ومع ذلك لا نكفر أهل القبلة بمجرد المعاصي ، ولا نسلب الفاسق الملِّي اسم الإيمان بالكلية ولا نخلده في النار ، كما يقوله المعتزلة ، ولا نكفره بالكبائر كما قاله الخوارج ، ونقول هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، أو مؤمن ناقص الإيمان ، أو مسلم وليس بمؤمن ، كما يقوله بعض أهل السنة ،." (١)

"(فَصْلٌ: ومِنْ أُصُولِ [أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ] أَنَّ الدِّينَ والإيْمَانَ قَوْلٌ **وعَمَلٌ، قَوْلُ القَلْبِ واللِّسانِ**، وعَمَلُ القَلْبِ واللِّسانِ والجَوَارِحِ. (١)

---

(١) فَصْلٌ قولُه: (أنَّ الدِّينَ) معناه لغةً: الذُّلُّ، يُقالُ دِنْتُه فَدانَ، أي أَذْلَلْتُه فَذَلَّ، وشَرْعا: هُوَ ما أمَرَ اللَّهُ بِهِ على أَلْسِنةِ رُسلِه، والإيمانُ لغةً: التَّصديقُ كما قال تعالى: (وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا) أي بمُصدِّقٍ، وشَرْعا: الإيمانُ هُوَ ما ذَكَرَه المصنِّفُ.

قال الشَّيخ تَقِيُّ الدِّينِ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: لفظُ الإيمانِ إذا أُطلِقَ يُرادُ بِهِ ما يُرادُ بلفظِ البِرّ وبِلَفْظِ التَّقوى وبلفظِ الدِّينِ، فكُلُّ ما يُحِبُّه اللَّهُ ورسولُه يَدْخُلُ في اسمِ الإيمانِ. انتهى. وفي حديثِ جبريلَ: سَمَّى النَّبِيُّ -صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ- الإسلامَ والإيمانَ والإحسانَ دِينًا.

قولُه: (قولُ القلبِ) وهُوَ الاعتقادُ، كاعتقادِ ما أخبَرَ اللَّهُ بِهِ عَن نَفْسِه وأسمائِه وصفاتِه وأفعالِه وملائكتِه وكتُبِه ورُسلِه.

قولُه: (قولُ اللِّسانِ) وهُوَ التَّكلُّمُ بالشَّهادَتَيْنِ، والقيامُ بذِكْرِه -سُبْحَانَهُ- وتبليغِ أوامرِه والدَّعوةِ إليهِ والذَّبِّ عن دِينِه ونحوِ ذَلِكَ.

قولُه: (وعملُ القلبِ) وهُوَ نِيَّتُه وإخلاصُه والتَّوكُّلُ والإنابَةُ والمحبَّةُ والانقيادُ والخوفُ منه -سُبْحَانَهُ- والرَّجاءُ وإخلاصُ الدِّينِ له والصَّبْرُ ونحوُ ذَلِكَ مِن أعمالِ القلوبِ.

قولُه: (وعَملُ اللِّسانِ والجوارحِ) كالصَّلاةِ والحجِّ والجهادِ ونحوِ ذَلِكَ، فالإيمانُ عندَ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ هُوَ ما تَقدَّمَ أنَّه قولٌ

---

(١) البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد، ص/١١

واعتقادٌ، وحكى الشَّافِعِيُّ على ذَلِكَ إجماعَ الصَّحابةِ والتَّابِعينَ ومَن بَعْدَهم ممَّن أدْرَكَهم، وأنْكَرَ السَّلَفُ على مَن أخرجَ الأعمالَ مِن الإيمانِ إنكاراً شديداً.

روى اللاَّلَكائِيُّ بإسنادٍ صحيحٍ عن البخاريِّ قال: لقيتُ أكثرَ مِن ألْفِ رجُلٍ مِن العلماءِ بالأمصارِ، فما رأيتُ أحدًا منهم يختلِفُ في أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ ويزيدُ وينْقُصُ، وقال الأوْزاعِيُّ: كان مَن مَضَى مِن السَّلَفِ لا يُفَرِّقُون بين العَملِ والإيمانِ، وفي صحيحِ البخاريِّ أنَّ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ كتَبَ إلى عَدِيِّ بنِ عَدِيٍّ أنَّ للإيمانِ فرائضَ وشرائعَ وحُدودًا وسُنناً، فمَن استكمَلَها فقد استكْمَلَ الإيمانَ، ومَن لم يستكمِلْها لم يستكْمِلِ الإيمانَ، فإنْ أَعِشْ فسأُبَيِّنُه لكم، وإنْ أَمُتْ فما أنا على صُحبتِكُم بحريصٍ، وفي "الصَّحيحَيْنِ" عن ابن عبَّاسٍ -رضي اللَّهُ عنه- عن النَّبِيِّ -صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ- أنَّه قال لوفْدِ عبدِ القَيْسِ: ((آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ: الإيمَانُ باللَّهِ وَحْدَهُ، وَهَلْ تَدْرُونَ مَا الإِيْمَانُ باللَّهِ؟ شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُؤَدُّوا الْخُمُسَ مِنَ الْمَغْنَمِ)). قال ابنُ القيِّمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: فيه أَنَّ الإيمانَ باللَّهِ هُوَ مجموعُ هَذِهِ الخِصالِ مِن القولِ والعملِ، كما عَلِمَ ذَلِكَ أصحابُ رسولِ اللَّهِ -صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ- والتَّابِعون وتابِعُوهم، وعلى ذَلِكَ ما يُقارِبُ مِن مائةِ دليلٍ مِن الكِتابِ والسُّنَّةِ. اهـ.." (١)

"فصل

قال المصنف رحمه الله ومن أصول أهل السنة أن الدين والإيمان قول وعمل ، **قول القلب واللسان** وعمل القلب واللسان والجوارح ، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالعصية. وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر ، كما يفعله الخوارج ، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي ، كما قال في آية القصاص: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ ، وقال: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ .." (٢)

"(قُلْ) الخطاب لصاحب السنة المتمسك بالكتاب والسنة ، أي : قل معتقداً مؤمناً بهذا الأمر غير شاك فيه ولا متردد ،، لأن القول إذا أُطلق فإنه **يشمل قول القلب واللسان** ، ومن ذلك قوله تعالى (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ ...)(البقرة١٣٦) أي : قولوا ذلك بقلوبكم إيماناً واعتقاداً وبألسنتكم نطقاً وتلفظا .

(غير مخلوق كلام مليكنا) وهذا فيه إثبات أمرين يتعلقان بصفة الكلام :

الأمر الأول : أن الكلام صفة الله ، فالقرآن كلام الله وليس كلام أحد من المخلوقين ، وإضافته إلأى الله من باب إضافة الصفة إلى الموصوف ، بخلاف المعتزلة الذين قالوا هو من باب إضافة المخلوق إلى الخالق .

والمضافات إلى الله تعالى على نوعين : مضاف إلى الله من باب إضافة الصفة إلى الموصوف مثل سمع الله وبصر الله وقدرة

---

(١) التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية، ص/٤٩

(٢) التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة، ص/٨٩

الله وكلام الله وعلم الله ، وضابطه ما إذا كان المضاف وصفاً لا يقوم إلا بموصوف ، ومضاف إلى الله من باب إضافة المخلوق إلى الخالق مثل عبدالله وأمة الله وناقة الله وبيت الله ، وضباطه ما إإذا كان المضاف عيناً قائما بنفسه .

وهكذا الشأن فيما يقال فيه (من الله) فقد يكون منه وصفاً ، وقد يكون منه خلقاً . فقوله تعالى (... وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)(السجدة١٣) . القول وصفللرب سبحانه ونعت من نعوته .

وقوله (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ...)(الجاثية١٣) مافي السماوات ومافي الأرض جميعاً هو من الله خلقاً وإيجاداً .

وفي هذا الباب ضل طائفتان : المعتزلة حيث جعلوا الجميع إضافته إلى الله إضافة خلق وغيجاد ، ليصلوا إلى مبتغاهم وهو القول بأن كلام الله مخلوق ، وغلاة الصوفية حيث جعلوا الجميع إضافته إلى الله إضافة وصف ، ليصلوا إلى متغاهم وهو القول بالحلول ووحدة الوجود تعالى الله عما يصفون .." (١)

"والصحابي : هو الذي لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ومات على ذلك ، فكل من كان بهذه الصفة فهو من الصحابة وقل خير قول ، ولما ذكر الله في سورة الحشر المهاجرين والأنصار قال (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)(الحشر١٠) فذكر الله لمن جاء بعدهم صفتين هما : سلامة الصدر وسلامة اللسان .

وهكذا يجب أن يكون صاحب السنة تجاه الصحابة فلا يحمل عليهم في قلبه غلاًّ ويكون سليم اللسان فلا يقدح فيهم ولا يخوض فيما شجر بينهم بل يقول عنهم ما يزيد حبهم في القلوب . والناظم رحمه الله أشار إلى تحقيق هاتين الصفتين بقوله (وقل خير قول) وقد مر معنا أن القول إذ أطلق **يشمل قول القلب وقول** اللسان ، ويكون المعنى قل فيهم خير قول بقلبك بأن يكون سليماً من الغل والحقد ولا يحمل تجاههم إلا الخير ، وبلسانك بأن يكون سليماً من الطعن والقدح ولا تتكلم عنهم إلا بخير .

(ولا تك طعاناً تعيب وتجرح) لما أمر ورغب صاحب السنة في أن يقول في الصحابة خير قول ، حذره من أن يقع في الطعن والتجريح لأي أحد منهم (طعانا) أي كثير الطعن ، والمقصود النهي عن الطعن في الصحابة ، وليس المقصود النهي عن المبالغة في الطعن ، فقد يأتي على وزن [فعال ما لا يُراد به المبالغة كقوله تعالى (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكُ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ) (فصلت٤٦) . أي : ليس بذي ظلم . وفي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش والبذيء)(١) أي ليس بذي طعن وليس بذي لعن ، هذا مع عموم المسلمين ، فكيف بالأمر مع الصحابة المعَدلين .." (٢)

"ومن الأحاديث الجامعة لهذه الأمور الثلاثة ، حديث أبي هريرة المعروف بحديث شعب الإيمان (الإيمان بضع وسبعون شعبة فاعلاها قول لا اله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء وشعبة من الإيمان)(٣) فهذا الحديث

---

(١) التحفة السنية شرح منظومة ابن ابي داود المسماة بالحائية، ص/١٢

(٢) التحفة السنية شرح منظومة ابن ابي داود المسماة بالحائية، ص/٤٥

الجامع دل على دخول ما يكون باللسان والجوارح والقلب فخي مسمى الإيمان .

إما دلالته على ما يكون باللسان ففي قوله (أعلاها قول لا اله إلا الله) والقول **يشمل قول القلب وقول** اللسان عندها يطلق .

قال تعالى (الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) (فصلت ٣٠)

وقال تعالى (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (البقرة ١٣٦)

فالمراد بقوله (قولوا) أي بقلوبكم وألسنتكم . ولذلك لا ينصرف القول إلى القول باللسان فقط إلا عندما يقيد قال تعالى (يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ) (آل عمران ١٦٧) وهي صريحة في أن القول يكون بالقلب واللسان ولذلك أهل السنة عندما يقولون في كتبهم الإيمان قول فهو شامل **لامرين قول القلب وقول** اللسان .

و أما دلالته على دخول ما يكون بالجوارح في مسمى الإيمان ففي قوله (أدناها إماطة الأذى عن الطريق) وهذا يدل على الدخول الأعمال في مسمى الإيمان . فإماطة الأذى عمل يقوم به الإنسان وهو جزء من الإيمان وشعبة ومن شعبه .." [(١)]

"عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد، أحد النقباء بدري مشهور مات بالرملة سنة أربع وثلاثين وله اثنتان وسبعون سنة، وقيل: عاش إلى خلافة معاوية رضي الله عنه.

قوله (من شهد أن لا إله إلا الله) أي من تكلم بها عارفا لمعناها، عاملا بمقتضاها، باطنا وظاهرا، فلابد في الشهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولها، كما قال الله تعالى: '٤٧ : ١٩' ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ وقوله '٤٣: ٨٦' ﴿ إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ﴾ أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه: من البراءة من الشرك، وإخلاص القول **والعمل: قول القلب واللسان** وعمل القلب والجوارح – فغير نافع بالإجماع.

قال القرطبي في المفهم على صحيح مسلم: باب لا يكفى مجرد التلفظ بالشهادتين بل لابد من استيقان القلب – هذه الترجمة تنبيه على فساد مذهب غلاة المرجئة، القائلين بأن التلفظ بالشهادتين كاف في الإيمان. وأحاديث هذا الباب تدل على فساده. بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها. ولأنه يلزم منه تسويغ النفاق، والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح. وهو باطل قطعا أ.هـ.

وفى هذا الحديث ما يدل على هذا. وهو قوله: من شهد فإن الشهادة لا تصح إلا إذا كانت عن علم ويقين وإخلاص وصدق.

قال النووي: هذا حديث عظيم جليل الموقع، وهو أجمع – أو من أجمع – الأحاديث المشتملة على العقائد. فإنه – صلى

---

(١) التحفة السنية شرح منظومة ابن ابي داود المسماة بالحائية، ص/٧٩

الله عليه وسلم – جمع فيه ما يخرج من ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدها. فاقتصر – صلى الله عليه وسلم – في هذه الأحرف على ما يباين جميعهم أ.هـ.." (١)

"فإذا نظرنا إلى ظاهر حديث معاذ وحديث سهل هذا، فإننا نقول: الأولى أن تدعوه للإسلام، وإذا أسلم تخبره. وإذا نظرنا إلى واقع الناس الآن، وأنهم لا يسلمون عن اقتناع، فقد يسلم، وإذا أخبرته ربما يرجع، قلنا: يخبرون أولا بما يجب عليهم من حق الله فيه، لئلا يرتدوا عن الإسلام بعد إخبارهم بما يجب عليهم، وحينئذ يجب قتلهم لأنهم مرتدون. ويحتمل أن يقال: تترك هذه المسألة للواقع وما تقتضيه المصلحة من تقديم هذا أو هذا.

(ف): وفيه: أمر الإمام عماله بالرفق من غير ضعف ولا انتقاض عزيمة، كما يشير إليه قوله ثم ادعهم إلى الإسلام أي الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإن شئت قلت الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وما اقتضته الشهادتان من إخلاص العبادة لله وحده، وإخلاص الطاعة لرسوله – صلى الله عليه وسلم –. ومن هنا طابق الحديث الترجمة كما قال تعالى لنبيه ورسوله: '٣: ٦٤' " قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ".

قال شيخ الإسلام رحمه الله : والإسلام هو الاستسلام لله، وهو الخضوع له والعبودية له. كذا قال أهل اللغة.

وقال رحمه الله تعالى: ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله: هو الاستسلام له وحده، فأصله في القلب. والخضوع له وحده بعبادته وحده دون ما سواه. فمن عبده وعبد معه إلها آخر لم يكن مسلما. ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلما، وفى الأصل: هو من باب العمل، عمل القلب والجوارح. وأما الإيمان فأصله تصديق القلب، وإقراره ومعرفته، فهو من **باب قول القلب المتضمن** عمل القلب. انتهى.." (٢)

"(ج) المرجئة قالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فهم يقولون إن الإيمان مجرد التصديق بالقلب فمرتكب الكبيرة عندهم كامل الإيمان ولا يستحق دخول النار، وهذا يبين أن إيمان أفسق الناس عندهم كإيمان أكمل الناس.

(د) الجهمية وافقوا المرجئة في ذلك تمامًا، فالجهم قد ابتدع التعطيل، والجبر، والإرجاء كما قال ابن القيم رحمه الله.

(هـ) أما أهل السنة فوفقهم الله للوسطية بين هذين المذهبي الباطلين فقالوا: الإيمان قول **وعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فقول القلب تصديقه وإيقانه، وقول اللسان النطق بالشهادتين والإقرار بلوازمها، وعمل القلب: النية والإخلاص والمحبة والانقياد، والإقبال على الله عز وجل والتوكل عليه ولوازم ذلك وتوابعه، وكل ما هو من أعمال القلوب، وعمل اللسان، ما لا يؤدى إلا به كتلاوة القرآن وسائر الأذكار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله عز وجل، وغير ذلك، وعمل الجوارح: القيام بالمأمورات واجتناب المنهيات، ومن ذلك الركوع والسجود وغير ذلك.

---

(١) الترتيب الفريد من شروحات كتاب التوحيد، ٦/٧

(٢) الترتيب الفريد من شروحات كتاب التوحيد، ٩/١٩

فمرتكب الكبيرة عند أهل السنة مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا ينفون عنه الإيمان أصلاً كالخوارج والمعتزلة، ولا يقولون بأنه كامل الإيمان كالمرجئة والجهمية، أما حكمه في الآخرة فهو تحت مشيئة الله عز وجل إن شاء أدخله الجنة من أول وهلةٍ رحمةً منه وفضلاً وإن شاء عذبه بقدر معصيته عدلاً منه سبحانه ثم يخرجه بعد التطهير ويدخله الجنة. هذا إن لم يأتِ بناقض من نواقض الإسلام(١).

---

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية، للهراس ص١٣١، والكواشف الجلية عن معاني الواسطية ص٥٠٢، وشرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، بقلم الكاتب ص٥٣-٥٦.." [1]

"الأَول : أَن تُصرف جميع أَنواع العبادة له- سبحانه- دون ما سواه ، ولا يُعْطى المخلوق شيئا من حقوق الخالق وخصائصه .

فلا يُعبد إلا الله ، ولا يصلى لغير الله ، ولا يُسْجَدُ لغير الله ، ولا يُنْذَرُ لغير الله ، ولا يُتَوَكَّلُ على غير الله ، وإن توحيد الأُلوهية يقتضي إِفراد الله وحده بالعبادة .

والعبادة : **إما قول القلب واللسان** وإمَّا عمل القلب والجوارح .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) . وقال . سبحانه : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ (٢) . الثاني : أَنْ تكون العبادة موافقة لما أَمر الله تعالى به ، وأَمر رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

فتوحيد الله سبحانه بالعبادة والخضوع والطاعة هو تحقيق شهادة أَن : (لاَ إِلَهَ إِلَّا الله) .

ومتابعة رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- والإذعان لما أمر به ونهى عنه هو تحقيق أَنَّ : (مُحَمَدا رَسُولُ الله) .

فمنهج أَهل السنة والجماعة :

---

(١) سورة الأنعام : الآيتان ، ١٦٢ - ١٦٣.

(٢) سورة الزمر : الآية ، ٣.." [2]

"الأصل الثاني

مسمى الإيمان عند أهل السنة والجماعة

مسمى الإيمان

ومن أُصول عقيدة السَّلف الصالح ، أَهل السنة والجماعة :

أَنَ الإِيمان عندهم : تصديق بالجنانِ ، وقول باللسانِ ، وعملٌ بالجوارح والأَركانِ ، يزيدُ بالطاعةِ ، وينقصُ بالمعصيةِ .

---

(١) بيان عقيدةأهل السنة والجماعة ولزوم اتباعها، ص/٢٩

(٢) الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، ص/٤١

والإيمان (١) : قولٌ وعمل :

* **قولُ القلبِ واللسانِ** . * وعملُ القلبِ واللسانِ والجوارح . * فقول القلبِ : اعتقادهُ ، وتصديقهُ ، وإقراره ، وإيقانه .

* وقولُ اللسانِ : إقرارهُ العمل ؛ أي النطق بالشهادتين ، والعمل بمقتضياتها .

* وعملُ القلبِ : نيَّتهُ ، وتسليمهُ ، وإخلاصهُ ، وإذعانهُ ، وحُبُّه وإرادته للأعمال الصالحة .

وعملُ اللسان والجوارح : فعلُ المأمورات ، وتركُ المنهيات .

(ولا إيمان إلا بالعملِ ، ولا قول ولا عمل إلا بنيَّة ، ولا قول ولا عمل ولا نيةَ إلَّا بموافقة السنة) (٢)

وقد أَطلق الله تعالى صفة المؤمنين حقا في القرآن للذين آمنوا ، وعملوا بما آمنوا به من أُصول الدِّين وفروعه ، وظاهره وباطنه وظهرت آثار هذا الإيمان في عقائدهم ، وأَقوالهم ، وأَعمالهم الظاهرة والباطنة ، قال الله تبارك وتعالى :

---

(١) الإيمان : لغة التصديق وإظهار الخضوع والإقرار ، وشرعا : جميع الطاعات الباطنة والظاهرة ؛ فالباطنة كأعمال القلب وهو تصديق القلب ، والظاهرة هي أفعال البدن من الواجبات والمندوبات ، وملخصه : هو ما وقر في القلب وصدقه العمل ، وبَدَت ثمراتهُ واضحة في امتثال أوامر الله والابتعاد عن نواهيه ؛ فإذا تجرد العلم عن العمل ؛ فلا فائدة فيه ، ولو كان العلم المجرد في العمل ينفعُ أحدا لنفع إبليس ؛ فقد كان يعرف أَن الله واحد لا شريك له ، وأَن مصيره لا شك إليه ؛ لكن حين صدر إليه الأمر من الله تعالى : أَن اسجد لآدم ، أبي واستكبر وكان من الكافرين ، ولم يشفع له علمه بالوحدانية ؛ ذلك أَن العلم المجرد عن العمل لا وزن له عند رب العالمين ، وهكذا كان فهم السلف . والإيمان لم يأت في القرآن مجردا عن العمل ؛ بل عطف عليه العمل الصالح في كثير من الآيات .

(٢) قال هذا الإمام الأوزاعي وسفيان الثوري والحميدي وغيرهم ، وهو مشهورَ عنهم ؛ كما رواه اللالكائي وابن بطة .." (١)

"والدليل قوله تعالى : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الأخر والملائكة والكتاب والنبيين) ودليل القدر قوله تعالى : (إنا كل شيء خلقناه بقدر) .

الشرح :

قال المصنف المرتبة الثانية " الإيمان " وهو لغة : التصديق ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ﴾ . اصطلاحا : فالإيمان له معنيان : معنى عام وخاص ، فإذا تفرد عن الإسلام فيفسر بالمعنى العام ويكون الإيمان قول باللسان وعمل (سواءً بالجوارح أو القلب) واعتقاد بالجنان . أي هو الخضوع والإتيان بالدين كله عملاً واعتقاداً . والسلف يفسرون الإيمان بكلمات أقلها اثنتان . قول وفعل . وأكثرها ست كلمات . قول وعمل واعتقاد ونية ومتابعة وإخلاص .

وأما إن اجتمع مع الإسلام فيفسر بالتفسير الخاص : وهو التصديق والاعتقاد بما جاء من شرع الله . وعلى ذلك فالإيمان يطلق على العمل الباطن والإسلام على الأعمال الظاهرة .

---

(١) الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، ص/٨٨

" مسألة " أركان الإيمان تعريف الركن ما لا يصح الإيمان إلا به وهي أركان ستة .

قال المصنف وأركانه : ستة، أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الأخر ، والقدر خيره وشره كله من الله .

قال المصنف " وهو يضع وسبعون شعبة " البضع من الثلاثة إلى التسعة والشعبة هي الطائفة والخصلة .

" أعلاهاً أي أعلى الشعب بمعنى الإيمان العام وإلاّ فإن قول لا إله إلا الله إسلام لأن الإسلام الأعمال الظاهرة . ومنه القول ، إلا إن قصد بالقول **هنا قول القلب** .

أما أعلاها : بالمعنى الإيمان الخاص فهو اعتقاد ما في شهادة أن لا إله إلا الله لأن الإيمان بالمعنى الخاص هو الاعتقاد .

" أدناها " بالمعنى العام " إماطة الأذى عن الطريق " والحياء شعبة من الإيمان " وهذا بالمعنى الخاص لأن الحياء عمل قلب واعتقاد . والمصنف هنا ذكر ثلاث جهات وذكر عمل كل جهة فجهة اللسان مثل لا إله إلا الله وجه الجوارح مثّل لها بإماطة الأذى ، وجهة القلب مثّل لها بالحياء .." (١)

""لما توهموا أن الإيمان الواجب على جميع الناس نوع واحد، صار بعضهم يظن أن ذلك النوع من حيث هو لا يقبل التفاضل، فقال لي مرة بعضهم: الإيمان من حيث هو إيمان لا يقبل الزيادة والنقصان، فقلت له: قولك من حيث هو، كما يقول: الإنسان من حيث هو إنسان، والوجود من حيث هو وجود، وأمثال ذلك لا يقبل الزيادة والنقصان، فيثبت لهذه المسميات وجوداً مطلقاً مجرداً عن جميع القيود والصفات، وهذا لا حقيقة له في الخارج، وإنما هو شيء يقدره الإنسان في ذهنه، وكذلك إذا قيل: إيمان زيد مثل إيمان عمرو، فإيمان كل واحد يخصه، فلو قدر أن الإيمان يتماثل، لكان لكل مؤمن إيمان يخصه، وذلك الإيمان مختص معيّن، وذلك الإيمان يقبل الزيادة، والذين ينفون التفاضل في هذه الأمور يتصورون في أنفسهم إيماناً مطلقاً مجرداً عن جميع الصفات المعينة له، ثم يظنون أن هذا هو الإيمان الموجود في الناس، وذلك لا يقبل التفاضل، ولا يقبل في نفسه التعدد..(١)"

والمقصود أن منشأ الاشتباه عند الطحاوي ههنا أن ما قرره من تساوي أهل الإيمان في أصله، إنما ذلك يفترض في الذهن، وأما خارج الذهن فأهل الإيمان متفاضلون.

٣٠ – قال الشارح:- "ولهذا – والله أعلم- قال @:- "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن" الحديث. فهو حين يزني يغيب عنه تصديقه بحرمة الزنى، وإن بقي أصل التصديق في قلبه، ثم يعاوده(٢)"

فاقترافه الزنى ناشيء عن **ضعف قول القلب وهو** التصديق كما قرر الشارح، أو بسبب ضعف عمل القلب وهو بغض ما يبغضه الله تعالى، كما بيّنه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله:-

---

(١) . الإيمان ص ٣٨٨، ٣٨٩ = باختصار

(٢) . شرح الطحاوية ٢/٤٦٨ [١٩٥]." (٢)

---

(١) الوجازة في شرح الأصول الثلاثة – علي الخضير، ص/٩٤

(٢) تعليقات على شرح العقيدة الطحاوية، ص/٢١

"قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في كتاب الايمان : ومن هذا الباب اقوال السلف وأئمة السنة في تفسير الايمان فتارة يقولون هو قول وعمل وتارة يقولون هو قول وعمل ونية وتارة يقولون قول وعمل ونية وأتباع السنة وتارة يقولون باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح وكل هذا صحيح فإذا قالوا قول وعمل فإنه يدخل في **القول قول القلب واللسان** جميعاً وهذا هو المفهوم من لفظ والكلام ونحو ذلك – إلى أن قال : والمقصود هنا ان من قال من السلف الايمان قول وعمل **أراد قول القلب واللسان** وعمل القلب والجوارح ومن أراد أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب ومن قال قول وعمل ونية قال القول يتناول ذلك ومن زاد اتباع السنة فلان ذلك كله لا يكون محبوباً لله إلا باتباع السنة وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل وإنما أرادوا ما كان مشروعاً من الاقوال والاعمال ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط ، فقالوا بل هو قول وعمل ، والذين جعلوه أربعة فسروا مرادهم كما سئل سهل بن عبدالله التستري عن الايمان ما هو فقال قول وعمل ونية وسنة لأن الايمان إذا كان قولاً بلا عمل فهو كفر وإذا كان قولاً وعملاً بلا نية فهو نفاق وإذا كان قول وعمل ونية بلا اتباع سنة فهو بدعة .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتاب الصلاة وههنا أصل آخر وهو أن حقيقة الايمان مركبة من قول وعمل **قسمان قول القلب وهو** الاعتقاد وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الاسلام والعمل قسمان عمل القلب وهو نية وإخلاص وعمل الجوارح فإذا زالت هذه الأربعة زال الايمان بكماله وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الاجزاء فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة إلى آخر كلامه رحمه الله إذا المقصود بهذا التنبيه فمن أراد الكلام بتمامه فليراجعه هناك .." [١]

"ص –٢٩٥– ... حادثة ويشتد فيها ، وإذا سئل عن بعض الأحاديث المهمة في تعريف الإيمان وبيان حده لا يعرفها .

فهناك أحاديث مهمة في تعريف الإيمان وبيان حده ، كحديث جبريل"، وحديث وفد عبد القيس ، وحديث الشعب وغيرها ، ينبغي أن تحفظ وتضبط وتعرف معانيها ؛ ليعيش العباد مع نصوص الشريعة ، دون زج بهم في مصطلحات حادثة ، لا طائل من ورائها ولا ثمرة تقرب إلى الله من تحصيلها إلا زيادة الشقاق وتوسيع الخلاف .

والمصنف ـ رحمه الله ـ عرَّف الإيمان في هذا المختصر على طريقة السلف وذكر شيئاً من دلائله وبراهينه بعيداً عن التكلفات والتعقيدات والمصطلحات المتعبة ، وبدأ بذكر تعريفه قبل التفاصيل الأخرى وفقاً للقاعدة المشهورة عند العلماء : الحكم على الشيء فرع عن تصوره ، فقال :

" والإيمان بأنَّ الإيمان قول وعمل ونية " أي : ومن أمور الاعتقاد : أنَّ الإيمان قول وعمل ونية ، وهذا باتفاق السلف ـ رحمهم الله ـ ، ليس بينهم خلاف في ذلك . وإن اختلفت عباراتهم في بعض الأحيان إلا أن المؤدى واحد . فقال بعضهم : الإيمان قول وعمل . وقال بعضهم : قول وعمل واعتقاد . وقال بعضهم : قول وعمل ونية . وقال بعضهم : قول وعمل ونية واتباع .

فمن قال : الإيمان قول وعمل . عنى **بالقول قول القلب** ، وهو الاعتقاد الحق الصحيح المتلقى من كتاب الله وسنة رسوله

---

(١) تنزيه الشريعة عن الألفاظ الشنيعة، ص/٦٤

صلى الله عليه وسلم . وقول اللسان : وهو النطق بالشهادتين : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنَّ محمداً رسول الله ؛ لأنَّ القول إذا أُطلق في النصوص **شمل قول القلب الذي** هو الاعتقاد ، وقول." (١)

"وقد بعث – صلى الله عليه وسلم – سرية إلى رجل تزوج امرأة أبيه فقتلوه وغنموا ماله، وسار فيه بسيرته في المرتدين. فكيف يقال: إنَّ من دعا الأولياء والصالحين واستغاث بهم وذبح لقبورهم وخافهم ورجاهم مع الله لا ينكر عليه؟ لأن الإنكار محل الاجتهاد؟ سبحانك هذا بهتان عظيم»(١) .

* * *

المبحث السابع

شروط وأركان كلمة «لا إله إلا الله» مع بيان أن المقصود الأعظم منها: تحقيق معناها في القلب، فالنطق بها باللسان، فالقيام بمقتضاها بالجوارح، ولا أدلّ على ذلك: من إجماع السلف على أن من نطق بالشهادة، ولم يعتقد معناها، ولم يعمل بمقتضاها، فإنه

لا يكون مسلما، ويقاتل على ذلك، حتى يعمل بما

دلَّت عليه من النفي والإثبات

قال عبد الرحمن بن حسن رحمه الله تعالى في شرحه على كتاب التوحيد:

«قوله (من شهد أن لا إله إلاَّ الله) (٢) ، أي: من تكلَّم بها عارفًا لمعناها، عاملاً بمقتضاها، باطنًا وظاهرًا، فلا بد في الشهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولهما، كما قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

وقوله: ﴿إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه: من البراءة من الشرك، وإخلاص القول **والعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح فغير نافع بالإجماع»(٣) .

وقال سليمان بن عبد الله:

«قوله (من شهد أن لا إله إلاَّ الله)، أي: من تكلَّم بهذه الكلمة عارفًا

---

(١) «منهاج التأسيس والتقديس»: (ص٨٠ – ٨٣).

(٢) هذاه إشارة إلى قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على

---

(١) تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي، ص/٢٩٦

ما كان من العمل» متفق عليه.

(٣) «فتح المجيد»: (٣٩ – ٤١).." [١]

"فإذا عرفت أنَّ من الناس من يصلي ويصوم، ويترك كثيرًا من المحرمات، لكن لا يورثون المرأة، ويزعمون أن ذلك هو الذي ينبغي اتباعه، بل لو يورثها أحد عندهم، ويخلف عادتهم، أنكرت قلوبهم ذلك، أو ينكر عدة المرأة في بيت زوجها، مع علمه بقول الله تعالى: ﴿ لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ [الطلاق: ١] ويزعم أن تركها في بيت زوجها لا يصلح، وأن إخراجها عنه، هو الذي ينبغي فعله، وأنكر التحية بالسلام، مع معرفة أن الله شرعه، حبًا لتحية الجاهلية لما ألفها، فهذا يكفر، لأنه آمن ببعض وكفر ببعض، بخلاف من عمل المعصية، أو ترك الفرض، مثل فعل الزنا، وترك بر الوالدين، مع اعترافه أنه مخطئ، وأن أمر الله، هو الصواب»(١) .

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله تعالى:

«أما النطق بلا إله إلاَّ الله، من غير معرفة لمعناها، ولا يقين، ولا عمل بما تقتضيه من البراءة من الشرك، وإخلاص القول والعمل، **قول القلب وقول** اللسان، وعمل القلب والجوارح، فغير نافع بالإجماع»(٢) .

وقال أيضا رحمه الله تعالى:

«والإيمان بالله وحده، هو: البراءة مما كانوا يعبدونه من الأصنام والأوثان وإخلاص العبادة لله، لا يرتاب في هذا مسلم. فمن شك في أن هذا هو معنى لا إله إلاَّ الله، فليس معه من الإسلام ما يزن حبة خردل»(٣) .

وقال أيضًا رحمه الله تعالى:

«إن الكفر بالطاغوت: ركن التوحيد، كما في آية البقرة أي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فإذا لم يحصل هذا الركن، لم يكن موحِّدًا، والتوحيد: هو أساس الإيمان، الذي تصلح به جميع الأعمال وتفسد بعدمه. اهـ»(٤) .

---

(١) «الدرر السنية»: (١/١٢٣).

(٢) «فتح المجيد»: (ص٣٩).

(٣) «مجموعة الرسائل»: (٤/٣٢٢).

(٤) «فتح المجيد» (ص٣٨٠)، بتصرف بسيط.." [٢]

"والحديث الذي ذكره الشيخ في رجل من أهل الفترات قام به من خشية الله وخوفه والإيمان بثوابه وعقابه ما أوجب له أن أمر أهله بتحريقه، فأين هذا من هؤلاء الضلال الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا ما تتلوا الشياطين، على

---

(١) المختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد، ص/٦٩

(٢) المختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد، ص/٩٧

دعاء غير الله، والشرك برب العالمين؟ فسحقًا لهذا الجاهل المفتري، وبعدًا لكل ضال غوي.
ومن تأمل كلام الشيخ وسياقه عرف مقصوده، وأن الكلام فيمن كفَّر العصاة وأهل الكبائر، وذكر نزاع الناس في ذلك.

(مسألة التكفير، متفرِّعة على ضبط حقيقة الإيمان)

ثم قال: وأما السلف والأئمة فاتفقوا على أن الإيمان قول وعمل، فيدخل في **القول: قول القلب واللسان**، وفي العمل: عمل القلب والأركان، قال: وقال المنتصرون لمذهبهم: إنَّ للإيمان أصول وفروع. وهو مشتمل على أركان وواجبات ومستحبَّات، بمنزلة اسم الحج والصلاة، فإن اسم الحج يتناول كل ما يشرع فيه: من فعل وترك. مثل: الإحرام، وترك محظوراته، والوقوف بعرفة ومزدلفة ومنى، والطواف والسعي، ثم الحج مع هذا مشتمل على أركان متى تركت لم يصح الحج، كالوقوف بعرفة، وعلى ترك محظور متى فعل فسد حجه وهو الوطء.

ومشتمل على واجبات من فعل وترك، يأثم بتركها عمدًا ويجب لتركها العذر أو غيره كالجبران بدم، كالإحرام من المواقيت، والجمع بين الليل والنهار بعرفة، وكرمي الجمار ونحو ذلك.

ومشتمل على مستحبات من فعل وترك، يكمل الحج بها ولا يأثم بتركها،

ولا توجب دمًا مثل رفع الصوت بالإهلال، والإكثار منه، وسوق الهدي، وذكر الله في تلك الموضع، وقلة الكلام إلاَّ في أمر ونهي، فمن فعل ذلك الواجب وترك المحظور فقد تمَّ حجه وعمرته. وهو مقتصد من أصحاب اليمين في هذا العمل. لكن من أتى بالمستحب فهو أكمل وأتم حجًا وعملاً، وهو سابق مقرَّب.." (١)

"قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه : من البراءة من الشرك ، وإخلاص القول والعمل **: قول القلب واللسان** ، وعمل القلب والجوارح – فغير نافع بالإجماع . (١)

قال تعالى: ^فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ...٪. (٢)

قال البقاعي رحمه الله: فلا إله إلا الله لا تنفع إلا من عرف مدلولها نفياً وإثباتاً ، واعتقد ذلك وقبله وعمل به . وأما من قالها من غير علم واعتقاد وعمل ، فقد تقدم في كلام العلماء أن هذا جهل صرف ، فهي حجة عليه بلا ريب . (٣)

قال الوزير: أبو المظفر، في الإفصاح، قوله: شهادة أن لا إله إلا الله، يقتضي: أن يكون الشاهد، عالماً بأنه لا إله إلا الله؛ كما قال تعالى: ^فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ...٪. (٤)

وقال عبد الرحمن بن حسن: فأفرض الفرائض: معرفة معنى هذه الكلمة؛ ثم التلفظ بها والعمل بمقتضاها؛ فالإله، هو المعبود؛ والتأله التعبد، ومعناها: لا معبود إلا الله؛ نفت الإلهية عمن سوى الله. (٥)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ. (٦)

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: وإنما يصير الرجل مسلماً حنيفاً إذا شهد أن لا إله إلا الله فعبد الله وحده بحيث لا يشرك معه

---

(١) المختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد، ص/٣٧٢

أحد في تألهه، ومحبته له، وعبوديته، وإنابته إليه، وإسلامه له، ودعائه له، والتوكل عليه، وموالاته فيه، ومعاداته فيه، ومحبته ما يحب، وبغضه ما يبغض، ويفنى بحق التوحيد عن الباطل، ويفنى من قلبه عن تأله ما سواه بتأله الله تحقيقا لوقول: لا إله إلا الله فيفني ويفنى من قلبه تأله ما سواه، ويبقى في قلبه تأله الله وحده.

---

(١) فتح المجيد: ٤١.

(٢) سورة محمد: ١٩.

(٣) فتح المجيد: ٣٨.

(٤) الدرر السنية: ٣/٢١٣.

(٥) الدرر السنية" ٣/٣٠٧.

(٦) أخرجه مسلم/ ٣٨، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه.." [١]

"مع بيان المذهب الصحيح في الأحاديث الواردة بخصوصها

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله:

(ليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنه: لا خالق إلا الله، وأن الله رب كل شيء ومليكه، كما كان عباد الأصنام مقرين بذلك وهم مشركون، بل التوحيد يتضمن من محبة الله، والخضوع له، والذل له، وكمال الانقياد لطاعته، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال، والمنع والعطاء، والحب والبغض، ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصي والإصرار عليها، ومن عرف هذا عرف قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)(١) وقوله (لا يدخل النار من قال لا إله إلا الله) (٢) ، وما جاء من هذا الضرب من الأحاديث، التي أشكلت على كثير من الناس، حتى ظنها بعضهم منسوخة! وظنها بعضهم قيلت قبل ورود الأوامر والنواهي واستقرار الشرع، وحملها بعضهم على نار المشركين والكفار، وأول بعضهم الدخول بالخلود وقال: المعنى لا يدخلها خالداً، ونحو ذلك من التأويلات المستكرهة. فإن الشارع صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلاً بمجرد قول اللسان فقط، فإن هذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام، لأن المنافقين يقولونها بألسنتهم، وهم تحت الجاحدين لها في الدرك الأسفل من النار.

بل لا بد من قول القلب، وقول اللسان.

وقول القلب: يتضمن من معرفتها والتصديق بها، ومعرفة حقيقة ما تضمنته

ص٤٩

من النفي والإثبات، ومعرفة حقيقة الإلهية المنفية عن غير الله، المختصة به، التي يستحيل ثبوتها لغيره، وقيام هذا المعنى بالقلب علماً ومعرفة ويقيناً وحالاً: ما يوجب تحريم قائلها على النار.

---

(١) المختصر المفيد في بيان شروط كلمة التوحيد، ص/٢

(١) ٥٥) سبق تخريجه .

(٢) ٥٦) سبق الكلام عليه في شروط لا إله إلا الله .." (١)

"(وها هنا أصل آخر: وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل، والقول قسمان: قول القلب: هو الاعتقاد. وقول اللسان: وهو التكلم بكلمة الإسلام.

والعمل قسمان: عمل، وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح. فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله. وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة، وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق: فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة فأهل السنة: مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب وهو محبته وانقياده، كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول، بل ويقرون به سراً وجهراً ويقولون: ليس بكاذب ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به.

(وإذا كان الإيمان يزول بزوال عمل القلب فغير مستنكر أن يزول بزوال أعظم أعمال الجوارح ولا سيما إذا كان ملزوماً لعدم محبة القلب وانقياده، والذي

ص٥٨

هو ملزم لعدم التصديق الجازم كما تقدم تقريره، فإنه يلزم من عدم طاعة القلب عدم طاعة الجوارح، إذ لو أطاع وانقاد أطاعت الجوارح وانقادت، ويلزم من عدم طاعته وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة، وهو حقيقة الإيمان. فإن الإيمان ليس مجرد التصديق –كما تقدم– وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد وهكذا الهدى ليس هو مجرد معرفة الحق وتبيينه، بل هو معرفته المستلزمة لاتباعه والعمل بموجبه، وإن سمي الأول هدى فليس هو الهدى التام المستلزم للاهتداء، كما أن اعتقاد التصديق وإن سمي تصديقاً – فليس هو التصديق المستلزم للإيمان. فعليك بمراجعة هذا الأصل ومراعاته.." (٢)

"وكلمته: أي عيسى أي: كان بكلمة (كن)، وليس هو الكلمة.

وهل الإضافة هنا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف أو المخلوق إلى الخالق؟

إذا كان المضاف إلى الله عين قائمة بذاتها فهذا من باب إضافة المخلوق إلى الخالق. وهذا مثل: عيسى، وبيت الله، ورسول الله.

من: هل هي تبعيضية أو ابتدائية؟ هي ابتدائية أي: روح مبتدأة من الله، كما قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴾ [الجاثية: ١٣].

وليست تبعيضية إلا على مذهب النصارى، إذ يقولون: إنه جزء من الله، وثالث ثلاثة.

والجنة: معطوفة على اسم إن، والألف واللام للعهد، والجنة موجودة الآن وهي دار المؤمنين.

---

(١) الولاء والبراء، ص/٣٤

(٢) الولاء والبراء، ص/٤٣

والنار: بأنها موجودة، وأنها الدار التي يعذِّب بها الكافرين، ومن شاء من العصاة.

أدخله الله الجنة: هذا هو جواب الشرط. وهذه الأعمال سبب لدخول الجنة وليس عوضاً لها.

قال – صلى الله عليه وسلم –: «لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله...».

أدخله الله الجنة: هذا على حسب تفسير العمل، ولذلك الدخول إلى الجنة ينقسم إلى قسمين:

دخول كامل: وهو من أتى بالتوحيد الكامل ولم يأت بشيء من الشرك أو المعاصي.

فيفسر العمل هنا بأنه العمل الصالح.

وإن قلنا مطلق دخول: فإن "العمل" يكون: العمل الصالح والفاسد، خلا الشرك والمكفرات، فهذا ينتهي إلى الجنة.

أخرجاه: أي البخاري ومسلم.

وهذا هو الفضل الثاني من فضائل التوحيد، وهو: دخول الجنة.

ولهما في حديث عتبان فإن الله حرم: أي: منع.

على النار: المعروفة.

من قال لا إله إلا الله: «من» موصولية بمعنى الذي.

وقال هنا: هل يقصد بها قول اللسان فقط؟

لا. **المقصود قول القلب بالاعتقاد**، وقول اللسان وهو النطق، وقول الجوارح وهو العمل.

وهل العمل يطلق عليه قول؟

نعم. كما جاء في حديث عمار بن ياسر في التيمم وهو في الصحيحين، قال: وقال بيده، وحديث عائشة في الصحيح: وقال بيده هكذا في الأرض.." (١)

"ما حكم الاستعاذة والاستغاثة بالجن؟ لا يجوز، وعلاقته بالتوحيد أنه يعتبر شركًا أكبر؛ حتى ولو كانوا يقدرون على هذا الشيء كما في هذه الآية.

مسألة: يقول بعض العوام للأطفال: "خذوه" للجن. وهذه لا تجوز.

١– لأن فيها ترويع للمسلم.......٢– أن فيها مشابهة لأعمال الجاهلية.

ويقول بعض العوام إذا ضاع له شيء: «يا إبليس فك الكيس ما هو حقي حق الناس».

فهذه مثل الكلمة الأولى، ويخشى أن يكون فيها اعتقاد.

ما حكم مخاطبة الجن؟

المخاطبة قسمان:

١– أن تكون مخاطبة عن حضور معلوم بأحدى القرائن، كمخاطبة المصروع، ومثل ما جاء في الحديث الصحيح أن أبا هريرة حاور الشيطان، فهذا جائز.

---

(١) المعتصر شرح كتاب التوحيد، ص/١٦

٢- أما إذا لم يكن عن حضور ولا قرائن، فلا شك أنه يحرم، كقولهم «أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه» وهذا من جنس فعل المشركين، وقال - صلى الله عليه وسلم -: «من تشبه بقوم فهو منهم» وهو من الشرك الأكبر.

خولة بنت حكيم: سيأتي حكم التسمية "بحكيم".

فقال: الفاء للتعقيب، أي يكون محل الذكر بعد النزول، وإن نزل ونسيه يقضيه ما دام نازلا.

وقال: يقصد **به قول القلب واللسان**.

أعوذ: ألتجئ.

هنا استعاذ بصفة من صفات الله وهي الكلمات، والاستعاذة بالصفة كالسؤال بالصفة، وهذا جائز، والممنوع سؤال الصفة.

كلمات الله: من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، والجهمية والمعتزلة والأشاعرة يجعلونه من باب إضافة الخلق إلى الخالق.

من شر ما خلق: ولم يقل مما خلق. والمعنى من شر كل مخلوق فيه شر؛ لأن هناك مخلوقات لا شر فيها.

لم يضره: نفى الضر، ولكنه لم ينف الإصابة، فقد يصيبه شيء ولكنه لا يضره، إلا إن تخلف شيء بسبب الاعتقاد.

حتى: لانتهاء الغاية.." (١)

"وما شاء فعل: هذا من باب عطف البعض على الكل؛ لأنه مشيئة الله بعض قدر الله، فالقدر له أربعة مراتب منها المشيئة. ويحتمل أنه عطف تغاير فيكون قدر الله أي فعل الله وخلقه ويحمل على آخر مرتبة وقوله ما شاء يحمل على مرتبة المشيئة بالمطابقة وتدل على العلم والكتابة باللازم.

وهذا الكلام له فائدة في النفس؛ بمعنى أن ما وقع ليس لنا فيه حيلة.

وقوله "قل": يقصد **به قول القلب واللسان**، ولذلك فإنه يجهر بها.

قل: هنا هل هي للاستحباب أو للوجوب؟

أما في القلب فواجب. أما اللسان فيحتمل هذا ويحتمل هذا.

ثم علل الرسول «المنع من كلمة لو».

قال: «فإن لو تفتح عمل الشيطان».

وعمل الشيطان هنا: ما يلقيه في القلب من التحسر والندم والحزن، والظاهر أن الشيطان هنا هو الشيطان الجني، وهو متشيطنة الجن.

والعمل هنا عمل خفي وهو الوسوسة في القلب. وفيه أن للشيطان عمل وتأثير(١).

مناسبة الحديث:

أن الاعتراض على المقدور بكلمة "لو" بعد الحرص والاستعانة وفعل الأسباب محرم ومن عمل الشيطان فكيف إذا كان مع ترك الأسباب فهو أشد؟ وإنما المطلوب من المسلم أن يفعل أو يعمل استعانة وحرصًا، ثم لا يجزع بعد ذلك من المقدور.

باب النهي عن سب الريح

---

(١) المعتصر شرح كتاب التوحيد، ص/٦٥

عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به» [صححه الترمذي].

قال الشارح:

المسألة الأولى: شرح الترجمة.

النهي: طلب الكف على سبيل الاستعلاء، والأصل فيه التحريم.

وقوله: "سب": هو العيب والقدح والذم واللعن.

وقوله سب الريح: هذا من الاعتراض على قدر الله، لكن بدون كلمة "لو"، وإنما بالسب المباشر.

---

(١) كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المجادلة: ١٠].." (١)

"وهذه الأسماء التي تختلف دلالتها بالإطلاق والتقييد والتجريد والاقتران، تارة يكونان إذا أفرد أحدهما أعم من الآخر، كاسم [الإيمان] و [المعروف] مع العمل ومع الصدق، وك [المنكر] مع الفحشاء ومع البغي ونحو ذلك . وتارة يكونان متساويين في العموم والخصوص، كلفظ [الإيمان] ، و [البر] ، و [التقوى] ، ولفظ [الفقير] ، و [المسكين] . فأيها أطلق تناول ما يتناوله الآخر، وكذلك لفظ [التلاوة] ، فإنها إذا أطلقت في مثل قوله : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ ﴾ [البقرة : ١٢١] ، تناولت العمل به كما فسره بذلك الصحابة والتابعون مثل ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وغيرهم، قالوا : ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ ﴾ يتبعونه حق اتباعه، فيحلون حلاله ويحرمون حرامه، ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه، وقيل : هو من التلاوة بمعنى الاتباع، كقوله : ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴾ [الشمس : ٢] ،/وهذا يدخل فيه من لم يقرأه، بل من تمام قراءته أن يفهم معناه ويعمل به، كما قال أبو عبد الرحمن السلمي : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن : عثمان ابن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما أنهم كانوا إذا تَعَلَّموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً .

وقوله : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ ﴾ [البقرة : ١٢١] قد فسر بالقرآن وفسر بالتوراة، وروى محمد بن نصر بإسناده الثابت عن ابن عباس : ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ ﴾ قال : يتبعونه حق اتباعه . وروي ـ أيضاً ـ عن ابن عباس : ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ ﴾ قال : يحلون حلاله، ويحرمون حرامه ولا يحرفونه عن مواضعه، وعن قتادة : ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ قال : أولئك أصحاب محمد آمنوا بكتاب الله وصدقوا به، أحلوا حلاله وحرموا حرامه، وعملوا بما فيه، ذكر لنا أن ابن مسعود كان يقول : إن حق تلاوته : أن يحل حلاله ويحرم حرامه، وأن نقرأه كما أنزل الله، ولا نحرفه عن مواضعه، وعن الحسن : ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ ﴾ قال : يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه، ويَكِلُون ما أشكل عليهم إلى عالمه، وعن مجاهد : يتبعونه حق اتباعه، وفي رواية : يعملون به حق عمله .

---

(١) المعتصر شرح كتاب التوحيد، ص/٣١٩

ثم قد يقرن بالتلاوة غيرها كقوله : ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] . قال أحمد بن حنبل وغيره : تلاوة الكتاب : العمل بطاعة الله كلها، ثم خص الصلاة بالذكر، كما في قوله : ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسَّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ ﴾ [الأعراف : ١٧٠] ،وقوله : ﴿ فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه : ١٤] . وكذلك لفظ (اتباع ما أنزل الله) يتناول جميع الطاعات كقوله : ﴿اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء ﴾ [الأعراف : ٣] ، وقوله : ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ [طه : ١٢٣] ، وقوله : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] ، وقد يقرن به غيره كقوله ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٥] ، وقوله : ﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ١٠٦] ، وقوله : ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىَ يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [يونس : ١٠٩] .

وكذلك لفظ [الأبرار] إذا أطلق دخل فيه كل تقي من السابقين والمقتصدين، وإذا قرن بالمقربين كان أخص، قال تعالى في الأول : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ [الإنفطار : ١٣، ١٤] ، وقال في الثاني : ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين : ١٨ : ٢٢] ، وهذا باب واسع يطول استقصاؤه .

ومن أنفع الأمور في معرفة دلالة الألفاظ مطلقاً وخصوصاً ألفاظُ الكتاب والسنة، وبه تزول شبهات كثيرة كثر فيها نزاع الناس، من جملتها [مسألة الإيمان والإسلام] ، فإن النزاع في مسماها أول اختلاف وقع، افترقت الأمة لأجله وصاروا مختلفين في الكتاب والسنة، وكَفَّر بعضهم بعضاً، وقاتل بعضهم بعضاً . كما قد بسطنا هذا في مواضع أخر. إذ المقصود هنا بيان شرح كلام الله ورسوله على وجه يبين أن الهدى كله مأخوذ من كلام/الله ورسوله بإقامة الدلائل الدالة، لا بذكر الأقوال التي تقبل بلا دليل وترد بلا دليل، أو يكون المقصود بها نصر غير الله والرسول،فإن الواجب أن يقصد معرفة ما جاء به الرسول واتباعه بالأدلة الدالة على ما بينه الله ورسوله .

ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة في [تفسير الإيمان] ، فتارة يقولون : هو قول وعمل . وتارة يقولون : هو قول وعمل ونية . وتارة يقولون قول وعمل ونية واتباع السنة . وتارة يقولون : قول باللسان، واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وكل هذا صحيح . فإذا قالوا : قول وعمل؛ فإنه يدخل في **القول قول القلب واللسان** جميعاً، وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام، ونحو ذلك إذا أطلق .." (١)

"والناس لهم في مسمى [الكلام] و [القول] عند الإطلاق أربعة أقوال، فالذي عليه السلف والفقهاء والجمهور أنه يتناول اللفظ والمعنى جميعاً، كما يتناول لفظ الإنسان للروح والبدن جميعاً . وقيل : بل مسماه هواللفظ،المعنى ليس جزء مُسَمَّاه، بل هو مدلول مسماه، وهذا قول كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم وطائفة من المنتسبين إلى السنة، وهو قول النحاة؛ لأن صناعتهم متعلقة بالألفاظ . وقيل : بل مسماه هو المعنى وإطلاق الكلام على اللفظ مجاز لأنه دال عليه،

---

(١) المفصل في شرح آية الولاء والبراء، ص/١٤٠

وهذا قول ابن كُلاَّب ومن اتبعه، وقيل : بل هو مشترك بين اللفظ والمعنى، وهو قول بعض المتأخرين من الكُلابية، ولهم قول ثالث يروى عن أبي الحسن أنه مجاز في كلام الله حقيقة في كلام الآدميين؛ لأن حروف الآدميين/ تقوم بهم، فلا يكون الكلام قائماً بغير المتكلم،بخلاف الكلام القرآني، فإنه لا يقوم عنده بالله، فيمتنع أن يكون كلامه، ولبسط هذا موضع آخر .

والمقصود هنا أن من قال من السلف : الإيمان قول وعمل، أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأي أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال : قول وعمل ونية، قال : القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك، ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوباً لله إلا باتباع السنة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل، إنما أرادوا ما كان مشروعاً من الأقوال والأعمال، ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولاً فقط، فقالوا : بل هو قول وعمل، والذين جعلوه أربعة أقسام فسروا مرادهم، كما سئل سَهْل بن عبد الله التَّسْتُرِي عن الإيمان ما هو ؟ فقال : قول وعمل ونية وسنة؛ لأن الإيمان إذا كان قولاً بلا عمل فهو كُفْر، وإذا كان قولاً وعملاً بلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولاً وعملاً ونية بلا سنة فهو بدعة .

وأهل المنطق اليونان مضطربون في هذا المقام، يقول أحدهم القول، ويقول نقيضه، كما هو مذكور في موضعه، ونحن نذكر ما يتعلق بهذا الموضع فنقول ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله : الكلام في طرفين :

أحدهما : أن شعب الإيمان هل هي متلازمة في الانتفاء ؟

والثاني : هل هي متلازمة في الثبوت ؟

/أما الأول :

فإن الحقيقة الجامعة لأمور ـ سواء كانت في الأعيان أو الأعراض ـ إذا زال بعض تلك الأمور فقد يزول سائرها وقد لا يزول، ولا يلزم من زوال بعض الأمور المجتمعة زوال سائرها، وسواء سميت مركبة أو مؤلفة أو غير ذلك، لا يلزم من زوال بعض الأجزاء زوال سائرها . وما مثلوا به من العشرة والسكنجبين مطابق لذلك، فإن الواحد من العشرة إذا زال لم يلزم زوال التسعة، بل قد تبقى التسعة، فإذا زال أحد جزئي المركب لا يلزم زوال الجزء الآخر، لكن أكثر ما يقولون زالت الصورة المجتمعة، وزالت الهيئة الاجتماعية، وزال ذلك الاسم الذي استحقته الهيئة بذلك الاجتماع والتركيب، كما يزول اسم العشرة والسكنجبين .

فيقال : أما كون ذلك المجتمع المركب ما بقى على تركيبه فهذا لا ينازع فيه عاقل، ولا يدعي عاقل أن الإيمان، أو الصلاة، أو الحج أو غير ذلك من العبادات المتناولة لأمور، إذا زال بعضها بقى ذلك المجتمع المركب كما كان قبل زوال بعضه، ولا يقول أحد : إن الشجرة أو الدار إذا زال بعضها بقيت مجتمعة كما كانت، ولا أن الإنسان أو غيره من الحيوان إذا زال بعض/ أعضائه بقى مجموعًا .

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يُهَوِّدَانِه، أو يُنَصِّرَانِهِ، أو يُمَجِّسَانِهِ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء) ،فالمجتمعة الخلق بعد الجدع لا تبقى مجتمعة، ولكن لا يلزم زوال بقية

الأجزاء .

وأما زوال الاسم فيقال لهم : هذا ـ أولا ـ بحث لفظي، إذا قدر أن الإيمان له أبعاض وشعب، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه : (الإيمان بضع وسبعون شُعْبَة، أعلاها قول : لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) كما أن الصلاة والحج له أجزاء وشعب، ولا يلزم من زوال شعبة من شعبه زوال سائر الأجزاء والشعب، كما لا يلزم من زوال بعض أجزاء الحج والصلاة زوال سائر الأجزاء، فدعواهم أنه إذا زال بعض المركب زال البعض الآخر ليس بصواب، و نحن نسلم لهم أنه ما بقى إلا بعضه لا كله، وأن الهيئة الاجتماعية ما بقيت كما كانت .

يبقى النزاع : هل يلزم زوال الاسم بزوال بعض الأجزاء، فيقال لهم : المركبات في ذلك على وجهين، منها : ما يكون التركيب شرطًا في إطلاق الاسم، ومنها : ما لا يكون كذلك، فالأول كاسم العشرة، وكذلك السكنجبين، ومنها/ ما يبقى الاسم بعد زوال بعض الأجزاء، وجميع المركبات المتشابهة الأجزاء من هذا الباب، وكذلك كثير من المختلفة الأجزاء، فإن المكيلات والموزونات تسمى حنطة وهي بعد النقص حنطة، وكذلك التراب والماء ونحو ذلك .

وكذلك لفظ العبادة، والطاعة، والخير، والحسنة، والإحسان، والصدقة، والعلم، ونحو ذلك، مما يدخل فيه أمور كثيرة، يطلق الاسم عليها قليلها وكثيرها، وعند زوال بعض الأجزاء وبقاء بعض، وكذلك لفظ [القرآن] فيقال على جميعه وعلى بعضه، ولو نزل قرآن أكثر من هذا لسمى قرآنا، وقد تسمى الكتب القديمة قرآنًا، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (خفف على داود القرآن) ،وكذلك لفظ القول والكلام والمنطق ونحو ذلك، يقع على القليل من ذلك وعلى الكثير .

وكذلك لفظ الذكر والدعاء، يقال للقليل والكثير، وكذلك لفظ الجبل؛ يقال على الجبل وإن ذهب منه أجزاء كثيرة .." (١)

"وأما الإرادة الجازمة، فلابد أن يقترن بها مع القدرة فعل المقدور ولو بنظرة، أو حركة رأس، أو لفظة، أو خطوة، أو تحريك بدن، وبهذا يظهر معنى قوله صلى الله عليه وسلم : (إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار) فإن المقتول أراد قتل صاحبه فعمل ما يقدر عليه من القتال، وعجز عن حصول المراد، وكذلك الذي قال : لو أن لي مثل ما لفلان لعملت فيه مثل ما يعمل فلان،فإنه أراد فعل ما يقدر عليه وهو الكلام،ولم يقدر على ذلك؛ ولهذا كان من دعا إلى ضلالة، كان عليه مثل أوزار من اتبعه،من غير أن ينقص من أوزارهم شيئًا؛ لأنه أراد ضلالهم ففعل ما يقدر عليه من دعائهم، إذ لا يقدر إلا على ذلك .

/وإذا تبين هذا في الإرادة، والعمل، فالتصديق الذي في القلب وعلمه يقتضي عمل القلب، كما يقتضي الحس الحركة الإرادية؛ لأن النفس فيها قوتان : قوة الشعور بالملائم والمنافي والإحساس بذلك، والعمل والتصديق به، وقوة الحب للملائم والبغض للمنافي، والحركة عن الحس بالخوف والرجاء والموالاة والمعاداة، وإدراك الملائم يوجب اللذة، والفرح والسرور، وإدراك المنافي، يوجب الألم والغم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يُهَوِّدَانِه أو يُنَصِّرَانِه أو يُمَجِّسَانِهِ كما تُنْتِج البهيمةُ بَهِيمةً جَمْعَاء هل تحسون فيها من جَدْعَاء) .

---

(١) المفصل في شرح آية الولاء والبراء، ص/١٤١

فالقلوب مفطورة على الإقرار بالله، تصديقًا به ودينًا له، لكن يعرض لها ما يفسدها، ومعرفة الحق تقتضي محبته، ومعرفة الباطل تقتضي بغضه، لما في الفطرة من حب الحق وبغض الباطل، لكن قد يعرض لها ما يفسدها إما من الشبهات التي تصدها عن التصديق بالحق، وإما من الشهوات التي تصدها عن اتباعه؛ ولهذا أمرنا الله أن نقول في الصلاة : ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة : ٦، ٧] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم (اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون) ؛ لأن اليهود يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم، ولا يتبعونه لما فيهم من الكبر والحسد الذي يوجب بغض الحق ومعاداته، والنصارى لهم عبادة، وفي قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها، لكن بلا علم، فهم ضلال . هؤلاء لهم معرفة بلا قصد صحيح، وهؤلاء/ لهم قصد في الخير بلا معرفة له، وينضم إلى ذلك الظن، واتباع الهوى، فلا يبقى في الحقيقة معرفة نافعة، ولا قصد نافع، بل يكون كما قال تعالى عن مشركي أهل الكتاب : ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك : ١٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

فالإيمان في القلب لا يكون إيمانًا بمجرد تصديق ليس معه عمل القلب وموجبه من محبة الله ورسوله ونحو ذلك،كما أنه لا يكون إيمانًا بمجرد ظن وهوى، بل لابد في أصل الإيمان من قول القلب، وعمل القلب .

وليس لفظ الإيمان مرادفًا للفظ التصديق، كما يظنه طائفة من الناس، فإن التصديق يستعمل في كل خبر، فيقال لمن أخبر بالأمور المشهورة مثل : الواحد نصف الاثنين والسماء فوق الأرض، مجيبًا : صدقت، وصدقنا بذلك، ولا يقال : آمنا لك، ولا آمنا بهذا، حتى يكون المخبر به من الأمور الغائبة، فيقال للمخبر : آمنا له، وللمخبر به : آمنا به، كما قال إخوة يوسف : ﴿ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا ﴾ [يوسف : ١٧] أي بمقر لنا، ومصدق لنا، لأنهم أخبروه عن غائب،ومنه قوله تعالى : ﴿ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴾ [الشعراء : ١١١] ،وقوله تعالى : ﴿ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ٦١] ، وقوله تعالى : ﴿ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴾ [المؤمنون : ٤٧] ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴾ [الدخان : ٢١] ، ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ ﴾ [يونس : ٨٣] أي : أقر له .

/وذلك أن الإيمان يفارق التصديق، أي : لفظًا ومعنى، فإنه ـ أيضًا ـ يقال : صدقته، فيتعدى بنفسه إلى المصدق، ولا يقال : أمنته، إلا من الأمان الذي هو ضد الإخافة، بل آمنت له، وإذا ساغ أن يقال : ما أنت بمصدق لفلان، كما يقال : هل أنت مصدق له ؟ لأن الفعل المتعدى بنفسه إذا قدم مفعوله عليه، أو كان العامل اسم فاعل، ونحوه مما يضعف عن الفعل، فقد يعدونه باللام تقوية له، كما يقال : عرفت هذا، وأنا به عارف، وضربت هذا، وأنا له ضارب، وسمعت هذا ورأيته، وأنا له سامع، وراء، كذلك يقال : صدقته وأنا له مصدق، ولا يقال : صدقت له به، وهذا خلاف آمن، فإنه لا يقال إذا أردت التصديق : آمنته كما يقال : أقررت له، ومنه قوله : آمنت له كما يقال : أقررت له، فهذا فرق في اللفظ .

والفرق الثاني : ما تقدم من أن الإيمان لا يستعمل في جميع الأخبار، بل في الإخبار عن الأمور الغائبة، ونحوها مما يدخلها الريب، فإذا أقر بها المستمع قيل : آمن، بخلاف لفظ التصديق، فإنه عام متناول لجميع الأخبار .." (١)

"الحمد لله رب العالمين . اسم الإيمان يستعمل مطلقًا، ويستعمل مقيدًا، وإذا استعمل مطلقًا، فجميع ما يحبه الله ورسوله من أقوال العبد وأعماله الباطنة والظاهرة، يدخل في مسمى الإيمان عند عامة السلف والأئمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم، الذين يجعلون الإيمان قولاً وعملاً، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ويدخلون جميع الطاعات فرضها ونفلها في مسماه، وهذا مذهب الجماهير من أهل الحديث والتصوف والكلام والفقه، من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم . ويدخل في ذلك ما قد يسمى مقامًا وحالاً؛ مثل الصبر والشكر والخوف والرجاء والتوكل والرضا والخشية والإنابة والإخلاص والتوحيد وغير ذلك .

ومن هذا ما خرج في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (الإيمان بضع وستون ـ أو بضع وسبعون ـ شعبة، أعلاها : قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) . فذكر أعلى شعب الإيمان، وهو قول لا إله إلا الله، فإنه لا شيء أفضل منها كما في الموطأ وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أفضل الدعاء؛ دعاء يوم /عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير) ،وفي الترمذي وغيره أنه قال : (من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة) ، وفي الصحيح عنه أنه قال لعمه عند الموت : (يا عم، قل : لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله) .

وقد تظاهرت الدلائل على أن أحسن الحسنات هو التوحيد، كما أن أسوأ السيئات هو الشرك، وهو الذنب الذي لا يغفره الله، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء ﴾ [النساء : ٤٨] وتلك الحسنة التي لابد من سعادة صاحبها كما ثبت في الصحيح عنه حديث الموجبتين : موجبة السعادة وموجبة الشقاوة، فمن مات يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة، وأما من مات يشرك بالله شيئًا دخل النار، وذكر في الحديث أنها أعلى شعب الإيمان .

وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لوفد عبد القيس : (آمركم بالإيمان بالله، أتدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيموا الصلاة، وتؤتوا الزكاة، وتؤدوا خمس المغنم) ، فجعل هذه الأعمال من الإيمان، وقد جعلها من الإسلام في حديث جبرائيل الصحيح ـ لما أتاه في صورة أعرابي ـ وسأله عن الإيمان، فقال : (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره) ، وسأله عن الإسلام فقال : (أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله،/ وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت) ،وفي حديث في المسند قال : (الإسلام علانية، والإيمان في القلب) .

فأصل الإيمان في القلب **وهو قول القلب وعمله**، وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد، وما كان في القلب فلابد أن يظهر موجبه ومقتضاه على الجوارح، وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دل على عدمه أو ضعفه؛ ولهذا كانت الأعمال الظاهرة

---

(١) المفصل في شرح آية الولاء والبراء، ص/١٤٥

من موجب إيمان القلب ومقتضاه وهي تصديق لما في القلب ودليل عليه وشاهد له، وهي شعبة من مجموع الإيمان المطلق وبعض له، لكن ما في القلب هو الأصل لما على الجوارح، كما قال أبو هريرة - رضي الله عنه - : إن القلب ملك، والأعضاء جنوده، فإن طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده . وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب) .
ولهذا ظن طوائف من الناس أن الإيمان إنما هو في القلب خاصة، وما على الجوارح ليس داخلا في مسماه، ولكن هو من ثمراته ونتائجه الدالة عليه، حتى آل الأمر بغلاتهم - كجهم وأتباعه - إلى أن قالوا : يمكن أن يصدق بقلبه، ولا يظهر بلسانه إلا كلمة الكفر، مع قدرته على إظهارها، فيكون الذي في القلب إيمانًا نافعًا له في الآخرة، وقالوا : حيث حكم الشارع بكفر أحد بعمل أو قول؛ فلكونه دليلاً على انتفاء ما في القلب . وقولهم متناقض، فإنه إذا كان ذلك دليلاً مستلزمًا لانتفاء الإيمان الذي في القلب، امتنع أن يكون الإيمان ثابتًا في/ القلب، مع الدليل المستلزم لنفيه، وإن لم يكن دليلاً لم يجز الاستدلال به على الكفر والباطن .
والله - سبحانه - في غير موضع يبين أن تحقيق الإيمان وتصديقه بما هو من الأعمال الظاهرة والباطنة، كقوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [الأنفال : ٢ : ٤] وقال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات : ١٥] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ [النور : ٦٢] ، وقال تعالى : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] ..". (١)

"ومثل هذا كثير في كتاب الله وسنة رسوله واتفاق المؤمنين يحمد ويذم على ما شاء الله من مساعي القلوب وأعمالها، مثل قوله في الحديث الصحيح المتفق عليه : (لا تباغضوا ولا تحاسدوا) ، وقوله : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه) ، وقوله : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) ، وقوله : (لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر) ، و (لا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان) ، وقوله : (لا تسموا العنب الكرم، وإنما الكرم قلب المؤمن) وأمثال هذا كثير .
بل قول القلب وعمله هو الأصل، مثل تصديقه وتكذيبه وحبه وبغضه، من ذلك ما يحصل به مدح وذم وثواب وعقاب بدون فعل الجوارح الظاهرة، ومنه ما لا يقترن به ذلك إلا مع الفعل بالجوارح الظاهرة / إذا كانت مقدورة، وأما ما ترك فيه فعل الجوارح الظاهرة للعجز عنه فهذا حكم صاحبه حكم الفاعل، فأقوال القلب وأفعاله ثلاثة أقسام :
أحدها : ما هو حسنة وسيئة بنفسه .
وثانيها : ما ليس سيئة بنفسه حتى يفعل، وهو السيئة المقدورة كما تقدم .

(١) المفصل في شرح آية الولاء والبراء، ص/١٥٢

وثالثها : ما هو مع العجز كالحسنة والسيئة المفعولة، وليس هو مع القدرة كالحسنة والسيئة المفعولة، كما تقدم .

فالقسم الأول : هو ما يتعلق بأصول الإيمان من التصديق والتكذيب، والحب والبغض، وتوابع ذلك؛ فإن هذه الأمور يحصل فيها الثواب والعقاب، وعلو الدرجات، وأسفل الدركات، بما يكون في القلوب من هذه الأمور، وإن لم يظهر على الجوارح، بل المنافقون يظهرون بجوارحهم الأقوال والأعمال الصالحة، وإنما عقابهم وكونهم في الدرك الأسفل من النار على ما في قلوبهم من الأمراض، وإن كان ذلك قد يقترن به أحيانًا بغض القول والفعل، لكن ليست العقوبة مقصورة على ذلك البغض اليسير، وإنما ذلك البغض دلالة كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ [محمد : ٣٠] ، فأخبر أنهم لابد أن يعرفوا في لحن القول .

وأما القسم الثاني، والثالث : فمظنة الأفعال التي لا تنافي أصول الإيمان، مثل المعاصي الطبعية، مثل الزنا، والسرقة، وشرب الخمر، كما ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من مات يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، دخل الجنة، وإن زنا وإن سرق، وإن شرب الخمر) ، وكما شهد النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح للرجل الذي كان يكثر شرب الخمر، وكان يجلده كلما جيء به فلعنه رجل، فقال : (لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله) ، وفي رواية قال بعضهم : أخزاه الله ما أكثر ما يؤتى به في شرب الخمر . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا تكونوا أعوانًا للشيطان على أخيكم) وهذا في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة .

ولهذا قال : (إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تكلم به أو تعمل به) ، والعفو عن حديث النفس إنما وقع لأمة محمد المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فعلم أن هذا العفو هو فيما يكون من الأمور التي لا تقدح في الإيمان، فأما ما نافى الإيمان فذلك لا يتناوله لفظ الحديث؛لأنه إذا نافى الإيمان لم يكن صاحبه من / أمة محمد في الحقيقة، ويكون بمنزلة المنافقين، فلا يجب أن يعفى عما في نفسه من كلامه أو عمله، وهذا فرق بين يدل عليه الحديث، وبه تأتلف الأدلة الشرعية، وهذا كما عفا الله لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان، كما دل عليه الكتاب والسنة، فمن صح إيمانه عفى له عن الخطأ والنسيان، وحديث النفس، كما يخرجون من النار، بخلاف من ليس معه الإيمان فإن هذا لم تدل النصوص على ترك مؤاخذته بما في نفسه وخطئه ونسيانه؛ ولهذا جاء : (نية المؤمن خير من عمله) هذا الأثر رواه أبو الشيخ الأصبهاني في [كتاب الأمثال] من مراسيل ثابت البناني، وقد ذكره ابن القيم في النية من طرق عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم ضعفها، فالله أعلم .

فإن النية يثاب عليها المؤمن بمجردها، وتجرى مجرى العمل إذا لم يمنع من العمل بها إلا العجز، ويمكنه ذلك في عامة أفعال الخير، وأما عمل البدن فهو مقيد بالقدرة، وذلك لا يكون إلا قليلا؛ ولهذا قال بعض السلف : قوة المؤمن في قلبه، وضعفه في بدنه، وقوة المنافق في بدنه، وضعفه في قلبه .

وقد دل على هذا الأصل قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ الآية [البقرة : ٢٨٤] ، وهذه الآية وإن كان قد قال طائفة من السلف : إنها منسوخة كما روى البخاري في صحيحه عن مروان الأصغر عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . وهو ابن عمر . أنها نسخت، فالنسخ في لسان السلف أعم مما هو في لسان المتأخرين، يريدون به رفع الدلالة مطلقا، وإن كان تخصيصًا للعام أو تقييدا للمطلق،

وغير ذلك، كما هو معروف في عرفهم، وقد أنكر آخرون نسخها لعدم دليل ذلك، وزعم قوم أن ذلك خبر، والخبر لا ينسخ، ورد آخرون بأن هذا خبر عن حكم شرعي، كالخبر الذي بمعنى الأمر والنهي .." (١)

"قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (قال ابن بطال: أوجب في هذا الحديث الولاية بالدين، ونفاها عن أهل رحمه إن لم يكونوا من أهل دينه، فدل ذلك على أن النسب يحتاج إلى الولاية التي يقع بها الموارثة بين المتناسبين، وأن الأقارب إذا لم يكونوا على دين واحد لم يكن بينهم توارث ولا ولاية، قال: ويستفاد من هذا أن الرحم المأمور بصلتها، والمتوعد على قطعها هي التي شرع لها ذلك، فأما من أمر بقطعه من أجل الدين فيستثنى من ذلك، ولا يلحق بالوعيد من قطعه، لأنه قطع من أمر الله بقطعه، لكن لو وصلوا بما يباح من أمر الدنيا لكان فضلاً.

والله أعلم.

المفتي: مركز الفتوى بإشراف د.عبدالله الفقيه

=============

رقم الفتوى ١٥٠٨٧ لا يجتمع في القلب الإيمان بالله وحب أعداء الله (١)

تاريخ الفتوى : ٢٥ محرم ١٤٢٣

السؤال

ما حكم من يحب الروس ويفخر بزعمائهم ويتمنى أن يعيش في روسيا؟

الفتوى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

فالمعروف أن زعماء الروس كفرة ملاحدة، بل هم أكفر أهل الأرض، فإنهم شيوعيون لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر. ويكذبون بما جاءت به الرسل عن ربهم، ويعتقدون فيهم شر اعتقاد، ومحبة هؤلاء الزعماء والتمني للعيش معهم وعندهم مما يدل على فساد عقيدة الولاء والبراء التي فصلها الله عز وجل في كتابه تفصيلاً. بل لا يعرف موضوع في القرآن الكريم أثرى منها مادة، ولا أكثر منها تفصيلاً. وذلك لأنها تمس أساس التوحيد وأصل الملة، وجوهر الدين.. ومن هذه الآيات المتعلقة بهذا المعنى قوله تعالى: (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم)[المجادلة:٢٢] قال القاسمي -رحمه الله- في تفسيره لمعنى: حاد الله ورسوله، أي شاقهما وخالف أمرهما. فلا يجتمع إيمان خالص وحب لأعداء الله ورسوله. انتهى.

وقد ورد في هذا المعنى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: والذي نفس ابن عمر بيده لو أصبحت أصوم النهار لا أفطر، وأقوم الليل لا أفتر، ثم لم أصبح وأنا أحب أهل الطاعة وأبغض أهل المعصية لخشيت أن يكبني الله على وجهي في النار ولا يبالي.

فالواجب على المسلم أن يحب ما يحبه الله ورسوله، ويبرأ مما يبرأ منه الله ورسوله.

---

(١) المفصل في شرح آية الولاء والبراء، ص/١٧٧

والله أعلم.

المفتي: مركز الفتوى بإشراف د.عبدالله الفقيه

================

رقم الفتوى ١٧٨٣٦ جنس العمل شرط في صحة الإيمان (٢)

تاريخ الفتوى : ٠٦ ربيع الثاني ١٤٢٣

السؤال

هل العمل في الإيمان شرط كمال أم شرط صحة مع الدليل و جزاكم الله خيرا

الفتوى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

فالإيمان كما هو معروف عند أهل السنة والجماعة: قول وعمل، قول القلب وقول اللسان، وعمل القلب وعمل اللسان.

وقول القلب هو: الاعتقاد والتصديق، وعمله هو: الإخلاص والحب والخوف والرجاء وسائر أعمال القلوب التي هي واجبة باتفاق أئمة الدين.

وقول اللسان هو: النطق بالشهادتين والإقرار بلوازمهما، وعمل الجوارح ما لا يؤدى إلا بها، وهي تابعة لأعمال القلوب ولازمة لها.

فالقلب إذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، وعدم الأعمال الظاهرة دليل على انتفاء الأعمال الباطنة، يقول الله تعالى: لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ [المجادلة:٢٢]. وقال تعالى: وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ [المائدة:٨١]. فالباطن والظاهر كما هو واضح في الآيات متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، إذا تقرر ذلك فالذي يعد شرطا في صحة الإيمان هو جنس العمل، فترك جنس العمل مخرج من الملة، والأدلة على ذلك كثيرة منها:

قوله تعالى: وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ [النور:٤٧].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : فنفى الإيمان عمن تولى عن العمل وإن كان قد أتى بالقول. انظر الفتاوى ١٤٢/٧.

ويقول في موضع آخر: من الممتنع أن يكون الرجل مؤمناً إيماناً ثابتاً في قلبه بأن الله فرض عليه الصلاة والزكاة والصيام والحج، ويعيش دهره لا يسجد لله سجدة ولا يصوم رمضان ولا يؤدي لله زكاة ولا يحج لله بيته، فهذا ممتنع ولا يصدر هذا إلا مع نفاق في القلب وزندقة، لا مع إيمان صحيح.

ولهذا إنما يصف سبحانه بالامتناع من السجود الكفار كقوله تعالى: يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ*خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ [القلم،٤٢-٤٣]. مجموع الفتاوى ٦١١/٧.

أما العمل الذي هو شرط في كمال الإيمان فهو آحاده وأفراده، فمن ترك واجباً من الواجبات الشرعية أو ارتكب معصية،

نقص إيمانه لكن لا يزول بالكلية. والأدلة على ذلك كثيرة، منها قول الله تعالى: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا [الحجرات:٩]. فسماهم مؤمنين رغم اقتتالهم وهو من الكبائر، فالإيمان عند أهل السنة شعب متفاوته -كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم- وكل شعبة تسمى إيماناً، وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة شهادة التوحيد، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك أماطة الأذى عن الطريق.

والله أعلم.

المفتي: مركز الفتوى بإشراف د.عبدالله الفقيه

================

---

(١) - فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (ج ٣ / ص ٢٧٨٦)

(٢) - فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (ج ٣ / ص ٤٥٤٢)." [١]

"فإن مجرد إعلان الإسلام ليس معناه أن الشخص صار بموجبه مؤمنا بل لابد مع النطق بالشهادتين من العمل بمقتضاها، فحقيقة الإيمان في الاصطلاح الشرعي مركبة من: قول وعمل، والقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام (الشهادتين). والعمل قسمان: عمل القلب، وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح، قال الإمام أحمد بن حنبل : الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص . وقال الإمام البغوي : اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان... وقالوا: إن الإيمان قول وعمل وعقيدة . انظر شرح السنة للبغوي (١/ ٣٨. ٣٩). وقال الإمام الشافعي : وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركنا: أن الإيمان: قول، وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاثة عن الآخر . شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ٨٨٦). قال الإمام ابن القيم : الإيمان أصل له شعب متعددة، وكل شعبة تسمى إيمانا، فالصلاة من الإيمان، وكذلك الزكاة، والحج، والصوم، والأعمال الباطنة كالحياء والتوكل ... إلخ. كتاب الصلاة لابن القيم ص ٥٣. فالإيمان كما تبين ليس مجرد قول باللسان مع التمسك بما يناقضه من عدم الانقياد والتسليم لأحكامه تعالى، وقد قال تعالى: فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴿لنساء:٦٥﴾. فالقلب إذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، وعدم الأعمال الظاهرة دليل على انتفاء الأعمال الباطنة، يقول الله تعالى: لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴿لمجادلة: ٢٢﴾. وقال تعالى: وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴿المائدة: ٨١﴾. فالباطن والظاهر كما هو

واضح في الآيات متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر. إذا تقرر ذلك فمجرد إعلان الشهادتين مع التولي عن العمل وعدم الانقياد لأحكام الإسلام لا يصير به الإنسان مسلما والأدلة على ذلك كثيرة منها: قوله تعالى: وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿النور:٤٧﴾. ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : فنفى

---

(١) المفصل في شرح آية الولاء والبراء، ص/٣٣٣

الإيمان عمن تولى عن العمل وإن كان قد أتى بالقول . انظر الفتاوى: ٧/ ١٤٢. ويقول في موضع آخر: من الممتنع أن يكون الرجل مؤمنا إيمانا ثابتا في قلبه بأن الله فرض عليه الصلاة والزكاة والصيام والحج، ويعيش دهره لا يسجد لله سجدة ولا يصوم رمضان ولا يؤدي لله زكاة ولا يحج لله بيته، فهذا ممتنع ولا يصدر هذا إلا مع نفاق في القلب وزندقة، لا مع إيمان صحيح . ولهذا إنما يصف سبحانه بالامتناع من السجود الكفار كقوله تعالى: يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ*خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿القلم:٤٢. ٤٣﴾. مجموع الفتاوى ١١٦/٧ . وعليه فلا يجوز لك الزواج من هذا الشاب لأنه لم يدخل في الإسلام ولم يدخل قلبه الإيمان، لقوله تعالى: وَلا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ ﴿البقرة: ٢٢١﴾. وقوله: لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴿الممتحنة:١٠﴾. وقوله: وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴿النساء: ١٤١﴾. وهذا محل إجماع بين أهل العلم، وأما قولك سأقوم بعد الزواج بنصحه ودعوته، فلست مكلفة بدعوة هذا الرجل وهو أجنبي عنك فابتعدي عنه ولا تربطي معه أي علاقة، ولا ترضي لنفسك زوجا وشريكا لحياتك إلا رجلاً مسلماً ذا خلق ودين واتركي هذا الرجل فإنه لا خير فيه. والله أعلم.

المفتي: مركز الفتوى بإشراف د.عبدالله الفقيه

================

رقم الفتوى ٥٦٠٧١ الإحسان إلى الأقارب غير المسلمين وصلتهم دون المودة (١)

تاريخ الفتوى : ١٠ شوال ١٤٢٥

السؤال

أنا شاب عربي أصلي من فرقة إسلامية أعتبرها ضالة وهي الدروز، من الله علي بالعودة إلى القرآن وحب النبي صلى الله عليه وسلم، أنا أحب أهلي وأتصدق من فضل الله على بعض أقاربي، عندي ثلاثة أسئلة: الأول: أنا أحس أني غريب عن معظم الناس في مجتمعي وممن هم من الأرحام فهل أعتبر قاطع رحم، والسؤال الثاني: هو ما حكم توزيع الزكاة والصدقة لبعض أقاربي من الفقراء والمساكين؟ أما السؤال الثالث: ما هي نصيحتكم لي بالزواج فهل زواجي من فتاة درزية فيه شيء علي إذا لم تعش زوجتي معي كمسلمة تصلي وتصوم وتقرأ القرآن، أدعو الله أن يجزيكم خير جزاء؟

الفتوى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

---

(١) -فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (ج ٨ / ص ٥٠١٧)." [1]

"وهنا أعود إلى عنوان هذه المقالة بعد أن تبين لنا معناها ، وأقول : إن هناك فرق بين تناول التوحيد كعلم مجرد وبين أخذه علماً وحالاً وسلوكاً ، إن المواقف المتخاذلة اليوم أمام أمريكا الكافرة وحلفائها ، وعدم الصدع والجهر بعداوتها والبراءة منها ومن يتولاها لهو أكبر دليل على أن التوحيد عند الكثير منا بقي في حدود العلم المجرد ، أما أخذه علماً وحالاً وعملاً

---

(١) المفصل في شرح آية الولاء والبراء، ص/٣٣٩

فإنه – ويا للأسف – أصبح مغيباً عن الأمة ، ومغيباً عن المواقف والممارسات . إن هذا الدين يرفض اختزال المعارف الباردة في الأذهان المجردة . إن العلم في هذا الدين يقتضي العمل ، ويتحول في قلب المسلم إلى حركة وأحوال ومواقف ، إذ لا قيمة للمعرفة المجردة التي لا تتحول لتوِّها إلى حركة ومواقف . نعم ، لا قيمة للدراسات الإسلامية في شتى مناهجها ومعاهدها ، ولا قيمة لاكتظاظ الأدمغة بمضمونات هذه المعارف إن لم يصحبها عمل ومواقف . إن العلم المجرد حجة على صاحبه إذا لم يقتضِ عنده العمل . إن العلم بالدين لابد أن يزاول في الحياة ، ويطبق في المجتمع ، ويعيش في الواقع ، وإلا فما قيمة الدروس المكثفة عن الولاء والبراء وأنواعه ، وما يضاده من الشرك وما ينقضه من النواقض ، ثم لما جاءت المواقف التي نحتاج فيها إلى تطبيق ما تعلمناه من مشائخنا فإذا بالسكوت ، بل والتشنيع على من ترجم ما تعلمه إلى سلوك وحال مع أعداء الله – عز وجل – فأعلن براءته وصرَّح بما تعلمه من علمائه ومشائخه من أن تولي الكفار ومناصرتهم على المسلمين رِدَّة وناقض من نواقض الإسلام . إن شأن التوحيد شأن عظيم من أجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب ، وقام سوق الجهاد وسوق الجنة والنار ، ومن أجل الولاء والبراء – الذي هو أس التوحيد وركنه الركين – هاجر المسلمون السابقون الأولون من ديارهم ، وضحّوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، وفاصلوا آباءهم وأبناءهم وإخوانهم وعشائرهم الذين ليسوا على دينهم متمثلين في ذلك قوله تعالى : "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون ، قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين" [التوبة :٢٣-٢٤].

إذن ، فمسألة الولاء والبراء ليست مسألة ذهنية نظرية تدرس لمجرد الدراسة والثقافة ، ولكنها مسألة خطيرة متى ما استقرت في قلب المؤمن الصادق فإنها تجعل منه رجل عقيدة باطناً وظاهراً قلباً وقالباً يتحرك بعقيدته يوالي من يواليها ، ويعادي من يعاديها ، ويهاجر ويجاهد في سبيل الله من أجلها ؛ إنه لا قيمة للمعرفة التي لا تتحول إلى عمل وحركة ومواقف ، ولا قيمة للدراسات الإسلامية والبحوث العقدية ، واكتظاظ أرفف المكتبات والأدمغة بها إن لم تزاول هذه العلوم والدراسات في الحياة ، وتطبق في المجتمعات ، وتحدد في ضوئها العلاقات، وتتمثل في حركة و مواقف يواجه بها الباطل وأهله .

والمقصود : بيان أن شأن الولاء والبراء شأن عظيم ، وأنه ليس علماً مجرداً ، بل يجمع إلى ذلك المقصود عمل القلب وبراءته من الشرك وأهله ، وإعلان ذلك ، وإظهاره باللسان ، وترجمة ذلك إلى عمل وجهاد وسلوك . أما أن يبقى رهين الكتب والأدمغة فإن هذا مما لا يتفق مع طبيعة هذا الدين الذي هو جد كله ؛ **لأنه قول القلب وعمله** ، وقول اللسان وعمل الجوارح، ولما كانت عقيدة الولاء والبراء هي صلب كلمة التوحيد ، وأنها تستلزم أقوالاً وأعمالاً ومواقف وبذلاً وتضحيات اهتم بها السلف اهتماماً عظيماً ، وعلموها لأولادهم ، وتواصوا بها ، وهاجروا ، وجاهدوا من أجلها ، وعادوا، ووالوا على أساسها . يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى- : "فاللهَ اللهَ إخواني : تمسّكوا بأصل دينكم أوله وآخره أسّهِ ورأسه، وهو شهادة أن لا إله إلا الله ، واعرفوا معناها وأَحِبّوا أهلها ، واجعلوهم إخوانكم ، ولو كانوا بعيدين ، واكفروا بالطواغيت ، عادوهم ، وأبغضوا من أحبهم أو جادل عنهم أو لم يكفرهم ، أو قال : ما عليّ منهم ، أو قال ما كلفني الله

بهم ، فقد كذب على الله وافترى، بل كلفه الله بهم وفرض عليه الكفر بهم ، والبراءة منهم ولو كانوا إخوانه وأولاده ، فالله الله تمسكوا بأصل دينكم لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئاً" الدرر السنية ٢/١١٩.

وقال في موطن آخر : "إن الواجب على الرجل أن يعلم عياله وأهل بيته الحب في الله والبغض في الله ، والموالاة في الله ، والمعادات فيه قبل تعليم الوضوء والصلاة ؛ لأنه لا صحة لإسلام المرء إلا بصحة صلاته ولا صحة لإسلامه – أيضاً – إلا بصحة الموالاة والمعادات في الله" الرسائل الشخصية ص ٣٢٣. ولما تواجه المسلمون في تاريخهم الطويل مع أعدائهم الكافرين بشتى مللهم برز دور العلماء في وقتهم ، وهم يحرِّضون على نصرة المسلمين وإعانتهم على الكافرين ويحذرون من تولي الكافرين ، ومناصرتهم بأي نوع من أنواع النصرة ، ويفتون بأن من ظَاهَر الكافرين على المسلمين فهو مرتد خارج عن ملة الإسلام . فهذا الإمام أحمد – رحمه الله تعالى – قال عن بابك الخرّمي عندما خرج على المسلمين وحاربهم وهو بأرض المشركين : " خرج إلينا يحاربنا وهو مقيم بأرض الشرك ، أيّ شيء حكمه ؟ إن كان هكذا فحكمه حكم الارتداد" (الفروع ٦/١٦٣).

وعندما هجم التتار على أراضي الإسلام في بلاد الشام وغيرها أفتى شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – بردِّة من قفز إلى معسكر التتار من بعض المنتسبين إلى الإسلام (الفتاوى ٢٨/٥٣٠) .." [1]

"وصلاة الجمعة خلف كل بر وفاجر؛ صلاة الجمعة إذا كان الذي يصليها إمام المسلمين أو الأمير، أو كانت في البلد، وليس فيها إلا جمعة واحدة، وكان الإمام فاسقا صلى خلفه؛ ما دام أنه مسلم، وإن ترك الصلاة خلفه، وصلى في البيت فهو مبتدع عند أهل العلم. صلاة الجمعة خلف كل بر وفاجر، والصلاة على من مات من أهل القبلة سنة، ولو كان عاصيا وفاسقا؛ إلا إذا كفر؛ لقوله تعالى: ﴿ (((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((

....

(((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((؟ ﴾ (١) فإن مات على الكفر لا يصلى عليه، وإن مات على الإيمان يصلى عليه، ولو كان عاصيا؛ لكن بعض المعاصي يترك أهل العلم والفضل الصلاة عليه ردعا للأحياء؛ مثل قاتل نفسه، ومثل الغال؛ لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – تأخر عن الصلاة عليهم. يدعو للأحياء.

والصلاة على من مات من أهل القبلة.

والإيمان قول وعمل؛ خلافا للمرجئة الذين يقولون: **الإيمان قول القلب فقط**، والإيمان يزيد وينقص كذلك. أهل السنة والجماعة يقولون: الإيمان يزيد وينقص؛ أما المرجئة يقولون: لا يزيد ولا ينقص.

والقرآن كلام الله؛ خلافا للمعتزلة الذين يقولون: مخلوق؛ ليس كلام الله.

---

(١) – سورة التوبة آية : ٨٤.." [2]

---

(١) المفصل في شرح آية الولاء والبراء، ص/٤٠٠

(٢) المختار في أصول السنة، ١/٢٩٦

"- صلى الله عليه وسلم - عدم الريب وانتفاؤه، وفي حديث أبي هريرة)) اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة (("رواه مسلم" وفي الصحيح ((أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة)) الشرط الرابع:- الصدق، وهو أن **يتوافق قول القلب واعتقاده** مع قول اللسان، فلا ينفع أحدهم دون الآخر فاعتقاد بلا قول لا ينفع وقول بلا اعتقاد لا ينفع ألا ترى أن المنافقين الذين قالوا (لا إله إلا الله محمد رسول الله) لما لم تكن قلوبهم مصدقة بمدلول هذه الشهادة رد الله عليهم شهادتهم وكذبهم فيها كما قال تعالى ﴿ إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ وسبب تكذيبهم هو عدم التصديق القلبي لمدلول هذه الشهادة وإنما قالوها خوفاً من المؤمنين ومراوغة ومخادعة لعباد الله الصالحين، وقال تعالى ﴿ وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ وأعظم الصدق هو هذه الكلمة ولم يكتف الله جل وعلا بأن يأتي بالصدق فقط بل اشترط شرطاً زائداً على مجرد المجيء به وهو قوله ﴿ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ فلابد من التصديق بالحق التصديق المقتضي للإيمان الراسخ والإتباع وقد أخطأ الكلابية خطأً عظيماً لما جعلوا الإيمان مجرد القول ولم ينظروا إلى توافقه مع التصديق الباطني فأسأله جل وعلا أن يهدي القلوب إلى موافقة الحق والتصديق به إنه ولي ذلك والقادر عليه، وضد التصديق الكذب، الشرط الخامس:- المحبة، وضدها الكراهية والبغض، فلا يتحقق الانتفاع بهذه الكلمة إلا بأن يكون القائل محباً لله جل وعلا ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - ومقدماً محبتهما على كل محبة ومحباً لما يحبه الله ورسوله من الأقوال والأعمال والاعتقادات." (١)

"توحيد الربوبية هو الإقرار بأن الله هو الخالق الرازق المحي المميت المدبر لجميع الأمور، وهذا النوع من التوحيد أقر به المشركون في الجملة. كيف في الجملة يعني؟ يعني في بعض الصور دون بعض، يعني في أصول التوحيد، الخلق والرزق والإحياء والإماتة والتدبير سلموا بها، ولكن في بعض المواضع أشركوا بالله عز وجل في توحيد الربوبية، ولذلك أثر عنهم ماذا؟ أثر عنهم التمائم ونحوها، وهذا يدل على أن الشرك قد وقع في توحيد الربوبية، وهذا النوع من التوحيد وأقر به المشركون ومع ذلك لم يدخلهم إقرارهم في الإسلام، يعني توحيد الربوبية الإقرار به لا ينفع العبد لأن المشرك الذي بعث إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - كان مقرا بجملة هذا النوع، هل حكم عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالإسلام لمجرد إقرارهم بتوحيد الربوبية في الجملة؟ الجواب: لا، إذا لا بد أن يأتي بتوحيد الإلوهية.

النوع الثاني: توحيد الإلوهية.

وهو إفراد الله بالعبادة، وهذا النوع هو الذي فيه الخصومة بين الأنبياء وأقوامهم.

النوع الثالث: توحيد الأسماء والصفات، والبحث فيه في هذه الرسالة.

وهو أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، وسيأتي شرح هذه القواعد الأربعة، وإن شئت قلت: التوحيد ينقسم إلى قسمين التوحيد إما أن ينقسم إلى ثلاثة أقسام أو إلى قسمين، وثم اعتبار مختلف إن كان المراد ما يجب على العبد فهو قسمان، وإن كان باعتبار

---

(١) اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية، ص/١٢٠

المتعلق فهو ثلاثة أقسام، لأنك تقول: توحيد الإلوهية، وصف لله، الربوبية وصف لله عز وجل، الأسماء والصفات يعني أسماء الله إذا وصف لله عز وجل، حينئذ نقول: التوحيد إن نظر إليه باعتبار الاعتقاد والمتعلق فهو ثلاثة أقسام، وإن نظر إليه من حيث ما يجب المكلف حينئذ هو قسمان، وذكر ابن القيم في غير موضع من كتبه وفي النونية أنه قسمان.

أحدهما التوحيد الفعلي: وهو المسمى بتوحيد الإلوهية، سمي فعليا لأنه متضمن لأفعال القلوب والجوارح، فأفعال القلوب كالرجاء والخوف والمحبة، والجوارح كالصلاة والزكاة والحج ونحو ذلك، فهو إفراد الله تعالى بأفعال العبد، هذا التوحيد الفعلي.

النوع الثاني: التوحيد القولي الاعتقادي. سمي بذلك لاشتماله على أقوال القلوب وهو اعترافها واعتقادها وعلى أقوال اللسان، قول القلب: الاعتقاد وكذلك فعله، وقول اللسان وهو فعل اللسان، فقول اللسان يسمى فعلا ﴿زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه﴾ [الأنعام: ١١٢]. يعني ما قالوه، فيطلق الفعل على القول ولا إشكال فيه. إذا التوحيد القولي الاعتقادي هذا ينقسم إلى نوعين:

توحيد الأسماء والصفات.

وتوحيد الربوبية.

التوحيد القولي وهذا مهم كتأصيل معنا، التوحيد القولي ومنه توحيد الأسماء والصفات ينقسم إلى قسمين:

الأول: النفي.

والثاني: الإثبات.." (١)

"الأولى: الذين قالوا: إن الأعمال ليست من الإيمان. وهم مع كونهم مبتدعة في هذا القول فقد وافقوا أهل السنة على أن الله يعذب من يعذبه من أهل الكبائر بالنار، ثم يخرجهم بالشفاعة كما جاءت به الأحاديث الصحيحة، وعلى أنه لا بد من الإيمان في الإيمان أن يتكلم به بلسانه، يعني أضافوا قول إلى الاعتقاد. حينئذ يكونوا أخرجوا الأعمال عن مسمى الإيمان، وهذا ما نسب إلى الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى في كونه جعل الأعمال شرط كمال في الإيمان، وليست بركن أو شرط صحة، على خلاف اللفظ في هذه المسألة، حينئذ هؤلاء وافقوا في كون من فعل معصية فإنه يفسق، وفي كون الإيمان يزيد وينقص، وبعضهم ينفي هذه المسألة، وفي كونه أنه قد يدخل ويعذب النار ويخرج بالشفاعة فأثبتوا الشفاعة، حينئذ الخلاف معهم في جزئية واحدة وهي أن الأعمال هي داخلة في مسمى الإيمان أو لا. قال: وعلى أن الأعمال المفروضة واجبة وتاركها مستحق للذم والعقاب، وقد أضيف هذا القول إلى بعض الأئمة من أهل الكوفة كالإمام أبي حنيفة وشيخه ونحوهم.

أما الفرقة الثانية: فهم الذين قالوا: إن الإيمان هو مجرد التصديق بالقلب وإن لم يتكلم به، بمعنى أنه أخرج ماذا؟ أخرج الأعمال - وهذا لا شك فيه - أخرج أيضا القول فجعل التصديق الذي هو اعتقاد القلب أو فعل القلب **أو قول القلب** - اختلاف - حينئذ نقول: جعل التصديق كاف في وصف الإيمان لهذا الشخص، ولو لم يتكلم به. ولا شك في فساد هذا القول ومصادمته لأدلة الكتاب والسنة، فإن الإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان، واعتقاد بالجنان. فإذا اختل واحد

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢١/٢

من هذه الأركان لم يكن الرجل مؤمنا بإجماع أهل السنة والجماعة، وعلى هذا أدلة الكتاب والسنة، ودرج على هذا السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين، وهذا له فصل خاص يأتي في موضعه إن شاء الله تعالى.." (١)

"الإيمان في اللغة على ما اشتهر التصديق، المشهور عند من عرف الإيمان بأنه التصديق، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾ [يوسف: ١٧] أي: مصدق لنا ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾ أي مصدق لنا وهذا هو المشهور، فالتصديق المراد به قول القلب، التصديق إنما يكون بالقلب، وقد يكون بالأعمال كما سيأتي كلام شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في محله بمعنى أن التصديق في اللغة يراد به في أصله تصديق القلب، فهو عمل القلب، أو إن شئت قل قول القلب، وهل العمل يصدق أو لا؟ أكثر أهل اللغة على أن العمل لا يطلق عليه تصديق، وسيأتي أن الشرع أطلق عليه أنه تصديق.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى وهذا القول لا يصح، يعني: تفسير الإيمان في اللغة بأنه التصديق فقط لا يصح، بل الإيمان في اللغة الإقرار بالشيء عن تصديق به. بمعنى أن التصديق الذي يكون في القلب قد يثمر شيئا على اللسان والجوارح، وقد لا يثمر.

الثاني: هو الذي أطلق فقيل: الإيمان والتصديق، بمعنى أنه لا يلزم منه أن يكون ثم ثمرة تظهر على اللسان أو تظهر على الجوارح، بمعنى أنه لا تلازم بين التصديق وبين عمل الجوارح، هل هذا المعنى هو المعنى اللغوي، الشيخ رحمه الله تعالى يأبى ذلك ويقول: لا. وإنما هو الإقرار مع التصديق، بمعنى أن هذا التصديق لا بد وأن يستلزم شيئا ظاهرا، فإن لم يستلزم فلا عبرة بهذا التصديق بل لا يسمى تصديقا، وسيأتي أن هذا هو الحق إن شاء الله تعالى في محله.." (٢)

"معنى قول السلف: (الإيمان قول وعمل)

ومعنى قول السلف: الإيمان قول وعمل، يعني: أن الإيمان مشتمل على هذه الحقيقة المركبة من القول والعمل، والقول يراد به: قول اللسان وقول القلب.

فأما قول القلب: فهو تصديقه بما أخبر الله به، وبما أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم.

وأما قول اللسان: فهو يشمل قول لا إله إلا الله، والذكر، وقراءة القرآن، والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، إلى آخر تلك العبادات المتعلقة باللسان.

وأما العمل: فإنه يشمل عمل القلب، وعمل الجوارح: فأما عمل القلب فهو خشية الله، محبة الله، الخوف من الله، التوكل على الله، الإنابة، التوحيد، الإخلاص، المراقبة، اليقين، القبول، الرضا، وهكذا سائر الأعمال القلبية التي تكون في القلب، فهذه تسمى: أعمال القلب.

وأما عمل الجوارح فهو يشمل الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، والجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، وهكذا سائر الأعمال التي تكون بالبدن.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢٤/٣٠

(٢) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٦/٤

إذا: هذه هي حقيقة الإيمان، مركبة من القول والعمل، والقول **يشمل قول القلب وقول** اللسان، والعمل يشمل عمل القلب وعمل اللسان.

وإذا أردنا أن نقسم حقيقة الإيمان على الجوارح نجد أنها اشتملت على ثلاثة جوارح: على جارحة اللسان: قول اللسان.

وعلى جارحة **القلب: قول القلب وعمل** القلب.

وعلى بقية الجوارح عموما.

ولهذا عبر بعض السلف الصالح رضوان الله عليهم عن حقيقة الإيمان وعن تعريف الإيمان بأنه: قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان.

وعبر بعضهم فقال: هو قول وعمل ونية.

وقال بعضهم: هو قول وعمل ونية واتباع للسنة.

والحقيقة أن هذه العبارات ليست مختلفة اختلاف تضاد، وإنما هو اختلاف تنوع، وهو مثل إخبار الصادقين عن حادثة معينة رأوها جميعا، هذا يعبر بتعبير، وذاك يعتبر بتعبير آخر، والثالث يعبر بتعبير ثالث، لكنها جميعا تتفق في المعنى.

إذا: الإيمان حقيقة مركبة تشمل الدين كله، وتشمل الإسلام كله، وتشمل العبودية لله كلها، فلا يخرج من الدين شيء ليس من الإيمان، فكل ما شرعه الله سبحانه وتعالى مما يتعلق بالعبادات القولية أو القلبية أو التي تتعلق بالجوارح من الإيمان، ولهذا لما أراد السلف أن يعبروا عن الدين كله عبروا بأنشطة الإنسان، وهي متكونة من القول والعمل، فقالوا: قول وعمل.

وأصح وأدق تعريف من تعاريف السلف هو قولهم: الإيمان قول وعمل، وتفصيله على النحو السابق.

وقد يقول قائل: لماذا قالوا: قول وعمل ونية؟ ولماذا قالوا: قول وعمل ونية واتباع للسنة؟ نقول: الذين قالوا: إن الإيمان هو قول وعمل ونية؛ خشوا ألا يفهم من قولهم: (عمل) عمل القلب، ومن قولهم: (قول) قول القلب؛ لأن الذهن قد ينصرف عند سماع (قول) إلى اللسان، وعندما يقال (عمل) ينصرف لعمل الجوارح، فأرادوا التأكيد على عمل القلب، فقالوا: ونية، هذا من جهة.

ومن جهة ثانية؛ فإن الأعمال إذا كانت على غير السنة فإنها لا تكون من الإيمان، أرأيتم البدع التي يبتدعها الناس هل هي من الإيمان؟ لا، ليست من الإيمان، مثل: الطواف حول القبور، والذبح لها، والذكر الجماعي، والاحتفالات البدعية، والأعياد المبتدعة ونحو ذلك، كل هذه الأعمال ليست من الإيمان في شيء، وليست من حقيقة الإيمان.." [1]

"أدلة شمول الإيمان لقول القلب

أولا: قول القلب -الذي هو تصديقه-: الدليل عليه هو قول الله عز وجل: ﴿ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ [الحجرات:١٤] ففي هذه الآية تحديد لمحل الإيمان.

ويقول الله عز وجل: ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم﴾ [الحجرات:٧] فدل على أن هناك ارتباطا بين الإيمان وبين القلب، فقوله: ((وزينه في قلوبكم)) يعني: زين الإيمان في قلوبكم.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٥/١٩

وقال: ﴿كتب في قلوبهم الإيمان﴾ [المجادلة:٢٢].

وقال عن المكره الذي ينطق بكلمة الكفر: ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ [النحل:١٠٦].

ولو رجعنا إلى مادة (قلب) في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن لوجدنا أن كثيرا من الأعمال علقت بالقلب، مثل: ﴿وجلت قلوبهم﴾ [الأنفال:٢] ونحو ذلك من الأعمال المتعلقة بالقلب، مما يدل على كثرة الأعمال القلبية التي فرضها الله عز وجل على العباد، هذا ما يتعلق بقول القلب.

إذا: من سقط عنده هذا الركن من أركان الإيمان هل يكون مسلما؟ لا يكون مسلما أبدا بإجماع المسلمين؛ لأن ضد قول القلب: التكذيب، ولا يكون مكذبا إلا المنافق، حتى المرجئة الذين قالوا: إن الإيمان هو التصديق القلبي فقط، قالوا: من **ترك قول القلب** -وهو التصديق القلبي- فهو كافر، وكذلك الخوارج، وكذلك أهل السنة قالوا: بأن من **ترك قول القلب فهو** منافق كافر خارج عن الإسلام.." (١)

"أدلة شمول الإيمان لعمل الجوارح

رابعا: عمل الجوارح: والدليل على أن عمل الجوارح من الإيمان: قول الله عز وجل: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ [البقرة:١٤٣].

وورد في حديث الشعب أنه قال: (الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق -وهذا عمل- والحياء شعبة من الإيمان)، والله عز وجل يقول: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ [البقرة:١٤٣] يعني: صلاتكم إلى بيت المقدس؛ لأنهم صلوا في البداية إلى بيت المقدس، ثم حولت القبلة، وتحدث بعض الناس عن أن الصلوات التي صلوها لبيت المقدس باطلة، فأنزل الله عز وجل قوله: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ [البقرة:١٤٣] فسمى الصلاة: إيمانا، والصلاة عمل من أعمال الجوارح.

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (الطهور شطر الإيمان) رواه مسلم.

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن).

وهذا يدل على أن ترك الزنا من الإيمان، والترك من العمل، كما قال الله عز وجل: ﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾ [المائدة:٧٩]، فعبر عن ترك التناهي بالفعل، قال: ((كانوا لا يتناهون)) يعني: يتركون التناهي، ((كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)) يعني: لبئس ما كانوا يفعلونه من ترك التناهي، فسمى ترك التناهي فعلا، فترك الزنا فعل وعمل أدخل في الإيمان، قال: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) إذا: من ترك الزنا صار مؤمنا، وهكذا أحاديث كثيرة تدل على أن من ترك الكبائر فهو مؤمن.

وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا إيمان لمن لا أمانة له).

وقوله: (من غشنا فليس منا).

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (حسن العهد من الإيمان) كما رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الإيمان.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٦/١٩

إذا: الإيمان حقيقة مركبة من القول والعمل، والقول: يشتمل **على قول القلب وهو**: تصديقه، وقول اللسان: وهو النطق بالشهادتين، وما يتبع ذلك من قراءة القرآن والذكر ونحو ذلك، والعمل يشتمل على عمل القلب، وهو خشية الله، والتوكل على الله، ومحبة الله، والرجاء لله عز وجل ونحو ذلك، وأيضا: عمل الجوارح، مثل: الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة.." (١)

"مراد أهل السنة بالقول والعمل

قال رحمه الله تعالى: [ولا خلاف بين أهل السنة أن الله تعالى أراد من العباد القول والعمل، وأعني بالقول: التصديق بالقلب والإقرار باللسان، وهذا الذي يعنى به عند إطلاق قولهم: الإيمان قول وعمل].

هذا أيضا من الكلام المجمل الملتبس، فكلامه هذا فيه إجمال وفيه نظر من ناحية أخرى، فقوله: التصديق بالقلب والإقرار باللسان هو معنى أن الإيمان قول وعمل ليس بصحيح.

فالقول بأن التصديق بالقلب والإقرار باللسان يخالف ويناقض قول السلف بأن الإيمان قول وعمل؛ لأن السلف فسروا قولهم، وتفسيرهم لهذه الكلمة متواتر، وهو أنهم يقصدون بـ (قول **وعمل) قول القلب واللسان** وعمل القلب والجوارح.

إذا: فكلمة (قول وعمل) ليست مرادفة للإقرار بالقلب والقول باللسان، بل تزيد عليها قطعا؛ لأن السلف اتفقوا على أن المقصود بقولهم: (قول وعمل) جميع الأمور الثلاثة: التصديق والإقرار باللسان والعمل بالأركان، لذلك لما خاضوا مع المرجئة في هذه المسألة فصلوا، فلما اضطر السلف للتفصيل فصلوا، وقالوا: الإيمان هو تصديق الجنان وقول اللسان وعمل الأركان، وهو تفسير لكلمة (قول وعمل).

وقوله: [لا خلاف بين أهل السنة أن الله تعالى أراد من العباد القول والعمل] هذا صحيح، لكن تفسيره بأن القول التصديق بالقلب والإقرار باللسان فقط، فيه نوع من الالتباس؛ لأنه قال: [وهذا الذي يعنى به عند إطلاق قولهم: قول وعمل]، فليته شرح معنى (وعمل) وجعلها في أصل الشرح السابق، من أجل أن يزول اللبس، ومع ذلك يبقى لسلامة العبارات محمل لو لم يكن هناك نوع من التكلف في عرض قول المرجئة في هذا المقطع كله، فلو لم يكن هناك التباس في الكلام في أوله وآخره لقلنا: إن هذا الكلام يمكن أن يحمل على أحسن المحامل، فيبقى سليما في الجملة، لكن إذا نظرنا إلى مجمل القول قبل صفحات وفي الصفحات التالية؛ وجدنا أن هذا القول ملبس ولا بد من بيانه وشرح معنى جملة (قول وعمل)، فهي ليست مرادفة للتصديق والإقرار فقط، وإن كان القول فعلا يرادف التصديق والإقرار، لكن العمل أمر لا بد من الإشارة إليه هنا، وأنه يعني الأمور الثلاثة، والله أعلم.

قال رحمه الله تعالى: [لكن هذا المطلوب من العباد هل يشمله اسم الإيمان أم الإيمان أحدهما، وهو القول وحده، والعمل مغاير له لا يشمله اسم الإيمان عند إفراده بالذكر، وإن أطلق عليهما كان مجازا؟ هذا محل النزاع.

وقد أجمعوا على أنه لو صدق بقلبه، وأقر بلسانه، وامتنع عن العمل بجوارحه أنه عاص لله ورسوله].

يقصد أن أهل السنة والمرجئة أجمعوا، فكأنه يريد أن يجمع بينهم هنا ليوفق بين المذهبين.

قال رحمه الله تعالى: [وقد أجمعوا على أنه لو صدق بقلبه، وأقر بلسانه، وامتنع عن العمل بجوارحه أنه عاص لله ورسوله

(١) شرح العقيدة الواسطية - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٩/١٩

مستحق للوعيد، لكن فيمن يقول: إن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان من قال: لما كان الإيمان شيئا واحدا فإيماني كإيمان أبي بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما! بل قال: كإيمان الأنبياء والمرسلين وجبرائيل وميكائيل عليهم السلام! وهذا غلو منه؛ فإن الكفر مع الإيمان كالعمى مع البصر، ولا شك أن البصراء يختلفون في قوة البصر وضعفه، فمنهم الأخفش والأعشى، ومنهم من يرى الخط الثخين دون الدقيق إلا بزجاجة ونحوها].

ويعني هنا طائفة من المرجئة.

وقوله: (قد أجمعوا على أنه لو صدق بقلبه، وأقر بلسانه، وامتنع عن العمل بجوارحه أنه عاص لله ورسوله مستحق للوعيد) هذا فعلا قول لأهل السنة والمرجئة جميعا.

لكن قوله: (لكن فيمن يقول: إن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان من قال) يقصد أن هناك طائفة من المرجئة توافق أهل السنة في ظاهر القول، لكن عند التفصيل يخالفون، فهذا قول بعض المرجئة، كما أنه رد من معتدلة المرجئة –وهم مرجئة الفقهاء– على الجهمية، فعبارة: (لما كان الإيمان شيئا واحدا فإيماني كإيمان أبي بكر الصديق) هي قول طائفة من المرجئة، وليس كلهم، وتوافق قول بعض الجهمية.." (١)

"شرح العقيدة الطحاوية [٧٢]

الإيمان قول وعمل، والقول **يشمل قول القلب أي**: تصديقه واعتقاده، وقول اللسان وتكليمه، والعمل يشمل عمل القلب من الخوف والخشية والرجاء والتوكل والحب والبغض، وعمل الجوارح وهو فعل الطاعات وترك المعاصي والمنكرات، كما أن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي والسيئات، والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة والآثار السلفية الواردة في ذلك.." (٢)

"رد أهل السنة على المرجئة في احتجاجهم بزوال الإيمان المركب بزوال جزئه

قال المصنف رحمه الله تعالى: [وقالوا أيضا: وهنا أصل آخر، وهو أن القول **قسمان: قول القلب وهو** الاعتقاد، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام، والعمل قسمان: عمل القلب وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح، فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء؛ فإن تصديق القلب شرط في اعتبارها وكونها نافعة، وإذا بقي تصديق القلب وزال الباقي فهذا موضع المعركة!!.

ولا شك أنه يلزم من عدم طاعة الجوارح عدم طاعة القلب، إذ لو أطاع القلب وانقاد لأطاعت الجوارح وانقادت، ويلزم من عدم طاعة القلب وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة، قال صلى الله عليه وسلم: (إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب)، فمن صلح قلبه صلح جسده قطعا، بخلاف العكس، وأما كونه يلزم من زوال جزئه زوال كله فإن أريد أن الهيئة الاجتماعية لم تبق مجتمعة كما كانت فمسلم، ولكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الأجزاء، فيزول عنه الكمال فقط].

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ١١/٧٠

(٢) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ١/٧٢

يقصد بذلك أن الذين قالوا: إن الإيمان يزول بزوال جزئه، وهم طائفة من الذين قالوا: لا يزيد ولا ينقص، هذا من جانب، ومن جانب آخر أيضا هو قول المعتزلة والخوارج، ليس فقط قول طوائف بعض المرجئة، فالذين قالوا: إن كونه يلزم من زوال جزئه زواله كله هم بعض المرجئة، وهم أيضا الخوارج والمعتزلة، والخوارج والمعتزلة هم عكس المرجئة في كثير من الأمور، ومع ذلك يلتقون في بعض المستلزمات وبعض الأقوال.

وهو هنا يريد أن يرد على الذين قالوا: إن الإيمان يزول بزوال جزئه، وإنه إذا زال جزء منه زال كله، يريد أن يرد عليهم بأن هذا الكلام كلام مجمل، يقول: إذا قلتم: إن الإيمان يزول كله بزوال شيء منه؛ فهذا لا يصح.

وقوله: [فإن أريد أن الهيئة الاجتماعية] يقصد كل أفراد الإيمان، فهو يقول: إنه لا يصح أن الإيمان يزول كله بزوال الجزء، أما إذا أرادوا أن الإيمان إذا زال شيء منه لم يبق مجتمعا فهذا صحيح، فنحن نعرف أن الإيمان بمجموعه إذا زال جزء منه لم يبق سليما في الجملة، فيختل شيء منه بقدر خلل هذا العمل، ولا يبقى كاملا أيضا، فإنه ينقص بقدر نقص هذا العمل، لكن لا يصح أن نقول: إنه إذا اختل منه شيء أو زال جزؤه أو ذهب بعضه فقد ذهب مسمى الإيمان عن المؤمن أو زال كله، بمعنى أنه لا ينعدم بزوال جزء منه، بل يبقى أصله حتى ولو كثر النقص فيه، فلو افترضنا أن النقص في أكثر أجزاء الإيمان فإنه يبقى أصله، هذا جانب.

والجانب الآخر: أننا لو افترضنا أن النقص جاء من شيء عظيم في الدين -كارتكاب بعض الكبائر- فإنه مع ذلك قد يختل خللا عظيما، لكن يبقى أصله، وقد يرتفع معنى الإيمان عن المسلم في لحظة ما، لكنه مع ذلك لا ينفك عنه مسمى الإسلام ولا مسمى الإيمان، إنما قد يرتفع في تلك اللحظة التي حدث للمسلم فيها عارض، كأن يشك في شيء من الدين أو يضطرب اعتقاده أو يحصل له شيء من النزغات العظيمة التي تستوجب زوال الإيمان في لحظة ما، لكنه لا يلبث أن يعود، بل ربما يرتكب من الكبائر والفواحش العظام ما يمكن أن نقول: إنه بذلك لم يكن مؤمنا في تلك اللحظة التي حصل منه فيها ذلك الفعل، بمعنى أنه لا يستحق أن يكون ممن وفى بالإيمان، لكن يبقى أصل الإيمان ثابتا.

فعلى هذا فإن قول الذين يقولون: إن الإيمان يزول كله بزوال جزئه لا يصح، وإذا كان قصدهم أنه يزول كماله فنعم، لكن هذا لا يسمى زوالا، بل يسمى نقصا، ويسمى تقصيرا، ويسمى خللا، ويسمى عدم كمال إلى آخر ذلك من الألفاظ التي يعبر بها أهل العلم، والآن سيبدأ في الاستدلال على تقرير زيادة الإيمان أو نقصانه.." (١)

"القلب أصل الإيمان والأعمال

قال الشارح رحمه الله: [وقال رحمه الله: ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام له وحده، فأصله في القلب، والخضوع له وحده بعبادته وحده دون ما سواه، فمن عبده وعبد معه إلها آخر لم يكن مسلما، ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلما، وفي الأصل هو من باب العمل عمل القلب والجوارح، وأما الإيمان فأصله تصديق القلب وإقراره ومعرفته، فهو من باب قول القلب المتضمن عمل القلب.

انتهى].

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ٢/٧٢

قول القلب وعمل القلب: هو عبارة عن الأمور التي تكون في القلب من العلم والخشوع والخشية والخوف الرجاء والإنابة والاستسلام والانقياد.

فهذه هي أعمال القلب، ثم تنبعث هذه على الجوارح، ويأتي العمل تبعا للقلب؛ فلهذا قال: (الأصل في القلب) يعني: أصل الإيمان في القلب.

بل أصل الأعمال كلها في القلب؛ فإن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (إنما الأعمال بالنيات) والنية هي: عمل القلب.." (١)

"إجماع أهل السنة على أن الإيمان يزيد وينقص

قال الشارح رحمه الله: [قوله: ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا﴾ [الأنفال:٢]: استدل الصحابة والتابعون ومن تبعهم من أهل السنة بهذه الآية ونظائرها على زيادة الإيمان ونقصانه.

قال عمير بن حبيب الصحابي: إن الإيمان يزيد وينقص، فقيل له: وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله وخشيناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه.

رواه ابن سعد].

يعني: أن الإيمان يزيد بالعمل، ولهذا قال أهل السنة في تعريف الإيمان: هو قول واعتقاد وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فجعلوا الزيادة والنقص من تمام التعريف؛ لأن أهل البدع، -مثل المعتزلة والخوارج- وإن وافقوا أهل السنة أول التعريف، إلا أنهم خالفوهم فيما يتعلق بالزيادة والنقصان، فالإيمان عند الخوارج والمعتزلة هو فعل الطاعات وعقيدة القلب -يعني: تصديقه- وكذلك عمل الأركان: القول والعمل، فلو كان يأتي بجميع الواجبات مصدقا عاملا بها ثم ترك واجبا فإنه يكون خارجا من الإيمان عند الخوارج وعند المعتزلة، إلا أنه عند الخوارج يصير كافرا وعند المعتزلة يبقى في منزلة بين الكفر والإيمان، فلا يكون كافرا ولا مؤمنا، وإنما يكون قد خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر! وهذه من بدعهم التي انفردوا بها، ولم يقل بها أحد غيرهم.

ثم إنهم وافقوا الخوارج في حكم الآخرة وقالوا: إذا مات على ذلك صار في النار، أما أهل السنة فزادوا في تعريفهم للإيمان: قول واعتقاد وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فقولهم: يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، من تمام التعريف وهو لمخالفة المبتدعة، أما غيرهم من أهل البدع فيجعلونه: قولا، وبعضهم يجعله تصديقا، وجعله قولا هذا من أغرب ما يكون؛ لأنه يلزم منه أن الإنسان إذا قال بلسانه فهو مؤمن وإن كان كافرا بقلبه.

وعلى كل حال فكل من خالف ما جاء في كتاب الله وما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلابد أن يقع في الأخطاء الفضيعة الواضحة.

قال الشارح رحمه الله: [وقال مجاهد: الإيمان يزيد وينقص وهو قول وعمل.

رواه ابن أبي حاتم].

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٧/٢٦

يدخل في القول: قول اللسان وقول القلب مثل الخوف والخشية والوجل والإنابة والمحبة والرضا هذا كله من قول القلب؛ لأن القول ينقسم إلى قسمين عند أهل السنة: قول يكون باللسان، وقول يكون بالقلب وهو: عقيدته وعمله.

قال الشارح رحمه الله: [وحكى الإجماع على ذلك الشافعي وأحمد وأبو عبيد وغيرهم رحمهم الله تعالى.

وقوله: ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ [الأنفال:٢]، أي: يعتمدون عليه بقلوبهم، مفوضين إليه أمورهم فلا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون أن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك وحده والمعبود وحده لا شريك له.

وفي الآية وصف المؤمنين حقا بثلاثة مقامات من مقامات الإحسان وهي: الخوف، وزيادة الإيمان، والتوكل على الله وحده].

بل خمس مقامات؛ لأن تمام الآية: ﴿الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ [الأنفال:٣]، فهي خمس مقامات واضحة.

قال الشارح رحمه الله: وهذه المقامات تقتضي كمال الإيمان وحصول أعماله الباطنة والظاهرة، مثال ذلك: الصلاة، فمن أقام الصلاة وحافظ عليها وأدى الزكاة كما أمره الله استلزم ذلك العمل بما يقدر عليه من الواجبات، وترك جميع المحرمات كما قال تعالى: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت:٤٥]].." (١)

"الإيمان قول وعمل يزيد وينقص

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [ومن مذهب أهل الحديث: أن الإيمان قول وعمل ومعرفة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية قال محمد بن علي بن الحسن بن شقيق: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله عن الإيمان في معنى الزيادة والنقصان؟ فقال: حدثنا الحسن بن موسى الأشيب قال: حدثنا حماد بن سلمة قال: حدثنا أبو جعفر القطني عن أبيه عن جده عن عمير بن حبيب قال: الإيمان يزيد وينقص فقيل: وما زيادته وما نقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله فحمدناه وسبحناه فتلك زيادته وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا فذلك نقصانه].

فمن مذهب أهل الحديث وأهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل ومعرفة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، وعقيدة الصحابة والتابعين والأئمة والعلماء: أن الإيمان قول باللسان يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، ويذكر الله، ويقرأ القرآن، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويدعو إلى الله، كل هذا من الإيمان.

وتصديق بالقلب أي: فأعمال القلوب داخلة في مسمى الإيمان مثل النية، والإخلاص، والرغبة، والرهبة، والمحبة، والخشية، وأعمال الجوارح: مثل الصلاة والصيام والزكاة والحج.

كل هذه داخلة في مسمى الإيمان، فالإيمان مكون من أربعة أشياء: الأمر الأول: قول اللسان وهو الإقرار والنطق.

والثاني: قول القلب وهو التصديق والإقرار.

والثالث: عمل القلب وهو النية والإخلاص.

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ١١/٩٠

والرابع: عمل الجوارح، ولهذا قال المؤلف رحمه الله: ومن مذهب أهل الحديث أن الإيمان قول وعمل ومعرفة، قول: قول اللسان وقول القلب، عمل القلب وعمل اللسان، والمعرفة هي تصديق القلب.

وقوله: يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

إذا فعل الإنسان الطاعات زاد الإيمان، وإذا فعل المعاصي نقص، ولهذا قال بعضهم: الإيمان قول وعمل، وبعضهم يقول: قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان، أي: بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ومن العلماء من قال: قول وعمل ونية، فالإيمان قول وعمل، والقول **شيئان: قول القلب وقول** اللسان، والعمل شيئان: عمل القلب، وعمل الجوارح، وهذا هو قول أهل السنة قاطبة خلافا للمرجئة، الذين يقولون: الإيمان تصديق القلب فقط، وهم أربع طوائف: الطائفة الأولى: المرجئة الجهمية، وهم المرجئة المحضة ويقولون: الإيمان مجرد معرفة الرب بالقلب، والكفر جهل الرب بالقلب، فمن عرف ربه بقلبه فهو مؤمن، ومن جهل ربه بقلبه فهو كافر، وهذا قول الجهم بن صفوان، وأفسد ما قيل في تعريف الإيمان هو تعريف الجهم، وعلى قول الجهم يكون إبليس مؤمنا؛ لأنه يعرف ربه بقلبه، يكون اليهود مؤمنين لأنهم يعرفون ربهم بقلوبهم، ويكون أبو طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم الذي مات على الشرك مؤمنا؛ لأنه يعرف ربه بقلبه، قال: ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا الطائفة الثانية: الكرامية الذين يقولون: الإيمان الإقرار باللسان فقط، فعند الكرامية من نطق بالشهادتين بلسانه فهو مؤمن، وإن كان مكذبا بقلبه يكون مخلدا في النار، فيلزم على قولهم: أن المؤمن كامل الإيمان يخلد في النار، وهذا من أفسد ما قيل.

الطائفة الثالثة من المرجئة: الماتريدية والأشاعرة يقولون: الإيمان تصديق القلب فقط، وهو رواية عن الإمام أبي حنيفة.

الطائفة الرابعة: مرجئة الفقهاء وهم أبو حنيفة وأصحابه الذين يقولون: الإيمان شيئان: إقرار اللسان، وتصديق القلب، أما الأعمال فليست داخلة في مسمى الإيمان وإن كانت واجبة لكن ليست من الإيمان، فالصلاة، والصوم والزكاة، والحج، بر وتقوى وهي مطلوبة، والفرق بينهم وبين الجهمية، أن الجهمية يقولون: ليست مطلوبة، وهؤلاء يقولون: مطلوبة، وأما أهل السنة والجماعة وهو مذهب الأئمة الثلاثة: مالك والشافعي وأحمد وهو الذي عليه الصحابة والتابعون والأئمة: أن الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح، ومرجئة الفقهاء أبو حنيفة وأصحابه يقولون: من ارتكب الكبيرة عليه الوعيد ويقام عليه الحد، ومن فعل الطاعات يمدح وله الثواب لكن لا يسميها إيمان، أما الجهمية الأولى: فيقولون: الأعمال ليست مطلوبة، فلو فعل الإنسان جميع الكبائر والمنكرات لا يكفر إلا إذا جهل ربه بقلبه، وهذا من أبطل الباطل.

وعلى هذا فيكون المرجئة أربع طوائف: الجهمية، والكرامية، والماتريدية والأشاعرة، ومرجئة الفقهاء، وجماهير أهل السنة على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، وقد نقل المؤلف رحمه الله عن الإمام أحمد: أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد إذا فعل الإنسان الطاعات وينقص إذا فعل المعصية، أما المرجئة فيقولون: الإيمان لا يزيد ولا ينقص، فهو شيء واحد بالقلب، وإيمان أهل الأرض وإيمان أهل السماء واحد وهو التصديق، فمن صدق بقلبه فهو مؤمن، ولا يزيد إيمانه ولا ينقص، وهذا من أبطل الباطل، بل إن الإيمان يزيد وينقص فإذا فعل الإنسان الطاعات زاد الإيمان، وإذا فعل المعاصي نقص، ولهذا نقل المؤلف رحمه الله عن الإمام أحمد إلى قوله عن عمير بن حبيب قال: الإيمان يزيد وينقص، قيل: وما زيادته وما نقصانه؟

قال: إذا ذكرنا الله فحمدناه وسبحناه زاد الإيمان فتلك زيادته، وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا فذلك نقصانه، ولهذا كان يقول بعض السلف: اجلس بنا نؤمن ساعة يعني: يزيد إيماننا فيجلسون يذكرون الله.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [أخبرنا أبو الحسن بن أبي إسحاق المزكى قال: حدثنا أبي قال: حدثنا أبو عمرو الحيري قال: حدثنا محمد بن يحيى الذهلي ومحمد بن إدريس المكي وأحمد بن شداد الترمذي قالوا: حدثنا الحميدي قال: حدثنا يحيى بن سليم سألت عشرة من الفقهاء عن الإيمان فقالوا: قول وعمل سألت هشام بن حسان؟ فقال: قول وعمل، وسألت ابن جريج فقال: قول وعمل، وسألت سفيان الثوري فقال: قول وعمل، وسألت المثنى بن الصباح فقال: قول وعمل، وسألت محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان فقال: قول وعمل، وسألت محمد بن مسلم الطائفي فقال: قول وعمل، وسألت فضيل بن عياض فقال: قول وعمل، وسألت نافع بن عمر الجمحي فقال: قول وعمل].

وهذا كله يدل على أن الإيمان قول وعمل وهو الذي عليه جماهير أهل السنة والجماعة يقول: خلافا للمرجئة الذين يقولون: العمل ليس من الإيمان.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وأخبرنا أبو الكيري قال: حدثنا محمد ومحمد بن إدريس وسمعت الحميدي يقول: سمعت سفيان بن عيينة يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة: يا أبا محمد، تقول ينقص فقال: اسكت يا صبي بل ينقص حتى لا يبقى منه شيء].

وهذا يؤيد مذهب أهل السنة والجماعة وكنية سفيان هي أبو محمد فالإيمان ينقص ولكنه لا ينتهي على الصحيح إلا إذا وجد الكفر الأكبر، أو النفاق الأكبر، أو الشرك الأكبر، لكن المعاصي تضعفه ولهذا جاء في الحديث (أنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان)، ولا ينتهي الإيمان بالمعاصي أبدا ولو كثرت.

فإذا جاء الكفر الأكبر أو الشرك الأكبر أو النفاق الأكبر انتهى الإيمان، فلا يجتمع كفر وإيمان بل إذا جاء الكفر الأكبر ذهب الإيمان، وإذا جاء الإيمان ذهب الكفر، لكن المعاصي يكون معها إيمان، فإذا كثرت أضعفت الإيمان حتى لا يبقى إلا أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقال الوليد بن مسلم سمعت الأوزاعي ومالكا وسعيد بن عبد العزيز ينكرون على من يقول: إقرار بلا عمل، ويقولون: لا إيمان إلا بعمل].

وقول: أبي محمد أسكت بل ينقص حتى لا يبقى منه شيء فيه نظر، والصواب أنه لا بد أن يبقى منه شيء، ويكون لا يبقى منه شيء بالنسبة للكافر، لأن الكافر ينتهي الإيمان منه، أما العاصي فلابد أن يبقى من إيمانه شيء وفيه قول: الوليد بن مسلم أنه سمع الأوزاعي ومالكا وسعيد ينكرون على من يقول: إقرار بلا عمل، أي: أنهم ينكرون على المرجئة، لأنهم يقولون: الإيمان إقرار بلا عمل، وهذا ليس بصحيح، ولهذا قال نقلا عن هؤلاء الأئمة: لا إيمان إلا بعمل.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [قلت: فمن كانت طاعاته وحسناته أكثر فإنه أكمل إيمانا ممن كان قليل الطاعة كثير المعصية والغفلة والإضاعة].

قوله: قلت: يعني: الإمام الصابوني فمن كانت طاعاته وحسناته أكثر فإنه أكثر إيمانا، ومن كان قليل الطاعة كثير المعصية والغفلة والإضاعة فإيمانه ناقص هذا صحيح، كلما كثرت الطاعات والحسنات زاد الإيمان، وإذا قلت الطاعات وكثرت

المعاصي والغفلة والإعراض نقص الإيمان وهذا قول أهل السنة.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وسمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن باكريه الجلاد يقول: سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: سمعت أحمد بن سعيد الرباطي يقول: قال لي عبد الله بن طاهر: يا أحمد إنكم تبغضون هؤلاء القوم جهلا، وأنا أبغضهم عن معرفة.

إن أول أمرهم أنهم لا يرون للسلطان طاعة.

والثاني: أنه ليس للإيمان عندهم قدر.

والله لا أستجيز أن أقول إيماني كإيمان يحيى بن يحيى ولا كإيمان أحمد ب." (١)

"الأول من النوعين توحيد العلم، ويسمى التوحيد الخبري، وسمي به علمي خبري، إذا لا يتعلق بالعمل، إنما يتعلق بماذا؟ بالعلم، ومحل العلم القلب، وكذلك الخبر محله من حيث التصديق والتكذيب القلب، ولذلك لا علاقة للعمل به، وسمي به لأن مداره على الإيمان بما أخبر الله به عن ذاته وأسمائه وصفاته وهو من باب الخبر الدائر بين النفي والإثبات من قبل المخبر المقابل بالتكذيب والتصديق من قبل المخاطب، يعني المخبر وهو الله تعالى، والنبي – صلى الله عليه وسلم – إما أن يثبت وإما أن ينفي، أليس كذلك؟ باب الأسماء والصفات وأفعاله جل وعلا إما إثبات وإما نفي، ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ [البقرة: ٢٥٥] إذا أثبت ونفى، هذا من جهة من؟ من جهة المتكلم والمخبر، إذا أثبت وصفا لنفسه فأنت أيها المخاطب إما أن تصدق وإما أن تكذب، ولذلك قلنا: كل محرف مكذب؟ يؤيد هذا الذي معنا، حينئذ نقول: المخاطب إذا قيل له الله تعالى موصوف بالحياة الحي، موصوف بالقيومية، القيوم إما أن تقول: نعم هذا حق. وإما أن تقول: هذا باطل. إذا إما أن تصدق وإما أن تكذب، ولذلك قالوا: من باب الخبر الدائر بين النفي والإثبات من قبل المخبر المقابل بالتكذيب والتصديق من قبل المخاطب، وهذا النوع هو المسمى بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وهما التوحيد المعرفة والإثبات، لأنه قائم على إثبات الألفاظ وما دلت عليه تلك الألفاظ من معاني فقط تثبت وتعتقد.

الثاني: التوحيد العملي، مبناه على العمل، التوحيد العملي الطلبي القصدي الإرادي، وهو المسمى بتوحيد الألوهية، ويسمى التوحيد الفعلي لأنه متضمن لأفعال القلوب والجوارح، التوحيد الفعلي، لماذا؟ لأنه متضمن لأفعال القلوب والجوارح، **إذا قول القلب وعمل** القلب وعمل الجوارح داخلة في مسمى التوحيد، توحيد الألوهية، حينئذ كما مر معنا في آخر ((كشف الشبهات)) أن أعمال الجوارح داخلة في مسمى التوحيد، بل هي ركن من أركان التوحيد، ولذلك نقول: إفراد الله تعالى بالعبادة، والعبادة معلوم أنها تكون بالقلب، وتكون باللسان، وتكون بالجوارح، إذا دخلت في حد التوحيد إفراد الله تعالى بالعبادة، والعبادة منها ما هو قلبي، ومنها ما هو لساني، ومنها ما هو بالجوارح والأركان كالركوع والسجود، وما كان قلبيا قد يكون قوليا وقد يكون عمليا، قوليا كالتصديق مثلا، وعمليا كالخوف والرجاء والمحبة ونحو ذلك.." (٢)

---

(١) شرح عقيدة السلف وأصحاب الحديث – الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٨/٩

(٢) شرح سلم الوصول في علم الأصول، أحمد بن عمر الحازمي ٢٢/١٥

"قال: (وكان عاملا بمقتضاها)، (وكان) ولا يزال مستمرا فكان هنا منزوعة الزمن، وكان ذلك القائل لها المعتقد لمعناها مع ذلك الاعتقاد (عاملا بمقتضاها)، المقتضى هو الذي دل عليه اللفظ، عندنا مقتضي ومقتضى، المقتضي هو الاعتقاد الصحيح لمعنى لا إله إلا الله، والمقتضى هو العمل الذي ترتب على ذلك الاعتقاد، (وكان عاملا بمقتضاها) على وفق ما علمه منها وتيقنه، فإن ثمرت العلم العمل به فجمع بين الاعتقاد والعمل (في القول) **أي قول القلب واللسان**، (والفعل) أي عمل القلب واللسان والجوارح، فلا يكفي الاعتقاد، ولا يكفي القول باللسان، بل لا بد من هذه الثلاثة الأمور. قال الله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ ... [الصف: ٢، ٣]. قال (ومات مؤمنا) إذا لا بد من العلم بالمعنى، ولا بد من العمل بالمقتضى، ثم لا بد من شرط الموافاة أن يموت مؤمنا، ... (ومات مؤمنا) أي على ذلك وهذا شرط لا بد منه فإنما الأعمال بالخواتيم قال – صلى الله عليه وسلم –: «ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على إلا دخل الجنة». فلا بد من الموت على التوحيد الحديث في الصحيحين عن أبي ذر بطوله. قال: (يبعث يوم الحشر ناج آمنا)، (يبعث يوم الحشر) يعني يوم الجمع (ناج) هذه حال من فاعل أو نائب فاعل (يبعث) لكن المصنف هنا ما نصبه بناء على أن بعض العرب ينطق بالمنقوص كالمرفوع والمجرور، والأصل ناجيا هذا الأصل فيه، لأن الفتحة تظهر فهو حال والأصل ناجيا، ومن العرب من يعامل المنقوص في حالة النصب كحالتي الرفع والجر حينئذ تقدر فيه الفتحة على الياء كما في قول الشاعر:

ولو أن واش باليمامة داره." (١)

"واش اسم إن، وحقه واشيا، ولكن قدر الفتحة وحذفت الياء للتنوين فقيل ماذا؟ واش. وقيل: هل هو ضرورة أو أنه جائز في ساعة الكلام؟ محل خلاف، (ناج) من النار (آمنا) اسم فاعل أمن، والأمن هو طمأنينة النفس وزوال الخوف. (آمنا) من فزع يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون * لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون * لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾ [الأنبياء: ١٠١، ١٠٣]. وقال تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون﴾ [النمل: ٨٩]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أو قال: وقد علم بالاضطرار من دين الرسول – صلى الله عليه وسلم – واتفقت عليه الأمة أن أصل الإسلام، وأول الإسلام، وأول ما يؤمر به الخلق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فبذلك يصير الكافر مسلما والعدو وليا، والمباح دمه وماله معصوم الدم والمال، ثم إن كان ذلك من قلبه، فقد دخل في الإيمان، وإن قاله بلسانه دون قلبه فهو في ظاهر الإسلام دون باطن الإيمان، وأما إذا لم يتكلم بها مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين باطنا وظاهرا عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير العلماء.

وقال في ((فتح المجيد)): قوله: من شهد أن لا إله إلا الله، أي من تكلم بها عارفا لمعناها عاملا بمقتضاها باطنا وظاهرا كما قال تعالى: ... ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ [محمد: ١٩]، وقوله سبحانه: ﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾ [الزخرف: ٨٦]. أما النطق بها من غير معرفة بمعناها ولا يقين ولا عمل بما يقتضيه من نفي الشرك وإخلاص القول **والعمل قول**

---

(١) شرح سلم الوصول في علم الأصول، أحمد بن عمر الحازمي ٢٦/١٦

القلب واللسان وعمل القلب والجوارح فغير نافع بالإجماع فلا يكفي مجرد التلفظ بالشهادتين، بل لا بد من استيقان القلب والعمل بالجوارح كما هو مقرر في باب الإيمان، والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.." (١)

"علاقة العبادة بالإيمان

ما هي العلاقة بين العبادة والإيمان؟ الإيمان يعرفه أهل السنة بأنه قول وعمل، والمراد **بالقول قول القلب وقول** اللسان، وقول القلب هو تصديقه، وقول اللسان هو النطق بالشهادتين، والذكر، وقراءة القرآن، والدعوة إلى الله، ونحو ذلك.

وأما العمل فيشمل عمل القلب وعمل الجوارح، فما هو عمل القلب؟ إن عمل القلب هو الخشية، والخوف، والإنابة، والرجاء، والمحبة، والتوكل، وغير ذلك من أنواع العبادات القلبية.

وأما عمل الجوارح فهي الأعمال التي يباشرها الإنسان بجوارحه، مثل الجهاد في سبيل الله، والحج، والدعوة، والصلاة والزكاة والصيام ونحو ذلك، فهذه أعمال بالجوارح.

فهذا هو تعريف الإيمان عند السلف الصالح رضوان الله عليهم، وإذا قارنا بين العبادة وبين الإيمان نجد أن العبادة هي الإيمان تماما، فالعبادة هي حقيقة الإيمان، فإن العبادة -كما سبق- معناها الذل والخضوع والمحبة لله تعالى، والذل والخضوع والمحبة لله تعالى هي أعمال القلب في تعريف الإيمان.

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب).

فإذا قارنت بين العبادة والإيمان تجد أن العبادة هي نفسها عمل القلب في الإيمان، فعمل القلب: الخوف، والرجاء، والإنابة، والتوكل، والمحبة، ونحو ذلك، فهذه هي عبادات، وهي في نفس الوقت إيمان.

وكذلك أعمال الجوارح، كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، وكذلك قول اللسان كصدق الحديث، فهذه كلها عبادات، وهي في نفس الوقت إيمان، وهذا الإيمان إما متعلق باللسان، وإما متعلق بالجوارح، وإما متعلق بالقلب.

ومن هنا نلحظ العلاقة القوية بين العبادة من جهة، وبين الإيمان من جهة أخرى، فإذا تصورنا إنسانا لا يعبد الله عز وجل، فهل يكون مؤمنا؟ إنه لا يكون مؤمنا أبدا؛ لأن العبادة والإيمان بمعنى واحد.." (٢)

"حكم القول بأن العمل شرط كمال في الإيمان

Q يقول بعض الدعاة في تعريف الإيمان: إنه قول وعمل واعتقاد، وجعل العمل في الإيمان شرط كمال لا شرط صحة، ونسب القول بأن العمل شرط صحة إلى المعتزلة.

A لاشك في أن هذا القول قول غير صحيح وقول غير سديد؛ فالإيمان كما هو معلوم قول وعمل، يزيد وينقص.

---

(١) شرح سلم الوصول في علم الأصول، أحمد بن عمر الحازمي ٢٧/١٦

(٢) شرح رسالة العبودية لابن تيمية - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ١٢/١٤

ومعنى (قول) **أي: قول القلب وهو** تصديقه، وقول اللسان، وأما العمل فهو عمل القلب، كالخشية والخوف والإرادة والتوكل على الله عز وجل، وعمل الجوارح.

والقول بأن العمل عموما شرط كمال قول باطل، وقد تحدثت في دورة علمية في متن العقيدة الطحاوية عن الإيمان، وفصلت القول في مسألة العمل ومنزلته وأهميته، وذلك بسبب أن كثيرا من الناس يخلط في موضوع منزلة العمل ومكانته، ونقلت كلام السلف في هذا.

وكثير ممن ينتسب إلى منهج أهل السنة يخلط خلطا كبيرا، ويقول: إن العمل شرط كمال، وأكثر هؤلاء متناقضون، فبعضهم يقول: العمل شرط كمال، فإذا قلت له: هل محبة الله شرط كمال، بمعنى أنه لو تركها لا يكون كافرا؟ لم يقل بذلك؛ لأن محبة الله معروف عنها أنها من أصل الإيمان، وهكذا الخوف من الله من أصل الإيمان، وهكذا الأعمال عموما التي هي جنس الأعمال هي من أصل الإيمان، وليس من كماله الواجب.." (١)

"الإيمان قول وعمل واعتقاد

أجمع أهل السنة والجماعة على أن الإيمان قول وعمل، وكونه قولا وعملا مما اتفق عليه أهل السنة ودل عليه القرآن الكريم والسنة النبوية.

فمن القرآن قول الله عز وجل: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ [البقرة:١٤٣]، وقد نزلت هذه الآية للصحابة الذين كانوا يصلون في بداية الأمر إلى بيت المقدس، ثم أمرهم الله سبحانه وتعالى بالتوجه إلى البيت الحرام، فظن بعض الصحابة أن ما فات من صلاتهم إلى بيت المقدس غير مقبول، فأنزل الله عز وجل قوله وتعالى: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ [البقرة:١٤٣] والمقصود بقوله: (إيمانكم) صلاتكم، وهذا يدل على أن الصلاة إيمان، ويدل على أن العمل من الإيمان، وقد بوب البخاري رحمه الله في كتابه الصحيح في كتاب الإيمان: باب من قال: إن الإيمان هو العمل، وذكر فيه حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: (سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور)، وهذا الحديث واضح الدلالة في تسمية الإيمان بالله ورسوله عملا، فإن السؤال هو: أي العمل أفضل؟

و A (إيمان بالله ورسوله) وهو ظاهر.

ومما يدل على أن العمل من الإيمان ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الإيمان بضع وستون شعبة، فأعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) قال: (فأعلاها قول: لا إله إلا الله) وهذا قول اللسان، (وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) وهذا من عمل الجوارح، ثم قال: (والحياء شعبة من الإيمان) والحياء عمل قلبي.

وكذلك دل على أن الإيمان يجمع القول والعمل الإجماع، فقد ذكر البخاري رحمه الله أنه لقي أكثر من ألف رجل من أهل العلم كلهم يقولون: إن الدين قول وعمل، واستدل على ذلك بقول الله سبحانه: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له

---

(١) شرح رسالة العبودية لابن تيمية - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ١٣/١٧

الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾ [البينة:٥]، فالعمل جزء أساسي من الإيمان، وقول السلف رحمهم الله تعالى: إن الإيمان قول وعمل، معناه: أن الإيمان مركب من القول والعمل، ومعنى **القول: قول القلب وقول** اللسان، **فأما قول القلب فهو** تصديقه بكل ما جاء عن الله سبحانه وتعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم من الإيمان بالله، والإيمان بالملائكة، والكتب، والرسل، والملائكة، والقدر، ونحو ذلك مما أخبر الله به سبحانه وتعالى أو أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم، فتصديق القلب يسمى قولا، وبعض السلف مثل أبي عبيد القاسم بن سلام رحمه الله تعالى في كتابه (الإيمان) سماه عملا، ولا مشاحة في الاصطلاح؛ فالمعنى واحد، المهم هو أن تصديق القلب داخل في الإيمان، وتصديق القلب لا نزاع فيه أبدا بين طوائف المسلمين، بل كل طوائف المسلمين من أهل السنة والمرجئة والخوارج وغيرهم يقولون: إن تصديق القلب من الإيمان، إلا الكرامية، فإن الكرامية لم تعتبر تصديق القلب من الإيمان، وإنما جعلت حقيقة الإيمان هو إقرار اللسان فقط، وهم نظروا إلى الإيمان الظاهر الذي يحكم به على الناس في الدنيا.

فتصديق القلب هو قول القلب، وأما قول اللسان فالمراد به: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، كما دل عليه حديث أبي هريرة رضي الله عنه الله، وكما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنه في وفد عبد القيس، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: (أتدرون ما الإيمان بالله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: الإيمان: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة) إلى آخر الأركان المعروفة، إلا أنه قال: (وأن تؤدوا الخمس من المغنم).

فالإيمان يشمل كذلك قول اللسان، هذا بالنسبة للقول.

وأما بالنسبة للعمل فإن العمل المراد به عمل القلب وعمل الجوارح، فأما عمل القلب فهو يقين القلب وإخلاصه وخشوعه وانقياده وخضوعه واستسلامه ورجاؤه وخوفه ونحو ذلك من الأعمال التي يقوم بها القلب، وعمل الجوارح مثل: الصلاة، والصيام والجهاد في سبيل الله، والدعوة إلى الله ونحو ذلك من الأعمال التي تؤدى بالجوارح.

فالإيمان مركب من هذه جميعا: مركب من تصديق القلب وقول اللسان وعمل القلب وعمل الجوارح، فهذه أركانه الأربعة الأساسية، وهذه الأركان الأربعة المهم فيها هو أن تعرف حقائقها: لأنه قد يعبر عنها بأكثر من تعبير، فمثلا: بعض العلماء يقسم الإيمان إلى قسمين: ظاهر، وباطن، ويقصد بالظاهر: قول اللسان وعمل الجوارح، ويقصد بالباطن: تصديق القلب وعمل القلب، وبعضهم يقول: هو قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان، وهي كلها." [١]

"أقوال السلف بأن العمل ركن في الإيمان

ويمكن أن أذكر نصوصا لأئمة السلف السابقين التي تدل على أنهم كانوا يقولون بأن الإيمان يزول إذا زال العمل، وهؤلاء لاشك أنهم كما قلت عندهم اضطراب، فصاحب (إحكام التقرير) وأمثاله عندهم اضطراب في مسألة العمل، يعني: لا يميزون بين عمل القلب وعمل الجوارح، فتجده يقول: العمل شرط كمال، وإذا سألته: ماذا تقصد بالعمل الذي هو شرط كمال؟ هل تقصد عمل القلب؟ فإنه لا يقول أحد من السلف: إن عمل القلب شرط كمال أبدا، ولا يقول بأن عمل القلب شرط كمال إلا مرجئي، بل إن طوائف الإرجاء السابقة قبل ظهور الجهم وقبل أخذ الأشاعرة لعقيدة الجهم ما كانوا

(١) شرح الطحاوية – عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٤/٣

يقولون بأن عمل القلب شرط كمال، لكنهم اضطربوا في هذه المسألة، وبعضهم استعجل، وبعضهم لم يحرر القضية ولم يعطها حقها من البحث والتتبع.

يقول الفضيل بن عياض: لا يصلح قول إلا بعمل.

رواه عبد الله بن الإمام أحمد في (السنة) وروى مثله عن محمد بن مسلمة الطائفي وسفيان الثوري.

ويقول سفيان بن عيينة: الإيمان قول وعمل أخذناه ممن قبلنا قول وعمل، وأنه لا يكون قول إلا بعمل.

فانظروا إلى هذه التعبيرات: لا يصلح، لا يكون، ولو كان شرط كمال فلن يعبر عنه بهذه التعبيرات القوية: لا يصلح، لا يكون، لا يقبل، وهكذا.

ويقول الأوزاعي: لا يستقيم الإيمان إلا بالقول، ولا يستقيم الإيمان والقول – والقول **يشمل قول القلب وقول** اللسان، يعني: تصديق القلب وقول اللسان– إلا بالعمل، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بنية موافقة للسنة.

وهذه الأقوال كلها مخرجة في (الشريعة) للآجري وفي (شرح أصول اعتقاد أهل السنة) للالكائي، وفي (السنة) لـ عبد الله بن الإمام أحمد، لكن للاختصار لا داعي أن نذكر التخريجات.

ويقول الحسن البصري: الإيمان كلام وحقيقته العمل، فإن لم يحقق القول بالعمل لم ينفعه القول.

ويقول الآجري رحمه الله تعليقا على أثر الحسن هذا: وأنا بعد هذا أذكر ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن جماعة من أصحابه، وعن كثير من التابعين: أن الإيمان تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، ومن لم يقل عندهم بهذا فقد كفر.

كذلك بوب ابن بطة العكبري رحمه الله في كتابه (الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية) بابا بعنوان: باب بيان الإيمان وفرضه وأنه تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح والحركات؛ لا يكون العبد مؤمنا إلا بهذه الثلاثة.

ويقول ابن بطة أيضا: قد تلوت عليكم من كتاب الله عز وجل ما يدل العقلاء من المؤمنين أن الإيمان قول وعمل، وأن من صدق بالقول وترك العمل كان مكذبا وخارجا من الإيمان، وأن الله لا يقبل قولا إلا بعمل ولا عملا إلا بقول.." (١)

"نبذة عن كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية

Q ما هو الكتاب الذي يوضح لنا وظائف القلب وتعلقها بالجوارح مع ربط هذا باللسان وأعمال الشرك والكفر كما وضحتم لنا في الدرس؟

A حقيقة من أفضل الكتب وأنفعها هو كتاب شيخ الإسلام رحمه الله (الإيمان)، لكن بعض الناس يمل من كتاب الإيمان؛ لأن الكتاب غير منظم، يعني: طريقة الشيخ هو أنه يتكلم على قضية ثم يستطرد فيذكر قضية ثم يستطرد فيذكر قضية أخرى، فمثلا: موضوع المجاز بحثه شيخ الإسلام في أكثر من ثلاثين صفحة تقريبا عندما تكلم على مسألة قول القلب: هل قوله قول حقيقي أو غير حقيقي؟ ثم استطرد في المسألة وتكلم على قضية المجاز وغيرها، فالذي يصبر على الكتاب ويلخص

---

(١) شرح الطحاوية – عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ١٧/٤

ما فيه من الفوائد ويدقق فيه ينتفع ويستفيد، إذا استطاع أن يرتب الموضوعات الذي في الكتاب، لكن الذي يمل منه من أول لحظة لا يستطيع أن يستفيد منه.." (١)

"المطلب الرابع: تعريف التوحيد لغة واصطلاحا

التوحيد في اللغة: مشتق من وحد الشيء إذا جعله واحدا، فهو مصدر وحد يوحد، أي: جعل الشيء واحدا.

وفي الشرع: إفراد الله – سبحانه – بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات القول المفيد على كتاب التوحيد لمحمد بن صالح بن عثيمين – ١/ ١١

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنه: لا خالق إلا الله، وأن الله رب كل شيء ومليكه، كما كان عباد الأصنام مقرين بذلك وهم مشركون، بل التوحيد يتضمن من محبة الله، والخضوع له، والذل له، وكمال الانقياد لطاعته، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال، والمنع والعطاء، والحب والبغض، ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصي والإصرار عليها، ومن عرف هذا عرف قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)) (١) ... وما جاء من هذا الضرب من الأحاديث، التي أشكلت على كثير من الناس، حتى ظنها بعضهم منسوخة! وظنها بعضهم قيلت قبل ورود الأوامر والنواهي واستقرار الشرع، وحملها بعضهم على نار المشركين والكفار، وأول بعضهم الدخول بالخلود وقال: المعنى لا يدخلها خالدا، ونحو ذلك من التأويلات المستكرهة. فإن الشارع صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلا بمجرد قول اللسان فقط، فإن هذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام، لأن المنافقين يقولونها بألسنتهم، وهم تحت الجاحدين لها في الدرك الأسفل من النار.

بل لا بد من قول القلب، وقول اللسان.

وقول القلب: يتضمن من معرفتها والتصديق بها، ومعرفة حقيقة ما تضمنته من النفي والإثبات، ومعرفة حقيقة الإلهية المنفية عن غير الله، المختصة به، التي يستحيل ثبوتها لغيره، وقيام هذا المعنى بالقلب علما ومعرفة ويقينا وحالا: ما يوجب تحريم قائلها على النار.

وتأمل حديث البطاقة (٢) التي توضع في كفة، ويقابلها تسعة وتسعون سجلا، كل سجل منها مد البصر، فتثقل البطاقة وتطيش السجلات، فلا يعذب صاحبها ومعلوم أن كل موحد له مثل هذه البطاقة، ... ولكن السر الذي ثقل بطاقة ذلك الرجل هو أنه حصل له ما لم يحصل لغيره من أرباب البطاقات.

وتأمل أيضا ما قام بقلب قاتل المائة (٣) من حقائق الإيمان التي لم تشغله عند السياق — الموت – عن السير إلى القرية فجعل ينوء بصدره، ويعالج سكرات الموت، لأن ذلك كان أمرا آخر، وإيمانا آخر ولذلك ألحق بأهل القرية الصالحة. وقريب من هذا ما قام بقلب البغي (٤) التي رأت ذلك الكلب وقد اشتد به العطش، يأكل الثرى فقام بقلبها ذلك الوقت مع عدم الآلة، وعدم المعين، وعدم من ترائيه بعملها ما حملها على أن غررت بنفسها في نزول البئر وملء الماء في خفها، ولم تعبأ بتعرضها للتلف وحملها خفها بفيها وهو ملآن حتى أمكنها الرقي من البئر، ثم تواضعها لهذا المخلوق الذي جرت عادة

---

(١) شرح الطحاوية – عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٢٩/٤

الناس بضربه، فأمسكت له الخف بيدها حتى شرب من غير أن ترجو منه جزاء ولا شكورا. فأحرقت أنوار هذا القدر من التوحيد ما تقدم منها من البغاء فغفر لها (٥).

وقد ورد في صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وسلم ((من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه وحسابه على الله)) (٦) الولاء والبراء في الإسلام لمحمد بن سعيد القحطاني – ص٤٦

---

(١) [١] رواه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣). من حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (٢/ ٢١٣) (٦٩٩٤). من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وقال حمزة الكناني في ((مشيخة ابن الخطاب)) (١/ ١٠٧): .. وهو من أحسن الحديث، وقال ابن الملقن في ((التوضيح)) (٣٣/ ٥٩٥): صحيح على شرط البخاري ومسلم. وقال الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (١٣٥): صحيح.

(٣) رواه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦). من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥)، واللفظ له. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية (١/ ٣٣٠ – ٣٣٢) بتصرف بسيط.

(٦) رواه مسلم (٢٣). من حديث طارق بن أشيم الأشجعي رضي الله عنه.." (١)

"قال الحسن: ولقد قال الله تعالى في كتابه: وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم [الأعراف:١٧٢] قالوا ولهذا قال تعالى: وإذ أخذ ربك من بني آدم ولم يقل من آدم من ظهورهم ولم يقل من ظهره ذريتهم أي جعل نسلهم جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن كقوله تعالى: وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض [الأنعام:١٦٥] وقال: ويجعلكم خلفاء الأرض [النمل:٦٢] وقال تعالى: كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين [الأنعام:١٣٣] ثم قال تعالى: وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى أي أوجدهم شاهدين بذلك قائلين له حالا، قال الشهادة تكون بالقول كقوله تعالى: قالوا شهدنا على أنفسنا [الأنعام:١٣٠] الآية وتارة تكون حالا كقوله تعالى: ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر [التوبة: ١٧] أي حالهم شاهد عليهم بذلك لا أنهم قائلون ذلك، وكذا قوله تعالى: وإنه على ذلك لشهيد [العاديات: ٧] كما أن السؤال تارة يكون بالمقال، وتارة يكون بالحال كقوله تعالى: وآتاكم من كل ما سألتموه [إبراهيم: ٣٤] معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول لحافظ بن أحمد الحكمي – ص٩٣

وقال ابن تيمية رحمه الله في معرض كلامه على إقرار الناس بفطرهم على وجود الخالق سبحانه وتعالى: ولهذا كان أكثر الناس على أن الإقرار بالصانع ضروري فطري وذلك أن اضطرار النفوس إلى ذلك أعظم من اضطرارها إلى ما لا تتعلق به حاجتها ألا ترى أن الناس يعرفون من أحوال من تتعلق به منافعهم ومضارهم كولاة أمورهم ومماليكهم وأصدقائهم وأعدائهم مالا يعلمونه من أحوال من لا يرجونه ولا يخافونه ولا شيء أحوج إلى شيء من المخلوق إلى خالقه فهم يحتاجون إليه من جهة

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١/٥

ربوبيته إذ كان هو الذي خلقهم وهو الذي يأتيهم بالمنافع ويدفع عنهم المضار: وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون [النحل: ٥٣]

وكل ما يحصل من أحد فإنما هو بخلقه وتقديره وتسبيبه وتيسيره وهذه الحاجة التي توجب رجوعهم إليه حال اضطرارهم كما يخاطبهم بذلك في كتابه وهم محتاجون إليه من جهة ألوهيته فإنه لا صلاح لهم إلا بأن يكون هو معبودهم الذي يحبونه ويعظمونه ولا يجعلون له أندادا يحبونهم كحب الله بل يكون ما يحبونه سواه كأنبيائه وصالحي عباده إنما يحبونهم لأجله كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار)) (١) ومعلوم أن السؤال والحب والذل والخوف والرجاء والتعظيم والاعتراف بالحاجة والافتقار ونحو ذلك مشروط بالشعور بالمسئول المحبوب المرجو المخوف المعبود المعظم الذي تعترف النفوس بالحاجة إليه والافتقار الذي تواضع كل شيء لعظمته واستسلم كل شيء لقدرته وذل كل شيء لعزته فإذا كانت هذه الأمور مما تحتاج النفوس إليها ولا بد لها منها بل هي ضرورية فيها كان شرطها ولازمها وهو الاعتراف بالصانع به أولى أن يكون في النفوس وقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: ((كل مولود يولد على الفطرة)) (٢) ويروي عن ربه: ((خلقت عبادي حنفاء)) (٣) ونحو ذلك لا يتضمن مجرد الإقرار بالصانع فقط بل إقرارا يتبعه عبودية لله بالحب والتعظيم وإخلاص الدين له وهذا هو الحنيفية وأصل **الإيمان قول القلب وعمله** أي علمه بالخالق وعبوديته للخالق والقلب مفطور على هذا وهذا وإذا كان بعض الناس قد خرج عن الفطرة بما عرض له من المرض إما بجهله وإما بظلمه فجحد بآيات الله واستيقنتها نفسه ظلما وعلوا لم يمتنع أن يكون الخلق ولدوا على الفطرة درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - ٢/ ٢٤

---

(١) رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣). من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم (٢٨٦٥). من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه.." (١)

"ومن أهم الأعمال القلبية التي يتحقق بها كمال التوحيد الرضا (وقد جاء هذا الرضا بأنواعه مبينا في سورة الأنعام التي هي سورة التوحيد العظمى، فقد اشتملت على ثلاثة أنواع من الرضا هي جماع التوحيد كله:

١ - الرضا بالله ربا لا شريك له في التقرب والتأله والتعبد: قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء [الأنعام: ١٦٤].

٢ - الرضا بالله حكما لا شريك له في التشريع والطاعة: أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا [الأنعام: ١١٤].

٣ - الرضا بالله وليا لا شريك له في محبته وموالاته: قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السماوات والأرض [الأنعام: ١٤].

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا)) (١). وقال

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١/ ١٨٨

عليه الصلاة والسلام: ((من قال حين يسمع النداء: رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا، غفرت له ذنوبه)) (٢).

واللوازم الظاهرة التي يتحقق بها التوحيد تتلخص في أتباع أوامر الله واجتناب نواهيه، وتحقيق ذلك بأتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والالتزام بالشريعة. وهذا هو مقتضى الشهادتين (لا إله إلا الله، محمد رسول الله).

ومما يلي مقام الرضا من أعمال القلوب، مقام الصدق والإخلاص (وهذان عملان قلبيان من أعظم أعمال القلوب وأهم أصول الإيمان. فأما الصدق، فهو الفرقان بين الإيمان والنفاق، وأما الإخلاص، فهو الفرقان بين التوحيد والشرك – **في قول القلب واعتقاده**، أو في إرادته ونيته – والأعمال – التي رأسها وأعظمها شهادة أن (لا إله إلا الله) – لا تقبل إلا بتحقق الصدق والإخلاص ...

وأكذب الله المنافقين في دعوى الإيمان وقول الشهادة؛ لانتفاء الصدق، فقال: إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون [المنافقون: ١] ...

كما أبطل سبحانه زعم أهل الكتاب والمشركين أن دينهم هو الحق بانتفاء الإخلاص، فقال: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة [البينة: ١] إلى أن يقول وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة [البينة: ٥]، وقال تعالى: اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون [التوبة: ٣١] ...

فعلى محك الصدق والإخلاص بطلت أكثر دعاوي العابدين وهلك أكثر الثقلين، فالصدق يخرج كل من عبد مع الله غيره، أو أراد غيره معه في عمل من أعمال العبادة، كما في الحديث الصحيح: قال الله تبارك وتعالى: ((أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)) (٣).) (٤).

---

(١) رواه مسلم (٣٤). من حديث العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٣٨٦). من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم (٢٩٨٥). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) ((ظاهرة الإرجاء)) (ص: ٤٣٩).." [١]

"وفي الترمذي والنسائي وفي المسند عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا، أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول لا يا رب فيقول أفلك عذر؟ فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله، فيقول: أحضر وزنك فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: فإنك لا تظلم، قال فتوضع

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢٤٤/١

السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء)) (١) وهي التي لا يحجبها شيء دون الله عز وجل وفيه أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((ما من عبد قال لا إله إلا الله مخلصا إلا فتحت لها أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش)) (٢) ، وهي الأمان من وحشة القبور وهول الحشر واعلم أن النصوص الواردة في فضل هذه الشهادة كثيرة لا يحاط بها، وفيما ذكرنا كفاية، ... ويكفيك في فضل لا إله إلا الله أخبار النبي صلى الله عليه وسلم أنها أعلى جميع شعب الإيمان، كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الإيمان بضع وسبعون – أو بضع وستون- شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)) وهذا لفظ مسلم (٣) (من قالها) أي قال هذه الكلمة حال كونه (معتقدا) أي عالما ومتيقنا (معناها) الذي دلت عليه نفيا وإثباتا (وكان) مع ذلك (عاملا بمقتضاها) على وفق ما علمه منها وتيقنه فإن ثمرة العلم به (في القول) **أي قول القلب واللسان** (والفعل) أي عمل القلب واللسان والجوارح قال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون [الصف:٢ – ٣] (ومات مؤمنا) أي على ذلك، وهذا شرط لا بد منه فإنما الأعمال بالخواتيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة)) (٤) الحديث في الصحيحين عن أبي ذر بطوله (يبعث يوم الحشر) أي يوم الجمع (ناج) من النار (آمنا) من فزع يوم القيامة قال تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون [الأنبياء:١٠١ – ١٠٣] وقال الله تعالى: من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون [النحل:٨٩] معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول لحافظ بن أحمد الحكمي – ص٥٠٩

---

(١) رواه الترمذي (٢٨٥٠)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (٢/ ٢١٣) (٦٩٩٤)، والحاكم (١/ ٤٦، ٥٢٩). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين وهو صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وحسنه ابن حجر في ((هداية الرواة)) (٥/ ١٧٣) – كما أشار إلى ذلك في مقدمته -. وقال أحمد شاكر في ((مسند أحمد)) (١١/ ١٧٦): إسناده صحيح. وقال الألباني في ((صحيح سنن ابن ماجه)): صحيح.

(٢) رواه الترمذي (٣٥٩٠) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وقال الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)): صحيح.

(٣) رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

(٤) رواه البخاري (٥٨٢٧)، ومسلم (٩٤). من حديث أبي ذر رضي الله عنه.." [1]

"المطلب الثاني: تعريف الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم

(الإيمان بالرسول: هو تصديقه، وطاعته، واتباع شريعته) (١) وهذه الأمور هي الركائز التي يقوم عليها الإيمان بالنبي صلى

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١/٢٥٣

الله عليه وسلم، وعن بيان هذه الأمور المطلوبة عند الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم قال العلماء:

أ- أما تصديقه صلى الله عليه وسلم فيتعلق به أمران عظيمان:

أحدهما: إثبات نبوته وصدقه فيما بلغه عن الله، وهذا مختص به صلى الله عليه وسلم (٢).

ويندرج تحت هذا الإثبات والتصديق عدة أمور منها:

١ - الإيمان بعموم رسالته إلى كافة الثقلين إنسهم وجنهم.

٢ - الإيمان بكونه خاتم النبين، ورسالته خاتمة الرسالات.

٣ - الإيمان بكون رسالته ناسخة لما قبلها من الشرائع.

٤ - الإيمان بأنه صلى الله عليه وسلم قد بلغ الرسالة وأكملها، وأدى الأمانة، ونصح لأمته حتى تركهم على البيضاء ليلها كنهارها.

٥ - الإيمان بعصمته صلى الله عليه وسلم.

٦ - الإيمان بماله من حقوق خلاف ما تقدم ذكره، كمحبته وتعظيمه صلى الله عليه وسلم.

الثاني: (تصديقه فيما جاء به، وأن ما جاء به من عند الله حق يجب اتباعه. وهذا يجب عليه صلى الله عليه وسلم وعلى كل أحد) (٣).

فيجب تصديق النبي صلى الله عليه وسلم جميع ما أخبر به عن الله عز وجل، من أنباء ما قد سبق، وأخبار ما سيأتي، وفيما أحل من حلال، وحرم من حرام، والإيمان بأن ذلك كله من عند الله عز وجل، قال تعالى: وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى [النجم: ٣ - ٤].

قال شارح العقيدة الطحاوية: (يجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول إيمانا عاما مجملا، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم على التفصيل فرض على الكفاية) (٤).

ب- طاعته واتباع شريعته: إن الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم كما يتضمن تصديقه فيما جاء به فهو يتضمن كذلك العزم على العمل بما جاء به، وهذه هي الركيزة الثانية من ركائز الإيمان به صلى الله عليه وسلم.

وهي تعني: الانقياد له صلى الله عليه وسلم وذلك بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه وزجر امتثالا لقوله تعالى: وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا [الحشر: ٧]. فيجب على الخلق اتباع شريعته، والالتزام بسنته، مع الرضا بما قضاه والتسليم له، والاعتقاد الجازم أن طاعته هي طاعة لله، وأن معصيته معصية لله، لأنه هو الواسطة يين الله وبين الثقلين في التبليغ ....

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (يجب على الخلق الإقرار (٥) بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، فما جاء به القرآن العزيز أو السنة المعلومة وجب على الخلق الإقرار به جملة وتفصيلا عند العلم بالتفصيل، فلا يكون الرجل مؤمنا حتى يقر بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فمن شهد أنه رسول الله شهد أنه صادق فيما يخبر به عن الله تعالى فإن هذا حقيقة الشهادة بالرسالة) (٦). حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته لمحمد خليفة التميمي -١/ ٣٤

(١) كتاب ((اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم)) (ص: ٩٢).

(٢) ((مجموع الفتاوى)) (١٥/ ٩١).

(٣) ((مجموع الفتاوى)) (١٥/ ٩١).

(٤) ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص: ٦٦).

(٥) يقول ابن تيمية في بيان معنى الإقرار: (إن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق، والإقرار **ضمن قول القلب الذي** هو التصديق وعمل القلب الذي هو الانقياد). ((مجموع الفتاوى)) (٧/ ٦٣٨، ٦٣٩).

(٦) ((مجموع الفتاوى)) (٥/ ١٥٤).." (١)

"المبحث الثاني: إطلاقات العبادة

للعبادة معان بحسب ما تتعلق به، وبحسب كونها مصدرا أو اسما، وبحسب المتوجه بها إليه، وبحسب ما يلاحظ فيها من حق، فهذه أربعة إطلاقات:

الإطلاق الأول: إطلاقات العبادة بحسب ما تتعلق به:

فالعبادة من حيث تعلقها بعموم الخلق وخصوصهم تنقسم إلى عبادة عامة كونية وإلى خاصة شرعية (١).

فالعبادة العامة: هي عبادة القهر والملك وهي تشمل أهل السموات والأرض كلهم مؤمنهم وكافرهم، فالجميع عبيد مربوبون لله قال الله تعالى: وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا [مريم: ٨٨ - ٩٣] وقد ذكر ابن القيم أن هذا النوع يأتي على خمسة أوجه وهي:

١ - إما منكرا كما في الآية المذكورة سابقا.

٢ - أو معرفا باللام، كقوله تعالى: وما الله يريد ظلما للعباد [غافر: ٣١].

٣ - أو مقيدا بإشارة أو نحوها، كقوله تعالى: ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل [الفرقان: ١٧].

٤ - أو أن يذكروا في عموم عباده فيندرجوا مع أهل طاعته في الذكر، كقوله تعالى: أنت تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون [الزمر: ٤٦].

٥ - أن يذكروا موصوفين بفعلهم كقوله تعالى: قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله [الزمر: ٥٣].

وهذا المثال المذكور في الوجه الخامس لا يسلم من اعتراض كما قال ابن القيم نفسه: (وقد قال: إنما سماهم عباده إذا لم يقنطوا من رحمته وأنابوا إليه واتبعوا أحسن ما أنزل إليهم من ربهم فيكونون من عبيد الإلهية والطاعة) (٢) اهـ.

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١/٢٧٢

وأما العبادة الخاصة الشرعية، فهي عبادة الطاعة والخضوع والذل والمحبة الاختيارية، وهي خاصة لمن وفقه الله من المكلفين من الأنبياء والمرسلين وعامة المؤمنين بهم.

ومن الآيات الواردة فيها قول الله تعالى: يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون [الزخرف: ٦٨] وقوله: فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه [الزمر: ١٧ - ١٨] والآيات في هذا المعنى كثيرة.

الإطلاق الثاني: إطلاقات العبادة بحسب الاسمية والمصدرية:

فالعبادة باعتبارها مصدرا تعني التعبد، وهو فعل العابد وتعريفها: (التذلل لله محبة وتعظيما بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه) (٣) اهـ.

وأما باعتبارها اسما، فهي تعني: المتعبد (٤) به وتعريفها: (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة) (٥).

ومن التعريف المذكور في معنى العبادة باعتبارها اسما يتضح أن للعبادة أربع مراتب وهي: قول القلب، وقول اللسان، وعمل القلب، وعمل الجوارح، وهذا معنى قوله: (من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة) وقد فصل ابن القيم هذه المراتب فقال:

---

(١) انظر: ((مدارج السالكين)) (١/ ١٢٥).

(٢) ((مدارج السالكين)) (١/ ١٢٧).

(٣) هذا التعريف لابن عثيمين في ((المجموع الثمين)) من فتاويه (٢/ ٢٥).

(٤) انظر: ((تقريب التدمرية)) لابن عثيمين (ص: ١٢٩).

(٥) هذا التعريف لشيخ الإسلام ابن تيمية في ((رسالة العبودية ضمن مجموعة التوحيد)) (٢/ ٤٥٤).." [١]

"(قول القلب: هو اعتقاد ما أخبر الله سبحانه به عن نفسه وعن أسمائه وصفاته وأفعاله، وملائكته ولقائه على لسان رسله.

وقول اللسان: الإخبار عنه بذلك والدعوة إليه والذب عنه وتبيين بطلان البدع المخالفة له، والقيام بذكره وتبليغ أوامره.

وعمل القلب: كالمحبة له والتوكل عليه والإنابة إليه والخوف منه والرجاء له، وإخلاص الدين له، والصبر على أوامره وعن نواهيه وعلى أقداره والرضى به عنه، والموالاة فيه والمعاداة فيه، والذل له، والخضوع، والإخبات إليه والطمأنينة به، وغير ذلك من أعمال القلوب، التي فرضها أفرض من أعمال الجوارح، ومستحبها أحب إلى الله من مستحبها، وعمل الجوارح بدونها إما عديم المنفعة أو قليل المنفعة.

وأعمال الجوارح: كالصلاة والجهاد ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات، ومساعدة العاجز، والإحسان إلى الخلق، ونحو ذلك.) (١) اهـ.

فظهر من هذا أن جميع أمور الديانة من الاعتقادات والإرادات والأقوال والأعمال داخلة في مسمى العبادة.

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٠٠/١

ولما جهل كثير من المتأخرين حقيقة العبادة على الوجه المذكور أعلاه كان من الأفضل زيادة البيان لبعض أنواع العبادة بذكر أمثلة لها – خاصة المتنازع فيها – مع نقل أقوال الأئمة الأعلام وبيانهم أنها من العبادة وأن صرفها لغير الله لا يجوز.

ومن هذه الأمثلة: الاستعاذة والاستغاثة والحلف.

فالاستعاذة: طلب العوذ – وهي الالتجاء إلى الله تعالى من الشر لإزالته أو دفعه (٢). والاستغاثة: طلب الغوث، وهي: إزالة الشدة، كالاستنصار وهو طلب النصر. ولا خلاف في أنه تجوز الاستغاثة بالمخلوق فيما كان قادرا عليه من الأمور (٣) ومنه قول الله تعالى: وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر [الأنفال: ٧٢] وقوله: فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه [القصص: ١٥]. وأما ما لا يقدر عليه إلا الله كغفران الذنوب وإنزال الرزق وكل ما هو من خصائص الربوبية فلا يستغاث فيه إلا بالله جل وعلا. قال الله تعالى: إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم [الأنفال: ٩]. وقال تعالى: يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض [فاطر: ٣].

والاستعاذة والاستغاثة نوعان من أنواع الدعاء – والدعاء عبادة كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: ((الدعاء هو العبادة)) (٤) ثم تلا قول الله تعالى: وقال ربكم ادعوني أستجب لكم [غافر: ٦٠]، ومن أقوال أهل العلم في أن الدعاء عبادة: (قال نعيم بن حماد في كتابه (الرد على الجهمية): دلت هذه الأحاديث على أن القرآن غير مخلوق، إذ لو كان مخلوقا لم يستعذ بها، إذ لا يستعاذ بمخلوق، قال الله تعالى: فاستعذ بالله [الأعراف: ٢٠٠] وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((وإذا استعذت فاستعذ بالله)) (٥) اهـ.

---

(١) ((مدارج السالكين)) (١/ ١٢٠ - ١٢١). وانظر: ((تطهير الاعتقاد)) (ص: ١١).

(٢) انظر: ((فتح المجيد)) (ص: ١٧٣).

(٣) انظر: ((فتح المجيد)) (ص: ١٧٦)، و ((الدر النضيد)) للشوكاني (ص: ١٤٤).

(٤) رواه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجه (٣١٠١)، وأحمد (٤/ ٢٧١) (١٨٤١٥)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (٦/ ٤٥٠) (١١٤٦٤)، وابن حبان (٣/ ١٧٢) (٨٩٠)، والحاكم (١/ ٦٦٧). والحديث سكت عنه أبو داود، وقال الترمذي: حسن صحيح، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وقال النووي في ((الأذكار)) (٤٧٨): إسناده صحيح.

(٥) لم أقف عليه بهذا اللفظ.." [١]

"قال الزجاج: أما قوله عز وجل: إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا [الأحزاب: ٧٢] والذي عندي فيه أن الأمانة ههنا النية التي يعتقدها الإنسان فيما يظهره باللسان من الإيمان، ويؤديه من جميع الفرائض في الظاهر، لأن الله عز وجل ائتمنه عليها ولم يظهر عليها أحدا من خلقه، فمن أضمر التوحيد والتصديق مثل ما أظهر فقد أدى الأمانة، ومن أضمر التكذيب، وهو مصدق باللسان في

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٠١/١

الظاهر فقد حمل الأمانة ولم يؤدها.

وقوله عز وجل: يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين [التوبة: ٦١]، وقال ثعلب: يصدق الله ويصدق المؤمنين. ومنه قوله عز وجل: قولوا آمنا بالله [البقرة: ١٣٦]، وأفتطمعون أن يؤمنوا لكم [البقرة: ٧٥]، ويفهم من الكلام السابق، أن التصديق كما يكون بالقلب واللسان يكون بالجوارح أيضا، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: ((والفرج يصدق ذلك أو يكذبه)) (١).

قال الجوهري: (والصديق بوزن السكيت: الدائم التصديق، ويكون الذي يصدق قوله بالعمل). نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف لمحمد بن عبد الله بن علي الوهيبي – ١/ ٣١

ولكن لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى رأي آخر في معنى الإيمان اللغوي، وهو من آرائه السديدة، واختياراته الموفقة؛ حيث اختار معنى (الإقرار) للإيمان. لأنه رأى أن لفظة (أقر) أصدق في الدلالة والبيان على معنى الإيمان الشرعي من غيرها؛ لأمور وأسباب ذكرها ثم ناقشها بالمعقول، ورد بتحقيق علمي رصين قول من ادعى: أن الإيمان مرادف للتصديق، وذكر فروقا بينهما؛ تمنع دعوى الترادف.

قال رحمه الله: (فكان تفسيره أي الإيمان بلفظ الإقرار؛ أقرب من تفسيره بلفظ التصديق، مع أن بينهما فرقا) (٢).

وقال أيضا: (ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار؛ لا مجرد التصديق، والإقرار **ضمن قول القلب الذي** هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد) (٣).

وقال رحمه الله في رده على من ادعى الترادف بين الإيمان والتصديق: (إنه –أي الإيمان– ليس مرادفا للتصديق في المعنى؛ فإن كل مخبر عن مشاهدة، أو غيب، يقال له في اللغة: صدقت، كما يقال: كذبت؛ فمن قال: السماء فوقنا، قيل له: صدق، كما يقال: كذب.

وأما لفظ الإيمان؛ فلا يستعمل إلا في الخبر عن غائب، لم يوجد في الكلام أن من أخبر عن مشاهدة، كقول: طلعت الشمس وغربت، أنه يقال: آمناه، كما يقال: صدقناه.

ولهذا؛ المحدثون والشهود ونحوهم، يقال: صدقناهم، وما يقال: آمنا لهم؛ فإن الإيمان مشتق من الأمن، فإنما يستعمل في خبر يؤتمن عليه المخبر؛ كالأمر الغائب الذي يؤمن عليه المخبر، ولهذا لم يوجد قط في القرآن وغيره لفظ: آمن له؛ إلا في هذا النوع) (٤).

وقال أيضا: (إن لفظ الإيمان في اللغة لم يقابل بالتكذيب؛ كلفظ التصديق؛ فإنه من المعلوم في اللغة أن كل مخبر يقال له: صدقت، أو كذبت، ويقال: صدقناه، أو كذبناه، ولا يقال: لكل مخبر: آمنا له، أو كذبناه.

---

(١) وهو جزء من حديث أوله: ((إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة ...)) رواه البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ((مجموع الفتاوى)) لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧/ ٢٩١).

(٣) ((مجموع الفتاوى)) لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧/ ٦٣٨).

(٤) ((مجموع الفتاوى)) لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧/ ٢٩١).." [١]

"المبحث الثاني: تعريف الإيمان شرعا

هو التصديق الجازم، والإقرار الكامل، والاعتراف التام؛ بوجود الله تعالى وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، واستحقاقه وحده العبادة، واطمئنان القلب بذلك اطمئنانا ترى آثاره في سلوك الإنسان، والتزامه بأوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه.

وأن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم رسول الله، وخاتم النبيين، وقبول جميع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم عن ربه جل وعلا وعن دين الإسلام؛ من الأمور الغيبية، والأحكام الشرعية، وبجميع مفردات الدين، والانقياد له صلى الله عليه وسلم بالطاعة المطلقة فيما أمر به، والكف عما نهى عنه صلى الله عليه وسلم وزجر؛ ظاهرا وباطنا، وإظهار الخضوع والطمأنينة لكل ذلك.

وملخصه: (هو جميع الطاعات الباطنة والظاهرة).

الباطنة: كأعمال القلب، وهي تصديق القلب وإقراره.

الظاهرة: أفعال البدن من الواجبات والمندوبات.

ويجب أن يتبع ذلك كله: قول اللسان، وعمل الجوارح والأركان، ولا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر؛ لأن أعمال الجوارح داخلة في مسمى الإيمان، وجزء منه.

فمسمى الإيمان عند أهل السنة والجماعة؛ كما أجمع عليه أئمتهم وعلماؤهم، هو: (تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية). الإيمان حقيقته خوارمه نواقضه عند أهل السنة عبدالله بن عبدالحميد الأثري – ص١٣

وقد ذهب عامة أهل السنة إلى أن الإيمان الشرعي هو اعتقاد وقول وعمل.

قال الإمام محمد بن إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني: (والإيمان في لسان الشرع هو التصديق بالقلب، والعمل بالأركان).

وقال الإمام البغوي: (اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان .. وقالوا: إن الإيمان قول وعمل وعقيدة).

وقال الحافظ ابن عبد البر: (أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية ... إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمى إيمانا ...).

(قال الإمام الشافعي في (كتاب الأم) .. وكان الإجماع من الصحابة، والتابعين من بعدهم ممن أدركنا: أن الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاثة عن الآخر).

وروى الإمام اللالكائي عن الإمام البخاري قوله: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدا منهم

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٤٧/٥

يختلف في أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص. (١)

والنصوص عن الأئمة كثيرة جدا في قولهم: إن الإيمان قول وعمل، نقل كثيرا منها المصنفون في عقيدة أهل السنة من الأئمة المتقدمين كالإمام اللالكائي وابن بطه وابن أبي عاصم وغيرهم.

ولا فرق بين قولهم: إن الإيمان قول وعمل، أو قول وعمل ونية، أو قول وعمل واعتقاد. فكل ذلك من باب اختلاف التنوع، فمن قال من السلف: إن الإيمان قول وعمل **أراد قول القلب واللسان** وعمل القلب والجوارح.

ومن زاد الاعتقاد رأى لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك، فزاد الاعتقاد بالقلب.

ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد (قول القلب)، وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية (عمل القلب)، فزاد ذلك.

خلاصة ما سبق من حقيقة الإيمان الشرعي أنها (مركبة من قول وعمل، والقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد، وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام.

والعمل قسمان: عمل القلب: وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح. فإذا زالت هذه الأربعة، زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة، وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة، فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب، وهو محبته وانقياده، كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول، بل ويقرون به سرا وجهرا، ويقولون: ليس بكاذب، ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به) نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف لمحمد بن عبد الله بن علي الوهيبي – ١/ ٣٣

---

(١) رواه اللالكائي في ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) (١/ ١٧٣ - ١٧٤).." [(١)]

"المبحث الأول: الإيمان عند أهل السنة والجماعة

الإيمان اعتقاد وقول وعمل الإيمان أصله في القلب: قال عز وجل: ولما يدخل الإيمان في قلوبكم [الحجرات: ٨]، وقال تعالى: ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم [الحشر: ٧]، وقال أيضا: أولئك كتب في قلوبهم الإيمان [المجادلة: ٢٢]

وقال أيضا: إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان [النحل: ١٠٦]

وقال صلى الله عليه وسلم: ((يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان إلى قلبه)) (١).

إلى غير ذلك من الأدلة الصريحة في أن إيمان القلب شرط في الإيمان، ولا يصح الإيمان بدونه، وأنه إذا وجد سرى ذلك إلى الجوارح ولابد.

وإيمان القلب ليس مجرد العلم والمعرفة والتصديق بالله عز وجل، وخبر الرسول صلى الله عليه وسلم - بل لابد مع ذلك من

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٤٩/٥

الانقياد والاستسلام، والخضوع والإخلاص، مما يدخل تحت عمل القلب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب، ولابد فيه من شيئين:

تصديق القلب وإقراره ومعرفته، ويقال لهذا: قول القلب، قال الجنيد بن محمد: التوحيد قول القلب، والتوكل عمل القلب " فلا بد فيه **من قول القلب وعمله**، ثم قول البدن وعمله، ولا بد فيه من عمل القلب، مثل حب الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده، وتوكل القلب على الله وحده، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها جزءا من الإيمان ثم القلب هو الأصل، فإذاكان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن ضرورة لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب)) (٢).

فإذاكان القلب صالحا بما فيه من الإيمان علما وعملا قلبيا لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر، والعمل بالإيمان المطلق ...

ويقول أيضا: الإيمان أصله معرفة القلب وتصديقه وقوله، والعمل تابع لهذا العلم والتصديق ملازم له، ولا يكون العبد مؤمنا إلا بها.

ويقول رحمه الله مبينا شدة الترابط بين الأصل والفرع: (إذا قام بالقلب التصديق به، والمحبة له (قول القلب، وعمله) لزم ضرورة أن يتحرك البدن بموجب ذلك من الأقوال الظاهرة، والأعمال الظاهرة، فما يظهر على البدن من الأقوال والأعمال هو موجب ما في القلب ولازمه، ودليله ومعلوله، كما أن ما يقوم بالبدن من الأقوال والأعمال له أيضا تأثير فيما في القلب، فكل منهما يؤثر في الآخر، لكن القلب هو الأصل والبدن فرع له، والفرع يستمد من أصله، والأصل يثبت ويقوى بفرعه).

ويقول الإمام المروزي رحمه الله: أصل الإيمان التصديق بالله، وبما جاء من عنده، وعنه يكون الخضوع لله لأنه إذا صدق بالله خضع له، وإذا خضع أطاع .. ومعنى التصديق هو المعرفة بالله، والاعتراف له بالربوبية، بوعده، ووعيده، وواجب حقه، وتحقيق ما صدق به من القول والعمل .. ومن التصديق بالله يكون الخضوع لله، وعن الخضوع تكون الطاعات، فأول ما يكون عن خضوع القلب لله الذي أوجبه التصديق من عمل الجوارح والإقرار باللسان (٣).

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٨٠)، والترمذي (٢٠٣٢)، وأحمد (٤/ ٤٢٠) (١٩٧٩١). من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه. والحديث سكت عنه أبي داود. وقال الحافظ العراقي في ((المغني)) (٢/ ٢٥٠): إسناده جيد. وقال الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)): حسن صحيح.

(٢) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩). من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٣) ((تعظيم قدر الصلاة)) (٢/ ٦٩٥ - ٦٩٦).." [1]

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٥/٣٥٩

"ويقول أيضا: (وإنما المعرفة التي هي إيمان، هي معرفة تعظيم الله، وجلاله، وهيبته، فإذا كان كذلك، فهو المصدق الذي لا يجد محيصا عن الإجلال، والخضوع لله بالربوبية، فبذلك ثبت أن الإيمان يوجب الإجلال لله، والتعظيم له، والخوف منه، والتسارع إليه بالطاعة على قدر ما وجب في القلب من عظيم المعرفة) (١).

ويقول: (أصل الإيمان هو التصديق، وعنه يكون الخضوع، فلا يكون مصدقا إلا خاضعا، ولا خاضعا إلا مصدقا، وعنهما تكون الأعمال) (٢).

يتضح لنا من النقل السابق أن العلم والمعرفة والتصديق (أي قول القلب)، إن لم يصحبها الانقياد والاستسلام والخضوع، (أي عمل القلب والجوارح) لم يكن المرء مؤمنا، بل تصديق هذا شر من عدمه لأنه ترك الانقياد مع علمه ومعرفته.

والدليل على أن التصديق والمعرفة فقط لا تنفع صاحبها وصف الله به إبليس بقوله: خلقتني من نار [الأعراف: ١٢] وقوله: قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين [ص: ٨٢]، فأخبر أنه قد عرف أن الله خلقه، ولم يخضع لأمره فيسجد لآدم كما أمره، فلم ينفعه معرفته إذ زايله الخضوع.

والدليل على ذلك أيضا شهادة الله على قلوب بعض اليهود أنهم يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم وما أنزل إليهم كما يعرفون أبناءهم، فلا أحد أصدق شهادة على ما في قلوبهم من الله، إذ يقول لنبيه: فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به [البقرة: ٨٩]، وقال: الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم [البقرة: ١٤٦]، وقال: ليكتمون الحق وهم يعلمون [البقرة: ١٤٦] فشهد على قلوبهم بأنها عارفة عالمة بالنبي صلى الله عليه وسلم ولم يوجب لهم اسم الإيمان بمعرفتهم وعلمهم بالحق إذ لم يقارن معرفتهم التصديق والخضوع لله ولرسوله بالتصديق له والطاعة (٣).

ومما يجدر ذكره أن بعض السلف يطلق التصديق أو اعتقاد القلب ويقصد **به قول القلب وعمله** جميعا، أو عمل القلب وحده.

---

(١) ((تعظيم قدر الصلاة)) (٢/ ٧٧٥ - ٧٧٦) ويلاحظ من هذا النقل، والذي قبله أنه لا فرق بين مفهومي التصديق، والمعرفة عند الإمام المروزي وكلاهما داخل تحت قول القلب.

(٢) ((تعظيم قدر الصلاة)) (٢/ ٧١٥ - ٧١٦).

(٣) ((تعظيم قدر الصلاة)) (٢/ ٦٩٦، ٦٩٨).." [1]

"يقول الإمام أحمد رحمه الله: وأما من زعم أن الإيمان الإقرار، فما يقول في المعرفة؟ هل يحتاج إلى المعرفة مع الإقرار؟ وهل يحتاج أن يكون مصدقا بما عرف؟ فإن زعم أنه يحتاج إلى المعرفة مع الإقرار، فقد زعم أنه من شيئين، وإن زعم أنه يحتاج أن يكون مقرا ومصدقا بما عرف، فهو من ثلاثة أشياء، وإن جحد وقال: لا يحتاج إلى المعرفة والتصديق فقد قال قولا عظيما (١) فالملاحظ من كلام الإمام أحمد أنه يعني بالتصديق عمل القلب ويعني بالمعرفة قول القلب، أما الإقرار فقول اللسان (٢) وقال الإمام أبو ثور لما سئل عن الإيمان ما هو؟: (فاعلم يرحمنا الله وإياك أن الإيمان تصديق بالقلب والقول

---

[1] الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٥/٣٦٠

باللسان وعمل بالجوارح، وذلك أنه ليس بين أهل العلم خلاف في رجل لو قال: أشهد أن الله عز وجل واحد، وأن ما جاءت به الرسل حق، وأقر بجميع الشرائع، ثم قال: ما عقد قلبي على شيء من هذا ولا أصدق به أنه ليس بمسلم ولو قال: المسيح هو الله، وجحد أمر الإسلام، قال لم يعتقد قلبي على شيء من ذلك أنه كافر بإظهار ذلك وليس بمؤمن، فلما لم يكن بالإقرار إذا لم يكن معه التصديق مؤمنا ولا بالتصديق إذا لم يكن معه الإقرار مؤمنا، حتى يكون مصدقا بقلبه مقرا بلسانه فإذا كان تصديق بالقلب وإقرار باللسان كان عندهم مؤمنا وعند بعضهم لا يكون حتى يكون مع التصديق عمل، فيكون بهذه الأشياء إذا اجتمعت مؤمنا ...) (٣).

ثم رد على من أخرج العمل من الإيمان فالغالب أنه يقصد بالتصديق هنا (قول القلب وعمله) والله أعلم.

يقول ابن تيمية: وكذلك قول من قال: اعتقاد بالقلب، وقول باللسان وعمل بالجوارح، جعل القول والعمل اسما لما يظهر، فاحتاج أن يضم إلى ذلك اعتقاد القلب، ولا بد أن يدخل في قوله: اعتقاد القلب، أعمال القلب المقارنة لتصديقه، مثل حب الله، وخشية الله والتوكل عليه، ونحو ذلك، فإن دخول أعمال القلب في الإيمان أولى من دخول أعمال الجوارح باتفاق الطوائف كلها (٤).

ويقول الإمام ابن القيم موضحا ذلك: ونحن نقول: الإيمان هو التصديق، ولكن ليس التصديق مجرد اعتقاد صدق المخبر دون الانقياد له، ولو كان مجرد اعتقاد التصديق إيمانا لكان إبليس وفرعون وقومه وقوم صالح واليهود الذين عرفوا أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما يعرفون أبناءهم مؤمنين صادقين (٥).

ونختم هذا البحث بالتأكيد على أهمية الخضوع والاستسلام والانقياد (عمل القلب والجوارح) وأنه أساس دعوة الأنبياء والرسل، وأن قضيتهم مع أقوامهم دائما ليست قضية المعرفة والعلم المجرد (أي قول القلب).

قال تعالى: فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون [الأنعام: ٣٣] وقال تعالى: وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين [النمل: ١٤].

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) (٧/ ٣٩٣).

(٢) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في ((مجموع الفتاوى)) (٧/ ٣٩٧): (فأراد أحمد بالتصديق أنه مع المعرفة به صار القلب مصدقا له، تابعا له، محبا له، معظما له .. وهذا أشبه بأن يحمل عليه كلام الإمام أحمد).

(٣) ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة)) (٤/ ٨٤٩ - ٨٥٠).

(٤) ((مجموع الفتاوى)) (٧/ ٥٠٦).

(٥) ((الصلاة وحكم تاركها)) (ص٤٤ - ٤٥).." [1]

"ويمكن توضيح ذلك؛ بالتفصيل التالي:

أولا - قول القلب: هو معرفته للحق، واعتقاده، وتصديقه، وإقراره، وإيقانه به؛ وهو ما عقد عليه القلب، وتمسك به، ولم

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٦١/٥

يتردد فيه، قال الله تبارك وتعالى:

والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين [الزمر: ٣٣ - ٣٤].

وقال تعالى: وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين [الأنعام: ٥٧].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير)) (١).

قول اللسان: إقراره والتزامه.

أي: النطق بالشهادتين، والإقرار بلوازمها.

قال تعالى: قولوا آمنا بالله ومآ أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون [البقرة: ١٣٦].

وقال تعالى: إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون [الأحقاف: ١٣].

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة ...)) (٢).

ثانيا: عمل القلب: نيته، وتسليمه، وإخلاصه، وإذعانه، وخضوعه، وانقياده، والتزامه، وإقباله إلى الله تعالى، وتوكله عليه — سبحانه — ورجاؤه، وخشيته، وتعظيمه، وحبه وإرادته.

قال الله تعالى: ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه [الأنعام: ٥٢].

وقال تعالى: وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى [الليل: ١٩ - ٢١].

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه)) (٣).

عمل الجوارح:

أي فعل المأمورات والواجبات، وترك المنهيات والمحرمات.

فعمل اللسان: ما لا يؤدى إلا به؛ كتلاوة القرآن، وسائر الأذكار؛ من التسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير، والدعاء، والاستغفار، والدعوة إلى الله تعالى، وتعليم الناس الخير، وغير ذلك من الأعمال التي تؤدى باللسان؛ فهذا كله من الإيمان.

قال تعالى: إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور [فاطر: ٢٩].

وقال: يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا [الأحزاب: ٤١].

وعمل الجوارح: مثل الصلاة، والقيام، والركوع، والسجود، والصيام، والصدقات، والمشي في مرضاة الله تعالى؛ كنقل الخطا إلى المساجد، والحج، والجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من أعمال شعب الإيمان.

قال الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم [الحج: ٧٧ - ٧٨].

وقال تعالى: وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما [الفرقان: ٦٣ - ٦٤].

فهذه الخصال الثلاث:

(اعتقاد القلب، إقرار اللسان، عمل الجوارح).

اشتمل عليها مسمى الإيمان عند أهل السنة والجماعة؛ فمن أتى بجميعها؛ فقد اكتمل إيمانه. الإيمان حقيقته خوارمه نواقضه عند أهل السنة عبدالله بن عبدالحميد الأثري – ص١٥

---

(١) رواه البخاري (٤٤). من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢). من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(٣) رواه أبو داود (٤٨٨٠)، والترمذي (٢٠٣٢)، وأحمد (٤/ ٤٢٠) (١٩٧٩١). من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه. والحديث سكت عنه أبي داود. وقال الحافظ العراقي في ((المغني)) (٢/ ٢٥٠): إسناده جيد. وقال الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)): حسن صحيح.." (١)

"المبحث الثالث: معنى الإقرار والتصديق في كلام السلف

أن إيمان القلب يشتمل على أصلين:

الأول: قول القلب.

الثاني: عمل القلب.

وقد ورد عن بعض السلف تفسير إيمان القلب: بالتصديق، أو الإقرار، أو الاعتقاد. **ويوصف قول القلب بالعلم** أو المعرفة إضافة إلى عمل القلب. فهذه سبعة معان مضافة للقلب وردت في عبارات السلف. وبمعرفة حقيقة هذه المعاني يتضح الفرق بين أقوال القلوب وأعمالها، والعلاقة بينها. حيث إن بعض الناس قد يخلط بين أقوال القلوب وأعمالها، فتخفى عليهم بعض أحكام أعمال القلوب. ولذا سوف أوضح – إن شاء الله – هذه المعاني، وبيان مراد السلف بها، من خلال المسائل الثلاث التالية:

المسألة الأولى: المراد بتصديق القلب

يطلق تصديق القلب على شيئين:

الأول: التصديق الخبري العلمي الذهني، بمعنى أن يقع في القلب نسبة الصدق إلى المخبر والخبر ذاته مجردا عما سوى ذلك من أعمال القلوب. وهذا هو قول القلب.

الثاني: التصديق العملي، أي تصديق الخبر بالامتثال والانقياد. وهذا هو الذي قصده السلف عند إطلاق التصديق. فمن قال من السلف بأن الإيمان هو: التصديق، فإنه يقصد بذلك **المعنيين؛ قول القلب وعمله**. أو عمل القلب المتضمن لتصديقه.

قال الإمام الآجري رحمه الله: (اعلموا – رحمنا الله وإياكم – أن الذي عليه علماء المسلمين: أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح) (١).

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٥/٣٦٥

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة ولغة العرب وأقوال السلف على أن التصديق ليس محصورا في التصديق الخبري. بل ورد كذلك في التصديق العملي، فمن شواهد ذلك:

١) قوله تعالى: وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين [الصافات: ١٠٤ – ١٠٥]، أي قد امتثلت الأمر وحققته فكأنه قد ذبح ابنه. لأن المقصود هو عمل القلب.

٢) قوله تعالى: والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون [الزمر: ٣٣]. فقد فسرها ابن عباس رضي الله عنهما – أن الصدق هو شهادة أن لا إله إلا الله. فمن جاء مصدقا بها من المؤمنين ومصدقا بمحمد صلى الله عليه وسلم فهو المتقي (٢).

٣) قوله تعالى: ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملآئكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسآئلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون [البقرة: ١٧٧].

قال ابن كثير رحمه الله: قوله أولئك الذين صدقوا، أي هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات هم الذين صدقوا في إيمانهم، لأنهم حققوا الإيمان القلبي بالأقوال والأفعال) (٣).

وبهذا يتضح معنى تصديق القلب عند السلف إذا أفرد، وأنهم يريدون بذلك التصديق الخبري المستلزم لعمل القلب، أو عمل القلب المتضمن لقوله، أو هما جميعا.

ومن الخطأ أن يظن أن مرادهم بالتصديق عند الإطلاق هو مجرد نسبة الصدق إلى الخبر، أو ما أشبهه كالمعرفة المجردة، أو العلم المجرد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب، ولا بد فيه من شيئين:

---

(١) ((الشريعة)) (٢/ ٦١١) ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) (٤/ ٨٤٩).

(٢) ((تفسير ابن كثير)) (٤/ ٧٠).

(٣) ((تفسير ابن كثير)) (١/ ٢٨٤).." [1]

"تصديق القلب، وإقراره ومعرفته، ويقال لهذا قول القلب.

ولابد فيه من عمل القلب، مثل حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. وغير ذلك من أعمال القلوب، التي أوجبها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وجعلها من الإيمان) (١).

وقال أيضا: (الإيمان وإن كان يتضمن التصديق، فليس هو مجرد التصديق، وإنما هو الإقرار والطمأنينة، وذلك لأن التصديق إنما يعرض للخبر فقط، فأما الأمر فليس فيه تصديق من حيث هو أمر، وكلام الله خبر وأمر، فالخبر يستوجب تصديق

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٧١/٥

المخبر، والأمر يستوجب الانقياد له والاستلام، وهو عمل في القلب جماعة الخضوع والانقياد للأمر فإذا قوبل الخبر بالتصديق، والأمر بالانقياد، فقد حصل أصل الإيمان في القلب، وهو الطمأنينة والإقرار، وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد) (٢).

وقال ابن القيم رحمه الله: (ونحن نقول: الإيمان هو التصديق، ولكن ليس التصديق مجرد اعتقاد صدق المخبر دون الانقياد له، ولو كان مجرد اعتقاد التصديق إيمانا، لكن إبليس وفرعون وقومه وقوم صالح واليهود الذين عرفوا أن محمدا رسول الله كما يعرفون أبناءهم مؤمنين مصدقين .. فالتصديق إنما يتم بأمرين: أحدهما: اعتقاد الصدق.

والثاني: محبة القلب، وانقياده) (٣).

وقال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله: (ومن هنا يتبين لك أن من قال من أهل السنة في الإيمان هو: التصديق على ظاهر اللغة؛ أنهم إنما عنوا التصديق الإذعاني المستلزم للانقياد ظاهرا وباطنا بلا شك، لم يعنوا مجرد التصديق) (٤).

فالحاصل أن لفظ تصديق القلب عند السلف له أربعة معان:

١) أن يراد **به قول القلب فقط**، وهذا فيما إذا قرن بعمل القلب.

٢) أن يراد به عمل القلب المتضمن لقوله.

٣) أن يراد **به قول القلب المستلزم** لعمل القلب.

٤) أن يراد **به قول القلب وعمله** جميعا.

وأما أن يفرد ويراد **به قول القلب فقط** فهذا لم يرد عن السلف، بل هو من اصطلاحات أهل البدع.

ثم ليعلم أن التصديق بمعناه الخبري، الذي هو مجرد أن يقع في القلب نسبة الصدق إلى المخبر والخبر من غير إذعان وقبول؛ يساوي تماما عند السلف والأئمة معنى العلم أو المعرفة، إذ لا يوجد فرق بين العلم والمعرفة والتصديق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فإن الفرق بين معرفة القلب وبين مجرد تصديق القلب الخالي عن الانقياد والذي يجعل قول القلب، أمر دقيق. وأكثر العقلاء ينكرونه، وبتقدير صحته لا يجب على كل أحد أن يوجب شيئين لا يتصور الفرق بينهما. وأكثر الناس لا يتصورون الفرق بين معرفة القلب وتصديقه، ويقولون: إن ما قاله ابن كلاب والأشعري من الفرق كلام باطل لا حقيقة له، وكثير من أصحابه اعترف بعدم الفرق – إلى أن قال رحمه الله والمقصود هنا أن الإنسان إذا رجع إلى نفسه عسر عليه التفريق بين علمه بأن الرسول صلى الله عليه وسلم صادق، وبين تصديق قلبه تصديقا مجردا عن الانقياد وغيره من أعمال القلوب بأنه صادق) (٥).

والمتتبع لبعض تعاريف السلف للإيمان يجد أنهم يعبرون عن التصديق بالمعرفة، وعن المعرفة بالتصديق، بل ويعرفون المعرفة بأنها التصديق، والتصديق بأنه المعرفة.

قال الإمام المروزي رحمه الله: (وإنما المعرفة التي هي إيمان: هي معرفة تعظيم الله وجلاله وهيبته، فإذا كان كذلك فهو المصدق الذي لا يجد محيصا عن الإجلال لله بالربوبية) (٦).

---

(١) ((الإيمان)) (١٧٦).

(٢) ((الصارم المسلول)) (٣/ ٩٦٦) وانظر ((الإيمان)) (ص: ١٢٠).

(٣) ((الصلاة)) (ص:٢٨).

(٤) ((معارج القبول)) (٢/ ١٧).

(٥) ((الإيمان)) (٣٨١).

(٦) ((تعظيم قدر الصلاة)) (٢/ ٧٧٥).." [١]

"وقال أيضا: (ومعنى التصديق: هو المعرفة بالله، والاعتراف له بالربوبية، وبوعده، ووعيده، وواجب حقه، وتحقيق ما صدق به من القول والعمل) (١).

وقال ابن القيم رحمه الله: (ومن تأمل ما في السير والأخبار الثابتة من شهادة كثير من أهل الكتاب والمشركين له صلى الله عليه وسلم بالرسالة؛ وأنه صادق، فلم تدخلهم هذه الشهادة في الإسلام، علم أن الإسلام أمر وراء ذلك، وأنه ليس هو المعرفة فقط، ولا المعرفة والإقرار فقط، بل المعرفة والإقرار، والانقياد، والتزام طاعته ودينه ظاهرا وباطنا) (٢).

فتبين من خلال هذه النقول أنه لا فرق بين المعرفة والتصديق المجرد.

المسألة الثانية: المراد باعتقاد القلب

الاعتقاد في اللغة مصدر عقد يعقد عقدا، مأخوذ من العقد، والربط، والشد بقوة (٣).

وأما اعتقاد القلب عند السلف الصالح فهو يتضمن ركنين قلبيين:

الأول: المعرفة والعلم والتصديق. ويطلق عليه قول القلب، وهذا المعنى عندما يقترن الاعتقاد بعمل القلب (٤).

الثاني: الالتزام والانقياد والتسليم. ويطلق عليه عمل القلب، وهذا المعنى للاعتقاد عند السلف إذا جاء مفردا.

وبهذا يتبين أن من قال من السلف بأن الإيمان اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح. فمراده بالاعتقاد **هنا قول القلب وعمله**.

ولهذا بوب الإمام ابن منده رحمه الله في كتابه الإيمان بابا بعنوان: (ذكر خبر يدل على أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالأركان، يزيد وينقص) (٥).

وكذا بوب الإمام اللالكائي رحمه الله بقوله: (سياق ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الإيمان تلفظ باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح) (٦). ثم ذكر الأدلة الدالة على أنه اعتقاد بالقلب.

وتقدم أن من أقوال السلف وأئمة السنة في تفسير الإيمان، أنهم تارة يقولون: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح (٧).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وكذلك قول من قال: اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح. جعل القول والعمل اسما لما ظهر، فاحتاج أن يضم إلى ذلك اعتقاد القلب. ولابد أن يدخل في قوله: اعتقاد القلب؛ أعمال القلب

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٥/٣٧٢

المقارنة لتصديقه مثل حب الله، وخشية الله، والتوكل عليه، ونحو ذلك) (٨).

وأما إذا ذكر الاعتقاد مع عمل القلب، فإنه يراد به عند السلف قول القلب.

المسألة الثالثة: المراد بإقرار القلب:

إقرار القلب يطلق على شيئين:

الأول: على قول القلب. وهذا عند ذكره مع عمل القلب.

---

(١) ((تعظيم قدر الصلاة)) (٢/ ٦٩٥).

(٢) ((زاد المعاد)) (٣/ ٦٣٨).

(٣) ((معجم مقاييس اللغة)) (٤/ ٨٦) ((الصحاح)) (٢/ ٥١٠) ((لسان العرب)) (٣/ ٢٩٦) ((القاموس المحيط)) (٣٨٣).

(٤) ذكر ابن القيم رحمه الله في ((إغاثة اللهفان)) (١/ ١٣) أن أقوال القلب هي العقائد. وأعمال القلب هي الإرادة والمحبة والكراهية وتوابعها.

(٥) ((الإيمان)) (ب١/ ٣٤١).

(٦) ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) (٤/ ٨٣٠)، وانظر ((التمهيد)) (٩/ ٢٤٣). وعرف الشيخ محمد بن صالح العثيمين في كتابه ((شرح ثلاثة الأصول)) (ص: ٧٦) – الإيمان بأنه: (اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح).

(٧) ((الإيمان لابن تيمية)) (ص: ١٦٢).

(٨) ((الإيمان الأوسط المطبوع ضمن مجموع الفتاوى)) (٧/ ٥٠٦).." [(١)]

"الثاني: على عمل القلب. ويكون المراد به الالتزام، وهذا عند الإطلاق، كما في قوله تعالى: وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين [آل عمران: ٨١]. فالإقرار هنا ليس معناه الخبر المجرد، بل معناه الالتزام للإيمان والنصرة للرسول صلى الله عليه وسلم وهذا هو الإيمان بما فيه عمل القلب.

ويقابل الإقرار بالمعنى الأول الإنكار والجحود. وبالمعنى الثاني يقابله الإباء والامتناع. كما أن الكفر منه كفر إنكار وجحود. ومنه كفر إباء وامتناع ككفر إبليس.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ولفظ الإقرار: يتناول الالتزام والتصديق، ولابد منهما، وقد يراد بالإقرار مجرد التصديق بدون التزام الطاعة) (١).

وقد تقدم كلام شيخ الإسلام أن قول القلب: هو تصديقه وإقراره ومعرفته (٢). وعليه فيقال في الإقرار كما قيل في التصديق

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٧٣/٥

والاعتقاد.

وخلاصة هذا المبحث: أن التصديق والاعتقاد والإقرار يتناول عند السلف:

١) **قول القلب فقط**، وذلك عند اقترانها بعمل القلب.

٢) **قول القلب المستلزم** لعمل القلب.

٣) عمل القلب، المتضمن لقول القلب.

٤) **قول القلب وعمله** جميعا.

وكل ذلك بحسب التقييد والإطلاق. فيتبين بذلك مراد السلف في عباراتهم، وأنه لا اختلاف بينها.

وأما معرفة القلب وعلمه فلا إشكال في أن المراد **بها قول القلب فقط**. أعمال القلوب حقيقتها وأحكامها عند أهل السنة والجماعة وعند مخالفيهم للعتيبي– ١٤١

---

(١) ((الإيمان)) (ص: ٣٨٠).

(٢) ((الإيمان)) (ص: ١٧٦).." [1]

"المبحث الرابع: معنى قول السلف الإيمان قول وعمل

من الواضح لكل ذي عقل سليم أن معنى قول السلف: الإيمان قول وعمل هو: أنه التزام وتنفيذ وإقرار واعتقاد وطاعة – بالقلب واللسان والجوارح– ولكن المرجئة باستخدامهم المتكلف لمنطق اليونان والفلسفة الأعجمية العجماء– فهموا أن هذه العبارة حد منطقي غير جامع ولا مانع، إذ لم يفهموا إلا أن القول هو ألفاظ اللسان والعمل حركات الجوارح، فاعترضوا على قول السلف –من هذا الوجه– بأنهم أهملوا إيمان القلب! وتبعهم في هذا بعض المتأخرين ممن تأثر بمنطق هؤلاء ومنهجهم في التفكير.

وبعضهم ذهب به الخبث إلى التحايل على العبارة نفسها، فقالوا: صحيح أن الإيمان قول وعمل، ولكن من قال بلسانه: لا إله إلا الله– فقد عمل أما عمل الجوارح فليس من الإيمان فأخرجوا عبارة السلف عن معناها البدهي الفطري إلى هذا المعنى السقيم الساقط.

ولهذا اقتضى الأمر إيضاح معنى كلام السلف بشيء من التفصيل، فنقول:

إن الإيمان عند السلف حقيقة شرعية في غاية الوضوح، فهي ترادف وتساوي كلمة الدين، حتى إن كثيرا منهم كان نص عبارته: الدين قول وعمل، وليس في معنى الدين خفاء يحتاج معه أي مسلم إلى تكلفات منطقية وسفسطة كلامية، بل لم يكن هنالك حاجة إلى تعريفه أو بيان معناه أصلا، وكيف يعرفون أمرا يعيشونه ويعملونه ويقرءون حقائقه كل حين.

فلما ابتدعت المرجئة قولها: إن الإيمان قول فقط –متأثرة بالمنطق الغريب عن الإسلام والفطرة واللغة– أكذبهم السلف وردوا دعواهم قائلين: بل هو قول وعمل، فمن ها هنا نشأت العبارة. فلا المرجئة الذين ابتدعوا ذلك –أول مرة– أرادوا ألفاظ

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٧٤/٥

اللسان المجردة عن إيمان القلب، ولا السلف الذين ردوا عليهم أرادوا ألفاظ اللسان وحركات الجوارح مجردة عن عمل إيمان القلب أيضا.

ولكن المعركة الجدلية المستمرة ودافع الهوى والشبهة وترك منطق الفطرة والبديهة إلى منطق اليونان؛ كل ذلك جعل المرجئة يتحايلون على الألفاظ، ويماحكون في المعاني لتصحيح نظريتهم.

والحاصل: أن أعمال القلوب لم تكن موضع نزاع بين السلف وأصناف المرجئة المتقدمين، إلا فرقة شاذة هي فرقة الجهم بن صفوان ومن وافقه كالصالحي، وهي فرقة كفرها السلف بهذا، وبمقالاتها الأخرى في الصفات والقدر، ......

وإنما أصبحت أعمال القلوب محل نزاع كبير بعد أن تبنى الأشاعرة مذهب جهم في الإيمان، وحصروه في عمل قلبي واحد وهو التصديق، ومال إليهم الماتريدية الذين كان أصل مذهبهم على إرجاء المتقدمين الحنفية، فحينئذ بعدت الشقة وعظمت الظاهرة حتى آل الأمر إلى أن تصبح عقيدة الإرجاء الجهمي هي عقيدة عامة الأمة في القرون الأخرى، .....

وهذا ما استدعى علماء السنة في عصر انتشار الظاهرة إلى إيضاح معنى قول السلف وبسط القول في أعمال القلوب وأهميتها، وهذا ما نفعله هنا نقلا عنهم وإيضاحا لكلامهم:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (أجمع السلف أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ومعنى ذلك: **أنه قول القلب وعمل** القلب، ثم قول اللسان وعمل الجوارح.

فأما قول القلب: فهو التصديق الجازم بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، ويدخل فيه الإيمان بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

ثم الناس في هذا على أقسام:

أ- منهم من صدق به جملة ولم يعرف التفصيل.

ب- ومنهم من صدق جملة وتفصيلا.

ثم منهم من يدوم استحضاره وذكره لهذا التصديق -مجملا أو مفصلا- ومنهم من يغفل عنه ويذهل، ومنهم من استبصر فيه بما قذف الله في قلبه من النور والإيمان، ومنهم من جزم به لدليل قد تعترض فيه شبهة، أو تقليد جازم.." (١)

"قال: وهذا التصديق يتبعه عمل القلب، وهو حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وتعظيم الله ورسوله وتعزير الله ورسوله وتوقيره، وخشية الله والإنابة إليه والإخلاص له والتوكل عليه، إلى غير ذلك من الأحوال.

فهذه الأعمال القلبية كلها من الإيمان، وهي مما يوجبها التصديق والاعتقاد إيجاب العلة المعلول.

ويتبع الاعتقاد قول اللسان، ويتبع عمل القلب عمل الجوارح من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك (١)).

وقال بعد أن نقل عبارات السلف المذكورة .... : (وليس بين هذه العبارات اختلاف معنوي، ولكن القول المطلق والعمل المطلق في كلام السلف **يتناول قول القلب واللسان** وعمل القلب والجوارح، فقول اللسان بدون اعتقاد القلب هو قول المنافقين، وهذا لا يسمى قولا إلا بالتقييد، كقوله تعالى: يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم [الفتح: ١١].

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٧٥/٥

وكذلك عمل الجوارح بدون أعمال القلوب هي من أعمال المنافقين التي لا يتقبلها الله.

فقول السلف يتضمن القول والعمل الباطن والظاهر ((٢).

قال: (وكذلك قول من قال: اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح، جعل القول والعمل اسما لما يظهر، فاحتاج أن يضم إلى ذلك اعتقاد القلب، ولا بد أن يدخل في قوله: اعتقاد القلب أعمال القلب المقارنة لتصديقه، مثل: حب الله وخشية الله، والتوكل على الله ونحو ذلك.

فإن دخول أعمال القلب في الإيمان أولى من دخول أعمال الجوارح باتفاق الطوائف كلها ((٣).

وقد سبق ضمن كلامه الشبيه بهذا ..... قوله: (إن من قال من السلف: الإيمان قول وعمل، **أراد قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح ((٤).

وقوله: (فإذا قالوا: قول وعمل، فإنه يدخل في **القول قول القلب واللسان** جميعا) (٥) وعند هذه العبارة علق المحقق بقوله: وعلى هامش النسخة الهندية: وقول القلب هو إقراره ومعرفته وتصديقه، وعمله هو انقياده لما صدق به.

ويقول الإمام ابن القيم: (إن الإيمان قول وعمل، **والقول قول القلب واللسان**، والعمل عمل القلب والجوارح، وبيان ذلك أن من عرف الله بقلبه ولم يقر بلسانه لم يكن مؤمنا كما قال عن قوم فرعون: وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم [النمل:١٤].

وكما قال عن قوم عاد وقوم صالح: وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين [العنكبوت:٣٨].

وقال موسى لفرعون: قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر [الإسراء:١٠٢].

فهؤلاء **حصلوا قول القلب** -وهو المعرفة والعلم- ولم يكونوا بذلك مؤمنين، وكذلك من قال بلسانه ما ليس في قلبه لم يكن بذلك مؤمنا، بل كان من المنافقين.

وكذلك: من عرف بقلبه وأقر بلسانه لم يكن بمجرد ذلك مؤمنا حتى يأتي بعمل القلب من الحب والبغض والموالاة والمعاداة، فيحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ويوالي أولياء الله ويعادي أعداءه، ويستسلم بقلبه لله وحده، وينقاد لمتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم وطاعته والتزام شريعته ظاهرا وباطنا. وإذا فعل ذلك لم يكف في كمال إيمانه حتى يفعل ما أمر به، فهذه الأركان الأربعة هي أركان الإيمان التي قام عليها بناؤه) (٦)

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) (٧/ ٦٧٢).

(٢) ((مجموع الفتاوى)) (٧/ ٥٠٥ - ٥٠٦).

(٣) ((مجموع الفتاوى)) (٧/ ٥٠٦).

(٤) ((مجموع الفتاوى)) (٧/ ١٧١).

(٥) ((مجموع الفتاوى)) (٧/ ١٧٠).

(٦) ((عدة الصابرين)) (ص: ٨٨ - ٨٩).." [(١)]

"والحاصل أن السلف وعلماء أهل السنة والجماعة في كل عصر إنما يستخدمون في منهج التفكير المنطق الفطري البدهي الذي يقسم عمل الإنسان بحسبه قسمين: ظاهر وباطن.

فالباطن: قول القلب وعمله، والظاهر: قول اللسان وعمل الجوارح.

فعلى هذا قالوا: الإيمان قول وعمل، أي: شامل للظاهر والباطن، لا سيما إذا ضممنا إلى ذلك ما هو معروف -بداهة وفطرة- من أن حقيقة الإنسان قسمان: قلب وأعضاء، وأعماله قسمان: أقوال وأفعال، فيكون أشمل عبارة أن يقال: قول وعمل بالقلب والأعضاء، وهذا هو مراد السلف قطعا، وإنما اكتفوا عن آخر الجملة بأولها؛ لأن منهجهم الفطري في التفكير ومنهجهم البليغ في التعبير هو القصد إلى المطلوب بإيجاز دون العروج على ما هو معلوم بداهة.

وبهذا يظهر أن عبارة قول وعمل على إيجازها جامعة مانعة، لا من جهة أنها حد منطقي -أي تعريف للماهية- ولكن من جهة أنها كشف عن الحقيقة وبيان لها.

ولذلك فإنني -بعد طول تأمل- أختار هذه العبارة وأفضلها على عبارة: اعتقاد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان ونحوها، على أن تشرح بما أوضحنا آنفا، ومن أسباب الاختيار:

أنها المنقولة عن متقدمي السلف، مع إيجازها وشمولها.

أن العبارة الأخرى لا تسلم أيضا من الفهم الخطأ.

فإن فهم بعض الناس -المرجئة وغيرهم- أن: (قول وعمل) تعني قول اللسان وعمل الجوارح **دون قول القلب وعمله** أمر تنكره البديهة وترده، ولكن العبارة الأخرى توقع في لبس قل من يفطن له ولا يستطيع كل أحد رده، وهو أن هذه الثلاثة- أي الاعتقاد والقول والعمل- منفصلة بعضها عن بعض، بمعنى أن الطاعات -التي هي فروع الإيمان وشعبه- على ثلاثة أقسام: قسم قلبي، وقسم لساني، وقسم عملي وعلى هذا قد يفهم أنه يمكن أن يتحقق في الإنسان ركنان من ثلاثة بأن يتحقق لديه الاعتقاد والقول مع عدم العمل بالكلية، وهذا الذي جزم السلف باستحالة وقوعه.

وبيان ذلك يتضح من خلال تأمل كلام أحد علماء السنة المحققين- وهو الحافظ ابن حجر -رحمه الله- وهو من هو علما وفهما وإحاطة بأقوال السلف، فانظر إليه حين يقول- شرحا لترجمة البخاري، وهو قول وفعل يزيد وينقص: (فأما القول فالمراد به النطق بالشهادتين، وأما العمل فالمراد به ما هو أعم من عمل القلب والجوارح ليدخل الاعتقادات والعبادات. ومراد من أدخل ذلك في تعريف الإيمان ومن نفاه إنما هو بالنظر إلى ما عند الله تعالى.

فالسلف قالوا: هو اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان، وأرادوا بذلك أن الأعمال شرط في كماله، ومن هنا نشأ لهم القول بالزيادة والنقص .....

والمرجئة قالوا: هو اعتقاد ونطق فقط.

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٥/٣٧٦

والكرامية قالوا: هو نطق فقط.

والمعتزلة قالوا: هو العمل والنطق والاعتقاد، والفارق بينهم وبين السلف أنهم جعلوا الأعمال شرطا في صحته، والسلف جعلوها شرطا في كماله.

وهذا كله كما قلنا بالنظر إلى ما عند الله تعالى، أما بالنظر إلى ما عندنا فالإيمان هو الإقرار فقط، فمن أقر أجريت عليه الأحكام في الدنيا ولم يحكم بكفره إلا إن اقترن به فعل يدل على كفره كالسجود للصنم ..) (١) إلخ

فقارئ كلامه يفهم منه التناقض بين تعريفي السلف في موضوع العمل، فإنه في التعريف الأول: قول وعمل يعتبر ركنا، في حين أنه حسب التعريف الأخير: اعتقاد وقول وعمل ليس إلا شرط كمال فقط.

ويفهم منه –كذلك– أن الفرق بين المرجئة والسلف، أن السلف: زادوا على تعريف المرجئة العمل وجعلوه شرط كمال، وعليه فمن ترك العمل بالكلية فهو عند المرجئة مؤمن كامل الإيمان، وعند السلف مؤمن تارك لشرط الكمال فحسب.

---

(١) ((فتح الباري)) (١/ ٤٦).." (١)

"ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقا، ولا تجزئ معرفة القلب ونطق اللسان حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الثلاث الخصال كان مؤمنا، دل على ذلك الكتاب والسنة وقول علماء المسلمين ..) (١).

ثم ساق من النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، والآثار السلفية ما يدل على ذلك ويؤيده. زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه لعبد الرزاق البدر– ص:٢١ – ٢٥

قال حافظ الحكمي رحمه الله تعالى في شرح قوله في منظومة سلم الوصول

اعلم بأن الدين قول وعمل ... فاحفظه وافهم ما عليه ذا اشتمل

قال: (اعلم) يا أخي وفقني الله وإياك والمسلمين (بأن الدين) الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه ورضيه لأهل سماواته وأرضه وأمر أن لا يعبد إلا به ولا يقبل من أحد سواه ولا يرغب عنه إلا من سفه نفسه ولا أحسن دينا ممن التزمه واتبعه هو (قول) أي بالقلب واللسان (وعمل) أي بالقلب واللسان والجوارح فهذه أربعة أشياء جامعة لأمور دين الإسلام.

الأول قول القلب وهو تصديقه وإيقانه قال الله تعالى: والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين [الزمر: ٣٣ – ٣٤] وقال الله تعالى: وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين [الأنعام: ٧٥] وقال الله تعالى: إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون [الحجرات: ١٥] صدقوا ثم لم يشكوا وفي حديث الدرجات العلى: ((بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين)) (٢) وقال الله تعالى: الذين يؤمنون بالغيب [البقرة: ٣] وقال الله تعالى: قولوا آمنا بالله ومآ أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٧٧/٥

ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون [البقرة: ١٣٦] الآيات وقال الله تعالى: وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب [الشورى: ١٥] وغير ذلك من الآيات.

وفي حديث الشفاعة: ((يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه من الخير ما يزن شعيرة)) (٣) الحديث.

وفي حديث الآخرة: ((فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان ثم من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ثم من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان)) (٤).

---

(١) ((الشريعة)) للآجري (١٩) وانظر ((شرح اعتقاد أهل السنة)) للالكائي (٤/ ٨٣٢).

(٢) رواه البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١). من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٧٤١٠)، ومسلم (١٩٣). من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣). من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.." [١]

"وقال الله تعالى: ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين [الأعراف: ٥٥] الآيات، وقال الله تعالى: واستغفروا الله إن الله غفور رحيم [المزمل: ٢٠] وقال الله تعالى: الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم [آل عمران: ١٩١] الآيات وقال الله تعالى: حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين [البقرة: ٢٣٨] وقال الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده [الحج: ٧٧ - ٧٨] الآيات وقال الله تعالى: وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما [الفرقان: ٦٣ - ٦٤] الآيات وقال الله تعالى: أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب [الزمر: ٩] وقال الله تعالى: إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين [التوبة: ١١١ - ١١٢].

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدا ليس هذا موضع بسطها وإنما المقصود تقرير هذه الأمور من أصول الدين فإذا حققت هذه الأمور الأربعة تحقيقا بالغا وعرفت ما يراد بها معرفة تامة وفهمت فهما واضحا ثم أمعنت النظر في أضدادها ونواقضها تبين لك أن أنواع الكفر لا تخرج عن أربعة:

كفر جهل وتكذيب، وكفر جحود، وكفر عناد واستكبار، وكفر نفاق

فأحدها يخرج من الملة بالكلية وإن اجتمعت في شخص فظلمات بعضها فوق بعض والعياذ بالله من ذلك لأنها إما أن تنتفي هذه الأمور **كلها قول القلب وعمله** وقول اللسان وعمل الجوارح أو ينتفي بعضها فإن انتفت كلها اجتمع أنواع

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٨٠/٥

الكفر غير النفاق إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم [البقرة: ٦ – ٧].." [١]

"وأقوال السلف الصالح في هذه المسألة متفقة على أن الإيمان قول وعمل، وسنذكر بعض أقوالهم على النحو التالي:

يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص. (١)

وعقد الإمام الآجري رحمه الله بابا في كتابه (الشريعة) قائلا: باب القول بأن الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، ولا يكون مؤمنا إلا أن يجتمع فيه هذه الخصال الثلاث (٢).

وقال الإمام ابن بطة رحمه الله في تعريف الإيمان: معناه التصديق بما قاله، وأمر به وافترضه، ونهى عنه من كل ما جاءت به الرسل من عنده، ونزلت فيه الكتب، وبذلك أرسل المرسلين، فقال عز وجل: وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون [الأنبياء: ٢٥] والتصديق بذلك قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان. (٣) ...

تنوعت عبارات السلف الصالح في تعريف الإيمان، فتارة يقولون: هو قول وعمل، وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية، وتارة يقولون: قول وعمل ونية واتباع السنة وكل هذا صحيح، فليس بين هذا العبارات اختلاف معنوي، كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية قائلا: إذا قالوا: قول وعمل فإنه يدخل في **القول قول القلب واللسان** جميعا، وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام، ونحو ذلك إذا أطلق فإن القول المطلق، والعمل المطلق في كلام السلف **يتناول قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح، فقول باللسان بدون اعتقاد القلب هو قول المنافقين، وهذا لا يسمى قولا إلا بالتقييد (كقوله تعالى يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم [الفتح: ١١] وكذلك عمل الجوارح بدون أعمال القلوب، هي من أعمال المنافقين، التي لا يتقبلها الله، فقول السلف يتضمن القول والعمل الباطن والظاهر.

---

(١) انظر: ((السنة)) للإمام عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل (١/ ٣٠٧)، وله عدة روايات في تعريف الإيمان.

(٢) ((الشريعة)) للإمام الآجري (ص١١٩).

(٣) ((الشرح والإبانة عن أصول السنة والديانة)) (ص١٧٦).." [٢]

"ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك، فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك، ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوبا لله إلا باتباع السنة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل، إنما أرادوا ما كان مشروعا من الأقوال والأعمال، ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط. فقالوا: بل هو قول وعمل، والذين جعلوه (أربعة أقسام) فسروا مرادهم، كما سئل سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان ما هو؟ فقال: قول وعمل ونية وسنة،

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٨٥/٥

(٢) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٨٧/٥

لأن الإيمان إذا كان قولا بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق وإذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة (١) ... يقول ابن تيمية في هذا الشأن: إن الإيمان قول وعمل، فمن اعتقد الوحدانية في الألوهية لله سبحانه وتعالى والرسالة لعبده ورسوله، ثم لم يتبع هذا الاعتقاد موجبه من الإجلال والإكرام الذي هو حال في القلب يظهر أثره على الجوارح، بل قارنه الاستخفاف والتسفيه والازدراء بالقول أو الفعل، كان وجود ذلك الاعتقاد كعدمه، وكان ذلك موجبا لفساد ذلك الاعتقاد، ومزيلا لما فيه من المنفعة والصلاح، إذ الاعتقادات الإيمانية تزكي النفوس وتصلحها، فمتى لم توجب زكاء النفس، ولا صلاحها، فما ذاك إلا لأنها لم ترسخ في القلب. (٢)) نواقض الإيمان القولية والعملية لعبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف – ص١٧

قال الإمام محمد بن إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني: (والإيمان في لسان الشرع هو التصديق بالقلب، والعمل بالأركان). (٣).

وقال الإمام البغوي: (اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان .. وقالوا: إن الإيمان قول وعمل وعقيدة). (٤)

وقال الحافظ ابن عبد البر: (أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية ... إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمى إيمانا (٥) ...).

(قال الإمام الشافعي في (كتاب الأم) .. وكان الإجماع من الصحابة، والتابعين من بعدهم ممن أدركنا: أن الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاثة عن الآخر) (٦).

وروى الإمام اللالكائي عن الإمام البخاري قوله: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص (٧).

والنصوص عن الأئمة كثيرة جدا في قولهم: إن الإيمان قول وعمل، نقل كثيرا منها المصنفون في عقيدة أهل السنة من الأئمة المتقدمين كالإمام اللالكائي وابن بطه وابن أبي عاصم وغيرهم.

ولا فرق بين قولهم: إن الإيمان قول وعمل، أو قول وعمل ونية، أو قول وعمل واعتقاد. فكل ذلك من باب اختلاف التنوع، فمن قال من السلف: إن الإيمان قول وعمل **أراد قول القلب واللسان** وعمل القلب والجوارح.

ومن زاد الاعتقاد رأى لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك، فزاد الاعتقاد بالقلب.

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧/ ١٧٠ - ١٧١) بتصرف يسير، وانظر: (٧/ ٥٠٥ - ٥٠٦).

(٢) ((الصارم المسلول)) (ص ٣٦٩ - ٣٧٠).

(٣) ((شرح صحيح مسلم)) للنووي (١/ ١٤٦).

(٤) ((شرح السنة)) (١/ ٣٨ - ٣٩).

(٥) ((التمهيد)) (٩/ ٢٣٨) وانظر (٩/ ٢٤٣) منه.

(٦) ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة)) (٥/ ٨٨٧).

(٧) ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة)) (٥/ ٨٨٦)، وذكره الحافظ ابن حجر في ((فتح الباري)) (١/ ٤٧).." [١]

"ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد (قول القلب)، وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية (عمل القلب)، فزاد ذلك (١).

خلاصة ما سبق من حقيقة الإيمان الشرعي أنها (مركبة من قول وعمل، والقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد، وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام.

والعمل قسمان: عمل القلب: وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح. فإذا زالت هذه الأربعة، زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة، وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة، فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب، وهو محبته وانقياده، كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول، بل ويقرون به سرا وجهرا، ويقولون: ليس بكاذب، ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به) (٢). نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف لمحمد بن عبد الله بن علي الوهيبي – ١/ ٣١

أجمع السلف ... (أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ومعنى ذلك أنه قول القلب، وعمل القلب، ثم قول اللسان، وعمل الجوارح) (٣).

فقول القلب هو: الـ (تصديق بالقلب، وإقراره، ومعرفته) (٤).

ويراد به: (التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويدخل فيه الإيمان بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم) (٥).

(وهذا أصل القول) (٦).

وأما عمل القلب فـ (هو حب الله ورسوله، وتعظيم الله ورسوله، وتعزير الرسول وتوقيره، وخشية الله والإنابة إليه، والإخلاص له، والتوكل عليه، إلى غير ذلك من الأحوال، فهذه الأعمال القلبية كلها من الإيمان، وهي مما يوجبها التصديق والاعتقاد، إيجاب العلة المعلول) (٧).

(وهذا أصل العمل) (٨).

(والفرق بين أقوال القلب وأعماله؛ أن أقواله هي العقائد التي يعترف بها ويعتقدها، وأما أعمال القلب فهي حركته التي يحبها الله ورسوله، وهي محبة الخير وإرادته الجازمة، وكراهية الشر والعزم على تركه) (٩).

وأما قول اللسان فهو (الإقرار بالله وبما جاء من عنده والشهادة لله بالتوحيد، ولرسوله بالرسالة، ولجميع الأنبياء والرسل، ثم التسبيح والتكبير، والتحميد، والتهليل، والثناء على الله، والصلاة على رسوله، والدعاء، وسائر الذكر) (١٠).

وأما عمل الجوارح فهو (أفعال سائر الجوارح من الطاعات والواجبات التي بني عليها الإسلام، أولها إتمام الطهارات كما أمر

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٨٨/٥

الله عز وجل، ثم الصلوات الخمس، وصوم شهر رمضان، والزكاة على ما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم حج البيت من استطاع إليه سبيلا، وترك الصلاة كفر، وكذلك جحود الصوم والزكاة والحج، والجهاد فرض على كفاية مع البر والفاجر، وسائر (الأعمال) التطوع التي يستحق بفعلها اسم زيادة الإيمان، والأفعال المنهي عنها التي بفعلها يستحق نقصان الإيمان) (١١).

فأعمال الجوارح تنشأ عن أعمال القلوب وهي أصله، وقول اللسان ينشأ **عن قول القلب وهو** أصله.

قال شيخ الإسلام: (فالإيمان لا بد فيه من هذين الأصلين:

---

(١) انظر: ((مجموع الفتاوى)) (٧/ ١٧١).

(٢) ((الصلاة وحكم تاركها)) لابن القيم (ص: ٥٤).

(٣) ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٧/ ٦٧٢).

(٤) ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٧/ ١٨٦).

(٥) ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٧/ ٦٧٢).

(٦) ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٧/ ٥٤٠).

(٧) ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٧/ ٦٧٢).

(٨) ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٧/ ٥٤٠).

(٩) ((شرح العقيدة الواسطية)) لصالح الفوزان (ص: ١٧٩).

(١٠) ((الإيمان)) لابن منده (١/ ٣٦٢).

(١١) ((الإيمان)) لابن منده (١/ ٣٦٢)." [(١)]

"التصديق بالحق، والمحبة له، فهذا أصل القول، وهذا أصل العمل.

ثم الحب التام مع القدرة يستلزم حركة البدن بالقول الظاهر والعمل الظاهر ضرورة ...

وإذا قام بالقلب التصديق به والمحبة له، لزم ضرورة أن يتحرك البدن بموجب ذلك من الأقوال الظاهرة، والأعمال الظاهرة ...) (١).

فلهذا كانت هذه الأربعة أجزاء في الإيمان وأركانه التي قام عليها بناؤه.

قال ابن القيم: (إن الإيمان قول وعمل؛ **والقول قول القلب واللسان**، والعمل عمل القلب والجوارح.

وبيان ذلك أن من عرف الله بقلبه ولم يقر بلسانه لم يكن مؤمنا، كما قال عن قوم فرعون: وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم [النمل: ١٤].

وكما قال عن قوم عاد وقوم صالح: وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٥/٣٨٩

وكانوا مستبصرين [العنكبوت: ٣٨].

وقال موسى لفرعون: قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصآئر [الإسراء: ١٠٢].

فهؤلاء حصلوا قول القلب، وهو المعرفة والعلم، ولم يكونوا بذلك مؤمنين.

وكذلك من قال بلسانه ما ليس في قلبه لم يكن بذلك مؤمنا، بل كان من المنافقين.

وكذلك من عرف بقلبه وأقر بلسانه لم يكن بمجرد ذلك مؤمنا حتى يأتي بعمل القلب من الحب والبغض والموالاة والمعاداة، فيحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ويوالي أولياء الله ويعادي أعداءه، ويستسلم بقلبه لله وحده، وينقاد لمتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم وطاعته والتزام شريعته ظاهرا وباطنا.

وإذا فعل ذلك لم يكف في كمال إيمانه حتى يفعل ما أمر به، فهذه الأركان الأربعة هي أركان الإيمان التي قام عليها بناؤه) (٢).

(فإن انتفت كلها اجتمع أنواع الكفر غير النفاق ...

وإن انتفى تصديق القلب مع عدم العلم بالحق فكفر الجهل والتكذيب ...

وإن كتم الحق مع العلم بصدقه فكفر الجحود والكتمان ...

وإن انتفى عمل القلب من النية والإخلاص والمحبة والإذعان مع انقياد الجوارح الظاهرة فكفر نفاق، سواء وجد التصديق المطلق أو انتفى، وسواء انتفى بتكذيب أو شك ...

وإن انتفى عمل القلب وعمل الجوارح مع المعرفة بالقلب والاعتراف باللسان فكفر عناد واستكبار ...

ومحال أن ينتفي انقياد الجوارح بالأعمال الظاهرة مع ثبوت عمل القلب، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)) (٣)) (٤). براءة أهل الحديث والسنة من بدعة المرجئة لمحمد بن سعيد الكثيري – ص: ٥٧

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٧/ ٥٤٠).

(٢) ((عدة الصابرين)) لابن القيم (ص: ١٢٩).

(٣) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (٤١٧٨). من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٤) ((معارج القبول)) لحافظ حكمي (٢/ ٢٢ – ٢٣).." (١)

"المسألة الأولى: الاعتقاد بالقلب

الاعتقاد عند السلف يتضمن ركنين قلبيين لا يغني أحدهما عن الآخر، ويلزم تحقيقهما مجتمعين في القلب ليدخل صاحبه في مسمى الإيمان:

الركن الأول: المعرفة والعلم والتصديق. ويطلق عليه (قول القلب).

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٩٠/٥

الركن الثاني: الالتزام والانقياد والتسليم. ويطلق عليه (عمل القلب).

أما عن الركن الأول وهو قول القلب، أو معرفة القلب للحق وتصديقه به، فلا نحسب أن أحدا من العقلاء يدفعه أو يجادل فيه فيقول مثلا: إن الإيمان لا يحتاج إلى المعرفة والتصديق.

يقول الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله –: (من جحد المعرفة والتصديق فقد قال قولا عظيما، فإن فساد هذا القول معلوم من دين الإسلام) اهـ (١).

وقد أورد صاحب (معارج القبول) سبعة شروط لمن ينطق بكلمة التوحيد قيد بها انتفاعه بالشهادتين في الدنيا والآخرة من الدخول في الإسلام والفوز بالجنة والنجاة من النار، فوضع بداهة على رأس هذه الشروط شرط المعرفة لحقيقة معناها فقال: (العلم بمعناها المراد منها نفيا وإثباتا، المنافي للجهل بذلك، قال الله – عز وجل –: فاعلم أنه لا إله إلا الله [محمد: ١٩]. وقال تعالى: إلا من شهد بالحق [الزخرف: ٨٦] أي: بلا إله إلا الله وهم يعلمون بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم) اهـ (٢).

ويقول البيضاوي في تفسير قوله تعالى: يا أيها الناس اعبدوا ربكم [البقرة: ٢١] في سورة البقرة: (فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها – أي العبادة – بعد الإتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والإقرار بالصانع، فإن من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم إلا به) اهـ (٣).

وأما عن الركن الآخر، وهو الالتزام والانقياد والتسليم والخضوع ولوازم ذلك كله من عمل القلب كالمحبة والتعظيم والتوكل والخشية والرجاء، فإن سلف الأمة وأئمتها متفقون على أنه للركن الأول وملازم له ولا يكون العبد مؤمنا إلا بهما.

وإلا فإن مجرد التصديق بالله ورسوله دون المحبة والتعظيم والانقياد لهما ليس إيمانا باتفاق هؤلاء الأئمة، بل هذا ظاهر ثابت بدلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة، بل ذلك معلوم بالاضطرار من دين الإسلام (٤). والتصديق الذي لا يكون معه شيء من ذلك ليس إيمانا ألبتة، بل هو كتصديق فرعون واليهود وإبليس (٥).

يقول الإمام ابن تيمية: (فإن الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب، ولا بد فيه من شيئين:

– تصديق بالقلب، وإقراره ومعرفته، ويقال لهذا قول القلب. قال الجنيد بن محمد: التوحيد قول القلب، والتوكل عمل القلب، فلا بد فيه **من قول القلب وعمله**، ثم قول البدن وعمله.

ولا بد فيه من عمل القلب، مثل حب الله ورسوله، وخشية الله، وحب ما يحبه الله ورسوله، وبغض ما يبغضه الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده، وتوكل القلب على الله وحده، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها من الإيمان) اهـ (٦).

ويشرح الإمام محمد بن نصر المروزي في كتابه (الصلاة) حديث جبريل عن الإيمان والإسلام والإحسان فيقول: (أما قوله: الإيمان أن تؤمن بالله:

فأن توحده وتصدق به بالقلب واللسان.

وتخضع له ولأمره بإعطاء العزم للأداء لما أمر، مجانبا للاستنكاف والاستكبار والمعاندة، فإذا فعلت ذلك لزمت محآبه صلى

الله عليه وسلم، واجتنبت مساخطه) اهـ (٧).

---

(١) ((الإيمان)) لابن تيمية (ص: ٣٧٦، ٣٧٧).

(٢) ((معارج القبول)) (١/ ٣٠٧ - ٣٠٨).

(٣) ((تفسير البيضاوي)) (ص: ١٦).

(٤) ((الإيمان)) لابن تيمية (ص: ٣٨١).

(٥) ((الإيمان)) لابن تيمية (ص: ٢٩١، ٢٩٢).

(٦) ((الإيمان)) لابن تيمية (ص: ١٧٦).

(٧) ((تعظيم قدر الصلاة)) (١/ ٣٩٢ - ٣٩٣)." [١]

"ويقول الإمام ابن القيم في مجال شرح عمل القلب: (ونحن نقول: الإيمان هو التصديق، ولكن ليس التصديق مجرد اعتقاد صدق المخبر دون الانقياد له، ... فالتصديق إنما يتم بأمرين: أحدهما: اعتقاد الصدق، والثاني: محبة القلب وانقياده) (١).

ويقول ابن القيم: (فإن الإيمان ليس مجرد التصديق —كما تقدم بيانه — وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد) اهـ (٢).

(٢) الملاحظة الثانية: أن (التصديق) بمعناه الخبري – وهو مجرد أن يقع في القلب نسبة الصدق إلى المخبر والخبر من غير إذعان وقبول – يساوي تماما عند السلف والأئمة معنى (العلم) أو (المعرفة): إذ لم يتصور هؤلاء الأئمة بل وجمهور العقلاء فرقا واحدا معقولا بين العلم والمعرفة، وبين التصديق.

يقول ابن تيمية: (فإن الفرق بين معرفة القلب وبين مجرد تصديق القلب الخالي عن الانقياد الذي يجعل قول القلب، أمرا دقيقا، وأكثر العقلاء ينكرونه، وبتقدير صحته لا يجب على كل أحد أن يوجب شيئين لا يتصور الفرق بينهما، وأكثر الناس لا يتصورون الفرق بين معرفة القلب وتصديقه، ويقولون إن ما قاله ابن كلاب والأشعري من الفرق كلام باطل لا حقيقة له، وكثير من أصحابه اعترف بعدم الفرق ... والمقصود هنا أن الإنسان إذا رجع إلى نفسه عسر عليه التفريق بين علمه بأن الرسول صادق، وبين تصديق قلبه تصديقا مجردا عن انقياد وغيره من أعمال القلب بأنه صادق) اهـ (٣).

(٣) والملاحظة الثالثة: أن (المعرفة) **أو قول القلب التي** اشترطها السلف كركن أصلي للإيمان غير (المعرفة) التي اشترطها المعتزلة وغيرهم من المتكلمين، فالمعرفة التي اشترطها السلف هي تحقق العلم المنافي للجهل، أي: أن يعرف المرء حقيقة ما يؤمن به، سواء تحققت هذه المعرفة عن طريق التقليد أو عن طريق النظر والاستدلال.

وأما المعرفة التي اشترطها المعتزلة وأمثالهم فهي أن يعرف المرء أصول دينه عن طريق النظر والدليل العقلي وحده، لا عن طريق التقليد أو السماع.

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٥/٤١٤

يقول البدر العيني: (قال أهل السنة: من اعتقد أركان الدين من التوحيد والنبوة والصلاة والزكاة والصوم والحج، تقليدا، فإن اعتقد مع ذلك جواز ورود شبهة عليها وقال: لا آمن ورود شبهة تفسدها، فهو كافر. وإن لم يعتقد جواز ذلك بل جزم على ذلك الاعتقاد، فقد اختلفوا فيه ...

وقال عامة المعتزلة: إنه ليس بمؤمن ولا كافر. وقال أبو هاشم: إنه كافر. فعندهم إنما يحكم بإيمانه إذا عرف ما يجب الإيمان به من أصول الدين، بالدليل العقلي على وجه يمكنه مجادلة الخصوم وحل جميع ما يورد عليه من الشبه، حتى إذا عجز عن شيء من ذلك لم يحكم بإسلامه) (٤). حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة لمحمد عبد الهادي المصري – ص ٢٥

---

(١) ((كتاب الصلاة)) لابن القيم (ص: ١٩، ٢٠).

(٢) ((كتاب الصلاة)) لابن القيم (ص: ٢٥).

(٣) ((الإيمان)) لابن تيمية (ص: ٣٨١ – ٣٨٣).

(٤) ((عمدة القاري)) (١/ ١٠٦، ١٠٧).." [1]

"العنصر الثاني الإقرار باللسان

الإقرار باللسان عند السلف عنصر أصلي من عناصر الإيمان، فلا يتصور تحقق الإيمان القلبي التام **من قول القلب وعمله** دون تحقق الإقرار باللسان، فهو على هذا الأساس يكون من جهة، عبارة عن (إنشاء) عقد جديد يتضمن الالتزام والانقياد، ومن جهة أخرى يكون عبارة عن (إخبار) عما في النفس من اعتقاد.

فمن استخدم لفظ (الإقرار) بمعناه العام هذا من الإخبار والالتزام وقال إن الإيمان هو الإقرار، فالخلاف معه خلاف لفظي، ومن استخدم اللفظ في المعنى الأخير وحده وهو الإخبار لزمه في تعريف الإيمان أن يضيف إليه الاعتقاد بالقلب.

يقول ابن تيمية: (ولفظ الإقرار يتضمن الالتزام، ثم إنه يكون على وجهين:

أحدهما: الإخبار، وهو من هذا الوجه كلفظ التصديق، والشهادة، ونحوهما. وهذا معنى الإقرار الذي يذكره الفقهاء في كتاب الإقرار.

والثاني: إنشاء الالتزام، كما في قوله تعالى: أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين [آل عمران: ٨١] وليس هو هنا بمعنى الخبر المجرد ... فهذا الالتزام للإيمان والنصر للرسول – وكذلك لفظ الإيمان – فيه إخبار وإنشاء التزام) اهـ (١).

فالإقرار باللسان إذن نتيجة تلقائية للتعبير عن تحقق الإيمان القلبي من تصديق بالحق وانقياد له. (ولذلك فإن العرب لا تعرف في لغتها التصديق والتكذيب إلا ما كان معنى ولفظا أو لفظا يدل على معنى، فلا يوجد في كلام العرب أن يقال: فلا صدق فلانا أو كذبه إذا كان يعلم بقلبه أنه صادق أو كاذب ولم يتكلم بذلك. فمن لم يصدق بلسانه مع القدرة لا يسمى في لغة القوم مؤمنا، كما اتفق على ذلك سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان. فمن صدق بقلبه ولم

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٥/٤١٧

يتكلم بلسانه فإنه لا يعلق به شيء من أحكام الإيمان لا في الدنيا ولا في الآخرة، إذ لم يجعل الله أحدا مصدقا للرسل بمجرد العلم والتصديق الذي في قلوبهم، حتى يصدقوهم بألسنتهم. ولهذا كان القول الظاهر من الإيمان الذي لا نجاة للعبد إلا به عند عامة السلف والخلف من الأولين والآخرين، حيث اتفق المسلمون على أن من لم يأت بالشهادتين مع القدرة على ذلك فهو كافر، وهو كافر باطنا وظاهرا عند سلف الأمة وأئمتها) (٢).

يقول البدر العيني: (اتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على ما قاله النووي: إن المؤمن الذي يحكم بأنه من أهل القبلة ولا يخلد في النار، لا يكون من اعتقد بقلبه دين الإسلام اعتقادا جازما خاليا من الشكوك، ونطق مع ذلك بالشهادتين.

قال: فإن اقتصر على أحدهما لم يكن من أهل القبلة أصلا، بل يخلد في النار إلا أن يعجز عن النطق لخلل في لسانه، أو لعدم التمكن منه لمعاجلة المنية، أو لتغير ذلك، فإنه حينئذ يكون مؤمنا بالاعتقاد من غير لفظ) اهـ (٣).

ولا بد أن نقرر هنا – وبناء على كل ما سبق – أن التلفظ بالشهادتين إذن ليس مقصودا لذاته، وإنما المقصود هو الإعلان عن تحقيق مدلولهما من:

الإقرار بالتوحيد (ولوازمه من النبوة والبعث).

ترك الشرك والتبرئ منه.

التزام شرائع الإسلام.

فإذا لم تعبر الشهادة عن نفس هذه المعاني لم تقبل من قائلها، حتى تكون تعبيرا واقعيا عن مدلولها. وإذا عبر عن نفس هذه المعاني بكلمات أخرى قبلت من قائلها، حتى يلقن الشهادتين أو يتعلمهما أو يحسن التكلم بهما.

---

(١) ((الإيمان الأوسط)) (ص: ٧٢، ٧٣).

(٢) راجع: ((الإيمان)) لابن تيمية (ص: ١٢٦، ١٣١، ١٣٥، ٢٠٧، ٢٨٧). وراجع ((الإيمان الأوسط)) (ص: ٩٥، ١٥١).

(٣) ((عمدة القاري)) (١/ ١١٠).." [1]

"قال الحافظ في (الفتح) عند الكلام على حديث: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله)) (١) في باب قتل من أبى من قبول الفرائض من كتاب استتابة المرتدين والمعاندين ما لفظه: وفيه منع قتل من قال لا إله إلا الله ولو لم يزد عليها، وهو كذلك، لكن هل يصير بمجرد ذلك مسلما؟ الراجح لا، بل يجب الكف عن قتله حتى يختبر، فإن شهد بالرسالة والتزم أحكام الإسلام حكم بإسلامه، وإلى ذلك الإشارة بالاستثناء بقوله: إلا بحق الإسلام.

قال البغوي: الكافر إذا كان وثنيا أو ثنويا لا يقر بالوحدانية، فإذا قال: لا إله إلا الله حكم بإسلامه، ثم يجبر على قبول جميع الأحكام، ويبرأ من كل دين خالف الإسلام. وأما من كان مقرا بالوحدانية منكرا للنبوة فإنه لا يحكم بإسلامه حتى

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤٢٣/٥

يقول: محمد رسول الله. فإن كان يعتقد أن الرسالة المحمدية إلى العرب خاصة، فلا بد أن يقول: إلى جميع الخلق، فإن كان كفره بجحود واجب أو استباحة محرم فيحتاج إلى أن يرجع عن اعتقاده.

قال الحافظ: ومقتضى قوله يجبر، أنه إذا لم يلتزم يجرى عليه حكم المرتد، وبه صرح القفال، واستدل بحديث الباب وادعى أنه لم يرد في خبر من الأخبار أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وهي غفلة عظيمة، فإن ذلك ثابت في الصحيحين في كتاب الإيمان منهما (٢) كما قدمنا الإشارة إلى ذلك. اهـ.) (٣).

فالقضية إذن هي قضية تحقق أصل الإيمان في القلب، ثم التعبير عن تحقق هذا الأصل باللسان. فالشهادة إذن ليست حجابا من الكلمات التي يتمتم بها قائلها فترفع عنه السيف في الدنيا ثم تستره من العذاب في الآخرة، دون أن يكون لها أية حقيقة في قلبه وفي ظاهر أمره، من العلم والمعرفة والتصديق بالحق على ما هو عليه فعلا، ثم الخضوع والانقياد والاستسلام له، ومحبته والالتزام به وتعظيمه ولوازم ذلك كله، من كراهية الباطل والانخلاع عنه والتبرئ منه، والالتزام بشريعة الرسول والدخول في طاعته ومحبته وتوقيره صلى الله عليه وسلم. حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة لمحمد عبد الهادي المصري – ص ٣٣

مسألة: علاقة قول اللسان بقول القلب وعمله

إن قول القلب: هو متعلق التوحيد الخبري الاعتقادي.

وعمل القلب: وهو متعلق التوحيد الطلبي الإرادي.

فإن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر يتضمن توحيد الأسماء والصفات، وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما أخبر عن ربه من الكتب وما فيها، والملائكة وأعمالهم وصفاتهم، والنبيين ودعوتهم وأخبارهم، وأحوال البرزخ والآخرة، والمقادير وسائر المغيبات.

فالإقرار بهذا والتصديق به مجملا أو مفصلا هو قول القلب، وهو التوحيد الخبري الاعتقادي.

وعمل القلب ... يتضمن توحيد الله عز وجل بعبادته وحده حبا وخوفا ورجاء ورغبة ورهبة وإنابة وتوكلا وخشوعا واستعانة ودعاء وإجلالا وتعظيما وانقيادا، وتسليما لأمره الكوني وأمره الشرعي، ورضا بحكمه القدري والشرعي، وسائر أنواع العبادة التي صرفها لغير الله شرك (٤).

---

(١) رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (١٣٨). من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (١٣٨). من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) ((نيل الأوطار)) للشوكاني (٨/ ٩، ١٠) باب ما يصير به الكافر مسلما.

(٤) كما يتضمن عمل القلب أعمالا دون ذلك مما افترضها الله وجعلها من واجبات الإيمان، كمحبة المؤمنين والنصح لهم، والتواضع، والشفقة، واجتناب الكبر والحسد، ونحو ذلك.." [1]

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤٢٥/٥

"المسألة الأولى: العلاقة بين إيمان القلب وعمل الجوارح

إن العلاقة بين إيمان القلب وعمل الجوارح لمن أهم قضايا الإيمان، ومن عدم فهمها دخل الضلال على المرجئة بل على أكثر المسلمين، حين ظنوا أنه يمكن أن يكون إنسان كامل الإيمان في القلب مع عدم عمل الجوارح مطلقا. كما ظنوا أن تماثل الناس في أعمال الجوارح يقتضى تماثل إيمانهم وأجورهم، ولم يدركوا أنه بحسب علاقة عمل الجارحة بعمل القلب يكون الحكم على العمل والثواب عليه، فقد يتفق العملان في المظهر والأداء، وبينهما مثل ما بين السماء والأرض في الدرجة والأجر.

وأساس فهم هذه القضية أن نعلم حقيقة الترابط بين أجزاء الإيمان على ضوء مذهب السلف.

فقد قررنا أن الإيمان قول وعمل وأن ذلك يشمل القلب والجوارح معا ...... ،

فهذان الركنان - القول والعمل - أو الأربعة الأجزاء **- قول القلب وعمله** وقول اللسان وعمل الجوارح - يتركب منهما هيئة مجتمعة أو حقيقة جامعة لأمور، هذه الهيئة والحقيقة هي (الإيمان الشرعي) كما أن حقيقة الإنسان مركبة من الجسد والروح أو العقل والوجدان، وكما أن الشجرة تتركب من الجذور الضاربة في الأرض والساق والأغصان الظاهرة.

ومما يوضح ذلك تشبيه تركيب الإيمان بالتركيب الكيميائي: مثلما يتركب الملح مثلا من الكلور والصوديوم أو يتركب جزيء الماء من ذرتي هيدروجين وذرة أكسجين بحيث لو انتفى التركيب لانتفت الحقيقة مطلقا وتحولت الأجزاء إلى أشياء مختلفة تماما.

ولكن لا يقف التركيب عند هذا الحد، بل يجب أن نضيف إليه أن هذه الأجزاء أو الهيئة المركبة تتكون تفصيلا من بضع وسبعين شعبة، وكل شعبة منها قابلة للتفاوت بين أعلى درجات الكمال وأدنى درجات النقص أو الاضمحلال والعدم.

وبهذا نفهم اندراج كل الأعمال والطاعات فرضا أو نفلا في مسمى الإيمان المطلق ودخولها في حقيقته الجامعة، كما يظهر تفاوت الناس في الإيمان ودرجاته، ومن أظهر الأدلة على هذا التركيب والامتزاج أنه قد وردت النصوص بتسمية الإيمان عملا وتسمية العمل إيمانا:

فأما تسمية الأعمال إيمانا فنصوص كثيرة جدا، حتى إن البخاري رحمه الله عقد في كتاب الإيمان من الصحيح تراجم كثيرة لذلك: مثل (باب الجهاد من الإيمان، باب تطوع قيام رمضان من الإيمان، باب صوم رمضان من الإيمان، باب الصلاة من الإيمان، باب اتباع الجنائز من الإيمان) ونحو ذلك، وأورد في ذلك الأحاديث الصحيحة التي شاركه في إخراجها كتب السنة الأخرى.

وأما تسمية الإيمان عملا فقد عقد أيضا له (باب من قال إن الإيمان هو العمل، لقوله تعالى: وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون [الزخرف: ٧٢]. وقال عدة من أهل العلم في قوله تعالى: فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون [الحجر: ٩٢ - ٩٣]: عن قول لا إله إلا الله. وقال: لمثل هذا فليعمل العاملون [الصافات: ٦١]).

ثم روى البخاري بسنده عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل: أي العمل أفضل؟ فقال ((إيمان بالله ورسوله)) قيل: ثم ماذا؟ قال: ((الجهاد في سبيل الله))، قيل: ثم ماذا؟ قال: ((حج مبرور)) (١).

(١) رواه البخاري (٢٦)، ورواه مسلم (٨٣).." [١]

"وهذا الحديث رواه الإمام أحمد عن عبيدالله بن أسلم مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١)، وعن عبدالله بن حبشي الخثعمي (٢)، ورواه أبو داود الطيالسي عن أبي هريرة (٣) أيضا ورواه غيرهم عن أبي ذر (٤).

ومن ذلك قوله تعالى: وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون [سبأ: ٣٧].

فقوله: بما عملوا يشمل إيمانهم بقلوبهم وأعمالهم الصالحة بجوارحهم المذكورين قبل.

وهذا ما فهمه السلف الصالح وأجمعوا على معناه -كما سبق في فصل حقيقة الإيمان الشرعية -، قال الوليد بن مسلم: (سمعت الأوزاعي ومالك بن أنس وسعيد بن عبدالعزيز ينكرون قول من يقول: إن الإيمان قول بلا عمل. ويقولون: لا إيمان إلا بعمل ولا عمل إلا بإيمان) (٥).

وقد سبق إيراد قول الإمام الأوزاعي رحمه الله: (كان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل، العمل من الإيمان والإيمان من العمل، وإنما الإيمان اسم يجمع كما يجمع هذه الأديان اسمها، ويصدقه العمل)، وقول الشافعي رحمه الله: (وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ أحد الثلاثة إلا بالآخر) (٦).

ولنوضح ذلك بمثالين: أحدهما من أعمال الجوارح والآخر من أعمال القلوب، يظهر في كل منها حقيقة العلاقة التلازمية وحقيقة التفاوت:

١ - الصلاة:

وهي من أعمال الجوارح، وقد ورد تسميتها إيمانا في القرآن، قال تعالي: وما كان الله ليضيع إيمانكم أي صلاتكم إلى بيت المقدس (٧) ، وهي بلا ريب أعظم شعب الإيمان العملية الظاهرة بعد الشهادتين، فلو تأملنا لوجدنا أنها تشمل أجزاء الإيمان الأربعة، وهي قول القلب: وهو إقراره وتصديقه بوجوبها، وعمل القلب: وهو الانقياد والإذعان بالإرادة الجازمة وتحريك الجوارح لفعلها والنية حال أدائها، وعمل اللسان: وهو القراءة والأذكار الواردة فيها، وعمل الجوارح: وهو القيام والركوع والسجود وغيرها.

٢ - الحياء:

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٣٤٢) (١٩٠٣٢). من حديث ماعز وليس عبيدالله بن أسلم رضي الله عنهما. قال المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (٢/ ١٦٦): رواه أحمد إلى ماعز رواة الصحيح، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٣/ ٢١٠): رجال أحمد رجال الصحيح، وقال ابن حجر في ((الإصابة)) (٣/ ٣٣٧): رواته ثقات، وصححه الألباني في ((صحيح

---

[١] الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤٢٩/٥

الجامع)) (١٠٩١).

(٢) رواه أحمد (٣/ ٤١١) (١٥٤٣٧)، ورواه النسائي (٨/ ٤٦٩). والحديث حسنه ابن حجر في ((تخريج مشكاة المصابيح)) (٤/ ١٦) كما أشار لذلك في المقدمة، وقال الألباني في ((صحيح سنن النسائي)): صحيح.

(٣) رواه الطيالسي (ص: ٣٢٩) (٢٥١٨). والحديث رواه البخاري (٢٦)، ومسلم (٨٣).

(٤) رواه البخاري (٢٥١٨)، ومسلم (٨٤).

(٥) رواه الطبري في ((صريح السنة)) (ص: ٢٥)، واللالكائي في ((اعتقاد أهل السنة)) (٤/ ٩٣٠) (١٥٨٦).

(٦) انظر: ((جامع العلوم والحكم)) (١/ ٥٧) و ((الإيمان)) لابن تيمية (ص: ٢٨٠).

(٧) انظر الفتح (١/ ٩٥) كما ورد تسميتها إيمانا في حديث وفد عبد الفيس السابق وغيره، ومع ذلك أخرج المرجئة الصلاة من الإيمان وأولو الآية بأن المراد ليس صلاتكم بل التصديق بها، انظر المواقف ص ٣٨٦." [1]

"وهو عمل قلبي، وقد صح تسميته إيمانا في حديث الشعب وغيره، ومع ذلك فلا يمكن تصور وجوده في القلب إلا بظهور أثره على اللسان والجوارح، وبمقدار حياء الجوارح يقاس حياء القلب. وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة، منها في الأفعال قصة الثلاثة الذين دخلوا علي النبي صلي الله عليه وسلم وهو في الحلقة، فدخل أحدهم فيها وأعرض الثالث، وأما الأوسط فتردد ثم جلس خلفهم، فقال عنه النبي صلي الله عليه وسلم ((وأما الآخر فاستحيا، فاستحيا الله منه)) (١)، أي إنما منعه من الذهاب حياؤه، فشهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالحياء بناء على فعله، فلو ذهب لقال فيه ما قال فيمن ذهب.

وأما الحياء في القول، فمنه قول علي رضي الله عنه: ((كنت رجلا مذاء، فاستحييت أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمرت المقداد بن الأسود فسأله)) (٢)، فما في قلب علي رضي الله عنه من الحياء منعه من السؤال بنفسه، وهذا مما يعلمه كل إنسان في نفسه، أي متى يستحي وممن يستحي بحسب ما في قلبه.

ثم يأتي بعد هذا مسألة التفاوت في الصلاة والتفاوت في الحياء، فصلاة يقترن بها الخشوع وحضور القلب وحسن الأداء لا تكون كأخرى منقورة نقر الغراب، وكذلك حياء مقرون به زيادة التقوى وحسن السمت وورع اللسان لا يكون كحياء رجل ليس لديه إلا ما يمسكه عما يفعله أو يقوله من لا حياء له.

ومثل هذا التفاوت هو الواقع في الإيمان كله بحسب كمال الشعب جميعها أو كمال بعضها دون بعض أو فقدان بعضها بالكلية.

هذا في الأفعال، والحال في التروك كذلك، فلنمثل لها أيضا بمثالين:

١ - ترك الزنا:

وهو عمل الجارحة، وهو من الإيمان بدليل نفي الشارع الإيمان عمن فعله، وهو يشمل قول القلب، أي الإقرار بحرمته وتصديق الشارع في ذلك؛ وعمل القلب، وهو الانقياد والإذعان بالكره والنفور والإرادة الجازمة لإمساك الجوارح عنه؛ وعمل

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٥/٤٣٠

الجوارح، وهو الكف عن فعله ومقدماته.

فمن ارتكب هذه الفاحشة بجوارحه فإن عمل قلبه مفقود بلا شك – خاصة حين الفعل –، لأن الإرادة الجازمة على الترك يستحيل معها وقوع الفعل، فمن هنا نفى الشارع عنه الإيمان تلك اللحظة ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)) (٣)، لكن **وجود قول القلب عنده** منع من الحكم بخروجه من الإيمان كله خلافا للخوارج، فلو أظهر ما يدل على انتفاء إيمان القلب واستحلاله له لكان خارجا من الملة عند أهل السنة والجماعة، أما مجرد الفعل فإنما يدل على انتفاء عمل القلب لا قوله.

٢ – ترك الحسد:

وهو من أعمال القلب، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يجتمع والإيمان في قلب (٤)، فلا يتصور خلو القلب من الحسد مع وجود آثاره ودلائله على الجوارح، كما لا يستطيع أحد أن يدعي أن فلانا حسود مع عجزه عن الإتيان بدليل ظاهر من عمله.

---

(١) رواه البخاري (٦٦)، ومسلم (٢١٧٦). من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (١٧٨)، ومسلم (٣٠٣). من حديث علي رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه النسائي (٦/ ١٢) بلفظ: ((ولا يجتمعان في قلب عبد الإيمان والحسد))، وأحمد (٢/ ٣٤٠) (٨٤٦٠) بلفظ: ((ولا يجتمعان في قلب عبد الإيمان والشح))، وابن حبان (١٠/ ٤٦٦) (٤٦٠٦)، والحاكم (٢/ ٨٢)، والبيهقي (٩/ ١٦١) (١٨٢٨٩)، وفي ((شعب الإيمان)) (٥/ ٢٦٦) (٦٦٠٩). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الطبري في ((مسند عمر)) (١/ ١٠٢): إسناده صحيح، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وحسنه ابن مفلح في ((الآداب الشرعية)) (٣/ ٣٠٣)، وابن حجر في ((تخريج مشكاة المصابيح)) (٢/ ٢٨٠) كما أشار إلى ذلك في المقدمة، والألباني في ((صحيح سنن النسائي)).." [١]

"ويلاحظ هنا أن شيخ الإسلام يسوي بين القول بأن الإيمان هو المعرفة، والقول بأنه مجرد التصديق، وقد قال في بيان ذلك: (وأيضا فإن الفرق بين معرفة القلب وبين مجرد تصديق القلب الخالي عن الانقياد الذي يجعل قول القلب، أمر دقيق، وأكثر العقلاء ينكرونه. وبتقدير صحته، لا يجب على كل أحد أن يوجب شيئين لا يتصور الفرق بينهما، وأكثر الناس لا يتصورون الفرق بين معرفة القلب وتصديقه، ويقولون: إن ما قاله ابن كلاب والأشعري من الفرق كلام باطل لا حقيقة له، وكثير من أصحابه اعترف بعدم الفرق) (١)، إلى أن قال: (والمقصود هنا أن الإنسان إذا رجع إلى نفسه عسر عليه التفريق بين علمه بأن الرسول صادق، وبين تصديق قلبه تصديقا مجردا عن انقياد وغيره من أعمال القلب بأنه صادق) (٢) ...

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤٣١/٥

والحاصل أن جهما ومن وافقه يرون أن الإيمان هو مجرد المعرفة أو التصديق، وأن ذلك ينفع صاحبه ولو لم يتكلم قط بالإسلام، ولا فعل شيئا من واجباته. ومع ذلك فقد التزم جهم بتكفير من كفره الشرع كإبليس وفرعون، زاعما أنه لم يكن في قلبيهما شيء من المعرفة بالله.

ولاشك أن إلزام الجهمية بالقول بإيمان إبليس وفرعون لوجود التصديق منهما- كما سيأتي- إلزام لا محيد لهم عنه، ولهذا اضطربوا في الجواب عنه.

قال ابن القيم: (ومن قال إن الإيمان هو مجرد اعتقاد صدق الرسول فيما جاء به وإن لم يلتزم متابعته، وعاداه وأبغضه، وقاتله، لزمه أن يكون هؤلاء كلهم مؤمنين، وهذا إلزام لا محيد عنه، ولهذا اضطرب هؤلاء في الجواب عن ذلك لما ورد عليهم، وأجابوا بما يستحي العاقل من قوله، كقول بعضهم: إن إبليس كان مستهزئا ولم يكن يقر بوجود الله ولا بأن الله ربه وخالقه، ولم يكن يعرف ذلك، وكذلك فرعون وقومه لم يكونوا يعرفون صحة نبوة موسى، ولا يعتقدون وجود الصانع.

وهذه فضائح نعوذ بالله من الوقوع في أمثالها، ونصرة المقالات وتقليد أربابها تحمل على أكثر من هذا، ونعوذ بالله من الخذلان) (٣).

وقد دلت الأدلة على أن إبليس كان عارفا بالله، مصدقا بربوبيته، وكذلك كان فرعون، كما قال سبحانه عن إبليس: قال رب بمآ أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين [الحجر:٣٩]، وقال: قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين [ص:٨٢].

وقال عن فرعون وقومه: وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين [النمل:١٤]، وقال حاكيا قول موسى صلى الله عليه وسلم لفرعون: قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصآئر وإني لأظنك يا فرعون مثبورا [الإسراء:١٠٢]، فدل هذا على أن إبليس وفرعون كانا مصدقين، وأن الكفر لا يختص بالتكذيب، أو الجهل، كما زعم جهم ومن وافقه. الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل وكشف شبهات المعاصرين لمحمد بن محمود آل خضير – ١/ ١٩٩.

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) (٧/ ٣٩٨).

(٢) ((مجموع الفتاوى)) (٧/ ٤٠٠).

(٣) ((مفتاح دار السعادة)) (١/ ٩٤).." (١)

"وقال: (والحزب الثاني (١) وافقوا أهل السنة على أنه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد، ثم ظنوا أن هذا لا يكون إلا مع وجود كمال الإيمان؛ لاعتقادهم أن الإيمان لا يتبعض، فقالوا: كل فاسق فهو كامل الإيمان، وإيمان الخلق متماثل لا متفاضل، وإنما التفاضل في غير الإيمان من الأعمال. وقالوا: الأعمال ليست من الإيمان؛ لأن الله فرق بين الإيمان والأعمال في كتابه. ثم قال الفقهاء المعتبرون من أهل هذا القول: إن الإيمان هو تصديق القلب وقول اللسان، وهذا المنقول عن حماد بن أبي سليمان ومن وافقه كأبي حنيفة وغيره) (٢).

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٥/٤٤١

وحاصل ما عليه مرجئة الفقهاء هو ما يلي:

١ – أن الإيمان تصديق بالقلب وقول باللسان.

٢ – إخراج العمل الظاهر من مسمى الإيمان.

٣ – أن الإيمان لا يتبعض ولا يزيد ولا ينقص.

٤ – أن أهله متساوون في أصله، وأن التفاضل إنما يقع في غير الإيمان.

٥ – أنه لا يستثنى فيه.

٦ – أما أعمال القلوب، فظاهر كلامهم أنها ليست من الإيمان. وهو ظاهر ما نقله أصحاب المقالات عنهم أيضا. وقد سبق قول شيخ الإسلام عنهم: (لكنهم إذا لم يدخلوا أعمال القلوب في الإيمان لزمهم قول جهم، وإن أدخلوها في الإيمان لزمهم دخول أعمال الجوارح أيضا؛ فإنها لازمة لها).

وقال: (والمرجئة ثلاثة أصناف: الذين يقولون: الإيمان مجرد ما في القلب، ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب، وهم أكثر فرق المرجئة، كما قد ذكر أبو الحسن الأشعري أقوالهم في كتابه، وذكر فرقا كثيرة يطول ذكرهم، لكن ذكرنا جمل أقوالهم. ومنهم من لا يدخلها في الإيمان كجهم ومن اتبعه كالصالحي، وهذا الذي نصره هو وأكثر أصحابه.

والقول الثاني: من يقول: هو مجرد قول اللسان، وهذا لا يعرف لأحد قبل الكرامية.

والثالث: تصديق القلب وقول اللسان، وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم. وهؤلاء غلطوا من وجوه: أحدها: ظنهم أن الإيمان الذي فرضه الله على العباد متماثل في حق العباد، وأن الإيمان الذي يجب على شخص يجب مثله على كل شخص) (٣).

إلى أن قال –بعد استطراد–: (الوجه الثاني من غلط المرجئة: ظنهم أن ما في القلب من الإيمان ليس إلا التصديق فقط دون أعمال القلوب كما تقدم عن جهمية المرجئة.

الثالث: ظنهم أن الإيمان الذي في القلب يكون تاما بدون شيء من الأعمال، ولهذا يجعلون الأعمال ثمرة الإيمان ومقتضاه بمنزلة السبب مع المسبب، ولا يجعلونها لازمة له، والتحقيق أن إيمان القلب التام يستلزم العمل الظاهر بحسبه لا محالة، ويمتنع أن يقوم بالقلب إيمان تام بدون عمل ظاهر) (٤).

فصرح بأن الجهمية يخرجون أعمال القلوب من الإيمان، وهذا يذكره في مواضع، أما مرجئة الفقهاء فتراه لا يجزم هنا بقولهم في هذه المسألة، لكنه قال في موضع آخر: (وعند الجهمية الإيمان مجرد تصديق القلب وعلمه، هذا قول جهم والصالحي والأشعري في المشهور عنه وأكثر أصحابه. وعند فقهاء المرجئة: هو قول اللسان مع تصديق القلب، وعلى القولين أعمال القلوب ليست من الإيمان عندهم كأعمال الجوارح، فيمكن أن يكون الرجل مصدقا بلسانه وقلبه مع كراهة ما نزل الله) (٥).

وقال أيضا: (ومن هنا غلطت الجهمية والمرجئة، فإنهم جعلوا الإيمان من باب القول: **إما قول القلب الذي** هو علمه، أو معنى غير العلم عند من يقول ذلك، وهذا قول الجهمية ومن تبعهم كأكثر الأشعرية، وبعض متأخري الحنفية. **وإما قول**

القلب واللسان، كالقول المشهور عن المرجئة، ولم يجعلوا عمل القلب مثل حب الله ورسوله ومثل خوف الله من الإيمان، فغلطوا في هذا الأصل) (٦).

ومما يرجح أنهم لا يدخلون أعمال القلوب في الإيمان، ما قاله الطحاوي– وسبق نقله- أن الإيمان واحد وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالخشية والتقى. ولا شك أن الخشية والتقى من أعمال القلوب، وقد دخلها التفاضل لأنها ليست من الإيمان.

وسبق أيضا قول شيخ الإسلام عنهم: (وإيمان الخلق متماثل لا متفاضل، وإنما التفاضل في غير الإيمان من الأعمال. وقالوا: الأعمال ليست من الإيمان).

فحيث أثبتوا التفاضل في أعمال القلوب، دل ذلك على أنها خارجة عن مسمى الإيمان عندهم. الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل وكشف شبهات المعاصرين لمحمد بن محمود آل خضير – ١/ ٢٧١

---

(١) أي: من القائلين بأن الإيمان لا يتبعض ولا يتفاضل. والحزب الأول هم الخوارج والمعتزلة.

(٢) ((مجموع الفتاوى)) (١٨/ ٢٧١).

(٣) ((مجموع الفتاوى)) (٧/ ١٩٥) وما بعدها.

(٤) ((مجموع الفتاوى)) (٧/ ٢٠٤).

(٥) ((منهاج السنة النبوية)) (٥/ ٢٨٨).

(٦) ((جامع المسائل)) لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥/ ٢٤٦).." [١]

"تمهيد

اتفق أئمة أهل السنة والجماعة – سلفا وخلفا – على أن الإيمان: قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح؛ يزيد بالطاعة وكثرة العبادة، وينقص بالمعصية والغفلة، وقد حكى الإجماع على ذلك أكثر أهل العلم – رحمهم الله – بل أصبح هذا القول من مميزات أهل السنة والجماعة، والفارقة بينهم وبين أهل البدع والأهواء ....

وعلى هذه العقيدة توفي الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى هذا المنهج كان جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان: من المحدثين، والفقهاء، وجميع أئمة الدين، ولم يخالفهم أحد من السلف والخلف؛ إلا الذين مالوا عن الحق في هذا الأمر، وجانبوا الصواب.

والآثار عن السلف في مسمى الإيمان وحقيقته كثيرة جدا، ولا يمكن حصرها هنا، وقد قال بهذا القول خلق كثير – غيرهم – من أهل السنة والجماعة ... نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف لمحمد بن عبد الله بن علي الوهيبي – بتصرف – ص٥٧." [٢]

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٥/٤٧٠

(٢) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٦/١٥

"٣ – وعن عبدالله بن يزيد الأنصاري قال: (تسموا باسمكم الذي سماكم الله بالحنيفية والإسلام والإيمان) (١).

٤ – وعن أبي عبدالرحمن الشيباني قال: (لقيت عبدالله بن معقل فقلت له: إن أناسا من أهل الصلاح يعيبون علي أن أقول: أنا مؤمن، فقال عبدالله: لقد خبت وخسرت إن لم تكن مؤمنا) (٢).

٥ – وعن إبراهيم التميمي قال: (وما على أحدكم أن يقول: أنا مؤمن، فوالله لئن كان صادقا لا يعذبه الله على صدقه، وإن كان كاذبا لما دخل عليه من الكفر أشد عليه من الكذب) (٣).

ومراده بـ (أنا مؤمن) أصل الإيمان كما يدل على ذلك آخر كلامه قوله: (لما دخل عليه من الكفر ...).

٦ – وعن أبي عبدالرحمن السلمي قال: (إذا سئل أحدكم: أمؤمن أنت؟ فلا يشك في إيمانه) (٤).

٧ – وعن سيف بن ميمون قال: قلت لعطاء: (إن قبلنا قوما نعدهم من أهل الصلاح إن قلنا: نحن مؤمنون عابوا ذلك علينا، قال: فقال عطاء: نحن المسلمون المؤمنون، وكذلك أدركنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون) (٥).

فهذه الآثار لا تشكل على ما ذكرته آنفا من أن مذهب السلف هو جواز الاستثناء في الإيمان، لأنها لا تخلو من أحد أمور:

١ – إما أن تكون ضعيفة الإسناد غير ثابتة عن الصحابي أو التابعي المروية عنه كما في بعض الآثار المتقدمة.

٢ – أو أن يكون قاله على سبيل التعميم كما في الأثر الأول، وهذا لا إشكال فيه إذ أهل القبلة كلهم مؤمنون باعتبار الظاهر منهم، وبذلك يتوارثون ويتناكحون ويتعاملون بالأخوة الإيمانية.

٣ – أو أن يكون قصد بذلك أصل الإيمان لإتمامه وكماله، بل هذا هو مقصودهم عند إطلاق القول (أنا مؤمن) أو (أنت مؤمن)، لأن اسم الإيمان عند السلف على ضربين: مطلق ومقيد.

فإذا استعمل مطلقا شمل جميع ما يحبه الله ورسوله من أقوال العبد وأعماله الظاهرة والباطنة.

وإذا استعمل مقيدا يكون متناولا لأصل الإيمان وأساسه، وهو الإيمان الباطن بأركانه الستة الواردة في حديث جبريل المشهور (٦).

وللإيمان عندهم أصل وفرع؛ فأصل الإيمان في القلب **وهو قول القلب وعمله**، وفرعه الأعمال الظاهرة بأنواعها (٧).

وعلى هذا فإن من استثنى من السلف في إيمانه قصد به الإيمان التام الكامل المقبول عند الله، ومن لم يستثن قصد الإيمان الباطن الذي هو أصل الإيمان وأساسه وهذا لا استثناء فيه.

وعلى هذا ينبغي لمن سئل هل هو مؤمن أو لا؟ أن يستفصل من السائل ماذا يريد بالإيمان؟ هل يريد بذلك الإيمان الكامل التام المقبول عند الله الذي أهله يقينا في الجنة؟ أو يريد الإيمان المقيد الذي هو أصل الإيمان وأساسه؟

فإن أراد الأول فلا بد من الاستثناء، وإن أراد الثاني فلا استثناء ...

وتأكيدا لما ذكرت أنقل بعض أقوال السلف المؤكدة لذلك والمؤيدة له، والمبينة أن مقصودهم بترك الاستثناء في الإيمان أصله، وبالاستثناء فيه تمامه وكماله.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (١١/ ٣٠)، وفي كتاب ((الإيمان)) (ص: ١٠).
(٢) رواه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (١١/ ٢٩)، وفي كتاب ((الإيمان)) (ص: ١٠).
(٣) رواه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (١١/ ١٥)، وفي كتاب ((الإيمان)) (ص: ٢٣).
(٤) رواه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (١١/ ٢٩)، وفي كتاب ((الإيمان)) (ص: ٩).
(٥) رواه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (١١/ ٣٥)، وفي كتاب ((الإيمان)) (ص: ١٦).
(٦) الحديث في الصحيحين؛ رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (١٠٦). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٧) انظر: ((الفتاوى)) لابن تيمية (٧/ ٦٤٢ وما بعدها).." [(١)]

"والسابق بالخيرات هو المحسن الذي عبد الله كأنه يراه، ولكن وجهة نظر الزهري هي أن من أتى بالشهادتين صار مسلما، يتميز عن اليهود والنصارى، تجري عليه أحكام الإسلام التي تجري على المسلمين. والزهري لم يرد أن الإسلام الواجب هو الكلمة وحدها؛ فإن الزهري أجل من أن يخضع لذلك، ولهذا فإن أحمد رحمه الله في أحد أجوبته لم يجب بهذا، خوفا من أن يظن أن الإسلام ليس هو إلا الكلمة، وقد رد محمد بن نصر على من قال بهذا القول، فقال من زعم أن الإسلام هو الإقرار، وأن العمل ليس منه فقد خالف الكتاب والسنة، فإن النصوص كلها تدل على أن الأعمال من الإسلام كحديث جبريل، وفيه بني الإسلام على خمس، وذكر الأعمال الشهادتان والصلاة والزكاة والصوم والحج شرح العقيدة الطحاوية لعبد العزيز بن عبد الله الراجحي - ١/ ٢٤٦

ويمكن أن نجمل ما سبق في قاعدتين: القاعدة الأولى: لا إيمان لمن لا إسلام له، ولا إسلام لمن لا إيمان له.

والمقصود هنا الإيمان والإسلام المقبولان عند الله عز وجل.

قال أبو طالب المكي: (.. فمثل الإسلام من الإيمان، كمثل الشهادتين إحداهما من الأخرى في المعنى والحكم، فشهادة الرسول، غير شهادة الوحدانية، فهما شيئان في الأعيان، وإحداهما مرتبطة بالأخرى في المعنى والحكم كشيء واحد، كذلك الإيمان والإسلام أحدهما مرتبط بالآخر، فهما كشيء واحد، لا إيمان لمن لا إسلام له، ولا إسلام لمن لا إيمان له، إذ لا يخلو المسلم من إيمان به يصح إسلامه، ولا يخلو المؤمن من إسلام به يحقق إيمانه، من حيث اشترط الله للأعمال الصالحة الإيمان، واشترط للإيمان الأعمال الصالحة، فقال في تحقيق ذلك: فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون [الأنبياء: ٩٤]

وقال في تحقيق الإيمان بالعمل: ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى [طه: ٧٥] (١). ويقول ابن أبي شيبة: لا يكون الإسلام إلا بإيمان، ولا إيمان إلا بإسلام ... (٢).وقال الإمام البغوي في تعليقه على حديث جبريل عليه السلام: جعل النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الإسلام اسما لما ظهر من الأعمال، وجعل الإيمان اسما لما بطن من الاعتقاد، وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان، أو التصديق بالقلب ليس من الإسلام (٣)، بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد، وجماعها الدين ولذلك قال: ((ذاك جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم)) (٤) والتصديق

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٦/ ٩٣

والعمل يتناولهما اسم الإيمان والإسلام جميعا ...) (٥).

إذا يمكن تلخيص هذه القاعدة بما يلي:

إن بين الإسلام والإيمان تلازما فلا يمكن أن يوجد أحدهما بدون الآخر، فلا يصح الإسلام ولا يوجد بدون أصل الإيمان، فإذا انتفى أصل الإيمان بطل الإسلام، كذلك لا يصح ولا يوجد إيمان بدون إسلام (أي عمل الجوارح، وعمل القلب) فلو انتفى العمل لدل ذلك على بطلان الإيمان وفساده.

القاعدة الثانية: أن الاسم الواحد ينفي ويثبت بحسب الأحكام المتعلقة به، فلا يجب إذا أثبت أو نفى في حكم أن يكون كذلك في سائر الأحكام ... كذلك كل ما يكون له مبتدأ وكمال، ينفي تارة باعتبار انتفاء كماله، ويثبت تارة باعتبار ثبوت مبدئه (٦).

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٧/ ٣٣٣).

(٢) ((تعظيم قدر الصلاة)) للمروزي (٢/ ٥٢٨).

(٣) لو قال: ليس شرطا في الإسلام لكان أولى لأنه لم يرد في النصوص إطلاق الإسلام على التصديق (أي قول القلب).

(٤) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩، ١٠). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) ((شرح السنة للبغوي)) (١/ ١٠).

(٦) انظر هذه القاعدة وشرحها وأمثلة لها في ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٧/ ٤٢١ - ٤٢٢).." [١]

"هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون [المؤمنون: ١ - ١١] وقال الله تعالى: طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون [النمل: ١ - ٣] وغيرها من الآيات وقد فسر الله تعالى الإيمان بذلك كله في قوله تعالى ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملآئكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسآئلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون [البقرة: ١٧٧] ... وفسره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك كله في حديث وفد عبد القيس في الصحيحين وغيرهما فقال: ((آمركم بالإيمان بالله وحده قال أتدرون ما الإيمان بالله وحده قالوا الله ورسوله أعلم قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تؤدوا من المغنم الخمس)) (١) وقد جعل صلى الله عليه وسلم صيام رمضان إيمانا واحتسابا من الإيمان وكذا قيام ليلة القدر وكذا أداء الأمانة وكذا الجهاد والحج واتباع الجنائز وغير ذلك وفي الصحيحين: ((الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)) (٢). وهذه الشعب المذكورة قد جاءت في القرآن والسنة في مواضع متفرقة منها ما هو **من قول القلب وعمله** ومنها ما هو من قول

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٦/١٤٥

اللسان ومنها ما هو من عمل الجوارح.

ولما كانت الصلاة جامعة لقول القلب وعمله وقول اللسان وعمله وعمل الجوارح سماها الله تعالى إيمانا في قوله تعالى: وما كان الله ليضيع إيمانكم [البقرة: ١٤٣] يعني صلاتكم كما يعلم من سبب نزول هذه الآية ... والآيات والأحاديث في هذا الباب يطول ذكرها وإنما أشرنا إلى طرف منها يدل على ما وراءه وبالله التوفيق ....

(الحالة الثانية) أي يطلق الإيمان مقرونا بالإسلام وحينئذ يفسر بالاعتقادات الباطنة كما في حديث جبريل هذا وما في معناه وكما في قوله تعالى: والذين آمنوا وعملوا الصالحات [النساء: ٥٧] في غير موضع من كتابه وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الجنازة: ((اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان)) (٣) وذلك أن الأعمال بالجوارح وإنما يتمكن معها في الحياة فأما عند الموت فلا يبقى **غير قول القلب وعمله** ... والحاصل أنه إذا أفرد الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ بل كل منهما على انفراده يشمل الدين كله وإن فرق بين الاسمين كان الفرق بينهما بما في هذا الحديث الجليل والمجموع مع الإحسان هو الدين كما سمى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك كله دينا وبهذا يحصل الجمع بين هذا الحديث وبين الأحاديث التي فيها تفسير الإيمان بالإسلام والإسلام بالإيمان وبذلك جمع بينه وبينها أهل العلم. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول لحافظ بن أحمد الحكمي - بتصرف - ص٧٤٥

---

(١) رواه البخاري (٥٣)، ومسلم (١٧). من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) واللفظ له. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه أبو داود (٣٢٠١)، والترمذي (١٠٢٤)، وابن ماجه (١٤٩٨)، وأحمد (٢/ ٣٦٨) (٨٧٩٥)، والحاكم (١/ ٥١١). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وله شاهد صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي في ((التلخيص)). وقال الألباني في ((أحكام الجنائز)) (ص١٢٤): وهو كما قالا. وصححه أيضا في ((صحيح سنن أبي داود)).." [1]

"وإن ظاهر العبد – عند أهل السنة والجماعة – هو الوجه الآخر لقلبه وباطنه، وأنه انعكاس مباشر له لا يتخلف عنه ولا يغايره، وإذا كان الباطن صالحا كان الظاهر كذلك، وإذا كان الباطن فاسدا كان الظاهر كذلك فاسدا بحسبه؛ لأن الإيمان أصله في القلب، **وهو: قول القلب من** المعرفة والعلم والتصديق. عمل القلب من الإذعان والانقياد والاستسلام. ولكن من لوازم هذا الإيمان – إذا تحقق في القلب – تحقيقها في الظاهر، فالظاهر لا يتخلف عن الباطن ولا يضاده؛ لأنه ترجمان الباطن، ومرتبط به ارتباطا وثيقا. فالظاهر والباطن متلازمان لا يكون الظاهر مستقيما إلا باستقامة الباطن، وكذلك العكس. والإيمان المطلوب شرعا هو الإيمان الظاهر والباطن، وتلازم عمل القلب بعمل الجوارح؛ لأنه لا يصح إيمان العبد بواحدة دون الأخرى؛ فمن زعم وجود العمل في قلبه دون جوارحه؛ لا يثبت له اسم الإيمان؛ لأن الأعمال والأقوال الظاهرة من لوازم الإيمان التي لا تنفك عنه، قال الله تبارك وتعالى: لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٤٩/٦

ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون [المجادلة: ٢٢]. وقال تعالى: ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون [المائدة: ٨١]. وقال: إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم [الأنفال: ٢ – ٤]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل رجل الجنة لا يأمن جاره بوائقه)) (١). وقال صلى الله عليه وسلم: ((ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله؛ ألا وهي القلب)) (٢). قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في شرح هذا الحديث: (فبين أن صلاح القلب مستلزم لصلاح الجسد؛ فإذا كان الجسد غير صالح، دل على أن القلب غير صالح، والقلب المؤمن صالح؛ فعلم أن من يتكلم بالإيمان، ولا يعمل به، لا يكون قلبه مؤمنا، حتى أن المكره إذا كان في إظهار الإيمان؛ فلابد أن يتكلم مع نفسه، وفي السر مع من يأمن إليه، ولابد أن يظهر على صفحات وجهه وفلتات لسانه؛ كما قال عثمان. وأما إذا لم يظهر أثر ذلك إلا بقوله، ولا بفعله قط؛ فإنه يدل على أنه ليس في القلب إيمان، وذلك أن الجسد تابع للقلب؛ فلا يستقر شيء في القلب إلا ظهر موجبه ومقتضاه على البدن، ولو بوجه من الوجوه) (٣).

---

(١) رواه أحمد (٣/ ١٩٨) (١٣٠٧١). من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١/ ٢٢٠): رواه أحمد وفيه علي بن مسعدة وثقه يحيى بن معين وغيره وضعفه النسائي وغيره. والحديث حسنه الألباني في ((السلسلة الصحيحة)): (٢٨٤١).

(٢) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩). من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٣) ((مجموع الفتاوى)) (١٤/ ١٢١).." [1]

"وقال الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي – رحمه الله – في شرحه لهذا الحديث أيضا: (إن صلاح حركات العبد بجوارحه، واجتنابه للمحرمات واتقاءه للشبهات بحسب صلاح حركة قلبه.

فإن كان قلبه سليما، ليس فيه إلا محبة الله، ومحبة ما يحبه الله، وخشية الله، وخشية الوقوع فيما يكرهه؛ صلحت حركات الجوارح كلها، ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها، وتوقي الشبهات حذرا من الوقوع في المحرمات.

وإن كان القلب فاسدا، قد استولى عليه اتباع هواه، وطلب ما يحبه، ولو كرهه الله، فسدت حركات الجوارح كلها، وانبعثت إلى كل المعاصي والمشتبهات بحسب اتباع هوى القلب.

ولهذا يقال: القلب ملك الأعضاء، وبقية الأعضاء جنوده، وهم مع هذا جنود طائعون له، مبعثون في طاعته، وتنفيذ أوامره، لا يخالفونه في شيء من ذلك؛ فإن كان الملك صالحا كانت هذه الجنود صالحة، وإن كان فاسدا كانت جنوده بهذه المثابة

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٦٣/٦

فاسدة، ولا ينفع عند الله إلا القلب السليم ...

فإن أعمال الجوارح لا تستقيم إلا باستقامة القلب، ومعنى استقامة القلب أن يكون ممتلئا من محبة الله، ومحبة طاعته، وكراهية معصيته ... وحركات الجسد تابعة لحركة القلب وإرادته، فإن كانت حركته وإرادته لله وحده؛ فقد صلح وصلحت حركات الجسد كله، وإن كانت حركة القلب وإرادته لغير الله تعالى، فسد، وفسدت حركات الجسد بحسب فساد حركة القلب ... ومعنى هذا أن حركات القلب والجوارح إذا كانت كلها لله؛ فقد كمل إيمان العبد بذلك ظاهرا وباطنا، ويلزم من صلاح حركات القلب صلاح الجوارح؛ فإذا كان القلب صالحا ليس فيه إلا إرادة الله، وإرادة الله ما يريده لم تنبعث الجوارح إلا فيما يريده الله) (١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فأصل الإيمان في القلب، **وهو قول القلب وعمله**، وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد، وما كان في القلب، فلا بد أن يظهر موجبه ومقتضاه على الجوارح، وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دل على عدمه أو ضعفه، ولهذا كانت الأعمال الظاهرة من موجب إيمان القلب ومقتضاه، وهي التصديق لما في القلب، ودليل عليه وشاهد له، وهي شعبة من مجموع الإيمان المطلق وبعض له؛ لكن ما في القلب هو الأصل لما على الجوارح؛ كما قال أبو هريرة – رضي الله عنه – إن القلب ملك، والأعضاء جنوده؛ فإن طاب الملك، طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده) (٢).

وقال أيضا: (فهذا الموضع ينبغي تدبره فمن عرف ارتباط الظاهر بالباطن زالت عنه الشبهة في هذا الباب، وعلم أن من قال من الفقهاء إنه إذا أقر بالواجب وامتنع عن الفعل لا يقتل، أو يقتل مع إسلامه؛ فإنه دخلت عليه الشبهة التي دخلت على المرجئة والجهمية، والتي دخلت على من جعل الإرادة الجازمة مع القدرة التامة لا يكون بها شيء من الفعل، ولهذا كان الممتنعون من قتل هذا من الفقهاء بنوه على قولهم في مسألة الإيمان، وأن الأعمال ليست من الإيمان، ... وأن جنس الأعمال من لوازم إيمان القلب، وأن إيمان القلب التام بدون شيء من الأعمال الظاهرة ممتنع؛ سواء جعل الظاهر من لوازم الإيمان، أو جزء من الإيمان) (٣).

---

(١) انظر: ((جامع العلوم والحكم)) لابن رجب (١/ ٢١٠) في شرح (الحديث السادس) من الأربعين النووية.

(٢) ((مجموع الفتاوى)) (٧/ ٦٤٤).

(٣) ((مجموع الفتاوى)) (٧/ ٦١٦).." [1]

"وقال في موضع آخر: (وهنا أصول تنازع الناس فيها: منها أن القلب هل يقوم به تصديق، أو تكذيب، ولا يظهر قط منه شيء على اللسان والجوارح، وإنما يظهر نقيضه من غير خوف؟ فالذي عليه السلف والأئمة وجمهور الناس؛ أنه لابد من ظهور موجب ذلك على الجوارح، فمن قال: إنه يصدق الرسول ويحبه ويعظمه بقلبه، ولم يتكلم قط بالإسلام، ولا فعل شيئا من واجباته بلا خوف؛ فهذا لا يكون مؤمنا في الباطن، وإنما هو كافر) (١).

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٦/١٦٤

وقال كذلك: (وقد تبين أن الدين لابد فيه من قول وعمل، وأنه يمتنع أن يكون الرجل مؤمنا بالله ورسوله بقلبه، أو بقلبه ولسانه، ولم يؤد واجبا ظاهرا، ولا صلاة ولا زكاة ولا صياما، ولا غير ذلك من الواجبات، لا لأجل أن الله أوجبها؛ مثل أن يؤدي الأمانة، أو يصدق الحديث، أو يعدل في قسمه وحكمه؛ من غير إيمان بالله ورسوله، لم يخرج بذلك من الكفر؛ فإن المشركين، وأهل الكتاب يرون وجوب هذه الأمور، فلا يكون الرجل مؤمنا بالله ورسوله مع عدم شيء من الواجبات التي يختص بإيجابها محمد صلى الله عليه وسلم) (٢).

وقال – أيضا– رحمه الله: (إذا نقصت الأعمال الظاهرة الواجبة؛ كان ذلك لنقص ما في القلب من الإيمان؛ فلا يتصور مع كمال الإيمان الواجب الذي في القلب أن تعدم الأعمال الظاهرة الواجبة، بل يلزم من وجود هذا كاملا، وجود هذا كاملا؛ كما يلزم من نقص هذا، نقص هذا؛ إذ تقدير إيمان تام في القلب بلا ظاهر من قول وعمل، كتقدير موجب تام بلا موجبه، وعلة تامة بلا معلولها، وهذا ممتنع) (٣).

وقال الإمام الحافظ ابن القيم رحمه الله: (وها هنا أصل آخر: وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل. والقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد. وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام. والعمل قسمان: عمل القلب، وهو نيته وإخلاصه. وعمل الجوارح. فإذا زالت هذه الأربعة، زال الإيمان بكماله. وإذا زال تصديق القلب، لم ينفع بقية الأجزاء؛ فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة.

وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق؛ فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة؛ فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب، وهو محبته وانقياده؛ كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه، واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول؛ بل ويرون به سرا وجهرا، ويقولون: ليس بكاذب، ولكن لا نتبعه، ولا نؤمن به.

وإذا كان الإيمان يزول بزوال عمل القلب؛ فغير مستنكر أن يزول بزوال أعظم أعمال الجوارح، ولاسيما إذا كان ملزوما لعدم محبة القلب وانقياده الذي هو ملزوم لعدم التصديق الجازم ... فإنه يلزم من عدم طاعة القلب عدم طاعة الجوارح، إذ لو أطاع القلب وانقاد؛ أطاعت الجوارح وانقادت، ويلزم من عدم طاعته وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة، وهو حقيقة الإيمان.

فإن الإيمان ليس مجرد التصديق ... وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد، وهكذا الهدى ليس هو مجرد معرفة الحق وتبيينه؛ بل هو معرفته المستلزمة لاتباعه، والعمل بموجبه، وإن سمي الأول هدى؛ فليس هو الهدى التام المستلزم للاهتداء؛ كما أن اعتقاد التصديق، وإن سمي تصديقا؛ فليس هو التصديق المستلزم للإيمان، فعليك بمراجعة هذا الأصل ومراعاته) (٤).

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) (١٤/ ١٢٠).

(٢) ((مجموع الفتاوى)) (٧/ ٦٢١).

(٣) ((مجموع الفتاوى)) (٧/ ٥٨٢).

(٤) ((كتاب الصلاة وحكم تاركها)) لابن قيم الجوزية (ص٥٤).." [1]

"هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون [المؤمنون: ١ - ١١] وقال الله تعالى: طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون [النمل: ١ - ٣] وغيرها من الآيات وقد فسر الله تعالى الإيمان بذلك كله في قوله تعالى ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملآئكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسآئلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون [البقرة: ١٧٧].

وفسره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك كله في حديث وفد عبد القيس في الصحيحين وغيرهما فقال: ((آمركم بالإيمان بالله وحده قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده قالوا: الله ورسوله أعلم قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تؤدوا من المغنم الخمس)) (١)

وقد جعل صلى الله عليه وسلم صيام رمضان إيمانا واحتسابا من الإيمان وكذا قيام ليلة القدر وكذا أداء الأمانة وكذا الجهاد والحج واتباع الجنائز وغير ذلك وفي الصحيحين: ((الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)) (٢). وهذه الشعب المذكورة قد جاءت في القرآن والسنة في مواضع متفرقة منها ما هو **من قول القلب وعمله** ومنها ما هو من قول اللسان ومنها ما هو من عمل الجوارح.

ولما كانت الصلاة جامعة لقول القلب وعمله وقول اللسان وعمله وعمل الجوارح سماها الله تعالى إيمانا في قوله تعالى: وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم [البقرة: ١٤٣] يعني صلاتكم كما يعلم من سبب نزول هذه الآية ... والآيات والأحاديث في هذا الباب يطول ذكرها وإنما أشرنا إلى طرف منها يدل على ما وراءه وبالله التوفيق.

وهذا المعنى هو الذي قصده السلف الصالح بقولهم رحمهم الله: إن الإيمان اعتقاد وقول وعمل وإن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان وحكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم.

---

(١) رواه البخاري (٥٣) وهذا لفظه، ومسلم (١٧). من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.." [2]

"وقال آخرون التصديق بالجنان والإقرار باللسان وهذا قول مخرج لأركان الإسلام الظاهرة المذكورة في حديث جبريل وهو ظاهر البطلان.

---

[1] الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٦٥/٦

[2] الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٧٩/٦

وذهب الخوارج والعلاف ومن وافقهم إلى أنه الطاعة بأسرها فرضا كانت أو نفلا وهذا القول مصادم لتعليم النبي صلى الله عليه وسلم لوفود العرب السائلين عن الإسلام والإيمان وكل ما يقول له السائل في فريضة هل علي غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوع شيئا. (١) وذهب الجبائي وأكثر المعتزلة البصرية إلى أنه الطاعات المفروضة من الأفعال والتروك دون النوافل وهذا أيضا يدخل المنافقين في الإيمان وقد نفاه الله تعالى عنهم وقال الباقون منهم العمل والنطق والاعتقاد والفرق بين هذا وبين قول السلف الصالح أن السلف لم يجعلوا كل الأعمال شرطا في الصحة بل جعلوا كثيرا منها شرطا في الكمال كما قال عمر بن عبد العزيز فيها من استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان والمعتزلة جعلوها كلها شرطا في الصحة والله أعلم.

(الحالة الثانية) أن يطلق الإيمان مقرونا بالإسلام وحينئذ يفسر بالاعتقادات الباطنة كما في حديث جبريل هذا وما في معناه وكما في قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات [النساء: ٥٧] في غير موضع من كتابه وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الجنازة: ((اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان)) (٢) وذلك أن الأعمال بالجوارح وإنما يتمكن منها في الحياة فأما عند الموت فلا يبقى **غير قول القلب وعمله** ... والحاصل أنه إذا أفرد الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ بل كل منهما على انفراده يشمل الدين كله وإن فرق بين الاسمين كان الفرق بينهما بما في هذا الحديث الجليل والمجموع مع الإحسان هو الدين كما سمى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك كله دينا وبهذا يحصل الجمع بين هذا الحديث وبين الأحاديث التي فيها تفسير الإيمان بالإسلام والإسلام بالإيمان وبذلك جمع بينه وبينها أهل العلم. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول لحافظ بن أحمد الحكمي – ص٧٤٥

(ينظر تفصيل ذلك، في الكتاب الثامن من هذه الموسوعة)

---

(١) رواه البخاري (٤٦)، ومسلم (١١). من حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داود (٣٢٠١)، والترمذي (١٠٢٤)، وابن ماجه (١٤٩٨)، وأحمد (٢/ ٣٦٨)، والحاكم (١/ ٥١١). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وله شاهد صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي في ((التلخيص)). وقال الألباني في ((أحكام الجنائز)) (ص١٢٤): وهو كما قالا. وقال في ((صحيح سنن أبي داود)): صحيح.." (١)

"المسألة الثانية: حكم الإصرار على المعصية

وأما عن الإصرار على المعصية فنقول: إن الإصرار معناه الثبات على الأمر ولزومه (١). أو الإقامة على الشيء والمداومة عليه (٢). وهو هنا بمعنى الثبوت على المعاصي (٣). أي الإقامة على فعل الذنب أو المعصية مع العلم بأنها معصية دون الاستغفار أو التوبة (٤). وهو الاستمرار على المعصية وعدم الإقلاع عنها (٥) والعزم بالقلب عليها (٦).

وحكم المصر على المعصية عند أهل السنة هو حكم مرتكب الكبيرة. يذكر ابن حجر الهيتمي في كتابه (الزواجر) أن من

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٨١/٦

جملة الكبائر: (فرح العبد بالمعصية، والإصرار عليها، ونسيان الله تعالى والدار الآخرة، والأمن من مكر الله، والاسترسال في المعاصي) اهـ (٧). فاقتراف المعاصي بمفرده عندهم لا يخرج من دين الله، ولا توقع المعاصي فمن كبائر وذنوب صاحبها في الردة إن لم يقترن بها سبب من أسباب الكفر، ولذلك يقرر الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى في عقيدته: (ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله) (٨).

ولكن الإمام الطحاوي سرعان ما يعقب على ذلك بقوله: (ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله) (٩) وذلك لأن أهل السنة يرون أن فعل المعاصي يترتب عليه العذاب والعقاب الأخروي الذي أخبر عنه الشارع لكثير من المحرمات والمعاصي، وتوعد الله به على فعلها في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنها تؤثر على الإيمان من حيث زيادته ونقصانه، لا من حيث بقاؤه وذهابه (١٠).

وكذلك فإن صاحب المعصية المصر عليها يخشى عليه – عند أهل السنة – سوء العاقبة، لأن المعاصي عندهم هي بريد الكفر، والإكثار من مقارفة المعاصي قد يؤدي إلى الوقوع في الكفر والردة والعياذ بالله، فالاستغراق في المعاصي أو الإصرار عليها قد يجعلها تحيط بصاحبها وتنبت النفاق في قلبه؛ فيرون عليه ويسد منه كل منافذ الخير دونما شعور منه حتى يسقط منه إما عمل القلب فيعدو يؤول ويبرر لصاحبه كل ما يفعله حتى يوقعه في استحلال المعاصي، وإما يسقط **منه قول القلب فينكر** بعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، لتبرير مقتضيات الهوى والشهوة (١١).

قال الله تعالى: بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون [البقرة: ٨١].

وقد نقل الإمام ابن كثير في تفسيره تفسير السلف رضي الله تعالى عنهم للسيئة والخطيئة هنا بأنها: (إما الكفر والشرك، وإليه ذهب ابن عباس وأبو هريرة وأبو وائل وأبو العالية ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والربيع بن أنس. وإما الموجبة أو الكبيرة من الكبائر، وإليه ذهب السدي وأبي رزين والربيع بن الخيثم ورواية أخرى عن أبي العالية ومجاهد والحسن وقتادة والربيع بن أنس).

ثم علق ابن كثير بقوله: (وكل هذه الروايات متقاربة في المعنى والله أعلم).

---

(١) ((المعجم الوجيز)) (ص: ٣٦٣) مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(٢) ((مختار الصحاح)) (ص: ٣٨٤).

(٣) ((تفسير الطبري)) (٤/ ٩١).

(٤) ((تفسير القرطبي)) (٤/ ٢١١). و ((صفوة التفاسير)) (٢/ ٥٢).

(٥) ((تفسير ابن كثير)) (١/ ٤٠٧).

(٦) ((تفسير القرطبي)) (٤/ ٢١١).

(٧) ((الزواجر)) (١/ ١٤٧ وما بعدها)

(٨) ((شرح العقيدة الطحاوية)) لابن أبي العز الحنفي (١/ ٢٠٤)، وانظر: ((الإيمان)) لنعيم ياسين (ص: ٢٢٣) وما

بعدها.

(٩) ((شرح العقيدة الطحاوية)) لابن أبي العز الحنفي (١/ ٢٠٤).

(١٠) ((الإيمان)) لنعيم ياسين (ص: ١٢٣) وبعدها.

(١١) ((الإيمان)) لنعيم ياسين (ص: ٢٢٣) وما بعدها.." [١]

"ويقول صاحب (معارج القبول): (ولا نكفر بالمعاصي التي قدمنا ذكرها وأنها لا توجب كفرا، والمراد بها الكبائر التي ليست بشرك، ولا تستلزمه ولا تنافي اعتقاد القلب ولا عمله، (مؤمنا) مقرا بتحريمها معتقدا له، مؤمنا بالحدود المترتبة عليها، ولكن نقول: يفسق بفعلها، ويقام عليه الحد بارتكابها، وينقص إيمانه بقدر ما تجرأ عليه منها ...

(إلا مع استحلاله لما جنى) ... وهو أن عامل الكبيرة يكفر باستحلاله إياها، بل يكفر بمجرد اعتقاده بتحليل ما حرم الله ورسوله ولو لم يعمل به، لأنه حينئذ يكون مكذبا بالكتاب ومكذبا بالرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك كفر بالكتاب والسنة والإجماع، فمن جحد أمرا مجمعا عليه معلوما من الدين بالضرورة فلا شك في كفره) اهـ (١).

وإذا علمنا أن الذنوب والمعاصي عند أهل السنة والجماعة تؤثر في الإيمان من حيث زيادته ونقصه لا من حيث بقاؤه وذهابه – إلا أن يصاحب ذلك ما يقدح في أصله من استحلال لهذه المعاصي، وأن هذا الاستحلال قد يكون **بسقوط قول القلب والتكذيب** جحودا أو عنادا، وقد يكون بسقوط عمل القلب والاستكبار استخفافا أو استهزاء، أو غير ذلك من أسباب – فما هو حكم عصاة الموحدين ومآلهم في الآخرة؟ وهل كل من مات على معصية يدخل النار بها؟ وإذا دخلها فكيف يخرج منها؟ وما هي عقيدة أهل السنة والجماعة في ذلك؟ حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة لمحمد عبدالهادي المصري – ص: ١٤٦

---

(١) ((معارج القبول)) (٢/ ٣٥٧، ٣٥٨).." [٢]

"وقال: (وكذلك الغلو في بعض المشايخ: إما في الشيخ عدي ويونس القتي أو الحلاج وغيرهم، بل الغلو في علي بن أبي طالب ونحوه، بل الغلو في المسيح ونحوه. فكل من غلا في حي أو في رجل صالح كمثل علي أو عدي أو نحوه، أو فيمن يعتقد فيه الصلاح، كالحلاج أو الحاكم الذي كان بمصر، أو يونس القتي ونحوهم، وجعل فيه نوعا من الإلهية مثل أن يقول: كل رزق لا يرزقنيه الشيخ فلان ما أريده، أو يقول إذا ذبح شاة: باسم سيدي أو يعبده بالسجود له أو لغيره، أو يدعوه من دون الله تعالى، مثل أن يقول: يا سيدي فلان اغفر لي أو ارحمني أو انصرني أو ارزقني أو أغثني أو أجرني أو توكلت عليك أو أنت حسبي، أو أنا في حسبك، أو نحو هذه الأقوال والأفعال، التي هي من خصائص الربوبية التي لا تصلح إلا لله تعالى؛ فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل فإن الله إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لنعبد الله وحده لا شريك له ولا نجعل مع الله إلها آخر. والذين كانوا يدعون مع الله آلهة أخرى – مثل: الشمس والقمر والكواكب والعزير

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٩٦/٦

(٢) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٩٩/٦

والمسيح والملائكة واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ويغوث ويعوق ونسر أو غير ذلك - لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق، أو أنها تنزل المطر، أو أنها تنبت النبات، وإنما كانوا يعبدون الأنبياء والملائكة والكواكب والجن والتماثيل المصورة لهؤلاء، أو يعبدون قبورهم ويقولون: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، ويقولون: هم شفعاؤنا عند الله فأرسل الله رسله تنهى أن يدعى أحد من دونه، لا دعاء عبادة، ولا دعاء استغاثة) (١).

٢ - ومن الكفر الذي هو فعل: السجود أو الذبح لغير الله تعالى، أو إلقاء مصحف في قذر، أو قتل نبي من الأنبياء

٣ - وأما كفر الاعتقاد المناقض لقول القلب أو عمله، فكتكذيب النبي باطنا، أو بغضه ومعاداته مع اعتقاد صدقه، أو اعتقاد حل الزنا أو الخمر، أو اعتقاد أن أحدا يسعه الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، أو غير ذلك من الاعتقادات المكفرة التي **تناقض قول القلب أو** عمله.

لكن ينبغي أن يعلم أن كفر التكذيب قليل في أعداء الرسل، قال ابن القيم رحمه الله: (فأما كفر التكذيب: فهو اعتقاد كذب الرسل، وهذا القسم قليل في الكفار؛ فإن الله تعالى أيد رسله وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم ما أقام به الحجة وأزال به المعذرة، قال الله تعالى عن فرعون وقومه: وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا [النمل:١٤]، وقال لرسوله: فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون [الأنعام:٣٣] وإن سمي هذا كفر تكذيب أيضا فصحيح؛ إذ هو تكذيب باللسان) (٢).

وقال شيخ الإسلام: وعامة من كذب الرسل علموا أن الحق معهم وأنهم صادقون، لكن إما لحسدهم، وإما لإرادتهم العلو والرياسة، وإما لحبهم دينهم الذي كانوا عليه، وما يحصل لهم به من الأغراض، كأموال ورياسة وصداقة أقوام وغير ذلك، فيرون في اتباع الرسل ترك الأهواء المحبوبة إليهم، أو حصول أمور مكروهة إليهم، فيكذبونهم ويعادونهم، فيكونون من أكفر الناس، كإبليس، وفرعون، مع علمهم بأنهم على الباطل، والرسل على الحق (٣).

٤ - والكفر يكون بالترك، كترك الصلاة عند جمهور السلف، بل هو إجماع الصحابة ... ،

ومن ذلك ترك عمل الجوارح بالكلية، كمن يعيش دهره لا يسجد لله سجدة ولا يزكي ولا يصوم ولا يحج ولا يفعل شيئا من الواجبات أو المستحبات، فهذا كافر كفرا لا يثبت معه توحيد، ولا يكون هذا إلا مع زوال عمل القلب، والمرجئة تنازع في كفر هذا وتأباه، جهلا منهم بحقيقة الإيمان، وإنكارا للتلازم بين الظاهر والباطن الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل وكشف شبهات المعاصرين لمحمد بن محمود آل خضير- ١/ ١٣٤

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) (٣/ ٣٩٥).

(٢) ((مدارج السالكين)) (١/ ٣٤٦).

(٣) ((مجموع الفتاوى)) (٧/ ١٩١).." [1]

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٦/٢٦٥

"الباب الثاني: نواقض الإيمان في باب التوحيد

عليه السلام المبحث الأول: ما يناقض قول القلب.

عليه السلام المبحث الثاني: ما يناقض عمل القلب.

عليه السلام المبحث الثالث: أمثلة أخرى لنواقض الإيمان بالاعتقاد.." (١)

"٩ - وقال تعالى: وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين [المائدة: ٤٣] قال الإمام الطبري: (يتولون يقول: يتركون الحكم به، بعد العلم بحكمي فيه، جرأة علي وعصيانا لي) (١).

وقال- رحمه الله-: (وأصل التولي عن الشيء الانصراف عنه ...) (٢).

١٠ - وورد لفظ التولي بمعنى التولي عن الطاعة في مواضع من القرآن، كقوله تعالى: فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما [الفتح: ١٦].

وقوله سبحانه: لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى [الليل: ١٥ - ١٦] وقوله عز وجل: فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى [القيامة: ٣١ - ٣٢] قال شيخ الإسلام: (فالتكذيب للخبر، والتولي عن الأمر، وإنما الإيمان تصديق الرسل فيما أخبروا، وطاعتهم فيما أمروا) (٣).

وقال في موضع آخر تعليقا على هذه الآيات: (فعلم أن التولي ليس هو التكذيب، بل هو التولي عن الطاعة، فإن الناس عليهم أن يصدقوا الرسول فيما أخبر، ويطيعوه فيما أمر، وضد التصديق التكذيب، وضد الطاعة، التولي) (٤).

وقال- رحمه الله-: (والمتولي هو العاصي الممتنع عن الطاعة) (٥).

الخلاصة:

بعد هذا الإيجاز لكلام أهل اللغة والمفسرين، يمكن أن نستخلص من معاني الإعراض ما يلي:

١ - يأتي بمعنى: عدم الاستماع لأوامر الله عز وجل، وعدم المبالاة بها أو التفكر فيها وهو الغالب.

٢ - ويأتي بمعنى: عدم القبول لها، وهذا يأتي بعد الاستماع لها والتذكير بها.

٣ - ويأتي بمعنى الامتناع والتولي عن الطاعة، وهذا يكون بعد الاستماع والقبول.

٤ - ويأتي بمعنى: ترك العمل.

٥ - ويأتي بمعنى: الصدود.

٦ - ويأتي بمعنى: ترك حكم الله، والانصراف عنه مع العلم بحقيقته.

وحاصل ذلك يرجع إلى ثلاثة أمور:

الأول: يتعلق بالعلم (قول القلب)، من عدم الاستماع، وعدم المبالاة.

الثاني: يتعلق بالعمل (عمل القلب والجوارح).

أ - عمل القلب: من عدم القبول والاستسلام.

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٦٢/٦

ب- عمل الجوارح: من الامتناع وترك العمل، والتولي عن الطاعة.

الثالث: الإعراض عن حكم الله والتحاكم إليه.

فهذا هو مفهوم الإعراض، وهذه هي أنواعه وحالاته.

ب- الإعراض المكفر وغير المكفر

بعد ذكر مفهوم الإعراض وحالاته، يرد علينا هذا التساؤل، ما الإعراض الذي هو ناقض من نواقض الإسلام؟ ذكر الإمام ابن القيم- رحمه الله- من أنواع الكفر الأكبر: كفر الإعراض، وعرفه قائلا: (وأما كفر الإعراض: فإن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول، لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به البتة) (٦)، وفصل ذلك في موضع آخر فقال: (.. إن العذاب يستحق بسببين، أحدهما: الإعراض عن الحجة وعدم إرادتها والعمل بها وبموجبها، والثاني: العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها، فالأول كفر إعراض، والثاني كفر عناد، وأما كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل) (٧).

---

(١) ((تفسير الطبري)) (١٠/ ٣٦٦) انظر (١٠/ ٣٩٢، ٥٧٥).

(٢) ((تفسير الطبري)) (١٠/ ٣٧٧).

(٣) ((الإيمان)) (ص: ٥٦).

(٤) ((الإيمان)) (ص: ١٣٧).

(٥) ((الإيمان الأوسط)) (ص: ١٥٤).

(٦) ((مدارج السالكين)) (١/ ٣٦٦، ٣٦٧) انظر ((مفتاح دار السعادة)) (ص: ٩٤).

(٧) ((طريق الهجرتين)) (ص: ٣٨٤) انظر ما قبلها، وانظر ((مفتاح دار السعادة)) (ص: ٤٤) و ((إرشاد الطالب)) (ص: ١٢، ١٣).." [1]

"فالإعراض المكفر على حسب ما ذكره هو نوع من اللامبالاة فلا يسمع الحجة، ولا يبحث عنها، ولا يفكر في ذلك، ولا يعني ذلك أن الإمام يحصر كفر الإعراض بما **ينافي قول القلب فقط**، لكنه لا يسمي في كلامه ترك العمل بعد العلم كفر إعراض، وإنما يطلق عليه كفر عناد وهو نفسه كفر الإعراض من جهة التولي وترك العمل والامتناع ....

كذلك ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- كفر الإعراض المنافي لقول القلب حيث قال: (والكفر أعم من التكذيب فكل من كذب الرسول كافر، وليس كل كافر مكذبا، بل من يعلم صدقه، ويقر به وهو مع ذلك يبغضه أو يعاديه كافر، أو من أعرض فلم يعتقد لا صدقه ولا كذبه كافر وليس بمكذب) (١).

وكذلك الإمام محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله- ذكر ضمن نواقض الإسلام (العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون [السجدة: ٢٢] (٢)،

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٦/٣٧٨

فالإمام كما يبدو من كلامه يعتبر جهل أصول الدين والإعراض عن تعلمه مع القدرة كفر أكبر وكذلك ترك العمل بعد ما يعلم.

أما الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ- رحمه الله- فقد أجاب إجابة شاملة وموجزة حينما سئل عن الإعراض الناقض للإسلام، فقال: (إن أحوال الناس تتفاوت تفاوتا عظيما وتفاوتهم بحسب درجاتهم في الإيمان إذا كان أصل الإيمان موجودا والتفريط والترك إنما هو فيما دون ذلك من الواجبات والمستحبات، وأما إذا عدم الأصل الذي يدخل به الإسلام وأعرض عن هذا بالكليه، فهذا كفر إعراض، فيه قوله تعالى: ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون [الأعراف: ١٧٩]، وقوله: ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى [طه: ١٢٤]، ولكن عليك أن تعلم أن المدار على معرفة حقيقة الأصل وحقيقة القاعدة وإن اختلف التعبير واللفظ) (٣).

فالشيخ عبد اللطيف – رحمه الله – بين ووضح أنه إذا اختل الأصل (أي أصل الإيمان ...) بالإعراض التام عن قول القلب أو عمله، أو قول اللسان أو جنس عمل الجوارح فهذا هو الإعراض الناقض لأصل الإيمان، أما ترك الواجبات والمستحبات والإعراض عن فعلها فلا يعد ضمن الإعراض المكفر، ويلاحظ في كلام الشيخ أنه لم يذكر ترك الأركان ضمن الإعراض غير الناقض ولعل ذلك للخلاف المشهور حول حكم تارك الأركان، وخاصة الصلاة.

---

(١) ((التسعينية)) (٥/ ١٦٦).

(٢) ((الرسائل الشخصية)) (ص: ٢١٤).

(٣) ((منهاج أهل الحق والاتباع)) (ص: ٦٤، ٦٥) ، للشيخ سليمان بن سحمان انظر ((منهاج التأسيس والتقديس)) (ص: ٢٢٧، ٢٢٨) ، للشيخ عبد اللطيف.." (١)

"منها الشك في صدق الرسول صلى الله عليه وسلم أو الشك في البعث، أو الشك في كفر الكافر، أو الشك في شيء من القرآن أو الشك في حكم من الأحكام، قال القاضي عياض – رحمه الله – عند كلامه عن بعض المكفرات: (وكذلك من أضاف إلى نبينا الكذب فيما بلغه وأخبر به، أو شك في صدقه، أو سبه ... فهو كافر بإجماع (١). وقال أيضا: (... ولهذا نكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل، أو وقف فيهم، أو شك، أو صحح مذهبهم، وإن أظهر مع ذلك الإسلام، واعتقده، واعتقد إبطال كل مذهب سواه، فهو كافر بإظهار ما أظهره من خلاف ذلك) (٢)، وقال: (اعلم أن من استخف بالقرآن أو المصحف أو بشيء منه، أو سبهما، أو جحده، أو حرف منه آية، أو كذب به أو بشيء منه، أو كذب بشيء مما حرم به من حكم أو خبر، أو أثبت ما نفاه أو نفى ما أثبته على علم بذلك، أو شك في شيء من ذلك فهو كافر عند أهل العلم بإجماع) (٣).

وذكر شيخ الإسلام حكم من لم يكفر الكافر سواء كان كافرا أصليا كاليهود والنصارى، أو من ثبت كفره يقينا كالباطنية

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٧٩/٦

فقال – رحمه الله – في رده على أهل الحلول والاتحاد: (وأقوال هؤلاء شر من أقوال النصارى، وفيها من التناقض من جنس ما في أقوال النصارى، ولهذا يقولون بالحلول تارة، وبالاتحاد أخرى، وبالوحدة تارة، فإنه مذهب متناقض في نفسه، ولهذا يلبسون على من لم يفهمه، فهذا كله كفر باطنا وظاهرا بإجماع كل مسلم، ومن شك في كفر هؤلاء بعد معرفة قولهم ومعرفة دين الإسلام فهو كافر، كمن يشك في كفر اليهود والنصارى والمشركين) (٤)، وقال في بيان حكم من زعم أن الصحابة ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا نفرا قليلا أو أنهم فسقوا عامتهم، قال: (فهذا لا ريب – أيضا- في كفره لأنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع من الرضى عنهم والثناء عليهم، بل من يشك في كفره مثل هذا فإن كفره متعين ...) (٥).

وذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – من نواقض الإسلام: (الثالث: من لم يكفر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم، كفر إجماعا) (٦)، وقال الإمام سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب – رحمهم الله -: (... فإن كان شاكا في كفرهم أو جاهلا بكفرهم بينت له الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على كفرهم، فإن شك بعد ذلك وتردد فإنه بإجماع العلماء على أن من شك في كفر الكفار فهو كافر) (٧). وقال الشيخ ابن سحمان – رحمه الله -: (وقد دل القرآن على أن الشك في أصول الدين كفر، والشك هو التردد بين شيئين، كالذي لا يجزم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم ولا كذبه، ولا يجزم بوقوع البعث ولا عدم وقوعه، ونحو ذلك كالذي لا يعتقد وجوب الصلاة ولا عدم وجوبها، أو لا يعتقد تحريم الزنا ولا عدم تحريمه، وهذا كفر بإجماع العلماء) (٥).

وفي آخر هذا المبحث نشير إلى فائدتين هامتين ... وقد ذكرهما شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

الأولى: التنبيه إلى الفرق بين الشك والوسوسة، (فالوسوسة هي مما يهجم على القلب بغير اختيار الإنسان، فإذا كرهه العبد ونفاه كانت كراهته صريح الإيمان) (٨)، أما الشاك فيما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو تارك للإيمان الذي لا نجاة ولا سعادة إلا به.

الثانية: مر معنا في أول هذا المبحث أن معنى الريب: الشك هذا من حيث الإجمال، ويذكر شيخ الإسلام فرقا دقيقا بين الريب والشك، فيقول: (والريب يكون في علم القلب وفي عمل القلب، بخلاف الشك، فإنه لا يكون إلا في العلم، ولهذا لا يوصف باليقين إلا من اطمأن قلبه علما وعملا) (٩)، وبذلك يكون الشك أخص من الريب، ويكون الشاك كافرا بسبب الإخلال بشرط العلم الذي هو أصل قول القلب، والله أعلم. نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف لمحمد بن عبد الله بن علي الوهيبي-بتصرف- ٢/ ٦٩

---

(١) ((الشفا)) (٢/ ١٠٦٩).

(٢) ((الشفا)) (٢/ ١٠٧١).

(٣) ((الشفا)) (٢/ ١١٠١).

(٤) ((مجموع الفتاوى)) (٢/ ٣٦٨).

(٥) ((الصارم المسلول)) (ص: ٥٩١، ٥٩٢).

(٦) مجموعة الشيخ ((الرسائل الشخصية)) (ص: ٢١٣).

(٧) رسالة ((أوثق عرى الإيمان))، ((الجامع الفريد)) (ص: ٣٧٠).

(٨) ((الضياء الشارق)) (ص: ٣٧٤).

(٩) ((مجموع الفتاوى)) (١٤/ ١٠٨) وانظر ((الإيمان)) (ص: ٢٦٨).." [1]

"وقوله تبارك وتعالى: وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون [الجاثية:٣٤، ٣٥].

وقوله تعالى: ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون [الأحقاف:٢٦].

وقال تعالى: قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم [التوبة:٦٥، ٦٦].

يقول ابن تيمية: نقل عن الشافعي أنه سئل عمن هزل بشيء من آيات الله تعالى، أنه قال كافر، واستدل بقوله تعالى: قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم (١).

ويقول ابن تيمية عن قوله تعالى: قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم وهذا نص في أن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر ... (٢).

ب- إن الإيمان بالكتب المنزلة يتضمن الإقرار بها وتصديقها، ولا شك أن إنكارها يناقض هذا الإقرار والتصديق، فإنكار الكتب المنزلة **يناقض قول القلب وهو** التصديق، كما يناقض قول اللسان وهو الإقرار.

والإيمان بالكتب المنزلة يتضمن أيضا وجوب تعظيمها وإجلالها وإكرامها، وإن الاستهزاء بها لا يجتمع مع هذا التعظيم والإجلال، فهو مناقض لعمل القلب، كما أنه يناقض الإيمان الظاهر باللسان.

جـ- إن إنكار الكتب السماوية يتضمن إنكارا لصفة الكلام الإلهي، ونفي هذه الصفة من الإلحاد في أسماء الله تعالى، وسوء الظن بالله تعالى، وعدم قدر الله تعالى حق قدره.

كما أن هذا الإنكار طعن في الرسل عليهم السلام وتنقص لهم، ... وأن الطعن في الرسل عليهم السلام وسبهم من نواقض الإيمان.

كما أن هذا الإنكار والاستهزاء هو إنكار واستهزاء بشرائع الدين وأحكامه الإلهية المتلقاة من هذا الوحي، والاستهزاء بالدين كفر (٣)؛ لأن أصل الدين قائم على التعظيم (٤).

د- روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((المراء في القرآن كفر)) (٥).

ومما قاله الخطابي في بيان هذا الحديث: اختلف الناس في تأويله. فقال بعضهم: معنى المراء هنا: الشك فيه، كقوله تعالى فلا تك في مرية منه [هود:١٧] أي: في شك، ويقال: بل المراء هو الجدال المشكك فيه.

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٦/٣٨٣

(١) ((الصارم المسلول)) (ص٥١٣).

(٢) ((الصارم المسلول)) (ص٣١)، وانظر: ((المحلى)) لابن حزم (١٣/ ٥٠٠).

(٣) انظر: ((تفسير الرازي)) (١٦/ ١٢٤).

(٤) انظر: ((تفسير السعدي)) (٣/ ٢٥٩).

(٥) رواه أبو داود (٤٦٠٣)، وأحمد (٢/ ٣٠٠) (٧٩٧٦). والحديث سكت عنه أبو داود. وحسنه ابن القيم في ((تهذيب السنن)) (١٢/ ٣٥٣)، وابن حجر في ((هداية الرواة)) (١/ ١٥٩) -كما أشار لذلك في مقدمته -. وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٧/ ١٥٤): رواه كله أحمد بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح. وقال أحمد شاكر في ((المسند)) (١٥/ ١٤٦): إسناده صحيح. وقال الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)): حسن صحيح.." [1]

"وظاهر هذا أنه يرى كفر تارك الصلاة إذا دعي إليها وأبى، كما هو المعروف من مذهب الحنابلة.

وما ذكره: من أن الخلاف هنا متفرع على الخلاف في مسألة الإيمان، هو ما قرره شيخ الإسلام بقوله: (وعلم أن من قال من الفقهاء: إنه إذا أقر بالوجوب، وامتنع عن الفعل، لا يقتل، أو يقتل مع إسلامه؛ فإنه دخلت عليه الشبهة التي دخلت على المرجئة والجهمية، والتي دخلت على من جعل الإرادة الجازمة مع القدرة التامة لا يكون بها شيء من الفعل، ولهذا كان الممتنعون من قتل هذا من الفقهاء بنوه على قولهم في مسألة الإيمان، وأن الأعمال ليست من الإيمان) (١).

الوجه الثاني: أنه على فرض أن الشيخ: لا يكفر بترك الصلاة والزكاة والصوم والحج، فهذا من أبلغ الرد على المخالف في زعمه أن مسألة ترك العمل راجعة إلى مسألة ترك الصلاة، خلافا ومأخذا، والحق أن الأولى مجمع عليها بين أهل السنة، بخلاف الثانية، والشيخ هنا: مع عدم تكفيره لتارك المباني الأربعة، يجزم بكفر تارك عمل الجوارح بالكلية، ويحكي الإجماع على هذا، فلله الحمد والمنة.

٨ - أحد أئمة الدعوة، حيث قال في (التوضيح عن توحيد الخلاق): (فأهل السنة مجمعون على أنه متى زال عمل القلب فقط، أو هو مع عمل الجوارح: زال الإيمان بكليته. وإن وجد مجرد التصديق، فلا ينفع مجردا عن عمل القلب والجوارح معا، أو أحدهما (٢)، كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول صلى الله عليه وسلم سرا وجهرا) (٣).

٩ - الشيخ عبدالرحمن بن حسن، ت: ١٢٨٥هـ، حيث قال: (قوله: ((من شهد أن لا إله إلا الله)) أي تكلم بها عارفا لمعناها، عاملا بمقتضاها باطنا وظاهرا (٤)، كما قال تعالى: فاعلم أنه لا إله إلا الله [محمد:١٩]، وقوله: إلا من شهد بالحق وهم يعلمون [الزخرف:٨٦] أما النطق بها من غير معرفة معناها، ولا يقين ولا عمل بمقتضاها، من نفي الشرك وإخلاص القول **والعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح، فغير نافع بالإجماع) (٥).

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) (٧/ ٦١٦).

---

[1] الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٦/٤٥٠

(٢) فلا ينفع التصديق مع زوال العملين، أي عمل القلب وعمل الجوارح، ولا ينفع أيضا مع زوال أحدهما، بل لابد من اجتماع الثلاثة، فلا يجزئ أحدها عن الآخر.

(٣) ((التوضيح عن توحيد الخلاق)) (ص: ١٣٩) والكتاب طبع منسوبا للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب، وحقق الشيخ الدكتور عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف نسبته إلى ثلاثة من أئمة الدعوة اشتركوا فيه، وهم: الشيخ محمد بن علي بن غريب (ت: ١٢٠٩ هـ)، والشيخ حمد بن معمر (ت: ١٢٢٥ هـ)، والشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب (ت: ١٢٤٢ هـ). انظر: ((دعاوى المناوئين)) (ص: ٥٩)، وانظر: ترجمة الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب، في ((الدرر السنية)) (١٦/ ٣٧٦٦) وجاء فيها: (وله مشاركة في كتاب ((التوضيح)).

(٤) في إحدى النسخ بعد قوله: (وظاهرا): (فلابد في الشهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولهما).

(٥) ((فتح المجيد)) (١/ ١١٩) ت: د. الوليد بن عبدالرحمن آل فريان.." [1]

"قال: (فالسلف يقولون: ترك الواجبات الظاهرة، دليل على انتفاء الإيمان الواجب من القلب، لكن قد يكون ذلك بزوال عمل القلب، الذي هو حب الله ورسوله، وخشية الله، ونحو ذلك، لا يستلزم ألا يكون في القلب من التصديق شيء. وعند هؤلاء (١) كل من نفى الشرع إيمانه دل على أنه ليس في قلبه شيء من التصديق أصلا، وهذا سفسطة عند جماهير العقلاء) (٢).

قلت: الإيمان الواجب هنا، هو الإيمان الصحيح المجزئ، بدليل قوله: (لكن قد يكون ذلك بزوال عمل القلب ... لا يستلزم ألا يكون في القلب من التصديق شيء).

وسياق الكلام يفيد بأن شيخ الإسلام يسلم للمخالف بأن إيمان القلب يذهب وينتفي، لكن ليس لذهاب التصديق فقط، بل قد يكون بذهاب عمل القلب، وهذا يدل على أن المراد بانتفاء الإيمان الواجب من القلب: انتفاء الإيمان الصحيح المجزئ، المترتب على (زوال عمل القلب).

(١١) تصريحه بأنه لابد في الإسلام من الإتيان بأصل الطاعة في الظاهر:

قال: (فإذا قال أحد هؤلاء العالمين الجاحدين الذين ليسوا بمؤمنين: محمد رسول الله، كقول أولئك اليهود وغيرهم، فهذا خبر محض مطابق لعلمهم الذي قال الله فيه: الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون [البقرة:١٤٦]، لكن كما لا ينفعهم مجرد العلم، لا ينفعهم مجرد الخبر، بل لابد أن يقترن بالعلم في الباطن مقتضاه من العمل الذي هو المحبة والتعظيم والانقياد ونحو ذلك، كما أنه لابد أن يقترن بالخبر الظاهر مقتضاه من الاستسلام والانقياد وأصل الطاعة) (٣).

وهذا كما ترى صريح في اشتراط أربعة أمور، هي أركان الحقيقة **المركبة، قول القلب وعمله**، وقول اللسان وأصل عمل الجوارح، وسماه هنا: أصل الطاعة، وبين أنه لا ينفع الكافر وجود التصديق مع قول اللسان، ما لم يقترن التصديق بالعمل الباطن، ويقترن قول اللسان بالعمل الظاهر، وفي هذا أبلغ رد على من زعم أن التلازم بين الظاهر والباطن إنما هو في الإيمان

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٣١/٧

المطلق أو الكامل لا في أصل الإيمان.

١٥ – الإمام ابن القيم رحمه الله، ت:٧٥١هـ

(١) تصريحه بأن تخلف العمل الظاهر دليل على فساد الباطن.

قال: (الإيمان له ظاهر وباطن، وظاهره قول اللسان وعمل الجوارح وباطنه تصديق القلب وانقياده ومحبته، فلا ينفع ظاهر لا باطن له وإن حقن به الدماء وعصم به المال والذرية.

ولا يجزئ باطن لا ظاهر له إلا إذا تعذر بعجز أو إكراه وخوف هلاك، فتخلف العمل ظاهرا مع عدم المانع دليل على فساد الباطن وخلوه من الإيمان.

ونقصه دليل نقصه.

وقوته دليل قوته. فالإيمان قلب الإسلام ولبه، واليقين قلب الإيمان ولبه. وكل علم وعمل لا يزيد الإيمان واليقين قوة فمدخول، وكل إيمان لا يبعث على العمل فمدخول) (٤).

وقال: (فكل إسلام ظاهر لا ينفذ صاحبه منه إلى حقيقة الإيمان الباطنة، فليس بنافع، حتى يكون معه شيء من الإيمان الباطن.

وكل حقيقة باطنة لا يقوم صاحبها بشرائع الإسلام الظاهرة، لا تنفع ولو كانت ما كانت، فلو تمزق القلب بالمحبة والخوف، ولم يتعبد بالأمر وظاهر الشرع، لم ينجه ذلك من النار، كما أنه لو قام بظواهر الإسلام وليس في باطنه حقيقة الإيمان لم ينجه من النار) (٥).

(٢) تصريحه بأن من أمحل المحال أن يقوم بقلب العبد إيمان جازم لا يتقاضاه فعل طاعة ولا ترك معصية:

---

(١) أي: الأشعري – قبل رجوعه لمذهب أهل السنة والجماعة- والباقلاني ومن قبلهم ممن نصر قول جهم في الإيمان.

(٢) ((مجموع الفتاوى)) (٧/ ١٤٨).

(٣) ((التسعينية)) (٢/ ٦٧٣).

(٤) ((الفوائد)) (ص٨٥).

(٥) ((الفوائد)) (ص١٤٢).." [1]

"حقيقة الإيمان

Q هل الإيمان قول وعمل واعتقاد، أم قول واعتقاد، وما حكم الذي يقول: إن الإيمان اعتقاد وقول فقط؟

A هذا السؤال يحتاج إلى كلام طويل، والخلاصة أن الإيمان عند أهل الحق قول القلب، وقول اللسان، وتصديق القلب، وعمل القلب، وعمل الجوارح، ومرجئة الفقهاء -وهم طائفة من أهل السنة- يقولون: الإيمان قول باللسان، وتصديق بالقلب، وأما الأعمال فليست من الإيمان، لكنها مطلوبة، وأما المرجئة المحضة فيقولون: ليست مطلوبة، فأهل السنة من

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٧/١٥٠

الأحناف وغيرهم من مرجئة الفقهاء يقولون: الأعمال ليست من الإيمان، لكنها مطلوبة، والواجبات واجبات، والمحرمات محرمات، لكن لا نسميها إيمانا، فالإنسان عليه واجبان: واجب الإيمان، وواجب العمل، أما المرجئة المحضة فقالوا: لا تؤثر الأعمال في الإيمان ولا تضر، وهذا هو الفرق بينهما، والصواب أن الإيمان قول باللسان، وقول بالقلب، وهو التصديق، وعمل القلب وعمل الجوارح، وكلها داخلة في مسمى الإيمان، والنصوص الدالة على هذا كثيرة.." (١)

"ترجيح الإمام ابن القيم رحمه الله

ساق العلامة ابن القيم رحمه الله الأدلة في هذه المسألة في كتابه (رسالة في الصلاة)، وساق أدلة القائلين بكفر تارك الصلاة كفرا أكبر يخرج من الملة، وساق أدلة القائلين بأنه يكفر كفرا أصغر لا يخرج من الملة، ثم عقد فصلا للحكم بينهم فقال: فصل في الحكم بين الفريقين، وفصل الخطاب بين الطائفتين.

يريد أن يحكم بينهم، ثم قال: معرفة الصواب في هذه المسألة مبني على معرفة حقيقة الإيمان والكفر، ثم يصح النفي والإثبات بعد ذلك، ثم ذكر رحمه الله كلاما تستخلص منه الأصول الآتية: الأصل الأول: أن الإيمان والكفر متقابلان، فمتى زال أحدهما خلفه الآخر، فإذا زال الإيمان خلفه الكفر، وإذا زال الكفر خلفه الإيمان، فالكفر والإيمان متقابلان، فمتى زال أحدهما خلفه الآخر.

الأصل الثاني: أن الإيمان أصل له شعب متعددة، وكل شعبة منها تسمى إيمانا، والكفر أصل له شعب متعددة، وكل شعبة منها تسمى كفرا.

الأصل الثالث: أن شعب الإيمان متفاوته، كما في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق)، فالأصل الثالث: أن شعب الإيمان متفاوتة، فأعلاها شعبة الشهادة، وأدناها شعبة إماطة الأذى عن الطريق، وبينهما شعب متفاوتة، منها ما يقرب من شعبة الشهادة، ومنها ما يقرب من شعبة إماطة الأذى عن الطريق، وكذلك الكفر شعب متفاوتة.

الأصل الرابع: أن الإيمان قسمان: قول وعمل، وكذلك الكفر قسمان: قول وعمل، وأن الإيمان قد يحصل بشعبة قولية، كشعبة الشهادة، وقد يحصل بشعبة فعلية، كشعبة التصديق.

وكذلك الكفر قد يحصل بشعبة قولية، كالإتيان بكلمة الكفر اختيارا، وقد يحصل بشعبة فعلية، كالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف.

الأصل الخامس: أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل، والقول **قسمان: قول القلب وهو** التصديق والاعتقاد، وقول اللسان: وهو التكلم بكلمة الإسلام، وعمل القلب: وهو نيته وإخلاصه واعتقاده، وعمل الجوارح، فحقيقة الإيمان مركبة من قول اللسان، وقول القلب، وعمل القلب، وعمل الجوارح، فإذا وجدت هذه الحقيقة المركبة من هذه الأمور الأربعة، وجد الإيمان بالاتفاق، وإذا فقدت هذه الأربعة، فقد الإيمان بالاتفاق، وإذا وجدت، وتخلف التصديق والاعتقاد، فإنه لا تنفع بقية الأجزاء؛ لأن التصديق شرط في صحتها، وإذا وجد التصديق، وانتفى عمل القلب: وهو نيته وإخلاصه، ومحبته

(١) دروس في العقيدة – الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٦/٢٢

وانقياده، فهذا موضع الخلاف والمعركة، بين أهل السنة وبين المرجئة، فأهل السنة يقولون: لا يحصل الإيمان، والمرجئة يقولون: يحصل الإيمان.

الأصل السادس: أنه لا يلزم من قيام شعبة من شعب الإيمان بالعبد، أن يسمى مؤمنا، وإن كان ما قام به إيمانا، ولا يلزم من قيام شعبة من شعب الكفر بالعبد، أن يسمى كافرا وإن كان ما قام به كفرا.

الأصل السابع: أن سلب اسم الإيمان عن تارك الصلاة، أولى من سلبه عن مرتكب الكبائر، فالنبي صلى الله عليه وسلم سلب الإيمان عن مرتكب الكبائر، فقال: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) فسلبه عن تارك الصلاة أولى، وسلب اسم الإسلام عن تارك الصلاة أولى، من سلبه عمن لم يسلم المسلمون من لسانه ويده، فقد قال صلى الله عليه وسلم: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) فالذي لم يسلم المسلمون من لسانه ويده سلب عنه الإسلام، فسلب الإسلام عن تارك الصلاة أولى.

الأصل الثامن: أنه إذا كان الإيمان يزول بزوال عمل القلب –وهو المحبة والانقياد– فغير مستنكر أن يزول الإيمان بزوال أعظم أعمال الجوارح، وهي الصلاة.

ثم بعد ذلك عند التأمل قال: هل ينفع تارك الصلاة ما معه من التصديق، في عدم الخلود في النار أولا ينفعه؟ فتارك الصلاة معه شعبة واحدة من الإيمان، وهي شعبة التصديق، فهل ينفعه ما معه من الإيمان؟ وهل تنفعه هذه الشعبة –وهي التصديق– في عدم الخلود في النار أو لا تنفعه؟ والجواب أن يقال: تنفعه إن لم يكن المتروك شرطا في صحة الباقي واعتباره، أما إذا كان المتروك شرطا في صحة الباقي واعتباره فإنها لا تنفعه، ولهذا لم تنفع الشهادة لله بالوحدانية وأنه لا إله إلا هو، من أنكر رسالة محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأن الشهادة للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة؛ شرط في صحة الشهادة لله بالوحدانية، ولم تنفع الصلاة لمن صلاها عمدا بغير وضوء؛ لأن الوضوء شرط في صحة الصلاة؛ لأن شعب الإيمان قد يتعلق بعضها ببعض؛ تعلق المشروط بشرطه، وقد لا يكون كذلك، فالصلاة هل تتعلق بالإيمان تعلق المشروط بشرطه؟ أي: هل هي شرط في صحته أو لا؟ هذا هو سر الاختلاف.

والأدلة الكثيرة التي سبقت وغيرها؛ تدل على أنه لا يقبل شيء من أعمال العبد إلا بفعل الصلاة، وأن الصلاة هي رأس مال ربح الإنسان، ومحال بقاء الربح؛ مع ضياع رأس المال، فإذ خسر الصلاة خسر أعماله كلها، كما أشار إلى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: (فإن ضيعها فهو لما سواها أضيع) وقوله: (أول ما ينظر من عمل العبد الصلاة، فإن جازت له نظر في سائر عمله، وإن لم تجز له لم ينظر في سائر عمله)، وهي أول ما يحاسب العبد عنه، إذا وضع في قبره، فالأدلة الكثيرة تدل على أن ترك الصلاة، ملزوم بعدم محبة القلب وانقياده، وعدم محبة القلب وانقياده، ملزوم بعدم التصديق الجازم، وعدم التصديق الجازم، ملزوم بالكفر، فيلزم من ترك الصلاة، عدم محبة القلب وانقياده، ويلزم من عدم محبة القلب وانقياده، عدم التصديق الجازم، ويلزم من عدم التصديق الجازم، الكفر.

هذا هو ترجيح الإمام العلامة ابن القيم، فقد توصل إلى أنه يلزم من ترك الصلاة، عدم محبة القلب وانقياده، ويلزم من عدم محبة القلب وانقياده، عدم التصديق الجازم، ويلزم من عدم التصديق الجازم، الكفر.

ثم يصور رحمه الله صورة واقعة لتارك الصلاة، فيقول فيمن يقول إن تارك الصلاة لا يكفر: ومن العجب أن يقع الشك في

كفر من أصر على ترك الصلاة، ودعي إلى فعلها على رءوس الملأ، وهو يرى بارقة السيف على رأسه، وعصبت عيناه، وشد للقتل، وقيل له: تصلي وإلا قتلناك، فيقول: اقتلوني ولا أصلي أبدا، فهل يقع الشك في كفر هذا؟! يقول: أنا مصدق، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن الصلاة واجبة، ولكني لا أصلي، فاقتلوني ولن أصلي أبدا، فهل يقع الشك في كفر هذا؟! يقول: ومن لا يكفر تارك الصلاة، ويقول في هذا الرجل الذي عصبت عيناه، وشد للقتل، ويرى بارقة السيف على رأسه، وقيل له: تصلي وإلا قتلناك فيقول: اقتلوني ولا أصلي أبدا، يقول: هذا مسلم مؤمن، يغسل ويصلى عليه، ويدفن مع المسلمين في مقابرهم؟ ثم يقول: وبعضهم يقول: إنه مؤمن كامل الإيمان، فإيمانه كإيمان جبريل وميكائيل، فهؤلاء هم المرجئة، فالمرجئة يقولون: إنه مؤمن كامل الإيمان، إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل، وكإيمان أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب.

ثم قال: أفلا يستحي من هذا قوله من إنكاره كفر من شهد بكفره الكتاب والسنة، واتفاق الصحابة؟! والله الموفق.

فهذه صورة لتارك الصلاة: رجل عصبت عيناه، وشد للقتل، وامتنع من الصلاة، فهل يكفر أو لا يكفر؟ فمن لا يكفر تارك الصلاة يقول: لا يكفر، وهل يعقل أن يكون شخص استقر الإيمان في قلبه، ويعرف الوعيد على ترك الصلاة، والفضل العظيم على فعلها، ثم يبقى طول دهره، وبقية عمره، لا يصلي، ويكون في قلبه إيمان؟! هل يعقل هذا؟! لا فلو كان في قلبه إيمان لصلى لله، فأين الإيمان؟! وهل يعقل أن يكون هناك شخص يقول: إنه مصدق، وإنه في قلبه إيمان، ويعترف بوجود الصلاة، ويعرف الأدلة على وجوبها، والفضل العظيم لمن أدى هذه الصلاة، والوعيد الشديد على من تركها، ثم يبقى دهره لم يصل، ولم يسجد لله سجدة واحدة ويقول إنه مؤمن؟! هل يعقل هذا؟! لا يمكن ولا يعقل.

فلا ومن أقوى الأدلة ما ذكره ابن القيم رحمه الله وهو حديث الأمراء، والنهي عن الخروج عليهم إلا عند الكفر البواح، أما حديث عوف بن مالك الأشجعي في النهي عن الخروج عليهم ما أقاموا الصلاة، وهذا من أقوى الأدلة، فنهى عن الخروج إلا عند الكفر البواح، وفي حديث عوف بن مالك نهى عن الخروج ما داموا يقيمون الصلاة، فدل على أنهم: إذا لم يقيموا الصلاة؛ فقد أتوا كفرا بواحا، وكذلك حديث البخاري (من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله) والذي يحبط عمله، هو الكافر، ثم إجماع الصحابة أيضا، وكذلك حديث: (بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة) فقد جعل حدا فاصلا بين الكفر وبين الإيمان، فالبينية تفصل بين الشيء وغيره.

ومن الأدلة أيضا: حديث عبد الله بن عمرو بن العاص الذي رواه الإمام أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الصلاة يوما فقال: (من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة يوم القيامة، وحشر مع فرعون وهامان وقارون وأبي بن خلف).

ففيه أن من لم يحافظ عليها يحشر مع أئمة الكفر، مع قارون، ومع فرعون الطاغية؛ الذي ادعى الربوبية والألوهية، ﴿فقال أنا ربكم الأعلى﴾ [النازعات:٢٤] ومع هامان وزير فرعون، وقارون الذي خسف الله به الأرض، وأبي بن خلف تاجر الكفار بمكة، يحشر مع هؤلاء الكفرة، فالذي يحشر مع هؤلاء الكفرة هل هو مؤمن؟! لا يمكن ذلك، فدل على كفره، فلولا أنه كافر لما حشر مع هؤلاء الكفرة الذين هم رءوس الكفر، ففرعون هو الذي ادعى الألوهية، وهامان وزير فرعون، وقارون صاحب الأموال الكثيرة الذي خسف الله به الأرض، وأبي بن خلف تاجر كفار مكة.

قال العلماء: إن كون تارك الصلاة يحشر مع هؤلاء الأربعة لأنه إما أن يتركها لأنه اشتغل بملكه، أو يتركها اشتغالا بماله، أو يتركها." (١)

"ثانيا: أن زوال الصلاة وهي جزء من أجزاء الإيمان مزيل لوصف الإيمان، وهذا من أدلة أهل السنة والجماعة على أن تارك الصلاة يعتبر كافرا كفرا أكبر مخرجا له من الملة، وهذا محل إجماع بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ومن الأدلة هذه التي مر معنا. أي صلاتكم الأولى إلى بيت المقدس، وهذا هو مراد السلف بأن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، إذا أطلق الفظ الإيمان فقد عرفه السلف بماذا؟ بأنه ما اجتمع فيه ركنان: القول، والعمل. **القول قول القلب واللسان**، والعمل عمل القلب والجوارح والأركان. حينئذ لا بد من هذه الأجزاء الأربعة على جهة التفصيل، والاثنان على جهة الاختصار. فنقول: الإيمان هو اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان. إخراج العمل الظاهر عن مسمى الإيمان مخالف للإجماع الذي ذكرناه سابقا، بمعنى أنه لا يعرف الإيمان إذا أطلق [بأنه القول] بأنه الاعتقاد وقول اللسان فحسب وبأن أعمال الجوارح ليست داخلة في مسمى الإيمان نقول: هذا قول محدث وهو بدعة وضلالة، لأنه مخالف لإجماع السلف وهو أن الإيمان مركب من شيئين: قول، **وعمل. قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح والأركان. وهذا هو مراد السلف بأن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، وأن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان. قال الأوزاعي رحمه الله تعالى: كان من مضى من السلف لا يفرقون بين العمل والإيمان. وهذا حكاية إجماع: كان من مضى من السلف لا يفرقون بين العمل والإيمان. يعني الإيمان هو العمل، والعمل هو الإيمان. لأن من خالف ممن انتسب إلى أهل السنة والجماعة خالف في دخول أعمال الجوارح في مسمى الإيمان، وأما الاعتقاد والقول باللسان هذا لا يقول أحد بأنه خارج عن مسمى الإيمان، وإنما من انتسب إلى السنة نازع في دخول الجزء الثالث وهو عمل الجوارح والأركان. وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى إلى الأنصار أما بعد: فإن للإيمان فرائض وشرائع وحدود وسننا فمن استكملها فقد استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان. قال البخاري رحمه الله تعالى: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص. إذا الإيمان إذا أطلق فسر بما ذكر وهو أنه اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح والأركان.." (٢)

"مسمى الإيمان عند أهل السنة والجماعة

قال المؤلف رحمه الله: [والإيمان بأن الإيمان قول وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، قال الله تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا﴾ [التوبة:١٢٤]، وقال عز وجل: ﴿ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم﴾ [الفتح:٤]، وقال عز وجل: ﴿ويزداد الذين آمنوا إيمانا﴾ [المدثر:٣١]، وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الإيمان بضع وسبعون -وفي رواية: بضع وستون- شعبة، والحياء شعبة من الإيمان)، ول مسلم وأبي داود: (فأفضلها قول: لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)].

---

(١) دروس في العقيدة - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٩/١٤

(٢) شرح الأصول الثلاثة المختصر، أحمد بن عمر الحازمي ٩/٥

الإيمان عند أهل السنة والجماعة قول وعمل ونية، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فهو أربعة **أشياء: قول القلب وهو** تصديقه وإقراره، وقول اللسان وهو نطقه، وعمل القلب وهو النية والإخلاص والصدق والمحبة، وعمل الجوارح كالصلاة والصيام وغيرها.

هذا هو مسمى الإيمان عند أهل السنة والجماعة، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فإذا أطاع الإنسان ربه ازداد إيمانه، وإذا عصى نقص إيمانه، وللعلماء عبارات في هذا، منها: الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان -يعني: الجوارح- يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

ومنها: الإيمان قول وعمل ونية، والقول **يشمل قول القلب وهو** تصديقه وإقراره، وقول اللسان وهو النطق، والعمل يشمل عمل القلب مع النية والإخلاص، وعمل الجوارح مع النية، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فهو يزيد وينقص.

استدل المؤلف للزيادة بقوله عز وجل: ﴿فأما الذين آمنوا فزادهم إيمانا﴾ [التوبة:١٢٤] وقوله سبحانه: ﴿ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم﴾ [الفتح:٤]، وقال عز وجل: ﴿ويزداد الذين آمنوا إيمانا﴾ [المدثر:٣١] وروى أبو هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الإيمان بضع وسبعون -وفي رواية: بضع وستون- شعبة، والحياء شعبة من الإيمان)، هذا يدل على أن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان، والحياء شعبة من الإيمان، فالحياء عمل قلبي، ولـ مسلم وأبي داود: (فأفضلها قول: لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)، إذا: الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون -والبضع من ثلاثة إلى تسعة- كلها داخلة في مسمى الإيمان، أعلاها كلمة التوحيد لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، وبين الأدنى والأعلى شعب متفاوتة، منها ما يقرب من شعبة الشهادة: كالصلاة والزكاة والصوم والحج؛ فالصلاة شعبة، والصوم شعبة، والزكاة شعبة، والحج شعبة، والأمر بالمعروف شعبة، والنهي عن المنكر شعبة، وبر الوالدين شعبة، وصلة الرحم شعبة وهكذا أعلاها كلمة التوحيد وأدناها إماطة الأذى عن الطريق.

(والحياء شعبة من الإيمان) أي: الحياء شعبة قلبية، والشعبة القولية مثل قول لا إله إلا الله، والشعبة العملية مثل إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة قلبية وهي من الإيمان، وخالف في ذلك المرجئة وهم أقسام، فأقربهم مرجئة الفقهاء ومنهم الإمام أبو حنيفة وأصحابه، والمشهور عن الإمام أبي حنيفة أن الإيمان شيئان: تصديق القلب والإقرار باللسان فقط، وأما عمل القلب والجوارح فليسا من الإيمان، ولكنهم يوافقون جمهور أهل السنة في أن الطاعات مطلوبة، ومرتكب الكبيرة يستحق العقوبة، إلا أنهم لا يسمونها إيمانا؛ إذ الأعمال لا تجتمع في مسمى الإيمان.

والرواية الثانية عن الإمام أبي حنيفة: أن الإيمان هو تصديق القلب، وأما الإقرار باللسان فهو ركن زائد، وهذا مذهب الماتريدية.

وذهبت الكرامية إلى أن الإيمان هو النطق باللسان فقط، فمن نطق بالشهادتين فهو مؤمن كامل الإيمان، وإن كان مكذبا في الباطن يكون منافقا مخلدا في النار، وهذا من تناقضهم، ويلزم على قولهم أن يكون المؤمن كامل الإيمان مخلدا في النار، فإذا نطق باللسان يقولون: هذا مؤمن كامل الإيمان، وإن كان مكذبا بقلبه يخلد في النار، فيجمعون بين متناقضين.

وأفسد منه مذهب الجهمية الذين يقولون: الإيمان هو معرفة الرب بالقلب، والكفر هو جهل الرب بالقلب، فعلى مذهب

الجهمية يكون إبليس مؤمنا؛ لأنه يعرف ربه بقلبه، وفرعون مؤمن لأنه يعرف ربه بقلبه، إبليس يقول كما حكى الله عنه: ﴿قال رب فأنظرني﴾ [ص:٧٩] فهو يعرف ربه بقلبه، وفرعون يعرف ربه بقلبه، يقول الله عن موسى أنه قال: ﴿قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض﴾ [الإسراء:١٠٢]، واليهود مؤمنون على مذهب الجهم قال تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ [البقرة:١٤٦]، وأبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم الذي مات على الشرك مؤمن على مذهب الجهم؛ لأنه القائل: ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا فتكون المرجئة أربع طوائف، أفسدها: مذهب الجهم القائلون بأن الإيمان معرفة الرب بالقلب، والكفر جهل الرب بالقلب، ويلزم على هذا المذهب أن يكون إبليس وفرعون واليهود وأبو طالب مؤمنين.

يليه في الفساد المذهب الثاني وهو مذهب الكرامية، وهو أن الإيمان هو النطق باللسان فقط، فإذا نطق بلسانه فإنه مؤمن كامل الإيمان، وهو مخلد في النار إذا كان مكذبا بقلبه.

المذهب الثالث: مذهب الماتريدية والأشاعرة: أن الإيمان هو تصديق بالقلب فقط، وهو رواية عن أبي حنيفة.

المذهب الرابع: مذهب مرجئة الفقهاء: أن الإيمان شيئان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان.." (١)

"دراسة موضوعية [١١]

الإيمان قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، هذا ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وعليه سلف الأمة، وبما أن الإيمان ينقص بالمعصية فليس كل من ارتكب معصية يكون كافرا، بل من المعاصي ما هو كفر، ومنها ما ليس كفرا، فمن ارتكب مكفرا كفر، ومن لا فلا.." (٢)

"حقيقة الإيمان

أجمع السلف الصالح رضوان الله عليهم على ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة من أن الإيمان قول وعمل، ومعنى (**قول): قول القلب وقول** اللسان، ومعنى (عمل) عمل القلب وعمل الجوارح.

نأخذ أولا القول: فالقول ينقسم إلى ركنين: أولا: قول القلب، ومعنى قول القلب: تصديق القلب بما أخبر الله سبحانه وتعالى به، وبما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتاب والسنة، من أمور العقائد والأحكام.

وقول اللسان: هو نطق الشهادتين، وذكر الله، ودعاء الله عز وجل، والدعوة إلى الله، ونحو ذلك من مسائل الإيمان.

الركن الثاني في الإيمان: العمل، والعمل ينقسم إلى قسمين: عمل القلب وعمل الجوارح، فأما عمل القلب فهو الخوف، والمحبة، والرضا، والتوكل، والإنابة، ونحو ذلك.

وأما عمل الجوارح: فمثل الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، والجهاد في سبيل الله، ونحو ذلك، فهذا ما يتعلق بحقيقة الإيمان، وهذا الإيمان مطابق للدين كله، فنحن إذا أردنا أن نقسم الإيمان بناء على جوارح الإنسان نجد أن الإيمان ينقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم منه متعلق بلسان الإنسان، وهذه هي التي يكون فيها العبادات المشهورة مثل: نطق الشهادتين، وذكر الله عز

---

(١) شرح الاقتصاد في الاعتقاد - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٢/١٢

(٢) دراسة موضوعية للحائية ولمعة الاعتقاد والواسطية، عبد الرحيم السلمي ١/١١

وجل، والدعاء، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
والقسم الثاني: عمل الجوارح، وهي التي تتعلق بأعضاء الإنسان، مثل الصلاة التي يفعلها بجوارحه، والصيام، والزكاة، والجهاد في سبيل الله، وإعانة المحتاج، وبر الوالدين، ونحو ذلك مما يحتاج الإنسان فيه إلى جوارحه وأعضائه حتى يحقق هذه العبادة.
القسم الثالث من جوارح الإنسان المتعلقة بالإيمان: القلب، والقلب فيه من الإيمان أمران: الأمر الأول: قول القلب، وهو تصديقه، والأمر الثاني: عمل القلب وهو قدر زائد على التصديق، يدخل فيه التوكل والمحبة والخشية ونحو ذلك، فمحبة الله قدر زائد على مجرد تصديق الخبر، وهذا التفصيل العلمي بهذه الطريقة هو عمل القلب، وهناك قاعدة فيما يتعلق بالمصطلحات والتقسيمات العلمية، فالمصطلحات والتقسيمات العلمية هي بحسب مدلولها، وبحسب معناها ومفهومها، فإن كان معناها ومفهومها معنى شرعيا ومفهوما شرعيا، فإنه حينئذ يكون هذا التقسيم وهذا المصطلح صحيحا بإضافة شرطين إليها: الشرط الأول: أن يكون مدلول المصطلح اللغوي منطبقا على ما استخدم فيه.
والأمر الثاني: أن يكون جامعا ومانعا، أو مطردا ومنعكسا على تعبير الأصوليين.
بهذه الطريقة يكون المصطلح صحيحا؛ ولهذا عندما ننكر مصطلحات علم الكلام أو مصطلحات الصوفية، أو بعض مصطلحات الفلاسفة وغيرهم، هذه المصطلحات نحن ننكرها لا لأنها مصطلحات جديدة أو أسماء جديدة، وإنما ننكرها لأنها تتضمن مفاهيم ومعاني نص الشرع على بطلانها.
فينبغي إدراك هذه القضية؛ لأن كثيرا من الناس مع الأسف يظلم أهل السنة السلفيين، ويقول: إن هؤلاء نصيون، لا يستخدمون العقل، ولا يستخدمون المصطلحات الجديدة ولا يتفهمون، وإذا أخرجت الواحد منهم عن القضايا النصية لا يستطيع أن يعطي جوابا.
وهذا من الظلم، فإن أهل السنة من أعلم الناس، ومن أصدقهم دينا، ومن أفهمهم وأقواهم استدلالا عقليا وعلميا؛ ولهذا فقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين)، من معانيها أن الظهور يكون بالحجة والبيان، فهم أشد الناس حجة، وأدق الناس حجة ومحجة، لكن الناس يظلمون أهل السنة ظلما كبيرا.
وقد يوجد في أهل السنة من هو مقصر؛ لكن منهج السلف ومنهج السنة الموجود في الكتاب، والموجود في السنة، والذي عليه عامة أهل السنة منهج منضبط يستدل بالعقل، ويستدل بالنص.
وللعقل مكانة عظيمة فيه؛ لأن العقل ممدوح، وأهل السنة لا يعيبون المصطلحات؛ لأنها جديدة، ولا يخافون من الإبداع، لكن الإبداع إذا كان مخالفا لأصول النص فهو مرفوض وغير مقبول؛ لأن مخالفة النصوص الشرعية هي مخالفة لله، ومخالفة للرسول صلى الله عليه وسلم، ونحن علمنا صدق الرسول وصدق ما جاء به، بناء على مقتضيات العقل، وبناء على اللوازم التي علمها الإنسان من صحة نبوته، ودلائل هذه النبوة، وبناء على هذا فكل ما أخبر به فهو عين الصواب وعين العقل وعين الحكمة، وهو صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يخبر إلا بالحق والصواب وما فيه صلاح الإنسانية؛ لأنه يأتي بهذا الخبر من عند الله عز وجل الذي خلق الناس، إذا هذا تعليق على قضية المصطلحات.." (١)

(١) دراسة موضوعية للحائية ولمعة الاعتقاد والواسطية، عبد الرحيم السلمي ١١/٥

"تعريف أهل السنة للإيمان

[ولا تعتقد رأي الخوارج إنه مقال لمن يهواه يردي ويفضح ولا تك مرجيا لعوبا بدينه ألا إنما المرجي بالدين يمزح وقل إنما الإيمان قول ونية وفعل على قول النبي مصرح وينقص طورا بالمعاصي وتارة بطاعته ينمي وفي الوزن يرجح].

هذه الأبيات تتعلق بموضوع الإيمان، وهي مشتملة على موضوعات متعددة سبق أن أشرنا إليها، منها تعريف الإيمان، ولهذا قال: (وقل إنما الإيمان قول ونية وفعل على قول النبي مصرح).

يعني: أنه عرف الإيمان بأنه قول ونية وفعل، وقلنا: هذا أحد التعريفات التي عرف بها السلف الإيمان، فإن هناك تعريفات متعددة للسلف في باب الإيمان.

قال بعضهم: إن الإيمان قول وعمل.

وقال بعضهم: الإيمان: قول وعمل ونية، وقصدوا بالنية عمل القلب.

وقال بعضهم: هو قول وعمل ونية واتباع للسنة.

وقال بعضهم: هو قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان وكل هذه التعريفات صحيحة، فهي تعبر عن حقيقة واحدة، فمن قال: إن الإيمان قول وعمل، قصد قول القلب، وقول اللسان، وعمل القلب، وعمل الجوارح.

ومن قال: إن الإيمان قول وعمل ونية، خشي أن يفهم بعض الناس من قوله: عمل، عمل الجوارح، ويغفل عن عمل القلب فأفردها، وقال: قول وعمل ونية.

والذي قال: الإيمان قول وعمل ونية واتباع للسنة وزاد: اتباع السنة، أراد أن ينبه إلى أن القول بدون اتباع السنة لا يكون مقبولا، والعمل كذلك، والنية كذلك إذا كانت غير موافقة للسنة لا تكون مقبولة.

ومن عرف الإيمان بأنه قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان، نظر إلى تعريف الإيمان باعتبار جوارح الإنسان، فمنه ما يتعلق بلسانه، ومنه ما يتعلق بقلبه، ومنه ما يتعلق بجوارحه، فهذه التعريفات كلها صحيحة، والمعنى واحد وهو: أن الإيمان لابد فيه من قول اللسان، ومن تصديق القلب، ومن عمل القلب مثل: الخشية، والتوكل، والمحبة والرجاء ونحو ذلك، وعمل الجوارح أيضا.

ونبه إلى زيادة الإيمان ونقصانه فقال: (وينقص طورا بالمعاصي وتارة بطاعته ينمي وفي الوزن يرجح) يعني: الإيمان ينقص بالمعاصي وينمو بالطاعة، فهو يزيد وينقص على نحو ما سبق وبيناه، لكن المعاصي لا تزيل الإيمان بالكلية، وهذا من الفوارق بين عقيدة أهل السنة والخوارج، فالخوارج يرون أن كبائر الذنوب إذا اقترفها الإنسان يكون كافرا، فهم يكفرون من فعل الزنا أو السرقة أو شرب الخمر، ويرون أنه يكفر بمجرد النقص في العمل؛ بينما أهل السنة يرون أن عمل الجوارح وعمل القلوب واسع، منه ما هو واجب، ومنه ما هو مستحب، ومنه ما هو أصل في الإيمان، يزول الإيمان بزواله، فليس كله نوعا واحدا، ولهذا قال عن أصحاب المعاصي: (ولا تكفرن أهل الصلاة وإن عصوا فكلهم يعصي وذو العرش يصفح) يعني: أصحاب المعاصي عندنا مؤمنون بإيمانهم، فساق بمعاصيهم، ولهذا يسميهم بعض أهل العلم: الفاسق الملي، يعني: أن الشخص في ملة الإسلام، لكنه فسق بمعصيته، هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بالذنوب والمعاصي، إلا نواقض الإيمان، فنواقض الإيمان ليست مثل الزنا، وليست مثل شرب الخمر، وليست مثل السرقة، نواقض الإيمان تخرج الإنسان عن دائرة

الإسلام، مثل: الشرك بالله، ومثل: الاستهزاء بالدين، ومثل: سب الله أو سب الرسول صلى الله عليه وسلم، أو بغضهم أو بغض بعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، أو التحاكم إلى شريعة أخرى غير شريعة الإسلام، أو نحو ذلك، فكل ذلك من الشرك الذي ينقل عن دائرة الإسلام إلى الكفر والعياذ بالله.

فهناك فرق بين نواقض الإيمان وبين الذنوب والمعاصي، فنواقض الإيمان حتى لو ارتكبها شخص من أهل القبلة فإنه بفعله هذا ينقض إيمانه؛ لأن نواقض الإيمان تزيل الإيمان بالكلية، إلا إذا كان له عذر، كأن يكون جاهلا أو متأولا، أو غافلا أو ناسيا، أو أيا من الأعذار التي تمنع التكليف عن الإنسان، فإنه يكون معذورا بهذه، ويكون قد ارتكب بفعله هذا كبيرة من كبائر الذنوب، ويحذر من هذا الفعل الخطير الذي هو ناقض من نواقض الإيمان.." (١)

"الفرق **بين قول القلب وعمل** القلب

ننتقل إلى العقيدة الواسطية في باب الإيمان، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: [ومن أصول أهل السنة والجماعة: أن الدين والإيمان قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح].

قوله: (أن الإيمان قول وعمل) سبق أن بينا أن هذا تعريف من تعريفات الإيمان، وهناك تعريفات أخرى.

وقوله: (قول القلب واللسان) هذا تفصيل للتعريف وشرح له، وسبق أن قلنا: **إن قول القلب هو** تصديق القلب بما جاء في القرآن، وتصديق القلب بالرسول صلى الله عليه وسلم، وتصديق القلب بوجود الله وربوبيته وألوهيته واستحقاقه للعبادة، وتصديق القلب بأخبار النبي صلى الله عليه وسلم الماضية والمستقبلية أيضا، هذا كله قول القلب.

وقوله: (واللسان) قول اللسان مثل شهادة أن لا إله إلا الله، والذكر، والدعوة إلى الله، والإصلاح ونحو ذلك.

وقوله: (وعمل القلب) ما هو الفرق بين تصديق القلب وعمله؟ التصديق هو مجرد أن يعتقد أن هذا الكلام صدق وأنه كلام الله، ويعتقد أن كلام النبي صلى الله عليه وسلم صدق، لكن عمل القلب قدر زائد على الصدق، وهذا القدر الزائد هو محبة الله، الخوف منه، التوكل عليه، ولهذا نلاحظ أن المحبة والخوف والتوكل والخشية فيها حركة نحو الله عز وجل.

والحقيقة أن التفصيل **بين قول القلب وعمل** القلب لم يكن موجودا بهذه الدقة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة، فقد كانوا يعتقدون أن ما في القلب هو الإيمان، مثل: محبة الله والإخلاص له، ويشمل ذلك التصديق والإخلاص والإنابة والخشوع ونحو ذلك، لكن مع تقدم العلم عبروا عن هذه المعاني بتفصيلات علمية، فمثله مثل علم النحو، فالعرب قديما كانوا يتكلمون باللغة العربية الفصحى بالسليقة بدون تكلف، ولا يعرفون الفاعل ولا المفعول به، ولا المفعول لأجله، ولا المصدر، ولا الحال، ولا الصرف، لكن كانوا يرفعون الفاعل وينصبون المفعول به والحال، فلما دخلت العجمة في الناس أصبح الناس يقعون في أخطاء لغوية، فقام أهل العلم بوضع علم النحو، ثم بدءوا بالتفصيلات العلمية الدقيقة، هذه التفصيلات العلمية كانت العرب تمارسها دون معرفة لهذه المصطلحات.

وأيضا ما يتعلق بموضوع الإيمان، كان الصحابة رضوان الله عليهم يمارسون الإيمان ويعرفون أن في القلب إيمانا، وأن في الإيمان خشية وخوفا وتوكلا، لكن التفصيل **بين قول القلب وعمل** القلب بهذه الدقة جاء بعد ذلك، لأجل التعليم والتفصيل

---

(١) دراسة موضوعية للحائية ولمعة الاعتقاد والواسطية، عبد الرحيم السلمي ١٢/٥

وإفهام الناس، ولأجل وجود الضلال عند المرجئة، حيث فرقوا **بين قول القلب وعمله**، فأخرجوا العمل من الإيمان، وجعلوا الإيمان هو تصديق القلب فقط.

قال: [وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج].

يعني: لا يكفرون بمطلق المعاصي، لكن يكفرون بنواقض الإيمان، أي: يمكن أن نقسم المعاصي إلى قسمين: الأول مطلق المعاصي مثل الكبائر، ومثل مخالفة أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم، فهذه لا يكفر الإنسان بها.

القسم الثاني: نواقض الإيمان، ومبطلات الإيمان، مثل: الشرك، والكفر ونحو ذلك من الأمثلة التي سبق أن ذكرناها، فنواقض الإيمان ومبطلات الإيمان تزيل الإيمان، ويصبح الإنسان كافرا، وأما بقية المعاصي فإنها لا تزيل الإيمان.

قال: [بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي، كما قال سبحانه: ﴿فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف﴾ [البقرة:١٧٨]].

يعني: اعتبر القاتل أخا للمقتول، ولو كان كافرا لانتفت عنه الأخوة الإيمانية.

قال: [وقال: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾ [الحجرات:٩]].

قوله: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ [الحجرات:٩] يعني: مع أنهم اقتتلوا وصفهم بالإيمان، فوجود الاقتتال لم ينف أصل الإيمان عندهم.

قال: [وقال: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين * إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾ [الحجرات:٩ - ١٠].

ولا يسلبون الفاسق الملي الإسلام بالكلية، ولا يخلدونه في النار، كما تقول المعتزلة].

يعني: المعتزلة اتفقوا مع الخوارج في أن الفاسق أو صاحب الكبيرة مخلد يوم القيامة في النار لا يخرج منها، ولا يدخل الجنة، يعني: الخوارج اختلفوا مع أهل السنة في الفاسق الملي في قضايا متعددة من ضمنها: أنهم يكفرونه في الدنيا، ويقيمون عليه أحكام الكفر مثل: أنه لا يرث كذلك ما يتعلق بالأحوال الشخصية: فزوجته لا تبقى حلالا له، وأيضا: يرتبون عليه أنه في الآخرة يكون مخلدا، والمعتزلة اتفقوا معهم في أنه في." (١)

"قول القلب مجمع عليه كل المسلمين

Q هل نفى بعض أهل **العلم قول القلب من** الإيمان، فقد قرأت أن إشارة شيخ الإسلام **إلى قول القلب في** الواسطية هو زيادة من الناسخ، كما في فتاوى الشيخ ابن إبراهيم رحمه الله، فما صحة ذلك؟

A **قول القلب المقصود** به: تصديق القلب، وتصديق القلب مجمع عليه عند كل المسلمين، فحتى الفرق الضالة مثل المرجئة والخوارج وغيرهم لا **ينفون قول القلب وأنه** جزء من الإيمان، فتبقى تسمية التصديق القلبي بالقول، والتفريق بين القول

---

(١) دراسة موضوعية للحائية ولمعة الاعتقاد والواسطية، عبد الرحيم السلمي ٨/١٢

والعمل بالنسبة للقلب، وقد سبق أن أشرنا إلى أن هذا التفريق تفريق علمي، وإلا فإن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يجعلون ما في القلب كله أمرا واحدا، وهو عمل القلب، ويدخل فيه التصديق القلبي، لكن لما وجد من الفرق الضالة من أثبت نوعا من إيمان القلب وهو التصديق، ونفى نوعا آخر وهو العمل؛ بين أهل العلم الفرق بين القول والعمل واشتمال الإيمان على القول والعمل أيضا.

وأما تنبيه الشيخ ابن إبراهيم على أن هذه الكلمة -وهي قول القلب- زيادة من الناسخ، فهذه مسألة علمية تتعلق بالنسخ لا علاقة لها بمسألة الإيمان كمسألة، فإن الشيخ ابن إبراهيم وغيره من المشايخ يعرفون أن القلب يشتمل على تصديق وعمل، وقد يسمي بعض أهل العلم التصديق قولا، ويسمي العمل بأنه عمل القلب، وقد يجعلها البعض جميعا عمل القلب فقط، لكن تصديق القلب وعمل القلب أمر ثابت لا إشكال فيه.." (١)

"أقوال السلف في الإيمان

قال ابن عبد البر: أجمع أهل العلم من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أن الإيمان قول وعمل واعتقاد.

وقال الشافعي: كل من أدركتهم من التابعين وتابعي التابعين يقولون: الإيمان قول وعمل ونية.

وقال الثوري: الإيمان قول وعمل وقصد واعتقاد.

أما شيخ الإسلام ابن تيمية فقد أجمل وقال: كل هذه التعريفات تساوي تعريف أن الإيمان قول وعمل، أي: قول باللسان وقول بالقلب، وعمل بالجوارح، وعمل بالقلب.

قوله: (قول باللسان) أي: كأن تقول: لا إله إلا الله، فلا يمكن أن تدخل في دائرة الإسلام حتى تشهد أن لا إله إلا الله، إلا الأخرس، فإن الإشارة تقبل منه، لكن إذا كان يستطيع النطق والكلام فإن الإسلام لا يقبل منه بحال من الأحوال إلا أن يقول: لا إله إلا الله، حتى وإن أقر في قلبه بالإيمان، قال الله تعالى: ((قولوا آمنا بالله)) يعني: قولوا باللسان.

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا -أي: باللسان-: لا إله إلا الله).

ولما جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى عمه وهو على فراش الموت (قال: يا عم! قل: لا إله إلا الله -أي: باللسان- كلمة أحاج لك بها عند الله جل وعلا) فلا إله إلا الله هي قول اللسان.

أما القول الثاني فهو قول القلب: وهو التصديق التام والانقياد والإقرار والإذعان لله جل وعلا، قال تعالى: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به﴾ [الزمر:٣٣].." (٢)

"المراد بالإيمان عند السلف

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

---

(١) دراسة موضوعية للحائية ولمعة الاعتقاد والواسطية، عبد الرحيم السلمي ١٠/١٥

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٩/٣٩

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [آل عمران:١٠٢].
﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾ [النساء:١].
﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾ [الأحزاب:٧٠ - ٧١].
أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.
إخواني الكرام، ما زلنا مع الإسلام والإيمان والعلاقة بينهما، وندخل بإذن الله في مسائل مهمة جدا في الإيمان.
وقد تكلمنا سابقا عن معنى الإسلام والإيمان لغة وشرعا، والعلاقة بينهما، وقلنا: إن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا!! أي: إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى، وإذا افترقا في الذكر اجتمعا في المعنى، بمعنى: أن الإسلام والإيمان إذا جاءا معا كان للإسلام معنى وللإيمان معنى آخر، فمعنى الإسلام: الأعمال الظاهرة، والإيمان الأعمال الباطنة، أي: الأعمال القلبية، كما جاء في بعض الأحاديث، وإن كان في إسناد بعضها كلام، فالإسلام يكون علانية والإيمان في القلب، وقلنا: إن بينهما عموم وخصوص، فكل مؤمن مسلم ولا عكس، فالإيمان عام في ذاته وخاص في ناسه، وأما الإسلام فعام في ناسه خاص في ذاته.
والآن -إن شاء الله- نتكلم بالتوسعة عن أقوال أهل العلم والسلف في الإيمان: قلنا: إن ابن عبد البر نقل إجماع أهل العلم من السلف الصالح أن الإيمان قول وعمل، ورووا عن الشافعي أنه قال: قول وعمل ونية، وعن الثوري: قول وعمل ونية واعتقاد، وقال ابن عيينة: قول وعمل واعتقاد وسنة، وقلنا: معنى قول أهل العلم: قول وعمل، أي: قول باللسان وقول بالقلب، وعمل بالقلب وعمل بالجوارح.
فقول اللسان نحو: لا إله إلا الله، قال الله تعالى: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ [البقرة:١٣٦]، وفي الحديث الصحيح، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قل أمنت بالله ثم استقم)، وقال صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله)، أي: حتى يقولوا بألسنتهم، ويشهدوا أن لا إله إلا الله، وأيضا: قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمه: (يا عم! قل كلمة واحدة أحاج لك بها عند الله)، وهذه الكلمة هي: لا إله إلا الله، فهذا هو قول اللسان.
أما قول القلب: فهو الإقرار والتصديق، أي: بأن تستيقن في قلبك أن الله هو الخالق الرازق المدبر الآمر الناهي السيد المطاع، أنه لا معبود بحق إلا الله، ولا مستحق للعبادة على الإطلاق أحد إلا الله وحده لا شريك له، قال الله تعالى: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به﴾ [الزمر:٣٣]، وقال جل وعلا: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ [الحجرات:١٥].
أي: لا شك دخل في قلوبهم، بل آمنوا بيقين تام وأقروا بربوبية الله وألوهيته، جل وعلا.

وأما وعمل القلب: فهو الإخلاص، وهو أصل أعمال القلوب، قال الله تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ [البينة:٥]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى)، وقال صلى الله عليه وسلم، كما جاء كل ذلك في الصحيحين: (عن الله جل وعلا أنه قال: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)، نعوذ بالله من الشرك ومن أدنى الرياء.

ومن أعمال القلوب: التوكل، قال الله تعالى: ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾ [المائدة:٢٣].

ومنها: المحبة، قال الله تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ [البقرة:١٦٥].

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما)، وليس هذا موضع البسط في الأعمال القلبية.

وأما عمل الجوارح، فكالصلاة والصيام، قال الله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ [البقرة:٤٣]، قال تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ [آل عمران:٩٧]، أو (حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾ [آل عمران:٩٧]، قراءتان صحيحتان.." (١)

"أصناف الناس بالنسبة لتعريف الإيمان

فهذا هو مجمل الكلام بالنسبة لتعريف السلف للإيمان، أي: أنه قول وعمل، والناس بالنسبة لهذا التعريف على أربعة أصناف: الصنف الأول: من توفر عنده قول القلب، فاستقر في قلبه يقينا وجزما أن الله هو الخالق الرازق المدبر الآمر السيد المطاع، الناهي المستحق للعبادة وحده، لكنه لم يتلفظ بلسانه، ولم ينقد بجوارحه ولا بقلبه، فهذا الصنف، هو كافر ظاهرا وباطنا، نحاربه حتى يقول: لا إله إلا الله أو يدفع الجزية، وفي الآخرة هو خالد مخلد في نار جهنم؛ لأنه استيقن في قلبه وجحد ولم ينقد بجوارحه.

مثال ذلك: عم النبي صلى الله عليه وسلم، هو أول الأمثلة التي تقال في هذا الباب، فإنه استقر في قلبه يقينا بأن دين النبي صلى الله عليه وسلم هو خير الأديان، وأن النبي صلى الله عليه سلم صادق مصدوق، وأنه يوحى إليه، وأن الله هو المستحق للعبادة، وأن هذا الدين هو أفضل الأديان على الإطلاق، ومع ذلك لم ينقد لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم لا لشرع الله، والنبي صلى الله عليه وسلم أخبر بأنه في ضحضاح من نار جهنم.

المثل الثاني الذي يبين لنا أن من استقر في قلبه يقينا بالربوبية والإلهية وصدق بالرسول ولم ينقد له أنه من أهل النار: هو الوليد بن المغيرة، فقد جلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن، فلما سمع القرآن قال لـ أبي جهل: والله لقد جلست مع الشعراء وليس هذا بشعر، وجلست مع الكهنة وليس هذا بتكهن، ومدح القرآن بالكلمات المشهورة المعلومة عنه، فكان أبو جهل يعلم أن هذا الرجل يحب المال، انظروا إلى الذي استحب الدنيا على الآخرة، وقدم الدراهم المعدودة الفانية على الآخرة الباقية، فقال أبو جهل: يا عم أو يا خال، قد رجعت من عند الناس، وقد جمعوا لك الأموال

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٢/٤٠

حتى تتكلم لنا في محمد، أو تقول فيه قولا، فقال القول المشهور، كما جاء ذلك في سورة المدثر: ﴿إنه فكر وقدر * فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر * ثم نظر * ثم عبس وبسر * ثم أدبر واستكبر * فقال إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر﴾ [المدثر:١٨ - ٢٥]، فقال الله تعالى: ﴿سأصليه سقر﴾ [المدثر:٢٦]، عقابا له؛ لأنه استيقن بقلبه أن هذا الكلام هو كلام الله، وليس من الشعر ولا من الكهانة في شيء، ومع ذلك طمس الله على قلبه، وطمس بصيرته، نعوذ بالله من ذلك، فإذا ختم الله على قلب أحد فقد انتهى أمره، وكانت نهايته إلى بوار، ولو اجتمع أهل الأرض على أن ينفعوه أو يهدوا قلبه فلن يفعلوا ذلك؛ لأن الأمر بيد الملك المقتدر.

المثل الثالث: أبو جهل نفسه، وإن وردت القصة التي سأذكرها لكم بأسانيد ضعيفة، لكنها تبين ما لـ أبي جهل من حقد دفين، وحسد كبير على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد قال: والله إني لأعلم أنه لصادق - أي: رسول الله صلى الله عليه وسلم- وأعلم أنه نبي، لكن كنا وبنو هاشم-يعني: نحن وبنو هاشم -كفرسي رهان، نتسابق في العلو والمنزلة والشرف، يقولون: منا كذا، ونقول: منا كذا، فقالوا: منا نبي، فأنى يكون لنا نبي، والله لا نصدقه أبدا.

فهذا يدل على الحقد الدفين الذي في قلبه، فقد استيقن بصدق الرسول، ومع ذلك جابه الرسول وقاتله قتالا عنيفا، وصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا﴾ [النمل:١٤]، نعوذ بالله من ذلك، فقد استقر في قلوبهم الحق ولكن لم ينقادوا له.

ورئيسهم في ذلك -وهو آخر مثل نضربه-: هو إبليس عليه لعنة الله، فقد استقر في قلبه بأن الله أمره أمرا، وهذا الأمر فيه مصلحه له، لكن الكبر والعناد جعلاه لم ينقد لله جل وعلا، وهو يعلم أن الله جل وعلا أمره بذلك ليختبر انقياده لأوامره جل وعلا، فإن هذا الأمر كان لتشريف آدم، لكن الأصل هو أن الله جل وعلا أراد أن يكشف المعلوم في إبليس، كما قال ابن كثير في تفسير قول الله جل وعلا: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ [البقرة:٣٠]، قال: يعلم الله من إبليس أنه يجحد أمره وأنه يتكبر، فابتلاه بالسجود، فإبليس كان مستيقن بربوبية الله جل وعلا، وكان مستيقن بأن الرسول الذي بعث في الأمة حق، ومع ذلك يغوي الناس، وجحد بآيات الله جل وعلا.

الصنف الثاني بالنسبة للإيمان: صنف أتى بقول اللسان، بل وانقاد بالجوارح، ولكن خلا قلبه من التصديق من الانقياد، نعوذ بالله أن نكون كذلك، وهؤلاء هم المنافقون، وقد وصفهم الله بقوله: ﴿فهم في ريبهم يترددون﴾ [التوبة:٤٥]، شك كبير، كما قال تعالى حاكيا قولهم: ﴿وإننا لفي شك مما تدعونا إليه﴾ [هود:٦٢]، وقال عنهم: ﴿مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء﴾ [النساء:١٤٣].

فهؤلاء لهم ما لنا وعليهم ما علينا، في الدنيا، أي: أن لهم الأمان، وعصمة الدم، وعصمة المال، والغنائم والفيء تقسم عليهم، ولهم المناكحة منا والتوارث، ولنا المناكحة منهم والتوارث، ولكن في الآخرة هم في الدرك الأسفل من النار، قال الله تعالى: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ [النساء:١٤٥].

فهؤلاء توفر فيهم قول اللسان، فقد قالوا: لا إله إلا الله، وكثير من الناس ممن تتعايشون معهم، قد طفح النفاق من قلوبهم، ونضح حتى في أعينهم، وعلى ألسنتهم بالكلام، فهؤلاء قد قالوا: لا إله إلا الله، بل وانقادوا، فهم يصلون معنا، ويستقبلون

قبلتنا، ويذبحون كما نذبح، ويسبحون كما نسبح، وينفقون كما ننفق، وهم في الدرك الأسفل من النار؛ لأنهم لا يتحاكمون إلى الله جل وعلا، وإذا خلوا إلى بمحارم الله انتهكوها، وهم لا يقومون إلى الصلاة إلا كسالى، قال الله عنهم: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين * يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم﴾ [البقرة:٨ - ٩]، وقال في آية أخرى: ﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾ [النساء:١٤٢].

الصنف الثالث بالنسبة للإيمان -الذي هو قول وعمل-: أناس توفر فيهم قول القلب، وهو التصديق والإقرار، وتوفر فيهم قول اللسان، لكن لم تنقد الجوارح ولم ينقد القلب، فقالوا: لا إله إلا الله باللسان، أقروا وبالقلب بأنه لا معبود بحق إلا الله، فهؤلاء هم الذين حدث فيهم الاختلاف، وهؤلاء هم الذين ندخل مع أهل البدع المعترك الدامي في الخلاف فيهم: هل هم مسلمون أم منافقون أم كفار؟ وسوف نرجئ هذا الخلاف العريض حتى نتكلم عن مرجئة الفقهاء، وكيفية نرد عليهم.

الصنف الرابع: هؤلاء الذين حباهم الله ومنحهم: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ [النحل:٥٣]، منحهم الله قول اللسان، وقول القلب: التصديق والإقرار، وعمل الجوارح، وعمل القلب أيضا، وهؤلاء ينقسمون إلى ثلاثة أقسام، وجاء تقسيمهم هذا في آية واحدة من كتاب الله، وهي قوله تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات﴾ [فاطر:٣٢]، فأكثر المفسرين قالوا: الظالم لنفسه: هو الذي اقترف الذنوب والآثام، ومع ذلك هو مقر بخطيئته، ويعمل عملا صالحا.

والمقتصد: هو الذي أدى الفرائض، وترك المحرمات ولم يرتق بالسنن.

أما السابقون بالخيرات: فهم الذين أدوا الأوامر والفرائض، وارتقوا بالنوافل المطلقة والنوافل الراتبة، وانتهوا عن المحرمات.

هذا تفسير أكثر المفسرين لهذه الآية، لكن عائشة رضي الله عنها وأرضاها فسرت الآية بطريقة أخرى، بأن السابق للخيرات: هو الذي ينفق ويصلي ويصوم، وقلبه وجل أن لا يقبل عمله عند الله جل وعلا، أي: يخشى من مكر الله جلا وعلا.

والمقتصد: هو الذي يسارع أيضا في الخيرات لكن أقل من الأول، ثم قالت لـ عروة: أما الظالم لنفسه فمثلي ومثلك، هذا الكلام تقوله عائشة رضي الله عنها وأرضاها لـ عروة، الذي يعتبر أحد الفقهاء السبعة، وهو أكثر من روى عن عائشة، وهو الذي وقف أمام الكعبة وقال: اللهم اجعل الناس تحمل عني الحديث، فحمل الناس عنه الحديث، وكان من الفقهاء المعدودين، ومع ذلك قالت له عائشة: أما الظالم لنفسه فمثلي ومثلك، نسأل الله العفو والعافية.

نحن الآن في زمن الذي يصلي فيه الفرائض ويجتنب المحرمات دون المكروهات، ويترك النوافل، فهذا من أولياء الله الصالحين، فبحق: نحن أصلا نحتقر أنفسنا أمام القوم الذين سبقونا، نسأل الله جل وعلا أن لا يفضحنا أمامهم.

المقصود: أن الصنف الرابع من أهل الإيمان هم المؤمنون الذين توفر فيهم قول اللسان وقول القلب، وعمل الجوارح وعمل القلب، ولابد أن نعرف العلاقة بين عمل الجوارح وعمل القلب؛ لكي نقوى على فهم الخلاف فيما بعد، فإن هذه العلاقة إما علاقة تباين، أي: لا توجد علاقة بينهما، وإما علاقة تلازم وارتباط وثيق، بحيث لا يمكن أن ينفك أحدهما عن الآخر،

فإذا زال عمل القلب زال عمل الجوارح، وكل إناء بما فيه ينضح، إن كان فيه خير نضح بالخير، وإلا فلا، والعلاقة بحق: هي علاقة تلازم وارتباط، وعلى ذلك أدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف.." [١]

"شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة – الإيمان يزيد وينقص

من عقيدة أهل السنة والجماعة: أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأن الناس يتفاوتون في التصديق والإيمان، والإيمان قول **وعمل، قول القلب واللسان** وعمل القلب والجوارح.

أما مسألة الاستثناء في الإيمان فأهل السنة مختلفون فيها على أقوال عدة.." [٢]

"صور من الخلاف الحقيقي بين مرجئة الفقهاء وبين أهل السنة في الإيمان

لقد صرح شيخ الإسلام ابن تيمية بأن الخلاف بين أهل السنة والجماعة وبين مرجئة الفقهاء خلاف لفظي، يعني: صوري، بحيث إذا نظرت إلى المعنى والحقيقة وجدت الاتفاق بين أهل السنة والجماعة وبينهم.

لكن هناك خلاف حقيقي، فمثلا: أهل السنة والجماعة يقولون: الإيمان يزيد وينقص، والمرجئة يقولون: الإيمان شيء واحد لا يتجزأ ولا يتبعض فلا يزيد ولا ينقص، لكن في الحقيقة هم يقرون بالتفاوت بين أهل الإسلام، فمنهم من يكون في الفردوس الأعلى، ومنهم من يكون في أنزل درجة، ولا شك أن الذين في الفردوس الأعلى هم أعلى إيمانا من الذين هم في أنزل درجة، فتكون النتيجة واحدة، وهي أن الإيمان يتفاوت بين الناس.

كذلك المرجئة يقولون: مرتكب الكبيرة، مستحق للوعيد، وأهل السنة والجماعة يقولون: هو فاسق بكبيرته، وهو داخل تحت مشيئة الله جل وعلا إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، فالخلاف هنا حقيقي؛ لأن المرجئة يجعلون أصل الإيمان واحد، وليس هذا بصحيح، بل هناك تفاوت في أصل الإيمان، فأصل الإيمان عند إبراهيم عليه السلام غير آحاد آمته.

أيضا: المرجئة حصروا الكفر في التكذيب والاستحلال، فعندهم إذا أتى إنسان بمكفر، فإنه لا يكفر إلا إذا استحل بقلبه؛ لأن التكذيب والاعتقاد محله القلب، فقالوا: لو سجد لصنم، أو سب الله، أو سب الرسول صلى الله عليه وسلم، فليس بكافر حتى يستحل بقلبه.

وقد قلنا: إن هذه الأعمال كفر مستقل، لكن المرجئة لا يقولون بأن الأعمال فيها كفر مستقل، وإنما يقولون: إن الأعمال علامة على الكفر القلبي، فأداروا مسألة الإيمان والكفر وقالوا: محلها القلب، ويقول: أهل السنة والجماعة محل الإيمان والكفر القلب واللسان والجوارح، فالإيمان في القلب الإقرار والتصديق، وهو قول القلب، وعمل القلب من توكل وخوف ورجاء، أيضا الكفر فيه محله القلب، كالاستكبار، والإيذاء، والإعراض، وعدم الانقياد، والخوف من غير الله جل وعلا كالخوف منه سبحانه إلى آخر هذه.

والإيمان محله الجوارح، كالصلاة والصيام والحج والصدقة، كذلك الكفر محله الجوارح، فمن صلى لغير الله جل وعلا فقد كفر، وكذا من سجد لصنم.

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي – محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٣/٤٠

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي – محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ١/٤٢

أيضا اللسان، فمحل الإيمان فيه بالنطق بكلمه بالتوحيد: لا إله إلا الله، والكفر بالنطق بكلمة الكفر، إلا المكره، كما قال تعالى: ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ [النحل:١٠٦].." (١)

"الرد على الشبهة الثانية من شبه المرجئة

الشبهة الثانية أنهم قالوا: الإيمان واحد لا يتبعض، فلازم القول لذلك أن كمال الإيمان شيء واحد لو انتفى منه جزء انتفى باقيه، فنقول: هذا المقدمة مخالفة ومصادمة لصريح الكتاب، وصريح السنة، وصريح الآثار التي وردت عن السلف والتابعين، أما المصادمة لصريح الكتاب فإن الله جل وعلا بين وأثبت للمرء إيمان وكفر، وإيمان ونفاق في كتابه وأيضا في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه دلالتها أن الإيمان يتبعض، إذ هو شعب كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (الإيمان بضع وستون) وفي رواية: (بضع وسبعون شعبة، أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)، وذكر ابن القيم أن شعبة الإيمان القريبة من لا إله إلا الله تأخذ حكم لا إله إلا الله، فالذي يكفر بعدم قول لا إله إلا الله يكفر بالشعبة التي قربت من لا إله إلا الله مثل الصلاة، حيث يكفر لتركها، وإذا نزلت الشعبة إلى مرتبة الأذى أخذت حكمها، وتارك هذه الشعبة إيمانه ناقص غير كامل.

ونقول: الإيمان حقيقة مركبة من قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح، ونقل الشافعي الإجماع على ذلك، ونقل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية إجماع من أدرك من التابعين ومن بعدهم من الصحابة على أن الإيمان قول وعمل ونية، فعمل القلب: هو تحركه إذا سمع أمرا من أوامر الله جل وعلا، ويعزم عزما صادقا على فعله، أما قول القلب: فهو التصديق والإقرار، فهو التصديق والجزم بأن الله هو خالق السماء، وخالق الأرض، وأنه الرازق الأوحد، وأنه المعطي المانع، الضار النافع، إلى غير ذلك.

والمرجئة تتفق مع أهل السنة والجماعة في ذلك، أما قول اللسان وعمل الجوارح فهو ما فسره النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بقوله: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة).

ومن أعمال القلوب: الانقياد والخوف والحياء والرجاء، وهي داخلة في مسمى الإيمان.

ومن أعمال الجوارح: الصلاة، والزكاة، والحج، فمنها عبادات بدنية كالصلاة، ومنها عبادات مالية كالزكاة، ومنها عبادات بدنية مالية كالحج، وهذه كلها تدخل في مسمى الإيمان بإجماع السلف.

وهناك آيات كثيرة تدل على ذلك منها قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ [البقرة:٢٧٧]، وقول الله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾ [الأنفال:٢]، فكل هذه من أعمال القلب، ثم قال: ﴿الذين يقيمون﴾ [المائدة:٥٥]، وهذه أيضا أعمال، ثم ختم الآية بقوله: ﴿أولئك هم المؤمنون حقا﴾ [الأنفال:٤]، فهنا صريح الكتاب يثبت أن المؤمن الحق هو من أتى بأعمال القلوب وأعمال الجوارح، ضاما إلى ذلك تصديق القلب وقول اللسان بالشهادتين.

أما الأحاديث فمنها قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت) . يعني بالإيمان وعمرت .

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٤٦/٤

(صلح الجسد) فالجوارح تابعة للقلب.

فالقول بأن الإيمان حقيقة مركبة من قول وعمل مضاد لما قالته المرجئة: بأنه جزء واحد لا يتبعض.." [١]

"الإيمان في الشرع

الإيمان في الشرع: هو التصديق المقرون بالإذعان والقبول والاستسلام، أما المرجئة فيقولون: الإيمان هو التصديق فقط.

قال: (الإيمان قول)، أي: قول اللسان، (وعمل) أي: عمل الجوارح، (ونية) إذا: **هو قول القلب وعمل** القلب.." [٢]

"قول وعمل اللسان والقلب

الأصل الآخر هو: أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل، والقول **قسمان: قول القلب وقول** اللسان، قول القلب: بالاعتقاد والتصديق، يعني: تصديقك بأن محمدا عليه الصلاة والسلام رسول الله، والقرآن كتاب الله، وهذه الأوامر هي أوامر الله، وهذه النواهي هي نواهي الله، فهذا هو التصديق الذي هو جزء من حقيقة الإيمان.

إذا: حقيقة الإيمان: قول وعمل، القول: قول بالقلب وهو التصديق، وقول باللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام.

أما العمل فعملان أيضا: عمل القلب وعمل الجوارح، عمل القلب: بأن يعمل الأعمال الصالحة بنية وإخلاص ومحبة وانقياد في العمل.

إذا: حقيقة الإيمان تتركب من قول وعمل، لكن عندما نفصلها تتركب من أربعة: قول بالقلب وقول باللسان، وعمل بالقلب وعمل بالأركان أو بالجوارح.

قول القلب: التصديق والاعتقاد.

وعمل القلب: انقياد القلب لهذه الأوامر وهذه التكاليف، والمحبة والانقياد لحكم الله تبارك وتعالى، فإذا زالت هذه **الأربع: قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح زال الإيمان كله، أما إذا زال من إنسان تصديق القلب لكن تكلم بكلمة الإسلام، وعمل بعمل الجوارح، وأتى بعمل القلب، فهل تنفعه باقي الأجزاء؟ لا.

هذا هو المنافق.

وأما إذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق، كمن يصدق بأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومؤمن بأن الأمر بالصلاة من عند الله، وأن القرآن من عند الله، وأن محمدا عليه الصلاة والسلام رسول الله حقا، ولا ينطق عن الهوى، ولكنه لم ينقد لشريعته، ولا لأحكامه، فهذه المسألة من المعارك الكبرى بين أهل السنة وبين المرجئة، فإن المرجئة يقولون: إن الإيمان هو مجرد المعرفة! أما أهل السنة فهم مجمعون على زوال الإيمان إذا انتفى عمل القلب مع وجود التصديق، لماذا؟ لأن إبليس حينما أمره الله تبارك وتعالى بالسجود كان عنده تصديق بأن الأمر بالسجود من عند الله، وكان يعلم أن الذي يأمره بالسجود هو الله تبارك وتعالى، لكن عمل قلبه وانقياد قلبه لهذا الحكم لم يتواجد، وزال عمل القلب مع وجود التصديق، فلم ينفعه وصار إمام الكافرين.

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي – محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٧/٤٨

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي – محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٤/٥

فرعون هل كان مصدقا بموسى أم لم يكن مصدقا بأن موسى رسول الله؟ نعم كان مصدقا، والدليل: قوله تبارك وتعالى في سورة النمل في شأن فرعون وقومه: (وجحدوا بها) أي: بالآيات ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا﴾ [النمل:١٤]، هذا القرآن يخبرنا أنهم كانوا على يقين كامل من صدق موسى عليه السلام، لكن كفرهم كان كفر جحود وعناد واستكبار، لكن في قلوبهم كانوا يصدقون.

مشركو قريش أيضا كانوا يصدقون أن الرسول عليه الصلاة والسلام من عند الله؛ ففي قلوبهم **وجد قول القلب باعتقاد** الصدق، والدليل قوله تبارك وتعالى: ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون﴾ [الأنعام:٣٣]، يعني: من وصفهم إياك بأنك كذاب ﴿فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ [الأنعام:٣٣]، كان يشق على النبي صلى الله عليه وسلم حينما يسمع أذية المشركين له وهم يتهمونه بالكذب صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله القرآن لإخباره بهذه الحقيقة التي يعلمها الله وحده تبارك وتعالى، (قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون)، من اتهامك بهذه التهمة الشنيعة الكذب على الله والعياذ بالله، (فإنهم لا يكذبونك)، اعلم أنهم في الحقيقة لا يكذبونك (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون)، فمشركو قريش كانوا على يقين بأن محمدا رسول الله حقا، فالتصديق الذي **هو قول القلب بالاعتقاد** كان موجودا لكن لم يوجد عمل القلب بالانقياد لهذا الدين، ولهذا النبي صلى الله عليه وسلم نفي عنهم الإيمان.

كذلك أهل الكتاب كانوا كذلك، والدليل قوله تبارك وتعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ [البقرة:١٤٦]، وآيات أخرى كثيرة تدل على أن أهل الكتاب كانوا على يقين أن النبي صلى الله عليه وسلم صادق فيما يبلغه عن الله، لكن انتفى عمل القلب بالانقياد، وجد عمل القلب بالتصديق أن هذا من عند الله، لكن لم يشفعوه بانقياد القلب ومحبة وامتثال ما أمر به صلى الله عليه وآله وسلم.

أيضا عمل القلب داخل في حقيقة الإيمان، وحقيقة التصديق يدخل فيها العمل، والدليل على ذلك: قوله تبارك وتعالى في حق إبراهيم عليه السلام: ﴿فلما أسلما وتله للجبين * وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ [الصافات:١٠٣ - ١٠٥]، فمتى وصفه الله تبارك وتعالى بتصديق الرؤيا؟ إبراهيم عليه السلام لما استيقظ من نومه بعد أن أوحي إليه في المنام أن يذبح ابنه كان مصدقا بذلك، ولو لم يكن مصدقا لما أقدم على ذبح ولده؛ لأنه يعلم أن هذا وحي من الله تبارك وتعالى؛ لأن رؤيا الأنبياء وحي، ومع ذلك لما امتثل قلبه وجوارحه لهذا الأمر الإلهي الذي أريه في منامه حينئذ وصف بالتصديق: ﴿وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا﴾ [الصافات:١٠٤ - ١٠٥]، لما انضم إليه انقياد القلب والعمل.

خلاصة الكلام: أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل، القول: قول القلب: وهو اعتقاد الصدق.

وقول باللسان: وهو النطق بكلمة التوحيد.

ثم عمل: وهو عمل القلب بالنية والإخلاص والمحبة والانقياد، ثم عمل الجوارح، وإذا زالت هذه الأربع زال الإيمان كله بكماله، وإذا زال تصديق القلب زال الإيمان ولم تنفع بقية الأجزاء.." (١)

---

(١) سلسلة الإيمان والكفر - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٦/٣

"عقيدة أهل السنة إذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق

هذا هو موضع المعركة بين أهل السنة والمرجئة، حيث إن أهل السنة مجمعون على زوال الإيمان إذا انتفى عمل القلب مع وجود التصديق، وذكرنا أمثلة إبليس وفرعون واليهود والمشركين، هؤلاء جميعا كانوا يعتقدون صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينفون عنه الكذب، لكن قالوا: لا نتبعه ولا نؤمن به، وما كانوا بذلك مؤمنين.

الخلاصة: ليس الإيمان مجرد معرفة الحق وتبينه، بل هو معرفته المستلزمة لاتباعه والعمل بموجبه، كما أن اعتقاد التصديق – وإن سمي تصديقا– ليس هو التصديق المستلزم للإيمان، والدليل قوله عز وجل: ﴿يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا﴾ [الصافات:١٠٤ – ١٠٥].

إذا: معرفة الحق وتبينه هذا نوع من الهدى، فمن رأى الحق حقا لكن لم يرزقه الله اتباعه، فهذا في المرتبة الثانية من الهداية، لكن هل هذه المرتبة تستلزم الاهتداء؟ كلا، أما الهدى الذي يترتب عليه الانقياد والعمل والامتثال فهذه هي المرتبة الثالثة التي تستلزم الاهتداء، فهؤلاء الذين ذكرنا أمثلتهم من المشركين أو فرعون أو إبليس أو غير ذلك من اليهود أو النصارى؛ عرفوا الحق ولكنهم لم ينقادوا له، فبذلك لم يصيروا مؤمنين.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تبارك وتعالى: وها هنا أصل آخر، وهو: أن حقيقة الإيمان مؤكدة بالقول والعمل، والقول قسمان: قول القلب: وهو الاعتقاد، وقول اللسان: وهو التكلم بكلمة الإسلام.

والعمل قسمان: عمل القلب: وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح، فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة، وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة، فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب، وهو محبته وانقياده كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، بل ويقرون به سرا وجهرا ويقولون: ليس بكاذب، ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به، مثل أبي طالب لما قال: ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا ف أبو طالب كان يعلم أن الرسول عليه الصلاة والسلام رسول من عند ربه، لكنه لم ينقد بقلبه لشرائعه؛ فلم ينفعه ذلك.." (١)

"أصول أهل السنة والجماعة في الإيمان والكفر

أما عن أصول أهل السنة والجماعة في قضية الإيمان فهي متعلقة بمعنى كلمة الإسلام والإيمان، وخلاصة الكلام في تعريف الدين أنه عبارة عن قول وعمل، قول بالقلب وقول باللسان، وعمل بالقلب وعمل باللسان والجوارح.

والقول بالقلب هو التصديق، وأن يوقن الإنسان بأحقية هذا الذي يؤمن به ويصدقه، وقول اللسان هو النطق بالشهادتين.

أما عمل القلب فهو ما لا يؤدى إلا بالقلب كالنية، الإخلاص، الخوف، الرجاء، المحبة، الإنابة، الإخبات، التوكل، الانقياد، الإقبال على الله، ولوازم هذه الأعمال القلبية.

أما عمل اللسان فهو ما لا يؤدى إلا باللسان من العبادات، كالذكر، وقراءة القرآن، والاستغفار، والتهليل، والحوقلة،

---

(١) سلسلة الإيمان والكفر – المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٧/٣

والحلف، والنذر وهكذا.

وعمل الجوارح فهو ما لا يؤدى إلا بالجوارح، كالصيام، والصلاة، والركوع، والسجود، والجهاد وغير ذلك، فهذا هو جماع معنى الدين، قول وعمل، قول بالقلب وقول باللسان، وعمل بالقلب وعمل باللسان والجوارح.

أما الكفر فهو على أنواع أربعة مقابلة لأنواع الإيمان التي هي: قول بالقلب وقول باللسان، وعمل بالقلب، وعمل بالجوارح، فإذا انتفى التصديق الذي هو قول القلب؛ فسوف يكون هذا هو النوع الأول من الكفر، وهو كفر الجهل والتكذيب؛ لأنه انتفى تصديق القلب مع عدم العلم بالحق.

النوع الثاني: كفر الجحود، وهو كتم الحق مع العلم بصدقه، هذا نوع آخر من الكفر، فهو يعلم أن هذا حق؛ لكنه يكتمه، وهذا هو كفر الجحود: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا﴾ [النمل:١٤].

النوع الثالث: كفر العناد والاستكبار، فينفي في هذا الكفر عمل القلب والجوارح مع المعرفة للقلب والاعتراف باللسان، فهو يعرف أن هذا حق؛ لكن ينتفي عمل القلب من الانقياد والمحبة، والخوف والرجاء إلى آخر أعمال القلب، فينفي عمل القلب، وينتفي عن صاحبه عمل الجوارح مع وجود المعرفة بالقلب والاعتراف باللسان أن هذا حق، هذا مثل كفر إبليس وأغلب اليهود لعنهم الله، ومثل كفر من ترك الصلاة عنادا واستكبارا، ويوضع السيف على رقبته ويقال له: إما أن تصلي أو تقتل فيختار القتل، فما من شك أن هذا لا يمكن أن يكون في قلبه تصديق؛ لأن الصلاة فرض من فروض الدين؛ ولأنه إذا وجد التصديق في القلب لوجد العمل، فإذا انتفى مع وجود هذه الحالة يخير بين القتل وبين الصلاة، فيختار القتل على الصلاة، فحصل هذا العناد منه بسبب غياب التصديق في قلبه.

النوع الرابع: كفر النفاق، وفي هذا النوع ينتفي عمل القلب من النية والإخلاص والمحبة، ففي النفاق تنقاد الجوارح الظاهرة؛ لأن المنافق يظهر شعائر الإسلام، يصلي ويصوم ويزكي ويفعل جميع الأفعال الظاهرة؛ لكن ينتفي عمل قلبه.

إذا: أنواع الكفر كل منها على حدة يخرج من الملة بالكلية، فإذا انضمت كلها ووجدت في شخص واحد فهي ظلمات بعضها فوق بعض وزيادة في الكفر، كفر الجهل والتكذيب، كفر الجحود، كفر العناد والاستكبار، كفر النفاق.." (١)

"الركن الأول: قول القلب

إن قول القلب هو تصديقه وإيقانه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون * لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين﴾ [الزمر:٣٣ - ٣٤]، وقال تعالى: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين﴾ [الأنعام:٧٥]، وقال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ [الحجرات:١٥]، يعني: صدقوا بالله ورسوله ثم لم يشكوا في هذا التصديق، وفي حديث الدرجات العلى أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن قوم على منابر من نور يوم القيامة يغبطهم عليها الأنبياء والمرسلون، ثم قال عليه الصلاة والسلام: (بلى والذي نفسي بيده! رجال آمنوا بالله، وصدقوا المرسلين)، والشاهد قوله: (وصدقوا المرسلين)، وقال تبارك وتعالى: ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ [البقرة:٣]، أي: يصدقون بالغيب، وقال تعالى: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق

---

(١) سلسلة الإيمان والكفر - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٣/٥

ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم﴾ [البقرة:١٣٦]، وقال تعالى: ﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب﴾ [الشورى:١٥]، وغير ذلك من الآيات التي فيها بيان أن من **الإيمان قول القلب بالتصديق** واليقين.

وفي حديث الشفاعة يقول عليه الصلاة والسلام: (يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه من الخير ما يزن شعيرة)، وفي الحديث الآخر فيقال: (انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان، ثم من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، ثم من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان)، فالشاهد هنا قوله: (في قلبه).

وقال تبارك وتعالى في المكذبين: ﴿سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ [البقرة:٦]، يعني: لا يصدقون، وقال تعالى في المرتابين الشاكين: ﴿يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم﴾ [آل عمران:١٦٧]، وقال فيهم: ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾ [المائدة:٤١]، وقال تعالى: ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ [المنافقون:١] لأنهم يقولون هذا بلسانهم، أما قلوبهم فليس فيها تصديق ولا يقين: ((والله يشهد إن المنافقين لكاذبون))، أي: في قولهم: نشهد، فهم كذبوا لا يشهدون بذلك بقلوبهم، وإنما هو بألسنتهم تقية ونفاقا ومخادعة.

فهذا هو الركن الأول من الدين وهو قول بالقلب.

هذه الأركان لابد من وجودها جميعا في كل مؤمن، قول بالقلب وقول باللسان، وعمل بالقلب وعمل بالأركان.." [(١)]

"الركن الثالث: عمل القلب

هناك فرق **بين قول القلب وبين** عمل القلب؛ **لأن قول القلب هو** التصديق واليقين، أما عمل القلب فهو العبادات القلبية التي لا تؤدى إلا بالقلب، مثل: النية، الإخلاص، المحبة، الانقياد، الإقبال على الله عز وجل، التوكل عليه، ولوازم ذلك وتوابعه، يقول تبارك وتعالى: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ [الأنعام:٥٢] عمل القلب في قوله: ((يريدون وجهه))، وقال عز وجل: ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى * إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾ [الليل:١٩ - ٢٠]، هذا هو عمل القلب، وقال تبارك وتعالى: ﴿إنما نطعمكم لوجه الله﴾ [الإنسان:٩]، هذه أيضا أعمال القلب، النية والإخلاص لله، وقال تبارك وتعالى: ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾ [الأنفال:٢] فهنا ذكر من أعمال القلب وجل القلب والخوف من الله تبارك وتعالى وذلك من أركان الإيمان.

وقال تعالى: ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون﴾ [المؤمنون:٦٠] ومعلوم أن السيدة عائشة رضي الله عنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء الذين يؤتون ما آتوا فقالت: (هل هم الذين يسرقون ويزنون ويفعلون المحرمات ويشربون الخمر، فقال عليه الصلاة والسلام: لا يا ابنة الصديق! بل هم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، ويخافون ألا يتقبل منهم)، فهذا هو تفسير النبي عليه الصلاة والسلام لقوله تعالى: ((والذين يؤتون ما آتوا))، يعني: من الأعمال الصالحة، ومع ذلك هم خائفون وجلون ألا يتقبل منهم؛ لقوله تعالى: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ [المائدة:٢٧].

فالشاهد هنا في قوله: ((وقلوبهم وجلة))، فالوجل والخوف من أعمال القلب.

---

(١) سلسلة الإيمان والكفر – المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٨/٥

وقال عز وجل: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ [الزمر:٢٣]، وقال أيضا: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ [الرعد:٢٨]، وقال عز وجل: ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ [الزمر:٣]، والإخلاص عمل قلبي، وقال أيضا: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ [البينة:٥]، وهذا عمل قلبي: ﴿قل الله أعبد مخلصا له ديني﴾ [الزمر:١٤]، والنية عمل قلبي، وقال أيضا: ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ [البقرة:١٦٥]، ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة:٥٤] والحب عمل قلبي.

فهناك أعمال في القلب لابد أن تؤدى، وحتى تحقق التوحيد في الأعمال القلبية ينبغي ألا توجهها إلا إلى الله تبارك وتعالى، كما أن من أعمال البدن السجود، الركوع، الصيام، الجهاد، هذه كلها من أعمال البدن، حتى توحد الله بأعمال البدن لا توجه هذه العبادات إلا إلى الله تبارك وتعالى، فلا تسجد ولا تركع إلا لله تبارك وتعالى؛ كذلك أعمال القلب ينبغي ألا توجه إلا إلى الله عز وجل، فلا تخاف إلا الله، ولا تحب إلا الله عز وجل وفي الله، ولا تتوكل إلا على الله، فإن وجهت التوكل إلى غير الله ففي هذه الحالة تكون اتخذته شريكا مع الله تبارك وتعالى، يقول الله عز وجل: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ [آل عمران:٣١] وقال عز وجل: ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون﴾ [الحجرات:٧]، وقال أيضا: ﴿ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن﴾ [النساء:١٢٥]، وقال: ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ [لقمان:٢٢]، وقال: ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾ [الحج:٣٤]، وقال: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ [النساء:٦٥]، هذا الدليل واضح جدا في اشتراط عمل القلب في الإيمان، ولا يتحقق الإيمان حتى تجتمع هذه الأشياء: ((فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت))، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه).

قوله: (إنما الأعمال بالنيات)، يعني: الأعمال الصالحة بالنيات الخالصة، ونحتج بالحديث على أن من يعمل عملا مخالفا للشرع ثم يقول: نيتي صحيحة؛ كمن يسرق ليتصدق، نقول له: لابد أن يكون العمل صالحا، إنما الأعمال الصالحة بالنيات الخالصة، ولو عمل عملا صالحا يريد به غير وجه الله لا ينفعه أيضا، فلابد من الاثنين أن يكون العمل صالحا موافقا للشرع، وأن يكون خالصا يبتغى به وجه الله تبارك وتعالى، وتقدم الكلام على ما ينافي الإخلاص من الشرك الأكبر أو الشرك الأصغر.

ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أحبوا الله من كل قلوبكم)، وقال صلى الله عليه وسلم: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما)، هذا أيضا عمل قلبي، وقال صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)، وكان صلى الله عليه وسلم يقول: (اللهم إني أسألك حبك، وحب من يحبك، وحب كل عمل يقربني إلى حبك)، وقال صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به)، فهذا غاية الانقياد؛ إذ لم يكن له هوى غير ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما التوكل والخوف والرجاء والخشية والخضوع وغير ذلك من أعمال القلوب فأدلتها كثيرة جدا يطول الكلام بإحصائها واستقصائها.

الشاهد: كما **أن قول القلب هو** بالتصديق واليقين بالحق؛ كذلك لابد أن ينضم إليه: قول اللسان بالنطق بالشهادتين.." (١)

"أنواع الكفر المخرجة من الملة

إن أصل أصول الدين هو أن الإيمان قول وعمل؛ قول بالقلب وباللسان، وعمل بالقلب وبالأركان بما فيها اللسان، فإذا حقق الإنسان هذه الأمور الأربعة تحقيقا بالغا، وعرف ما يراد بها معرفة تامة، وفهم فهما واضحا، ثم أمعن النظر في أضدادها ونواقضها، تبين له أن أنواع الكفر لا تخرج عن أربعة: كفر جهل وتكذيب، وكفر جحود، وكفر عناد واستكبار، وكفر نفاق، وكل واحد منها يخرج من الملة بالكلية، وإن اجتمعت في شخص فظلمات بعضها فوق بعض والعياذ بالله من ذلك؛ لأنه إما أن تنتفي هذه الأمور كلها فلا يكون **عنده قول القلب ولا** عمله، ولا قول اللسان ولا عمل الجوارح، أو ينتفي بعضها، فإن انتفت كلها فقد اجتمعت أنواع الكفر غير النفاق، قال الله تعالى: ﴿إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون * ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾ [البقرة:٦ - ٧]، فإن انتفى تصديق القلب مع عدم العلم بالحق، فهذا كفر الجهل والتكذيب، قال الله تعالى: ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله﴾ [يونس:٣٩]، فلما انتفى تصديق القلب مع الجهل بالحق فهذا هو كفر الجهل والتكذيب، وقال تبارك وتعالى: ﴿أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما﴾ [النمل:٨٤]، كذب وجهل بالحق، فهو جمع بين التكذيب والجهل: ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون * حتى إذا جاءوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أماذا كنتم تعملون﴾ [النمل:٨٣ - ٨٤] فإذا كتم الحق مع العلم به وبصدقه فهذا كفر الجحود والكتمان، يعني: قلبه يعلم بالحق لكنه يكتمه ويجحده، كما قال عز وجل في فرعون وقومه: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ [النمل:١٤]، وقال تعالى: ﴿فلما جاءهم﴾ [البقرة:٨٩]-اليهود- ﴿ما عرفوا كفروا به﴾ [البقرة:٨٩]، هم يعرفون أن الرسول حق، وأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا وصدقا؛ لكنهم جحدوا واستكبروا، وقال عز وجل: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون * الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ [البقرة:١٤٦ - ١٤٧].

أما إذا انتفى عمل القلب من النية والإخلاص والمحبة والإذعان مع انقياد الجوارح، فهو يصلي ويصوم ويزكي ويشهد الشهادتين؛ لكن انتفى عمل القلب، فلا نية ولا إخلاص ولا محبة ولا إذعان بالقلب، فهذا هو كفر النفاق؛ سواء وجد التصديق المطلق أو انتفى، وسواء انتفى بتكذيب أو شك، يقول عز وجل: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين * يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون * في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا﴾ [البقرة:٨ - ١٠] إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير﴾

---

(١) سلسلة الإيمان والكفر - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ١٠/٥

[البقرة: ٢٠].

وإن انتفى عمل القلب وعمل الجوارح مع المعرفة بالقلب والاعتراف باللسان، كمن لا يوجد له عمل بالقلبس ولا عمل بالجوارح؛ لكن عنده معرفة بالقلب واعتراف باللسان؛ فهذا كفر العناد والاستكبار، ككفر إبليس؛ لأن قلبه لم ينقد لأمر الله تبارك وتعالى، وانتفى عمل الجوارح؛ لأنه لم يمتثل الأمر بالسجود، مع معرفته بقلبه أن هذا الأمر بالسجود صادر من الله تبارك وتعالى، فهو يصدق أن هذا أمر الله.

وكذلك كفر غالب اليهود الذين شهدوا أن الرسول حق ولم يتبعوه، أمثال حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف وغيرهم من اليهود هو من هذا الباب، وكذا كفر من ترك الصلاة عنادا واستكبارا.." (١)

"معنى قول أهل السنة: الإيمان هو التصديق

محال أن ينتفي انقياد الجوارح بالأعمال الظاهرة مع ثبوت عمل القلب، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب).

فمن هنا يتبين لك أن من قال من أهل السنة في تعريف الإيمان: هو التصديق، فعلى ظاهر اللغة، كما قال الله: ﴿وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين﴾ [يوسف:١٧] فهو إنما يقصد التصديق الذي يستلزم الانقياد والإذعان لا مجرد المعرفة كما يقول المرجئة؛ كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿فلما أسلما وتله للجبين * وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا﴾ [الصافات:١٠٣ - ١٠٥] ومعلوم أن هذه الرؤيا كانت وحي من الله فقط، وما أطلق عليها تصديقا حتى انضم إليها الانقياد بأن أسلم هو وولده وتله للجبين حينئذ لما انضاف إلى التصديق العمل والانقياد والإذعان، فالقلب هو ملك البدن، فإذا وجد عمل القلب بالإذعان، فلابد أن يذعن في الظاهر بأعمال الجوارح، والدليل هذا الحديث: (ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله)، يعني: إذا وجد عمل القلب من الإذعان والخضوع والانقياد والمحبة إلى غير ذلك، ينعكس ذلك على الجوارح، فهذا عكس ما يردده أغلب الناس ويسيئون تطبيق هذا الحديث بعد أن يسيئوا فهمه، فيقولون: الإيمان في القلب، وهذا الحديث حجة عليه، كما قال شيخ الإسلام: أنا ألتزم أنه لا يحتج مبطل بآية وحديث لإثبات باطله إلا وكان في نفس الآية والحديث ما يدل على نقيض ما ذهب إليه، وهذه من آيات الله أنك إذا عكست الدليل عليه تجد الحجة قائمة عليه تماما؛ فكذلك هنا قوله: (إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله)، فالقلب يؤثر في البدن، والظاهر أيضا يؤثر في القلب، هناك تفاعل مشترك بين الأمرين؛ فمثلا الذي يحلق لحيته ويقول: إن الأعمال بالنيات، وإن قلبي سليم! نقول له: كذبت وخالفت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: إذا صلح القلب صلح الجسد، وانعكس على ظاهره الأعمال الصالحة سواء من إعفاء اللحية والتمسك بسنة النبي عليه الصلاة والسلام، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وسائر الأعمال الظاهرة، فهذه تكون عنوانا على سلامة هذا القلب؛ كذلك القلب السليم ينضح بهذه الأعمال الصالحة.

فالمقصود أن من قال من أهل السنة والجماعة: إن الإيمان هو التصديق؛ فإنما أراد التصديق على أساس أصل اللغة؛ لكن

---

(١) سلسلة الإيمان والكفر - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ١٢/٥

الإيمان في الاصطلاح هو التصديق المستلزم للانقياد.

وهذا مقياس في الظاهر والباطن ليس فقط في الظاهر، فلم يعنوا مجرد التصديق، والدليل: أن إبليس لعنه الله لم يكذب ولم يشك في أن الأمر له بالسجود هو من عند الله تبارك وتعالى، وإنما الذي تخلف عن إبليس هو عمل القلب وهو بالانقياد في هذا الأمر، لذا كان إباؤه كفرا واستكبارا.

كذلك اليهود كانوا يعتقدون صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يتبعوه جحودا وعنادا، وفرعون كان يؤمن أن موسى رسول الله حقا، والأدلة على ذلك موجودة في القرآن الكريم وهي كثيرة، منها: قوله تبارك وتعالى: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا﴾ [النمل:١٤]، ويقول تبارك وتعالى في آخر سورة الإسراء: ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا﴾ [الإسراء:١٠١]، فماذا أجاب موسى وموسى صادق مصدوق عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام؟ ﴿قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبورا﴾ [الإسراء:١٠٢]، فهذا دليل على أن فرعون كان عنده يقين ومعرفة أن هذا رسول الله حقا وصدقا؛ لكنه لم ينقد له.

وهناك آيات أخرى في سورة الأعراف وغيرها من السور فيها إثبات أن القوم لما كان ينزل بهم سخط الله وعذابه كانوا يهرعون إلى موسى، يقول: ﴿يا أيها الساحر ادع لنا ربك﴾ [الزخرف:٤٩]، ثم ينقضون العهد بعد ذلك كما هو معلوم في سورة الزخرف والأعراف أيضا.

فالشاهد أن هؤلاء كانوا يعرفون صدق الرسول؛ لكن لم ينقادوا إليه، وفرعون كان يعتقد صدق موسى ولم ينقد له، بل جحد بآيات الله ظلما وعلوا، فأين هذا التصديق من تصديق من قال الله تعالى فيه: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾ [الزمر:٣٣]؟ وحتى تتمثل الأمر بوضوح؛ لأنه ربما يلتبس على الإنسان الفرق **بين قول القلب وعمله**، نقول: فرعون كان عنده القول بالقلب؛ وإبليس كان عنده القول بالقلب، واليهود الذين صدقوا بنبوة النبي عليه الصلاة والسلام كان عندهم القول بالقلب، لكن لم يوجد عندهم عمل القلب، وهو الانقياد والإذعان والمحبة وغير ذلك من الأعمال القلبية.

إذا: تذكر قوله عز وجل في حق فرعون وقومه: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا﴾ [النمل:١٤]، وقارن هذا التصديق الذي كان عليه فرعون وقومه بالتصديق الذي جاء في قوله تبارك وتعالى: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾ [الزمر:٣٣]، قارن أيضا تصديق اليهود الذين قالوا: ﴿سمعنا وعصينا﴾ [النساء:٤٦]، و: ﴿قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم﴾ [البقرة:٧٦]، فقارن بين هذا التصديق وتصديق الذين قالوا: ﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ [البقرة:٢٨٥]، فلابد أن نفرق **بين قول القلب وبين** عمل **القلب، قول القلب هو** التصديق واليقين، أما عمل القلب فهو الانقياد والمحبة والإذعان لما أمر الله تبارك وتعالى به، فهذا خلاصة شرح قول صاحب سلم

الوصول إلى الأصول: اعلم بأن الدين قول وعمل فاحفظه وافهم ما عليه ذا اشتمل يعني: ما اشتمل عليه هذا الكلام من أن الإيمان قول وعمل، قول بالقلب وقول باللسان، وعمل بالقلب وعمل باللسان والجوارح.." (١)

"مرتبة الإيمان

الإيمان لغة: التصديق، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين﴾ [يوسف:١٧]، يعني: ما أنت بمصدق لنا.

أما في الشريعة فللإيمان أيضا حالتان: الحالة الأولى: أن يطلق على الإفراد غير مقترن بذكر الإسلام، فحينئذ يراد به الدين كله، كقوله عز وجل في الذين آمنوا: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ [البقرة:٢٥٧]، (فآمنوا) هنا تشمل الظاهر والباطن.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ [الحديد:١٦]، وقوله عز وجل: ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ [آل عمران:١٢٢]، تشمل أيضا الظاهر والباطن، ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾ [المائدة:٢٣].

وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة)، هنا تشمل الظاهر والباطن؛ لأنها مفردة غير مقيدة بالإسلام؛ ولهذا حصر الله الإيمان فيمن التزم الدين كله باطنا وظاهرا، في قول الله عز وجل: ﴿إنما المؤمنون﴾ [الأنفال:٢]، يعني: لا يوجد الإيمان إلا في هؤلاء؛ فانظر إلى صفتهم وأفعالهم، وسوف تجد أفعالهم وأعمالهم باطنة وظاهرة: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ [الأنفال:٢] هذه باطنة: ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا﴾ [الأنفال:٢]، أيضا باطنة: ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ [الأنفال:٢]، أعمال باطنة بالقلب: ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ [الأنفال:٣]، ظاهرة: ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ [الأنفال:٣]، ﴿أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم﴾ [الأنفال:٤] فأطلق الإيمان وحصره فيمن جمع بين الظاهر والباطن، وقال عز وجل: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ [الحجرات:١٥]، هذه أعمال قلبية: ﴿وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾ [الحجرات:١٥]، (في سبيل الله)، عمل قلبي بالنية؛ لأنه يريد إعلاء كلمة الله.

وقال عز وجل: ﴿إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون * تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون * فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ [السجدة:١٥ - ١٧]، فسرهم بمن اتصف بذلك كله أيضا في قوله عز وجل: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ [البقرة:٢ - ٥]، ووصفهم أيضا بالإيمان في قوله: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين﴾ [آل عمران:١٣٣] إلى آخر الآيات، وقال عز وجل: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ [الأعراف:١٥٦]، إلى آخر الآيات.

---

(١) سلسلة الإيمان والكفر - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ١٣/٥

ثم قال جل وعلا: ﴿فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ [الأعراف:١٥٧]، وقال أيضا -وهي من أوضح الأدلة في ذلك-: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ [المؤمنون:١]، الذين من صفاتهم: ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون * والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون * والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون * والذين هم على صلواتهم يحافظون * أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ [المؤمنون:٢ - ١١]، وقال أيضا: ﴿هدى وبشرى للمؤمنين * الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ [النمل:٢ - ٣]، وغير ذلك من الآيات.

بل أتى أيضا نصا صريحا جدا فسر الإيمان بهذه الأعمال كلها، كما في قوله: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾ [البقرة:١٧٧].

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: أن أبا ذر رضي الله عنه سأله فقال له: (ما الإيمان؟ فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب)) [البقرة:١٧٧] إلى آخر الآية)، فأتى بهذه الآية جوابا عن سؤاله عن الإيمان، ثم قال له أيضا: (ما الإيمان؟ فتلاها عليه، فقال: إذا عملت حسنة أحبها قلبك، وإذا عملت سيئة أبغضها قلبك)، يعني: هذه أيضا علامة من علامات الإيمان، كما قال عليه الصلاة والسلام: (إذا سرتك حسنتك وساءتك سيئتك فأنت مؤمن)، هذه علامة من علامات الإيمان.

وأيضا فسر النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان بالباطن والظاهر، كما في حديث وفد عبد القيس في الصحيحين وغيرهما: (آمركم بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم)، هذه عادة الصحابة في الجواب حينما يسألون أن يقولوا: الله ورسوله أعلم، بعض الناس يكررون هذه الكلمة الآن في غير موضوعها، تسأله عن الشيء الفلاني حصل أو لم يحصل؟ يقول: الله ورسوله أعلم لو قلت له: أين الكتاب الفلاني؟ قال: الله ورسوله أعلم.

كلا.

كيف: الله ورسوله أعلم؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام في حياته كان ينزل عليه الوحي فيخبره بهذه الأشياء؛ لذلك كان يقول الصحابة: الله ورسوله أعلم، لكن هل الرسول يعلم كل شيء؟ نعم، حتى بعد موته صلى الله عليه وسلم لا يجوز أبدا أن تقول: الله ورسوله أعلم في كل شيء.

(قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تؤدوا من المغنم الخمس)، فهذه أعمال ظاهرة دخلت في مسمى الإيمان، وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام رمضان إيمانا واحتسابا من الإيمان، وكذا قيام ليلة القدر، وأداء الأمانة، والجهاد والحج، واتباع الجنائز، وغير ذلك، يقول عليه الصلاة والسلام: (الإيمان بضع وسبعون شعبة)، تماما مثل كلمة الإسلام في قوله: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ [آل عمران:١٩]، تشمل الظاهر والباطن؛ لأنها غير مقترنة بالإسلام وقد أتت مفردة:

(الإيمان بضع وسبعون شعبة؛ أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)، وهذه الشعب المذكورة قد جاءت في القرآن والسنة في مواضع متفرقة، منها ما هو من قول القلب، ومنها ما هو من عمل القلب، ومنها ما هو من قول اللسان، ومنها ما هو من عمل اللسان أو الجوارح، ولما كانت الصلاة جامعة لقول القلب وعمل القلب، وقول اللسان وعمل اللسان وعمل الجوارح، سماها الله تعالى إيمانا، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ [البقرة:١٤٣]؛ لأن الصلاة مشتملة على جميع أنواع الإيمان، فقد روى سعيد بن منصور، عن عبد الرحمن بن يزيد قال: كنا عند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فذكرنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما سبقونا به، فقال عبد الله (إن أمر محمد صلى الله عليه وسلم كان بينا لمن رآه، والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط إيمانا أفضل من إيمان بالغيب، ثم قرأ: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب﴾ [البقرة:٢ - ٣])، فهنا حمل معناها عل." [1]

"تعريف الإيمان والإسلام إذا اجتمعا

قلنا: الإيمان لغة: التصديق، وشرعا له حالتان: الأولى: إما أن يأتي مفردا، فبالتالي يشمل كل أمور الدين، والحالة الثانية: أن يطلق الإيمان مقرونا بالإسلام، وحينئذ يفسر بالاعتقادات الباطنة كما في حديث جبريل وما في معناه، وكما في قول الله عز وجل: ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ [البقرة:٢٥]، حيث اقترن الإيمان بالعمل الصالح، فدل على أن الإيمان هو الأمور الباطنة، وكما في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دعاء الجنازة: (اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان)، وما الحكمة في التعبير عن الشخص الحي بالإسلام، والمتوفى بالإيمان؟ الحكمة أن الإسلام إذا كان مجرد الأعمال الظاهرة كالصلاة والصيام والحج والزكاة إلى آخره، فعند الوفاة وعند خروج الروح لا يوجد متسع لعمل البدن، وإنما يوجد متسع لأعمال القلب، وأن يموت على الإيمان الكامل، فالأعمال المتعلقة بالجوارح إنما يتمكن منها في الحياة، فأما عند الموت فلا يبقى **غير قول القلب وعمله**، لحديث أنس عند أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الإسلام علانية، والإيمان في القلب).

فهنا اجتمعا في النطق فيفترقان في المعنى.

الحاصل: أنه إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ، بل كل منهما على انفراده يشمل الدين كله، وإن فرق بين الاثنين كان الفرق بينهما بما في هذا الحديث: (الإسلام علانية والإيمان في القلب).

والمجموع مع الإحسان هو الدين، أي: أن الإسلام مع الإيمان مع الإحسان هو الدين، كما سمى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك كله دينا فقال: (هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم).

وبهذا يحصل الجمع بين هذا الحديث وبين الأحاديث التي فيها تفسير الإيمان بالإسلام، والإسلام بالإيمان.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: وأما وجه الجمع بين هذه النصوص وبين حديث جبريل عليه السلام وسؤاله عن الإسلام والإيمان، وتفريق النبي صلى الله عليه وسلم بينهما، وإدخاله الأعمال في مسمى الإسلام دون الإيمان، فإنه يتضح بتقرير أصل، وهو: أن من الأسماء ما يكون شاملا لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه، فإذا قرن الاسم بغيره صار دالا على

---

(١) سلسلة الإيمان والكفر - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ١٦/٥

بعض تلك المسميات، والاسم المقرون به دال على باقيها.

كالفقير مع المسكين، إذا أفرد أحدهما دخل فيه كل من هو محتاج، فإذا قرن أحدهما بالآخر دل أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات والآخر على باقيها، فهكذا اسم الإسلام والإيمان.

وقال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله تعالى: ما أكثر ما يغلط الناس في هذه المسألة، فأما الزهري فقال: الإسلام الكلمة، والإيمان العمل، واحتج بقوله تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ [الحجرات:١٤]، وذهب غيره إلى أن الإسلام والإيمان شيء واحد، واحتج بقوله تعالى: ﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ [الذاريات:٣٥ - ٣٦].

يقول الخطابي: والصحيح أن يقيد الكلام في هذا ولا يطلق، وذلك أن المسلم قد يكون مؤمنا في بعض الأحوال، ولا يكون مؤمنا في بعضها، والمؤمن مسلم في جميع الأحوال، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمنا، يعني: كما فعل بعض السلف: نرسم دائرة كبيرة تمثل الإسلام، وفي داخلها دائرة أصغر منها هي دائرة الإيمان، فكل من كان في دائرة الإيمان فهو أيضا داخل في دائرة الإسلام، لكن ليس كل من كان في دائرة الإسلام يكون في دائرة الإيمان، فمن خرج عن الإيمان بقي في دائرة الإسلام، وقد يخرج عن الإيمان بالمعاصي، ولا يخرج عن الإسلام إلا بالكفر، فالمعاصي تخرج من الإيمان إلى الإسلام، والأحاديث معروفة في ذلك، مثل: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن)، نعم الإيمان موجود في قلبه، والتصديق بأن هذا الفعل حرام، لكن يغيب عنه حضور هذا الشعور، وتجنب هذا الذنب ساعة هذا الفعل، فيخرج الإيمان من قلبه ولا يبقى في قلبه، فإذا نزع وتاب دخل ثانية في الإسلام.

يقول: وإذا حملت الأمر على هذا استقام لك تأويل الآيات، واعتدل القول فيها، ولم يختلف شيء منها.." (١)

"الفرق بين استحلال المعاصي والإصرار عليها

Q ما الفرق بين استحلال المعاصي والإصرار عليها؟

A اتفق أهل السنة على تكفير المستحل للمعاصي أو المحرمات، أما الإصرار فلا يكفر صاحبه، بل اتفق أهل السنة على تبديع من قال: إن الإصرار يكفر فاعله.

والإيمان حقيقة مركبة من جزأين: قول وعمل، والقول منقسم إلى قسمين: قول بالقلب، وقول باللسان، والعمل عمل بالقلب وعمل بالأركان، وفيها اللسان.

فقول القلب بالنسبة لأصول الدين أو أصول العقيدة هو التصديق، وقول اللسان هو النطق بكلمة الشهادة، وعمل القلب غير قول القلب، فقول القلب هو الإقرار والتصديق، أما عمل القلب فهو شيء آخر من أركان الإيمان، الذي وهو محبة هذا الشيء، والانقياد له، والتوكل على الله وحده إلى آخر هذه الأعمال القلبية.

فالإيمان حقيقة مركبة من جزأين: تصديق الخبر، والانقياد للأمر، حتى من قال من أهل السنة والجماعة: إن الإيمان هو التصديق إنما عنى بذلك التصديق المستلزم للانقياد، فإذا كان الإيمان هو التصديق بالخبر والانقياد للأمر أو الحكم فمن

---

(١) سلسلة الإيمان والكفر - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٤/٦

كذب بالخبر صار كافرا كفر تكذيب، ومن صدق الخبر ولكن رد الأمر ولم ينقد له صار كافرا كفرا الرد والإباء والامتناع، مثال ذلك: إبليس لما أمره الله تبارك وتعالى بالسجود، فقد كان مصدقا بأن هذا الأمر صادر من الله، ومع ذلك كفره الله تعالى فقال: ﴿وكان من الكافرين﴾ [البقرة:٣٤]، لأنه وقع في نوع آخر من الكفر، حيث وجد عنده التصديق، فهو يعلم ويصدق بأن الله أمره بالسجود، وما قال: أنا أشك في هذا الأمر.

ويعلم أن الآمر هو الله، إذا: وجد التصديق، لكن لم يوجد الانقياد للأمر، لم **يوجد قول القلب الذي** هو قبول الخبر، وصار إبليس كافرا كفر رد وإباء وامتناع، ومثله من يقول: الشريعة الإسلامية شريعة الله، لكن لا أطبقها وأرفضها.

فيمتنع إباء أو إعراضا أو استكبارا، وكلها غير امتناع الجحود؛ لأن الجحود كفر تكذيب.

أما الذي لا ينقاد قلبه ولا يتقبل الحكم بقلبه، بل يعرض عنه ويرفضه فهذا كافر كفر إباء وامتناع وإعراض.

ثم لا بد من أن نعلم أن الانقياد الذي يؤثر في أصل الإيمان ليس هو الامتثال العملي للأحكام؛ إذ الانقياد نوعان: الانقياد العملي، والانقياد القلبي، فالانقياد القلبي كفعل القلب، وذنوب القلب أعظم من ذنوب الجوارح، فامتناع القلب عن الانقياد الذي يؤثر ويقدح في أصل الإيمان ويرتبط به ليس هو الامتثال العملي بالجوارح في الأحكام كما تزعم الخوارج، وإنما هو قبول الأحكام والتزام الشرائع جملة كما هو مذهب أهل السنة، وحتى نوضح هذه الحقيقة ونجليها أكثر نذكر الأحوال الثلاثة: الحالة الأولى: حال رجل لا يشرب الخمر، لكنه يعتقد بقلبه أنها حلال، فهذا كافر كفر تكذيب؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ [المائدة:٩٠] فهو لا يعتقد تحريم الخمر، ويقول: هي حلال فهذا مكذب بحكم الله عز وجل، جاحد لمعلوم من الدين بالضرورة، ولا شك في كفره حقيقة عند الله عز وجل.

الحالة الثانية: رجل شرب الخمر وداوم على شربها، وعقد قلبه على عدم تركها أبدا معتقدا بقلبه أنها حلال، فهذا كافر -أيضا- كفر تكذيب، وفاقد لأحد ركني الإيمان الذي هو تصديق الخبر.

وهذان الشخصان لا سبيل للحكم عليهما بالكفر في الظاهر إلا إذا قام دليل قطعي صريح على هذا الاستحلال القلبي، فإذا قام دليل على أن في القلب جحودا وتكذيبا فهذا يكفر، كأن ينطق بلسانه ويقول: أنا لا أعتقد تحريم الخمر.

فهذا اللسان هو الذي يغرف مما في القلب، فترجمان القلب هو اللسان، فإذا دل دليل قطعي صريح على هذا الاستحلال القلبي كأن يصرح بلسانه بهذا الاعتقاد فإنه يكفر بذلك.

الحالة الثالثة: مؤمن بأن حكم الله عز وجل في الخمر هو تحريم شربها، لكنه لا يقبل هذا الحكم اقتداء بقلبه، فيقول: هو حكم الملك، ولكنني لا أقبله ولا ألتزمه.

ويرده ويرفضه، بل قد يعترض عليه وينتقده ويعيبه، ويعقد قلبه على عدم ترك شرب الخمر أبدا، فهذا الاستحلال يئول إلى كفر الرد والإباء وعدم القبول، فهذا القلب لم ينقد أصلا للحكم، فهو مثل كفر إبليس؛ إذ هو عالم بأن الخمر حرمها الله، لكن لم يحصل الانقياد القلبي الذي هو كون الإيمان قولا وعملا، وقولا بالقلب وقولا باللسان.

أي أن القلب لم ينقد ولم يقبل هذا الحكم، ومثل هذا الرد حتى مع التصديق بأن هذا حكم الله يكفر به صاحبه، ومصداق ذلك في قوله عز وجل: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى

الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا﴾ [النساء:٦٠]، إلى أن قال عز وجل: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ [النساء:٦٥] فهذا عرف أنه حكم الله لكنه لم يحكم شرع الله، والله تعالى قال: ﴿ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا﴾ [النساء:٦٥] وهذا وجد حرجا، ولم يسلم تسليما لحكم الله، فهذا نوع أكبر من الكفر.

ونحن نعلم حديث ابن مظعون لما شرب هو وطائفة الخمر وتأولوا الآية: ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا﴾ [المائدة:٩٣] إلى آخر الآية، فأفتى الصحابة رضي الله عنهم في ذلك بمحضر ابن عمر رضي الله عنه بأنهم إن أقروا به جلدوا، وإن لم يقروا به كفروا.

وعلى أي الأحوال فهذا الشخص الذي يرد ويرفض الانقياد لحكم الله يرتكب نوعا آخر من الكفر غير كفر التكذيب، وهو كفر الرد والإعراض والإباء، مثل اليهود الذين أتوا إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وشهدوا له بأنه رسول الله، وقالوا: نشهد أنك رسول الله.

لكن قالوا هذه العبارة على سبيل الإخبار عما في قلوبهم لا على سبيل الإنشاء المتضمن للالتزام والانقياد، فلم يصيروا مسلمين بمجرد ذلك، مع أنهم معتقدين أن الرسول حق، بل قد قال الله عز وجل عنهم: ﴿يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ [البقرة:١٤٦]، وليس هناك أحد يخطئ في معرفة أولاده، فهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ويؤمنون أنه رسول الله حقا، لكن لم ينقادوا لحكمه، فكفرهم كفر عناد وإباء ورفض وعدم تحكيم.

فهذه الصور الثلاثة السابقة: صورة الشخص الذي لا يشرب الخمر، لكنه يعتقد بقلبه أنها حلال، وصورة رجل آخر يشرب الخمر ويداوم على شربها، ويعقد قلبه على عدم تركها أبدا معتقدا -أيضا- بقلبه أنها حلال، وصورة رجل يصدق بأن حكم الله في الخمر هو تحريم شربها، لكنه يرفض بقلبه هذا الحكم ولا ينقاد له قلبيا، هذه الصور الثلاث يصدق على أصحابها ضابط الاستحلال، وهؤلاء مستحلون لما حرم الله، فهذا الاستحلال يكفرهم، وله صورتان: الأولى: عدم اعتقاد الحكم الشرعي، وهذا يرجع ويئول إلى كفر التكذيب، الثانية: عدم التزام هذا الحكم وقبوله والانقياد له بقلوبهم، فهذا يرجع إلى كفر الرد وعدم القبول.." (١)

"حكم تحكيم القوانين الوضعية

Q هل تحكيم القوانين الوضعية كفر أكبر أم كفر دون كفر؟

A هذا السؤال بعبارة أخرى هو: هل تحكيم شريعة غير شريعة الله تبارك وتعالى يدخل في الاستحلال أم في الإصرار؟ ومن ثم فهل فاعله يكون كافرا كفرا أكبر، أم يكون كافرا كفرا دون كفر؟ إن هذه الشريعة هي الدستور الأعلى، والقانون الأوحد المهيمن، لكن الحاكم بغير ما أنزل الله إذا عرض عليه قضية أو قضيتان أو عشر قضايا أو أغلب القضايا التي تعرض عليه، فحكم في قضايا عارضة جزئية بغير ما أنزل الله، لا بسبب التكذيب، ولا بسبب الرد والرفض، وإنما بسبب مجاملة لصديقه أو قريبه، أو رشوة أغري بها، أو محسوبية، أو هوى، فهذا كله كفر دون كفر، وهذا معصية، وليس كفرا يخرج من الملة، لكنه

---

(١) سلسلة الإيمان والكفر - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٤/٢٩

ينقص إيمانه؛ لأن هذا انحراف عارض في التطبيق وليس في المبدأ.

وبعبارة أخرى نقول: من رغب عن تطبيق الشريعة الإسلامية واستبدلها بالقوانين الوضعية فهذا الاستبدال له صور عدة: فإما أنه يكون رافضا لها بقلبه، وحينها لم **يوجد قول القلب الذي** هو الانقياد والإقرار والقبول، أو يكون كارها لها، أو معتقدا أن القوانين الوضعية أفضل من الأحكام الإلهية، باعتبار أنها أحكام رجعية جامدة لا تناسب العصر، كما يقع من العلمانيين وخصوم الإسلام، أو يفعل ذلك عنادا ومكابرة، فيؤمن بأنه حكم الله لكن يعاند ويكابر ولا يقبله ولا ينقاد له، فهذا كافر خارج عن ملة الإسلام، ولو كان مصدقا بها مقرا بأنها شريعة الله عز وجل، وكفره ككفر إبليس الذي ما شك في أن الأمر بالسجود صادر عن الله تبارك وتعالى، لكنه رد حكم الله ولم يلتزمه، ففي حق مثل هذا نستدل بقوله تبارك وتعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ [النساء:٦٥]، فالمسألة هنا ليست مسألة خطأ في التطبيق أو خطأ عارض، بل هي مسألة مبدأ، فحين يحصل التخلي عن أصل تحكيم الشريعة وإبطال تحكيمها في أغلب شئون الحياة والدولة، وتنكيس راية الشريعة تماما، ثم استبدال راية الشريعة براية القوانين الوضعية الجاهلية لتصبح هي بدل الشريعة الإسلامية مع أن الشريعة هي المظلة ذات السيادة، وهي المهيمنة على المجتمع، فإن ذلك لا يتضمن عدم الحكم بما أنزل الله بتعطيله وإبطاله فحسب، بل يتضمن جريمة أخرى هي الإباحة العامة للحكم بغير ما أنزل الله.

فما بالك لو انضم إليه الإلزام القسري، أي: إلزام الأمة جميعها بالتحاكم إلى هذه القوانين الجاهلية؟! وليس الأمر إلى هذا الحد، بل يفتن كل من تمرد على هذه القوانين أو حاول تغييرها حتى ولو كان قاضيا.

ما أكثر ما يتردد في ساحات المحاكم الوضعية من عبارات تقشعر منها الجلود وتشمئز لبشاعتها النفوس لما تتضمنه من رد الدفاع الشرعي، حينما يدافع المدافع بأدلة الشرع الإسلامي القائم على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يبطل القاضي الوضعي الحكم الشرعي والدفاع الشرعي، لا لشيء إلا لأنه يخالف القوانين الوضعية.

فيرد حكم رجم الزاني، أو جلد الشارب، أو قطع يد السارق؛ لأنه يخالف القوانين، وهذا فصل بين الخلق والأمر، وقد يكون هذا الشخص مؤمنا بأن هذا حكم الله، لكنه لا ينقاد إليه قلبيا، ويجعل عدم تطبيق الشرعية مبدأ عاما، فيلزم كل الناس بتعطيل الشريعة أولا، ثم باستباحة الحكم بغير ما أنزل الله إباحة عامة يلزم بها سائر الناس ويمتحن ويفتن من خالفها أو تمرد عليها، فالله عز وجل له الخلق والأمر، كما قال تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ [الأعراف:٥٤]، فالذي يخلق هو الذي يأمر ويحكم، فكما أنه لا يخلق إلا الله، كذلك لا يأمر ولا يشرع إلا الله عز وجل.

ونشير بهذه المناسبة إلى عبارة (الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع)، فهذه العبارة تنافي العقيدة الإسلامية تماما؛ إذ إنها تساوي القول بأن الله عز وجل هو الخالق الرئيس لهذا الكون.

فهل يقبل أن الله هو الخالق الرئيس؟! إن الله تعالى كما له الخلق له -أيضا- الأمر، فكما أنه لا يصح أن تقول: الله هو الخالق الرئيس، كذلك لا يصح أن تقول: شريعة الله هي الشريعة الرئيسة للقوانين.

وقد حصل أن جنكيز خان ملك التتار استبدل أحكام القرآن وأحكام الشريعة بكتابه (الياسق) أو (اليافا)، وجعله خليطا

من الشريعة الإسلامية مع بعض القوانين الأخرى من الملل الأخرى، ووقفت الأمة منه موقفا عظيما خطيرا لإبائه ورده ورفضه الشريعة الإسلامية.

فأرجو أن يكون بهذا اتضح الفرق بين الإصرار وبين الاستحلال، وبعض العلماء يقولون: الحكم بالكفر الأكبر نتيجة الاستحلال له صورتان: تكذيب الخبر، أو رد الحكم وإبطاله وعدم الانقياد له والتزامه، وفي الحالة الثانية قالوا: هو كفر، لكن لا يحكم على قائله أو فاعله بالكفر حتى يتثبت من وجود أفعال أو شروط معينة، وانتفاء موانع تمنع من الحكم بالكفر على الشخص، لكن يقال: من فعل كذا فهو كافر.

ولا يجزم بأن فلانا بعينه كافر حتى نتأكد من زوال العوارض الأهلية من إكراه أو جهل أو تأويل.." (١)

"تعريف الإيمان

أصل الإيمان في اللغة: التصديق والإقرار والمعرفة، وهو تصديق القلب وإقراره واعترافه.

وشرعا: تصديق القلب، وإقرار اللسان، وعمل القلب والجوارح.

فيشمل أربعة أشياء: تصديق القلب ويسمى قول القلب، وقول اللسان، وعمل القلب، وعمل الجوارح.

فقول القلب: هو التصديق والإقرار والمعرفة.

وقول اللسان: هو النطق، كالنطق بالشهادتين، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، والذكر، وتلاوة القرآن.

وعمل القلب: كالنية والإخلاص والصدق والمحبة والتوكل والرغبة والرهبة.

وعمل الجوارح: كالصلاة والصيام والزكاة والحج.

ولهذا يقول العلماء: الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان -وهو القلب- وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

ومن عبارات السلف في هذا: الإيمان عمل ونية، أي: عمل القلب وعمل الجوارح، والنية التصديق والإقرار، ويدخل في العمل أيضا قول اللسان.

وبهذا ينفصل أهل السنة عن المرجئة بجميع طوائفهم وعن أهل البدع جميعا.

والعلماء والسلف والأئمة من الصحابة والتابعين وأهل السنة قاطبة ومنهم الأئمة الأربعة يقررون أن الإيمان تصديق القلب، وإقرار اللسان ونطقه، وعمل القلب وعمل الجوارح، وقرروا أنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وبهذا انفصلوا عن جميع الطوائف، فانفصلوا عن الخوارج، والمعتزلة، والمرجئة، والشيعة، والكرامية، والجهمية وغيرهم، فالمرجئة الذين يرون أن الأعمال لا تدخل في مسمى الإيمان، من أعظم من خالف أهل السنة في مسمى الإيمان.." (٢)

"وجوارحه وتؤكد أفعاله فهذا المنافق. أما الذي ذُكر في الحديث فمسلم مصدق قلبه وجوارحه ومؤكدة أفعاله يعني التوحيد لكنه يأتي بعض الكبائر فليس كالمنافق الكاذب في قول لا إله إلا الله.

فقد تبيّن أن النطق بالشهادة من غير معرفة لمعناها ولايقين ولاعمل بما تقتضيه من البراءة من الشرك وإخلاص القول **والعمل**

---

(١) سلسلة الإيمان والكفر - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٦/٢٩

(٢) شرح كتاب الإيمان الأوسط لابن تيمية - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٢/٣

قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح فغير نافع بالإجماع. وهذا لا يوجب التكذيب بأحاديث الشفاعة الثابتة لأنها للموحدين الذين يعرفون معناها ويعملون بمقتضاها ولكن لهم ذنوب أوْجبت لهم دخول النار.

ومما جاء في بيان كلمة لا إله إلا الله في (قرّة عيون الموحدين) قوله: وأنت تجد أكثر من يقول لا إله إلا الله ويَدَّعي الإسلام يفعل الشرك بالله في عبادته بدعوة من لايضر ولاينفع من الأموات والغائبين والطواغيت والجن وغيرهم ويحبهم ويُوَاليهم ويخافهم ويرجوهم ويُنكر على من دعا إلى عبادة الله وحده وتَرْك عبادة ماسِواه ويزعم أن ذلك بدعة وضلالة ويُعادي من عمل به وأحَبّه وأنكر الشرك وأبغضه. وبعضهم لا يَعدّ التوحيد علماً ولا يلتفت إليه لجهله به وعدم محبته والله المستعان..." (١)

"مراتب الإيمان بالمقارنة إلى العمل

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وبعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

أما بعد: فلا زال الكلام موصولا في إثبات أن الأعمال من الإيمان، وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وهذا معتقد أهل السنة والجماعة، والصلاة من الإيمان، والزكاة من الإيمان، والصيام من الإيمان، والجهاد من الإيمان، وسائر الأعمال من الإيمان.

فمن الأعمال ما هو أصل في الإيمان، ومن الأعمال ما هو واجب في الإيمان، ومن الأعمال ما هو مستحب في الإيمان.

وهذا يعني أن الأعمال التي هي من أصل الإيمان من تركها فقد خرج من الإيمان بالكلية وصار كافرا؛ كالصلاة على المذهب الراجح، ومن ترك الأعمال الواجبة في الإيمان فإنما أخل بالإيمان الواجب، ومن ترك الأعمال التي هي مستحبة في الإيمان فقد ترك ذروة الإيمان وكماله وتمامه المستحب.

ولذلك قال الله عز وجل في الحديث القدسي: (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها) أي: فلا يبصر إلا بي، ولا يسمع إلا بي، ولا يمشي إلا بي، فإذا حقق العبد هذه الدرجة وهي الكمال المستحب، يكون قد بلغ ذروة الإيمان وكماله وتمامه، وذلك بأن يأتي بالأعمال المستحبة بعد الأعمال الواجبة والأعمال الأصيلة في الإيمان، فالإيمان بالمقارنة إلى العمل على ثلاث مراتب: إيمان أصلي، ثم إيمان واجب، ثم إيمان مستحب.

ولكل مرتبة من مراتب الإيمان أعمال تخصه، فمن فرط في أصل العمل الذي هو أصل الإيمان فلا يكون مؤمنا قط، بل لا يثبت له الإسلام.

وإذا قلنا: الإيمان قول وعمل، فالقول قول اللسان، بمعنى أن من كان قادرا على النطق بالشهادتين ولم ينطق بهما مختارا؛

---

(١) الشناعة على من رد أحاديث الشفاعة، عبد الكريم الحميد ص/١٠

فإنه لا يثبت له إسلام، لأن الإيمان قول وهو لم يتلفظ مع القدرة على القول والتلفظ، ولكنه ترك ذلك مختارا غير مكره.

والعمل عمل القلب من المحبة والرضا والقيام بمقتضيات هذه الكلمة وغير ذلك، ولذلك لو قال إنسان: لا إله إلا الله، فقد حقق القول، **أما قول القلب فمحبة** هذه الكلمة والرضا بها، والإيمان والتصديق والإقرار الجازم بها ولو أن ذلك كله انتفى عنده لا يثبت له الإسلام عند الله، ولذلك فالمنافقون في زمن النبوة قالوا كلمة الإسلام، فشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ولكنهم أبغضوا هذه الكلمة، ومع هذا حققوا العمل، فكانوا يصلون ويصومون ويزكون ويحجون، بل ويجاهدون مع النبي عليه الصلاة والسلام، ولكنهم عند الله في الدرك الأسفل من النار، فهم أشد عذابا من الكفار، أما في حكم الدنيا فهم مسلمون؛ لأنهم نطقوا بكلمة الإسلام ظاهرا.

فالإيمان قول وعمل، هذا القول وهذا العمل هو قول اللسان وعمل القلب وهو يزيد وينقص، فزيادة الإيمان ونقصانه متعلقة بالعمل.

أي: أن سبب زيادة الإيمان في قلب العبد هو عمل الجوارح، ولذلك إذا كان المرء محافظا على الصلاة في الجماعة، محافظا على أداء الزكاة، محافظا على الحج في كل عام إن استطاع ذلك، محافظا على النوافل وقيام الليل وقراءة القرآن وغير ذلك يشعر أن قلبه يحلق في السماء السابعة، ولو أنه فرط في شيء أو فاتته مثلا صلاة الفجر وهو معتاد عليها في جماعة، فإنه يقوم في النهار وقد حشرج صدره، وضاق جدا، وشعر بالغم والهم طيلة النهار، وظن أن الدنيا قامت ولم تقعد؛ لأنه شعر بنقصان الإيمان في قلبه بفوات الطاعة التي اعتاد عليها، هذا الأمر يشعر به كل إنسان منا، والإيمان يزداد كما قال تعالى: ﴿ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم﴾ [الفتح:٤].

هذه الآية تقول: إن أصل الإسلام لا بد أن يكون معه أصل الإيمان، ولذلك حينما عاب الله تعالى على الأعراب قال: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ [الحجرات:١٤]، هذا الإسلام لا بد أن يكون معه ما يسمى بأصل الإيمان، لأن الإسلام لا يصح للعبد إلا إذا كان معه الإقرار والإذعان والمحبة والرضا.

ولذلك لو أن واحدا نطق بالشهادتين الآن ثم مات بعدها فورا، نقول إن هذا مسلم معه أصل الإيمان؛ لأن الإسلام لا يصح إلا بأصل الإيمان، وهي المرتبة الأولى من مراتب الإيمان، حتى يكون هناك فارق بينه وبين المنافقين؛ لأن المنافق لو شهد بالشهادتين وهو منافق ومات، يكون في النار؛ لأنه قالها نفاقا.

كما يحدث للروس الآن؛ فهم قد عرفوا أصلا من أصول الجهاد عند المسلمين، وهو أن واحدا منهم إذا وقع في عداد الأسر في جيش الإسلام نطق بالشهادتين فورا، فهب أنه نطق بالشهادتين، ولنفترض أنه نطقها نفاقا، فهو في النار؛ لأنه ما نطق الشهادة عن إيمان، وإنما نطقها نفاقا، فهناك فرق بينه و." (١)

"نقل النووي لكلام الإمام الأصفهاني في معنى الإيمان وزيادته ونقصه

وأما الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل التميمي الأصبهاني الشافعي في كتابه التحرير في شرح صحيح مسلم فقال: الإيمان في اللغة هو التصديق، فإن عمل به ذلك فلا يزيد ولا ينقص.

---

(١) شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة، حسن أبو الأشبال الزهيري ٢/٢٦

فهو يريد أن يعرف الإيمان في اللغة: بأنه التصديق، وهو على هذا التعريف ليس فيه زيادة ولا نقصان، وهذا كلام يحتاج إلى نظر وتحرير، حتى لو عرفنا أن الإيمان في اللغة هو التصديق، فنقول: كذلك التصديق يقبل الزيادة والنقصان، فلو أن واحدا أخبرني خبرا وكان ثقة صدقته، ولو دخل رجل آخر وأخبرني بنفس الخبر وهو ثقة ازددت تصديقا لخبر الأول، حتى لو عرفنا الإيمان في اللغة بأنه التصديق فنقول: كذلك التصديق في اللغة يقبل الزيادة والنقصان.

قال: لأن التصديق ليس شيئا يتجزأ حتى يتصور كماله مرة ونقصه مرة، وهذا الكلام قد رددنا عليه.

قال: أما الإيمان في لسان الشرع فهو التصديق بالقلب والعمل بالأركان.

إن الكلام في مسائل الإيمان والكفر محل نزاع عظيم جدا على الساحة، فاسمعوا كلام أهل العلم.

قال الإمام الأصبهاني: والإيمان في لسان الشرع -يعني: الإيمان الاصطلاحي- هو التصديق بالقلب والعمل بالأركان، والأركان هي الجوارح.

إذا: الأعمال داخلة في ماهية الإيمان وحقيقته ومسماه.

وإذا فسر بهذا، أي: إذا اعتبرنا أن الإيمان قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح؛ فلابد أن نتصور تطرق الزيادة والنقص إليه؛ لأنه إذا كان هو إقرار القلب وعمل الجوارح، فمعنى ذلك أن الإيمان يتوقف عليهما، فلو أن الإيمان ضعف في القلب نقص، ولو زاد في القلب ارتفع، كما أن العامل لو عمل بطاعتين ازداد إيمانا على قدر هذه الطاعات، ولو أنه نقص من هذه الطاعات نقص إيمانه على قدر نقصان عمله.

إذا: زيادة الإيمان ونقصانه متعلقة بالعمل، ومن الأعمال ما ينقض الإيمان من أصله، ومن الأعمال ما يؤثر على الإيمان الواجب، ومن الأعمال ما يؤثر على كمال الإيمان وتمامه.

فعندي الآن ثلاث مراتب: إيمان أصلي، وهو أصل الإيمان في القلب، لابد من توفر هذا القدر من الإيمان حتى يثبت به الإسلام، ولو كان ذلك قبل أن أعمل عملا مطلقا، ولذلك من نطق بالشهادتين مؤمنا بهما ثم مات يكون مؤمنا، لكنه لم يحقق كمال الإيمان وتمامه، لأن ارتباط الكمال والتمام بالعمل، وهو لم يعمل، ربما يجازيه الله عز وجل فضلا من عنده درجات الكمل الذين أتوا بالأعمال على وجهها وزيادة، وهذا فضل الله تعالى ورحمته يؤتيها من يشاء من عباده.

أما هذا فقد حقق أصل الإيمان الذي يدخل به في مسمى الإيمان وإن لم يكن بلغ تمامه وكماله؛ لأن ذلك مرهون بالعمل، وهناك أعمال واجبة في الإسلام يقابلها الإيمان الواجب، فإذا أدى العبد هذه الأعمال الواجبة فقد حقق الإيمان الواجب، وهذه المرحلة الوسطى من مراحل الإيمان.

وإذا أتى العبد بالنوافل والمستحبات والمندوبات وغير ذلك، وحافظ عليها، فقد حقق كمال الإيمان وتمامه، وهو الإيمان المطلق.

إذا: فمراتب الإيمان ثلاث، يقابل هذه المراتب أعمال.

المرتبة الأولى: وهي مرتبة مطلق الإيمان وأساس الإيمان وقاعدة الإيمان، وجزؤه الذي لا يثبت للمرء الإيمان إلا به، وهو المصاحب لنطقه بالشهادتين وإقراره واعتقاده القلبي بما نطق به لسانه، وبغير هذا الجزء من الإيمان لا يكون مؤمنا على

الحقيقة، بل يكون منافقا.

المرتبة الثانية: مرتبة الإيمان الواجب، يقابلها الأعمال الواجبة في الإسلام، إذا أداها فقد حقق الإيمان الواجب الذي يأثم المرء بتركه.

أما كمال الإيمان وتمامه ومطلقه فإن ذلك متعلق بالمستحبات والمندوبات وغير ذلك من أعمال النوافل.

قال: والإيمان في لسان الشرع: هو التصديق بالقلب والعمل بالأركان، وإذا فسر بهذا تطرق إليه الزيادة والنقصان، وهو مذهب أهل السنة، أن العمل داخل في مسمى الإيمان.

قال: فالخلاف في هذا على التحقيق إنما هو: أن المصدق بقلبه إذا لم يجمع إلى تصديقه العمل بموجب الإيمان، هل يسمى مؤمنا مطلقا أم لا؟ والمختار عندنا: أنه لا يسمى به، قال النبي عليه الصلاة والسلام: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)؛ لأنه لم يعمل بموجب الإيمان فيستحق هذا الإطلاق.

هذا آخر كلام صاحب كتاب التحرير.

ولو سلمنا أن الإيمان هو التصديق فإنه يتطرق إليه الزيادة والنقصان، وهذا غير مقصود في الشرع.

والمرجئة قالوا: الإيمان هو التصديق.

وإذا كان الإيمان هو التصديق فلا يتصور نزول التصديق إلا إلى الشك، فيقولون: الشاك ليس مؤمنا، وهو كذلك، لكن التصديق يتصور فيه الزيادة أو النقص، وقد ضربت لذلك مثلا، وكذلك جاء في كتاب الله عز وجل أمثلة عن سيدنا إبراهيم وكيف مات وغير ذلك، ولا يتصور مسلم أن إبراهيم عليه السلام كان كافرا، ومع هذا قال: ﴿رب أرني كيف تحي الموتى﴾ [البقرة:٢٦٠]، فإبراهيم عليه السلام سأل عن الكيفية، هل إبراهيم عليه السلام لا يوقن أن الله تعالى يحيي الموتى؟ فإبراهيم يوقن ذلك، ويوقن أن الله ت." (١)

"بيان أن الإيمان اعتقاد بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالجوارح والأركان، ولا يكون العبد مؤمنا إلا بهذه الثلاث

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

هذا بداية الكلام عن الإيمان، والكلام في الإيمان ومسائله كلام خطير وشائك، والمعصوم من عصمه الله عز وجل، ومنهج أهل السنة والجماعة في بيان مسائل الإيمان، والفرق بينها وبين مسائل الكفر أوضح من الشمس في رابعة النهار، ولكن يعمى على بعض الدعاة وطلاب العلم -ومن ينتسبون إليه بل هم من أهله حقيقة- بعض هذه المسائل، وإن شئت فقل: أصول الإيمان أحيانا مما أوقع شباب الصحوة في حيرة شديدة جدا.

---

(١) شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة، حسن أبو الأشبال الزهيري ١٢/٢٨

فالإمام ابن بطة -كغيره من أئمة السلف- عقد أبوابا متعددة في بيان ماهية الإيمان، وبيان مسائله، وأعظم مسألة فيه: هل العمل من الإيمان أو ليس من الإيمان؟ وهل هو شرط فيه؟ وإذا كان الجواب بالإيجاب فهل هو شرط كمال أو شرط صحة؟ وإذا كان شرط كمال فهل الكمال هنا المقصود به الكمال الواجب، أم الكمال المستحب؟ وإذا كان الإيمان شرط صحة، فهل يكفر من ترك هذا العمل؟ هذه بعض مسائل الإيمان، وهي أخطر المسائل التي تثار إذا ذكرنا مسائل الإيمان والكفر.

والإمام قد عقد بابا عظيما جدا في كتاب الإبانة فقال: [باب بيان الإيمان وفضله، وأنه تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح والحركات، لا يكون العبد مؤمنا إلا بهذه الثلاث]، فقد بوب الإمام بهذا التبويب؛ ليثبت بداءة أن الإيمان قول وعمل، **هو قول القلب واللسان**، فاللسان ينطق بالشهادتين، والقلب يحب هذه الكلمة ويرضاها ويصدق بها ويذعن لها وينقاد، فهذا قول القلب.

فالإيمان قول، أي: قول باللسان والقلب.

وعمل، أي: عمل القلب والجوارح.

ومنهم من زاد فقال: الإيمان قول وعمل ونية، أي: وإخلاص لله عز وجل، ولا تعارض بين هذا التعريف وبين التعريف السابق: أن الإيمان قول وعمل، والمقصود بكونه قولا وعملا، أي: وإخلاصا؛ لأن القول إذا لم يكن صاحبه مخلصا لله عز وجل، وكذا العمل؛ فإنه لا يقبل منه، بل يرد عليه، ولكن زيادة (ونية) للدلالة على أن الإخلاص أمر لازم في الإيمان، وأن العبد لا يقبل منه العمل ولا القول إلا إذا كان مخلصا لله عز وجل.

فقال: (باب بيان الإيمان وفضله)، أي: وفضائل الإيمان، ثم قال: (وأنه تصديق بالقلب) هذه واحدة، (وإقرار باللسان) هذه الثانية، (وعمل بالجوارح والحركات)، أي: الأبدان، وهذه هي الثالثة.

ثم قال: (ولا يكون العبد مؤمنا إلا إذا حقق هذه الثلاث).

أما قوله: (لا يكون العبد مؤمنا)، فهل يستلزم نفي الإيمان عنه بالكلية، أو أنه أراد بذلك نفي الكمال؟ على تفصيل سيرد معنا بإذن الله تعالى.

قال المحشي: ما ذهب إليه المصنف -وهو ابن بطة - من أن الإيمان قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان هو مذهب عامة السلف في الحقيقة، فلم يقل: هو إجماع السلف؛ لأن الأحناف خالفوا في هذا، فكان محقا أن قال: وهذا التعريف والتبويب أطبق عليه عامة السلف، وخالف بعضهم، وليس في خلافه لعامة السلف حجة، بل كل من خالف السلف في أصل الإيمان ومسائله فقوله مردود عليه.

قال: وهو من شعائر أهل السنة، بل وقع الإجماع عليه، أي: وقع الإجماع على أن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

قال: بل وقع الإجماع عليه، وحكاه غير واحد، كما في كتاب الأم للإمام الشافعي، قال: وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركنا يقولون: الإيمان قول وعمل ونية، ولا تجزئ واحدة من الثلاث إلا بالأخرى.

فلو قال قائل: قول وعمل، أي: بغير نية؛ فقوله مردود عليه، ولو قال: قول ونية بغير عمل؛ فمردود عليه، ولو قال: عمل ونية بغير قول؛ فقوله مردود عليه، وهذا معنى قوله: لا يكون مؤمنا إلا إذا حقق هذه الثلاث.

وفي كتاب الإيمان لـ ابن تيمية نقلا عن الإمام البخاري أنه قال: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحدا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، والمعلوم أن الإيمان لو قبل الزيادة فلا بد أن يقبل النقصان، بل هو قبل أن يكون زائدا كان ناقصا.

وكذلك الإمام اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة قال بعنوان: سياق ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في أن الإيمان تلفظ باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح.

وقد جمع الثلاث، وأثبت أن العمل من الإيمان، ثم أورد عشرات الأدلة على ذلك من الآيات والأحاديث، وذكر ابن جرير في عقيدته بسنده إلى الوليد بن مسلم قال: سمعت الأوزاعي ومالك بن أنس وسعيد بن عبد العزيز رحمهم الله ينكرون قول من يقول: إن الإيمان إقرار بلا عمل، ويقولون: ل." (١)

"الإجماع على أن الإيمان قول واعتقاد وعمل

قد حكى غير واحد إجماع الصحابة والتابعين والفقهاء والمحدثين على ذلك، ومن هؤلاء الإمام الشافعي، فقد حكى الإجماع على أن **الإيمان قول القلب واللسان** وعمل القلب والجوارح، وكذلك البغوي، قال ابن تيمية في كتاب الإيمان من مجموع الفتاوى نقلا عن الإمام الشافعي رحمه الله: وكان الإجماع من الصحابة والتابعين ومن بعده ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر، أي: إلا مع الآخر، فكيف يقال لمن ترك العمل بالكلية أو ترك عملا أثبت النص أن تاركه كافر أو انعقد الإجماع عليه إنه مؤمن؛ لأن الضابط لمسائل الإيمان والكفر هو النص أو الإجماع.

وقال البغوي في شرح السنة: اتفقت الصحابة والتابعون ومن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان، لكن منها ما هو أصل في الإيمان، ومنها ما هو في الإيمان الواجب، ومنها ما هو في الإيمان المستحب.

قال: وقالوا: إن الإيمان قول وعمل وعقيدة، وكذلك نقل ابن عبد البر الإجماع على ذلك، فقال في التمهيد: أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، بل أصبح هذا مما يميز أهل السنة والجماعة عن أهل البدع، فإذا كان هذا من الأمور المقطوع بها وهي محل إجماع السلف، فكذلك من المقطوع به عندهم أن من الأقوال والأعمال ما هو كفر أكبر؛ لأنه في الحقيقة محفوظ عند الإخوة أن الكفر كفران: كفر أكبر وكفر أصغر، أما الكفر الأكبر فهو المتعلق بمسائل الاعتقاد، وأما الكفر الأصغر فهو المتعلق بمسائل العمل، وهذا الإطلاق يحتاج إلى نظر، بل من مسائل الاعتقاد الصغيرة ما لا يكفر بها قائلها، ومن مسائل العمل الكبيرة ما يكفر بها فاعلها.." (٢)

"فإن المراد بالسنة الطريقة المحمدية التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام وتابعوهم بإحسان قبل ظهور البدع وفشوها، فمن تأثر بشيء من الأهواء واستمسك بها لم يصح إطلاق هذا الوصف الجليل عليه. فإنه لما

---

(١) شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة، حسن أبو الأشبال الزهيري ٢/٣٥

(٢) شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة، حسن أبو الأشبال الزهيري ٨/٣٨

أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ((أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة)) (١) ، وفي حديث آخر أنه قال: ((هم من كان مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)) (٢). صار المتمسكون بالإسلام الخالص من الشوائب والأهواء هم أهل السنة والجماعة ومن سواهم أهل البدعة والضلالة. قال شيخ الإسلام: "وأئمة السنة ليسوا مثل أئمة البدعة، فإن أئمة السنة تضاف السنة إليهم لأنهم مظاهر بهم ظهرت، وأئمة البدعة تضاف إليهم لأنهم مصادر عنهم صدرت ... " (٣)

وبهذا يعلم أن الأشاعرة والماتريدية ليسوا من أهل السنة والجماعة، كيف ومذاهبهم مخالفة لأهل السنة والجماعة في أمور كثيرة خطيرة، فهم مخالفون لأهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات وفي الإيمان وفي القدر وغير ذلك من كبار مسائل الاعتقاد، وإنما هم يعدون من مبتدعة أهل القبلة ومن محدثة المسلمين وعندهم من الخير والموافقة لأهل السنة والجماعة في بعض المسائل ما كانوا به أقرب من غيرهم ممن توغل في الإحداث والابتداع كالجهمية والمعتزلة وغيرهم.

هدانا الله وإياهم وجميع المسلمين إلى الحق بإذنه إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

ثم إن هذه المسألة على الخصوص جرى فيها مناظرة بين شيخ الإسلام ابن تيمية وبين خصومه الأشاعرة، حيث أنكروا عليه قوله في العقيدة الواسطية: "ومن أصول الفرقة الناجية: أن الإيمان والدين قول وعمل يزيد **وينقص قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح".

قالوا: فإذا قيل إن هذا من أصول الفرقة الناجية خرج عن الفرقة الناجية من لم يقل بذلك مثل أصحابنا المتكلمين الذين يقولون إن الإيمان هو التصديق ومن يقول الإيمان هو التصديق والإقرار، وإذا لم يكونوا من الناجين لزم أن يكونوا هالكين.

فأجابهم رحمه الله بقوله: "إن قولي اعتقاد الفرقة الناجية هي الفرقة التي وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بالنجاة حيث قال: ((تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)) (٤).

---

(١) رواه أبو داود (٤٥٩٧) ، وأحمد (٤/ ١٠٢) (١٦٩٧٩) ، والدارمي (٢/ ٣١٤) ، والحاكم (١/ ٢١٨). والحديث سكت عنه أبي داود. وقال الحاكم: هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث. ووافقه الذهبي. وصحح إسناده أبو الحق الإشبيلي في ((الأحكام الصغرى)) (٩٦) – كما أشار لهذا في المقدمة -. وقال الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)): حسن. وانظر كلامه في ((السلسلة الصحيحة)) (٢٠٤).

(٢) رواه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال: هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه، قال الحافظ العراقي في ((المغني)) (٣/ ٢٨٤): أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو وحسنه، ولأبي داود من حديث معاوية، وابن ماجه من حديث أنس وعوف ابن مالك، (وهي الجماعة) وأسانيدها جياد، وحسنه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)).

(٣) ((درء التعارض)) (٥/ ٥، ٦)

(٤) رواه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال: هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه، قال الحافظ العراقي في ((المغني)) (٣/ ٢٨٤): أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو وحسنه، ولأبي داود من حديث معاوية، وابن ماجه من حديث أنس وعوف ابن مالك، (وهي الجماعة) وأسانيدها جياد، وحسنه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)).." [1]

"المبحث الأول: العلاقة بين إيمان القلب وإيمان الجوارح

إن العلاقة بين إيمان القلب وإيمان الجوارح لمن أهم قضايا الإيمان، ومن عدم فهمها دخل الضلال على المرجئة بل على أكثر المسلمين، حين ظنوا أنه يمكن أن يكون إنسان كامل الإيمان في القلب مع عدم عمل الجوارح مطلقا. كما ظنوا أن تماثل الناس في أعمال الجوارح يقتضى تماثل إيمانهم وأجورهم، ولم يدركوا أنه بحسب علاقة عمل الجارحة بعمل القلب يكون الحكم على العمل والثواب عليه، فقد يتفق العملان في المظهر والأداء، وبينهما مثل ما بين السماء والأرض في الدرجة والأجر.

وأساس فهم هذه القضية أن نعلم حقيقة الترابط بين أجزاء الإيمان على ضوء مذهب السلف.

فقد قررنا أن الإيمان قول وعمل وأن ذلك يشمل القلب والجوارح معا، وتفصيل ذلك يتضح بهذا الشكل المبسط:

القول

إقرار القلب وتصديقه إقرار اللسان وتصديقه

الإيمان المجمل شهادة أن لا إله إلا الله

العمل

انقياد القلب وإذعانه انقياد الجوارح وامتثالها

بتحقيق أعمال القلوب بفعل الأوامر وترك النواهى

فهذان الركنان – القول والعمل – أو الأربعة الأجزاء **– قول القلب وعمله** وقول اللسان وعمل الجوارح – يتركب منهما هيئة مجتمعة أو حقيقة جامعة لأمور، هذه الهيئة والحقيقة هي "الإيمان الشرعي" كما أن حقيقة الإنسان مركبة من الجسد والروح أو العقل والوجدان، وكما أن الشجرة تتركب من الجذور الضاربة في الأرض والساق والأغصان الظاهرة.

ومما يوضح ذلك تشبيه تركيب الإيمان بالتركيب الكيميائى: مثلما يتركب الملح مثلا من الكلور والصوديوم أو يتركب جزيء الماء من ذرتى هيدروجين وذرة أكسجين بحيث لو انتفى التركيب لانتفت الحقيقة مطلقا وتحولت الأجزاء إلى أشياء مختلفة تماما.

ولكن لا يقف التركيب عند هذا الحد، بل يجب أن نضيف إليه أن هذه الأجزاء أو الهيئة المركبة تتكون تفصيلا من بضع وسبعين شعبة، وكل شعبة منها قابلة للتفاوت بين أعلى درجات الكمال وأدنى درجات النقص أو الاضمحلال والعدم.

وبهذا نفهم اندراج كل الأعمال والطاعات فرضا أو نفلا في مسمى الإيمان المطلق ودخولها في حقيقته الجامعة، كما يظهر تفاوت الناس في الإيمان ودرجاته، ومن أظهر الأدلة على هذا التركيب والامتزاج أنه قد وردت النصوص بتسمية الإيمان

---

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢/١٣٧

عملا وتسمية العمل إيمانا:

فأما تسمية الأعمال إيمانا فنصوص كثيرة جدا، حتى أن البخارى رحمه الله عقد في كتاب الإيمان من الصحيح تراجم كثيرة لذلك: مثل (باب الجهاد من الإيمان، باب تطوع قيام رمضان من الإيمان، باب صوم رمضان من الإيمان، باب الصلاة من الإيمان، باب اتباع الجنائز من الإيمان) ونحو ذلك ، وأورد في ذلك الأحاديث الصحيحة التى شاركه في إخراجها كتب السنة الأخرى.." (١)

"وأما تسميه الإيمان عملا فقد عقد أيضا له (باب من قال أن الإيمان هو العمل، لقوله تعالى: وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون [الزخرف:٧٢]. وقال عدة من أهل العلم في قوله تعالى: فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون [الحجر:٩٢ – ٩٣]: عن قول لا إله الله. وقال: لمثل هذا فليعمل العاملون [الصافات:٦١]).ثم روى البخاري بسنده عن أبي هريرة ((أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل: أي العمل فضل؟ فقال " إيمان بالله ورسوله " قيل: ثم ماذا؟ قال: " الجهاد في سبيل الله "، قيل: ثم ماذا؟ قال:"حج مبرور)) (١).وهذا الحديث رواه الإمام أحمد عن عبيدالله بين أسلم مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢). وعن عبدالله بن حبشى الخثعمى (٣) ورواه أبو داود الطيالسى عن أبى هريرة (٤) أيضا ورواه غيرهم عن أبى ذر (٥).

ومن ذلك قوله تعالى: وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون [سبأ: ٣٧].

فقوله: بما عملوا يشمل إيمانهم بقلوبهم وأعمالهم الصالحة بجوارحهم المذكورين قبل. وهذا ما فهمه السلف الصالح وأجمعوا على معناه، قال الوليد بن مسلم: " سمعت الأوزاعي ومالك بن أنس وسعيد ابن عبدالعزيز ينكرون قول من يقول: إن الإيمان قول بلا عمل. ويقولون: لا إيمان إلا بعمل ولا عمل إلا بإيمان " (٦).

وقد سبق إيراد قول الإمام الأوزعي رحمه الله: "كان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل، العمل من الإيمان والإيمان من العمل، وإنما الإيمان اسم يجمع كما يجمع هذه الأديان اسمها، ويصدقه العمل "، وقول الشافعي رحمه الله: " وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ أحد الثلاثة إلا بالآخر " (٧).

ولنوضح ذلك بمثالين: أحدهما من أعمال الجوارح والأخر من أعمال القلوب، يظهر في كل منها حقيقة العلاقة التلازمية وحقيقة التفاوت:

١ – الصلاة: وهي من أعمال الجوارح، وقد ورد تسميتها إيمانا في القران، قال تعالي: وما كان الله ليضيع إيمانكم [البقرة:١٤٣] أي صلاتكم إلى بيت المقدس (٨). وهي بلا ريب أعظم شعب الإيمان العملية الظاهرة بعد الشهادتين، فلو تأملنا لوجدنا أنها تشمل أجزاء الإيمان الأربعة، وهي قول القلب: وهو إقراره وتصديقه بوجوبها، وعمل القلب: وهو الانقياد والإذعان بالإرادة الجازمة وتحريك الجوارح لفعلها والنية حال أدائها، وعمل اللسان: وهو القراءة والأذكار الواردة فيها، وعمل

---

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٩١/٣

الجوارح: وهو القيام والركوع والسجود وغيرها.

---

(١) رواه البخاري (١٥١٩) ومسلم (٨٣).

(٢) ((المسند)) (٤: ٣٤٢)

(٣) (٣:٤١٢)

(٤) (برقم ٢٥١٨) (ص٣٢٩)

(٥) انظر .. ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (١٤٩٠).

(٦) ((اللالكائي)) (ص: ٨٤٨)

(٧) (ص١٨٨) وانظر ((جامع العلوم والحكم)) (١/ ٥٧) و ((الإيمان)) لابن تيمية (ص٢٨٠).

(٨) انظر ((الفتح)) (١/ ٩٥) كما ورد تسميتها إيمانا في حديث وفد عبد الفيس السابق وغيره، ومع ذلك أخرج المرجئة الصلاة من الإيمان وأولو الآية بأن المراد ليس صلاتكم بل التصديق بها، انظر المواقف (ص ٣٨٦)." [(١)]

"٢ - الحياء: وهو عمل قلبي، وقد صح تسميته إيمانا في حديث الشعب وغيره، ومع ذلك فلا يمكن تصور وجوده في القلب إلا بظهور أثره على اللسان والجوارح، وبمقدار حياء الجوارح يقاس حياء القلب. وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة، منها في الأفعال قصة الثلاثة الذين دخلوا علي النبي صلي الله عليه وسلم وهو في الحلقة، فدخل أحدهم فيها وأعرض الثالث، وأما الأوسط فتردد ثم جلس خلفهم، فقال عنه النبي صلي الله عليه وسلم ((وأما الآخر فاستحيا، فاستحيا الله منه)) (١)،، أي إنما منعه من الذهاب حياؤه ، فشهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالحياء بناء على فعله، فلو ذهب لقال فيه ما قال فيمن ذهب.

وأما الحياء في القول، فمنه قول علي رضي الله عنه: (كنت رجلا مذاء، فاستحييت إن أسال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمرت المقداد بن الأسود فسأله) (٢)، فما في قلب علي رضي الله عنه من الحياء منعه من السؤال بنفسه، وهذا مما يعلمه كل إنسان في نفسه، أي متي يستحي وممن يستحي بحسب ما في قلبه.

ثم يأتي بعد هذا مسألة التفاوت في الصلاة والتفاوت في الحياء، فصلاة يقترن بها الخشوع وحضور القلب وحسن الأداء لا تكون كأخرى منقورة نقر الغراب، وكذلك حياء مقرون به زيادة التقوى وحسن السمت وورع اللسان لا يكون كحياء رجل ليس لديه إلا ما يمسكه عما يفعله أو يقوله من لا حياء له.

ومثل هذا التفاوت هو الواقع في الإيمان كله بحسب كمال الشعب جميعها أو كمال بعضها دون بعض أو فقدان بعضها بالكلية.

هذا في الأفعال، والحال في التروك كذلك، فلنمثل لها أيضا بمثالين:

١ - ترك الزنا:

---

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٩٢/٣

وهو عمل الجارحة، وهو من الإيمان بدليل نفي الشارع الإيمان عمن فعله، وهو يشمل قول القلب، أي الإقرار بحرمته وتصديق الشارع في ذلك؛ وعمل القلب، وهو الانقياد والإذعان بالكره والنفور والإرادة الجازمة لامساك الجوارح عنه؛ وعمل الجوارح، وهو الكف عن فعله ومقدماته.

فمن ارتكب هذه الفاحشة بجوارحه فإن عمل قلبه مفقود بلا شك - خاصة حين الفعل -، لأن الإرادة الجازمة على الترك يستحيل معها وقوع الفعل، فمن هنا نفى الشارع عنه الإيمان تلك اللحظة " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن "، لكن **وجود قول القلب عنده** منع من الحكم بخروجه من الإيمان كله خلافا للخوارج، فلو أظهر ما يدل على انتفاء إيمان القلب واستحلاله له لكان خارجا من الملة عند أهل السنة والجماعة، أما مجرد الفعل فإنما يدل على انتفاء عمل القلب لا قوله.

٢ - ترك الحسد: وهو من أعمال القلب، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يجتمع والإيمان في قلب (٣) ، فلا يتصور خلو القلب من الحسد مع وجود آثاره ودلائله على الجوارح، كما لا يستطيع أحد أن يدعي أن فلانا حسود مع عجزه عن الإتيان بدليل ظاهر من عمله.

وقد أخبرنا الله تعالى عن أخوة يوسف وما صنعوا بأخيهم حسدا له على مكانته من أبيه، ومن المحال أن يصدر منهم هذا مع خلو قلوبهم من الحسد، إذ إن أعمال الجوارح إنما هي تنفيذ وتحقيق لإرادة القلب الجازمة، فوجودها في الحالة السوية - أي حالة عدم الإكراه ونحوه - يقطع بوجود أصلها القلبي.

وهذا بخلاف اتهام المنافقين للصحابة رضي الله عنهم، الذي أخبر الله عنه بقوله فسيقولون بل تحسدوننا [الفتح: ١٥] ، لأن المنافقين ادعوا أن مانع المؤمنين من استصحابهم إياهم إلى المغانم هو الحسد، وهي تهمة لم يأتوا عليها بدليل إلا المنع نفسه، والله تعالى أمر المؤمنين إن يقولوا لهم: لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل [الفتح: ١٥].

---

(١) رواه البخاري (٤٧٤) ومسلم (٢١٧٦).

(٢) رواه البخاري (١٧٨) ومسلم (٣٠٣).

(٣) رواه النسائي (٦/ ١٢) وهو صحيح.." [١]

"فإذا تبين أن قول: لا إله إلا الله إنشاء للالتزام بقول القلب وعمله وتحقيقهما، فلنوضح هذه القضية المهمة قائلين:

إن القلب: هو متعلق التوحيد الخبري الاعتقادى ...

وعمل القلب: وهو متعلق التوحيد الطلبي الإرادي.

فإن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر يتضمن توحيد الأسماء والصفات، وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما أخبر عن ربه من الكتب وما فيها، والملائكة وأعمالهم وصفاتهم، والنبيين ودعوتهم وأخبارهم، وأحوال البرزخ والآخرة، والمقادير وسائر المغيبات.

فالإقرار بهذا والتصديق به مجملا أو مفصلا هو قول القلب، وهو التوحيد الخبرى الاعتقادى. وعمل القلب - الذى سيأتى

---

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٩٣/٣

تفصيل طرف منه في البحث التالى – يتضمن توحيد الله عز وجل بعبادته وحده حبا وخوفا ورجاء ورغبة ورهبة وإنابة وتوكلا وخشوعا واستعانة ودعاء وإجلالا وتعظيما وانقيادا، وتسليما لأمره الكونى وأمره الشرعى، ورضا بحكمه القدرى والشرعى، وسائر أنواع العبادة التى صرفها لغير الله شرك. (١).

وهذان هما نوعا التوحيد الذى جاءت به الرسل وأنزل الله به الكتب، وشهادة أن لا إله إلا الله – التى هى رأس الأعمال وأول واجب على العبد – إنما هى إنشاء للالتزام بهذين النوعين ومن ثم سميت كلمة التوحيد، ومن هنا كان أجهل الناس بالتوحيد من ظن أن المطلوب بقول: لا إله إلا الله هو التلفظ بها باللسان فقط.

وقد سبق في فصل " حقيقة النفس الإنسانية " ما يدل على أن كل عمل من أعمال الإنسان الظاهرة – على اللسان أو الجوارح – لا بد أن يكون تعبيرا عما في القلب وتحقيقا له ومظهرا لإرادته وإلا كان صاحبه منافقا النفاق الشرعى أو العرفى وأخص من ذلك العبادات، فكل عبادة قولية وفعلية لا بد أن يقترن بها من عمل القلب وما يفرق بينها وبين أفعال الجمادات أو الحركات اللاإرادية أو أفعال المنافقين.

فما بالك برأس العبادات وأعظمها، بل أعظم شئ في الوجود، الذى يرجح بالسموات والأرض وعامرهن غير الله تعالى: وهى شهادة أن لا إله إلا الله؟!

ولهذا يتفاوت قائلوا هذه الكلمة تفاوتا عظيما بحسب تفاوت ما في قلوبهم من التوحيد.

فلولا تفاوت أقوال القلوب وأعمالها – ولو أن المراد من كلمة الشهادة هو نطقها– لما كان لموحد فضل على موحد ولما كان لصاحب البطاقة– الآتى حديثه – فضل على سواه من قائليها، ولما كان لقائلها باللسان فضل عن قائلها بالقلب واللسان، ولما كان لمن قالها من خيار الصحابة السابقين فضل عن من قالها يتعوذ بها من السيف في المعركة. وانظر إلى هذا الحوار بين العزيز الحكيم وبين عبده موسى الكليم، حيث (قال موسى: يا رب علمنى شيئا أذكرك وأدعوك به، قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله، قال كل عبادك يقولون هذا!!! – زاد في رواية: إنما أريد أن تخصنى به – قال: يا موسى، لو أن السموات السبع – وعامرهن غيرى – والأرضون السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفه مالت بهن لا إله إلا الله " (٢).

فكل المسلمين يقولون (لا إله إلا الله)، ولكن ما قائل كقائل، لأن ما في القلوب يتفاوت مثل تفاوت السماوات والأرض، والذرة التى لا تكاد ترى.

---

(١) كما يتضمن عمل القلب أعمالا دون ذلك مما افترضها الله وجعلها من واجبات الإيمان، كمحبة المؤمنين والنصح لهم، والتواضع، والشفقة، واجتناب الكبر والحسد، ونحو ذلك.

(٢) فى سنده رجل ضعيف عند أبن حبان (٢٣٢٤)، لكن روى الإمام أحمد بسند صحيح ما يشهد له من حديث نوح عليه السلام وابنه، ((المسند)) (٢/ ١٦٩).." [1]

---

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٩٧/٣

"يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: " اعلم أن أشعة (لا إله إلا الله) تبدد من ضباب الذنوب وغيومها بقدرة قوة الشعاع وضعفه، فلها نور، وتفاوت أهلها في ذلك النور قوة وضعفا لا يحصيه إلا الله تعالى، فمن الناس: نور هذه الكلمة في قلبه كالشمس، ومنهم: من نورها في قلبه كالكوكب الدرى، ومنهم: من نورها في قلبه كالمشعل العظيم، وأخر: كالسراج المضىء، وأخر كالسراج الضعيف.

ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بأيماهم وبين أيديهم على هذا المقدار، بحسب ما في قلوبهم من نور هذه الكلمة، علما وعملا، ومعرفة وحالا.

وكلما عظم نور هذه الكلمة واشتد أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته وشدته، حتى إنه ربما وصل إلى حال لا يصادف معها شبهة ولا شهوة ولا ذنبا إلا أحرقه، وهذا حال الصادق في توحيده الذى لم يشرك بالله شيئا فأي ذنب أو شهوة أو شبهة دنت من هذا النور أحرقها، فسماء إيمانه قد حرست بالنجوم من كل سارق لحسناته فلا ينال منها السارق إلا على غرة وغفلة لا بد منها للبشر، فإذا استيقظ وعلم ما سرق منه استنفذه من سارقه ، أو حصل أضعافه بكسبه، فهو هكذا أبدا من لصوص الجن والإنس، ليس كمن فتح لهم خزانته وولى الباب ظهره "." وليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنه لا خالق إلا الله، وأن الله رب كل شيء ومليكه – كما كان عباد الأصنام مقرين بذلك وهم مشركون، بل التوحيد يتضمن من محبة الله، والخضوع له، والذل له وكمال الانقياد لطاعته، واخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال، والمنع، والعطاء، والحب، والبغض – ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصى والإصرار عليها، ومن عرف هذا عرف قول النبى صلى الله عليه وسلم: ((إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله)) (١). وما جاء من هذا الضرب من الأحاديث التى أشكلت على كثير من الناس، حتى ظنها بعضهم على نار المشركين والكفار، وأول بعضهم الدخول بالخلود وقال: المعنى لا يدخلها خالدا، ونحو ذلك من التأويلات المستكرهة ".

" والشارع – صلوات الله وسلامه عليه – لم يجعل ذلك حاصلا بمجرد قول اللسان فقط، فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم ، وهم تحت الجاحدين لها في الدرك الأسفل من النار، فلا بد **من قول القلب وقول** اللسان. وقول القلب: يتضمن معرفتها، والتصديق بها، ومعرفة حقيقة ما تضمنه من النفى والإثبات، ومعرفة حقيقة الإلهية المنفية عن غير الله، المختصة به، التى يستحيل ثبوتها لغيره، وقيام هذا المعنى بالقلب، علما ومعرفة ويقينا وحالا – ما يوجب تحريم قائلها على النار، وكل قول رتب الشارع ما رتب عليه من الثواب، فإنما هو القول التام – كقوله صلى الله عليه وسلم: ((من قال في يوم: سبحان الله وبحمده مائه مرة حطت عنه خطاياه – أو غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر)) (٢) وليس هذا مرتبا على مجرد اللسان. نعم من قالها بلسانه، غافلا عن معناها، معرضا عن تدبرها، ولم يواطئ قلبه لسانه، ولا عرف قدرها وحقيقتها، راجيا من ذلك ثوابها حطت من خطاياه بحسب ما في قلبه، فتكون صورة العملين واحدة، وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض، والرجلان يكون مقامهما في الصف واحدا وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض.

وتأمل حديث البطاقة التى توضع في كفة، ويقابلها تسعة وتسعون سجلا، كل سجل منها مد البصر، فتثقل البطاقة وتطيش السجلات، فلا يعذب.

ومعلوم أن كل موحد له مثل هذه البطاقة، وكثير منهم يدخل النار بذنوبه، ولكن السر الذى ثقل بطاقة ذلك الرجل، وطاشت لأجله السجلات، لما لم يحصل لغيره من أرباب البطاقات انفردت بطاقته بالثقل والرزانة.

---

(١) رواه البخاري (٤٢٥) مسلم (٣٣).

(٢) رواه البخاري (٦٤٠٥) مسلم (٢٦٩١).." [(١)]

"المبحث السابع: نماذج من أعمال القلوب

ونبدأ ذلك ببيان موجز لما تعرض له عمل القلب من إعراض أو إسقاط أو خفاء لدى الأمة الإسلامية في عصور الانحراف، فنقول:

١ - المتكلمون:

وهؤلاء أهملوا أعمال القلوب بالكلية جاعلين الإيمان قضية عقلية بحتة، ولم يثبتوا من أعمال القلب سوى التصديق الخبرى الذى هو في الحقيقة أشبه بالعمل الذهنى الخالص - وإن نسبوه للقلب.

وأصل هذا المذهب هو ذلك المبتدع الضال " الجهم بن صفوان " (١) والمؤسف جدا أن أكثرية متكلمى الأمة - وهم الأشاعرية والماترية - اعتنقوا هذا المذهب مع إطباق أئمة السلف العاصرين لنشأته على تكفير جهم وأصحابة، واعتبار الجهمية فرقة خارجة عن فرق أهل القبلة الثلاث والسبعين (٢).

ومن أغرب التناقضات عند هؤلاء أن يكون مت نقله أبو الحسن الأشعرى نفسه في المقالات عن جهم والصالحى وبشر المريسى اليهودى هو ذات عقيدتهم التى صرح بها الباقلانى والجوينى وسائر أئمتهم إلى الإيجى ومن جاء بعده.

وليس هذا موضع المقارنة بين الجهمية والأشاعرية، وحسبنا إن ننقل مذهب جهم كما سطره الأشعرى نفسه، ثم نقارنه بكلام أكبر أئمة الأشاعرة المتقدمين وناشر مذهبهم (٣) - القاضى الباقلانى.

يقول الأشعري في أول حديثه عن فرق المرجئة واختلافهم: " فالفرقة الأولى منهم يزعمون أن الإيمان هو المعرفة بالله وبرسله وبجميع ما جاء من عند الله فقط، وان ما سوى المعرفة من الإقرار باللسان والخضوع بالقلب والمحبة لله ولرسوله والتعظيم لهما والخوف منهما "كذا" والعمل بالجوارح فليس بإيمان قال: وهذا قول يحكى عن الجهم بن صفوان " (٤).

ويقول الباقلاني - في بيان ما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به - " وأن يعلم أن الإيمان بالله عز وجل هو التصديق بالقلب والدليل هو الإقرار بالقلب والتصديق قوله عز وجل: وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين [يوسف:١٧]

وقد أتفق أهل اللغة قبل نزول القران وبعث الرسول عليه السلام على أن الإيمان في اللغة هو التصديق دون سائر أفعال الجوارح والقلوب " (٥).

فهذا اتفاق بينهما على أن أعمال القلب والجوارح غير داخله في الإيمان.

صحيح أن الجهمية تقول أن الإيمان المعرفة، والأشاعرية يقولون: الإيمان التصديق، ولكن ما تمحله الأشاعرة وتكلفوه من

---

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٩٨/٣

التفريق بين المعرفة وبين التصديق المجرد أمر لا يقبله العقلاء، ولهذا رد عليه شيخ الإسلام ابن تيميه قائلا: " إن الفرق بين معرفة القلب وبين مجرد تصديق القلب الخالى عن الانقياد – الذى **يجعل قول القلب –** أمر دقيق، وأكثر العقلاء ينكرونه، وبتقدير صحته لا يجب على كل أحد معرفة القلب وتصديقه، ويقولون، إن ما قاله ابن كلاب والأشعرى من الفرق كلام باطل لا حقيقة له، وكثير من أصحابه اعترف بعدم الفرق."

---

(١) وقد أشار الإمام ابن جرير إلى فرقة أخرى تنكر عمل القلب، وبمراجعة فرق المرجئة فى ((المقالات)) وجدت أنها الغسانية، انظر: (ص ٢٨٤). وانظر ((تهذيب الآثار)) (٢/ ١٩٩) و ((المقالات)) (١/ ١٣٧)

(٢) [٤٣٦٨] انظر ((كتاب الايمان)) لأبي عبيد.

(٣) [٤٣٦٩] انظر ((تبيين كذب المفتري)).

(٤) [٤٣٧٠] ((مقالات الإسلاميين)) (١/ ١٣٠)

(٥) [٤٣٧١] ((الأنصاف))، (ص ٢٢)، وعن الرد على الأشاعرة فى هذا، انظر: ((الإيمان)) لابن تيميه مواضع كثيرة منها: (ص ١٤١ – ١٤٣)، و (ص ١٧٨ – ١٨٠).." [(١)]

"ثم يقول الشيخ " ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح فيما يرويه عن ربه ((ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشى بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشى، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له منه)).

قال: والمحب التام لا يؤثر فيه لوم اللائم وعذل العاذل، بل ذلك يغريه بملازمة المحبة – كما قد قال الشعراء في ذلك (١)، وهؤلاء هم أهل الملام المحمود، وهم الذين لا يخافون من يلومهم على ما يحب الله ويرضاه من جهاد أعدائه، فإن الملام على ذلك كثير، وأما الملام على فعل يكرهه الله أو ترك ما أحبه فهو لوم بحق، وليس من المحمود الصبر على هذا الملام، بل الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل.

وبهذا يحصل الفرق بين " الملامية " الذين يفعلون ما يحبه الله ورسوله ولا يخافون لومة لائم في ذلك، وبين " الملامية " الذين يفعلون ما يبغضه الله ورسوله، ويصبرون على الملام في ذلك " (٢).

أقول: يطول الحديث في التفصيل في هذا العمل القلبي العظيم، وبيان درجاته، وأدلة كل درجة، وأثر ذلك في أعمال الإيمان من صلاة وزكاة ونحوها ولكن ضيق المجال والرغبة في الاختصار بتجاوز ما قد سطر ولعل في الحديث عن الأعمال القلبية الأخرى ما يكمل الفائدة مجتمعة، والله المستعان.

٣ – اليقين:

لليقين معنيان وإن شئت فقل: هو معنى واحد منظور له من جهتين:

---

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٠٧/٣

١ - اليقين من حيث هو أصل للإيمان، إذ لا إيمان مع الشك.

٢ - اليقين من حيث هو درجة عليا من درجات الإيمان.

فبالنظر للمعنى الأول يكون كل مؤمن موقنا وإلا لم يستحق أسم الإيمان، وبالنظر للمعنى الآخر - ليس كل مؤمن موقنا، بل الموقنون طائفة خاصة من المؤمنين.

فإما اليقين بالمعنى الأول فهو شرط من شروط شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، أي إن الإيمان المجمل **- قول القلب واعتقاده** - لا يتحقق إلا به، فمن شك في الله أو في رسوله وما جاء به عن الله، فهو كافر لا شهادة له ولا إيمان.

بذلك أخبر الله تعالى الكفار حين قالوا لرسلهم:

ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض [إبراهيم:٩ - ١٠].

وأخبر أنهم إذا طلب منهم الإيمان بالبعث قالوا: ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين [الجاثية:٣٢]

لكن إذا كان يوم القيامة يقولون:

ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون [السجدة:١٢]

ولهذا جاء وصف القرآن أكثر من مرة بأنه لا ريب فيه هدى.

---

(١) [٤٤١٠] كقول القائل: أجد الملامة فى هواك لذيذة حبا لذكرك فليلمني اللوم

(٢) [٤٤١١] وهم فرقة من الصوفية، ألف عنهم أبو عبد الرحمن السلمى كتاب: ((الملامية)).." [(١)]

"وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في مآ آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وأن احكم بينهم بمآ أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون [المائدة: ٤٨ - ٥٠].

وقال جل ذكره:

ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون [الجاثية: ١٨ - ٢٠].

فكما سبق بيانه من أن تحكيم شرع الله هو الإسلام، فإذا بلغ من العبد إلى حد انتفاء الحرج والمعارضة بالرضا الكامل فهو الإحسان، فكذلك اعتقاد بطلان ما عداه، وأنه وحده الحق الذي لا أحسن منه ولا أهدى هو درجة الإسلام، فإذا رسخ

---

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٢٢/٣

هذا حتى لا تزعزعه شبهه ولا يعتريه شك فهو اليقين وقد ضرب الصحابة – رضى الله عنهم – من اليقين في أمر الله أعظم الأمثال، مما لا يتسع المقال للتطويل به، وحسبك أن ينزل الله تحريم الخمر والقوم مدمنون على شربها، مدخرون لها، مغالون في أثمانها، فما يكاد الأمر ينزل حتى تسيل بها أزقة المدينة أنهارا!!

وأن ينزل الله الأمر بالحجاب والقوم مختلطون متعارفون، فما يكاد ذلك يبلغهم حتى تغدو نساؤهم كأنهن الغربان.

فهاتان عادتان إحداهما نفسية، والأخرى اجتماعية، وهما من أشد العادات وطئا وأشقها تغييرا، تذهبان دفعة واحدة، وتستأصلان من أعماق النفوس في لحظة واحدة، وما ذلك إلا باليقين الذي ليس وراءه في الأمم يقين.

٤ – الصدق والإخلاص:

هذان عملان قلبيان من أعظم أعمال القلوب وأهم أصول الإيمان.

فأما الصدق فهو الفرقان بين الإيمان والنفاق، وأما الإخلاص فهو الفرقان بين التوحيد والشرك – **في قول القلب واعتقاده**، أو في إرادته ونيته.

والأعمال – التي رأسها وأعظمها " شهادة أن لا إله إلا الله " – لا تقبل إلا بتحقيق الصدق والإخلاص.

ومن هنا كان شرطين من شروطها، وأكذب الله المنافقين في دعوى الإيمان وقول الشهادة لانتفاء الصدق فقال: إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون [المنافقون:١].

وقال: ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين [العنكبوت: ٣]

ثم قال بعد آيات وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين [العنكبوت:١١]

وقال: ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورا رحيما [الأحزاب: ٢٤].." (١)

"٣ – أعمال القلب عندهم ليست من الإيمانما أورده شيخ الإسلام على مرجئة الفقهاء أنهم إذا لم يدخلوا أعمال القلوب في الإيمان لزمهم قول جهم، وإن أدخلوها في الإيمان لزمهم دخول أعمال الجوارح، فإنها لازمة لها (١).

والذي عليه هؤلاء المرجئة هو إخراج أعمال القلوب من الإيمان، فقد قال شيخ الإسلام: "والمرجئة ثلاثة أصناف: الذين يقولون: الإيمان مجرد ما في القلب.

ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب، وهم أكثر فرق المرجئة، كما قد ذكر أبو الحسن الأشعري أقوالهم في كتابه، وذكر فرقا كثيرة يطول ذكرهم، لكن ذكرنا جمل أقوالهم.

ومنهم من لا يدخلها، كجهم ومن اتبعه، كالصالحي، وهذا هو الذي نصره هو – يعني الأشعري – وأكثر أصحابه.

والقول الثاني: من يقول هو مجرد قول اللسان، وهذا لا يعرف لأحد قبل الكرامية. والثالث: تصديق القلب، وقول اللسان، وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم" (٢).

وهذا التصنيف لهذه الفرق يفيد أن الفقهاء يحصرون الإيمان في التصديق والقول.

---

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣/١٢٥

ويفيد كذلك أن الذين يدخلون أعمال القلوب في الإيمان هم الفريق الأول من الصنف الأول، وهم أكثر فرق المرجئة الذين يرون الإيمان مجرد ما في القلب، وأن من عداهم – ومنهم الفقهاء – لا يدخل هذه الأعمال في الإيمان. ويزيد الأمر وضوحا قول شيخ الإسلام على قوله تعالى: ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر [محمد: ٢٦]، قال: "ولهذا فسر السلف هؤلاء الذين كرهوا ما نزل الله الذين كانوا سبب نزول هذه الآية بالمنافقين، واليهود (٣).

قالت الوعيدية: الله تعالى إنما وصفهم بمجرد كراهة ما نزل الله، والكراهة عمل القلب.

وعند الجهمية: الإيمان مجرد تصديق القلب وعلمه، هذا قول جهم، والصالحي، والأشعري في المشهور عنه، وأكثر أصحابه.

وعند فقهاء المرجئة هو: قول اللسان، مع تصديق القلب.

وعلى القولين: أعمال القلوب ليست من الإيمان عندهم، كأعمال الجوارح. فيمكن أن يكون الرجل مصدقا بلسانه، وقلبه، مع كراهة ما نزل الله، وحينئذ فلا يكون هذا كافرا عندهم، والآية تتناوله، وإذا دلت على كفره دلت على فساد قولهم" (٤).

فقول شيخ الإسلام "على القولين" المراد بهما كما هو ظاهر: قول الجهمية ومن وافقهم، وقول فقهاء المرجئة.

وعليه، فالفقهاء وافقوا هؤلاء المرجئة في إخراج عمل القلب، وزادوا عليهم بإدخال قول اللسان.

وكذلك قوله: "دلت على فساد قولهم" يعني في إخراجهم عمل القلب من الإيمان.

وقال شيخ الإسلام أيضا: "ومن هنا غلطت الجهمية، والمرجئة، فإنهم جعلوا الإيمان من باب القول.

إما قول القلب الذي هو علمه، أو معنى غير العلم عند من يقول بذلك، وهذا قول الجهمية، ومن تبعهم، كأكثر الأشعرية، وبعض متأخري الحنفية.

وإما قول القلب واللسان، كالقول المشهور عن المرجئة. ولم يجعلوا عمل القلب، مثل حب الله ورسوله، ومثل خوف الله من الإيمان، فغلطوا في هذا الأصل" (٥).

وقول شيخ الإسلام هذا أفاد:

اتفاق المرجئة – المتكلمين منهم والفقهاء – على حصر الإيمان في باب القول.

---

(١) انظر: ((الإيمان)) (ص١٨٣) ((الفتاوى)) (٧/ ١٩٤).

(٢) ((الإيمان)) (ص١٨٤) ((الفتاوى)) (٧/ ١٩٥).

(٣) انظر: ((جامع البيان)) (٢٦/ ٧٠)؛ و ((زاد المسير)) (٧/ ٤٠٩).

(٤) ((منهاج السنة)) (٥/ ٢٨٧ – ٢٨٨)، وانظر: ((الفتاوى)) (٧/ ٦٣٦ – ٦٣٧).

(٥) شرح حديث: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن"، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق دغش العجمي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، دار ابن حزم بيروت، ص٣٠، و ((جامع المسائل)) (٥/ ٢٤٦).." [1]

---

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٤٩/٣

"ثم اختلافهم بعد هذا الاتفاق في أي القول يدخل في الإيمان، وفقهاء المرجئة **جعلوا قول القلب وقول** اللسان كله من الإيمان.

وأفاد أيضا اتفاق مرجئة الفقهاء والجهمية ومن تبعهم على إخراج العمل من الإيمان، فأخرجوا عمل القلب وعمل اللسان من الإيمان.

ومع ما تقدم من نقول تفيد إخراج فقهاء المرجئة عمل القلب من الإيمان، فقد جاء التصريح بذلك في كلام شارح العقيدة الطحاوية. ومعلوم أن صاحب الشرح، وصاحب المتن كلاهما على مذهب أبي حنيفة، والعقيدة الطحاوية مصنفة أساس لتقرير معتقد أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد، كما جاء في مقدمتها، حيث يقول الطحاوي: "هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، على مذهب فقهاء الملة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وأبي عبدالله محمد بن الحسن الشيباني رضوان الله عليهم أجمعين، وما يعتقدون من أصول الدين، ويدينون به رب العالمين" (١)، ثم ذكر معتقدهم، ومنه قوله:

"ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان".قال ابن أبي العز معلقا على ذلك: "وتسمية حب الصحابة إيمانا مشكل على الشيخ رحمه الله - يعني الطحاوي -؛ لأن الحب عمل القلب، وليس هو التصديق، فيكون العمل داخلا في مسمى الإيمان، وقد تقدم في كلامه أن: الإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان (٢)، ولم يجعل العمل داخلا في مسمى الإيمان، وهذا هو المعروف من مذهب أبي حنيفة، إلا أن تكون هذه التسمية مجازا" (٣).وقد بين من قبل رحمه الله أن مرجئة الفقهاء لا ينازعون في القول - الذي هو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان -، وإنما ينازعون في شمول اسم الإيمان للعمل (٤)، ثم ذكر أن العمل قسمان: عمل القلب، وعمل الجوارح (٥).

٤ - إخراج العمل الظاهر - عمل الجوارح - من الإيمان: يمكن عندهم حصول الإيمان التام في القلب بدون العمل الظاهر، فقد ذكر شيخ الإسلام أن من الأغلاط التي يقول بها المرجئة جميعا "ظنهم أن الإيمان الذي في القلب يكون تاما بدون العمل الظاهر" (٦).ويقول: "والمرجئة المتكلمون منهم، والفقهاء يقولون: إن الأعمال قد تسمى إيمانا مجازا؛ لأن العمل ثمرة الإيمان ومقتضاه؛ ولأنها دليل عليه" (٧).وهذا لا يعني أنهم لا يقيمون للأعمال وزنا، بل عندهم أن الأعمال المفروضة واجبة، ويرون أن الإيمان بدون العمل المفروض، ومع فعل المحرمات، يكون صاحبه مستحقا للذم والعقاب (٨).

لكنهم مع ذلك يعدون فعل الواجبات وترك المحرمات ليس من الإيمان.

يقول شيخ الإسلام: "وقابلتهم - يعني الخوارج والمعتزلة - المرجئة، والجهمية، ومن اتبعهم من الأشعرية، والكرامية، فقالوا: ليس من الإيمان فعل الأعمال الواجبة، ولا ترك المحظورات البدنية.

---

(١) ((العقيدة الطحاوية))، للطحاوي، تعليق سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله، نشر رئاسة إدارة البحوث العلمية

والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، طبعة سنة ١٤٠٩هـ، (ص٣).

(٢) يقول الطحاوي: "والإيمان هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان". ((العقيدة الطحاوية))، (ص١٩)، وشرحها (٢/ ٤٥٩).

(٣) ((شرح العقدية الطحاوية)) (٢/ ٦٩٨).

(٤) انظر: ((شرح الطحاوية)) (٢/ ٤٦٣).

(٥) انظر: ((شرح الطحاوية)) (٢/ ٤٧٨)، وراجع ما تقدم (ص١٧٤، ١٧٩).

(٦) ((الإيمان)) (ص٣٤٧) ((الفتاوى)) (٧/ ٣٦٤).

(٧) ((الإيمان)) (ص١٨٤) ((الفتاوى)) (٧/ ١٩٥).

(٨) انظر: ((الإيمان)) (ص٢٨١ - ٢٨٢) ((الفتاوى)) = (٧/ ٢٩٧)؛ و ((الفتاوى)) (١٣/ ٣٩).." [(١)]

"ولكن ثمة وقفة مهمة حول موقف مرجئة الفقهاء من الشاتم والساب، فإنهم وإن كفروا الشاتم ظاهرا وباطنا، فإن مأخذهم في ذلك فاسد، إذ هم يرجعون ذلك إلى أن وقوعه في السب والشتم دليل على أنه لم يعتقد أنه حرام، فردوا الكفر إلى الاستحلال. وهذا مخالف لما عليه سلف الأمة من "أن سب الله، أو رسوله، كفر ظاهرا وباطنا، وسواء كان الساب يعتقد أن ذلك محرم، أو كان مستحلا له، أو كان ذاهلا عن اعتقاده، هذا مذهب الفقهاء، وسائر أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول وعمل" (١).

يقول شيخ الإسلام في فسر مأخذ فرق المرجئة في تكفير الساب:

"ومنشأ هذه الشبهة التي أوجبت هذا الوهم من المتكلمين، أو من حذا حذوهم من الفقهاء:

أنهم رأوا الإيمان هو تصديق الرسول فيما أخبر به، ورأوا أن اعتقاد صدقه لا ينافي السب والشتم بالذات، كما أن اعتقاد إيجاب طاعته لا ينافي معصيته، فإن الإنسان قد يهين من يعتقد وجوب إكرامه، كما يترك ما يعتقد وجوب فعله، ويفعل ما يعتقد وجوب تركه.

ثم رأوا أن الأمة قد كفرت الساب، فقالوا: إنما كفر؛ لأن سبه دليل على أنه لم يعتقد أنه حرام، واعتقاد حله: تكذيب للرسول، فكفر بهذا التكذيب لا بتلك الإهانة، وإنما الإهانة دليل على التكذيب.

فإن فرض أنه في نفس الأمر ليس بمكذب، كان في نفس الأمر مؤمنا، وإن كان حكم الظاهر إنما يجري عليه بما أظهره.

فهذا مأخذ المرجئة ومعتضديهم، وهم الذين يقولون: الإيمان هو الاعتقاد، والقول.

وغلاتهم، وهم الكرامية، الذين يقولون: هو مجرد القول، وإن عري عن الاعتقاد. وأما الجهمية الذين يقولون: هو مجرد المعرفة والتصديق فقط، وإن لم يتكلم بلسانه، فلهم مأخذ آخر، وهو: أنه قد يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فإذا كان في قلبه التعظيم والتوقير للرسول، لم يقدح إظهار خلاف ذلك بلسانه في الباطن، كما لا ينفع المنافق إظهار خلاف ما في قلبه في الباطن" (٢)، ثم أفاض رحمه الله في الرد على هذه المقالة.

---

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣/ ١٥٠

وبعد، فتلك هي معالم مسمى الإيمان عند فقهاء المرجئة، والتي ملخصها أنهم يحصرون الإيمان في القول دون **العمل، قول القلب وقول** اللسان، دون عمل القلب وعمل الجوارح، وأنهم يحكمون بكفر من لم يتكلم بلسانه مع قدرته عليه، وكفر إبليس وفرعون وغيرهما مع تصديق قلوبهم، وكفر الساب والشاتم. بل أن المرجئة الفقهاء جاء عنهم ذم الإرجاء، والتحذير منه، إذ ذكر شيخ الإسلام أن أبا حنيفة وأصحابه يذمون المرجئة (٣).ونقل رحمه الله قول أبي يوسف: "دعوا قول أهل الخصومات، وأهل البدع في الأهواء، من المرجئة، والرافضة، والزيدية، والمشبهة، والشيعة، والخوارج، والقدرية، والمعتزلة، والجهمية" (٤).

فمن المرجئة التي يحذر منها هؤلاء؟ أجاب شيخ الإسلام عن ذلك، حيث بين أن المرجئة عندهم هم الذين لا يوجبون الفرائض، ولا اجتناب المحارم (٥).

¤آراء المرجئة في مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية لعبدالله محمد السند - ص ١٨٣

---

(١) انظر: ((الصارم المسلول)) (٣/ ٩٥٥)، وانظر منه (٣/ ٩٦٤).

(٢) ((الصارم المسلول)) (٣/ ٩٦٥ - ٩٦٦).

(٣) ((الفتاوى)) (١٣/ ٤١).

(٤) ((الفتاوى)) (١٦/ ٤٧٦).

(٥) ((الفتاوى)) (١٣/ ١٤)؛ وأما القول بأن ترك العمل لا يضر، فكما قال شيخ الإسلام إن هذا كفر صريح، لا يعرف له قائلا، ولعله قول الغالية. انظر: ((الإيمان)) (ص١٧٢) ((الفتاوى)) (٧/ ١٨١).." [١]

"يقول شيخ الإسلام: "وعند الجهمية: الإيمان: مجرد تصديق القلب وعلمه. هذا قول جهم، والصالحي، والأشعري - في المشهور عنه -، وأكثر أصحابه" (١).ويقول: "وعند الجهمية إذا كان العلم في قلبه، فهو مؤمن كامل الإيمان، إيمانه كإيمان النبيين" (٢).ويقول رحمه الله: "ومن هنا غلطت الجهمية والمرجئة، فإنهم جعلوا الإيمان من باب القول، **إما قول القلب الذي** هو علمه، أو معنى غير العلم عند من يقول بذلك (٣)، وهذا قول الجهمية، ومن تبعهم، كأكثر الأشعرية، وبعض متأخري الحنفية" (٤).وذكر رحمه الله عن الجهم أنه جعل الإيمان مجرد تصديق في القلب، يتساوى فيه العباد، وأنه إما أن يعدم وإما أن يوجد، لا يتبعض (٥).

٢ - أعمال القلوب ليست من الإيمان عند الجهمية:

يقول شيخ الإسلام: "والمرجئة ثلاثة أصناف:

الذين يقولون: الإيمان مجرد ما في القلب، ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب، وهم أكثر فرق المرجئة"، ثم قال:"ومنهم من لا يدخلها في الإيمان، كجهم، والصالحي، وهذا الذي نصره هو - يعني الأشعري -، وأكثر أصحابه" (٦).

ولما ساق شيخ الإسلام ما حكاه الأشعري عن فرق المرجئة في الإيمان، علق على ذلك بتعليقات، منها: قوله: "فهذه

---

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٥٢/٣

الأقوال التي ذكرها الأشعري عن المرجئة يتضمن أكثرها أنه لابد في الإيمان من بعض أعمال القلوب عندهم، وإنما نازع في ذلك فرقة يسيرة، كجهم، والصالحي" (٧).فالجهمية تظن "أن ما في القلب من الإيمان ليس إلا التصديق فقط، دون أعمال القلوب" (٨).

٣ - إخراج قول اللسان من الإيمان: فعند الجهمية أن "الإيمان مجرد معرفة القلب، وإن لم يقر بلسانه" (٩).يقول شيخ الإسلام: "وأما جهم فكان يقول: إن الإيمان مجرد تصديق القلب، وإن لم يتكلم به" (١٠).ويقول رحمه الله: "ولهذا كان القول الظاهر من الإيمان الذي لا نجاة للعبد إلا به عند عامة السلف والخلف، من الأولي والآخرين، إلا الجهمية: جهما، ومن وافقه" (١١).فالجهمية "جعلوا من لا يتكلم بالإيمان قط مع قدرته على ذلك، ولا أطاع الله طاعة ظاهرة، مع وجوب ذلك عليه وقدرته، يكون مؤمنا بالله، تام الإيمان، سعيدا في الدار الآخرة" (١٢).

---

(١) ((منهاج السنة)) (٥/ ٢٨٨)؛ ونحوه في: ((الإيمان)) (ص١٧٨، ٣٧٠) ((الفتاوى)) (٧/ ١٨٨ - ٣٨٦)؛ و ((الجواب الصحيح)) (٦/ ٣٦)؛ و ((شرح كلمات من فتوح الغيب))، ضمن: ((الفتاوى)) (٢/ ٩٤)؛ وضمن: ((جامع الرسائل)) (٢/ ١٨٤ - ١٨٥)، وانظر: ((الفتاوى)) (٢٠/ ٨٦).

(٢) ((الإيمان)) (ص١٣٧) ((الفتاوى)) (٧/ ١٤٣)؛ وانظر: ((الإيمان الأوسط))، ضمن: ((الفتاوى)) (٧/ ٥٨٣، ص٩٤٩ ة) ط. ابن الجوزي؛ و ((منهاج السنة)) (٥/ ٢٨٤)؛ و ((الفتاوى)) (٢٠/ ٨٦).

(٣) كبعض الأشاعرة: انظر: ((التسعينية)) (٢/ ٦٥٠ - ٦٥١).

(٤) شرح حديث: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)، (ص٣٠).

(٥) انظر: ((الإيمان الأوسط))، ضمن: ((الفتاوى)) (٧/ ٥٨٢)، (ص٤٩٣) ط. ابن الجوزي.

(٦) ((الإيمان)) (ص١٨٤) ((الفتاوى)) (٧/ ١٩٥)؛ ونحوه في: ((الإيمان الأوسط))، ضمن: ((الفتاوى)) (٧/ ٥٤٣، ٥٥٠)، (ص٤٣٠، ٤٤) ط. ابن الجوزي.

(٧) ((الإيمان الأوسط))، ضمن: ((الفتاوى)) (٧/ ٥٤٨، ص٤٣٩) ط. ابن الجوزي.

(٨) ((الإيمان)) (ص١٩٢) ((الفتاوى)) (٧/ ٢٠٤)؛ وانظر منه، (ص٣٦٨، ٣٧٠) ((الفتاوى)) (٧/ ٣٨٥ - ٣٨٧).

(٩) ((الإيمان الأوسط))، ضمن: ((الفتاوى)) (٧/ ٥٠٨)، (ص٣٧٦ - ٣٧٧) ط. ابن الجوزي؛ وانظر: ((الصارم المسلول)) (٣/ ٩٦٦).

(١٠) ((الفتاوى)) (١٣/ ٤٧).

(١١) ((الإيمان)) (ص٢٠٧) ((الفتاوى)) (٧/ ٢١٩)؛ ونحوه في: ((شرح الأصبهانية)) (٢/ ٥٨٥)، (ص١٤٣) ت مخلوف.

(١٢) ((الإيمان الأوسط))، ضمن: ((الفتاوى)) (٧/ ٥٨٣)، (ص٤٩٤) ط. ابن الجوزي.." [1]

---

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣/١٦٠

"فإنهم قالوا: هذا كفر في الظاهر، وأما في الباطن، فلا يكون كفرا إلا إذا استلزم الجهل، بحيث لا يبقى في القلب شيء من التصديق بالرب. وهذا بناء على أن الإيمان في القلب لا يتفاضل، ولا يكون في القلب بعض من الإيمان" (١).

وخلاصة قول الجهمية في الإيمان أنهم يحصرونه في مجرد المعرفة، ويخرجون منه عمل القلب، وقول اللسان، وعمل الجوارح. وأن من لم يأت بالشهادتين، أو أتى بكل مكفر، من غير إكراه، فهو كافر في الظاهر، مع احتمال كونه مؤمنا في الباطن، إذ لا يتصور ذهاب الإيمان عندهم إلا بذهاب المعرفة من القلب. وهذا المقالة الجهمية في مسمى الإيمان تقوم على أصلين من الضلال هما (٢):

الأول: ظنهم أن الإيمان مجرد تصديق وعلم فقط، ليس معه عمل وحال وحركة وإرادة، ومحبة وخشية في القلب، وبالتالي يكون الإيمان تاما بدون شيء من الأعمال الباطنة والظاهرة. وهذا الظن مبني على تصور فاسد لحقيقة الإيمان، وسيأتي بعون الله تعالى تحقيق القول بأنه يمتنع غاية الامتناع حصول أحد أجزاء الإيمان مع تخلف بقيتها، وأنه إذا **وجد قول القلب فلابد** من حصول عمله إذا سلم من المعارض، **ووجود قول القلب وعمله** يلزم منه ضرورة وجود الظاهر قولا وعملا (٣).

الثاني: ظنهم أن كل من حكم الشارع بأنه كفر مخلد في النار؛ فإنما ذاك لأنه لم يكن في قلبه شيء من العلم والتصديق.

وهذا الظن باطل من وجهين:

الوجه الأول: أنه أمر مخالف للشرع، والعقل، والحس، وإجماع العقلاء. يقول شيخ الإسلام رحمه الله بعد أن ذكر أن من أغلاط الجهمية ظنهم أن من حكم الله بكفرهم؛ فلزوال التصديق من قلوبهم، قال: "وهذا مكابرة للعقل، والحس" (٤).

وقال: "وهذا أمر خالفوا به الحس، والعقل، والشرع، وما أجمع عليه طوائف بني آدم السليمي الفطرة، وجماهير النظار.

فإن الإنسان قد يعرف أن الحق مع غيره، ومع ذلك يجحد ذلك؛ لحسده إياه، أو لطلب علوه عليه، أو لهوى النفس، ويحمله ذلك الهوى أن يعتدي عليه، ويرد ما يقول بكل طريق، وهو في قلبه يعلم أن الحق معه.

وعامة من كذب الرسل يعلم أن الحق معهم، وأنهم صادقون؛ لكن إما لحسدهم، وإما لإرادتهم العلو والرياسة، وإما لحبهم دينهم الذي كانوا عليه، وما يحصل لهم به من الأغراض، كأموال ورياسة وصداقة وغير ذلك، فيرون في أتباع الرسل ترك الأهواء المحبوبة إليهم، أو حصول أمور مكروهة إليهم، فيكذبونهم ويعادونهم، فيكونون من أكفر الناس، كإبليس وفرعون، مع علمهم بأنهم على الباطل، والرسل على الحق.

---

(١) ((منهاج السنة)) (٥/ ٢٥١ - ٢٥٢).

(٢) انظر: ((الإيمان)) (ص١٧٩ - ١٨٠) ((الفتاوى)) (٧/ ١٩٠ - ١٩١)، ونحوه في (ص١٩٢)، ٣٤٧) ((الفتاوى)) (٧/ ٢٠٤)، (٣٦٣ - ٣٦٤)؛ وفي ((الإيمان الأوسط))، ضمن ((الفتاوى)) (٧/ ٥٥٤)، (٥٨٣ - ٥٨٤)، (ص٤٤٦، ٤٩٣ - ٤٩٤) ط. ابن الجوزي؛ و ((الرد على المنطقيين))، (ص١٤٦)؛ و ((الفتاوى)) (٩/ ١٣٧)؛ والمقصود هنا ما ترتب على المقالة الجهمية من ضلال في مسمى الإيمان، وأما في مسائل الإيمان الأخرى، فتبيانه والبحث فيه في موضعه من الكتاب بإذن الله تعالى.

(٣) انظر: نقض الحجة الخامسة من حجج المرجئة.

(٤) ((الإيمان الأوسط))، ضمن: ((الفتاوى)) (٧/ ٥٨٣)، (ص٤٩٣) ط. ابن الجوزي.." [(١)]

"وهذا الجواب سيأتي بعون الله عرضه مفصلا في نقض هذه الشبهة الإرجائية، والمقصود هنا تبيان مبلغ موافقة الأشاعرة للجهمية في مسمى الإيمان، وأنه لم يخرجهم من هذه الموافقة ما جاء عنهم من اضطراب في تفسير التصديق، أو ما أضافوه من شروط إلى التصديق.

فأما ما أضافوه من شروط، فمرده يعود إلى قول الجهمية، وأنه لا كفر إلا بزوال التصديق من القلب.

وأما ما فسروا به التصديق، وأنه المعرفة، أو هو قول النفس المتضمن للمعرفة، أو هو العلم، أو كلام النفس، ولا يثبت إلا بالعلم.

فالذي اشتهر عنهم هو دعوى التفريق بين المعرفة والتصديق، ومع ذلك فإنهم لا يسلمون من النقد الكاشف لفساد مقالتهم.

يقول شيخ الإسلام: "والأشعري وأصحابه يفرقون بين معرفة القلب وبين تصديق القلب، فإن تصديق القلب قوله، وقول القلب عندهم ليس هو العلم، بل نوعا آخر" (١)، ثم قال في نقد ذلك:

"فإن الفرق بين معرفة القلب وبين مجرد تصديق القلب الخالي عن الانقياد – الذي **يجعل قول القلب –** أمر دقيق، وأكثر العقلاء ينكرونه، وبتقدير صحته لا يجب على كل أحد أن يوجب شيئين لا يتصور الفرق بينهما.

وأكثر الناس لا يتصورون الفرق بين معرفة القلب وتصديقه، ويقولون إن ما قاله ابن كلاب والأشعري من الفرق كلام باطل لا حقيقة له، وكثير من أصحابه اعترف بعدم الفرق. وعمدتهم من الحجة إنما هو خبر الكاذب، قالوا: ففي قلبه خبر بخلاف علمه، فدل على الفرق (٢).

فقال لهم الناس: ذاك بتقدير خبر وعلم ليس هو علما حقيقيا، ولا خبرا حقيقيا، ولما أثبتوه **من قول القلب المخالف** للعلم والإرادة، إنما يعود إلى تقدير علوم وإرادات، لا إلى جنس آخر يخالفها.

ولهذا قالوا: إن الإنسان لا يمكنه أن يقوم بقلبه خبر بخلاف علمه، وإنما يمكنه أن يقول ذلك بلسانه، وأما أن يقوم بقلبه خبر بخلاف ما يعلمه، فهذا غير ممكن"، ثم أطال شيخ الإسلام في شرح ذلك، وختم ذلك بقوله:"والمقصود هنا أن الإنسان إذا رجع على نفسه عسر عليه التفريق بين علمه بأن الرسول صادق وبين تصديق قلبه تصديقا مجردا عن انقياد وغيره من أعمال القلب بأنه صادق" (٣).

وبعد هذا التحقيق، وبيان ضعف ما اعتمده الأشاعرة في كون الإيمان هو التصديق، يرد عليهم وجه آخر يزيد قولهم ضعفا، وهو أن الإيمان إن صح أنه التصديق، فهو في كونه دليلا على قول الكرامية وفقهاء المرجئة أولى من أن يكون دليلا على قولهم الذي وافقوا فيه الجهمية.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله شارحا ذلك: "ومما يعارضون به أن يقال:

هذا الذي ذكرتموه إن كان صحيحا، فهو أدل على قول المرجئة، بل على قول الكرامية منه على قولكم.

---

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣/١٦٤

وذلك أن الإيمان إن كان كما ذكرتم، فالتصديق نوع من أنواع الكلام، فاستعمال لفظ الكلام والقول ونحو ذلك في المعنى واللفظ، بل في اللفظ الدال على المعنى أكثر في اللغة من استعماله في المعنى المجرد عن اللفظ، بل لا يوجد قط إطلاق اسم الكلام ولا أنواعه، كالخبر أو التصديق والتكذيب والأمر والنهي على مجرد المعنى من غير شيء يقترن به من عبارة ولا إشارة ولا غيرهما، وإنما يستعمل مقيدا.

وإذا كان الله إنما أنزل القرآن بلغة العرب، فهي لا تعرف التصديق والتكذيب وغيرهما من الأقوال، إلا ما كان معنى ولفظا، أو لفظا يدل على معنى.

ولهذا لم يجعل الله أحدا مصدقا للرسل، بمجرد العلم والتصديق الذي في قلوبهم حتى يصدقوهم بألسنتهم.

---

(١) ((الإيمان)) (ص٣٧٩) ((الفتاوى)) (٧/ ٣٩٦).

(٢) وقد أقر بعض الأشاعرة – كالرازي – بفساد هذه الحجة. انظر: ((التسعينية)) (٢/ ٦٤١ – ٦٤٢).

(٣) ((الإيمان)) (ص٣٨١ – ٣٨٣) ((الفتاوى)) (٧/ ٣٩٨ – ٤٠٠)؛ وانظر: ((التسعينية)) (٢/ ٦٦١).." [1]

"فإن أهل السنة مجمعون على ما دلت عليه النصوص من أن الإيمان شعب وأجزاء، وأنه يتكون من أقوال وأعمال، باطنة وظاهرة، وهذا الذي أجمعوا عليه هو الذي تقتضيه الصلة بين أجزاء الإيمان الباطنة والظاهرة.

فهذان جوابان في تقرير هذا المقام:

الجواب الأول: في تحرير مذهب أهل السنة والإيمان.

فمما أجمع عليه السلف أن الإيمان قول وعمل، ظاهر وباطن، وهذا بحمد الله تقدم بسط الكلام عليه.

الجواب الثاني: في بيان الصلة بين أجزاء الإيمان الباطنة والظاهرة.

وفقه العلاقة بين الباطن والظاهر، والقول والعمل، مانع للغلط في مسائل الإيمان، وناقض مهم لمقالة المرجئة على اختلاف فقهم في حقيقة الإيمان. فإن "من عرف الملازمات التي بين الأمور الباطنة والظاهرة زالت عنه شبهات كثيرة في مثل هذه المواضع التي كثير اختلاف الناس فيها" (١).والمرجئة إنما أتوا من جهة ظنهم انتفاء التلازم بين الباطن والظاهر، فوقعوا في الغلط (٢).وهذا أصل اعتنى شيخ الإسلام بشرحه، وأطال النفس في تقريره، إذ بين أن "الإيمان قول وعمل، أي: قول القلب، واللسان، وعمل القلب، والجوارح" (٣).فالإيمان "قول وعمل: قول باطن وظاهر، وعمل باطن وظاهر" (٤).وقول السلف: الإيمان قول وعمل، يريدون **به قول القلب وعمل** القلب، وهذا هو الباطن، وقول اللسان وعمل الجوارح، وهذا هو الظاهر (٥).والأصل هو القلب، والبدن تابع، أي أن الأصل هو الباطن، والظاهر تابع (٦).و "لابد في أصل الإيمان من قول وعمل القلب" (٧)، إذ "أصل **الإيمان قول القلب وعمله**" (٨).

والقلوب مفطورة على قول القلب، وعمله.

ولا يتخلف عمل القلب إلا في حالة وجود معارض في القلب يحول بينه وبين ما فطر عليه.

---

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٨٤/٣

وما دام أن القلب سليم، والمعارض مفقود، **فإن قول القلب وعمله** موجود.

ثم إذا **وجد قول القلب وعمله** لزم ضرورة حصول الظاهر من قول اللسان وعمل الجوارح، ولا يمكن أبدا أن يوجد في القلب تصديق وحب وخشية، ولا يحصل له أثر في الظاهر، من قول اللسان وعمل الجوارح.

وقد أكثر شيخ الإسلام جدا من تقرير هذه الحقيقة، ويتطلب الأمر نقل كثير مما جاء عنه في ذلك، ومنه قوله رحمه الله رحمة واسعة:"والله سبحانه فطر عباده على شيئين: إقرار قلوبهم به علما، وعلى محبته والخضوع له عملا وعبادة واستعانة، فهم مفطورون على العلم به والعمل له، وهو الإسلام الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: ((كل مولود يولد على الفطرة)) (٩)."

ويقول: "وأصل الإيمان قول القلب، وعمله، أي علمه بالخالق، وعبوديته للخالق، والقلب مفطور على هذا، وهذا. وإذا كان بعض الناس قد خرج عن الفطرة؛ بما عرض له من المرض، إما بجهله، وإما بظلمه، فجحد بآيات الله، واستيقنتها نفسه ظلما وعلوا، لم يمنع أن يكون الخلق ولدوا على الفطرة" (١٠).

ويقول: "من المعلوم أن معرفة الشيء المحبوب تقتضي حبه، ومعرفة المعظم تقتضي تعظيمه، ومعرفة المخوف تقتضي خوفه.

---

(١) ((الفتاوى)) (٧/ ٦٤٦)، وانظر منها (٧/ ٦١٦).

(٢) انظر: ((الفتاوى)) (٧/ ٦٤٦).

(٣) انظر: مجموعة ((الفتاوى الكبرى)) (٢/ ٢٧١).

(٤) انظر: ((الإيمان)) (ص١٧٧) ((الفتاوى)) (٧/ ١٨٧).

(٥) انظر: ((الفتاوى)) (٧/ ٦٧٢).

(٦) انظر: ((جامع الرسائل)) (١/ ٢٤٣).

(٧) ((الإيمان الأوسط))، ضمن: ((الفتاوى)) (٧/ ٥٢٩، ص٤١٣) ط. ابن الجوزي، وانظر: شرح حديث: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)، (ص٣١)؛ و ((جامع المسائل)) (٥/ ٢٤٧).

(٨) ((درء التعارض)) (٣/ ١٧٣).

(٩) رواه البخاري (١٣٨٥) ، ومسلم (٢٦٥٨) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٠) ((درء التعارض)) (٣/ ١٣٧).." [1]

"فنفس العلم والتصديق بالله وما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى يوجب محبة القلب له وتعظيمه وخشيته، وذلك يوجب إرادة طاعته وكراهية معصيته. والإرادة الجازمة مع القدرة تستلزم وجود المراد، ووجود المقدور عليه منه، فالعبد إذا كان مريدا للصلاة إرادة جازمة مع قدرته عليها صلى، فإذا لم يصل مع القدرة دل ذلك على ضعف الإرادة" (١)، ثم قال:"وأما الإرادة الجازمة فلابد أن يقترن بها مع القدرة فعل المقدور، ولو بنظرة، أو حركة رأس، أو لفظة، أو خطوة، أو

---

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٩٨/٣

تحريك بدن (٢).وبهذا يظهر معنى قوله صلى الله عليه وسلم: ((إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار)) (٣)، فإن المقتول أراد قتل صاحبه، فعمل ما يقدر عليه من القتال، وعجز عن حصول المراد، وكذلك الذي قال: لو أن لي مثل ما لفلان لعملت فيه مثل ما يعمل فلان، فإنه أراد فعمل ما يقدر عليه، وهو الكلام، ولم يقدر على غير ذلك، ولهذا كان من دعا إلى ضلالة كان عليه مثل أوزار من اتبعه، من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا؛ لأنه أراد ضلالهم، ففعل ما يقدر عليه من دعائهم، إذ لا يقدر إلا على ذلك.

وإذا تبين هذا في الإرادة والعمل، فالتصديق الذي في القلب وعلمه يقتضي عمل القلب، كما يقتضى الحس: الحركة الإرادية.

لأن النفس فيها قوتان:

قوة الشعور بالملائم والمنافي، والإحساس بذلك، والعمل، والتصديق به.

وقوة الحب للملائم، والبغض المنافي، والحركة عن الحس بالخوف والرجاء والموالاة والمعاداة. وإدراك الملائم يوجب اللذة والفرح والسرور، وإدراك المنافي يوجب الألم والغم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء)) (٤).

فالقلوب مفطورة على الإقرار بالله تصديقا به، ودينا له، لكن يعرض لها ما يفسدها.

ومعرفة الحق تقتضي محبته، ومعرفة الباطل تقتضي بغضه؛ لما في الفطرة من حب الحق وبغض الباطل، لكن قد يعرض لها ما يفسدها، إما من الشبهات التي تصدها عن التصديق بالحق، وإما من الشهوات التي تصدها عن أتباعه".

ثم قال: "فالإيمان الذي في القلب لا يكون إيمانا بمجرد تصديق ليس معه عمل القلب ومجبه؛ من محبة الله ورسوله ونحو ذلك، كما أنه لا يكون إيمانا بمجرد ظن وهوى، بل لابد في أصل الإيمان من قول القلب، وعمل القلب".

ثم قال: "وليس مجرد التصديق والعلم يستلزم الحب، إلا إذا كان القلب سليمان من المعارض، كالحسد، والكبر؛ لأن النفس مفطورة على حب الحق، وهو الذي يلائمها، ولا شيء أحب إلى القلوب السليمة من الله، وهذا هو الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام الذي اتخذه الله خليلا، وقد قال تعالى: يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم [الشعراء: ٨٨ - ٨٩].

فليس مجرد العلم موجبا لحب المعلوم إن لم يكن في النفس قوة أخرى تلائم المعلوم، وهذه القوة موجودة في النفس.

وكل من القوتين تقوى بالأخرى، فالعلم يقوى العمل، والعمل يقوى العلم.

فمن عرف الله، وقلبه سليم: أحبه، وكلما ازداد له معرفة ازداد حبه له، وكلما زاداد حبه له ازداد ذكره له، ومعرفته بأسمائه وصفاته.

فإن قوة الحب توجب كثرة ذكر المحبوب، كما أن البغض يوجب الإعراض عن ذكر المبغض.

---

(١) وانظر: ((الفتاوى)) (٦/ ٥٧٤)؛ و ((منهاج السنة)) (١/ ١٦٣).

(٢) انظر: ((جامع المسائل)) (٤/ ٢٦٦).

(٣) رواه البخاري (٣١) ، ومسلم (٢٨٨٨) ، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (١٣٨٥) ، ومسلم (٢٦٥٨) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.." (١)

"فكذلك التصديق الجازم إذا حصل في القلب، تبعه عمل من القلب لا محالة، لا يتصور أن ينفك عنه، بل يتبعه الممكن من عم الجوارح.

فمتى لم يتبعه شيء من عمل القلب، علم أنه ليس بتصديق جازم، فلا يكون إيمانا. لكن التصديق الجازم قد لا يتبعه عمل القلب بتمامه؛ لعارض من الأهواء، كالكبر، والحسد، ونحو ذلك من أهواء النفس، لكن الأصل أن التصديق يتبعه الحب، وإذا تخلف الحب كان لضعف التصديق الموجب له" (١).

ويقول رحمه الله تعالى: "الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب، ولابد فيه من شيئين: تصديق بالقلب، وإقراره، ومعرفته، ويقال لهذا قول القلب. قال الجنيد بن محمد: التوحيد قول القلب، والتوكل عمل القلب (٢).

فلابد فيه **من قول القلب وعمله**، ثم قول البدن وعمله.

ولابد فيه من عمل القلب، مثل: حب الله ورسوله، وخشية الله، وحب ما يحبه الله ورسوله، وبغض ما يبغضه الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده، وتوكل القلب على الله وحده، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها من الإيمان.

ثم القلب هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب. ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: ((ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد، وإذا فسدت فسد سائر الجسد، ألا وهي القلب)) (٣).

وقال أبو هريرة: القلب ملك، والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده. وقول أبي هريرة تقريب، وقول النبي صلى الله عليه وسلم أحسن بيان، فإن الملك وإن كان صالحا، فإن الجنود لهم اختيار قد يعصون به ملكهم، وبالعكس، فيكون فيهم صلاح مع فساده أو فساد مع صلاحه، بخلاف القلب، فإن الجسد تابع له، لا يخرج عنه إرادته قط، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد)) (٤).

فإذا كان القلب صالحا بما فيه من الإيمان علما وعملا قلبيا لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر والعمل بالإيمان المطلق، كما قال أهل الحديث: قول وعمل: قول باطن وظاهر، وعمل باطن وظاهر. والظاهر تابع للباطن، لازم له، متى صلح الباطن صلح الظاهر، وإذا فسد فسد" (٥).

وفي موضع آخر لما ذكر حديث أبي هريرة المتقدم علق عليه بقوله:

"فبين - يعني الرسول صلى الله عليه وسلم - أن صلاح القلب مستلزم لصلاح الجسد، فإذا كان الجسد غير صالح دل على أن القلب غير صالح، والقلب المؤمن صالح، فدل على أن من يتكلم بالإيمان، ولا يعمل به، لا يكون قلبه مؤمنا.

---

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣/١٩٩

حتى إن المكره إذا كان في إظهار الإيمان فلابد أن يتكلم مع نفسه، وفي السر مع من يأمن إليه، ولابد أن يظهر على صفحات وجهه وفلتات لسانه، كما قال عثمان.

وأما إذا لم يظهر أثر ذلك لا بقوله، ولا بفله قط، فإنه يدل على أنه ليس في القلب إيمان.

وذلك أن الجسد تابع للقلب، فلا يستقر شيء في القلب إلا ظهر موجبه ومقتضاه على البدن، ولو بوجه من الوجوه.

وإن لم يظهر كل موجبه لمعارض، فالمقتضي لظهور موجبه قائم، والمعارض لا يكون لازما للإنسان لزوم القلب له، وإنما يكون في بعض الأحوال متعذرا إذا كتم ما في قلبه، كمؤمن آل فرعون، مع أنه قد دعا إلى الإيمان دعاء ظهر به من إيمان قلبه ما لا يظهر من إيمان من أعلن إيمانه بين موافقيه، وهذا في معرفة القلب وتصديقه.

---

(١) ((شرح الأصبهانية)) (٢/ ٥٨٣).

(٢) وانظر: ((مجموعة الفتاوى الكبرى)) (٢/ ٢٧١).

(٣) رواه البخاري (٥٢) ، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (٥٢) ، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٥) ((الإيمان)) (ص١٧٦ – ١٧٧) ((الفتاوى)) (٧/ ١٨٦ - ١٨٧).." [1]

"ومنها قصد القلب وعزمه، إذا قصد الفعل وعزم عليه مع قدرته على ما قصده: هل يمكن أن لا يوجد شيء مما قصده وعزم عليه؟

فيه قولان: أصحهما: أنه إذا حصل القصد الجازم مع القدرة وجب وجود المقدور، وحيث لم يفعل العبد مقدوره دل على أنه ليس هناك قصد جازم، وقد يحصل قصد جازم مع العجز عن المقدور، لكن يحصل معه مقدمات المقدور. وقيل: بل قد يمكن حصول العزم التام بدون أمر ظاهر، وهذا نظير قول من قال ذلك في المعرفة والتصديق، وهما من أقوال أتباع جهم الذين نصروا قوله في الإيمان، كالقاضي أبي بكر وأمثاله، فإنهم نصروا قوله، وخالفوا السلف، والأئمة، وعامة طوائف المسلمين" (١).

ويقول شيخ الإسلام: "أصل الإيمان في القلب، **وهو قول القلب وعمله**، وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد.

وما كان في القلب فلابد أن يظهر موجبه ومقتضاه على الجوارح، وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دل على عدمه، أو ضعفه.

ولهذا كانت الأعمال الظاهرة من موجب إيمان القلب ومقتضاه، وهي تصديق لما في القلب، ودليل عليه، وشاهد له، وهي شعبة من مجموع الإيمان المطلق وبعض له، لكن ما في القلب هو الأصل لما على الجوارح" (٢).

ويقول: "والإيمان الذي كتب في القلب ليس هو مجرد العلم والتصديق، قبل هو تصديق القلب وعمل القلب"، ثم قال: "فالسلف يقولون ترك الواجبات الظاهرة دليل على انتفاء الإيمان الواجب من القلب، لكن قد يكون بزوال عمل القلب الذي هو حب الله ورسوله، وخشية الله، ونحو ذلك، لا يستلزم أن لا يكون في القلب من التصديق شيء. وعند هؤلاء –

---

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢٠٢/٣

يعني الجهمية وموافقتهم – كل من نفى الشرع إيمانه دل على أنه ليس في قلبه شيء من التصديق أصلا، وهذا سفسطه عند جماهير العقلاء" (٣).

والحاصل من هذا التقرير المطول:

أن قول القلب إما أن يكون ضعيفا بحيث لا يستلزم عمل القلب، وحينئذ لا يكون هذا التصديق إيمانا، وإما أن يكون جازما، وحينئذ يستلزم عمل القلب لا محالة.

والإنسان مفطور **على قول القلب المقتضي** لعمله، مادامت الفطرة صحيحة، والقلب سليمان من المعارض المانع من عمله واستسلامه وانقياده، من الشبهات أو الشهوات، كالكبر، أو الحسد، أو الغفلة، أو طلب علو ورياسة أو كراه الإلف والعادة، ونحو ذلك من الأمراض التي مانعة من استسلام القلب، وانقياده، ومحبته.

فإذا **وجد قول القلب وعمله** لزم ضرورة أن يكون له أثر في الظاهر من القول والعمل. وقد قرر شيخ الإسلام أن "المؤثر التام يستلزم أثره، فمتى لم يحصل أثره لم يكن تاما، والفعل إذا صادف محلا قابلا تم، وإلا لم يتم" (٤).

وهذا معناه أن التام هو الذي يكون له أثر، وبتطبيق هذا على الإيمان يكون الإيمان التام هو الذي له أثر، فإذا لم يحصل له أثر فليس بتام.

والذي تحرر مما تقدم أن الإيمان الذي يستلزم أثرا هو ما اجتمع **فيه قول القلب وعمله**، وسلم من المعارض، فإنه حينئذ يستلزم أثرا في الظاهر من القول والعمل.

وعلى هذا فإن الإيمان الباطن يكون تاما إذا كان فيه أصل الإيمان – **وهو قول القلب وعمله** –، السالم من موانع الانقياد.

---

(١) ((الفتاوى)) (١٤/ ١٢١ – ١٢٢)، وانظر منها (١٤/ ١٢٠).

(٢) ((الفتاوى)) (٧/ ٦٤٤).

(٣) ((الإيمان)) (ص١٤٢) ((الفتاوى)) (٧/ ١٤٨).

(٤) ((الإيمان)) (ص٢٢) ((الفتاوى)) (٧/ ٢٥)، وساق رحمه الله أمثلة كثيرة على هذه القاعدة. انظر: ((الإيمان)) (ص١٦ – ٢٩) ((الفتاوى)) (٧/ ٢٠ – ٣١)؛ و ((الإيمان الأوسط))، ضمن ((الفتاوى)) (٧/ ٥٣٩)، (ص٤٢٥) ط. ابن الجوزي؛ و ((الفتاوى)) (١٦/ ١٧٩ – ١٨٠).." [1]

"وشيخ الإسلام يصف هذا الإيمان الذي يقتضي أثرا في الظاهر بالإيمان الجازم، وبالإيمان القلبي التام، وبالإيمان التام في القلب، وبالإيمان المقبول، وبإيمان القلب التام، وبالإيمان الواجب في القلب، وبإيمان القلب الواجب، وبالإيمان الباطن، وبالإيمان الواجب، وبالإيمان الصحيح، وبالإيمان الثابت في القلب، وبالإيمان الحقيقي.

فكل هذه الأوصاف أطلقها شيخ الإسلام على الإيمان المقتضي قولا وعملا في الظاهر، وهذا لا يكون إلا من الإيمان الذي حصل **فيه قول القلب وعمله**، وسلم من الشبهات والشهوات، وبحسب سلامته في الباطن يكون استسلامه في الظاهر.

---

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣/٢٠٣

يقول رحمه الله: "وبهذا تعرف أن من آمن قلبه إيمانا جازما امتنع أن لا يتكلم بالشهادتين مع القدرة، فعدم الشهادتين مع القدرة مستلزم انتفاء الإيمان القلبي التام".ثم قال: "إذ لا يحصل الإيمان التام في القلب إلا ويحصل في الظاهر موجبه بحسب القدرة" (١).ثم ذكر أن من الغلط ظن الظان أن الإيمان المقبول يمكن تخلف القول الظاهر، والعمل الظاهر عنه (٢).

ويقول: "فمن أراد الطاعة، وعلم أنها تنفعه أطاع قطعا، إذا لم يكن عاجزا، فإن نفس الإرادة الجازمة للطاعة مع القدرة توجب الطاعة، فإنها مع وجود القدرة والداعي التام توجب وجود المقدور. فإذا كانت الطاعة بالتكلم بالشهادتين، فمن أراد ذلك إرادة جازمة فعله قطعا؛ لوجود القدرة والداعي التام، ومن لم يفعله علم أنه لم يرده" (٣).ويقول: "جنس الأعمال من لوازم إيمان القلب، وأن إيمان القلب التام بدون شيء من الأعمال الظاهرة ممتنع" (٤).

وذكر أن من أكبر غلط المرجئة "ظنهم أن الإيمان الذي في القلب يكون تاما بدون شيء من الأعمال؛ ولهذا يجعلون الأعمال ثمرة الإيمان ومقتضاه، بمنزلة السبب مع المسبب، ولا يجعلونها لازمة له. والتحقيق أن إيمان القلب التام يستلزم العمل الظاهر بحسبه لا محالة، ويمتنع أن يقوم بالقلب إيمان تام بدون عمل ظاهر" (٥).وذكر أيضا أن الإيمان الذي في القلب من التصديق والحب وغير ذلك يستلزم الأمور الظاهرة من الأقوال الظاهرة والأفعال الظاهرة، كما أن القصد التام مع القدرة يستلزم وجود المراد، وأنه يمتنع مقام الإيمان الواجب في القلب من غير ظهور موجب ذلك ومقتضاه (٦).ويقول: "أصل الإيمان هو ما في القلب، والأعمال الظاهرة لازمة لذلك، لا يتصور وجود إيمان القلب الواجب مع عدم جميع أعمال الجوارح، بل متى نقصت الأعمال الظاهرة كان لنقص الإيمان الذي في القلب، فصار الإيمان متناولا للملزوم واللازم، وإن كان أصله ما في القلب" (٧).ويقول: "فالسلف يقولون ترك الواجبات الظاهرة دليل على انتفاء الإيمان الواجب من القلب" (٨).وذكر رحمه الله أن مذهب السلف وأهل السنة أنه متى وجد الإيمان الباطن وجدت الطاعات (٩).

---

(١) ((الإيمان الأوسط)) (٧/ ٥٥٣)، (ص٤٤٤ - ٤٤٥) ط. ابن الجوزي.

(٢) ((الإيمان الأوسط)) (٧/ ٥٥٤)، (ص٤٤٥) ط. ابن الجوزي.

(٣) ((منهاج السنة)) (٣/ ٦٩ – ٧٠)، ويلحظ أنه هنا مثل على الطاعة بالتكلم بالشهادتين، وقد سبق أنه مثل بالصلاة، فمن أراد جازما أن يصلي صلى، وهكذا الحكم في بقية الطاعات. راجع (ص٢٩٥).

(٤) ((الإيمان الأوسط))، ضمن: ((الفتاوى)) (٧/ ٦١٦)، (ص٥٦٧) ط. ابن الجوزي.

(٥) ((الإيمان)) (ص١٩٢) ((الفتاوى)) (٧/ ٢٠٤)؛ ونحوه فيه، (ص٢٠) ((الفتاوى)) (٧/ ٢٣ - ٢٤).

(٦) ((الإيمان الأوسط))، ضمن ((الفتاوى)) (٧/ ٥٧٥)، (ص٤٨١) ط. ابن الجوزي.

(٧) ((الإيمان)) (ص١٨٦ - ١٨٧) ((الفتاوى)) (٧/ ١٩٨).

(٨) ((الإيمان)) (ص١٤٢) ((الفتاوى)) (٧/ ١٤٨).

(٩) انظر: ((الإيمان)) (ص ٣٤٧) ((الفتاوى)) (٧/ ٣٦٣)، و ((الإيمان الأوسط)) (٧/ ٦٠٩) (ص٥٥٢) ط ابن الجوزي.." (١)

"فبمجموع هاتين الشهادتين يتم الإقرار، فلما كان التصديق لابد منه في كلا الشهادتين، وهو الذي يتلقى الرسالة بالقبول، ظن من ظن أنه أصل لجميع الإيمان، وغفل عن أن الأصل الآخر لابد منه، وهو الانقياد. وإلا فقد يصدق الرسول ظاهرا وباطنا، ثم يمتنع عن الإقرار للأمر، إذ غايته في تصديق الرسول أن يكون بمنزلة من سمع الرسالة من الله سبحانه وتعالى، كإبليس" (١).ومن ترك الانقياد كان مستكبرا، وصار من الكافرين، وإن كان مصدقا، فالكفر أعم من التكذيب، ولهذا لم يوصف إبليس إلا بالكفر والاستكبار دون التكذيب (٢).والحاصل أن "السعادة مشروطة بشرطين: بالإيمان والعمل الصالح، بعلم نافع وعمل صالح، بكلم طيب وعمل صالح، وكلاهما مشروط بأن يكون على موافقة الرسل" (٣).وأنه لابد من التزكي بفعل المأمور وترك المحظور، فهذان لابد منهما، ومقصود الرسالة هو فعل الواجبات والمستحبات جميعا (٤).وإذ تبين ما تقدم، وأن الظاهر لابد من وجوده لصحة الباطن، وأن النجاة لا تحصل إلا بذلك، فمما يختم به هذا المقام ما نبه عليه شيخ الإسلام من أن الظاهر يكون لازما للباطن من وجه، وملزوما له من وجه، وهو دليل عليه من جهة كونه ملزوما لا من جهة كونه لازما (٥).

والمراد أن الظاهر إنما يكون لازما وملزوما ودليلا على الباطن في حال صحة الباطن، وهو لا يكون كذلك إلا إذا وجد **فيه** **قول القلب وعمله**، وسلم من الموانع، كما تقدم. وأما مجرد وجود الظاهر فلا يعني صلاح الباطن، فإن اللازم لا يدل إلا إذا كان ملزوما، ومن المعلوم أن الظاهر يفعله المؤمن والمنافق، فلا يدل على صلاح الباطن (٦)،ولذا فإن الإيمان الظاهر الذي يجري عليه الأحكام في الدنيا لا يستلزم الإيمان الباطن المنجي يوم القيامة (٧)؛ "لأن الظاهر إنما يكون دليلا صحيحا معتمدا إذا لم يثبت أن الباطن بخلافه، فإذا قام دليل على الباطن لم يلتفت إلى ظاهر قد علم أن الباطن بخلافه" (٨).

المقام الثاني في نقض الأصل الإرجائي: إبطال دعواهم أن الإيمان إذا ذهب بعضه ذهب كله. فهم "قالوا: إن الحقيقة المركبة من أمور، متى ذهب بعض أجزائها انتفت تلك الحقيقة، كالعشرة المركبة من آحاد، فلو قلنا: إنه يتبعض؛ لزم زوال بعض الحقيقة مع بقاء بعضها" (٩)، وفي هذا إخراج مرتكب الكبيرة من الإيمان كما تقوله الخوارج والمعتزلة، فوجب إخراج الأعمال من الإيمان؛ لئلا يكفر المؤمن (١٠).وفي الجواب عن هذه الحجة بين شيخ الإسلام رحمه الله أن (نصوص الرسول صلى الله عليه وسلم، وأصحابه تدل على ذهب بعضه وبقاء بعضه، كقوله: ((يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان)) (١١) " (١٢).

---

(١) ((الصارم المسلول)) (٣/ ٩٦٩).

(٢) انظر: ((الصارم المسلول)) (٣/ ٩٦٨).

(٣) ((الصفدية)) (٢/ ٢٤٨).

---

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣/٢٠٤

(٤) ((الفتاوى)) (١٥/ ٣٩٠)؛ وانظر: ((الاستقامة)) (٢/ ١٣٦).

(٥) انظر: ((الفتاوى)) (١٨/ ٢٧٣).

(٦) انظر: ((الإيمان)) (ص٢٥٠) ((الفتاوى)) (٧/ ٢٦٣)؛ و ((الفتاوى)) (١٣/ ٢٦٨).

(٧) انظر: ((الإيمان)) (ص١٩٧ - ١٩٨)؛ وانظر منه، (ص٥).

(٨) ((الصارم المسلول)) (٣/ ٦٤٨)، ويقول شيخ الإسلام: "كل عمل في الظاهر من مؤمن لابد أن يصحبه عمل القلب، بخلاف العكس، فلا يتصور عمل البدن منفردا إلا من المنافق". ((المستدرك)) (٣/ ١٠٠).

(٩) ((الفتاوى)) (١٨/ ٢٧٦).

(١٠) وانظر: ((الفتاوى)) (١١/ ١٣٧).

(١١) رواه الترمذي (٢٥٩٣) ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال حديث حسن صحيح، وصححه الألباني، وقال في ((السلسلة)) (٢٤٥٠): صحيح على شرط الشيخين.

(١٢) ((الإيمان)) (ص٢١٠) ((الفتاوى)) (٧/ ٢٢٣).." [1]

"المبحث الرابع: فتوى اللجنة الدائمة في التحذير من مذهب الإرجاء وتحقيق النقل عن شيخ الإسلام فيه

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ...

وبعد:

فقد أطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على ما ورد إلى سماحة المفتي العام من عدد من المستفتين، المقيدة استفتاآتهم بالأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، برقم (٥٤١١) وتاريخ (٧/ ١١/١٤٢٠هـ). ورقم (١٠٢٦) وتاريخ (١٧/ ٢/١٤٢١هـ). ورقم (١٠١٦) وتاريخ (٧/ ٢/١٤٢١هـ). ورقم (١٣٩٥) وتاريخ (٨/ ٣/١٤٢١هـ). ورقم (١٦٥٠) وتاريخ (١٧/ ٣/١٤٢١هـ). ورقم (١٨٩٣) وتاريخ (٢٥/ ٣/١٤٢١هـ). ورقم (٢١٠٦) وتاريخ (٧/ ٤/١٤٢١هـ). وقد سأل المستفتون أسئلة كثيرة مضمونها:

"ظهرت في الآونة الأخيرة فكرة الإرجاء بشكل مخيف، وانبرى لترويجها عدد كثير من الكتاب، يعتمدون على نقولات مبتورة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية؛ مما سبب ارتباكا عند كثير من الناس في مسمى الإيمان، حيث يحاول هؤلاء الذين ينشرون هذه الفكرة أن يخرجوا العمل عن مسمى الإيمان، ويرون نجاة من ترك جميع الأعمال، وذلك مما يسهل على الناس الوقوع في المنكرات وأمور الشرك وأمور الردة، إذا علموا أن الإيمان متحقق لهم، ولو لم يؤدوا الواجبات ويتجنبوا المحرمات ولو لم يعملوا بشراع الدين بناء على هذا المذهب.

ولا شك أن هذا المذهب له خطورته على المجتمعات الإسلامية وأمور العقيدة والعبادة، فالرجاء من سماحتكم بيان حقيقة هذا المذهب، وآثاره السيئة، وبيان الحق المبني على الكتاب والسنة، وتحقيق النقل عن شيخ الإسلام، حتى يكون المسلم على بصيرة من دينه، وفقكم الله وشدد خطاكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

---

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢٠٧/٣

وبعد دراسة اللجنة للاستفتاء أجابت بما يلي:

هذه المقالة المذكورة هي: مقالة المرجئة الذين يخرجون الأعمال عن مسمى الإيمان، ويقولون: الإيمان هو التصديق بالقلب، أو التصديق بالقلب والنطق باللسان فقط، وأما الأعمال فإنها عندهم شرط كمال فيه فقط وليست منه، فمن صدق بقلبه، ونطق بلسانه؛ فهو مؤمن كامل الإيمان عندهم، ولو فعل ما فعل من ترك الواجبات وفعل المحرمات، ويستحق دخول الجنة ولو لم يعمل خيرا قط، ولزم على ذلك الضلال لوازم باطلة؛ منها: حصر الكفر بكفر التكذيب والاستحلال القلبي، ولا شك أن هذا قول باطل وضلال مبين، مخالف للكتاب والسنة، وما عليه أهل السنة والجماعة سلفا وخلفا، وأن هذا يفتح بابا لأهل الشر والفساد، للانحلال من الدين، وعدم التقيد بالأوامر والنواهي، والخوف والخشية من الله سبحانه.

ويعطل جانب الجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويسوي بين الصالح والطالح، والمطيع والعاصي، والمستقيم على دين الله، والفاسق المتحلل من أوامر الدين ونواهيه، ما دام أن أعمالهم هذه لا تخل بالإيمان كما يقولون.

ولذلك اهتم أئمة الإسلام - قديما وحديثا - ببيان بطلان هذا المذهب، والرد على أصحابه، وجعلوا لهذه المسألة بابا خاصا في كتب العقائد، بل ألفوا فيها مؤلفات مستقلة، كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وغيره.

قال شيخ الإسلام - رحمه الله - في "العقيدة الواسطية": "ومن أصول أهل السنة والجماعة: أن الدين والإيمان قول **وعمل**. **قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية".

وقال في "كتاب الإيمان": "ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة في تفسير الإيمان، فتارة يقولون: هو قول وعمل، وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية، وتارة يقولون: قول وعمل ونية وأتباع السنة، وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وكل هذا صحيح".." (١)

"وقال - رحمه الله -: "والسلف اشتد نكيرهم على المرجئة لما أخرجوا العمل من الإيمان، ولا ريب أن قولهم بتساوي إيمان الناس من أفحش الخطأ، بل لا يتساوى الناس في التصديق ولا في الحب ولا في الخشية ولا في العلم، بل يتفاضلون من وجوه كثيرة.

وقال - رحمه الله -: "وقد عدلت المرجئة في هذا الأصل عن بيان الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان، واعتمدوا على رأيهم وعلى ما تأولوه بفهمهم للغة، وهذه طريقة أهل البدع". انتهى.

ومن الأدلة على أن الأعمال داخلة في حقيقة الإيمان، وعلى زيادته ونقصانه بها، قوله تعالى: إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم [الأنفال:٢ - ٤]، وقوله تعالى: قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون [المؤمنون: ١ -)]، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "الإيمان بضع وسبعون شعبة. أعلاها

---

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣/٣١٧

قول: لا إله إلا الله. وأدناها إماطة الأذى عن الطريق. والحياء شعبة من الإيمان".

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – في "كتاب الإيمان" أيضا: "وأصل الإيمان في القلب، **وهو قول القلب وعمله**. وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد. وما كان في القلب فلابد أن يظهر موجبه ومقتضاه على الجوارح. وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دل على عدمه أو ضعفه. ولهذا كانت الأعمال الظاهرة من موجب إيمان القلب ومقتضاه، وهي تصديق لما في القلب، ودليل عليه وشاهد له، وهي شعبة من الإيمان المطلق وبعض له".

وقال أيضا: "بل كل من تأمل ما تقوله الخوارج والمرجئة في معنى الإيمان، علم بالاضطرار أنه مخالف للرسول، ويعلم بالاضطرار أن طاعة الله ورسوله من تمام الإيمان، وأنه لم يكن يجعل كل من أذنب ذنبا كافرا. ويعلم أنه لو قدر أن قوما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: نحن نؤمن بما جئتنا به بقلوبنا من غير شك، ونقر بألسنتنا بالشهادتين. إلا أنا لا نطيعك في شيء مما أمرت ونهيت عنه؛ فلا نصلي ولا نصوم ولا نحج ولا نصدق الحديث، ولا نؤدي الأمانة ولا نفي بالعهد ولا نصل الرحم ولا نفعل شيئا من الخير الذي أمرتر به. ونشرب الخمر، وننكح ذوات المحارم بالزنا الظاهر، ونقتل من قدرنا عليه من أصحابك وأمتك ونأخذ أموالهم، بل نقتلك أيضا ونقاتلك مع أعدائك. هل كان يتوهم عاقل أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول لهم: أنتم مؤمنون كاملوا الإيمان، وأنتم أهل لشفاعتي يوم القيامة، ويرجى لكم أن لا يدخل أ؛ د منكم النار. بل كل مسلم يعلم بالاضطرار أنه يقول لهم: أنتم أكفر الناس بما جئت به، ويضرب رقابهم إن لم يتوبوا من ذلك" انتهى.." [(١)]

"الفرق بين الشرك في النذر والمعصية به

المثال الثاني: النذر عبادة، ومعروف مشهور بين العامة أنهم يقولون: نذرت للسيدة زينب شمعا لنجاح ابنتي، فهل هذا يجوز أو لا؟ نرجع للقاعدة قبل أن نقول: يجوز أو لا يجوز، ونضبط المسألة أولا ونقول: هل النذر عبادة أو لا؟

A النذر عبادة، الدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿يوفون بالنذر﴾ [الإنسان:٧] ووجه الدلالة سنعرفه من خلال بيان تعريف العبادة، والعبادة هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

وبعد هذا التعريف نقول: إن الله تعالى إذا مدح شيئا فقد أحبه، وسياق آية النذر سياق مدح؛ لأن الله إذا مدح عباده بفعل شيء فقد دل ذلك على أن هذا الشيء عبادة؛ لأن الله يحبه وقد مدحه، فالله لا يمدح إلا ما يحب، وهذا هو وجه الدلالة استنباطا.

أما التأصيل الصريح فهو في قول الله تعالى: ﴿إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا﴾ [مريم:٢٦]، ووجه الدلالة في ذلك هو إقرار الله لها على النذر، فدل ذلك على أنه عبادة.

وأيضا في الآية الأخرى قال تعالى: ﴿إني نذرت لك ما في بطني محررا﴾ [آل عمران:٣٥]، وهي نذرت هنا للمسجد، وهذا فيه دلالة على أن النذر عبادة، فإذا: النذر عبادة فصرفها لله توحيد وصرفها لغير الله شرك.

مثال آخر: رجل قال: إن ابني مريض فإن شفي الله ابني فسأتصدق بألف درهم.

والثاني قال: إن ابني إن نجح لأذبحن عند البدوي ذبيحة وأفرقها على الفقراء.

---

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣/٣١٨

والثالث قال: إن أتى أبي ورأيته بعيني، فامرأتي طالق.

فالصحيح في ذلك أن نقول: إن النذر الأول توحيد؛ لأنه عبادة صرفه لله جل في علاه.

والنذر الثاني فيه توحيد وفيه شرك، والنبي صلى الله عليه وسلم بين أن الذبح في مكان يعبد فيه غير الله جل في علاه منهي عنه، ولما رأى رجلا يذبح إبلا ببوانة نهاه صلى الله عليه وسلم عن ذلك؛ لأنه قد كان فيها صنم يعبد، وإنما نهاه لأنه ذريعة للشرك ولا يقال له: شرك؛ لأنه لم يصرف عبادة لغير الله جل في علاه، بل هو نذر أن يذبح لله، فإذا نذر أن يذبح لله فهو توحيد لله وليس شركا، لكنه وقع في منهي عنه وهو أنه ذبح في مكان يعبد فيه غير الله جل في علاه.

وأما الثالث فهو نذر ينزل منزلة اليمين المعلقة، على قول الجمهور، وأما على قول شيخ الإسلام ابن تيمية فينظر في نيته: إن كانت نيته تهديدا فلا تطلق زوجته، وإن كانت نيته الطلاق فتطلق امرأته.

ختاما لهذه المسألة نقول: إن العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

قال ابن القيم: وتدور رحى العبادة على خمسة عشر أمرا، وذلك أن المكلف يتكون من لسان وقلب وجوارح، وأحكام الشرع التكليفية خمسة: واجب، ومستحب، ومباح، ومكروه، ومحرم.

فيتعلق بكل عضو من الأعضاء سواء القلب أو اللسان أو الجوارح خمسة أحكام.

فالحاصل من ضرب ثلاثة أعضاء في خمسة أحكام يساوي خمسة عشر أمرا.

فيجب على القلب التصديق، وهو قول القلب، ويجب عليه التوكل والإنابة والخوف والرجاء فكل ذلك من واجبات القلب، أما واجب اللسان فهو قول لا إله إلا الله، فلن يدخل أحد الإسلام إلا بقوله: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وأما واجبات الجوارح فالصلاة والجهاد وغيرها، فالثلاثة الأعضاء لكل عضو منها خمسة أحكام، فتكون الجملة خمسة عشر أمرا كما قال الإمام ابن القيم.

وللعبادة ركنان: غاية الذل مع غاية المحبة.

وشروط العبادة: الإخلاص ومتابعة النبي صلى الله عليه وسلم.

والعبادة عبادتان: عبادة عامة وعبادة خاصة.

أو: عبادة القهر: وهي عبادة الربوبية.

وعبادة الاختيار: وهي عبادة الإلهية، إذا العبادة عبادتان: عبادة عامة ويدخل فيها المؤمن والكافر والمشرك، وعبادة خاصة وهي لا تكون إلا من المؤمن وهي العبادة الاختيارية.

فعبادة القهر هي عبادة الربوبية التي قال الله عنها: ﴿إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا﴾ [مريم:٩٣] فسواء كنت طويلا أو قصيرا، أو أبيض أو أسمر، إذا أراد الله أن يقدر عليك المرض فلا تستطيع أن ترد هذا القدر، بل أنت فيه عبد لله رغم أنفك، قال الله تعالى: ﴿وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها﴾ [آل عمران:٨٣]، فهذه هي عبادة القهر.

والعبادة الثانية خاصة بالمؤمنين: وهي عبادة الإلهية التي قال الله فيها: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا﴾

[الإسراء:٢٣]، فهل كل الناس عبدوا الله جل في علاه؟ لا، بل منهم من عبد ومنهم من لم يعبد الله جل في علاه، فهذه هي العبادة الاختيارية.." (١)

"العمل، لأن العلم الذي يتعلق بالقلب لا يكون علما صحيحا إلا إذا ظهر أثره على الجوارح، العلم الذي يكون في القلب من التصديق والإقرار والمعرفة بالرب جل وعلا وبالدين والشريعة .. ونحو ذلك جملة وتفصيلا لا يكون له أثره ولا اعتبار به إلا إذا ظهر أثره على الجوارح، فإن لم يظهر له أثر على الجوارح فحينئذ هذا العلم وجوده وعدمه سواء، لا فرق بينهم، فنقول: لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، يعني: عمل الجوارح، لا خلاف هذا نقل لإجماع، ومعلوم أن الأمة اختلفت في مفهوم الإيمان، ولكن عند أهل السنة والجماعة قول واحد وقع الإجماع عليه، حينئذ قول المصنف: (لا خلاف) لأهل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة (لا خلاف) بين فرق الأمة؟ لا، وقع الخلاف المرجئة لهم تعريف والمعتزلة والخوارج والجهمية كل يدلي بما عنده، وأما أهل السنة والجماعة فلهم قول واحد وإن اختلف التعبير في الدلالة على هذا القول، يعني: منهم من عبر بكذا، ومنهم من عبر بكذا، واتفقت هذه الأقوال على أن التوحيد والإيمان والإسلام لا يكون معتبرا إلا باجتماع ثلاثة أركان أو ثلاثة أجزاء، وهي التي قال المصنف فيها: (لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب) توحيد القلب، (واللسان) توحيد اللسان، (والعمل) توحيد العمل توحيد الجوارح، فهذه الأركان الثلاثة لا بد من اجتماعها، وكما ترى أن هذا تعريف الإيمان المشهور عند أهل السنة والجماعة: اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان. اعتقاد بالقلب أو بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان، هذه ثلاثة أركان، ثلاثة أجزاء، لا يكون الشخص مسلما مؤمنا إلا إذا اجتمعت في حقه كلها الثلاث، فإن وجد منها اثنان دون الثالث، أو واحد دون اثنين لا يصدق عليه أنه مسلم، ولذلك قال: (فإن اختل شيء من هذا) هذه الأجزاء الثلاثة المذكورة (لم يكن الرجل مسلما). يعني: لا يحكم عليه بأنه مسلم لماذا؟ لانتفاء ركن من أركان الإيمان. إذا: اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان. هذا ما تضمنه تعريف الأركان، والمصنف هنا لم يعبر بالإيمان لأن المقام هنا مقام ذكر ما يتعلق بالتوحيد، وذكرنا فيما سبق أن هذه الألفاظ الشرعية: التوحيد، والإسلام، والإيمان والتقوى، وطاعة الله تعالى، وطاعة رسوله – صلى الله عليه وسلم –، والإحسان كلها إذا أفرد واحد منها دخل فيه جميع الدين كل أفراد الدين. حينئذ صار الإيمان مرادفا للإسلام مرادفا للإحسان مرادفا للتقوى مرادفا للطاعة لطاعة الرب جل وعلا ونحو ذلك فهي مترادفة، فحينئذ ذكر التوحيد هنا لا يلزم منه أن يكون للتوحيد تعريف، وللإيمان تعريف آخر بل هو داخل فيه. إذا: هذه ثلاثة أركان.

الأول: قول القلب وعمله. قول القلب وعمله، فأما قول القلب، قول القلب، القلب له قول وله عمل، واللسان له عمل. وهل له قول أو لا؟ الظاهر لا ليس له قول لأنه هو قول، فإن سمي عمل وإنما وقع خلاف هل يطلق عليه أنه فعل

(١) شرح كتاب الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق لابن تيمية – محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٩/١

أو لا والجوارح لا شك أنها عمل.

إذا: القلب له قول وله عمل. ما قوله وما عمله؟." (١)

"**فأما قول القلب فهو** التصديق والعلم والمعرفة والاعتقاد. كلها متقاربة لكن هذا شيء يكون في القلب. العلم محله القلب، والمعرفة محلها القلب، وكذلك الاعتقاد قلنا: افتعال من العقد وهو الجزم ومحله يكون في القلب. إذا: هذه أطلق عليها أهل العلم بأنها قول، قيل: من باب الاصطلاح، ليقابل قول اللسان، ولذلك سيأتي قول ابن تيمية: ما يقال له قول القلب، فإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأركان، إذا زال تصديق القلب يعني لم يكن مصدقا بالشرع لم، يكن مصدقا بالنبي – صلى الله عليه وسلم –، لم يكن مصدقا بأن هذا قرآن من عند الله، لم يكن مصدقا بالفرائض والأركان، لا تنفع بقية الأركان لا عمل القلب، ولا قول اللسان، ولا عمل الجوارح.." (٢)

"وأما عمل القلب فهو: الإخلاص والحب والخوف والرجاء والتعظيم وغير ذلك من أعمال القلوب، كل أعمال القلوب السابقة التي مرت معنا وخاصة الأصول الثلاثة فهي داخلة في عمل القلب. وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق زال عمل القلب مع وجود قول القلب. يعني: عندنا شيئان، **أمران. قول القلب وهو** التصديق أن يكون مصدقا بالشريعة. عمل القلب الإخلاص والمحبة ونحو ذلك. إذا زال عمل القلب لم يوجد، ووجد التصديق بإجماع أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزول، لا خلاف بين أهل السنة والجماعة أنه إذا **وجد قول القلب وهو** التصديق ومعرفة الرب جل وعلا ومعرفة رسوله – صلى الله عليه وسلم –، واعتقاد أنهما حق مع انتفاء وعدم وجود عمل القلب من المحبة والخوف والرجاء والإخلاص والتوكل والخشية والإنابة أنه ليس بمسلم لزوال ركن من أركان الإيمان، وهو عمل القلب، وهذا التصديق وجوده كعدمه لأنه علم، وقلنا: العلم إذا لم يثمر العمل سواء كان في الجوارح أو عمل القلب فوجوده وعدمه سواء، لا بد أن يثمر وإن لم يثمر فلا أثر له، وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق فبإجماع أهل السنة والجماعة على زوال الإيمان، إجماع على زوال وانتفاء الإيمان، فلا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب. يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى مبينا ذلك: إن الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب. أصله الذي يكون في القلب، وابن تيمية رحمه الله تعالى دائما يعبر بمثل هذا يظن الظان أن ابن تيمية رحمه الله تعالى يرى أن عمل الجوارح ليس داخل في مسمى الإيمان لكن هذا ليس الأمر كذلك، لأنه ينص في مواضع كثيرة أن الإيمان إذا أطلق في الكتاب والسنة إنما يشمل الأعمال وهي داخلة فيه كدخول القول وعمل القلب، حينئذ يفسر كلامه بكلام في مواضع أخر. ثم لا شك أن الإيمان له أصل وفرع، ولا يعنى بالفرع هنا ما يمكن الاستغناء عنه، لا، قد يكون في عدم الاستغناء عن الفرع كعدم الاستغناء عن الأصل، لا شك في هذا فإذا عبر عن القلب أنه أصل وعمل الجوارح فرع، ليس معنى هذا أنه فرع كفرع الشجرة ونطبق التعاريف التي تكون في أصول الفقه أنه ما يمكن أن يزال ويستغنى عنه. نقول: لا، النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله». هذا هو الأصلية والفرعية، أن الثاني تابع للأول وجوده بوجود الأول، لا يمكن أن يوجد الثاني مع انتفاء

---

(١) شرح كشف الشبهات للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٣/١٨

(٢) شرح كشف الشبهات للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٤/١٨

الأول، ولا يمكن أن يدعى وجود الأول وهو عمل القلب مع انتفاء الثاني. هذا المراد. إذا: قوله رحمه الله: إن الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب ليس المراد منه أن الأعمال ليست داخل في مسمى الإيمان؟ لا، ليس كذلك، ولا بد فيه من شيئين: تصديق بالقلب، وإقراره ومعرفته. لا بد أن يقر وهذا عمل والتصديق بالقلب وإقراره ومعرفته – يعني: ومعرفته بالرب جل وعلا وبالرسول – صلى الله عليه وسلم – ويقال لهذا قول القلب، هذا فيه بيان أن **إطلاق قول القلب على** التصديق فيه نوع تجوز، ولذلك قال: ويقال لهذا التصديق والإقرار قول القلب.." (١)

"قال الجنيد بن محمد: التوحيد وقول القلب، التوحيد – يعني: اعتقاد وحدانية الرب جل وعلا – ليس التوحيد بالمفهوم الذي ذكره المصنف هنا، وإنما التوحيد يعني: اعتقاد وحدانية الرب جل وعلا تصديق بأن الله تعالى واحد قول القلب، والتوكل عمل القلب، فلا بد فيه **من قول القلب وعمله**، اجتماع الأمرين، ثم قول البدن وعمله. قول البدن وعمل، يعني: إقرار باللسان، وعمله يعني: بالجوارح، ولا بد فيه من عمل القلب مثل حب الله ورسوله، وحب ما يحبه الله ورسوله، وبغض ما يبغضه الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده، وتوكل القلب على الله وحده، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها من الإيمان يعني: بعضا وجزء من الإيمان يفوت الإيمان بفواتها.

إذا: عمل القلب وقول القلب أصل في الإيمان.

ثانيا الركن الثاني: قول اللسان، والمراد به النطق بالشهادتين قول لا إله إلا الله والإقرار بلوازمهما، يقول ابن حزم رحمه الله تعالى: من اعتقد الإيمان بقلبه. يعني: جاء بماذا؟

بالتصديق، ولم ينطق بلسانه دون تقية. تقية يعني يقصد به المكرة فهو كافر عند الله تعالى وعند المسلمين. إذا اعتقد بقلبه صدق، ولكن لم ينطق بلسانه فهو كافر عند الله تعالى وعند المسلمين، يعني: هذا حكاية للإجماع، ذكره في ((المحلى)) – الجزء الأول، صفحة ٥٠.

ويقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: " من لم يصدق بلسانه مع القدرة لا يسمى في لغة القوم مؤمنا، كما اتفق على ذلك سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ". إذا لا بد من قول اللسان، لا كما قال من الجهمية ونحوهم نقول: هذا لا عبرة بهم، إذا وقع الإجماع على ذلك ودلت النصوص على ذلك فحينئذ لا عبرة بهم، ولذلك قال تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا﴾ [الحجرات: ١٤] ﴿قالت الأعراب﴾، ﴿قالت﴾ القول إنما يكون بماذا؟ باللسان ﴿قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ لأنهم ذكروا أو أتوا بالشهادتين.

ثالثا: عمل الجوارح هذا قلنا: محل إجماع ووفاق بين السلف أنه داخل في مسمى الإيمان، لكن يقع خلاف في التعبير عنه، هل نقول هو ركن أم شرط صحة؟ الخلاف المنبني على هذا خلاف لفظي فقط، لأن كلا من الفرقتين من قال: بأنه شرط صحة أو أنه ركن قال: بأن انتفاء العمل ينبني عليه انتفاء الإيمان. إذا: لا نتيجة حكمية لا في الدنيا ولا في الآخرة ولا ثمرة لهذا الخلاف في الدنيا ولا في الآخرة تنبني عليه، وسواء قلنا شرط صحة أو ركن حينئذ نقول: ليس بمؤمن وليس بمسلم في

---

(١) شرح كشف الشبهات للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٥/١٨

الدنيا، وإذا كان كذلك حينئذ حكمنا عليه بنقيض الإيمان وهو: الكفر،، والصواب أن يعبر بأنه ركن، لأن هذا ظاهر النصوص وظاهر كلام السلف، قالوا الإيمان قول وعمل وإذا كان كذلك فالشرط إذ كان المراد به الحقيقة الأصولية حينئذ يكون خارجا ولو كان لازما، يعني: الصلاة لا تصح إلا بالطهارة إذا صحة الصلاة مبنية على وجود الطهارة، هل تصح الصلاة بدون طهارة؟ لا. هل تصح الصلاة بدون طهارة مع القدرة عليها؟ لا.." (١)

"قول وعمل. قول باطن وظاهر، وعمل باطن وظاهر، والظاهر تابع للباطن لازم له متى صلح الباطن صلح الظاهر، صلح صلح فيه وجهان، وإذا فسد، فسد هكذا قال ابن تيمية رحمه الله تعالى تبعا للحديث، وعدم الأعمال الظاهرة الجوارح يستلزم نفي الإيمان الباطن، عندنا إيمان باطن وإيمان ظاهر، إيمان باطن **هو قول القلب وعمله**، وإيمان ظاهر هو قول اللسان وعمل الجوارح. قلنا: عدم الأعمال الظاهرة بأن الذي في القلب ما نطلع عليه، لكن نستدل عليه بالظاهر، نستدل عليه بما يظهر منه، عدم الأعمال الظاهرة يستلزم نفي الإيمان الباطن، ولهذا ينفي الرب جل وعلا الإيمان عمن انتفت عنه لوازمه، فإن انتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم. أين اللازم؟ أنتم معي أو لا؟

نحن نقرر عقيدة السلف ما ذكرنا أقوال المبتدعة ولا أدلتهم، عقيدة السلف أن العمل لازم الظاهر، والذي في القلب ملزوم، انتفاء اللازم الظاهر يدل على أو يستلزم انتفاء الملزوم، فإن انتفاء اللازم الذي هو العمل الظاهر يقتضي انتفاء الملزوم كقوله: ﴿ولو كانوا يؤمنون بالله﴾ [المائدة: ٨١] ﴿ولو كانوا يؤمنون﴾ إذا: لا يؤمنون، هذا نفي ﴿ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء﴾. وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد كلام طويل ذكرنا شيئا منه: وقد تبين أن لفظ الإيمان حيث أطلق في الكتاب والسنة دخلت فيه الأعمال. إذا له حقيقة شرعية. وقال أيضا موضع آخر: ولهذا كان القول إن الإيمان قول وعمل عند أهل السنة ومن شعائر السنة. من شعائر السنة ولهذا كان القول إن الإيمان قول وعمل هذا التعبير وهذا الاعتقاد بأن العمل داخل في مسمى الإيمان وأنه ركن صار هذا القول عند أهل السنة يعني خاصا بهم أهل السنة والجماعة، ولا يشمل المرجئة، ولا الجهمية، ولا الخوارج، ولا المعتزلة، ومن شعائر السنة يعني: مما يدل على أن صاحبهم من أهل السنة إذا قال بأنه قول وعمل، وإذا قال: بأن العمل ليس داخل في مسمى الإيمان لم يكن من أهل السنة البتة، وحكا غير واحد الإجماع على ذلك، غير واحد حكا الإجماع على ذلك، وقد ذكرنا عن الشافعي ما ذكره من الإجماع على ذلك قوله: في ((الأم))، إيش الأم أو الأب؟ كتاب، قوله في ((الأم)) – هذا الشافعي رحمه الله تعالى: وكان الإجماع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية. الإيمان قول وعمل ونية، نية هذا داخل في عمل القلب، لا يجزئ واحد من من الثلاثة إلا بالآخر، حينئذ هذا النص الذي حكاه الشافعي إذا قال: لا يجزئ واحد من هذه الثلاثة إلا بالآخر يدل على أن العمل شرط كمال أو ركن، ركن لأنه لو كان شرط كمال **لأجزأ قول القلب وقول** اللسان عن العمل الظاهر، وهو يقول: لا يجزئ واحد دون الآخر إلا مع قرينه، حينئذ نقول العمل ركن وداخل في مسمى الإيمان.." (٢)

---

(١) شرح كشف الشبهات للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٦/١٨

(٢) شرح كشف الشبهات للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٩/١٨

"إذا قول المصنف هنا (لا خلاف) يعني: عند أهل السنة والجماعة، وهو الذي ذكرناه من عقيدة أهل السنة والجماعة، وأما النظر في أقوال المبتدعة وأدلتهم هذا قد يأتينا إن شاء الله في محله في ((الواسطية)) لا خلاف عند أهل السنة والجماعة أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، إذا قسم المصنف هنا التوحيد باعتبار محله إلى ثلاثة أقسام:

الأول: توحيد القلب، وهذا أهم الأقسام وأعظمها ولا يسقط أبدا، لا يتصور العقل أن هذا يسقط، لأنه لا يدخله إكراه ولا عذر أبدا، ولذلك قال: ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ [النحل: ١٠٦] أكره على ماذا؟ إذا استثنى القلب ماذا بقي؟ القول والعمل، إذا يمكن أن يقع الإكراه في القول في اللسان #١,٠٣,١٦ القرآن أكره ففعله يكون معذورا، بشرط أن يكون الإكراه ملجئا **سواء قول القلب وهو** التصديق والإقرار أو عمل القلب وهو الإخلاص والمحبة والخوف الخشية .. إلى آخره، وعمل القلب أكثر من قوله: أليس كذلك؟ أيهما أكثر؟ عمل القلب أكثر.

الثاني: توحيد اللسان، وهو قول: لا إله إلا الله، وهو فرض لا يسقط ولا يعذر فيه إلا بالإكراه.

الثالث: توحيد الجوارح وهو العمل بلا إله إلا الله كالتوجه إلى الله تعالى وحده والاستغاثة به وحده والذبح لله وحده، هذا من عمل الجوارح.

قال هنا: (فإن اختل شئ من هذا لم يكن الرجل مسلما). قال: (مسلما) ولم يقل مؤمنا، لماذا؟

هل هو مقصود أم لا؟

وما وجه القصد؟

هل لديكم أقوال أخرى؟ لم يقل لم يكن الرجل مسلما دفعا للإيهام لأنه إذا قال: لم يكن مؤمنا قد يقال بأنه موافق لآية الحجرات ﴿قالت الأعراب آمنا﴾ [الحجرات: ١٤] ماذا قال الله تعالى: ﴿لم تؤمنوا﴾ نفى عنهم الإيمان، هل نفي الإيمان يستلزم نفي الإسلام؟ لا، ولذلك قال: ﴿ولكن قولوا أسلمنا﴾ إذا (لم يكن الرجل مسلما) لم يكن مؤمنا دفعا للإيهام، لئلا يستدل مستدل بآية الحجرات فيثبت له الإسلام مع انتفاء الإيمان، نقول هذا باطل، لو قال: لو لم يكن الرجل مؤمنا، حينئذ يحتمل أنه بقي على إسلامه للنص. (فإن عرف التوحيد) هذا شروع من المصنف بعد تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة هو أراد أن يقرر الحق أولا، ثم قسم الناس باعتبار العمل بالتوحيد أن الكلام في العمل القسم الأول قال: (فإن عرف التوحيد ولم يعمل به)، (يعمل) بالإسكان (فإن عرف) محل المعرفة تكون في القلب، (فإن عرف التوحيد ولم يعمل به) المنفي هنا عمل اللسان والجوارح، إذا عرف بقلبه أن التوحيد حق، وأن الله واحد أحد لا شريك له، وأنه هو المستحق للعبادة دون ما سواه، أقر بهذا، فجاء بقول واعتقاد القلب وهو المعرفة (ولم يعمل به) يعني: لم يأت بعمل اللسان والجوارح وعمل القلب، ما حكمه؟ هذا القسم الأول، عرف التوحيد ولم يعمل به ما حكمه؟

مطلقا. ما هو المانع؟ [أحسنت]. إذا قوله: (فإن عرف التوحيد ولم يعمل به) هذا نوعان، تحته قسمان.

الأول: من حكمنا بكفره.." (١)

---

(١) شرح كشف الشبهات للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢٠/١٨

"إذا من لم يعرف ولم يعمل فليس معه شيء من القلب ولا اللسان ولا الجوارح فانتفى الإيمان فثبت الكفر، لكنه سببه الجهل، هذا قسم ثالث، وكل ما سبق تقريره في المقدمة هو القسم الأول، وهو من أتى بالتوحيد وعمل به، وهو المؤمن الخالص الذي أقر بقلبه ووجده **عنده قول القلب وعمل** القلب وأقر بلسانه الشهادتين وعمل بجوارحه، حينئذ تكون الأقسام أربعة، من جمع بينهما فهو المؤمن لم يذكره المصنف لأنه معلوم مما سبق، وإنما ذكر هذين الصنفين لعموم البلوى بهما.." (١)

"تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [والإيمان بأن الإيمان قول وعمل ونية يزيد وينقص، يزيد ما شاء الله، وينقص حتى لا يبقى منه شيء].

هذا معتقد أهل السنة والجماعة في الإيمان، فهم يقولون: الإيمان قول وعمل، والقول المراد **به: قول القلب وهو** التصديق والإقرار، وقول اللسان وهو النطق.

والعمل المراد به: عمل القلب وهو النية والإخلاص والصدق والمحبة والخشية، وعمل الجوارح، فيكون الإيمان عند أهل السنة والجماعة قول باللسان وقول بالقلب، وعمل بالقلب وعمل بالجوارح.

والسلف لهم عبارات في تعريف الإيمان، منها أنهم يقولون: الإيمان إقرار باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.

ولهم من العبارات: الإيمان قول **وعمل، قول القلب وقول** اللسان، وعمل القلب وعمل الجوارح، ومنها قولهم: الإيمان قول وعمل ونية.

وقوله: (يزيد ما شاء الله وينقص حتى لا يبقى منه شيء) الصواب أنه لا بد أن يبقى منه شيء؛ لأنه إذا لم يبق منه شيء فقد وصل إلى الكفر، فهذه العبارة ليست سليمة، وهي قوله: (لا يبقى منه شيء) بل لا بد أن يبقى منه شيء، إلا إذا أراد ذلك بالنسبة للكافر فإن ذلك صحيح، فإنه ينتهي حتى لا يبقى منه شيء بالنسبة للكافر، أما المؤمن فلا بد أن يبقى منه شيء، فإذا كثرت المعاصي والجرائم ضعف الإيمان، حتى لا يبقى منه إلا مثقال ذرة، أو أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان، لكن صاحبه لا يخلد في النار.

ولا ينتهي إلا إذا وصل إلى الكفر الأكبر أو الشرك الأكبر، أما المعاصي ولو عظمت فإنها لا تقضي على الإيمان، وهذه البقية من الإيمان هي السبب في خروج العصاة من النار، وفي حديث الشفاعة قال صلى الله عليه وسلم: (يخرج من النار من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان).." (٢)

"ما يخرج به المسلم من ضلالات الفرق الأربع

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [فمن قدم أبا بكر وعمر وعثمان وعليا على جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم

---

(١) شرح كشف الشبهات للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢٦/١٨

(٢) شرح كتاب السنة للبربهاري – الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٢/٥

يتكلم في الباقين إلا بخير ودعا لهم فقد خرج من التشيع أوله وآخره.

ومن قال: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، فقد خرج من الإرجاء أوله وآخره.

ومن قال: الصلاة خلف كل بر وفاجر، والجهاد مع كل خليفة، ولم ير الخروج على السلطان بالسيف، ودعا لهم بالصلاح، فقد خرج من قول الخوارج أوله وآخره.

ومن قال: المقادير كلها من الله عز وجل، خيرها وشرها، يضل من يشاء ويهدي من يشاء، فقد خرج من قول القدرية أوله وآخره، وهو صاحب سنة].

(من قدم أبا بكر وعمر وعثمان وعليا) في الفضيلة وفي الخلافة، (ولم يتكلم في الصحابة إلا بخير)، فهذا من أهل السنة وخرج من التشيع؛ لأن الشيعة والرافضة يرون أن أبا بكر وعمر وعثمان اغتصبوا الخلافة، وأن الخليفة الأول هو علي، وأن النبي صلى الله عليه وسلم نص على اثني عشر إماما أولهم علي وآخرهم محمد بن الحسن الذي دخل في سرداب سامراء في العراق سنة مائتين وستين هجرية، وأن الصحابة كفروا وارتدوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وأخفوا النصوص التي فيها النص على الأئمة، وولوا أبا بكر زورا وظلما وعدوانا، ثم ولوا عمر زورا وظلما وبهتانا، ثم ولوا عثمان زورا وبهتانا، ثم وصلت إلى الخليفة الأول وهو علي.

(ولم يتكلم في الباقين من الصحابة إلا بخير، ودعا لهم، فقد خرج من التشيع أوله وآخره).

أما من تكلم في الصحابة وسب الصحابة وسب أبا هريرة فهذا شيعي.

ومن سب أبا بكر وعمر وعثمان وعلي فهو رافضي.

وهذه علامة السني الذي يخرج من التشيع، وهي أن يقدم أبا بكر وعمر وعثمان وعليا على جميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يتكلم في الباقين من الصحابة إلا بخير، ويدعو لهم، فهذا يخرج من التشيع أوله وآخره.

(ومن قال: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، فقد خرج من الإرجاء كله أوله وآخره).

من قال: الإيمان قول القلب وهو التصديق والإقرار، وقول اللسان وهو النطق، وعمل القلب وهو النية والإخلاص والصدق والمحبة، وعمل الجوارح، ومن قال: إن الإيمان يزيد وينقص، فقد خرج من الإرجاء كله وآخره.

ومن قال: إن تصديق القلب، والأعمال ليست من الإيمان، فهو من المرجئة.

ومن قال: الإيمان هو معرفة الرب بالخلق، فهذا قول مرجئة الجهمية، وهذا أفسد قول قيل في الإيمان، فالجهمية يقولون: الإيمان معرفة الرب بالقلب، والكفر جهل الرب بالقلب، فمن عرف ربه بقلبه فهو مؤمن، ومن جهل ربه بقلبه فهو كافر، والجهمية هم أشد الناس إرجاء، وألزمهم العلماء على هذا التعريف: أن يكون إبليس مؤمنا؛ لأنه يعرف ربه بقلبه، وأن فرعون مؤمن؛ لأنه يعرف ربه بقلبه، وأن اليهود مؤمنون؛ لأنهم يعرفون ربهم بقلوبهم، وأن أبا طالب مؤمن؛ لأنه يعرف ربه بقلبه، وهذه الطائفة الأولى من المرجئة.

والطائفة الثانية من المرجئة وهم الكرامية الذين يقولون: إن الإيمان هو النطق باللسان فقط، فإذا نطق بلسانه الشهادتين فهو مؤمن كامل الإيمان، ولو كان مكذبا في قلبه، فجمعوا بين متناقضين.

فيلزم على قولهم أن يكون المؤمن كامل الإيمان يخلد في النار.
هذا قول الطائفة الثانية من المرجئة.
والطائفة الثالثة من المرجئة يقولون: الإيمان تصديق القلب فقط، وهذا قول الماتريدية والأشاعرة، وهو رواية عن الإمام أبي حنيفة.
الطائفة الرابعة: هم مرجئة الفقهاء ويقولون: الإيمان تصديق القلب والإظهار باللسان.
وكل المرجئة بطوائفهم الأربعة يقولون: الأعمال ليست من الإيمان.
قال: (ومن قال بصحة الصلاة خلف كل بر وفاجر، والجهاد مع كل خليفة ولا يرون الخروج على السلطان بالسيف، ويدعون له بالصلاح، فقد خرج من قول الخوارج أوله وآخره)؛ لأن الخوارج لا يرون الصلاة خلف أئمة الجور، بل يرون أن الإمام إذا فعل كبيرة كفر وحل دمه وماله ووجب قتله.
ولا يصلون خلف الإمام الفاجر الفاسق ولا يجاهدون معه، ويخرجون عليه بالسيف ولا يدعون له.
قال المؤلف: (ومن قال: المقادير كلها من الله عز وجل خيرها وشرها؛ يضل من يشاء ويهدي من يشاء، فقد خرج من قول القدرية أوله وآخره وهو صاحب سنة)؛ لأن القدرية يقولون: الخير من الله والشر من العبد، بل يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة للعبد غير مخلوقة لله، فالعبد هو الذي يخلق فعل نفسه، خيرها وشرها، طاعة أو معصية، كفرا أو إيمانا.
ولهذا يقولون: يجب على الله أن يثيب المطيع وهو يستحق الأجر من الله، كما يستحق الأجير أجرته؛ لأنه هو الذي خلقه فعلا، وأن الله يجب عليه أن يعذب العاصي؛ لأن الله توعده والله لا يخلف الميعاد.." (١)

"الجواب: لا. وإنما نظرنا إلى أن الله عز وجل قسم الناس وطوائف الناس في أول سورة البقرة إلى ثلاثة أنواع، وذكر منهم من قال لا إله إلا الله، ثم قال: ﴿وما هم بمؤمنين﴾ [البقرة: ٨] إذا بنص آخر منفصل عن هذه النصوص، واضح هذا؟ إذا النظر في هذه النصوص ليس على إطلاقه، وإنما هو نظر في بقيتها. ولذلك قال رحمه الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم لم يجعل ذلك حاصلا بمجرد قول اللسان فقط (فلا بد من قول القلب، وقول اللسان، وقول القلب يتضمن من معرفتها، والتصديق بها، ومعرفة حقيقة ما تضمنته - من النفي والإثبات، ومعرفة حقيقة الإلهية المنفية عن غير الله، المختصة به، التي يستحيل ثبوتها لغيره، وقيام هذا المعنى بالقلب علما ومعرفة ويقينا، وحالا — ما يوجب تحريم قائلها على النار، وكل قول) هذه قاعدة مرت معنا (وكل قول رتب الشارع ما رتب عليه من الثواب، فإنما هو القول التام) يعنى الذي يجمع بين اللفظ وما يقوم بالقلب، وهنا نعم كذلك، ولكن ما يقوم بالقلب وما يتضمنه القول التام إنما هو من بمجموع النصوص ليس بالنص الذي ذكره رحمه الله تعالى.
إذا هذه تتمة لما ذكرناه سابقا.
ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: (فيه مسائل) يعنى في هذا الباب (باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب). (فيه مسائل) والضمير هنا يعود على الباب، و (مسائل) كما ذكرنا جمع مسألة، وهي ما يبرهن عليه في العلم، وهذه المسائل أشبه ما

---

(١) شرح كتاب السنة للبربهاري - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٤/١٦

تكون بالشرح للأحاديث أو الفوائد المأخوذة من الآية والنصوص المذكورة معها من السنة النبوية.
(الأولى: – المسألة الأولى – سعة فضل الله). الله عز وجل يثبت له الفضل وأنه واسع الفضل، وهذا أخذه المصنف من قوله صلى الله عليه وسلم («أدخله الله الجنة على ما كان من العمل») وعرفنا أن قوله: («ما كان من العمل») يعنى من صلاح أو فساد، حينئذ من كان عمله فيه فساد ومع ذلك قال: (لا إله إلا الله) وآمن بالخمس المذكورة في الحديث نقول: هذا فضل من الله عز وجل تكرم به على هذا العاصي. إذا فيه (سعة فضل الله) تعالى لقوله: («أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»)، ولحديث أنس بحيث أتاه العبد بملء الأرض خطايا، خطايا هذا عام يشمل كبائر وصغائر ثم لقيه لا يشرك به شيئا لقيه بمثلها مغفرة فما أعظمه من فضل.
(الثانية: كثرة ثواب التوحيد عند الله). يعنى التوحيد له ثواب عند الله، وهو حسنة، وهو أكبر الحسنات وأكملها، لقوله: («مالت بهن لا إله إلا الله») يعنى لو وضعت السماوات السبع في كفة ومعها الأرضون السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله، ولكونه من مات على التوحيد دخل الجنة وحرم على النار، وكلمته ترجح بجميع المخلوقات. إذا (كثرة ثواب التوحيد عند الله) لقوله: («مالت بهن لا إله إلا الله»).
(الثالثة: تكفيره مع ذلك للذنوب). (مع ذلك) يعنى المشار إليه هنا تكفيره مع ذلك للذنوب يعنى ما سبق من المسألتين، أو مع (كثرة ثواب) كذلك يكفر الذنوب، يعنى له ثواب حسنات رفعة درجات، ومع ذلك يكفر الذنوب (تكفيره مع ذلك للذنوب) لقوله: («لأتيتك بقرابها مغفرة») فحسنة التوحيد تكفر عنه جميع الخطايا إذا لقي الله بهن، فمن مات على التوحيد بالقيد الذي في حديث أنس ليس مطلقا لا يشرك بالله شيئا غفر الله ذنوبه لأنه يتضمن الإخلاص، وهو كما قال ابن تيمية رحمه الله تعالى يمنع صاحبه أن يصر على الذنوب بل يتوب منها فتكفر عنه.." (١)

"قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: والإسلام هو الاستسلام لله، وهو الخضوع له، والعبودية له. كذا قال أهل اللغة، الإسلام هو الاستسلام لله، وهو الخضوع له، والاستسلام والخضوع إنما يكون بالقلب، إذا الإسلام ولو كان يفسر في بعض الأحاديث بالأعمال الظاهرة لا يمكن أن ينفك عن المعنى الباطن، لا يمكن أن ينفك، لأن الإسلام هو الاستسلام لله والخضوع لله عز وجل والعبودية لله، وهذه أصلها ومحلها القلب، إذا ليس بأمر ظاهر، ولذلك هنا أطلقه فدخل فيه الإيمان، وفي ((المفردات)): والإسلام الدخول في السلم – الإسلام الدخول في السلم – وهو أن يسلم كل واحد منهما أن يناله من ألم صاحبه. ثم قال: والإسلام في الشرع على ضربين – نوعين –:
أحدهما: دون الإيمان. يعني يفسر بشيء هو أقل من الإيمان، وهو الاعتراف باللسان دون الإيمان، يعني لا يجتمع معه الإيمان، وهو الاعتراف باللسان، ما فائدة هذا الاعتراف؟ قال: وبه يحقن الدم. وهو ما يسمى عند أهل السنة والجماعة بالإسلام الحكمي، إذا أسلم الكافر وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله. أثبتنا أنه قد دخل في الإسلام، لكن نحكم له بالإسلام الحكمي، لماذا؟ لأن الشهادتين لها مقتضى وهو عمل لا بد أن يعمل، حينئذ إذا أسلم بعد صلاة الفجر وخرج الوقت فقال: لا إله إلا الله. ننتظر حتى يأتي وقت صلاة الظهر، فإن صلى الظهر قبل منه الإسلام ظاهرا وباطنا، وإن لم

---
(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٦/١٢

يصل حينئذ نفينا عنه الإيمان الباطن وإن قال كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله ولا تنفعه لأنها مجرد لفظ فحسب، ولذلك قال هنا: دون الإيمان وهو اعتراف باللسان، وبه يحقن الدم. حصل معه الاعتقاد أو لم يحصل، لأنه أمر غيبي، وإياه قصد بقوله جل وعلا: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ [الحجرات: ١٤]. لوجود العمل الظاهر ويحكم عليه بأنه مسلم وتجري عليه أحكام المسلمين، وأما الباطن فأمره إلى الله إلا إذا ظهر ما يدل على فساد باطنه، وهو ما يسمى بنواقض الإسلام.

والثاني: فوق الإيمان.

الأول: دون الإيمان.

والثاني: فوق الإيمان.

وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب، ووفاء بالفعل، واستسلام لله في جميع ما قضى وقدر، بمعنى أن الإسلام النوع الثاني يكون كالإيمان لا بد فيه من اعتقاد، ولا بد فيه من قول اللسان، ولا بد في من عمل الجوارح والأركان.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده. فأصله في القلب، الاستسلام لله وحده فأصله في القلب، والخضوع له وحده بعبادته وحده دون ما سواه، فمن عبده وعبد معه إلها آخر لم يكن مسلما، وهذا أتى بالشرك لم يكن مسلما وإن ادعى أنه مسلم، فإذا جاء بالاستسلام لله وادعى أنه خاضع لله وأنه عابد لله وأن ذلك قام بقلبه ثم عبد الله وعبد غيره لم يكن مسلما، وهذا محل إجماع بين السلف، ومن استكبر عن عبادته، استكبر هذا لم يكن مسلما، وفي الأصل هو من باب العمل، يعني الإسلام في الأصل هو من باب العمل الظاهر، وفي الأصل هو من باب العمل عمل القلب والجوارح، وأما الإيمان فأصله تصديق القلب وإقراره ومعرفته فهو من باب قول القلب المتضمن عمل القلب، محل الإشكال هنا أمرهم بالإسلام فقط ولم يأمرهم بالإيمان، ومعلوم أن الإيمان عبادة مستقلة، والإسلام عبادة مستقلة، ومعلوم أن الإسلام وحده لا يكفي فكيف أمرهم بالإسلام ولم يأمرهم بالإيمان؟

نقول: الجواب كما قيل مرارا أن هذين اللفظين إذا اجتمع افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، هذا أصح ما يقال في المسألة، حينئذ لا يقال بأنه أمرهم بالإسلام ولم يأمرهم بالإيمان، لماذا؟ لأنه أطلق الإسلام هنا قال: («ادعهم إلى الإسلام»). إذا دخل فيه الإيمان، إذا ادعهم إلى أقوال وأعمال القلوب، وكذلك اللسان والجوارح فلا فرق بين هذا وذاك فصار مترادفين، فيطلق لفظ الإسلام هنا في مثل هذه المواضع ويراد به العلم علم القلب قول القلب، وعمل القلب، وكذلك قول اللسان، وأعمال الجوارح والأركان.." (١)

"سبب تأليف الرسالة

قال المصنف رحمه الله تعالى: [أما بعد: فإنك كنت تسألني عن الإيمان، واختلاف الأمة في استكماله، وزيادته ونقصه، وتذكر أنك أحببت معرفة ما عليه أهل السنة من ذلك، وما الحجة على من فارقهم فيه، فإن هذا رحمك الله خطب قد تكلم فيه السلف في صدر هذه الأمة وتابعيها ومن بعدهم إلى يومنا هذا، وقد كتبت إليك بما انتهى إلي علمه من ذلك

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١١/٢٤

مشروحا ملخصا، وبالله التوفيق].

إذا موضوع الرسالة هو الجواب عن هذا

- ما الإيمان؟ وما حقيقته؟ وما الخلاف في استكماله وزيادته ونقصه؟ وهل من خالف أهل السنة والجماعة ومن خالف السلف من الصحابة والتابعين له حجة أو دليل؟ وقول المؤلف رحمه الله: (فإن هذا رحمك الله) هذا من نصح المؤلف رحمه الله أنه يعلمك ويدعو لك، وهذه طريقة العلماء الربانيين، يعلمون الناس ويدعون لهم.

قوله: (خطب) يعني: أمر عظيم ليس بالأمر الهين، فلابد من تحقيقه.

قوله: (وقد تكلم فيه السلف) أي: أن خير هذه الأمة وتابعيها تكلموا في مسألة الإيمان: هل العمل من الإيمان؟ وهل الإيمان يزيد وينقص؟ فإن هذا الأمر عظيم، ولابد من تحقيقه؛ لأن فيه سلامة دين المرء وإيمانه واعتقاده في ربه ونبيه ودينه، والمؤلف يقول: قد تكلم فيه السلف من الصحابة ومن بعدهم، كما سيأتي أن المؤلف رحمه الله ساق الأدلة والنصوص عن الصحابة كقول معاذ بن جبل: (اجلس بنا نؤمن ساعة) يعني: يزيد إيماننا.

فالسلف من الصحابة والتابعين والأئمة ومن بعدهم بينوا حقيقة الإيمان، وأنه إقرار باللسان وتصديق بالقلب، وعمل بالقلب وعمل بالجوارح، فهذه هي حقيقة الإيمان التي دلت عليها النصوص من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبينها أهل العلم من الصحابة والتابعين والأئمة من بعدهم.

إذا: حقيقة الإيمان تشمل هذه الأمور الأربعة: قول اللسان وهو النطق، فلابد أن يتلفظ المسلم بالشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ولابد **من قول القلب وهو** الإقرار والاعتراف والتصديق، ولابد من عمل القلب، وهو النية والإخلاص والصدق والمحبة والانقياد، ولابد من عمل الجوارح، كالصلاة والصيام والزكاة والحج وبر الوالدين، وصلة الرحم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، والإحسان إلى الجيران، وكف المسلم نفسه عن المحرمات التي أعظمها وأغلظها الشرك بالله عز وجل، والعدوان على النفس في الدماء، والعدوان على الناس في الأموال، والعدوان على الناس في الأعراض، فينتهي عن المحرمات تدينا وإيمانا بالله، وبما جاء عن الله وبما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك المحرمات، فهذه هي حقيقة الإيمان التي دلت عليها النصوص من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

وقد قال كثير من السلف: الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان، يعني: القلب، وعمل بالأركان، يعني: الجوارح.

وقال بعضهم: الإيمان عمل ونية، عمل القلب وعمل الجوارح، وهذه هي حقيقة الإيمان، ولهذا قال المؤلف رحمه الله: (إن هذا خطب قد تكلم فيه السلف في صدر الأمة وتابعيها ومن بعدهم إلى يومنا هذا) يعني: هذا أمر واضح، ليس أمرا خفيا؛ لأن الإيمان هو الذي أراده الله تعالى من عباده وخلقهم من أجله، فالله خلق الخلق ليعبدوه ويؤمنوا به ويوحدوه، ويمتثلوا أمره ويجتنبوا نهيه، ويلتزموا شرعه ودينه، ويقفوا عند حدوده، ويستقيموا على شرعه ودينه، فهذا الأمر لا بد أن يكون واضحا وجليا، ولهذا فإن النصوص من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واضحة في هذا، قال الله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾ [الأنفال:٢]، ﴿الذين

يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ [الأنفال:٣].
﴿أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم﴾ [الأنفال:٤].
فبين الله سبحانه وتعالى أن من صفات المؤمنين حقا أنهم الذين توجل قلوبهم عند ذكر الله، ويزدادون إيمانا عند تلاوة آياته، ويتوكلون على الله، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، وهذه الأعمال شملت أعمال الجوارح وأعمال القلوب، فوجل القلب عند ذكر الله من أعمال القلوب، وزيادة الإيمان عند تلاوة القرآن، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فهذه أعمال، وكلها داخلة في مسمى الإيمان، ﴿أولئك هم المؤمنون حقا﴾ [الأنفال:٤]، وقال سبحانه: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾ [الحجرات:١٥]، فهؤلاء هم الصادقون في إيمانهم، آمنوا بالله وبرسوله، ولم يرتابوا ولم يشكوا، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم، فدل على أن من لم يأت بالأعمال ليس صادقا في إيمانه، فيقال: ليس بصادق الإيمان، ليس بمؤمن حقا، فالفاسق والعاصي والمرتكب للكبيرة، وإن كان داخلا في اسم الإيمان، إلا أنه لا يطلق عليه الإيمان، بل لابد من النفي، نفيا وإثباتا، فلا يقال: مؤمن بإطلاق، ولا يقال: ليس بمؤمن بإطلاق، بل لابد أن يقيد في النفي وفي الإثبات، في الإثبات تقول: مؤمن ناقص الإيمان، مؤمن ضعيف الإيمان، مؤمن فاسق بإيمانه، مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وفي النفي تقول: ليس بمؤمن حقا، ليس بصادق الإيمان؛ لأنك إذا أثبت له الإيمان قلت: هو مؤمن بإطلاق، وهو عاص يرتكب الكبائر، فقد وافقت المرجئة، وإذا قلت: ليس بمؤمن ونفيت عنه الإيمان، فقد وافقت الخوارج والمعتزلة، فلابد من التقييد في النفي والإثبات، مؤمن ناقص الإيمان، وفي النفي ليس بصادق الإيمان، قال سبحانه: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ [النساء:٦٥]، وثبت في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الإيمان بضع وسبعون شعبة)، وهذه رواية مسلم، وفي رواية البخاري: (الإيمان بضع وستون شعبة، فأعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان).
فهذا الحديث دل على أن الإيمان شعب متعددة كثيرة كلها داخلة في مسمى الإيمان، ومثل النبي صلى الله عليه وسلم لأعلاها وأدناها، فأعلاها قول: لا إله إلا الله، أي: كلمة التوحيد، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، وبين الأعلى والأدنى شعب متفاوتة منها ما يقرب من شعبة الشهادة، ومنها ما يقرب من شعبة الإماطة، والصلاة شعبة، والزكاة شعبة، والصوم شعبة، وبر الوالدين شعبة، وصلة الرحم شعبة، والأمر بالمعروف شعبة، والنهي عن المنكر شعبة، والإحسان إلى الجيران شعبة، والإحسان إلى اليتامى والأرامل والمساكين والحيوانات كلها من شعب الإيمان وهكذا.
ومثل النبي صلى الله عليه وسلم للشعبة القولية بكلمة التوحيد، والشعبة العملية بإماطة الأذى عن الطريق، والشعبة القلبية بالحياء، فدل على أن أعمال الجوارح وأعمال القلوب وأقوال اللسان كلها داخلة في المسمى، وهذا هو الذي أقره أهل السنة والجماعة، ومنهم الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد وغيرهم من أهل العلم كـ سفيان الثوري وسفيان بن عيينة وإسحاق بن راهويه، وهو الذي عليه الصحابة والتابعون والأئمة.
وفي حديث وفد عبد القيس: (لما جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: إنه يحول بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، ولا نستطيع أن نخرج إليك إلا في شهر حرام، فمرنا بأمر فصل نعمل به ونخبر به من وراءنا، فقال النبي صلى الله

عليه وسلم: آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع، آمركم بأربع: شهادة أن لا إله إلا الله، أتدرون ما شهادة أن لا إله إلا الله؟ إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تؤدوا خمس ما غنمتم)، وفي اللفظ الآخر: (آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم)، ففسر الإيمان بهذه الأمور الخمسة، بالشهادة: أي: بكلمة التوحيد، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأداء الخمس، وهذه أعمال، فدل على دخول الأعمال في مسمى الإيمان، والأدلة في هذا كثيرة، وأقوال العلماء في هذا كثيرة، كما بين أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله وبينه غيره من أهل العلم، وقد ألف أبو العباس شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كتابا في الإيمان، كتابا كبيرا وكتابا صغيرا، وكلاهما عظيم في بيان الإيمان وما يكون في مسمى الإيمان وبيان من خالفه.." (١)

"الفرق بين القول والعمل في القلب واللسان

Q ما الفرق **بين قول القلب وعمله**، وقول اللسان وعمله؟

A **قول القلب التصديق** والإقرار، وعمل القلب النية والإخلاص، والصدق والمحبة، وقول اللسان النطق، وقد يسمى قول اللسان عملا.." (٢)

"خلاصة معتقد أهل السنة في الإيمان

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [فالأمر الذي عليه السنة عندنا ما نص عليه علماؤنا مما اقتصصنا في كتابنا هذا أن الإيمان بالنية والقول والعمل جميعا، وأنه درجات بعضها فوق بعض، إلا أن أولها وأعلاها الشهادة باللسان، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي جعله فيه بضعة وسبعين جزءا، فإذا نطق بها القائل وأقر بما جاء من عند الله لزمه اسم الإيمان بالدخول فيه، لا بالاستكمال عند الله، ولا على تزكية النفوس، وكلما ازداد لله طاعة وتقوى ازداد به إيمانا].

هذه الأسطر الستة خلاصة لمعتقد أهل السنة والجماعة تكتب بماء الذهب، ولو كتبت بماء الذهب لم يكن فيها كثيرا، وفيها بيان القاعدة العظيمة عند أهل السنة والجماعة في الإيمان، فجدير بالمسلم أن يكتب هذه الأسطر في ورقة ويجعلها في جيبه دائما؛ حتى يتبين له مذهب أهل السنة والجماعة ويرد على المرجئة في هذا.

يقول المؤلف رحمه الله: [فالأمر الذي عليه السنة عندنا] يعني معشر أهل السنة والجماعة والأئمة والعلماء [ما نص عليه علماؤنا] يقول صاحب الحاشية: أي ما مضى عليه علماؤنا، يعني: ما استمروا عليه واعتقدوه وقرروه [مما اقتصصنا في كتابنا هذا] يعني: مما ذكرنا في كتابنا هذا من الأدلة والنصوص [أن الإيمان بالنية والقول والعمل جميعا] فيكون ثلاثة أجزاء: النية، والقول، والعمل، فلابد من النية في الصلاة، وفي الزكاة، وفي الصوم، وفي الحج وفي سائر العبادات؛ لحديث: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرء ما نوى)، فلا تصلح الأعمال إلا بالنية، فالنية من الإيمان، والقول يشمل قول اللسان وهو النطق، وقول القلب، وهو التصديق والإقرار، والعمل يشمل عمل القلب وعمل الجوارح، فيكون الإيمان مكونا من النية والقول والعمل.

---

(١) شرح كتاب الإيمان لأبي عبيد - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٧/١

(٢) شرح كتاب الإيمان لأبي عبيد - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ١٢/٢

فيقول الإمام أبو عبيد رحمه الله: [أن الإيمان بالنية والقول والعمل جميعا، وإنه درجات بعضها فوق بعض] خلافا للمرجئة الذين يقولون: الإيمان شيء واحد ولا يوجد درجات ولا نية ولا عمل، ولا يوجد **إلا قول القلب وتصديق** القلب فقط

قال: [وأنه درجات بعضها فوق بعض، إلا أن أولها وأعلاها] أي: أول الدرجات وأعلاها [الشهادة باللسان] وهي كلمة التوحيد؛ لأنها أصل الدين وأساس الملة، وأول درجات الإيمان وأصلها وأسها الذي تنبني عليه الأعمال، وهي الشهادة لله تعالى بالوحدانية ولنبيه بالرسالة، وجملتها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله).

قال: [كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي جعله فيه بضعة وسبعين جزءا] والضمير يعود إلى الإيمان، يشير إلى الحديث الذي في الصحيحين: (الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) فإذا نطق القائل بكلمة التوحيد، وقال: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله) وأقر بما جاء من عند الله والترم واعترف وصدق بالأوامر والنواهي [لزمه اسم الإيمان بالدخول فيه] أي أنه يسمى مؤمنا [لا بالاستكمال عند الله]، فلا نقول: إن إيمانه مستكمل حتى يمتثل الأوامر ويجتنب النواهي، [ولا على تزكية النفوس] أي: وليس له أن يقول: أنا مؤمن، فيزكي نفسه، ولكن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله أرجوه، كما قال بعض السلف، وكما سيأتي.

قال: [وكلما ازداد لله طاعة وتقوى ازداد إيمانا] أي: إذا أدى الإنسان الفرائض فهو مؤمن، لكن إذا زاد عليها السنن الرواتب والضحى، وتحية المسجد، وسنة الوضوء، وصلاة الليل، وكذلك زاد في الصيام فصام ثلاثة أيام من كل شهر، والإثنين والخميس، وتسع ذي الحجة، وستا من شوال، والتاسع والعاشر من محرم زاد تقواه وإيمانه، وكذلك الزكاة إذا أداها وتصدق من غيرها زاد إيمانه، خلافا للمرجئة الذين يقولون: الإيمان لا يزيد ولا ينقص.." (١)

"تأويل المرجئة للأدلة التي تدل على زيادة الإيمان

قال المؤلف رحمه الله: [وأما الذين رأوا الإيمان قولا ولا عمل فإنهم ذهبوا في هذه الآيات إلى أربعة أوجه: أحدها: أن قالوا: أصل الإيمان الإقرار بجمل الفرائض، مثل الصلاة والزكاة وغيرها، والزيادة بعد هذه الجمل: هو أن تؤمنوا بأن هذه الصلاة المفروضة هي خمس، وأن الظهر هي أربع ركعات والمغرب ثلاث، وعلى هذا رأوا سائر الفرائض.

والوجه الثاني: أن قالوا: أصل الإيمان: الإقرار بما جاء من عند الله، والزيادة تمكن من ذلك الإقرار.

والوجه الثالث: أن قالوا: الزيادة في الإيمان: الازدياد من اليقين والوجه الرابع: أن قالوا: إن الإيمان لا يزداد أبدا، ولكن الناس يزدادون منه].

ذكر المؤلف رحمه الله في هذا مذهب المرجئة وتأويلهم لهذه النصوص التي فيها التصريح بزيادة الإيمان، فقال: وأما الذين رأوا الإيمان قولا ولا عمل -وهم المرجئة- فقد قالوا: إن الإيمان هو قول القلب، وهو التصديق والإقرار.

وقولهم: (ولا عمل) يعني: ولا يدخل العمل في مسماه.

فقالوا: إن الإيمان **هو قول القلب وتصديقه** وإقراره بدون عمل، وذهبوا بهذه الآيات إلى أربعة أوجه، أي: تأولوا هذه الآيات الخمس الصريحة في أن الإيمان يزيد على أربعة تأويلات: التأويل الأول: قالوا: أصل الإيمان الإقرار بجمل الفرائض،

---

(١) شرح كتاب الإيمان لأبي عبيد - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٦/٥

مثل الصلاة والزكاة وغيرها فقالوا: أصل الإيمان هو: أن يقر المسلم بجمل هذه الفرائض، أي: يؤمن بها إيمانا مجملا، فيؤمن بأن الله فرض الصلاة، وفرض الزكاة وفرض الصوم وفرض الحج، ثم بعد ذلك جاءت نصوص أخرى تفصل هذه النصوص المجملة، ففصلت الصلاة، بأنها خمس صلوات مفروضة في اليوم والليلة، وبأن صلاة الظهر أربع ركعات، وصلاة العصر أربع ركعات، وصلاة المغرب ثلاث ركعات، إلى آخره.

وكذلك أيضا الزكاة جاءت النصوص بتفصيلها وبيان أنصبتها، واشتراط الحول للأموال، وما يشترط له الحول، وهكذا الصوم جاء تفصيله بأنه صوم شهر رمضان، وبأنه من طلوع الفجر إلى غروب الشمس وهكذا الحج جاء تفصيله بأنه لا يجب في العمر إلا مرة.

فتأولوا الزيادة في الإيمان على أن المراد بها تفصيل النصوص المجملة فقالوا: النصوص المجملة جاءت بوجوب الصوم والصلاة والزكاة والحج، فآمن بها المسلمون، ثم جاء تفصيلها بعد ذلك، فالتفصيل هو الزيادة، فتأولوا الزيادة على أنها هذا التفصيل.

التأويل الثاني: قالوا: إن أصل الإيمان هو: الإقرار بما جاء من عند الله والتصديق، وأما الزيادة في قوله تعالى: (ليزدادوا إيمانا) فتأولوها على أنها التمكن من ذلك الإقرار، فقالوا: معنى قوله تعالى: (ليزدادوا إيمانا) ليتمكنوا من الإقرار، ويثبت في قلوبهم ويرسخ فعلى هذا يكون الإيمان: التصديق والإقرار.

وقوله: ((ليزدادوا إيمانا)) يعني: ليتقوى الإيمان، ويرسخ ويثبت في قلوبهم.

التأويل الثالث: تأولوا الزيادة على أنها: الزيادة من اليقين فقوله تعالى: ﴿ويزداد الذين آمنوا إيمانا﴾ [المدثر:٣١] يعني: يزدادون يقينا، فالإيمان واحد والزيادة هنا المراد بها: الازدياد من اليقين، وإلا فالإيمان موجود واليقين حاصل.

التأويل الرابع: أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، ولكن الناس هم الذين يزدادون منه.

فهذه تأويلاتهم للنصوص، وسيتعقبها المؤلف رحمه الله ببيان بطلانها.." (١)

"بيان تناقض القائل بأن الإيمان قول دون العمل

قال المؤلف رحمه الله: [وزعم من خالفنا أن القول دون العمل، فهذا عندنا متناقض؛ لأنه إذا جعله قولا فقد أقر أنه عمل، وهو لا يدري بما أعلمتك من العلة الموهومة عند العرب في تسمية أفعال الجوارح عملا].

قوله: [وزعم مخالفنا] أي: المرجئة [أن الإيمان هو القول دون العمل].

ويقصدون **بالقول: قول القلب وإقراره** وتصديقه، أي: زعمت المرجئة أن الإيمان: هو تصديق القلب وإقراره، وأن العمل لا يدخل في مسماه.

يقول المؤلف رحمه الله: هذا متناقض؛ لأنه إذا جعله قولا فقد أقر أنه عمل؛ **لأن قول القلب وإقراره** وتصديقه عمل من أعمال القلب، وذلك لأن العرب تسمي أفعال الجوارح عملا، وبه استدل المؤلف رحمه الله على تسمية قول اللسان عملا، فيقول: إن المرجئة متناقضون بقولهم: إن الإيمان هو القول دون العمل؛ لأن القول الذي هو التصديق والإقرار هو عمل

(١) شرح كتاب الإيمان لأبي عبيد - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٣/٧

للقلب وقول اللسان ونطقه عمل وقد جاءت النصوص بتسمية النطق باللسان عملا، وكذلك العرب تسمي أفعال الجوارح عملا، فأفعال الجوارح تسمى عملا، وقول اللسان يسمى عملا وإقرار القلب وتصديقه يسمى عملا.." [1]

"تحذير السلف من مجالسة أهل الإرجاء

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب: ذكر ما عابت به العلماء من جعل الإيمان قولا بلا عمل، وما نهوا عنه من مجالسهم.

قال أبو عبيد: حدثنا محمد بن كثير عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي عمرو السيباني قال: قال حذيفة: (إني لأعرف أهل دينين، أهل ذينك الدينين في النار: قوم يقولون: الإيمان قول وإن زنى وإن سرق، وقوم يقولون: ما بال الصلوات الخمس؟ وإنما هما صلاتان، قال: فذكر صلاة المغرب أو العشاء وصلاة الفجر) قال: وقال ضمرة بن ربيعة يحدثه عن يحيى بن أبي عمرو السيباني عن حميد المقرائي عن حذيفة قارن حديث حذيفة هذا قد قرن الإرجاء بحجة الصلاة].

عقد المؤلف رحمه الله هذا الباب لبيان الآثار الواردة عن السلف والصحابة والتابعين فمن بعدهم في عيب المرجئة وذمهم والنهي عن مجالستهم، وهم الذين يقولون: إن الإيمان قول بلا عمل، **أي: قول القلب وتصديقه** وإقراره بلا عمل، وأن أعمال الجوارح وأعمال القلوب لا تدخل في مسمى الإيمان، ثم ذكر أثر حذيفة رضي الله عنه قال: [إني لأعرف أهل دينين أهل ذينك الدينين في النار: قوم يقولون: الإيمان قول وإن زنى وإن سرق]، يعني: المرجئة يقولون: إيمان العاصي كامل مثل إيمان المطيع، سواء بسواء.

قوله: [وقوم يقولون: ما بال الصلوات الخمس؟ وإنما هما صلاتان.

قال: فذكر صلاة المغرب أو العشاء وصلاة الفجر، قال: وقال ضمرة بن ربيعة يحدثه عن يحيى بن أبي عمرو السيباني عن حميد المقرائي عن حذيفة، قارن حديث حذيفة هذا قد قرن الإرجاء بحجة الصلاة] هذا الأثر فيه بعض السقط، لكن كأنه يقول: إن حذيفة رضي الله عنه عقد مقارنة بين المرجئة الذين يقولون: الإيمان قول بالقلب وتصديق بالقلب ولا ينقص الإيمان ولو زنى ولو سرق، وبين من يقول: الصلاة الواجبة صلاتان في اليوم والليلة لا خمس صلوات؛ وإنما هما صلاة المغرب وصلاة الفجر، أو صلاة العشاء وصلاة الفجر فقط، فهذا دليل على ذم المرجئة وعيبهم، وأن مذهبهم مذهب مذموم.

فمن أنكر وجوب الصلوات الخمس فإنه يكفر والعياذ بالله، ومن قال: لا يجب في اليوم والليلة إلا صلاتان فقد كفر، ومن قال: إن الإيمان قول والأعمال مطلوبة لا يكفر، لكنه قرن بهؤلاء في الذم.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وبذلك وصفهم ابن عمر أيضا.

قال أبو عبيد: حدثنا علي بن ثابت الجزري عن ابن أبي ليلى عن نافع عن ابن عمر قال: (صنفان ليس لهم في الإسلام نصيب: المرجئة، والقدرية)].

هذا -أيضا- فيه ذم المرجئة، والحديث موقوف على ابن عمر لكنه ضعيف؛ لأن فيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وهو ضعيف من جهة حفظه، لكن المرجئة لا شك أن مذهبهم مذموم من جهة أنه خالف النصوص، وكذلك القدرية الذين يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة لهم، ولم يقدرها الله.

---

(١) شرح كتاب الإيمان لأبي عبيد - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٣/٨

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [حدثنا أبو عبيد قال: حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن سلمة بن كهيل قال: اجتمع الضحاك وميسرة وأبو البختري فأجمعوا على أن الشهادة بدعة، والإرجاء بدعة، والبراءة بدعة].

هذا فيه ذم الشهادة والإرجاء والبراءة، وهذا الأثر يقول المحشي فيه: إسناده إلى سلمة بن كهيل صحيح، وهو من صفوة التابعين.

ف أبو البختري والضحاك وميسرة أجمعوا على بدعية هذه الأمور الثلاث: الشهادة والإرجاء والبراء، أي: الشهادة على معين من المسلمين أنه من أهل النار أو أنه كافر بدون العلم بما ختم الله له، ويحتمل أن المراد الشهادة لمؤمن معين بالجنة، إلا لمن شهدت له النصوص، فكون الإنسان يشهد على شخص معين بأنه من أهل النار بدون دليل وبدون علم بما ختم الله به بدعة، أما من علم أن الله ختم له بالنار -ك أبي جهل وأبي لهب - فإنه يشهد عليه بالنار، ويحتمل أن المراد الشهادة لمؤمن معين بالجنة، وإنما يشهد للمؤمنين بالعموم، فيقال: كل المؤمنين في الجنة، أما فلان بن فلان فلا يشهد له بالجنة، لكن نرجو للمحسن ونخاف على المسيء، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، إلا من شهدت له النصوص، كالعشرة المبشرين بالجنة، والحسن والحسين، وكذلك بلال وابن عمر، وعكاشة بن محصن.

فالقول بأن الأعمال ليست داخلة في مسمى الإيمان بدعة وإرجاء، لكن المرجئة طائفتان: الأولى: المرجئة المحضة، يقولون: الأعمال ليست من الإيمان وليست مطلوبة.

والثانية: مرجئة الفقهاء، يقولون: الأعمال مطلوبة ولكنها ليست من الإيمان.

قوله: [والبراءة بدعة] لعل المراد بالبراءة البراءة من أبي بكر وعمر كما تقول الروافض، يقولون: لا ولاء إلا بالبراء.

أي: لا يتولى أهل البيت إلا بالبراءة من أبي بكر وعمر، فعندهم لا يتولى المرء عليا إلا إذا تبرأ من أبي بكر وعمر، وهذا باطل، بل أهل السنة يتولون الجميع، يتولون أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وأهل البيت جميعا، وينزلونهم منازلهم التي أنزلهم الله إياها بالإنصاف والعدل لا بالهوى والتعصب، فقول الروافض: لا ولاء إلا بالبراء، ولا يتولى أحد أهل البيت ولا يتولى أحد عليا إلا بالبراءة من أبي بكر وعمر بدعة وباطل.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [قال أبو عبيد: حدثنا محمد بن كثير عن الأوزاعي عن الزهري قال: ما ابتدعت في الإسلام بدعة أعز على أهلها من هذا الإرجاء].

هذا فيه ذم الإرجاء؛ لأنه سمي بدعة.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [قال أبو عبيد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن مهدي بن ميمون عن الوليد بن مسلم قال: دخل فلان -قد سماه إسماعيل، ولكن تركت اسمه أنا- على جندب بن عبد الله البجلي فسأله عن آية من القرآن فقال: أحرج عليك إن كنت مسلما لما قمت، أو قال: أن تجالسني.

أو نحو هذا القول].

هذا فيه ذم المرجئة، وأن جندب بن عبد الله الصحابي الجليل لما دخل عليه هذا المرجئ وسأله عن آية قال: أحرج عليك إن كنت مسلما لما قمت من مجلسي، فنهاه عن مجالسته، وهذا فيه ذم المرجئة وأن العلماء من الصحابة والتابعين يعيبونهم ويذمونهم وينهون عن مجالستهم.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [قال أبو عبيد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب قال: قال لي سعيد بن جبير غير سائله ولا ذاكرا له شيئا: لا تجالس فلانا، وسماه أيضا فقال: إنه كان يرى هذا الرأي].

يعني: يرى هذا الرأي الذي هو الإرجاء، فنهى عن مجالسته، وهذا فيه دليل على أن العلماء ينهون عن مجالسة المرجئة ويذمونهم.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [والحديث في مجانبة الأهواء كثير، ولكنا إنما قصدنا في كتابنا لهؤلاء خاصة].

يعني: الأحاديث والآثار في النهي عن مجالسة أهل البدع وذمهم كثيرة، لكن المقصود في كتابنا هذا النهي عن مجالسة المرجئة خاصة، أما النهي عن بقية أهل البدع كالخوارج والمعتزلة والجهمية وغيرهم من أهل البدع فالنصوص والآثار عن الصحابة والتابعين كثيرة في ذلك.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وعلى مثل هذا القول كان سفيان والأوزاعي ومالك بن أنس ومن بعدهم من أرباب العلم وأهل السنة، الذين كانوا مصابيح الأرض وأئمة العلم في دهرهم من أهل العراق والحجاز والشام وغيرها، زارين على أهل البدع كلها، ويرون الإيمان قولا وعملا].

يعني أن الأئمة والعلماء من الصحابة والتابعين كلهم كانوا يذمون أهل البدع وينهون عن مجالستهم ويعيبونهم، منهم سفيان والأوزاعي ومالك بن أنس من أهل العلم وأرباب العلم من أهل السنة الذين هم مصابيح الأرض وأئمة العلم من أهل العراق والحجاز، فهؤلاء كلهم ينهون عن مجالسة أهل البدع ويذمونهم، ويرون أن الإيمان قول وعمل خلافا للمرجئة الذين يرون أن الإيمان قول بلا عمل.." (١)

"قواعد في الإيمان والكفر

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم وآله، ورضي الله عن صحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد: يقول المؤلف حفظه الله تعالى: [رابعا: الإيمان: أولا: الإيمان لغة: التصديق، وفي الشرع: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، **فهو قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، فقول القلب اعتقاده وتصديقه، وقول اللسان إقراره، وعمل القلب تسليمه وإخلاصه وإذعانه وحبه وإرادته للأعمال الصالحة، وعمل الجوارح: فعل المأمورات وترك المنهيات].

موضوع الإيمان من أهم المواضيع التي يجب أن يعنى بها كل مسلم؛ لأنه ينبني عليها دينه، والإيمان له مفهوم لغوي عام، وله مفهوم شرعي اصطلاحي، وهو المقصود بإطلاق الإيمان في الكتاب والسنة.." (٢)

"شرح مختصر الصارم المسلول على شاتم الرسول - بيان ما يتضمنه الكتاب مع بيان حكم من سب النبي

إن تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم واحترامه وتوفيره يعتبر من أصول الإيمان، وبالعكس فإن الاستهزاء والسب له صلى

---

(١) شرح كتاب الإيمان لأبي عبيد - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٢/١٠

(٢) مجمل أصول أهل السنة، ناصر العقل ٢/٨

الله عليه وسلم أو لأزواجه يعتبر كفرا مخرجا من الملة؛ لأن سبه صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به يدل على عدم احترامه وإكرامه، وهذا يعني أن عمل القلب غير موجود، فمن زعم الإيمان بسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو منافق معلوم النفاق؛ لأن أركان الإيمان عند أهل السنة والجماعة **هي: قول القلب وقول** اللسان، وعمل القلب وعمل الجوارح، فمن فقد أحد هذه الأركان فإن إيمانه غير صحيح.." (١)

"قول القلب وقول اللسان

والإيمان قول وعمل ونية، والقول قولان: قول اللسان وقول القلب، والعمل عملان: عمل القلب وعمل الجوارح، أما قول اللسان فإنه لا يدخل أحد الإسلام وهو يستطيع أن يتكلم بكلمة الإيمان إلا أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ولو اعتقد اعتقادا جازما بأن الخالق الرازق المدبر هو الله، وأن المستحق للإفراد بالعبادة هو الله، ولو اعتقد اعتقادا جازما بأن النبي صلى الله عليه وسلم هو الرسول الحق وأنه الصادق المصدوق، ولم ينطق بلسانه، فإنه لا يدخل الإسلام، ولا يمكن أن يحكم له بإسلام قط، فقد قال الله تعالى: ((قولوا آمنا بالله﴾ [البقرة:١٣٦]، والقول يكون باللسان، والنبي صلى الله عليه وسلم -كما في الصحيحين- يقول: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا)، وفي الرواية الأخرى: (حتى يقولوا: لا إله إلا الله وأني رسول الله).

وفي الصحيح أيضا: (لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم على عمه أبي طالب وعنده أبو جهل وعبد الله بن ربيعة قال له: يا عم! قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله).

ووجه الدلالة على أن القول ركن من أركان الإيمان: أن أبا طالب كان مصدقا أن ابن أخيه كان على الحق، وأن دينه هو الدين الحق، ولكن سبب عدم إيمانه به هو مخافة المهانة بين الناس، وأن يقولوا: ترك دين عبد المطلب وأخذ بدين ابن أخيه. فهذا التصديق الذي كان عند أبي طالب لا ينفعه يوم القيامة بين يدي الله سبحانه وتعالى؛ لأنه امتنع عن التلفظ بالشهادة مع قدرته على ذلك، فليس له حجة عند الله سبحانه وتعالى، ولذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قل لا إله إلا الله قال كلمة أحاج لك بها عند الله)، يعني: ليس لك حجة عند الله إذا لم تتلفظ بهذه الكلمة.

أما قول القلب فهو: التصديق، وغلاة الجهمية والمرجئة حصروا الإيمان في التصديق بالقلب، ونحن **نقول: قول القلب هو** التصديق، قال الله تعالى: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به﴾ [الزمر:٣٣] وقال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ [الحجرات:١٥] أي: لم يشكوا.

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (من قال لا إله إلا الله صادقا بها قلبه دخل الجنة)، فقول القلب هو التصديق، وهذا هو أصل الإيمان.." (٢)

"(قول باللسان) زاد في ((الواسطية)) شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله **تعالى: قول القلب واللسان**. قول اللسان مر معنا واضح **هذا، قول القلب هل** القلب له قول؟ المراد بقول القلب هو اعترافه وتصديقه، وعمله عبارة عن تحركه

---

(١) شرح مختصر الصارم المسلول - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٣/١

(٢) شرح مختصر الصارم المسلول - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٣/٧

وإرادته كالإخلاص ونحوه، حينئذ القلب يكون له قول ويكون له عمل، المراد **بالقول قول القلب التصديق**، والمراد بعمل القلب حركته، لأن الإخلاص عمل، زيادة على مجرد التصديق والقبول والتسليم، وكذلك حركة القلب بالخوف وهو الذعر أو التوكل وهو الاعتماد والثقة، هذه كلها حركات قلبية وهي عمل، إذا إذا زيد في كلام **السلف قول القلب وعمل** القلب، فالمراد بقول القلب هو اعترافه وتصديقه، والمراد بعمل القلب هو حركته إرادته كالإخلاص والتوكل ونحو ذلك، فزاد على المصنف هنا قول القلب، وكذلك عمل القلب واللسان، عمل القلب واضح الإخلاص، وأما عمل اللسان، هل اللسان له عمل؟ عندنا قول اللسان وعمل اللسان، المراد بقول اللسان النطق التلفظ، وعمل اللسان حركته إذا زيدت هذه العبارة فالمراد به تحرك اللسان كونه يطبق على المخارج مثلا نقول: هذه حركة اللسان فهي المراد بالعمل، ويسمى في الشرع كذلك قول اللسان فعل يطلق على أنه فعل ﴿زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه﴾ [الأنعام: ١١٢]، أي: ما قالوه، فأطلق على القول بأنه فعل يسمى في اللغة كذلك، فزاد على المصنف عمل اللسان، قول اللسان هو النطق وهذا واضح، وعمل اللسان هو حركاته، والنطق ناشئ عنه، فالإيمان الشرعي يشتمل على هذه الأركان الثلاثة، وحكى الشافعي الإمام الشافعي رحمه الله تعالى على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم، ولو حكى الشافعي رحمه الله تعالى الإجماع على مسألة من مسائل الفروع لجعل هذا الإجماع حجة، وكل من خالف قيل أجمع السلف على كذا وحكاه الشافعي، ولكن تجدهم هنا في هذا الموضع لا يلتفتون إلى إجماع السلف الذي حكاه الشافعي، وهذا يدل على أن المسألة مبنية على أو مبنية على هواه، إذا حكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم، وذكر المصنف دليلين على أن الإيمان هو هذه الأركان الثلاثة من الكتاب والسنة، فأما الكتاب فهو قوله تعالى: (﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾ [البينة: ٥]). قال: (فجعل).دد." (١)

"المبحث الحادي عشر: مذهب أهل السنة في الإيمان والدين

الدين والإيمان عند أهل السنة هو: قول، وعمل، واعتقاد. قول بالقلب واللسان، وعمل بالقلب واللسان، والجوارح. وأنّ الإيمان يزيد بالطاعة وينقص **بالمعصية. قول القلب تصديقه** وإيقانه، وقول اللسان: النطق بالشهادتين والإقرار بلوازمهما، وعمل القلب: النّيّة، والإخلاص والمحبة، والانقياد والإقبال على الله، والتوكل عليه، ولوازم ذلك وتوابعه، وكل ما هو من أعمال القلوب. وعمل اللِّسان: هو ما لا يُؤدَّى إلا به كتلاوة القرآن، وسائر الأذكار من التسبيح، والتحميد، والتكبير، والدعاء، والاستغفار، وغير ذلك. وعمل الجوارح هو ما لا يُؤدَّى إلا بها مثل القيام، والركوع، والسجود، والمشي في مرضاة الله، والأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر (١).

وأما زيادة الإيمان ونقصانه؛ فلقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ (٢)، وقوله – صلى الله عليه وسلم –: ((يخرج من النار من قال لا إله إلاّ الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة)) (٣).

ومن الأدلة لزيادة الإيمان ونقصانه أن الله قسّم المؤمنين ثلاثة أقسام، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ

(١) شرح لمعة الاعتقاد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٠/١٤

(١) معارج القبول، ٢/ ١٧.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، برقم ٤٤، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم ١٩٣/ ٣٢٥.." [١]

"[مذاهب الفِرَقِ في مسمى الإيمان]

وقوله: (والإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان).

هذا هو تعريف الإيمان عند مرجئة الفقهاء، وهو يقتضي أن أعمال الجوارح كلها ليست من الإيمان؛ بل وأعمال القلوب. وهو خلاف ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وأجمع عليه سلف الأمة: أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، أو هو: قول **وعمل، قول القلب وهو**: اعتقاده، وقول اللسان: وهو إقراره، وعمل: وهو عمل القلب، وعمل الجوارح، فالإيمان يشمل كل هذه الجوانب، وهذا هو الذي دلت عليه النصوص، قال الله تعالى: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)) [الأنفال: ٢]، وقال الله في الصلاة التي صلاها المسلمون إلى بيت المقدس ومات من مات قبل نسخ القبلة: ((وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ)) [البقرة: ١٤٣] إي: صلاتكم إلى بيت المقدس، وعقد البخاري ـ رحمه الله ـ أبوابا عديدة في كتاب الإيمان تَرْجم بها لمختلف الأعمال: باب: الجهاد من الإيمان، (١) باب: صوم رمضان احتسابا من الإيمان، ... (٢) باب: اتباع الجنائز من الإيمان، (٣) باب: أداء الخمس من الإيمان (٤)، ومن الأحاديث الجامعة قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: (الإيمان بضع وسبعون أو بضع

(١) ١/ ١٦.

(٢) ١/ ١٦.

(٣) ١/ ١٨.

(٤) ١/ ٢٠.." [٢]

"[الإيمان بالأصول الخمسة، وتفصيل الإيمان باليوم الآخر]

وقوله: (والإيمان: هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر).

فسر الطحاوي الإيمان في هذا الموضع بما فسره به النبي – صلى الله عليه وسلم –، في حديث جبريل (١)، فهذه الأصول الستة هي: أركان الإيمان، أو أصوله، أو أصول الاعتقاد: الإيمان بالله، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب، والإيمان بالرسل، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر، وهذا هو الإيمان بالمعنى الخاص، فإن الإيمان يُطلق إطلاقين:

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/٥٢

(٢) شرح العقيدة الطحاوية للبراك، عبد الرحمن بن ناصر البراك ص/٢٢٧

إطلاقا عاما يشمل جميع أمور الدين العلمية والعملية، فهو اعتقاد، وقول، **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح.

ويطلق إطلاقا خاصا ويراد به هذا الأصول الستة.

وهذا هو ما يفسر به الإيمان إذا قرن بالإسلام، كما في حديث جبريل حينما سأله عن الإسلام، ثم سأله عن الإيمان، ففسر الإسلام بمبانيه الخمس، وفسر الإيمان بأصوله الست، وقال الطحاوي فيما تقدم: (الإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان) (٢)، وهنا قال: (الإيمان هو الإيمان بالله ...) فيما تقدم أراد أن يبين مسمى الإيمان،

---

(١) تقدم تخريجه في ص ٢٠١.

(٢) ص ٢٢٧.." [(١)]

"* نفي الإيمان عن مرتكب الكبيرة، وخلوده في النار مع الكافرين.

ووقع الخلاف بينهم في موضعين:

* الخوارج سموه في الدنيا كافرا، والمعتزلة قالوا في منزلة بين المنزلتين: فهو خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر.

والخوارج استحلوا دمه وماله والمعتزلة لم يستحلوا ذلك.

٣ - المرجئة قالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فهم يقولون: إن الإيمان مجرد التصديق بالقلب فمرتكب الكبيرة عندهم كامل الإيمان ولا يستحق دخول النار، وهذا يبين أن إيمان أفسق الناس عندهم كإيمان أكمل الناس.

٤ - الجهمية وافقوا المرجئة في ذلك تماما، فالجهم قد ابتدع التعطيل، والجبر، والإرجاء كما قال ابن القيم رحمه الله.

٥ - أما أهل السنة فوفقهم الله للوسطية بين هذين المذهبين الباطلين فقالوا: الإيمان قول **وعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فقول القلب تصديقه وإيقانه، وقول اللسان النطق بالشهادتين والإقرار بلوزامها، وعمل القلب: النية، والإخلاص، والمحبة، والانقياد، والإقبال على الله - عز وجل -، والتوكل عليه، ولوازم ذلك وتوابعه، وكل ما هو من أعمال القلوب، وعمل اللسان، ما لا يؤدى إلا به: كتلاوة القرآن، وسائر الأذكار، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله - عز وجل -، وغير ذلك، وعمل الجوارح: القيام بالمأمورات، واجتناب المنهيات، ومن ذلك." [(٢)]

"المحسنين، ولا يظلم مثقال ذرة: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ (١).

المبحث الحادي عشر: مذهب أهل السنة في الإيمان والدين

الدين والإيمان عند أهل السنة هو: قول، وعمل، واعتقاد. قول بالقلب واللسان، وعمل بالقلب واللسان، والجوارح. وأن

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية للبراك، عبد الرحمن بن ناصر البراك ص/٢٣٩

(٢) عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ١/ ١٤٤

الإيمان يزيد بالطاعة وينقص **بالمعصية. قول القلب تصديقه** وإيقانه، وقول اللسان: النطق بالشهادتين والإقرار بلوازمهما، وعمل القلب: النية، والإخلاص والمحبة، والانقياد والإقبال على الله، والتوكل عليه، ولوازم ذلك وتوابعه، وكل ما هو من أعمال القلوب. وعمل اللسان: هو ما لا يؤدى إلا به كتلاوة القرآن، وسائر الأذكار من التسبيح، والتحميد، والتكبير، والدعاء، والاستغفار، وغير ذلك. وعمل الجوارح هو ما لا يؤدى إلا بها مثل القيام، والركوع، والسجود، والمشي في مرضاة الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر (٢).

وأما زيادة الإيمان ونقصانه؛ فلقوله تعالى: ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا﴾ (٣)، وقوله – صلى الله عليه وسلم –: ((يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة)) (٤).

---

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ – ٨.

(٢) معارج القبول، ٢/ ١٧.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، برقم ٤٤، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم ١٩٣/ ٣٢٥.." [1]

"وحقيقة الإيمان: أنه مركب من قول **وعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب، واللسان، والجوارح. فهذه أربعة أمور جامعة لأمور دين الإسلام:

الأول: قول القلب: وهو تصديقه، وإيقانه، واعتقاده.

الثاني: قول اللسان: وهو النطق بالشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، والإقرار بلوازمها.

الثالث: عمل القلب: وهو النية، والإخلاص، والمحبة، والانقياد، والإقبال على الله – عز وجل –، والتوكل عليه، ولوازم ذلك وتوابعه.

الرابع: عمل اللسان والجوارح: فعمل اللسان ما لا يؤدى إلا به: كتلاوة القرآن، وسائر الأذكار، والدعاء، والاستغفار، وغير ذلك. وعمل الجوارح ما لا يؤدى إلا بها، مثل: القيام، والركوع، والسجود، والمشي في مرضاة الله، كنقل الخطا إلى المساجد، وإلى الحج، والجهاد في سبيل الله – عز وجل –، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك مما يشمله حديث شعب الإيمان (١).

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: ((الإيمان ... التصديق الجازم، والاعتراف التام بجميع ما أمر الله ورسوله بالإيمان به،

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، ص٣٧٣، ومعارج القبول شرح سلم الوصول إلى علم الأصول في

---

(١) عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ١/١٩٣

التوحيد، للشيخ حافظ الحكمي، ٢/ ٥٨٧ - ٥٩١، وأصول وضوابط في التكفير، للعلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ص ٣٤، وكتاب الإيمان لابن منده، ١/ ٣٠٠، ٣٤١.." [١]

"والانقياد ظاهرا وباطنا، فهو تصديق القلب، واعتقاده المتضمن لأعمال القلوب، وأعمال البدن، وذلك شامل للقيام بالدين كله؛ ولهذا كان الأئمة والسلف يقولون: **الإيمان: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، وهو: قول، وعمل، واعتقاد، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، فهو يشمل عقائد الإيمان، وأخلاقه، وأعماله)) (١).

ثانيا: الفرق بين الإيمان والإسلام:

في الشرع: أن الإيمان على حالتين:

الحالة الأولى: أن يطلق الإيمان على الإفراد غير مقترن بذكر الإسلام، فحينئذ يراد به الدين كله، كقوله - عز وجل -: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ (٢)، وهذا المعنى هو الذي قصده السلف بقولهم رحمهم الله: ((إن الإيمان اعتقاد، وقول، وعمل، وإن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان)).

والحالة الثانية: أن يطلق الإيمان مقرونا بالإسلام، وحينئذ يفسر الإيمان بالاعتقادات الباطنة: كالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، كقوله - عز وجل -: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ (٣).

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، ص٩، وانظر: كتاب الإيمان لابن منده، ١/ ٣٤١، وفتاوى ابن تيمية، ٧/ ٥٠٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٣) سورة النساء، الآية:٥٧.." [٢]

"كلها من شعب الإيمان، ولا يسوى بينهما في الأسماء والأحكام.

وفرق بين من أشرك بالله أو استهان بالمصحف وبين من يسرق ويزني، أو يشرب الخمر، فمن سوى بين شعب الكفر في ذلك فهو مخالف للكتاب والسنة، خارج عن سبيل سلف الأمة، داخل في عموم أهل البدع والأهواء.

٣ - إن الإيمان مركب من قول **وعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، هذه أربعة أمور جامعة لأمور الإسلام:

الأول: قول القلب: وهو تصديقه وإيقانه واعتقاده.

الثاني: قول اللسان: وهو النطق بالشهادتين، والإقرار بلوازمهما.

الثالث: عمل القلب: وهو النية والإخلاص والمحبة والانقياد، والإقبال على الله - عز وجل -، والتوكل عليه، ولوازم ذلك وتوابعه.

---

(١) عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ٦٤١/٢

(٢) عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ٦٤٢/٢

الرابع: عمل اللسان والجوارح: فعمل اللسان ما لا يؤدى إلا به: كتلاوة القرآن، وسائر الأذكار والدعاء والاستغفار وغير ذلك، وعمل الجوارح ما لا يؤدى إلا بها مثل: القيام، والركوع، والسجود، والمشي في مرضاة الله، كنقل الخطى إلى المساجد، وإلى الحج والجهاد في سبيل الله تعالى ... وغير ذلك (١).

فإذا زال تصديق القلب ورضاه ومحبته لله زال الإيمان.

(١) انظر: أصول وضوابط في التكفير، ص٣٤، ومعارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، للشيخ حافظ الحكمي رحمه الله، ٢/ ٥٨٨ - ٥٩١.." [1]

"فقالوا: الإيمان قول **وعمل: قول القلب واللِّسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فقول القلب تصديقه وإيقانه، وقول اللسان النطق بالشهادتين والإقرار بلوزامها، وعمل القلب: النّيّة، والإخلاص، والمحبة، والانقياد، والإقبال على الله - عز وجل -، والتوكل عليه، ولوازم ذلك وتوابعه، وكل ما هو من أعمال القلوب، وعمل اللسان، ما لا يُؤدَّى إلا به: كتلاوة القرآن، وسائر الأذكار، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله - عز وجل -، وغير ذلك، وعمل الجوارح: القيام بالمأمورات، واجتناب المنهيات، ومن ذلك الركوع والسجود وغير ذلك.

فمرتكب الكبيرة عند أهل السنة مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا ينفون عنه الإيمان أصلاً كالخوارج والمعتزلة، ولا يقولون: بأنه كامل الإيمان كالمرجئة والجهمية، أما حُكْمُهُ في الآخرة فهو تحت مشيئة الله - عز وجل - إن شاء أدخله الجنة من أول وهلةٍ رحمةً منه وفضلاً وإن شاء عذبه بقدر معصيته عدلاً منه سبحانه ثم يخرجه بعد التطهير ويدخله الجنة. هذا إن لم يأتِ بناقض من نواقض الإسلام (١).

خامساً: أهل السُّنّة وسط في أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين الروافض والخوارج: الرافضة غلوا في علي - رضي الله عنه - وأهل البيت، ونصبوا العداوة لجمهور الصحابة كالثلاثة، وكفَّروهم ومن والاهم، وكفَّروا من قاتل

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية، للهراس، ص١٣١، والكواشف الجلية عن معاني الواسطية، ص٥٠٢، وشرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، بقلم الكاتب، ص٥٣ - ٥٦.." [2]

"حقيقة الإسلام والكفر:

يقول ابن القيم رحمه الله (الكفر والإيمان متقابلان، إذا زال أحدهما خلفه الآخر، ولما كان الإيمان أصلاً له شعب متعددة، وكل شعبة منها تسمى إيماناً: فالصلاة من الإيمان، وكذلك الزكاة والحج والصيام، والأعمال الباطنة كالحياء، والتوكل، والخشية من الله، والإنابة إليه، حتى تنتهي هذه الشعب إلى إماطة الأذى عن الطريق فإنه شعبة من شعب الإيمان.

(١) عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ٧٩٧/٢

(٢) بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ولزوم اتباعها في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/٣٣

وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادتين، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً، منها

ما يلحق بشعبة الشهادة ويكون إليها أقرب، ومنها ما يلحق بشعبة إماطة الأذى ويكون إليها أقرب. وكذلك الكفر ذو أصل وشعب، فكما أن شعب الإيمان إيمان فشعب الكفر كفر ، والحياء شعبة من الإيمان، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر، والصدق شعبة من شعب الإيمان، والكذب شعبة من شعب الكفر، والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الإيمان وتركها من شعب الكفر والحكم بما أنزل الله من شعب الإيمان، والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر، والمعاصي كلها من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان.

وشعب الإيمان قسمان: قولية وفعلية، وكذلك شعب الكفر نوعان: قولية وفعلية. ومن شعب الإيمان القولية شعب يوجب زوالها زوال الإيمان، فكذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوالها زوال الإيمان، وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية ، فكما يكفر بالإتيان بكلمة الكفر اختياراً — وهي شعبة من شعب الكفر — فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف، فهذا أصل.

وها هنا أصل آخر: وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل، والقول قسمان: قول القلب: هو الاعتقاد. وقول اللسان: وهو التكلم بكلمة الإسلام.

والعمل قسمان: عمل، وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح. فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله ، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة، وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق: فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة فأهل السنة: مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب وهو محبته وانقياده، كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول، بل ويقرون به سراً وجهراً ويقولون: ليس بكاذب ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به.

وإذا كان الإيمان يزول بزوال عمل القلب فغير مستنكر أن يزول بزوال أعظم أعمال الجوارح ولا سيما إذا كان ملزوماً لعدم محبة القلب وانقياده، والذي

هو ملزم لعدم التصديق الجازم كما تقدم تقريره، فإنه يلزم من عدم طاعة القلب عدم طاعة الجوارح، إذ لو أطاع وانقاد أطاعت الجوارح وانقادت، ويلزم من عدم طاعته وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة، وهو حقيقة الإيمان، فإن الإيمان ليس مجرد التصديق —كما تقدم — وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد وهكذا الهدى ليس هو مجرد معرفة الحق وتبيينه، بل هو معرفته المستلزمة لاتباعه والعمل بموجبه، وإن سمي الأول هدى فليس هو الهدى التام المستلزم للاهتداء، كما أن." (١)

"– وقال: وأما 'الإيمان بالرسول' فهو المهم، إذ لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان به، ولا تحصل النجاة والسعادة بدونه، إذ هو الطريق إلى الله سبحانه؛ ولهذا كان ركنا الإسلام: 'أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله'.

---

(١) الولاء والبراء والعداء في الإسلام، أبو فيصل البدراني ص/١١

ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار، لا مجرد التصديق. والإقرار **ضمن قول القلب الذي** هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد- تصديق الرسول فيما أخبر، والانقياد له فيما أمر، كما أن الإقرار بالله هو الاعتراف به والعبادة له؛ فالنفاق يقع كثيرا في حق الرسول، وهو أكثر ما ذكره الله في القرآن من نفاق المنافقين في حياته. والكفر: هو عدم الإيمان، سواء كان معه تكذيب أو استكبار، أو إباء أو إعراض؛ فمن لم يحصل في قلبه التصديق والانقياد فهو كافر. ثم هنا "نفاقان": نفاق لأهل العلم والكلام، ونفاق لأهل العمل والعبادة-.

فأما النفاق المحض الذي لا ريب في كفر صاحبه: فأن لا يرى وجوب تصديق الرسول فيما أخبر به، ولا وجوب طاعته فيما أمر به، وإن اعتقد مع ذلك أن الرسول عظيم القدر -علما وعملا- وأنه يجوز تصديقه وطاعته؛ لكنه يقول: إنه لا يضر اختلاف الملل إذا كان المعبود واحدا، ويرى أنه تحصل النجاة والسعادة بمتابعة الرسول وبغير متابعته؛ إما بطريق الفلسفة والصبو، أو بطريق التهود والتنصر، كما هو قول الصابئة الفلاسفة في هذه المسألة وفي غيرها؛ فإنهم وإن صدقوه وأطاعوه فإنهم لا يعتقدون وجوب ذلك على جميع أهل الأرض؛ بحيث يكون التارك لتصديقه وطاعته معذبا؛ بل يرون ذلك مثل التمسك بمذهب إمام أو طريقة شيخ أو طاعة ملك؛ وهذا." (١)

"- وقال: فالطاعن في شيء من حكمه أو قسمه -كالخوارج- طاعن في كتاب الله مخالف لسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، مفارق لجماعة المسلمين، وكان شيطان الخوارج مقموعا لما كان المسلمون مجتمعين في عهد الخلفاء الثلاثة: أبي بكر وعمر وعثمان، فلما افترقت الأمة في خلافة علي رضي الله عنه، وجد شيطان الخوارج موضع الخروج، فخرجوا وكفروا عليا ومعاوية ومن والاهما، فقاتلهم أولى الطائفتين بالحق علي بن أبي طالب، كما ثبت في الصحيح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «تمرق مارقة على حين فرقة من الناس، تقتلهم أولى الطائفتين بالحق» (١).اهـ (٢)

- قال: والخوارج إنما تأولوا آيات من القرآن على ما اعتقدوه، وجعلوا من خالف ذلك كافرا؛ لاعتقادهم أنه خالف القرآن، فمن ابتدع أقوالا ليس لها أصل في القرآن، وجعل من خالفها كافرا، كان قوله شرا من قول الخوارج. (٣)

- وقال: ومن أصول أهل السنة: أن الدين والإيمان قول **وعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر، كما يفعله الخوارج. (٤)

- وقال: والخوارج المارقون الذين أمر النبي بقتالهم، قاتلهم أمير المؤمنين

---

(١) أحمد (٣/ ٣٢،٩٧) ومسلم (٢/ ١٠٦٥/٧٤٥ (١٥٠)) وأبو داود (٥/ ٤٦٦٧/٥٠).

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ٨٨ – ٨٩).

---

(١) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٧٥/٨

(٣) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٦٤).

(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥١).." [(١)]

"السلطان بأمر هو لله معصية فليس لك أن تطيعه البتة، وليس لك أن تخرج عليه. (١)

موقفه من المرجئة:

- قال رحمه الله: **والإيمان قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، مطابقا للكتاب والسنة والنية لقوله - صلى الله عليه وسلم -: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» (٢).

والإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، قال الله تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم﴾ (٤) وقال تعالى: ﴿ويزداد الذين آمنوا إيمانا﴾ (٥). وفي الحديث: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» (٦). فجعل القول والعمل جميعا من الإيمان. (٧)

- وقال أيضا: والاستثناء في الإيمان جائز غير أن لا يكون للشك، بل هي سنة ماضية عند العلماء، ولو سئل الرجل أمؤمن أنت؟ فإنه يقول: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى، أو مؤمن أرجو الله، أو يقول آمنت بالله وملائكته

---

(١) قطف الثمر (١٣٢ - ١٣٣).

(٢) تقدم تخريجه ضمن مواقف الشافعي سنة (٢٠٤هـ).

(٣) التوبة الآية (١٢٤).

(٤) الفتح الآية (٤).

(٥) المدثر الآية (٣١).

(٦) تقدم تخريجه ضمن مواقف أبي إسحاق الفزاري سنة (١٨٦هـ).

(٧) قطف الثمر (ص.٨٠).." [(٢)]

"الإيمان قول وعمل يزيد وينقص

قال رحمه الله تعالى: [والإيمان بأن الإيمان قول وعمل، وعمل وقول ونية وإصابة، يزيد وينقص، يزيد ما شاء الله، وينقص حتى لا يبقى منه شيء].

يبدو لي أن هذا من باب تنويع العبارة لتأكيدها قوله: (الإيمان بأن الإيمان قول) المقصود **به قول القلب وقول** اللسان، فاللسان معبر عن القلب.

(وعمل) يعني: عمل القلب وعمل الجوارح لا عمل الجوارح فقط؛ فعمل القلب هو المتمثل بالمحبة والرجاء والخوف واليقين

---

(١) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ١٤٥/٨

(٢) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ١٥٦/٩

والإنابة والتوكل، هذه كلها تسمى أعمال القلوب، فدخلت في العمل، وهي تزيد وتنقص، وكذلك عمل الجوارح يسمى عملا، وأعمال الجوارح تزيد وتنقص، فيبدو لي أن التقديم والتأخير هنا لإحكام المسألة.

ثم قال بعد ذلك: و (نية) والمقصود بالنية الإخلاص، لأن النية هنا موجهة إلى العمل المطلوب، والصحيح أن: (لكل امرئ ما نوى)، فمن نوى وجه الله عز وجل فله ذلك، ومن نوى غير وجه الله خسر دينه وإن كسب ما ينويه من أمور الدنيا، لكن المقصود هنا النية الخالصة، وذلك أن الإيمان لا يصح إلا بالإخلاص، فكما أنه قول وعمل فهو كذلك إخلاص لله عز وجل.

قوله: (وإصابة) أي: موافقة للسنة، وهي أيضا من شرائط صحة الإيمان.

ثم قال: (يزيد وينقص) أي: كل ذلك يزيد **وينقص قول القلب عمل** القلب وعمل الجوارح، فالزيادة والنقصان تشمل جميع هذه الأقوال.

كذلك النية، النية قد تكون خالصة وقد تكون مشوبة، فالنية الخالصة يزيد بها الإيمان والنية المشوبة ينقص بها الإيمان، وكذلك الإصابة الكاملة يكمل بها الإيمان، والإصابة المشوبة التي فيها شيء من الجهل أو نحو ذلك، أو الإصابة التي تكون خاطئة لكنها عن اجتهاد قد ينقص بها الإيمان، وليس كمالها ككمال الإصابة الكاملة.

إذا: كل هذه الأمور تعتبر من الإيمان، وكل ذلك يزيد ما شاء الله، وينقص حتى لا يبقى منه شيء، فيزيد بقدر ما يسدد الله العبد من أعمال الآخرة والنيات والصدق والإخلاص في الأعمال الظاهرة.

قوله: (وينقص) أي: الإيمان (حتى لا يبقى منه شيء) أي: في حالة ما إذا خرج الإنسان من الإيمان بالكلية نسأل الله العافية، وهي الردة أو النفاق الخالص أو الشرك، فهذه لا يبقى معها من الإيمان شيء.

وكذلك قد لا يبقى من أثر الإيمان شيء في لحظات كما فسره بعض السلف في حديث: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)، قال بعضهم: لا يبقى عنده من الإيمان شيء إلا الأصل، لكن ثمرة الإيمان تنمحي في ذلك الوقت من المؤمن.." (١)

"المبحث الأول: نور الإيمان

المطلب الأول: مفهوم الإيمان

أولاً: مفهوم الإيمان: لغةً واصطلاحاً:

الإيمان لغةً: التصديق، قال إخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا﴾ (١) أي بمصدّق لنا.

وحقيقة الإيمان: أنه مُركّب من قولٍ **وعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب، واللسان، والجوارح. فهذه أربعة أمور جامعة لأمور دين الإسلام:

الأول: قول القلب: وهو تصديقه، وإيقانه، واعتقاده.

الثاني: قول اللسان: وهو النطق بالشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإقرار بلوازمها.

---

(١) التعليق على شرح السنة للبربهاري – ناصر العقل، ناصر العقل ٤/٣

الثالث: عمل القلب: وهو النيّة، والإخلاص، والمحبّة، والانقياد، والإقبال على الله – عز وجل –، والتوكل عليه، ولوازم ذلك وتوابعه.

الرابع: عمل اللسان والجوارح: فعمل اللسان ما لا يؤدَّى إلا به: كتلاوة القرآن، وسائر الأذكار، والدعاء، والاستغفار، وغير ذلك. وعمل الجوارح ما لا يؤدَّى إلا بها، مثل: القيام، والركوع، والسجود، والمشي في مرضاة الله، كنقل الخطا إلى المساجد، وإلى الحج، والجهاد في سبيل الله – عز وجل –، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك مما يشمله

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٧.." [1]

"حديث شعب الإيمان (١).

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: ((الإيمان ... التصديق الجازم، والاعتراف التام بجميع ما أمر الله ورسوله بالإيمان به، والانقياد ظاهراً وباطناً، فهو تصديق القلب، واعتقاده المتضمن لأعمال القلوب، وأعمال البدن، وذلك شامل للقيام بالدين كله؛ ولهذا كان الأئمة والسلف يقولون: **الإيمان: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، وهو: قول، وعمل، واعتقاد، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، فهو يشمل عقائد الإيمان، وأخلاقه، وأعماله)) (٢).

ثانياً: الفرق بين الإيمان والإسلام:

في الشرع: أن الإيمان على حالتين:

الحالة الأولى: أن يُطلق الإيمان على الإفراد غير مقترن بذكر الإسلام، فحينئذٍ يراد به الدين كله، كقوله – عز وجل –: ﴿الله وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ﴾ (٣)، وهذا المعنى هو الذي قصده السلف بقولهم رحمهم الله: ((إن الإيمان اعتقاد، وقول، وعمل، وإن الأعمال كلها داخلة

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، ص٣٧٣، ومعارج القبول شرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، للشيخ حافظ الحكمي، ٢/ ٥٨٧ – ٥٩١، وأصول وضوابط في التكفير، للعلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ص ٣٤، وكتاب الإيمان لابن منده، ١/ ٣٠٠، ٣٤١.

(٢) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، ص٩، وانظر: كتاب الإيمان لابن منده، ١/ ٣٤١، وفتاوى ابن تيمية، ٧/ ٥٠٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.." [2]

"تقسيم التوحيد عند أهل السنة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين، وعلى صحابته والتابعين وسلم تسليما كثيرا، وبعد:

---

(١) نور الإيمان وظلمات النفاق في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/٦

(٢) نور الإيمان وظلمات النفاق في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/٧

أهل العلم قسموا التوحيد إلى ثلاثة أقسام باعتبار النظر إلى الله عز وجل، وإلى قسمين باعتبار النظر إلى العبد.

وباعتبار النظر إلى الله عز وجل يقسم التوحيد إلى: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، وباعتبار النظر إلى العبد يقسم إلى قسمين: توحيد المعرفة والإثبات وتوحيد القصد والطلب.

هذا التقسيم الذي هو المعرفة والإثبات والقصد والطلب أو التوحيد العلمي والعملي، موافق لتعريف الإيمان، فالإيمان عند علماء السلف -كما سيأتي شرحه تفصيلا-: هو قول وعمل، **والقول قول القلب وقول** اللسان، والعمل عمل القلب وعمل الجوارح.

وبالنسبة إلى نشاط الإنسان فإن له نشاطين: نشاط علمي، ونشاط عملي، أو نشاط ظاهر ونشاط باطن، فالنشاط العلمي يشمل الإقرار والاعتقاد، والنشاط العملي يشمل العمل سواء عمل القلب أو عمل الجوارح، والتوحيد جاء في جميع أنشطة الإنسان العلمية والعملية، والإيمان كذلك جاء في جميع أنشطة الإنسان العلمية والعملية.." (١)

"اتفاق السلف وأتباعهم على تعريف الإيمان بأنه قول وعمل

والسلف الصالح عرفوا الإيمان بتعريف منضبط دقيق، ومن أعجب الأمور في تعريف السلف للإيمان هو اتفاقهم على تعريف واحد دقيق مع اختلاف أقطارهم، ومع اختلاف أماكنهم، ومع اختلاف السنوات التي عرف فيها هذا المصطلح الشرعي، وهو: أن الإيمان قول وعمل، فقد اتفق المسلمون في شرق البلاد الإسلامية وغربها وشمالها وجنوبها ووسطها على أن الإيمان قول وعمل، والمقصود بالقول قول القلب، وقول القلب: هو تصديقه وإقراره بما جاء في القرآن والسنة، أو هو تصديقه بالخبر والمخبر به.

والقول يشمل أيضا قول اللسان، فيدخل في قول اللسان شهادة التوحيد: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، ويدخل فيه أيضا ذكر الله، ويدخل فيه قراءة القرآن، والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، والنصيحة، وكل العبادات القولية.

أما العمل فيدخل فيه أمران: الأمر الأول: عمل القلب، والمقصود بعمل القلب هو الاستسلام والخضوع لله سبحانه وتعالى، والتوكل عليه والإنابة والرغبة والخوف والرجاء والمحبة ونحو ذلك من الأعمال القلبية، فهي داخلة في الإيمان؛ بل هي أساس الإيمان.

الأمر الثاني: عمل الجوارح، ويدخل في عمل الجوارح كل العبادات التي تكون عن طريق الجوارح مثل: الصلاة والصيام والحج والزكاة والجهاد في سبيل الله ونحو ذلك من الأعمال الإسلامية التي تكون عن طريق الجوارح.

فنلاحظ أن الإيمان يشمل الدين كله، فكل العبادات القولية من الإيمان، وكل العبادات الاعتقادية من الإيمان، وكل العبادات العملية من الإيمان، والإيمان كما هو معلوم شعب وأنواع وخصال، وله سنام، وله أصل وفرع، وله أعلى وأدنى؛ ولهذا جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الإيمان بضع وستون شعبة -وفي لفظ: بضع وسبعون شعبة-؛ فأعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)، ففي هذا الحديث بيان للإيمان بكل شعبه، وبكل أنواعه السابقة، فقوله: (فأعلاها قول لا إله إلا الله) هذا القول، وقوله: (وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) هذا عمل

---

(١) أصول العقيدة - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٢/٣

الجوارح، وقوله: (والحياء شعبة من الإيمان) هذا عمل القلب، وتصديق القلب داخل في عمله، ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إنه لا إيمان إلا بعمل القلب، فقول اللسان من دون عمل القلب فإنه يكون مثل فعل المنافقين، وعمل الجوارح بدون اعتقاد القلب فإنه يكون كذلك من أعمال المنافقين؛ فإن المنافقين يتكلمون بالإيمان ويعملون بأعمال الإيمان، لكنهم لا يوجد عندهم اعتقاد القلب ولا عمل القلب؛ بل يقولون بهذه الأعمال وهذه الأقوال من أجل أن يرفعوا عن أنفسهم تهمة الكفر، فيتظاهرون بالإسلام لهذا الغرض.

وهذا الإمام ابن مندة رحمه الله في كتابه العظيم (الإيمان) وهو كتاب مطبوع في مجلدين، استنبط من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)، فأخذ منه أن الإيمان يكون بالقول، ويكون بالعمل، ويكون أيضا بالقلب، وأنه يزيد وينقص، ودلالة أن الإيمان يكون بالعمل مأخوذ من قوله: (فليغيره بيده)، ودلالة كونه يكون باللسان مأخوذ من قوله: (فإن لم يستطع فبلسانه)، وهذا يدل على أن اللسان جزء من الإيمان، وعمل اللسان جزء من الإيمان، وقوله: (فمن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) هذا يدل على أن اعتقاد القلب من الإيمان، وقوله: (أضعف) يدل على أن هناك ما هو أقوى، فكل ما قبل الزيادة قبل النقصان، وكل ما قبل النقصان قبل الزيادة، فالإيمان يزيد وينقص.

ودلالة زيادة الإيمان ونقصانه أوضح من أن يستدل عليها بمثل هذا الاستدلال؛ لأن النصوص الشرعية في التصريح بالزيادة ظاهر في كتاب الله، قال تعالى: ﴿ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم﴾ [الفتح:٤]، وغيرها من الآيات الواردة في هذا الباب.

وقد نقل الإجماع على أن الإيمان قول وعمل الإمام أحمد والشافعي وابن عبد البر في التمهيد وابن قدامة المقدسي وغيرهم من أهل العلم.." (١)

"أهمية عمل القلب ومنزلته من الإيمان

أهم عنصر من عناصر تعريف الإيمان هو عمل القلب؛ لأن بقية أجزاء الإيمان تعود إليه، فإن عمل القلب هو المؤثر في بقية عناصر الإيمان ومكوناتها الأخرى، فإذا وجد عمل القلب، فإن عمل القلب يدفع إلى عمل الجوارح وقول اللسان، وإذا وجد عمل القلب، فإن عمل القلب يتضمن تصديق القلب، فإنه لا يتصور أن يكون إنسان عنده خوف من الله وهو غير مصدق به، ولا يتصور أيضا أن يكون إنسان عنده محبة لله ورجاء وتوكل على الله سبحانه وتعالى وهو في نفس الوقت غير مصدق به، فتصديق القلب داخل في عمل القلب، وعمل القلب لا يمكن أن يوجد إلا ومعه تصديق القلب، فلو أن إنسانا توكل على الله سبحانه تعالى، فإنه لابد أن يكون مصدقا بمن توكل عليه، وإلا كيف يمكن أن يتصور الإنسان شخصا يتوكل على من يكذبه، ويعتمد على من يكذبه، هذا غير وارد، وكذلك الحال في المحبة، والخشية، والإنابة، والاستسلام، والانقياد، والرضا، والقبول ونحو ذلك من الأعمال القلبية.

وأما بالنسبة لعلاقة عمل القلب بقول اللسان، فإنه لا يمكن أن يكون هناك عمل قلبي إلا ويوجد له أثر في الظاهر؛ لأن العلاقة بين الباطن والظاهر علاقة تامة؛ ولهذا جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: (ألا وإن في الجسد مضغة،

---

(١) أصول العقيدة - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٤/٧

إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)، فالقلب إذا وجد فيه عمل من الأعمال؛ إذا وجد فيه الخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والرضا، والاستسلام فإنه لابد أن يكون له أثر في الظاهر، سواء كان هذا الأثر قليلا أو متوسطا أو كثيرا، بحسب العمل القلبي الموجود في الإنسان، فإذا كان عمل الظاهر قليلا فأيضا عمل القلب سيكون قليلا، وإذا كان عمل الظاهر كثيرا فإن عمل القلب كثير، ولا يمكن أن يتخلف الارتباط بين عمل القلب وبين مقتضاه في قول اللسان وعمل الجوارح، إلا في حالتين فقط لا ثالث لهما: الحالة الأولى: حالة النفاق، فإن المنافق يظهر الإسلام ويتكلم بالإسلام ويعمل بالإسلام، مع أنه ليس في قلبه شيء من الإيمان.

الحالة الثانية: حالة المكره، فإن المكره يعمل من الأعمال ما لا يكون مقتنعا به في الداخل؛ لوجود عارض الإكراه.

ففي هاتين الحالتين يمكن أن يظهر من الإنسان شيء مخالف لما في الباطن، وأما في الحالة الطبيعية المعتادة فإنه لا يمكن أن يكون الإنسان محبا لله معظما لله سبحانه وتعالى متوكلا على الله سبحانه وتعالى ثم يسب الله، أو يسب الرسول صلى الله عليه وسلم، أو يسب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، أو يحارب الدين، أو يحارب الإيمان والإسلام، أو يدعو إلى النصرانية، أو يعظم النصارى ويساعدهم على المسلمين مساعدة تامة، أو يعبد غير الله سبحانه وتعالى، أو يدوس المصحف، أو يلبس الصليب مثلا، أو يعمل من الأعمال التي تنقض الإيمان وتبطله، فينبغي إدراك هذه القاعدة، فهي من أهم القواعد الشرعية في باب الإيمان.

فإن الإيمان مكون ومركب من أمرين: القول، والعمل، وكل واحد من هذين المركبين ينقسم إلى قسمين: فالقول قول القلب، وقول اللسان.

والعمل عمل القلب، وعمل الجوارح.

وإذا أردنا أن نقسم الإيمان على أعضاء الإنسان فسنجد أنه ينقسم على أعضائه الثلاثة: القلب، واللسان، وبقية الجوارح، هذه هي الأعضاء التي يتحرك بها الإنسان، ومحرك اللسان ومحرك الجوارح الأساسي هو القلب، وهذا أمر معروف فطرة وخلقة وشرعا أيضا.

فإن الدافع الحقيقي لعمل الإنسان هو القلب كما هو معلوم، ولهذا عبر أبو هريرة رضي الله عنه عن هذا الارتباط بقوله: (القلب ملك، والأعضاء جنوده، فإذا صلح الملك صلحت الأعضاء، وإذا فسد الملك فسدت الأعضاء).

وبناء على هذا يكون الموجه الحقيقي هو عمل القلب، وبهذا يبدو لنا أن عمل القلب من أهم أنواع الإيمان، وعمل القلب هو نفسه توحيد الألوهية، فنحن إذا عرفنا توحيد الألوهية كما سبق أن قلنا: إن توحيد الألوهية هو: إفراد الله تعالى بالعبادة، والعبادة تشمل عبادة القلب وتشمل عبادة الجوارح.

وإذا رجعنا إلى شروط لا إله إلا الله نجد أنها أعمال قلبية: الإخلاص، القبول، المحبة، الرضا، وهكذا نجد أنها كلها أعمال قلبية، وهي جزء أساسي من توحيد الألوهية.

وبناء على هذا فإن عمل القلب يعتبر أهم عناصر الإيمان، وهو الدافع الحقيقي لأعمال الجوارح ولنطق اللسان أيضا.." (١)

---

(١) أصول العقيدة – عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٦/٧

"كلها من شُعَب الإيمان، ولا يسوّى بينهما في الأسماء والأحكام.

وفرق بين من أشرك بالله أو استهان بالمصحف وبين من يسرق ويزني، أو يشرب الخمر، فمن سوّى بين شُعَب الكفر في ذلك فهو مخالف للكتاب والسنة، خارج عن سبيل سلف الأمة، داخل في عموم أهل البدع والأهواء.

٣ – إن الإيمان مُركَّب من قولٍ **وعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، هذه أربعة أمور جامعة لأمور الإسلام:

الأول: قول القلب: وهو تصديقه وإيقانه واعتقاده.

الثاني: قول اللسان: وهو النطق بالشهادتين، والإقرار بلوازمهما.

الثالث: عمل القلب: وهو النية والإخلاص والمحبة والانقياد، والإقبال على الله – عز وجل –، والتوكل عليه، ولوازم ذلك وتوابعه.

الرابع: عمل اللسان والجوارح: فعمل اللسان ما لا يُؤَدّى إلا به: كتلاوة القرآن، وسائر الأذكار والدعاء والاستغفار وغير ذلك، وعمل الجوارح ما لا يُؤَدَّى إلا بها مثل: القيام، والركوع، والسجود، والمشي في مرضاة الله، كنقل الخطى إلى المساجد، وإلى الحج والجهاد في سبيل الله تعالى ... وغير ذلك (١).

فإذا زال تصديق القلب ورضاه ومحبته لله زال الإيمان.

---

(١) انظر: أصول وضوابط في التكفير، ص٣٤، ومعارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، للشيخ حافظ الحكمي رحمه الله، ٢/ ٥٨٨ – ٥٩١.." [1]

"على وجه يبين أن الهدى كله مأخوذ من كلامالله ورسوله بإقامة الدلائل الدالة، لا بذكر الأقوال التي تقبل بلا دليل وترد بلا دليل، أو يكون المقصود بها نصر غير الله والرسول، فإن الواجب أن يقصد معرفة ما جاء به الرسول واتباعه بالأدلة الدالة على ما بينه الله ورسوله.

ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة في [تفسير الإيمان] ، فتارة يقولون: هو قول وعمل. وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية. وتارة يقولون قول وعمل ونية واتباع السنة. وتارة يقولون: قول باللسان، واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وكل هذا صحيح. فإذا قالوا: قول وعمل؛ فإنه يدخل في **القول قول القلب واللسان** جميعا، وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام، ونحو ذلك إذا أطلق.

والناس لهم في مسمى الكلام و [القول] عند الإطلاق أربعة أقوال، فالذي عليه السلف والفقهاء والجمهور أنه يتناول اللفظ والمعنى جميعا، كما يتناول لفظ الإنسان للروح والبدن جميعا. وقيل: بل مسماه هواللفظ، المعنى ليس جزء مسماه، بل هو مدلول مسماه، وهذا قول كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم وطائفة من المنتسبين إلى السنة، وهو قول النحاة؛ لأن

---

(١) قضية التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/٢٩

صناعتهم متعلقة بالألفاظ. وقيل: بل مسماه هو المعنى وإطلاق الكلام على اللفظ مجاز لأنه دال عليه، وهذا قول ابن كلاب ومن اتبعه، وقيل: بل هو مشترك بين اللفظ والمعنى، وهو قول بعض المتأخرين من الكلابية، ولهم قول ثالث يروى عن أبي الحسن أنه مجاز في كلام الله حقيقة في كلام الآدميين؛ لأن حروف الآدميين تقوم بهم، فلا يكون الكلام قائما بغير المتكلم، بخلاف الكلام القرآني، فإنه لا يقوم عنده بالله، فيمتنع أن يكون كلامه، ولبسط هذا موضع آخر.

والمقصود هنا أن من قال من السلف: الإيمان قول وعمل، **أراد قول القلب واللسان** وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأي أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال: قول." (١)

"وهكذا أسماء دينه، الذي أمر الله به ورسوله يسمى إيمانا، وبرا، وتقوى، وخيرا، ودينا، وعملا صالحا، وصراطا مستقيما، ونحو ذلك، وهو في نفسه واحد، لكن كل اسم يدل على صفة ليست هي الصفة التي يدل عليها الآخر، وتكون تلك الصفة هي الأصل في اللفظ، والباقي كان تابعا لها لازما لها، ثم صارت دالة عليه بالتضمن، فإن الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب، ولابد فيه من شيئين: تصديق بالقلب، وإقراره ومعرفته. ويقال لهذا: قول القلب، قال الجنيد بن محمد: التوحيد: قول القلب. والتوكل: عمل القلب، فلابد فيه من قول القلب، وعمله، ثم قول البدن وعمله، ولابد فيه من عمل القلب، مثل حب الله ورسوله، وخشية الله، وحب ما يحبه الله ورسوله، وبغض ما يبغضه الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده، وتوكل القلب على الله وحده، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها من الإيمان.

ثم القلب هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، إلا وهي القلب "

وقال أبو هريرة: القلب ملك والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده، وقول أبي هريرة تقريب، وقول النبي صلى الله عليه وسلم أحسن بيانا، فإن الملك وإن كان صالحا فالجند لهم اختيار، قد يعصون به ملكهم وبالعكس، فيكون فيهم صلاح مع فساده، أو فساد مع صلاحه، بخلاف القلب؛ فإن الجسد تابع له لا يخرج عن إرادته قط، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد " فإذا كان القلب صالحا بما فيه من الإيمان علما وعملا قلبيا، لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر والعمل بالإيمان المطلق، كما قال أئمة أهل الحديث:." (٢)

"وحقيقة الفرق: أن الإسلام دين. والدين مصدر دان يدين دينا: إذا خضع وذل، و [دين الإسلام] الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده، فأصله في القلب هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه. فمن عبده، وعبد معه إلها آخر، لم يكن مسلما، ومن لم يعبده بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلما، والإسلام هو الاستسلام لله، وهو الخضوع له، والعبودية له، هكذا قال أهل اللغة: أسلم الرجل إذا استسلم، فالإسلام في الأصل من باب العمل،

---

(١) الإيمان لابن تيمية ابن تيمية ص/١٣٧

(٢) الإيمان لابن تيمية ابن تيمية ص/١٤٩

عمل القلب والجوارح.

وأما الإيمان فأصله تصديق وإقرار ومعرفة، فهو من **باب قول القلب المتضمن** عمل القلب، والأصل فيه التصديق، والعمل تابع له؛ فلهذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان بإيمان القلب وبخضوعه، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وفسر الإسلام باستسلام مخصوص، هو المباني الخمس. وهكذا في سائر كلامه صلى الله عليه وسلم يفسر الإيمان بذلك النوع ويفسر الإسلام بهذا، وذلك النوع أعلى؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: " الإسلام علانية، والإيمان في القلب " فإن الأعمال الظاهرة يراها الناس، وأما ما في القلب من تصديق ومعرفة وحب وخشية ورجاء فهذا باطن، لكن له لوازم قد تدل عليه، واللازم لا يدل إلا إذا كان ملزوما؛ فلهذا كان من لوازمه ما يفعله المؤمن والمنافق، فلا يدل. . [بياض بالأصل] ففي حديث عبد الله بن عمرو وأبي هريرة جميعا أن النبي صلىالله عليه وسلم قال: " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم "، ففسر المسلم بأمر ظاهر وهو سلامة الناس منه؛ وفسر المؤمن بأمر باطن، وهو أن يأمنوه على دمائهم وأموالهم وهذه الصفة أعلى من تلك، فإن من كان مأمونا سلم الناس منه، وليس كل من سلموا منه يكون مأمونا. فقد يترك أذاهم وهم لا يأمنون إليه، خوفا أن يكون ترك أذاهم لرغبة ورهبة؛ لا لإيمان في قلبه.." (١)

"لابد من تصديق باطن، ويحتمل أن يكون لفظ التصديق عنده يتضمن القول والعمل جميعا، كما قد ذكرنا شواهده أنه يقال: صدق بالقول والعمل. فيكون تصديق القلب عنده يتضمن أنه مع معرفة قلبه أنه رسول الله قد خضع له وانقاد، فصدقه بقول قلبه وعمل قلبه محبة وتعظيما، وإلا فمجرد معرفة قلبه أنه رسول الله مع الإعراض عن الانقياد له ولما جاء به إما حسدا وإما كبرا، وإما لمحبة دينه الذي يخالفه وإما لغير ذلك، فلا يكون إيمانا، ولابد في الإيمان من علم القلب وعمله، فأراد أحمد بالتصديق أنه مع المعرفة به صار القلب مصدقا له، تابعا له، محبا له، معظما له، فإن هذا لابد منه، ومن دفع هذا عن أن يكون من الإيمان، فهو من جنس من دفع المعرفة من أن تكون من الإيمان، وهذا أشبه بأنيحمل عليه كلام أحمد؛ لأن وجوب انقياد القلب مع معرفته ظاهر ثابت بدلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة، بل ذلك معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، ومن نازع من الجهمية في أن انقياد القلب من الإيمان فهو كمن نازع من الكرامية في أن معرفة القلب من الإيمان فكان حمل كلام أحمد على هذا هو المناسب لكلامه في هذا المقام.

وأيضا، فإن الفرق بين معرفة القلب وبين مجرد تصديق القلب الخالي عن الانقياد الذي **يجعل قول القلب أمر** دقيق، وأكثر العقلاء ينكرونه، وبتقدير صحته لا يجب على كل أحد أن يوجب شيئين لا يتصور الفرق بينهما، وأكثر الناس لايتصورون الفرق بين معرفة القلب وتصديقه، ويقولون: إن ما قاله ابن كلاب، والأشعري من الفرق، كلام باطل لا حقيقة له، وكثير من أصحابه اعترف بعدم الفرق، وعمدتهم من الحجة إنما هو خبر الكاذب، قالوا: ففي قلبه خبر بخلاف علمه، فدل على الفرق. فقال لهم الناس: ذاك بتقدير خبر وعلم ليس هو علما حقيقيا ولا خبرا حقيقيا، ولما أثبتوه **من قول القلب المخالف** للعلم والإرادة، إنما يعود إلى تقدير علوم وإرادات لا إلى جنس آخر يخالفها.

---

(١) الإيمان لابن تيمية ابن تيمية ص/٢٠٧

ولهذا قالوا: إن الإنسان لا يمكنه أن يقوم بقلبه خبر بخلاف علمه، وإنما يمكنه أن يقول ذلك بلسانه، وأما أنه يقوم بقلبه خبر بخلاف ما يعلمه، فهذا." (١)

"الفصل الثاني

الإيمان

٣٥ – وإيماننا قول وفعل ونية ... فقول كمن يقرا وفعل كمن يقري (١)

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٧/ ١٧٠ – ١٧١): [ومن هذا الباب أقوال السلف، وأئمة السنة في تفسير الإيمان، فتارة يقولون: هو قول وعمل، وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية، وتارة يقولون: قول وعمل ونية واتباع السنة، وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وكل هذا صحيح ... والمقصود هنا أن من قال من السلف الإيمان: قول وعمل، **أراد قول القلب واللسان** وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية، فزاد ذلك، ومن زاد إتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوبا لله إلا بإتباع السنة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل إنما أرادوا ما كان مشروعا من الأقوال، ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط، فقالوا: بل هو قول وعمل، والذين جعلوه أربعة أقسام فسروا مرادهم كما سئل سهل بن عبدالله التسترى عن الإيمان ما هو؟ فقال: قول وعمل ونية وسنة؛ لأن الإيمان إذا كان قولا بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة].

وقد بسط الشيخ العثيمين – رحمه الله – الكلام في تعريف الإيمان، ومثل له فقال في شرح الواسطية (ص/٤١٧): [وأما في الشرع، فقال المؤلف – رحمه الله –: " قول وعمل ".

وهذا تعريف مجمل فصله المؤلف – رحمه الله – بقوله: " **قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح ". فجعل المؤلف – رحمه الله – للقلب قولا وعملا، وجعل للسان قولا وعملا.

أما قول اللسان؛ فالأمر فيه واضح، وهو النطق، وأما عمله؛ فحركاته، وليست هي النطق، بل النطق ناشئ عنها إن سلمت من الخرس. وأما قول القلب؛ فهو اعترافه وتصديقه. وأما عمله فهو عبارة عن تحركه وإرادته؛ مثل الإخلاص في العمل، فهذا عمل القلب، وكذلك التوكل والرجاء والخوف؛ فالعمل ليس مجرد الطمأنينة في القلب، بل هناك حركة في القلب. وأما عمل الجوارح؛ فواضح ركوع، وسجود، وقيام، وقعود، فيكون عمل الجوارح إيمانا شرعا؛ لأن الحامل لهذا العمل هو الإيمان ... هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة. وشموله لهذه الأشياء الأربعة لا يعني أنه لا يتم إلا بها، بل قد يكون الإنسان مؤمنا مع تخلف بعض الأعمال، لكنه ينقص إيمانه بقدر ما نقص من عمله.

وخالف أهل السنة في هذا طائفتان بدعيتان متطرفتان: الطائفة الأولى: المرجئة، يقولون: إن الإيمان هو الإقرار بالقلب، وما

---

(١) الإيمان لابن تيمية ابن تيمية ص/٣١١

عدا ذلك فليس من الإيمان!!. ولهذا كان الإيمان لا يزيد ولا ينقص عندهم؛ لأنه إقرار القلب، والناس فيه سواء، فالإنسان الذي يعبد الله آناء الليل والنهار كالذي يعصي الله آناء الليل والنهار عندهم، ما دامت معصيته لا تخرجه من الدين!! ... الطائفة الثانية: الخوارج والمعتزلة؛ قالوا: إن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، وأنها شرط في بقائه، فمن فعل معصيته من كبائر خرج من الإيمان. لكن الخوارج يقولون: إنه كافر، والمعتزلة يقولون: هو في منزلة بين منزلتين، فلا نقول: مؤمن، ولا نقول: كافر، بل نقول: خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر، وصار في منزلة بين منزلتين. هذه أقوال الناس في الإيمان.]." (١)

"وأما الطعن بمخالفة الكتاب، فأين في الكتاب ما يدل على خلافه؟ ! وإنما فيه ما يدل على وفاقه، وإنما هذا الطعن من ثمرة شؤم التقليد والتعصب.

وقالوا أيضا: وهنا أصل آخر، وهو: أن القول **قسمان: قول القلب وهو** الاعتقاد، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام. والعمل قسمان: عمل القلب، وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح. فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب لم ينفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتبارها وكونها نافعة، وإذا بقي تصديق القلب وزال الباقي فهذا موضع المعركة! !

ولا شك أنه يلزم من عدم طاعة الجوارح عدم طاعة القلب، إذ لو أطاع القلب وانقاد، لأطاعت الجوارح وانقادت، ويلزم من عدم طاعة القلب وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة. قال صلى الله عليه وسلم: «إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب» . فمن صلح قلبه صلح جسده قطعا، بخلاف العكس. وأما كونه يلزم من زوال جزئه زوال كله، فإن أريد أن الهيئة الاجتماعية لم تبق مجتمعة كما كانت، فمسلم، ولكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الأجزاء، فيزول عنه الكمال فقط.." (٢)

"وفي الصحيحين من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – «أنه قال لوفد عبد القيس: " آمركم بأربع: الإيمان بالله وهل تدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغانم الخمس» " وفي الصحيحين أيضا من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " «الإيمان بضع وسبعون –، أو بضع وستون – شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» " ولفظه لمسلم، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – قدس الله روحه – في كتاب الإيمان والإسلام: قال أبو القاسم الأنصاري شيخ الشهرستاني في شرح الإرشاد لأبي المعالي، بعد أن ذكر قول أصحابه الأشاعرة من أنه مجرد التصديق: وذهب أهل الأثر إلى أن الإيمان جميع الطاعات فرضها ونفلها، وعبروا عنه بأنه إتيان ما أمر الله فرضا ونفلا، والانتهاء عما نهى عنه تحريما وأدبا.

قال: وبهذا كان يقول أبو علي الثقفي من متقدمي أصحابنا وأبو العباس القلانسي، وقد مال إلى هذا المذهب أبو عبد الله

---

(١) نهج الرشاد في نظم الاعتقاد السرمري، جمال الدين ص/٣٣

(٢) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط ابن أبي العز ٤٧٨/٢

بن مجاهد، وهذا قول مالك بن أنس إمام دار الهجرة، ومعظم أئمة السلف رضوان الله عليهم أجمعين، فكانوا يقولون الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان. وبعض السلف من أهل السنة زاد: وإتباع السنة ؛ لأن ذلك لا يكون محبوبا لله – تعالى – إلا باتباع السنة.

ومنهم من اقتصر على أنه قول وعمل، **وأراد قول القلب واللسان** وعمل القلب والجوارح، ومن زاد الاعتقاد أي المعرفة والتصديق رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال منهم: إنه قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا تفهم منه النية فزاد ذلك، ومن قال منهم: إنه قول وعمل لم يرد كل قول وعمل، وإنما أراد ما كان مشروعا من الأقوال، والأعمال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط، فقالوا: بل هو قول وعمل، والذين جعلوه أربعة فسروا مرادهم، كما سئل سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان ما هو؟ فقال: قول وعمل ونية وسنة." (١)

"لأن الإيمان إن كان قولا بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة. ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية – روح الله روحه –: الإيمان الذي أصله في القلب لا بد فيه من شيئين: تصديق القلب، وإقراره ومعرفته، ويقال لهذا قول القلب، قال الجنيد بن محمد – رحمه الله تعالى –: التوحيد قول القلب، والتوكل عمل القلب. فلا بد فيه من عمل القلب، وقوله: ثم قول البدن وعمله لا بد فيه من عمل القلب، مثل حب الله ورسوله وخشية الله، ويحب ما يحبه الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها من الإيمان.

ثم القلب هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب ؛ ولهذا قال النبي – صلى الله عليه وسلم – في الحديث: " «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» " وقال أبو هريرة – رضي الله عنه –: القلب ملك، والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده – قال شيخ الإسلام – قدس الله روحه –: قول أبي هريرة تقريب، وقول النبي – صلى الله عليه وسلم – أحسن بيانا، فإن الملك وإن كان صالحا فإن الجند لهم اختيار قد يعصون به ملكهم، وبالعكس فقد يكون فيهم صلاح مع فساده، أو فساد مع صلاحه بخلاف القلب، فإن الجسد تابع له لا يخرج عن إرادته قط، قال: فلا بد في إيمان القلب من حب الله ورسوله، وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، قال – تعالى –: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ [البقرة: ١٦٥] أي من المشركين وفي الآية قولان قيل يحبونهم كحب المؤمنين لله، والذين آمنوا أشد حبا منهم لأوثانهم، وقيل يحبونهم كما يحبون الله، والذين آمنوا أشد حبا لله منهم وهذا هو الصواب فإن المشركين لا يحبون الأنداد مثل محبة المؤمنين لله، والمحبة تستلزم إرادة، والإرادة

---

(١) لوامع الأنوار البهية السفاريني ١/٤٠٦

التامة مع القدرة تستلزم الفعل، فيمتنع أن يكون الإنسان محبا لله ورسوله مريدا لما يحبه الله ورسوله إرادة جازمة مع قدرته على ذلك وهو." (١)

"يعني سلبهم اسم الإيمان جميعه – قوله ولا قول أحد من أئمة السنة، بل كلهم متفقون على أن الفساق الذين ليسوا منافقين معهم شيء من الإيمان يخرجون به من النار هو الفارق بينهم وبين الكفار، والمنافقين، لكن إذا كان معه بعض الإيمان لم يلزم أن يدخل في الإسلام المطلق الممدوح وصاحب الشرع قد نفى الاسم عن هؤلاء فقال: " «لا يزني الزاني وهو مؤمن» "، والمعتزلة ينفون عنه اسم الإيمان والإسلام بالكلية، ويقولون: يخلد في النار لا يخرج منه لا بشفاعة لا بغيرها، وهذا هو الذي أنكر عليهم وكان أهل السنة متفقة أنه قد سلب كمال الإيمان الواجب فزال بعض إيمانه الواجب، وإنما ينازع في ذلك من يقول الإيمان لا يتبعض كالجهمية والمرجئة، فيقولون عن مثل هذا: إنه كامل الإيمان لكنه من أهل الوعيد. قال شيخ الإسلام: وحقيقة الفرق بين الإسلام والإيمان والدين أن الإسلام الذي ارتضاه الله، وبعث به رسوله هو الاستسلام لله وحده، فأصله في القلب وهو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه، فمن عبده وعبد معه إلها آخر لم يكن مسلما، ومن لم يعبده بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلما، والإسلام هو الاستسلام لله وهو الخضوع له، والعبودية له.

هكذا قال – رحمه الله – وعزاه لأهل اللغة، فالإسلام في الأصل من باب العمل عمل القلب، والجوارح، وأما الإيمان فأصله تصديق وإقرار ومعرفة فهو من **باب قول القلب المتضمن** عمل القلب، والأصل فيه التصديق، والعمل تابع له ؛ فلهذا فسر النبي – صلى الله عليه وسلم – الإيمان بإيمان مخصوص وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وفسر الإسلام بإسلام مخصوص وهو المباني الخمس، وهكذا في سائر كلامه – صلى الله عليه وسلم –.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – قدس الله روحه –: ومما يسأل عنه: أنه إذا كان مما أوجبه الله من الأعمال الظاهرة – أكثر من هذه الخمس، فلماذا قال الإسلام هذه الخمس؟ وقد أجاب بعض الناس بأن هذه أظهر شرائع الإسلام وأعظمها وبقيامه بها يتم استسلامه وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده، قال: والتحقيق أن النبي – صلى الله عليه وسلم – ذكر الدين الذي هو استسلام." (٢)

"الاقتتال وبغي بعضهم على بعض وقال تعالى في بيان الكفارة: ﴿فتحرير رقبة مؤمنة﴾ ولو أعتق مذنبا أجزأه عتقه بإجماع العلماء ولهذا يقول العلماء السلف في المقدمات الاعتقادية لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب ولا يخرجه من الإسلام بعمل، وقد ثبت الزنا والسرقة وشرب الخمر على أناس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحكم فيهم حكم من كفر ولا قطع الموالاة بينهم وبين المسلمين بل جلد هذا وقطع هذا ورجم هذا وهو في ذلك يستغفر لهم ويقول: " لا تكونوا أعوان الشياطين على أخيكم" وأحكام الإسلام كلها مرتبة على هذا الأصل.

(الطرف الثاني) قول من يقول إيمانهم باق كما كان لم ينقص، بناء على ان الإيمان هو مجرد التصديق والاعتقاد الجازم وهو لم يتغير وإنما نقصت شرائع الإسلام، وهذا قول المرجئة والجهمية ومن سلك سبيلهم، وهو أيضا قول مخالف للكتاب والسنة

---

(١) لوامع الأنوار البهية السفاريني ٤٠٧/١

(٢) لوامع الأنوار البهية السفاريني ٤٢٨/١

وإجماع السابقين والتابعين لهم بإحسان قال الله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾ والآيات في ذلك والأحاديث كثيرة جدا كما تقدمت وقد تقدم أيضا إجماع السلف على ان (الإيمان قول وعمل يزيد وينقص) ومدين ذلك **أنه قول القلب وعمله**، وثم قول اللسان وعمل الجوارح، **فأما قول القلب فهو** التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر، ويدخل في ذلك الإيمان بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه في معنى الإيمان برسالته (ثم الناس) في هذا على أقسام:

منهم من صدق به جلة ولم يعرف التفصيل.

ومنهم من صدق به إجمالا وتفصيلا.

ثم منهم من يدوم استحضاره فيه بما قذف الله في قلبه من النور والآيات.

ومنهم من جزم به لدليل قد تعترضه منه شبهة أو لتقليد جازم، وهذا التصديق يتبعه عمل القلب وهو حب الله ورسله وتعظيم الله ورسله وتعزير الرسول وتوقيره وخشية الله والإنابة إليه والإخلاص له والتوكل عليه، إلى غير ذلك من الأحوال. فهذه الأعمال القلبية كلها من الآيات، وهي مما يوجبها التصديق والاعتقاد إيجاب العلة للمعلول ويتبع الاعتقاد قول اللسان ويتبع عمل القلب عمل الجوارح من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك، وعند هذا فالقول الوسط الذي هو قول." (١)

"كامل الإيمان إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل أفلا يستحي من هذا قوله، من إنكاره تكفير من شهد بتكفير الكتاب والسنة واتفاق الصحابة.

(الثاني) : أنه جعل في كتابه في الصلاة شعب الإيمان قسمين قولية وفعلية وكذلك شعب الكفر نوعين قولية وفعلية فكما ان من شعب الإيمان القولية شعبة يوجب زوالها زوال الإيمان، فكذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوالها زوال الإيمان كالصلاة، وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية فكما يكفر بكلمة الكفر اختيارا وهي شعبة من شعب الكفر، كذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف والصلاة وقتل الأنبياء فإنه كفر عملي.

(الثالث) : أنه جعل حقيقة الإيمان مركبة (من قول) وقسمه إلى **قسمين: قول القلب وهو** الاعتقاد، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام (ومن عمل) وقسمه إلى قسمين أيضا، عمل القلب وهو نيته وإخلاصه ومحبته وانقياده، وعمل الجوارح، ورتب زوال الإيمان بكماله على زوال هذه الأربعة، فإن زال بعضها، فإن كان التصديق، لم ينفع باقي ما أتى به، وان كان غيره، فإن كان عمل القلب فقط أو مع الجوارح فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان وانه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب وهو محبته وانقياده للأوامر وان عملت الجوارح ظاهرا ومع انتفاء عملها اللازم منه انتفاء عمل القلب وعبارته ما نصها: ومنها أصل آخر وهو ان حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل، والقول **قسمان: قول القلب وهو** اعتقاده وتصديقه، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام والعمل قسمان: عمل القلب وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح، فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله وإذا زال تصديق القلب لم تنفعه بقية الأشياء فإن تصديق القلب شرط في اعتبارها

---

(١) التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/١٢٩

لكونها نافعة صحيحة، وإذا زال عمل القلب فقط مع وجود اعتقاد الصدق أو زال عمل الجوارح أيضا فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان وأنه لا ينفع مجرد التصديق مع انتفاء عمل القلب وهو محبته وانقياده للأوامر سواء عملت الجوارح ظاهرا أو لم تعمل ووجد التصديق، كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول بل ويقرون به سرا وجهرا ويقولون ليس بكاذب ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به وإذا." (١)

"عليهما اسم الكفر حقيقة مع انتفاء نص على بقائهما مؤمنين فان مراد ابن القيم رحمه الله بالكفر العملي هنا زوال شعبة فعلية موجب زوالها زوال الإيمان وثبوت شعبة فعلية من شعب الكفر موجب ثبوتها ثبوت الكفر، فالعملي هنا أعم من عمل القلب والجوارح في الحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة وغيرهما وان **بقي قول القلب وهو** اعتقاده وتصديقه لانتفاء عمله وهو محبته وانقياده لفعل الأوامر، وفائدة قوله العملي المحض أي مع بقاء تصديق القلب من غير انقياد، وهو لا يستلزم الإيمان الموجب للإسلام.

(الخامس) : تصريحه بأن ترك الصلاة عمدا والحكم بغير ما أنزل الله حيث كان فيه رد لنص حكم الله عيانا عمدا كفر حقيقة مضاد للإيمان.

(السادس) : تفصيله وتفرقته بين كفر تارك الصلاة والحاكم بغير ما أنزل الله بشرطه، وبين كفر السارق والزاني وشارب الخمر ومن لم يأمن جاره بوائقه، فجعل كفر هؤلاء من جهة أعمالهم الظاهرة في قوله، وقد نفى النبي صلى الله عليه وسلم اسم الإيمان عن الزاني والسارق وشارب الخمر وعمن لم يأمن جاره بوائقه، وإذا نفى عنه اسم الإيمان فهو كافر من جهة العمل الظاهر منه منتف عنه كفر عمل القلب لبقاء محبته وانقياده حكما، فحكم الإسلام جار عليه كما تقدم، لكن ليس بمؤمن حقا، وإلى ذلك أشار بقوله وانتفى عنه كفر الجحود والاعتقاد إذ عمل القلب هنا باق لم يفقد زيادة على قوله الذي هو التصديق وكذا قوله صلى الله عليه وسلم: "لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض" فهذا كفر عملي ظاهر في الجوارح فقط، وعمل القلب على حاله كما تقدم في الذي قبله، وكذا يقال في قوله صلى الله عليه وسلم: "من أتى كاهنا فصدقه أو امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد " وقوله: "إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما" وأمثاله هذا كما تقدم الكلام فيه موضحا.

(السابع) : جعله الإيمان العملي يضاده الكفر العملي فيما إذا اتصف شخص بذاك تارة وبهذا أخرى كالذين ثبت إيمانهم بما عملوا به من الميثاق المأخوذ عليهم في الكتاب ﴿لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم﴾ ثم ثبت." (٢)

"السختياني، وأبو داود الطيالسي، وأبو بكر بن أبي شيبة، وأبو خيثمة زهير بن حرب، قال يحيى بن معين قيل لعبد الله بن المبارك أن أناسا يقولون من لم يصم ولم يصل بعد أن يقر بهما فهو مسلم مؤمن فقال عبد الله لا نقول نحن كما يقول هؤلاء بل من ترك الصلاة متعمدا من غير علة حتى دخل وقت في وقت فهو كافر يحل قتاله وقال ابن أبي شيبة: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " من ترك الصلاة فقد كفر" فيقال له ارجع عن الكفر فإن فعل وإلا قتل بعد" وفي مسند الإمام أحمد

---

(١) التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/١٣٤

(٢) التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/١٣٦

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله". وعن أبي الدرداء قال أوصاني أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: " أن لا أترك صلاة متعمدا فمن ترك صلاة متعمدا فقد برئت منه الذمة". رواه ابن أبي حاتم في سننه قال أحمد ابن سمار سمعت صدقة بن الفضل يسئل عن تارك الصلاة فقال هو كافر، فقال له السائل أتبين منه امرأته فقال صدقة وأين الكفر من الطلاق لو أن رجلا كفر ولم يطلق خرجت امرأته من عصمته لأنه أعظم، لكن قال أكثر العلماء ينتظر بها انقضاء عدتها ان كانت مدخولا بها لحديث صفوان بن أمية وامرأته بنت الوليد بن المغيرة ان صفوان أسلم بعدها بشهر فإنها أسلمت يوم الفتح وهو بقي علي كفره حتى شهد حنينا والطائف وهو كافر ثم أسلم بعد فلم يفرق النبي صلى الله عليه وسلم بينهما بل استقرت عنده امرأته بذلك النكاح، وقال أبو عبد الله محمد بن نصر سمعت اسحق ابن يسار يقول صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن تارك الصلاة كافر، وكذلك كان رأى أهل العلم من لدن النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا أن تارك الصلاة عمدا من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر. وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى ومحمد بن شهاب الزهري وداود بن علي المزني يحبس تارك الصلاة المفروضة حتى يموت أو يتوب، والرواية التي عن الشافعي في قتله تارك الصلاة حدا إنما هي في الرجل الممتنع منها على حدته، والصحيحة عنه كفره، كما نقلها عنه عبد الحق الاشبيلي، وتارك الصلاة رأسا وان وجد منه التصديق والإقرار بها فإنه معدوم ما هو معتبر به ومتوقف صحته والعصمة به على وجوده وهو عمل القلب نيته وإخلاصه ومحبته وانقياده لفعل الأوامر إذا وجد فعله انقادت له الأعضاء وإلا بان لم يوجد منه إلا التصديق خاصة، **فذلك قول القلب مجردا** من فعله وهو لا ينفع كما لم ينفع إبليس وفرعون والذين عرفوا النبي." (١)

"قوله: " من شهد أن لا إله إلا الله " أي من تكلم بها عارفا لمعناها، عاملا بمقتضاها، باطنا وظاهرا، فلا بد في الشهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولها؛ كما قال الله تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ ١، وقوله: ﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾ ٢. أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه: من البراءة من الشرك، وإخلاص القول **والعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح فغير نافع بالإجماع٣.

---

١ سورة محمد آية: ١٩.

٢ سورة الزخرف آية: ٨٦.

٣ قال في قرة العيون: وقد تضمنت هذه الكلمة العظيمة نفيا وإثباتا، فنفت الإلهية عن كل ما سوى الله بقولك: (لا إله) ، وأثبتت الإلهية لله بقولك: (إلا الله) قال تعالى: ٣: ١٨ (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) ، فكم ضل بسبب الجهل بمعناها من ضل وهم الأكثرون، فقلبوا حقيقة المعنى فأثبتوا الإلهية المنفية لمن نفيت عنه من المخلوقين أرباب القبور والمشاهد والطواغيت والأشجار والأحجار والجن وغير ذلك، واتخذوا ذلك دينا وشبهوا وزخرفوا، واتخذوا التوحيد بدعة وأنكروه على من دعاهم إليه؛ فلم يعرفوا منها ما عرف أهل الجاهلية من كفار

---

(١) التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٢٦٢

قريش ونحوهم. (*) فإنهم عرفوا معناها وأنكروا ما دلت عليه من الإخلاص كما قال تعالى: ٣٧: ٣٦،٣٥ (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون) ، والمشركون من أواخر هذه الأمة أنكروا ما أنكره أولئك على من دعاهم إلى ترك عبادة ما كانوا يعبدونه من دون الله من الموتى والقبور والمشاهد والطواغيت ونحوها، فأولئك عرفوا هذا المعنى وأنكروه، وهؤلاء جهلوا هذا المعنى وأنكروه، فلهذا تجده يقول: لا إله إلا الله، وهو يدعو مع الله غيره. سبب ذلك أن عرب الجاهلية هم أهل لغة القرآن الفصحاء، فلا يجهلون شيئا من معنى التوحيد الذي قرره. وأما هؤلاء الذين فشا فيهم اليوم شرك العبادة فليسوا من أهل ملكة هذه اللغة، وإنما يدينون بالاصطلاحات التي تلقاها بعضهم من بعض من كلامية وعامية. وإذا كان مثل الفخر الرازي من أكبر أئمة متكلميهم وأصولييهم أخطأ في فهم معنى الإله في تفسير قوله تعالى: (قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) ، فما الظن بمن دونه من علمائهم، دع عامتهم ودهماءهم؟ هل يستغرب منهم الجهل بأن من دعا ميتا أو صالحا حيا فيما لا يدعى فيه إلا الله، أو طاف بقبره ونذر له يكون عابدا له ومتخذا له إلها؟!!.." (١)

"وفيه: أمر الإمام عماله بالرفق من غير ضعف ولا انتقاض عزيمة؛ كما يشير إليه قوله: " ثم ادعهم الى الإسلام "١ أي الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإن شئت قلت الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وما اقتضته الشهادتان من إخلاص العبادة لله وحده، وإخلاص الطاعة لرسوله صلي الله عليه وسلم.

ومن هنا طابق الحديث الترجمة كما قال تعالى لنبيه ورسوله: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ ٢.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: والإسلام هو الاستسلام لله، وهو الخضوع له والعبودية له. كذا قال أهل اللغة.

وقال – رحمه الله تعالى –: ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله: هو الاستسلام له وحده، فأصله في القلب. والخضوع له وحده بعبادته وحده دون ما سواه. فمن عبده وعبد معه إلها آخر لم يكن مسلما، ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلما، وفي الأصل: هو من باب العمل، عمل القلب والجوارح. وأما الإيمان فأصله تصديق القلب وإقراره ومعرفته، فهو من **باب قول القلب المتضمن** عمل القلب. انتهى.

فتبين أن أصل الإسلام هو التوحيد ونفي الشرك في العبادة وهو دعوة جميع المرسلين، وهو الاستسلام لله تعالى بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة فيما أمرهم به على ألسن رسله؛ كما قال تعالى عن نوح أول رسول أرسله ﴿أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون﴾ ٣.

وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه،

وفيه: مشروعية الدعوة قبل القتال، لكن إن كانوا قد بلغتهم الدعوة جاز قتالهم ابتداء؛ لأن النبي صلي الله عليه وسلم أغار على بني المصطلق وهم غارون٤. وإن كانوا لم تبلغهم الدعوة

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٣٥

١ في قرة العيون: هذا هو شاهد الترجمة، وهكذا ينبغي لأهل الإسلام أن يكون قصدهم بجهادهم هداية الخلق إلى الإسلام والدخول فيه، وينبغي لولاة الأمر أن يكون هذا هو معتمدهم ومرادهم ونيتهم.

٢ سورة آل عمران آية: ٦٤.

٣ سورة نوح آية: ٣.

٤ الغار: الغافل. وقال البخاري: غزوة بني المصطلق من خزاعة. وهي المريسيع. قال ابن إسحاق: وذلك سنة ست. وقال موسى بن عقبة: سنة أربع. وقال النعمان بن راشد عن الزهري: "أن النبي صلى الله عليه وسلم أغار على بني المصطلق وهم غارون، وأنعامهم تسقى على الماء، فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم. وأصاب يومئذ جويرية بنت الحارث ". وبنو المصطلق بطن شهير من خزاعة. وسبب غزوهم: أن النبي صلى الله عليه وسلم بلغه أن الحارث بن ضرار سيدهم أبا جويرية يجمع الناس ويستعد لقتاله. ففاجأهم رسول الله وهم غافلون، وأسر منهم أكثرهم وأسلم الحارث بن ضرار.." (١)

"ومن تأمل كلام الشيخ وسياقه عرف مقصوده، وأن الكلام فيمن كفر العصاة وأهل الكبائر، وذكر نزاع الناس في ذلك ثم قال: وأما السلف والأئمة فاتفقوا على أن الإيمان قول وعمل، فيدخل في **القول: قول القلب واللسان**، وفي العمل: عمل القلب والأركان.

قال: وقال المنتصرون لمذهبهم: إن للإيمان أصولا وفروعا، وهو مشتمل على أركان وواجبات ومستحبات، بمنزلة اسم الحج والصلاة؛ فإن اسم الحج يتناول كل ما يشرع فيه من فعل وترك، مثل الإحرام وترك محظوراته، والوقوف بعرفة ومزدلفة ومنى، والطواف والسعي. ثم الحج مع هذا مشتمل على أركان، متى تركت لم يصح الحج، كالوقوف بعرفة، وعلى ترك محظور متى فعله فسد حجه، وهو الوطء. ومشتمل على واجبات، من فعل وترك، يأثم بتركها عمدا، ويجب لتركها لعذر أوغيره الجبران بدم، كالإحرام من المواقيت، والجمع بين الليل والنهار بعرفة، وكرمي الجمار ونحو ذلك. ومشتمل على مستحبات من فعل وترك يكمل الحج بها، ولا يأثم بتركها، ولا توجب دما، مثل رفع الصوت بالإهلال والإكثار منه، وسوق الهدى، وذكر الله في تلك المواضع، وقلة الكلام إلا في أمر ونهي. فمن فعل ذلك الواجب، وترك المحظور، فقد تم حجه وعمرته، وهو مقتصد من أصحاب اليمين في هذا العمل.

لكن من أتى بالمستحب فهو أكمل وأتم حجا وعملا، وهو سابق مقرب، ومن ترك المأمور، وفعل المحظور، لكنه أتى بأركانه، وترك مفسداته فحجه ناقص، يثاب على ما فعله من الحج، ويعاقب على ما تركه، وقد سقط عنه أصل الفرض. . إلى أن قال :. فمسألة تكفير أهل والأهواء والبدع متفرعة على هذا الأصل. . ثم ذكر مذاهب الأئمة في ذلك وذكر تكفير الإمام أحمد للجهمية، وذكر كلام السلف في تكفيرهم وإخراجهم من الثلاث والسبعين فرقة، وغلظ القول فيهم، وذكر الروايتين في تكفير من لم يكفرهم، وذكر أصول هذه الفرق، هم: الخوارج، والشيعة، والمرجئة، والقدرية . ثم أطال الكلام في عدم تكفير

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٩٢

هذه الأصناف. واحتج بحديث أبي هريرة . ثم قال: وإذا كان كذلك فالمخطئ في بعض المسائل إما أن يلحق بالكفار من." (١)

"[فصل الإيمان قول وعمل]

فصل (١) **والإيمان قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، مطابقا للكتاب والسنة، والنية لقوله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» (٢) .

والإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، قال الله تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا﴾ [التوبة: ١٢٤] وقال تعالى:. . ﴿ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم﴾ [الفتح: ٤] وقال تعالى:. . ﴿ويزداد الذين آمنوا إيمانا﴾ [المدثر: ٣١] وفي الحديث: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» (٣) . فجعل القول والعمل جميعا من الإيمان، ومع ذلك لا يكفر أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر، كما قالت الخوارج (٤) بل الأخوة الإيمانية باقية مع المعاصي، كما قال تعالى في آية القصاص:. . ﴿فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان﴾ [البقرة: ١٧٨]

---

(١) قارن هذا الفصل بالعقيدة الواسطية (ص ١٦ - ١٧) .

(٢) متفق عليه من حديث عمر: البخاري (١ / ٩ فتح) ومسلم (١٩٠٧) .

(٣) رواه مسلم (٣٥) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ورواه البخاري (١ / ٥١ فتح) ولكن فيه " الإيمان بضع وستون ". ولقد رجح البيهقي رواية البخاري. وابن الصلاح - لكون الأقل متيقن - وأيده ابن حجر، ورجح رواية مسلم الحليمي ثم عياض وأيدهما الألباني وأجاب عن اعتراضات الحافظ ببحث نفيس انظره في السلسلة الصحيحة (١٩٧٦) وانظر " فتح الباري " (١ / ٥١ - ٥٢) .

(٤) انظر التعليق رقم (٣) بحاشية ص ٦٦.

قال الطحاوي - رحمه الله - في عقيدته (ص ٣٥٥ شرحها) : " ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله ". وراجع شرحها فإنه مهم وفيه رد على خوارج العصر الحاضر ومرجئته.." [٢]

"يبتغي بذلك وجه الله" ١. وقوله: " لا يدخل النار من قال لا إله إلا الله" وما جاء من هذا الضرب من الأحاديث التي أشكلت على كثير من الناس حتى ظن بعضهم أنها منسوخة، وظنها بعضهم قبل ورود الأوامر والنواهي واستقرار الشرع، وحملها بعضهم على نار المشركين والكفار، وأول بعضهم الدخول بالخلود، وقال: المعنى لا يدخلها خالدا ونحو ذلك من التأويلات المستكرهة، والشارع صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلا بمجرد قول اللسان فقط وأن هذا الخلاف معلوم بالاضطرار عن دين الإسلام فإن المنافقين يقولونها وهم تحت الجاحد لها في الدرك من النار، فلابد **من قول القلب**

---

(١) منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس عبد اللطيف آل الشيخ ص/٢١٦

(٢) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر صديق حسن خان ص/٨٤

واللسان، وقول القلب يتضمن معرفتها والتصديق بها ومعرفة حقيقة ما تضمنت من النفي والإثبات ومعرفة حقيقة الإلهية المنفية عن غير الله المختصة به التي يستحيل ثبوتها لغيره، وقيام هذا المعنى بالقلب علما ومعرفة ويقينا وحالا ما يوجب تحريم قائلها من النار، وكل قول رتب الشارع، عليه من الثواب فإنها هو كقول "من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر" ٢. وليس هذا مرتبا على مجرد قول اللسان، وليس من قالها بلسانه غافلا عن معناها معرضا عن تدبرها ولم يواطئ قلبه لسانه ولا عرف قدرها وحقيقتها راجيا مع ذلك ثوابها حطت خطاياه بل على حسب ما في قلبه فإن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلب، فتكون صورة العملين واحدة بينهما من التفاضل كما بين السماء والأرض، والرجلان يكون مقامهما في الصف واحدا وبين

---

١ تقدم تخريجه.

٢ رواه الترمذي (٣٤٦٦) من حديث أبي هريرة مرفوعا بنحوه. وقال: "حسن صحيح". وفي الباب عن أنس أخرجه مسلم (٢٦٩٢).. " [(١)]

"يزيد **وينقص، قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح.

قالوا: إذا قيل: إن هذا من أصول الفرقة الناجية خرج عن الفرقة الناجية من لم يقل ذلك، مثل أصحابنا المتكلمين، الذين يقولون إن الإيمان هو التصديق، ومن يقول الإيمان هو التصديق والإقرار، وإذا لم يكونوا من الناجين لزم أن يكونوا هالكين.

وأما الأسئلة الثلاثة؛ وهي التي كانت عمدتهم فأوردوها على قولنا: وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر الله في كتابه، وتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأجمع عليه سلف الأمة، من أنه سبحانه فوق سمواته على عرشه علي على خلقه، وهو معهم أينما كانوا، يعلم ما هم عاملون، كما جمع بين ذلك في قوله تعالى: ﴿هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ ١ وليس معنى قوله: (وهو معكم) أنه مختلط بالخلق، فإن هذا لا توجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق، بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع في السماء وهو مع المسافر أينما كان وغير المسافر، وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع إليهم، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته، وكل هذا الكلام الذي ذكره الله تعالى من أنه فوق العرش وأنه معنا حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يصان عن الظنون الكاذبة.

السؤال الثاني: قال بعضهم: نقر باللفظ الوارد، مثل حديث س العباس، حديث الأوعال، والله فوق العرش، ولا نقول فوق السموات، ولا نقول على العرش استوى، ولا نقول مستو. وأعادوا هذا المعنى مرارا أن اللفظ الذي ورد يقال اللفظ بعينه، ولا يبدل بلفظ يرادفه، ولا يفهم له معنى أصلا، ولا يقال إنه

---

(١) فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد حامد بن محسن ص/١٢٨

١ سورة الحديد: ٤.." (١)

"الله﴾ [محمد ١٩] وقوله: ﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾ [الزخرف٨٦] ، أما النطق بها من غير معرفة بمعناها، ولا يقين، ولا عمل بما تقتضيه من نفي الشرك وإخلاص القول **والعمل قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح فغير نافع بالإجماع.

قال في "المفهم على صحيح مسلم" باب لا يكفي مجرد اللفظ بالشهادتين، بل لا بد من استيقان القلب، هذه الترجمة تنبيه على فساد مذهب غلاة المرجئة القائلين بأن التلفظ بالشهادتين كاف في الإيمان، وأحاديث هذا الباب تدل على فساده، بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها، ولأنه يلزم من تسويغ النفاق والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح، وهو باطل قطعا انتهى.

ومعنى "لا إله إلا الله" أي لا معبود حق إلا الله، وهو في غير موضع من القرآن قال تعالى: ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ [البقرة: ١٦٣] وقال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ [الأنبياء٢٥] وقال: ﴿وإلى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ [هود٥٠] فأجابوا ردا عليه بقولهم: ﴿أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا﴾ [الأعراف٧٠] وقال تعالى:." (٢)

"واللسان جميعا، وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام ونحو ذلك – إلى أن قال: والمقصود هنا: أن من قال من السلف: الإيمان قول وعمل، **أراد قول القلب واللسان** وعمل القلب والجوارح، ومن أراد أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال قول وعمل ونية، قال القول يتناول ذلك، ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوبا لله إلا باتباع السنة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل، وإنما أرادوا ما كان مشروعا من الأقوال والأعمال، ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط، فقالوا بل هو قول وعمل، والذين جعلوه أربعة فسروا مرادهم كما سئل سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان ما هو؟ فقال: قول وعمل ونية وسنة، لأن الإيمان إذا كان قولا بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق، وإذا كان قول وعمل ونية بلا اتباع سنة فهو بدعة.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتاب الصلاة: وههنا أصل آخر وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل، والقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد، وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام. والعمل قسمان: عمل القلب، وهو نية وإخلاص، وعمل الجوارح. فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها، وكونها نافعة إلى آخر كلامه رحمه الله. إذا المقصود بهذا، التنبيه. فمن أراد الكلام بتمامه فليراجعه هناك.." (٣)

(١) غاية الأماني في الرد على النبهاني الألوسي، محمود شكري ٤١٧/١

(٢) الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية سليمان بن سحمان ص/٣٢٢

(٣) تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة سليمان بن سحمان ص/٧٠

"الدين والإيمان قول **وعمل، قول القلب واللسان** وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالعصية. وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر، كما يفعله الخوارج، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي، كما قال في آية القصاص: ﴿فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف﴾ [البقرة: ١٧٨] وقال: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين – إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾ [الحجرات: ٩ – ١٠] ولا يسلبون الفاسق الملي اسم الإيمان بالكلية، ولا يخلدونه في النار كما تقول المعتزلة، بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله: ﴿فتحرير رقبة مؤمنة﴾ [النساء: ٩٢] وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله:." [١]

"الفصل الأول

في حد الإيمان وتفسيره

حدود الأشياء وتفسيرها الذي يوضحها، تتقدم أحكامها؛ فإن الحكم على الأشياء فرع عن تصورها. فمن حكم على أمر من الأمور – قبل أن يحيط علمه بتفسيره، ويتصوره تصورا يميزه عن غيره – أخطأ خطأ فاحشا.

أما حد الإيمان وتفسيره، فهو التصديق الجازم، والاعتراف التام بجميع ما أمر الله ورسوله بالإيمان به؛ والانقياد ظاهرا وباطنا. فهو تصديق القلب واعتقاده المتضمن لأعمال القلوب وأعمال البدن. وذلك شامل للقيام بالدين كله.

ولهذا كان الأئمة والسلف يقولون: **الإيمان قول القلب واللسان**، وعمل." [٢]

"فصل: ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح. وأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر؛ كما

يفعله الخوارج؛ بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي؛ كما قال سبحانه: ﴿فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف﴾ [البقرة: ١٧٨] ، وقال: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ [الحجرات: ٩] . ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾ [الحجرات: ١٠] .

ولا يسلبون الفاسق الملي اسم الإيمان بالكلية، ولا يخلدونه في النار؛ كما تقول المعتزلة. بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان؛ كما في قوله: ﴿فتحرير رقبة مؤمنة﴾ [النساء: ٩٢] ، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق؛ كما في قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا﴾ [الأنفال: ٢] ، وقوله: – صلى الله عليه وسلم ـ: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو

---

(١) التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة عبد الرحمن السعدي ص/١٠٥

(٢) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان عبد الرحمن السعدي ص/٤١

مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن) . ويقولون: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته،." (١)

"عن رءوسهم، يقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن"١.

واعلم أن النصوص الواردة في فضل هذه الشهادة كثيرة لا يحاط بها، وفيما ذكرنا كفاية وسنذكر إن شاء الله تعالى عند ذكر شروطها ما تيسر من نصوص الكتاب والسنة، ويكفيك في فضل لا إله إلا الله إخبار النبي -صلى الله عليه وسلم- أنها أعلى جميع شعب الإيمان، كما في الصحيحين عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الإيمان بضع وسبعون -أو بضع وستون- شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق" الحديث٢. وهذا لفظ مسلم٣.

"من قالها" أي: قال هذه الكلمة حال كونه "معتقدا" أي: عالما ومتيقنا "معناها" الذي دلت عليه نفيا وإثباتا "وكان" مع ذلك "عاملا بمقتضاها" على وفق ما علمه منها وتيقنه، فإن ثمرة العلم العمل به "في القول" **أي: قول القلب واللسان** "والفعل" أي: عمل القلب واللسان والجوارح، قال الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ [الصف: ٢-٣] "ومات مؤمنا" أي: على ذلك، وهذا شرط لا بد منه فإنما الأعمال بالخواتيم، قال صلى الله عليه وسلم: "ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك، إلا دخل الجنة" الحديث في الصحيحين عن أبي ذر بطوله٣. "يبعث يوم الحشر" أي: يوم الجمع "ناج" من النار "آمنا" من فزع يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون، لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون، لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم

---

١ لم أجده في مسند أحمد ولم أر أحدا عزاه إليه غيره، ورواه ابن أبي حاتم وابن عدي في الكامل "٤/ ١٥٨٢" وفي سنده عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف. ورواه الطبراني في الأوسط بإسنادين ضعيفين "المجمع ١٠/ ٨٦".

٢ البخاري "١/ ٥١" في الإيمان، باب أمور الإيمان، ومسلم "١/ ٦٣/ ح٣٥" في الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها.

٣ البخاري "١٠/ ٢٨٢" في اللباس، باب الثياب البيض وغيرها، ومسلم "١/ ٩٥/ ح١٥٤" في الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة.." (٢)

"التزمه واتبعه هو "قول" أي: بالقلب واللسان "وعمل" أي: بالقلب واللسان والجوارح، فهذه أربعة أشياء جامعة لأمور دين الإسلام:

الأول: قول القلب وهو تصديقه وإيقانه، قال الله تعالى: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون، لهم ما

---

(١) التعليقات السنية على العقيدة الواسطية فيصل المبارك ص/١١٧

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول حافظ بن أحمد حكمي ٢/٤١٥

يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين﴾ [الزمر: ٣٣، ٣٤] وقال تعالى: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين﴾ [الأنعام: ٧٥] وقال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ [الحجرات: ١٥] صدقوا ثم لم يشكوا. وفي حديث الدرجات العلا: "بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين" ١. وقال تعالى: ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ [البقرة: ٣] وقال تعالى: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم﴾ [البقرة: ١٣٦] الآيات، وقال تعالى: ﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب﴾ [الشورى: ١٥] وغير ذلك من الآيات.

وفي حديث الشفاعة: "يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه من الخير ما يزن شعيرة" ٢ الحديث.

وفي الحديث الآخر: "فيقال: انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان، ثم من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، ثم من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان" ٣.

---

١ البخاري "٦/ ٣٢٠" في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ومسلم "٤/ ٢١٧٧/ ح٢٨٣١" في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف كما يرى الكوكب في السماء.

٢ البخاري "١٣/ ٣٩٢" في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لما خلقت بيدي﴾ ومسلم "١/ ١٧٧، ١٧٨/ ح١٩١" في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

٣ البخاري "١٣/ ٤٧٣، ٤٧٤" في التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء، ومسلم "١/ ١٨٢-١٨٤/ ح١٩٣" في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة.." (١)

"متفرقة، منها ما هو **من قول القلب وعمله**، ومنها ما هو من قول اللسان، ومنها ما هو من عمل الجوارح.

ولما كانت الصلاة جامعة لقول القلب وعمله وقول اللسان وعمله وعمل الجوارح، سماها الله تعالى إيمانا في قول الله عز وجل: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ [البقرة: ١٤٣] يعني: صلاتكم كما يعلم من سبب نزول الآية، وروى سعيد بن منصور عن عبد الرحمن بن يزيد: كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- وما سبقونا به فقال عبد الله: إن أمر محمد -صلى الله عليه وسلم- كان بينا لمن رآه، والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط إيمانا أفضل من إيمان بالغيب، ثم قرأ: ﴿الم ذلك الكتاب﴾ إلى قوله: ﴿المفلحون﴾ [البقرة: ١-٥] ١. والآيات والأحاديث في هذا الباب يطول ذكرها، وإنما أشرنا إلى طرف منها يدل على ما وراءه، وبالله التوفيق.

وهذا المعنى هو الذي قصده السلف الصالح بقولهم رحمهم الله تعالى: إن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، وإن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان. وحكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم.

وأنكر السلف على من أخرج الأعمال عن الإيمان إنكارا شديدا، وممن أنكر ذلك على قائله وجعله قولا محدثا، ممن سمي لنا: سعيد بن جبير وميمون بن مهران وقتادة وأيوب السختياني والنخعي والزهري وإبراهيم ويحيى بن أبي كثير والثوري

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول حافظ بن أحمد حكمي ٥٨٨/٢

والأوزاعي وعمر بن عبد العزيز وغيرهم٢. قال الثوري: هو رأي محدث، أدركنا الناس على غيره. وقال الأوزاعي: كان من مضى من السلف لا يفرقون بين العمل والإيمان. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار: أما بعد، فإن الإيمان فرائض وشرائع، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم

---

١ رواه سفيان بن عيينة وسعيد بن منصور وأحمد بن منيع في مسنده وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف وابن مردويه عن الحارث بن قيس أنه قال لابن مسعود ... الحديث "الدر المنثور ١/ ٦٥". وأخرجه الحاكم "٢/ ٢٦٠" وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وسنده عند سعيد بن منصور سنده "ابن كثير ١/ ٤٣".

٢ انظر الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.." (١)

""والحالة الثانية" أن يطلق الإيمان مقرونا بالإسلام، وحينئذ يفسر بالاعتقادات الباطنة كما في حديث جبريل هذا وما في معناه، وكما في قول الله عز وجل: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ [النساء: ٥٧] في غيرما موضع من كتابه، وكما في قول النبي -صلى الله عليه وسلم- في دعاء الجنازة: "اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان" ١، وذلك أن الأعمال بالجوارح وإنما يتمكن منها في الحياة، فأما عند الموت فلا يبقى **غير قول القلب وعمله**. وكحديث أنس عند أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الإسلام علانية، والإيمان في القلب" ٢.

والحاصل أنه إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ، بل كل منهما على انفراده يشمل الدين كله، وإن فرق بين الاسمين كان الفرق بينهما بما في هذا الحديث الجليل. والمجموع مع الإحسان هو الدين كما سمى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك كله دينا، وبهذا يحصل الجمع بين هذا الحديث وبين الأحاديث التي فيها تفسير الإيمان بالإسلام والإسلام بالإيمان، وبذلك جمع بينه وبينها أهل العلم.

قال ابن رجب رحمه الله: وأما وجه الجمع بين هذه النصوص وبين حديث سؤال جبريل عليه السلام عن الإسلام والإيمان وتفريق النبي صلى الله عليه وسلم بينهما وإدخاله الأعمال في مسمى الإسلام دون الإيمان، فإنه يتضح بتقرير أصل، وهو أن من الأسماء ما يكون شاملا لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه، فإذا قرن ذلك

---

١ رواه أبو داود "٣/ ٢١١/ ح٣٢٠١" في الجنائز، باب الدعاء للميت، والترمذي "٣/ ٣٤٣/ ح١٠٢٤" في الجنائز، باب ما يقول في الصلاة على الميت، وابن ماجه "١/ ٤٨٠/ ح١٤٩٨" في الجنائز، باب ما جاء في الدعاء في الصلاة على الجنازة، وأحمد "٢/ ٣٦٨" و"٤/ ١٧٠/ و٣٠٨"، وابن حبان "الإحسان ٥/ ٢٩" والحاكم "١/ ٣٥٨" وقال: "صحيح على شرط الشيخين" ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

٢ رواه أحمد "٣/ ١٣٥، ١٣٦" وأبو يعلى بتمامه "المجمع ١/ ٥٧" والبزار مختصرا "كشف الأستار ١/ ١٩" وابن أبي شيبة في الإيمان "ص٥/ ح٦" قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح ما خلا علي بن مسعدة، وقد وثقه ابن حبان وأبو داود

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول حافظ بن أحمد حكمي ٢/٦٠٠

الطيالسي وأبو حاتم وابن معين وضعفه آخرون "المجمع ١/ ٥٧" وعلي هذا قال الحافظ في التقريب: صدوق له أوهام.." (١)

"معها» (١) . الحديث، وإن كانوا جماعة ولهم شوكة وجب على الإمام قتالهم حتى يؤدوها للآيات والأحاديث السابقة وغيرها، وفعله أبو بكر والصحابة رضي الله عنهم أجمعين. وأما الصوم فلم يرد فيه شيء ولكن يؤدبه الإمام أو نائبه بما يكون زجرا له ولأمثاله. وأما الحج فكل عمر العبد وقت له لا يفوت إلا بالموت، والواجب فيه المبادرة، وقد جاء الوعيد الأخروي في التهاون فيه، ولم ترد فيه عقوبة خاصة في الدنيا.

[تعريف الإيمان]

س: ما هو الإيمان؟

ج: الإيمان قول **وعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان

---

(١) (حسن) رواه أبو داود (١٥٧٥) ، والنسائي (٢٢٩٢) أ، (٢٢٩٧) أ، وابن الجارود (١٧٤) ، والحاكم (١ / ٣٩٨) ، والبيهقي (٤ / ١٠٥) ، وأحمد (٤ / ٢، ٤) من طرق عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، وقد قال الحاكم: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي، وقد حسن الحديث الشيخ الألباني للخلاف المعروف على بهز بن حكيم، وقال الشافعي: ليس بحجة، وهذا الحديث لا يثبته أهل العلم بالحديث ولو ثبت لقلنا به، وكان الشافعي قد قال به في مذهبه القديم ثم رجع عن ذلك في الجديد، أما عن شرح مسألة " أخذ نصف ماله معه " فقد تقرر عن كثير من علماء الأمة أن الغلول في الصدقة والغنيمة لا يوجب غرامة في المال. ولذلك فإنهم اتجهوا إلى تأويل هذا الحديث بما يلي:

(١) أن الحديث منسوخ، ورد ذلك بأن دعوى النسخ غير مقبولة إلا مع وجود الدليل على ذلك مع العلم بتاريخ الأسبق، وهذا غير محقق في مسألتنا.

(٢) أن الحديث فيه وهم قد وقع في سياق متنه وأن الصحيح " فإنا آخذوها من شطر ماله " أي يجعل ماله شطرين فيتخير عليه المصدق ويأخذ الصدقة من خير الشطرين عقوبة لمنعه الزكاة، فأما ما لا يلزمه فلا.

(٣) أن الحديث صحيح ويجب أن يؤخذ به على ظاهره، وأنه قد ثبت عدة أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في شرعية العقوبات المالية لم تثبت نسخها بحجة.

(٤) أن الحديث ضعيف باعتبار أن بهزا لا يحتج به، وقد ذهب إلى ذلك بعض العلماء وخالفهم آخرون، والقول الثاني هو الأقرب عندنا، والله تعالى أعلم.." (٢)

"فبين صلى الله عليه وسلم أن الإحسان على مرتبتين متفاوتتين، أعلاهما عبادة الله كأنك تراه، وهذا مقام المشاهدة، وهو أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته لله تعالى بقلبه وهو أن يتنور القلب بالإيمان وتنفذ البصيرة في العرفان حتى يصير

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول حافظ بن أحمد حكمي ٢/٦٠٣

(٢) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة = ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة الاسلامية حافظ بن أحمد حكمي ص/١٦

الغيب كالعيان، وهذا هو حقيقة مقام الإحسان. الثاني: مقام المراقبة وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إياه واطلاعه عليه وقربه منه فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه فهو مخلص لله تعالى؛ لأن استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله تعالى وإرادته بالعمل، ويتفاوت أهل هذين المقامين بحسب نفوذ البصائر.

[ما يضاد الإيمان]

س: ما هو ضد الإيمان؟

ج: ضد الإيمان الكفر، وهو أصل له شعب، كما أن الإيمان أصل له شعب، وقد عرفت مما تقدم أن أصل الإيمان هو التصديق الإذعاني المستلزم للانقياد بالطاعة، فالكفر أصله الجحود والعناد المستلزم للاستكبار والعصيان، فالطاعات كلها من شعب الإيمان وقد سمى في النصوص كثير منها إيمانا كما قدمنا، والمعاصي كلها من شعب الكفر وقد سمى في النصوص كثير منها كفرا كما سيأتي، فإذا عرفت هذا عرفت أن الكفر كفران، كفر أكبر يخرج من الإيمان بالكلية وهو الكفر الاعتقادي المنافي لقول القلب وعمله أو لأحدهما، وكفر أصغر ينافي كمال الإيمان ولا ينافي مطلقه وهو الكفر العملي، الذي لا **يناقض قول القلب ولا** عمله ولا يستلزم ذلك.

[كيفية منافاة الكفر الاعتقادي للإيمان بالكلية]

س: بين كيفية منافاة الكفر الاعتقادي للإيمان بالكلية وفصل لي ما أجملته في إزالته إياه؟ .." (١)

"ج: قد قدمنا لك أن الإيمان قول **وعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، فقول القلب هو: التصديق، وقول اللسان هو: التكلم بكلمة الإسلام، وعمل القلب هو: النية والإخلاص، وعمل الجوارح هو الانقياد بجميع الطاعات، فإذا زالت جميع هذه **الأربعة قول القلب وعمله** وقول اللسان وعمل الجوارح زال الإيمان بالكلية، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع البقية، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة، وذلك كمن كذب بأسماء الله وصفاته أو بأي شيء مما أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه، وإنزال عمل القلب مع اعتقاد الصدق، فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان كله بزواله وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب، وهو محبته وانقياده كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول بل ويقرون به سرا وجهرا ويقولون: ليس بكاذب ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به.

[أقسام الكفر الأكبر المخرج من الملة]

س: كم أقسام الكفر الأكبر المخرج من الملة؟

ج: علم مما قدمناه أنه أربعة أقسام: كفر الجهل والتكذيب، وكفر جحود، وكفر عناد واستكبار، وكفر نفاق.

[كفر الجهل والتكذيب]

---

(١) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة = ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة الاسلامية حافظ بن أحمد حكمي ص/٩٦

س: ما هو كفر الجهل والتكذيب؟

ج: هو ما كان ظاهرا وباطنا كغالب الكفار من قريش ومن قبلهم من الأمم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون﴾ [غافر: ٧٠] وقال تعالى: ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾ [الأعراف: ١٩٩] وقال تعالى: ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون - حتى إذا جاءوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أماذا كنتم تعملون﴾ [النمل: ٨٣ - ٨٤] الآيات." [١]

"بالعملي المحض الذي لم يستلزم الاعتقاد ولم **يناقض قول القلب ولا** عمله.

[أقسام الظلم والفسوق والنفاق]

س: إلى كم ينقسم كل من الظلم والفسوق والنفاق؟

ج: ينقسم كل منهما إلى قسمين: أكبر هو الكفر، وأصغر دون ذلك.

[مثال كل من الظلم الأكبر والأصغر]

س: ما مثال كل من الظلم الأكبر والأصغر؟

ج: مثال الظلم الأكبر ما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين﴾ [يونس: ١٠٦] وقوله تعالى: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ [لقمان: ١٣] وقوله تعالى: ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾ [المائدة: ٧٢] ومثال الظلم الذي دون ذلك ما ذكر الله تعالى بقوله في الطلاق: ﴿واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾ [الطلاق: ١] وقوله تعالى: ﴿ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه﴾ [البقرة: ٢٣١]

[مثال الفسوق الأكبر والأصغر]

س: ما مثال كل من الفسوق الأكبر والأصغر؟

ج: مثال الفسوق ما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿إن المنافقين هم الفاسقون﴾ [التوبة: ٦٧] وقوله تعالى: ﴿إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾ [الكهف: ٥٠] وقوله تعالى: ﴿ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين﴾ [الأنبياء: ٧٤] ومثال الفسوق الذي دون ذلك قوله تعالى في القذفة: ﴿ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون﴾ [النور: ٤] وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ [الحجرات: ٦] روي أنها." [٢]

---

(١) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة = ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة الاسلامية حافظ بن أحمد حكمي ص/٩٧

(٢) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة = ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة الاسلامية حافظ بن أحمد حكمي ص/١٠١

". . . . .

[الحجرات: من الآية١٤] ، فإن من حكمت له النصوص أنه مؤمن فإنه مسلم على كل حال، فإن الإيمان وصف أعلى من وصف الإسلام، لأنه مشتق من الأمن فهو من الأمور الباطنة الذي يؤتمن عليه، ويكون خفية، والإسلام من الأمور المدركة المحسوسة في الظاهر، مشتق من التسليم أو المسالمة كما تقدم، فإذا أطلق الإيمان في النصوص دخل فيه الإسلام، وإذا أطلق الإسلام لم يدخل فيه الإيمان، ومن أثبت له الإيمان في النصوص، فإنه ثابت له الإسلام، والمسلم لابد أن يكون معه إيمان يصحح إسلامه، وإلا كان منافقا، ولكن لا يستحق أن يمدح به ويثنى عليه، بل إيمانه ناقص، ويأتي تمثيله، والإيمان الرعي: **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، ويزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فدخل فيه جميع المأمورات، سواء كان من بالواجبات أو المستحبات، ودخل فيه ترك جميع المنهيات، سواء." (١)

"وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي – صلى الله عليه وسلم –: مجوس هذه الأمة، ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات، حتى سلبوا العبد قدرته واختياره، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها.

فصل: ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح. وأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر؛ كما يفعله الخوارج؛ بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي؛ كما قال سبحانه: ﴿فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف﴾ ، وقال: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين – إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾ .." (٢)

".[(فصل: ومن أصول [أهل السنة والجماعة] (١) أن الدين والإيمان قول **وعمل، قول القلب** (٢) واللسان (٣) ، وعمل القلب (٤) واللسان (٥) والجوارح (٦) . وأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية) (٧) .].

/ش/ سبق أن ذكرنا في مسألة الأسماء والأحكام أن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان، وأن هذه الثلاثة داخلة في مسمى الإيمان المطلق.

فالإيمان المطلق يدخل فيه جميع الدين: ظاهره وباطنه، أصوله وفروعه، فلا يستحق اسم الإيمان المطلق إلا من جمع ذلك كله ولم ينقص منه شيئا.

ولما كانت الأعمال والأقوال داخلة في مسمى الإيمان؛ كان الإيمان قابلا للزيادة والنقص، فهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ كما هو صريح الأدلة من الكتاب والسنة، وكما هو ظاهر مشاهد من تفاوت المؤمنين في عقائدهم وأعمال قلوبهم وأعمال جوارحهم.

---

(١) حاشية ثلاثة الأصول عبد الرحمن بن قاسم ص/٩٩

(٢) شرح العقيدة الواسطية للهراس محمد خليل هراس ص/

(١) في المخطوط: [الفرقة الناجية] .

(٢) قول القلب: تصديقه وإيقانه.

(٣) قول اللسان: النطق بالشهادتين.

(٤) عمل القلب: النية، والإخلاص، والمحبة والانقياد

(٥) عمل اللسان: ما لا يؤدى إلا به؛ كتلاوة القرآن وسائر الأذكار.

(٦) عمل الجوارح: ما لا يؤدى إلا بها؛ مثل: القيام، والركوع، والسجود.

انظره وما قبله في: ((معارج القبول)) (٢/١٧-٢٠) .

(٧) اعلم أن من قال بإحدى هذه العبارات فقد وقع في الإرجاء أو دخلت عليه شبهته:

١- الإيمان تصديق بالقلب فقط. (جهمية)

٢- الإيمان نطق باللسان فقط. (كرامية)

٣- الإيمان تصديق بالقلب ونطق باللسان (مرجئة الفقهاء)

٤- الإيمان تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالقلب دون الجوارح.

٥- الإيمان لا يزيد ولا ينقص والناس في أصله سواء.

٦- الكفر تكذيب فقط (جهمية)

٧- الكفر لا يكون إلا بالاعتقاد أوالجحود والاستحلال، ويستشهدون بقول الطحاوي رحمه الله في عقيدته: ((ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب، مالم يستحله)) .

(والصواب أن يقال: الكفر يكون بالقول أو الفعل أو الاعتقاد، ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب -دون الشرك أو الكفر-، مالم يستحله) .." [١]

"اللغة التصديق.

ولكن في هذا نظر؛ لأن الكلمة إذا كانت بمعنى الكلمة؛ فإنها تتعدى بتعديتها، ومعلوم أن التصديق يتعدى بنفسه، والإيمان لا يتعدى بنفسه؛ فتقول مثلا: صدقته، ولا تقول: آمنته! بل تقول: آمنت به. أو: آمنت له. فلا يمكن أن نفسر فعلا لازما لا يتعدى إلا بحرف الجر بفعل متعد ينصب المفعول به بنفسه، ثم إن كلمة (صدقت) لا تعطي معنى كلمة (آمنت)، فإن (آمنت) تدل على طمأنينة بخبره أكثر من (صدقت).

ولهذا؛ لو فسر الإيمان بالإقرار؛ لكان أجود؛ فنقول: الإيمان: الإقرار، ولا إقرار إلا بتصديق؛ فتقول: أقر به؛ كما تقول: آمن به، وأقر له؛ كما تقول: آمن له.

هذا في اللغة.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للهراس محمد خليل هراس ص/٢٣١

* وأما في الشرع؛ فقال المؤلف: "قول وعمل".

* وهذا تعريف مجمل فصله المؤلف بقوله: "قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح".

* فجعل المؤلف للقلب قولا وعملا، وجعل للسان قولا وعملا.

- أما قول اللسان؛ فالأمر فيه واضح، وهو النطق، وأما عمله؛ فحركاته، وليست هي النطق، بل النطق ناشئ عنها إن سلمت من الخرس.." (١)

"- وأما قول القلب؛ فهو اعترافه وتصديقه. وأما عمله؛ فهو عبارة عن تحركه وإرادته؛ مثل الإخلاص في العمل؛ فهذا عمل قلب، وكذلك التوكل والرجاء والخوف؛ فالعمل ليس مجرد الطمأنينة في القلب، بل هناك حركة في القلب.

- وأما عمل الجوارح؛ فواضح؛ ركوع، وسجود، وقيام، وقعود، فيكون عمل الجوارح إيمانا شرعا؛ لأن الحامل لهذا العمل هو الإيمان.

* فإذا قال قائل: أين الدليل على أن الإيمان يشمل هذه الأشياء؟

قلنا: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره" (١)؛ فهذا قول القلب. أما عمل القلب واللسان والجوارح؛ فدليله قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "الإيمان بضع وسبعون شعبة: أعلاها: قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان" (٢)؛ فهذا قول اللسان وعمله وعمل الجوارح، والحياء عمل قلبي، وهو انكسار يصيب الإنسان ويعتريه عند وجود ما يستلزم الحياء.

فتبين بهذا أن الإيمان يشمل هذه الأشياء كلها شرعا.

---

(١) تقدم تخريجه (١/ ٥٤)، وهو عند مسلم (٨).

(٢) رواه مسلم (٣٥) من حديث أبي هريرة بهذا اللفظ، وقد أخرجه البخاري (٩) بلفظ: "الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان".." (٢)

"الإيمان والدين عند أهل السنة

س١٨٥- ما الإيمان والدين عند أهل السنة والجماعة؟

ج- من أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

قول القلب

س١٨٦- ما هو قول القلب وما دليله؟

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين ابن عثيمين ٢/ ٢٣٠

(٢) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين ابن عثيمين ٢/ ٢٣١

ج- **أما قول القلب فمعناه** يكون بتصديقه وإيقانه، قال تعالى (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) وقوله (وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين) وقال (إنما المؤمنون الذي آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) وقال (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا) الآية.

قول اللسان

س١٨٧- ما هو قول اللسان وما دليله؟

ج- هو النطق بالشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله والإقرار بلوازمهما، قال الله تعالى (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) وقال (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) وقال صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وقال لسفيان بن عبد الله قل آمنت بالله ثم استقم.." (١)

"الفرق بين الإسلام والإيمان

قال الشيخ الحافظ أبو بكر الإسماعيلي رحمه الله تعالى في بيان اعتقاد أهل السنة في بحثه في مسائل الإيمان: [وقال كثير منهم: إن الإيمان قول وعمل، والإسلام فعل ما فرض على الإنسان أن يفعله إذا ذكر كل اسم على حدته مضموما إلى الآخر فقيل: المؤمنون والمسلمون جميعا.

أو مفردين أريد بأحدهما معنى لم يرد بالآخر، وإن ذكر أحد الاسمين شمل الكل وعمهم.

وكثير منهم قالوا: الإسلام والإيمان واحد، فقال الله عز وجل: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه﴾ [آل عمران:٨٥] ، فلو أن الإيمان غيره لم يقبل، وقال: ﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ [الذاريات:٣٥-٣٦] .

ومنهم من ذهب إلى أن الإسلام مختص بالاستسلام لله والخضوع له والانقياد لحكمه فيما هو مؤمن به، كما قال: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ [الحجرات:١٤] ، وقال: ﴿يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان﴾ [الحجرات:١٧] ، وهذا أيضا دليل لمن قال: هما واحد.

ويقولون: إن الله يخرج من النار قوما من أهل التوحيد بشفاعة الشافعين برحمته، وإن الشفاعة حق، وإن الحوض حق، والميزان حق.

والحساب حق، ولا يقطعون على أحد من أهل الملة أنه من أهل الجنة أو أنه من أهل النار؛ لأن علم ذلك مغيب عنهم لا يدرون على ماذا يموت: أعلى الإسلام أم على الكفر؟ ولكن يقولون: إن من مات على الإسلام مجتنبا للكبائر والأهواء والآثام فهو من أهل الجنة؛ لقوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾ [البينة:٧] ، ولم يذكر

(١) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية عبد العزيز السلمان ص/١٢٦

عنهم ذنبا، ﴿جزاؤهم عند ربهم جنات عدن﴾ [البينة:٨] .

ومن شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بعينه بأنه من أهل الجنة وصح له ذلك عنه فإنهم يشهدون له بذلك اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتصديقا لقوله] .

تكلم هنا على الفرق بين الإسلام والإيمان، وقد تقدم قول أهل السنة أن الإيمان قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح، قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، وعلى هذا اتفق سلف الأمة، ولما ابتدأ البخاري كتابه بعد المقدمة بالإيمان قال: وهو قول وفعل.

ويريد بالفعل فعل القلب وفعل الجوارح، جاء بهذه العبارة من نفسه، ونقل عنه أنه لما ذكر مشايخه الذين ذكرهم في صحيحه قال: إني خرجت هذه الأحاديث عن أكثر من ثلاثمائة شيخ كلهم يقولون: الإيمان قول وعمل.

ولكن اختلفوا هل الإسلام والإيمان بمعنى واحد أو بينهما فرق.

على أقوال.

فذهب كثير من العلماء إلى أن الإسلام والإيمان شيء واحد، وأن من أطلق عليه مسلم فإنه يصدق عليه أنه مؤمن وبالعكس، ويميل إلى هذا ابن رجب في شرح الأربعين النووية في شرح حديث جبريل الذي فيه تفسير الإسلام والإيمان، أن أحدهما يفسر بما يفسر به الآخر، سواء اجتمعا أو افترقا.

وذهب آخرون إلى أنهما إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، ومعنى ذلك أنهما إذا ذكرا جميعا فلكل واحد منهما تفسير، وإذا ذكر أحدهما أغنى عن الآخر، فيفسر الإيمان بأنه الأعمال الباطنة والإسلام بأنه الأعمال الظاهرة، وذلك بناء على الأصل، فإن أصل الإيمان هو التصديق بالقلب الذي هو يقينه وتصديقه، وأصل الإسلام هو الإذعان والانقياد، يقال: استسلم فلان للأمير وبمعنى: انقاد له وأذعن ولم يعص ولم يتخلف ولم يتبرم.

فلذلك يقال: المسلم هو الذي استسلم لأمر الله وانقاد له، وأذعن وخضع له وتواضع، وأطاعه طوعا وكرها، أطاع الله تعالى مختارا دون أن يتردد في أمر من أمور الدين، إذا أمر بأمر بادر إليه، وإذا نهي عن شيء في الإسلام تركه وابتعد عنه، يعتقد أن ما أمر الله به فإنه عين المصلحة، وما نهى عنه فإنه عين المفسدة، متى سمع بأن لله طاعة في كذا سارع إليها وأتى إليها محبا لها مندفعا إليها اندفاعا قويا كأنه يقاد باختياره دون أن يكون مكرها، فمثل هذا يسمى مسلما، ويقال مثلا في الإبل: استسلم البعير لقائده.

أي: أذعن وانقاد له.

فمثلا: إذا رأيت اثنان يقودان جملين، أحد الجملين مطاوع لمن يقوده، عندما يقوده يتبع قائده ولا يتردد ولا يستعصي ولا يعاند، بل هو مذعن منقاد لا يلتوي ولا يمتنع، فيسمى هذا مستسلما، بينما الجمل الثاني دائما ينفر ممن يقوده ويستعصي عليه ويجر رأسه إذا قاده بخطامه، وربما تفلت من الذي يقوده وشرد وهرب منه، فيقال: هذا الجمل غير مستسلم.

وورد في ذلك حديث ولو كان ضعيفا لكنه يستشهد به: (مثل المؤمن كمثل الجمل الأنف إن قيد انقاد، وإن أنيخ ولو على صخرة استناخ) ، هكذا مثل المسلم بأنه كالجمل الأنف، أي: الجمل المذلل الذي يكون بيد من يقوده، إن قاده إلى مرتفع،

وإن قاده إلى منخفض، وإن قاده إلى مكان مظلم، وإن قاده إلى مكان فيه حجارة أو نحو ذلك فإنه ينقاد مع من يقوده ويستسلم ولا يستعصي أبدا، هذا حقا هو الذي يصير مثل المؤمن، إن قيد انقاد، وإن أنيخ ولو على صخرة ولو على رأس جبل استناخ، هذا تعريف الإسلام.

وفسره الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بأنه الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

فالاستسلام هو ما ذكرنا، يقول الله تعالى: ﴿وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها﴾ [آل عمران:٨٣] يعني: له أسلموا واستسلموا، وأنابوا وأذعنوا، فجميع المخلوقات مستسلمة له تحت تصرفه وتقديره.

فهذه حقيقة الإسلام، فعرفنا أن كلا من الإسلام والإيمان له معنى في اللغة وله معنى في الشرع، ولكن يظهر أن الشرع يستعمل الإسلام فيما يستعمل فيه الإيمان، ففي حديث جبريل المشهور فرق بينهما، قال: (فأخبرني عن الإيمان.

قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره) ، ففسر الإيمان بالأعمال الباطنة، وذلك دليل على أنه هو في الأصل اليقين أو عمل القلب، وفي تعريف الإسلام (وقال: أخبرني عن الإسلام.

قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا) ، ففسر الإسلام بالأعمال الظاهرة، فالشهادتان ولو كانتا قولا لكنها ظاهرتان، فيظهر أثرهما بأن يعبد الله وحده ويطيعه، والصلاة أمر ظاهر مشاهد، والصوم كذلك أيضا أمر ظاهر مشاهد، والزكاة إيتاؤها أيضا أمر ظاهر، والحج أمر ظاهر، فهذه هي الأعمال الظاهرة، لكن جاء في حديث ابن عباس في وفد عبد القيس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (آمركم بأربع: آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيموا الصلاة، وتؤتوا الزكاة، وتؤدوا الخمس من المغنم) ، فجعل هذا هو الإيمان، فذكر فيه الشهادتين والصلاة والزكاة، فدل على أنه قد يفسر الإسلام بما يفسر به الإيمان، وبالعكس فإن كلا منهما يدخل في الآخر، فإذا ذكرا جميعا فالإسلام هو الأعمال الظاهرة والإيمان هو أعمال القلب، وإذا اقتصر على الإسلام فإنه يستلزم دخول أعمال القلب فيه، وإن اقتصر على الإيمان كذلك دخلت فيه الأعمال الظاهرة لأنها من تعريفه، وقد كتب فيه شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية رحمه الله، وهو أوسع من كتب فيه، فكتب فيه كتاب الإيمان الكبير، وكتاب الإيمان الأوسط، وكتاب الإيمان الصغير، ولكن كتاب الإيمان الصغير يظهر أنه ليس من كتابته، وإنما هو من كتابة بعض أصحابه اختصره من كتبه، وإذا تأملنا كتاب الإيمان الكبير ظهر لنا أنه رحمه الله كأنه لا يوافق على أن الإسلام يدخل فيه الإيمان، بل يرى أن الإسلام يختص بالأعمال الظاهرة، وأن من وصف بأنه مسلم لا يوصف بالإيمان، فهذا هو الذي يميل إليه، وقد سبقه إلى الكتابة في الإيمان علماء كثر، فمنهم: ابن أبي شيبة صاحب المصنف له رسالة في الإيمان مطبوعة، ومنهم أبو عبيد القاسم بن سلام، وإن كان من علماء اللغة لكنه أيضا من علماء الشرع، له رسالة أيضا مطبوعة في الإيمان، ومنهم الإمام ابن منده واسمه: محمد بن إسحاق، عالم مشهور، له كتاب مطبوع في ثلاثة أجزاء اسمه أيضا (الإيمان) ، مما يدل على أن السلف رحمهم الله اهتموا بهذه المسألة، فكتبوا فيها وتوسعوا، فالحاصل أن الإسلام يفسر عند الإطلاق بالأعمال الظاهرة، وهي الشهادتان، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وتدخل فيه بقية الأعمال الظاهرة، وتكون الأركان الخمسة بمنزلة الدعائم التي يقوم عليها ولا يتم إلا بها، كما إذا فرضنا مثلا أن بيتا قائما على أربعة أركان فإننا نسمي كل

ركن دعيمة، وجمعها دعائم، أي: أسس يقوم عليها ولا يتم إلا بها، فلو انهد جانب من جوانبه أصبح مفتوحا تدخله السباع والدواب، ويدخله اللصوص، ولا يصلح أن يسكن، سواء انهد الجانب الأيمن أو الأيسر أو الأمامي أو الخلفي فلا يصلح للسكنى، فيقولون: كذلك الإسلام إذا ترك ركن من أركانه فإنه لا يتم ولا ينتفع به صاحبه، وجعلوا الركن الأساسي عمديته اللتين يعتمد عليهما، فقالوا: الشهادتان بمنزلة الأساس أو بمنزلة الأرض التي يعتمد عليها والسقف الذي يظله، فإذا عدمت الشهادتان أو إحداهما فإنه لا ينتفع به، ولا يمكن أن يكون، فالإنسان لا يبني بيتا في الهواء، لابد أن يكون البيت على قرار، ثم لو بناه ولم يسقفه بل تركه مفتوح السقف لم ينتفع به، فلابد أن يكون له أساس وهو الأرض وسقف وهو أعلاه، فجعل الشهادتين بمنزلة الأساس والسقف، وجعلت." (١)

"الإيمان قول وعمل يزيد وينقص

قال المصنف رحمه الله تعالى: [والإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، كما جاء في الخبر: (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا) (من ترك الصلاة فقد كفر)، وليس من الأعمال شيء تركه كفر إلا الصلاة، من تركها فهو كافر، وقد أحل الله قتله].

مسألة الإيمان من المسائل التي تكلم فيها أهل السنة مع المرجئة وغيرهم.

فقال أهل السنة: إن الإيمان قول وعمل، وإنه تدخل فيه العقائد، وتدخل فيه الأقوال والأعمال، **فهو قول القلب واللسان** وعمل القلب والجوارح، فالأقوال -الأذكار ونحوها- تكون من الإيمان، والعقائد وأذكار القلب تكون من الإيمان، والأعمال البدنية داخلة في مسمى الإيمان، ودليل ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) فكلمة: (لا إله إلا الله) من الإيمان، وهي قول باللسان، وإماطة الأذى من الطريق من الإيمان، وهي عمل بالبدن، والحياء من الإيمان، وهو عمل قلبي، وكذلك بقية شعب الإيمان.

كذلك أيضا نقول: إن من الإيمان جميع الأعمال التي هي قربة، والإيمان يزيد بها وينقص بالمعاصي، فالإيمان عند أهل السنة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وقد أخبر الله بأنه يزيد في قوله تعالى: ﴿ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم﴾ [الفتح:٤]، وقوله جل وعلا: ﴿فزادتهم إيمانا﴾ [التوبة:١٢٤]، وقوله سبحانه: ﴿فزادهم إيمانا﴾ [آل عمران:١٧٣] ونحو ذلك، وكل شيء قبل الزيادة فهو قابل للنقصان، فالإنسان إذا ذكر الله وحمده وشكره زاد إيمانه وإذا تكلم بسوء أو سباب أو شتم أو معصية نقص إيمانه، وهكذا.

ومن الأعمال التي هي من جملة الإيمان: الصلاة؛ فإنها من الإيمان كما قال الله تعالى: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ [البقرة:١٤٣]، يعني: صلاتهم إلى بيت المقدس قبل أن تحول القبلة ما كان الله ليضيع ذلك، فسماها إيمانا؛ لأنها من ثمرة الإيمان، وهذه الصلاة لا شك في أهميتها وعظم شأنها؛ ولأجل ذلك أكد الله ذكرها في القرآن، وأكثر من ذكرها، وورد أيضا في السنة الاهتمام بها، بل وفي بعض الأحاديث أن تركها كفر، يعني: الإصرار على تركها يعتبر كفرا، وأن تاركها يستتاب

(١) اعتقاد أهل السنة ابن جبرين ٢/١٠

فإن تاب وإلا قتل، وإذا أصر على تركها حتى يقتل قتل مرتدا، يعامل معاملة المرتد؛ وذلك لأنها أعظم شعائر الدين ولا شك أن ما كان بهذه العظمة لا يجوز التهاون به.." (١)

"ودمائهم ومقداساتهم في أي بلد غزوه من بلدان المسلمين، إلا بموالاة المنافقين الجبناء والمرتدين الخبثاء، ونصرتهم لهم على المسلمين الصادقين.

ولكن ينبغي التفريق في هذا المقام بين عبد تبين له كفر طائفة وردتها، ثم والاها ونصرها على المسلمين، فهذا يحكم عليه بالكفر والردة، وإن كان فعل هذا من أجل دنيا فانية أو متاع زائل.

وبين عبد التبس عليه حكم مسلم وقع في ناقض فارتد، إلا أن الأول قال بإسلام المرتد بسبب انتشار وتسيد فكر الإرجاء الخبيث، ثم قام بعد ذلك بموالاته ونصرته بسبب ظنه أنه مازال مسلما، لكن هذا مقيد بأن يواليه على ما عنده من طاعة، دون ما وقع فيه من إحداث وكفر وعصيان، وإلا كان أمره مترددا بين المعصية والكفر، بحسب ما والاه عليه من شعب الكفر والعصيان.

الطائفة الثانية: جفت وفرطت في أحكام التكفير، وهم غلاة المرجئة وأفراخهم في القديم والحديث.

ومن نافلة القول أن نقرر: أن مذهب المرجئة في الإيمان يتمثل في: النطق باللسان بكلمة التوحيد، وهو قول اللسان، وتصديق القلب بمعنى الشهادتين، وهو قول القلب، وأخرجوا أعمال الجوارح من الإيمان، وكذا أعمال القلوب، وإن أدخلها بعضهم في مسمى الإيمان، ولكن نصهم على إخراج أعمال الجوارح دليل على عدم اعتبارهم لأعمال القلوب، لأن أعمال الظاهر هي لوازم أعمال الباطن.." (٢)

"للشرك، وكلمة التقوى» (١).

وقال الشيخ سلمان بن عبد الله –رحمهما الله تعالى– مؤكدا على أن الانخلاع من الشرك شرط في صحة وقبول الإسلام بالإجماع:

«فاعلم أن العلماء أجمعوا على أن من صرف شيئا من نوعي الدعاء لغير الله فهو مشرك، ولو قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله وصلى وصام.

إذ شرط الإسلام مع التلفظ بالشهادتين: أن لا يعبد إلا الله. فمن أتى بالشهادتين وعبد غير الله فما أتى بهما حقيقة وإن تلفظ بهما، كاليهود الذين يقولون: لا إله إلا الله وهم مشركون.

ومجرد التلفظ بالشهادتين لا يكفي في الإسلام بدون العمل معناها واعتقاده إجماعا» (٢).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن – رحمهما الله تعالى –: «أما النطق بها –أي بالشهادتين– من غير معرفة لمعناها، ولا يقين، ولا عمل بما تقتضيه، من البراءة من الشرك، وإخلاص القول **والعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح فغير نافع بالإجماع» (٣).

---

(١) شرح أصول السنة للإمام أحمد ابن جبرين ١٤/١

(٢) فتح العلي الحميد في شرح كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد مدحت آل فراج ص/١١٩

(١) فتاوى الأئمة النجدية (١/ ٩٠).

(٢) فتاوى الأئمة النجدية (١/ ٧).

(٣) فتح المجيد / ٣٦.." (١)

"وعبادته وحده لا شريك له، وهذا شيء لا يعرفونه.

فلو كانوا موحدين بالقول والكلام لكان معهم التوحيد دون العمل، وذلك لا يكفي في السعادة والنجاة، بل لا بد من أن يعبد الله وحده، ويتخذ إلها دون ما سواه، وهذا هو معنى قول «لا إله إلا الله» (١) انتهى كلام الشيخ.

فتأمل -رحمك الله- هذا الكلام فإنه مثل ما قال الشيخ فيه نافع جدا، ومن أكبر ما فيه من الفوائد أنه يبين حال من أقر بهذا الدين، وشهد أنه الحق، وأن الشرك هو الباطل، وقال بلسانه ما أريد منه، ولكن لا يدين بذلك، إما بغضا له، أو إيثارا للدنيا مثل تجارة، أو غيرها فيدخلون في الإسلام، ثم يخرجون منه كما قال تعالى: ﴿ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا﴾ [المنافقون: ٣]، ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره﴾ [النحل: ١٠٦] ﴿ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة﴾ [النحل: ١٠٧] (٢٤/ش).

(٢٤/ش) ما أشد وقع هذه الآيات على المرجئة وأذنابهم لو كانوا يعلمون فأساطين الإرجاء قرروا قديما وحديثا الكفر بعد الإيمان لا يكون إلا بتغيير الاعتقاد، أي: بالتكذيب والاستحلال والجحود، **ومحله قول القلب فقط** دون

(١) مجموع الفتاوى (١٨/ ٥٧) وما بعدها.." (٢)

"كفر، أو إيمان، أو طلاق، أو إعتاق، أو بيع، أو شراء، أو صلح، أو إبراء لم يؤاخذ بشيء من ذلك لأنه لم يلتزم مقتضاه، ولم يقصد إليه، وكذلك إذا نطق بما يدل على هذه المعاني بلفظ أعجمي لا يعرف معناه فإنه لا يؤاخذ بشيء من ذلك لأنه لم يرده. فإن الإرادة لا تتوجه إلا إلى معلوم أو مظنون، وإن قصد العربي بنطق شيء من هذه الكلم، مع معرفته بمعانيها نفذ ذلك منه." (١).

وقال الإمام الطحاوي معلقا على حديث الحبرين اللذين شهدا بنبوة النبي – صلى الله عليه وسلم –، دون الإقرار بفرضية اتباعه. قال رحمه الله:

"ففي هذا الحديث أن اليهود قد كانوا أقروا بنبوة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مع توحيدهم لله، فلم يقاتلهم – أي لامتناعهم عن طاعته بعد الإقرار بصحة رسالته – رسولا لله – صلى الله عليه وسلم – حتى يقروا: بجميع ما يقر به المسلمون.

فدل ذلك أنهم لم يكونوا بذلك القول مسلمين: وثبت أن الإسلام لا يكون إلا بالمعاني التي تدل على الدخول في الإسلام،

(١) فتح العلي الحميد في شرح كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد مدحت آل فراج ص/١٣٦

(٢) فتح العلي الحميد في شرح كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد مدحت آل فراج ص/٢٧٠

وترك سائر الملل" (٢).

نعم إن المقصود من أعظم وأجل شهادة في الوجود هو: القيام بمعانيها، وإرادة موجباتها، وتحقيق مقتضياتها، مع حتمية النطق بألفاظها، إلا أن القيام بشروطها، وتحقيق أركانها، لا يقل بحال من الأحوال عن النطق بألفاظها.

فالعبد الذي يعلم معانيها، ويدرك مقتضياتها، إلا أنه يأبى مختارا التلفظ بها فليس بمسلم باتفاق، وكذلك الذي ينطق بها، دون معرفة موجباتها، أو عدم القيام بأركانها لا يكون مسلما سواء بسواء. وهذا أمر معلوم بالأدلة من الكتاب والسنة والإجماع والميزان.

قال عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: "أما النطق بها – أي الشهادتين – من غير معرفة لمعناها، ولا يقين، ولا عمل بما تقتضيه من البراءة من الشرك، وإخلاص القول **والعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح فغير

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (٢/ ١٢٠: ١٢١).

(٢) شرح معاني الآثار (٣/ ٢١٥).." (١)

"المبحث الثاني: اليقين والعمل بمقتضى الشهادة شرط في صحتها:

وقال صاحب فتح المجيد شارحا معنى الشهادة: قوله: "من شهد أن لا إله إلا الله". أي: من تكلم بها عارفا لمعناها عاملا بمقتضاها باطنا وظاهرا. فلا بد في الشهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولها كما قال –تعالى–: (فاعلم أنه لا إله إلا الله).

وقوله: (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون). أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه من البراءة من الشرك وإخلاص القول **والعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح، فغير نافع بالإجماع.

قال القرطبي في الفهم على صحيح مسلم: "باب لا يكفي مجرد التلفظ بالشهادتين": بل لا بد من استيقان القلب –هذه الترجمة تدل على فساد مذهب غلاة المرجئة القائلين: بأن التلفظ بالشهادتين في الإيمان كاف لمن وقف عليها وأحاديث هذا الباب تدل على فساده، بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة ولأنه يلزم منه تسويغ النفاق والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح وهو باطل قطعا.

وفي هذا الحديث ما يدل على هذا وهو قول: "من شهد" فإن الشهادة لا تصح إلا إذا كانت عن علم ويقين وإخلاص وصدق ... وقال الوزير أبو المظفر في الإفصاح: قوله: (شهادة أن لا إله إلا الله) يقتضي أن يكون: الشاهد عالما بأنه: (لا إله إلا الله) كما قال –تعالى–: (فاعلم أنه لا إله إلا الله). قال: واسم الله مرتفع بعد (إلا) من حيث أنه الواجب له الإلهية فلا يستحقها غيره –سبحانه–. قال: وجملة الفائدة في ذلك: أن تعلم أن هذه الكلمة مشتملة على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، فإنك لما نفيت الإلهية وأثبت الإيجاب لله –سبحانه– كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله ... وقال ابن رجب: "الإله" هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالا ومحبة وخوفا ... فمن أشرك مخلوقا في شيء من هذه الأمور التي

---

(١) آثار حجج التوحيد في مؤاخذة العبيد مدحت آل فراج ص/٢٠٧

هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحا في إخلاصه في قول: (لا إله إلا الله) وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك.

وقال البقاعي: "لا إله إلا الله" أي انتفى انتفاء عظيما أن يكون معبود بحق غير الملك الأعظم، فإن هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة، وإنما يكون علما إذا كان نافعا وإنما يكون نافعا إذا كان مع الإذعان والعمل بما تقتضيه وإلا فهو جهل." [١]

"ترجو الله ولا تخشاه كما تخشى الله، ومن سوى بين المخلوق والخالق في شيء من ذلك فقد عدل بالله، وهو من الذين بربهم يعدلون وقد جعل مع الله إلها آخر وإن كان مع ذلك يعتقد أن الله وحده خلق السموات والأرض ....

والأصل الثاني: أن نعبده بما شرع على ألسن رسله لا نعبده إلا بواجب أو مستحب والمباح إذا قصد به الطاعة دخل في ذلك والدعاء من جملة العبادات فمن دعا المخلوقين من الموتى والغائبين واستغاث بهم -مع أن هذا لم يأمر الله به ولا رسوله أمر إيجاب ولا استحباب- كان مبتدعا في الدين مشركا برب العالمين متبعا غير سبيل المؤمنين (١) اهـ.

وقال: فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده، فمن استسلم له ولغيره كان مشركا، ومن لم يستسلم له كان مستكبرا عن عبادته، والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر. والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته وحده فهذا دين الإسلام الذي لا يقبل الله غيره وذلك إنما يكون بأن يطاع في كل وقت بفعل ما أمر به في ذلك الوقت .... فمن بلغته رسالة محمد، صلى الله عليه وسلم، فلم يقر بما جاء به لم يكن مسلما ولا مؤمنا بل يكون كافرا وإن زعم أنه مسلم أو مؤمن (٢) اهـ.

وقال: ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو: الإستسلام لله وحده فأصله في القلب هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه. فمن عبده وعبد معه إلها آخر لم يكن مسلما ومن لم يعبده بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلما. والإسلام هو الاستسلام لله وحده وهو الخضوع له والعبودية له هكذا قال أهل اللغة: أسلم الرجل إذا استسلم. فالإسلام في الأصل من باب العمل، عمل القلب والجوارح. وأما الإيمان فأصله تصديق وإقرار ومعرفة فهو من **باب قول القلب المتضمن** عمل القلب والأصل فيه التصديق والعمل تابع له (٣) اهـ.

---

(١) جـ: ١ ص: ٣١٠ لمجموع الفتاوى.

(٢) جـ: ٣ ص: ٩١: ٩٣ لمجموع الفتاوى.

(٣) جـ: ٧ ص: ٢٦٣ لمجموع الفتاوى.." [٢]

"المبحث الثاني: العلم والعمل ركنا الإيمان.

من المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن العلم هو: الركن الأول من أركان الإيمان وهو أصل التصديق والاعتقاد واليقين ولا يتصور وجودهم إلا به فهو سابق عليهم ومصحح لهم جميعا وأن الالتزام والانقياد وقبول الأحكام من الله وحده هو:

---

[١] العذر بالجهل تحت المجهر الشرعي مدحت آل فراج ص/٨١

[٢] العذر بالجهل تحت المجهر الشرعي مدحت آل فراج ص/١٠٨

ركن الإيمان الثاني وهو عمل القلب.

قال القاضي أبو بكر بن العربي وأما من قال: إنه (أي الإيمان) الاعتقاد والقول والعمل فقد جمع الأقوال كلها، وركب تحت اللفظ مختلفات كثيرة ولم يبعد من طريق التحقيق في جهة الأصول ولا في جهة اللغة. أما في جهة اللغة فلأن الفعل يصدق القول أو يكذبه قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "العينان تزنيان واليدان تزنيان والرجلان تزنيان والنفس تمني وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه" فإذا علم: أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فليتكلم بمقتضي علمه وإذا تكلم بما علم فليعمل بمقتضى علمه فيطرد الفعل والقول والعمل فيقع إيمانا لغويا شرعيا (١). ا. هـ.

وقال ابن القيم وها هنا أصل آخر، وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل: والقول **قسمان: قول القلب وهو**: الاعتقاد، وقول اللسان وهو: التكلم بكلمة الإسلام والعمل قسمان: عمل القلب وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح. فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة. وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة، فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب وهو محبته وانقياده كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول، بل ويقرون به سرا وجهرا ويقولون: ليس بكاذب ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به ...

فإن يلزم من عدم طاعة القلب عدم طاعة الجوارح، إذ لو أطاع القلب وانقاد أطاعت الجوارح وانقادت، ويلزم من عدم طاعته وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة، وهو حقيقة الإيمان. فإن الإيمان ليس مجرد التصديق –كما تقدم بيانه، وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة

---

(١) أحكام القرآن ج: ٢ ص: ٩٤٥ لأبي بكر بن العربي.." (١)

"بن عياش وعبد العزيز بن أبي سلمة وحماد بن سلمة وحماد بن زيد: الإيمان المعرفة والإقرار والعمل (١). ا. هـ.

وقال: قال أحمد: وأما من زعم أن الإيمان الإقرار. فما يقول في المعرفة؟ هل يحتاج إلى المعرفة مع الإقرار؟ وهل يحتاج أن يكون مصدقا بما عرف؟ فإن زعم أنه يحتاج إلى المعرفة مع الإقرار فقد زعم أنه من شيئين وإن زعم أنه يحتاج أن يكون مقرا ومصدقا بما عرف فهو من ثلاثة أشياء وإن جحد وقال لا يحتاج إلى المعرفة والتصديق فقد قال قولا عظيما ولا أحسب أحدا يدفع المعرفة والتصديق وكذلك العمل مع هذه الأشياء (٢) ا. هـ.

وقال: أمرنا الله أن نقول في الصلاة (اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين). وقال النبي، صلى الله عليه وسلم، "اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون". لأن اليهود يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم ولا يتبعونه لما فيهم من الكبر والحسد الذي يوجب بغض الحق ومعاداته والنصارى لهم عبادة وفي قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها، لكن بلا علم فهم ضلال. هؤلاء لهم معرفة بلا قصد صحيح، وهؤلاء لهم قصد في الخبر بلا معرفة له وينضم إلى

---

(١) العذر بالجهل تحت المجهر الشرعي مدحت آل فراج ص/١٣٣

ذلك الظن، واتباع الهوى فلا يبقى في الحقيقة معرفة نافعة ولا قصد نافع بل يكون كما قال تعالى عن مشركي أهل الكتاب: (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير). وقال تعالى: (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ..). فالإيمان في القلب لا يكون إيمانا بمجرد تصديق ليس معه عمل القلب وموجبه من محبة الله ورسوله ونحو ذلك كما أنه لا يكون إيمانا بمجرد ظن وهوى بل لا بد في أصل الإيمان **من قول القلب وعمل** القلب (٣) ا. هـ.

وقال ابن القيم: قالوا: والقلب عليه واجبان لا يصير مؤمنا إلا بهما جميعا: واجب المعرفة والعلم، وواجب الحب والانقياد والاستسلام. فكما لا يكون مؤمنا إذا لم يأت بواجب العلم والاعتقاد لا يكون مؤمنا إذا لم يأت بواجب الحب والانقياد والاستسلام بل إذا ترك هذا الواجب مع علمه ومعرفته به كان أعظم كفرا وأبعد عن الإيمان من الكافر جهلا (٤). ا. هـ.

---

(١) جـ: ٧ ص: ٢٣٩ لمجموع الفتاوى.

(٢) جـ: ٧ ص: ٣٩٣ لمجموع الفتاوى.

(٣) جـ: ٧ ص: ٥٢٨: ٥٢٩ لمجموع الفتاوى.

(٤) مفتاح دار السعادة جـ: ١ ص: ٩٥.." [1]

"وقال: فإن الإيمان فرض على كل واحد وهو: ماهية مركبة من علم وعمل فلا يتصور وجود الإيمان إلا بالعلم والعمل

...

وهل تمكن عبادة الله التي هي حقه على العباد كلهم إلا بالعلم وهل ينال العلم إلا بطلبه (١). ا. هـ.

قلت: فساعة إقرار العبد بالشهادتين تجري عليه أحكام الإسلام مع افتراض وجود الإيمان في الباطن الذي يصحح له إسلامه -ما لم يلتبس مع إقراره بشرك ظاهر أو دليل على عدم تغير الاعتقاد -فإن عبد غير الله بعد إقراره، أو والى المشركين ونصرهم وأحبهم، أو تحاكم إلى الطاغوت أو استهزأ بشيء من آيات الله، أو سوغ اتباع شريعة غير شريعة الله أو تولى عن طاعة الرسول -صلى الله عليه وسلم- ولم يلتزم طريقه ومنهاجه، أو سوغ طريقا إلى الله غير طريقه. علمنا بهذا الظاهر فساد أصل الإيمان في الباطن. إما بسبب تخلف العلم الذي هو أحد ركني الإيمان **وهو قول القلب أو** تخلف الانقياد والمحبة وهو شقه وركنه الثاني وهو عمل القلب. وبفساد الإيمان الذي هو شرط كما نص العلماء لصحة الإسلام يفسد أيضا الإسلام ويكون العبد بهذا كافرا في الظاهر والباطن وهذا لنقضه الشهادتين اللتين هما أصل الدين خاصة.

قال ابن رجب: من أقر بالشهادتين صار مسلما حكما فإذا دخل في الإسلام بذلك ألزم بالقيام ببقية خصال الإسلام، ومن ترك الشهادتين خرج من الإسلام وفي خروجه من الإسلام بترك الصلاة خلاف معروف مشهور بين العلماء وكذلك في تركه بقية مباني الإسلام الخمس (٢). ا. هـ.

وقبل أن أختم هذا الباب بمشيئة الله وعونه سأذكر رؤوس المسائل التي جاءت فيه:

١ - إن الانتقال من الشرك والكفر إلى الإسلام ورفع السيف عن رؤوس المشركين شرطه الانخلاع من الشرك وإفراد الله

---

[1] العذر بالجهل تحت المجهر الشرعي مدحت آل فراج ص/١٣٥

بالطاعة والتأله له وحده لا شريك له.

٢ – العلم بالشهادتين شرط في الانتقال لأنه لا يتم الانخلاع من الشرك إلى التوحيد إلا به.

٣ – التزام التوحيد والإسلام في الظاهر متابعة للآباء المتابعة المحضة دون اعتقاده في الباطن لا ينفع صاحبها في الآخرة.

---

(١) المصدر السابق جـ: ١ ص: ١٥٦.

(٢) جامع العلوم والحكم ص: ٢٣.." [1]

"فإذا ظهر من العبد بعد هذا ناقض من نواقض الشهادتين علمنا فساد الإيمان لديه إما بسبب فساد العلم الذي **هو قول القلب وهو** ركن الإيمان الأول، وإما بسبب فساد الانقياد الذي هو عمل القلب وهو ركنه الثاني وعند هذا نقطع بفساد الإيمان والإسلام لدى هذا العبد.

قال ابن تيمية: فالإيمان في القلب لا يكون إيمانا بمجرد تصديق ليس معه عمل وموجبه من محبة الله ورسوله ونحو ذلك، كما أنه لا يكون إيمانا بمجرد ظن وهوى بل لا بد في أصل الإيمان **من قول القلب وعمل** القلب. ا. هـ.

وقال أيضا: وكانوا يقولون الإيمان: معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالإركان. ا. هـ.

وقال: وقوله تعالى: (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء) وقوله: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم). الآية.

فجعل هذه الأمور شرطا في ثبوت حكم الإيمان فثبت أن الإيمان المعرفة بشرائط لا يكون معتدا به دونها (١). ا. هـ.

وقال ابن القيم: قالوا: والقلب عليه واجبان لا يكون مؤمنا إلا بهما جميعا واجب المعرفة والعلم وواجب الحب والانقياد والاستسلام فكما لا يكون مؤمنا إذا لم يأت بواجب العلم والاعتقاد لا يكون مؤمنا إذا لم يأت بواجب الحب والانقياد والاستسلام بل إذا ترك الواجب من علمه ومعرفته به كان أعظم كفرا وأبعد عن الإيمان من الكافر جهلا (٢). ا. هـ.

وقال أيضا –رحمه الله–: فإن الإيمان فرض على كل أحد وهو ماهية مركبة من علم وعمل فلا يتصور وجود الإيمان إلا بالعلم والعمل (٣). ا. هـ.

قلت: ومن هذا يعلم أن العبد إذا فعل الشرك بجهل قطعنا بتخلف العلم لديه الذي هو ركن من أركان الإيمان وبالتالي فساده وفساد الإسلام لدى هذا العبد. وهذه السادسة.

ومن هذه النقاط الست وغيرها الكثير يعلم أن هؤلاء الأئمة لا يعذرون المشرك بجهله ولا يدخلونه في مسمى المسلمين.

وأما فتاوى هؤلاء العلماء في أنهم لا يكفرون أحدا ممن وقع في الشرك والكفر إلا بعد إقامة الحجة وذلك لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة كقول ابن تيمية –رحمه الله–

---

(١) قد مرت هذه النقول من قبل فلتراجع مصادرها.

---

(١) العذر بالجهل تحت المجهر الشرعي مدحت آل فراج ص/١٣٦

(٢) قد مرت هذه النقول من قبل فلتراجع مصادرها.

(٣) قد مرت هذه النقول من قبل فلتراجع مصادرها.." [(١)]

"المطلب الأول: بيان أصل الإيمان

أصل الإيمان، به يدخل العبد في الإسلام، وبه يكون اعتبار سائر الأعمال، وبصلاح ما في القلب أو فساده يكون صلاح الأعمال أو فسادها، قال صلى الله عليه وسلم:" ... ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله؛ ألا وهي القلب " ١.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: "فأصل الإيمان في القلب، **وهو قول القلب وعمله**، وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد" ٢.

فالتصديق: هو قول القلب، وهو المعرفة والإثبات لما دلت عليه الشهادتان.

والحب: عمل القلب نحو المشهود لهما، وهو الله تبارك وتعالى في شهادة أن لا إله إلا الله، ومحمد بن عبد الله في شهادة أن محمدا رسول الله، فيحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ودينه.

والانقياد: عمل القلب أيضا، وهو القبول وعقد العزم على الامتثال لما دلت عليه الشهادتان.

---

١ رواه البخاري، كتاب الإيمان، ح (٥٢) الصحيح مع الفتح ١/١٢٦.

٢ مجموع الفتاوى ١٤/١١٩.." [(٢)]

"ولا بد مع هذا الذي يقوم بالقلب، من النطق بالشهادتين؛ وجمع بينهما الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به " ١.

قال النووي٢ –رحمه الله– معقبا على هذا الحديث: "وفيه أن الإيمان شرطه الإقرار بالشهادتين مع اعتقادهما، واعتقاد جميع ما أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم " ٣.

قوله: الإقرار بالشهادتين: التلفظ بهما.

مع اعتقادهما: **هو قول القلب وعمله** كما تقدم.

واعتقاد ما جاء به الرسول ... اعتقاد أن الرسول صلى الله عليه وسلم صادق في كل ما أخبر به، وليس المراد أن من شرط الإيمان أن يعرف كل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ويعتقده.

---

١ رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى ... ص (٣٤) ١/٥٢.

٢ الإمام العلامة أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الحوراني النووي الشافعي، ولد سنة ٦٣١هـ، له من التصانيف: شرح

---

(١) العذر بالجهل تحت المجهر الشرعي مدحت آل فراج ص/٢٧٥

(٢) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ١/١٩١

صحيح مسلم، والأذكار، ورياض الصالحين، والأربعون النووية، وحلية الأبرار، وغيرها كثير، توفي سنة ٦٧٦هـ ببلده نوا.
انظر: البداية والنهاية ١٣/٢٩٤، وشذرات الذهب ٥/٣٥٤.
٣ شرح النووي على صحيح مسلم ١/٢١٢.." [١]

"وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فلا يكون مسلما إلا من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وهذه الكلمة بها يدخل الإنسان في الإسلام ... فيكون معه من الإيمان هذا الإقرار، وهذا الإقرار لا يستلزم أن يكون صاحبه معه من اليقين ما لا يقبل الريب ... لكن لا بد من الإقرار بأنه رسول الله، وأنه صادق في كل ما أخبر عن الله" ١.

وبناء على ما تقدم يتبين أن أصل الإيمان ينعقد بثلاثة أمور:

الأول: النطق بالشهادتين.

الثاني: قول القلب وهو العلم والتصديق بمعناهما، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم صادق في كل ما أخبر به عن الله.

الثالث: عمل القلب، وهو قبول التوحيد والبراءة من ضده، والمحبة لله ولرسوله ولدينه، والعزم على الانقياد لهما.

فإذا جاء العبد بأصل الإيمان فهو مأمور مكلف بتكميل إيمانه، ليس له أمن في الحياة الدنيا ولا في الآخرة إلا بذلك، فإذا امتثل العبد الطاعات، واجتنب المحرمات، فقد استكمل عرى الإيمان الواجب، وأصبح في مرتبة المقتصد.

---

١ كتاب الإيمان لابن تيمية، المصدر السابق ص٢٣١، ٢٣٢.." [٢]

"صفة الكلام

(وقل غير مخلوق كلام مليكنا ... بذلك دان الأتقياء وأفصحوا)

(ولا تك في القرآن بالوقف قائلا ... كما قال أتباع لجهم وأسجحوا)

(ولا تقل القرآن خلق قرأته ... فإن كلام الله باللفظ يوضح)

لعل الناظم بدأ بهذه الصفة قبل غيرها من الصفات؛ لمناسبة السياق، وذلك أنه بدأ في البيتين الأولين بذكر التمسك بالكتاب والسنة، فلما ذكر وجوب التمسك بالقرآن، بدأ بذكر أبيات فيها ذكر عقيدة أهل السنة في القرآن، والرد على الذين خالفوا الحق وباينوه وجانبوا معتقد أهل السنة فيه، فهذه الأبيات فيها بيان موجز لمعتقد أهل السنة في هذه المسألة، ورد على أصناف من أهل البدع، وهم طوائف عديدة، أشار الناظم إلى بعضهم فبدأ رحمه الله بالكلام في هذه المسألة بقولة:

(وقل غير مخلوق كلام مليكنا)

(قل) الخطاب لصاحب السنة المتمسك بالكتاب والسنة، أي: قل معتقدا مؤمنا بهذا الأمر غير شاك فيه ولا متردد؛ لأن القول إذا أطلق فإنه **يشمل قول القلب وقول** اللسان، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قولوا آمنا بالله﴾ (البقرة: من الآية١٣٦)

---

(١) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ١/١٩٢

(٢) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ١/١٩٣

أي: قولوا ذلك بقلوبكم إيمانا واعتقادا وبألسنتكم نطقا وتلفظا.

(غير مخلوق كلام مليكنا) وهذا فيه إثبات أمرين يتعلقان بصفة الكلام:." [1]

"والصحابي: هو الذي لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على ذلك، فكل من كان بهذه الصفة فهو من الصحابة وقل فيه خير قول، ولما ذكر الله في سورة الحشر المهاجرين والأنصار قال: ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالأيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ (الحشر:١٠) . فذكر الله لمن جاء بعدهم صفتين هما: سلامة الصدر وسلامة اللسان، وهكذا يجب أن يكون صاحب السنة تجاه الصحابة فلا يحمل عليهم في قلبه غلا ويكون سليم اللسان فلا يقدح فيهم ولا يخوض فيما شجر بينهم بل يقول عنهم ما يزيد حبهم في القلوب. والناظم رحمه الله أشار إلى تحقيق هاتين الصفتين بقوله: (وقل خير قول) وقد مر معنا أن القول إذا أطلق **يشمل قول القلب وقول** اللسان، ويكون المعنى قل فيهم خير قول بقلبك بأن يكون سليما من الغل والحقد ولا يحمل تجاههم إلا الخير، وبلسانك بأن يكون سليما من الطعن والقدح ولا تتكلم عنهم إلا بالخير.

(ولا تك طعانا تعيب وتجرح) لما أمر ورغب صاحب السنة في أن يقول في الصحابة خير قول، حذره من أن يقع في الطعن والتجريح لأي أحد منهم، (طعانا) أي كثير الطعن، والمقصود النهي عن الطعن في الصحابة، وليس المقصود النهي عن المبالغة في الطعن، فقد يأتي على وزن (فعال) ملا يراد به المبالغة كقوله تعالى: ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ (فصلت: من الآية٤٦) . أي: ليس بذي ظلم، وفي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا: "ليس المؤمن بالطعان." [2]

"الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان" ١ فهذا الحديث الجامع دل على دخول ما يكون باللسان والجوارح والقلب في مسمى الإيمان.

أم دلالته على ما يكون باللسان ففي قوله: "أعلاها قول لا إله إلا الله"، والقول **يشمل قول القلب وقول** اللسان عندما يطلق. قال تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ (فصلت:٣٠)

وقال تعالى: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ (البقرة:١٣٦) .

فالمراد بقوله: ﴿قولوا﴾ أي بقلوبكم وألسنتكم. ولذلك لا ينصرف القول إلى القول باللسان فقط إلا عندما يقيد قال تعالى: ﴿يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون﴾ (آل عمران:١٦٧) . وهي صريحة في أن القول يكون بالقلب واللسان ولذلك أهل السنة عندما يقولون في كتبهم الإيمان قول فهو شامل **لأمرين قول القلب وقول** اللسان.

وأما دلالته على دخول ما يكون بالجوارح في مسمى الإيمان ففي قوله: "وأدناها إماطة الأذى عن الطريق" وهذا يدل على دخول الأعمال في مسمى الإيمان. فإماطة الأذى عمل يقوم به الإنسان وهو جزء من الإيمان وشعبة من شعبه.

---

(١) التحفة السنية شرح منظومة ابن أبي داود الحائية عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/١٨

(٢) التحفة السنية شرح منظومة ابن أبي داود الحائية عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/٦٣

١ البخاري برقم (٩) ، ومسلم برقم (٣٥) .." (١)

"المبحث الثاني: أنواع الكفر الأكبر

تمهيد:

الكفر نوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر؛ فالكفر الأكبر اعتقادي، يخرج من الإيمان بالكلية. والكفر الأصغر عملي، ينافي كمال الإيمان، ولا ينافي مطلقه؛ فهو لا يخرج من الإيمان بالكلية، بل ينقص من كماله١.

والحديث في هذا المبحث منصب على الكفر الأكبر، وهو الاعتقادي، الذي ينافي الإيمان، ويضاده من كل وجه، ويخرج صاحبه عن الدين والملة، ويوجب له الخلود في النار، كما قال عز وجل: ﴿إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية﴾ [البينة: ٦] .

وغنما قلنا عن هذا النوع إنه اعتقادي، لأن مقره القلب.

وقلنا إنه ينافي الإيمان ويضاده؛ لأننا عرفنا الإيمان بأنه قول وعمل؛ "قول القلب وعمله، وقول اللسان، وعمل الجوارح"؛ فإذا زالت هذه الأربعة، زال الإيمان بالكلية، وإذا زال تصديق القلب، لم تنفع البقية١. والكافر جاحد غير مصدق كما بينا ذلك آنفا.

والكفر الأكبر أنواع متعددة، من لقي الله بنوع منها، لم يغفر له، وقد ذكر بعضها العلامة ابن القيم رحمه الله بقوله: وأما الكفر الأكبر، فخمسة أنواع: كفر تكذيب، وكفر استكبارا وإباء مع التصديق، وكفر إعراض، وكفر شكن وكفر نفاق٢.

ومن أنواع الكفر الأكبر أيضا: كفر البغض، والكفر بدعوى علم الغيب.

وسأقتصر على ذكر بعض أنواع الكفر الأكبر -بإذن الله- في المطالب التالية:

١ انظر أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي ص١٤٧.

٢ مدارج السالكين لابن القيم ١/ ٣٦٦.." (٢)

"الإيمان:

. الإيمان قول، وعمل، يزيد، وينقص، **فهو: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح. فقول القلب: اعتقاده وتصديقه، وقول اللسان: إقراره. وعمل القلب: تسليمه وإخلاصه، وإذعانه، وحبه وإرادته للأعمال الصالحة.

وعمل الجوارح: فعل المأمورات، وترك المنهيات.

. مرتكب الكبيرة (*) لا يخرج من الإيمان، فهو في الدنيا مؤمن ناقص الإيمان، وفي الآخرة تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، والموحدون كلهم مصيرهم إلى الجنة وإن عذب منهم بالنار من عذب، ولا يخلد أحد منهم فيها قط.

(١) التحفة السنية شرح منظومة ابن أبي داود الحائية عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/١٠٥

(٢) المفيد في مهمات التوحيد عبد القادر عطا صوفي ص/١٧٦

. لا يجوز القطع لمعين من أهل القبلة بالجنة أو النار إلا من ثبت النص في حقه.

. الكفر (*) من الألفاظ الشرعية وهو قسمان: أكبر مخرج من الملة، وأصغر غير مخرج من الملة ويسمى أحيانا بالكفر العملي.

. التكفير (*) من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسنة، فلا يجوز تكفير مسلم بقول أو فعل ما لم يدل دليل شرعي على ذلك، ولا يلزم من إطلاق حكم الكفر على قول أو فعل ثبوت موجبه في حق المعين إلا إذا تحققت الشروط وانتفت الموانع. والتكفير من أخطر الأحكام فيجب التثبت والحذر من تكفير المسلم، ومراجعة العلماء الثقات في ذلك.

؟ القرآن والكلام:

القرآن كلام الله (حروفه ومعانيه) منزل غير مخلوق؛ منه بدأ؛ وإليه يعود، وهو معجز دال على صدق من جاء به صلى الله عليه وسلم. ومحفوظ إلى يوم القيامة.

؟ القدر:

من أركان الإيمان، الإيمان بالقدر (*) خيره وشره، من الله تعالى، ويشمل:

. الإيمان بكل نصوص القدر ومراتبه؛ (العلم، الكتابة، المشيئة، الخلق) ، وأنه تعالى لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه.

. هداية العباد وإضلالهم بيد الله، فمنهم من هداه الله فضلا. ومنهم من حقت عليه الضلالة عدلا.

. العباد وأفعالهم من مخلوقات الله تعالى، الذي لا خالق سواه، فالله خالق لأفعال العباد، وهم فاعلون لها على الحقيقة.

. إثبات الحكمة في أفعال الله تعالى، وإثبات الأسباب بمشيئة الله تعالى.." [1]

"شيئا من الكمال فهو ناقص، ثم ساق حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير» (١) . وحكى اتفاق السلف على أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية غير واحد من أهل العلم؛ كالشافعي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة [(٣ / ٨٨٦، ٨٨٧)] ، وأحمد كما في مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي [ص (٢٢٨)] ، والبخاري كما في فتح الباري [(١ / ٤٧)] ، وابن عبد البر في التمهيد [(٩ / ٢٣٨)] ، والبغوي في شرح السنة [١ / ٣٨، ٣٩)] ، وعبد الرزاق الصنعاني كما في شرح مسلم [١ / ١٤٦] .

وقوله: (قول) **أي قول القلب واللسان**، فقول القلب هو الاعتقاد، وأما قول اللسان فهو التكلم بكلمتي الإسلام والإيمان.

قوله: (وعمل) العمل قسمان: عمل القلب وهو الإخلاص

---

(١) البخاري (١ / ١٢٧) ح٤٤ في الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، من حديث قتادة عن أنس مرفوعا.." [2]

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة مجموعة من المؤلفين ١/ ٤٠

(٢) اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث محمد بن عبد الرحمن الخميس ص/١٠٥

"– ولكن لشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – رأي آخر في معنى الإيمان اللغوي، وهو من آرائه السديدة، واختياراته الموفقة؛ حيث اختار معنى (الإقرار) للإيمان.

لأنه رأى أن لفظة (أقر) أصدق في الدلالة والبيان على معنى الإيمان الشرعي من غيرها؛ لأمور وأسباب ذكرها ثم ناقشها بالمعقول، ورد بتحقيق علمي رصين قول من ادعى: أن الإيمان مرادف للتصديق، وذكر فروقا بينهما؛ تمنع دعوى الترادف.

قال رحمه الله: (فكان تفسيره – أي الإيمان – بلفظ الإقرار؛ أقرب من تفسيره بلفظ التصديق، مع أن بينهما فرقا) (١) .

وقال أيضا: (ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار؛ لا مجرد التصديق، والإقرار **ضمن قول القلب الذي** هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد) (٢) .

وقال – رحمه الله – في رده على من ادعى الترادف بين الإيمان والتصديق:

(إنه – أي الإيمان – ليس مرادفا للتصديق في المعنى؛ فإن كل مخبر عن مشاهدة، أو غيب، يقال له في اللغة: صدقت، كما يقال:

---

(١) (مجموع الفتاوى) ج ٧، ص ٢٩١.

(٢) (مجموع الفتاوى) ج ٧، ص ٦٣٨.." [1]

"فمسمى الإيمان عند أهل السنة والجماعة؛ كما أجمع عليه أئمتهم وعلماؤهم، هو:

(تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية) .

ومن أصولهم التي اتفقوا عليها في مسمى الإيمان على اختلاف عباراتهم في التعبير – إجمالا وتفصيلا – وذلك خوفا من الاشتباه، أو الالتباس؛ أن الإيمان مركب من:

(قول، وعمل) . أو (قول، وعمل، ونية) . أو (قول، وعمل، ونية، واتباع السنة) .

أي: أن مسمى الإيمان يطلق عند أهل السنة والجماعة على ثلاث خصال مجتمعة، لا يجزيء أحدهما عن الآخر، وهذه الأمور الثلاثة جامعة لدين الإسلام:

(اعتقاد القلب، إقرار اللسان، عمل الجوارح) .

وبعبارة أخرى عندهم:

– قول القلب، وقول اللسان.

– عمل القلب، وعمل الجوارح.

ويمكن توضيح ذلك؛ بالتفصيل التالي:." [2]

---

(١) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة عبد الله بن عبد الحميد الأثري ص/٢١

(٢) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة عبد الله بن عبد الحميد الأثري ص/٢٦

"أولا – قول القلب: هو معرفته للحق، واعتقاده، وتصديقه، وإقراره، وإيقانه به؛ وهو ما عقد عليه القلب، وتمسك به، ولم يتردد فيه، قال الله تبارك وتعالى:

﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ﴿٣٣﴾ لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين﴾ (٢) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير) (٣) .

قول اللسان: إقراره والتزامه.

أي: النطق بالشهادتين، والإقرار بلوازمها.

قال تعالى: ﴿قولوا آمنا بالله ومآ أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي

---

(١) سورة الزمر، الآيتان: ٣٣ – ٣٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٧.

(٣) (رواه البخاري) في (كتاب الإيمان) باب: (زيادة الإيمان ونقصانه) .." [١]

"أقوال أئمة أهل السنة والجماعة

في مسمى الإيمان

اتفق أئمة أهل السنة والجماعة – سلفا وخلفا – على أن الإيمان: قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح؛ يزيد بالطاعة وكثرة العبادة، وينقص بالمعصية والغفلة، وقد حكى الإجماع على ذلك أكثر أهل العلم – رحمهم الله – بل أصبح هذا القول من مميزات أهل السنة والجماعة، والفارقة بينهم وبين أهل البدع والأهواء.

وأقوالهم في هذا الباب كثيرة جدا لا يمكن حصرها في هذه الرسالة، ولكن نذكر بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر:

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يقول لأصحابه: (هلموا نزدد إيمانا) فيذكرون الله تعالى (١) .

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

---

(١) (السنة) الخلال: ٣٩/٥ (١١٢٢) . و (شرح أصول اعتقاد أهل السنة) اللالكائي: ١٠١٢/٥ (١٧٠٠) . و (الإبانة) ابن بطة: ٨٤٦/٢ (١١٣٤) .." [٢]

"وقال: (إن الطاعات تسمى إيمانا ودينا، وإذا ثبت هذا علمنا أن من كثرت عبادته زاد إيمانه ودينه، ومن نقص عبادته نقص دينه) (١) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت ٧٢٨هـ) :

---

(١) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة عبد الله بن عبد الحميد الأثري ص/٢٧

(٢) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة عبد الله بن عبد الحميد الأثري ص/٥٧

(ومن أصول أهل السنة: أن الدين والإيمان قول **وعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية) (٢) .

وقال: (ولهذا كان القول: إن الإيمان قول وعمل – عند أهل السنة – من شعائر السنة، وحكى غير واحد الإجماع على ذلك) (٣) .

وقال الإمام الحافظ ابن القيم رحمه الله (ت ٧٥١هـ) :

(حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل. والقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد، وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام، والعمل قسمان: عمل القلب، وهو نيته وإخلاصه،

---

(١) (شرح صحيح مسلم) النووي: ٦٨/٢.

(٢) (مجموع الفتاوى) : ١٥١/٣.

(٣) (الإيمان) ابن تيمية: ٢٩٢.." [1]

"وقال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله (ت ١٣٧٦هـ) في تفسير الآية ﴿٧٦﴾ من سورة مريم:

(وفي هذا دليل على زيادة الإيمان ونقصه؛ كما قاله السلف الصالح، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ليزداد الذين آمنوا إيمانا﴾ ، ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا﴾ ويدل عليه أيضا الواقع؛ فإن **الإيمان: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، والمؤمنون متفاوتون في هذه الأمور أعظم تفاوت.

وقال العلامة حافظ الحكمي رحمه الله (ت ١٣٧٧هـ) :

(الإيمان: قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح؛ يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ويتفاضل أهله فيه) (١) .

وقال الشيخ العلامة المفسر محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله (ت ١٣٩٣هـ) :

(إن الحق الذي لا شك فيه الذي هو مذهب أهل السنة والجماعة أن الإيمان شامل للقول والعمل مع الاعتقاد، وذلك ثابت في أحاديث صحيحة كثيرة) (٢) .

---

(١) (أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة) : ص ٤٥ تحقيق أحمد الرشد.

(٢) (أضواء البيان) الشنقيطي: ٢٠١/٧.." [2]

"التلازم الظاهر بالباطن

إن ظاهر العبد – عند أهل السنة والجماعة – هو الوجه الآخر لقلبه وباطنه، وأنه انعكاس مباشر له لا يتخلف عنه ولا

---

(١) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة عبد الله بن عبد الحميد الأثري ص/٧٦

(٢) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة عبد الله بن عبد الحميد الأثري ص/٨١

يغايره، وإذا كان الباطن صالحا كان الظاهر كذلك، وإذا كان الباطن فاسدا كان الظاهر كذلك فاسدا بحسبه؛ لأن الإيمان أصله في القلب، وهو:

- **قول القلب من** المعرفة والعلم والتصديق.
- عمل القلب من الإذعان والانقياد والاستسلام.

ولكن من لوازم هذا الإيمان - إذا تحقق في القلب - تحقيقها في الظاهر، فالظاهر لا يتخلف عن الباطن ولا يضاده؛ لأنه ترجمان الباطن، ومرتبط به ارتباطا وثيقا.

فالظاهر والباطن متلازمان لا يكون الظاهر مستقيما إلا باستقامة الباطن، وكذلك العكس.." (١)

"وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

(فأصل الإيمان في القلب، **وهو قول القلب وعمله**، وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد، وما كان في القلب، فلا بد أن يظهر موجبه ومقتضاه على الجوارح، وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دل على عدمه أو ضعفه، ولهذا كانت الأعمال الظاهرة من موجب إيمان القلب ومقتضاه، وهي التصديق لما في القلب، ودليل عليه وشاهد له، وهي شعبة من مجموع الإيمان المطلق وبعض له؛ لكن ما في القلب هو الأصل لما على الجوارح؛ كما قال أبو هريرة - رضي الله عنه - إن القلب ملك، والأعضاء جنوده؛ فإن طاب الملك، طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده) (١) .

وقال أيضا: (فهذا الموضع ينبغي تدبره فمن عرف ارتباط الظاهر بالباطن زالت عنه الشبهة في هذا الباب، وعلم أن من قال من الفقهاء إنه إذا أقر بالواجب وامتنع عن الفعل لا يقتل، أو يقتل مع إسلامه؛ فإنه دخلت عليه الشبهة التي دخلت على المرجئة والجهمية، والتي دخلت على من جعل الإرادة الجازمة مع القدرة التامة لا يكون بها شيء من الفعل، ولهذا كان الممتنعون من قتل

---

(١) (مجموع الفتاوى) ج ٧، ص ٦٤٤.." (٢)

"إيمان بالله ورسوله، لم يخرج بذلك من الكفر؛ فإن المشركين، وأهل الكتاب يرون وجوب هذه الأمور، فلا يكون الرجل مؤمنا بالله ورسوله مع عدم شيء من الواجبات التي يختص بإيجابها محمد صلى الله عليه وسلم (١) .

وقال - أيضا - رحمه الله: (إذا نقصت الأعمال الظاهرة الواجبة؛ كان ذلك لنقص ما في القلب من الإيمان؛ فلا يتصور مع كمال الإيمان الواجب الذي في القلب أن تعدم الأعمال الظاهرة الواجبة، بل يلزم من وجود هذا كاملا، وجود هذا كاملا؛ كما يلزم من نقص هذا، نقص هذا؛ إذ تقدير إيمان تام في القلب بلا ظاهر من قول وعمل، كتقدير موجب تام بلا موجبه، وعلة تامة بلا معلولها، وهذا ممتنع (٢) .

وقال الإمام الحافظ ابن القيم رحمه الله:

---

(١) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة عبد الله بن عبد الحميد الأثري ص/٩١

(٢) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة عبد الله بن عبد الحميد الأثري ص/٩٦

(وها هنا أصل آخر: وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل. والقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد. وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام. والعمل قسمان: عمل القلب، وهو نيته وإخلاصه. وعمل الجوارح.

---

(١) (مجموع الفتاوى) ج ٧، ص ٦٢١.

(٢) (مجموع الفتاوى) ج ٧، ص ٥٨٢.." [1]

"وقال الإمام البغوي رحمه الله تعالى:

(اتفق أهل السنة على أن المؤمن لا يخرج عن الإيمان بارتكاب شيء من الكبائر، إذا لم يعتقد إباحتها، وإذا عمل شيئا منها؛ فمات قبل التوبة، لا يخلد في النار؛ كما جاء به الحديث؛ بل هو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه بقدر ذنوبه، ثم أدخله الجنة برحمته) (١) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

(من أصول أهل السنة والجماعة: أن الدين والإيمان قول **وعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. وهم مع ذلك:

لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر، كما يفعله الخوارج؛ بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي؛ كما قال سبحانه في آية القصاص: ﴿فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف﴾ ..

---

(١) (شرح السنة) الإمام البغوي: ج١، ص ١٠٣.." [2]

"(١) أن الإيمان الكامل يمنع من دخول النار بالكلية كما يمنع صاحبه في الدنيا من فعل المعاصي والإيمان الناقص يمنع الخلود في النار.

(٢) أن الإيمان يوجب لصاحبه أن يكون معتبرا عند الخلق أمينا. ويوجب للعبد العفة عن دماء الناس وأموالهم وأعراضهم.

(٣) أن قوي الإيمان يجد في قلبه من ذوق حلاوته ولذة طعمه واستحلاء آثاره. والتلذذ بخدمة ربه وأداء حقوقه وحقوق عباده التي هي موجب الإيمان وأثره. فالمؤمن يتقلب في لذات الإيمان وحلاوته المتنوعة.

(٤) أن الإيمان هو السبب الوحيد للقيام بذروة سنام الدين، وهو الجهاد البدني والمالي والقولي في سبيل الله.

ثم قال ـ رحمه الله ـ بعد ذكره لهذه الجملة الكبيرة النافعة من ثمرات الإيمان: "وهذا كله من ثمرات الإيمان ومن تمامه وكماله. وبالجملة فخير الدنيا والآخرة كله فرع عن الإيمان ومترتب عليه، والهلاك والنقص إنما يكون بفقد الإيمان أو نقصه"١.

وبعد هذا البيان الموجز لأهمية الإيمان وما يترتب عليه من فوائد وثمار نشرع في تعريف الإيمان وما يتعلق به من مسائل.

تعريف الإيمان:

---

(١) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة عبد الله بن عبد الحميد الأثري ص/٩٨

(٢) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة عبد الله بن عبد الحميد الأثري ص/٢١٨

أن من أصول أهل السنة والجماعة: أن الإيمان قول وعمل؛ قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح٢.

وقد دل على ذلك نصوص كثيرة في الكتاب والسنة:

أما أدلة قول القلب وهو تصديقه وإيقانه:

فمنها: قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ ٣، وقوله تعالى: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون. لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين﴾ ٤.

وقوله تعالى: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين﴾ ٥. وغيرها من الآيات.

---

١ الخلاصة /١٣٠-١٣٤.

٢ العقيدة الواسطية لابن تيمية /١٥٢.

٣ سورة الحجرات/ الآية ١٥.

٤ سورة الزمر/ الآيتان ٣٣، ٣٤.

٥ سورة الأنعام/ الآية ٧٥.." (١)

"من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج والأولاد الصغار فنسينا كثيرا قال أبو بكر رضي الله عنه: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: نافق حنظلة يا رسول الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذاك؟ قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة "ثلاث مرات"١.

فهذه النصوص ظاهرة الدلالة في أن الإيمان يزيد وينقص إذ هي صريحة بذلك.

وقد تناول ابن سعدي هذه المسألة وبين أن الإيمان يزيد وينقص يزيد بقوة الاعتقاد وكثرته وحسن الأعمال والأقوال وكثرتها وينقص بضد ذلك٢.

واستدل على ذلك بأدلة كثيرة أذكر بعضها:

قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون. وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون. أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون﴾ ٣.

"....وفي هذه الآيات دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، وأنه ينبغي للمؤمن أن يتفقد إيمانه ويتعاهده فيجدده وينميه، ليكون دائما في صعود"٤.

---

(١) الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في تو ضيح العقيدة عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/٢٩٨

وقال عند قوله تعالى: ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾ ٥. ".....وفي هذا دليل على زيادة الإيمان ونقصه كما قاله السلف الصالح ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ويزداد الذين آمنوا إيمانا﴾ ٦، ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا﴾ ٧.

ويدل عليه أيضا الواقع فإن **الإيمان قول القلب واللسان** وعمل القلب واللسان

---

١ مسلم ٤/٢١٠٦.

٢ انظر سؤال وجواب /٨، والفتاوى السعدية /١٧، والتفسير ٣٥/٦، والخلاصة /١٣١، وتوضيح الكافية الشافية /٨، ٩، ١٣. وغيرها.

٣ سورة التوبة/ الآيات ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦.

٤ التفسير ٣١٧/٣.

٥ سورة مريم/ الآية ٧٦.

٦ سورة المدثر/ الآية ٣١.

٧ سورة الأنفال/ ٢.." [(١)]

"أخرجه البخاري زاد مسلم في رواية "فأفضلها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى من الطريق".

قال ابن منده: "فجعل الإيمان شعبا بعضها باللسان وبعضها بالقلب وبعضها بسائر الجوارح"الإيمان (٣٣٢/١) .

وعقد البخاري باب (زيادة الإيمان ونقصانه وقول الله تعالى: ﴿وزدناهم هدى﴾ [الكهف:١٣] ﴿ويزداد الذين آمنوا إيمانا﴾ [المدثر:٣١] وقال: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ [المائدة: ٣] فإذا ترك شيئا من الكمال فهو ناقص ثم ساق حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير" ١ وحكى اتفاق السلف على أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية غير واحد من أهل العلم.

كالشافعي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٨٨٦،٨٨٧/٣) وأحمد كما في مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ٢٢٨ والبخاري في فتح الباري ١/ ٤٧ وابن عبد البر في التمهيد ٢٣٨/٩ والبغوي في شرح السنة (٣٨/١، ٣٩) وعبد الرزاق الصنعاني كما في شرح مسلم ١/ ٤٦ ١.

وقوله: **أي قول القلب واللسان** فقول القلب هو الاعتقاد وأما قول اللسان فهو التكلم بكلمتي الإسلام والإيمان.

قوله (وعمل) :

العمل قسمان: عمل القلب: وهو الإخلاص والنية وعمل الجوارح وهي الأعضاء.

---

(١) الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في تو ضيح العقيدة عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/٣٠٤

١ البخاري (١/ ١٢٧) ح ٤٤ في الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه من حديث قتادة عن أنس مرفوعا.." [1]

"عباراتهم المستعملة في أربع: قول وعمل، وقول وعمل ونية، وقول وعمل واتباع السنة، وقول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح ١.

وقد بين شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ مقصود السلف في عباراتهم هذه بقوله: " والمقصود هنا، أن من قال من السلف: الإيمان قول وعمل، **أراد قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب.

ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية، فزاد ذلك. ومن زاد اتباع السنة، فلأن ذلك كله لا يكون محبوبا لله إلا باتباع السنة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل، إنما أرادوا ما كان مشروعا من الأقوال، والأعمال، ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط، فقالوا: بل هو قول وعمل. والذين جعلوه أربعة، بينوا مرادهم، كما سئل سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان ما هو فقال: قول وعمل ونية وسنة، لأن الإيمان إذا كان قولا بلا عمل، فهو كفر، وإذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق، وإذاك كان قولا وعملا ونية لا سنة فهو بدعة " ٢. وبهذا البيان الشافي من شيخ الإسلام، يندفع ما قد يتوهم من خلاف بين عبارات السلف، لأنها جميعها تلتقي عند مفهوم واحد، فجميعهم يقولون لا بد من تصديق القلب وإظهار هذا التصديق بالقول باللسان، ثم التصديق العملي لذلك، بالقيام بعمل ما أوجبه الله ورسوله من الأعمال الظاهرة، والباطنة، واجتناب ما نهى الله ورسوله عنه منها، وفق الكتاب والسنة، كما قال محمد بن الحسين الآجري: " ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب، والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقا، ولا تجزئ معرفة بالقلب ونطق باللسان، حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الثلاث الخصال كان مؤمنا " ٣.

---

١ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، كتاب الإيمان ص ١٤٢ ط المكتب الإسلامي بدمشق.

٢ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، المصدر السابق ص ١٤٣.

٣ الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين، كتاب الشريعة، بتحقيق محمد حامد الفقي، ص١١٩ ط١ بمطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م.." [2]

"على أنه التصديق وذلك لأنهم لا يفرقون بين التصديق والمعرفة كما فرق غيرهم، وكلاهما يرجع إلى القلب وهما شيئ واحد، ومن هؤلاء الباحثين شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ حيث ذكر أن جهما قال بأن الإيمان مجرد تصديق القلب وعلمه، ولم يجعل أعمال القلوب من الإيمان ١.

---

(١) اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث محمد بن عبد الرحمن الخميس ص/٢٨٧

(٢) الإيمان بين السلف والمتكلمين أحمد بن عطية بن علي الغامدي ص/١٨

ثم يذكر في موضع آخر أنه لا فرق بين المعرفة والتصديق حيث قال: " الفرق بين معرفة القلب وبين مجرد تصديق القلب الخالي عن الانقياد، الذي **يجعل قول القلب أمرا** دقيقا، وأكثر العقلاء ينكرونه، وبتقدير صحته، لا يجب على أحد أن يوجب شيئين لا يتصور الفرق بينهما، وأكثر الناس لا يتصورون الفرق بين معرفة القلب وتصديقه " ٢. ورأي ابن تيمية هذا في نظري صحيح، ولكن الفرق بين رأي جهم ورأي غيره ممن قال بأن الإيمان هو التصديق فرق جوهري، لأن جهما جعله تصديقا مجردا عن الانقياد القلبي فمن عرف الله بقلبه فهو المؤمن، ولا يشترط أن يتبع تلك المعرفة خضوعا له وانقيادا، فيكون قد صدقه بقول قلبه وعمل قلبه محبة وتعظيما.

أما الآخرون الذي قالوا بأن الإيمان مجرد التصديق، فإنهم يقصدون تصديق القلب وانقياده بإدخال أعمال القلوب فيه بأن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، ويصدقه في جميع ما نزل من الوحي الإلهي. فيكون الفرق بين المذهبين أن جهما جعل الإيمان تصديقا مجردا عن أعمال القلب، بينما غيره أدخل فيه أعمال القلوب. وقد تابع شيخ الإسلام في رأيه هذا الشيخ محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي في كتابه ((لوامع الأنوار البهية)) ٣.

ورأي جهم في الإيمان الذي تقدم ذكره تكاد تجمع المصادر التي تذكر آراءه على أنه قد قال به، ودعا إليه.

فالإيمان إذن عند جهم لا يتناول إلا الباطن، بحيث أن الإنسان إذا

---

١ كتاب الإيمان لابن تيمية، ص١٥٧.

٢ ابن تيمية، المصدر السابق ص٣٤٠.

٣ ج١ ص٣٦٣، ط١ بمطبعة مجلة المنار، مصر، سنة ١٣٢٤هـ.." [1]

"الإيمان عند أهل السنة وإثبات الأصبع لله

قال: (ونقول إن الإسلام أوسع من الإيمان) وليس كل إسلام إيمانا، فالإسلام يشمل الإيمان، وليس كل إسلام إيمانا؛ لأن الإيمان أخص من الإسلام، (وندين بأن الله يقلب القلوب بين إصبعيه) وهذا فيه إثبات صفة الأصبع له سبحانه وتعالى، وهي صفة ذاتية خبرية.

(وأنه عز وجل يضع السماوات على إصبع كما جاءت الرواية الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) إلى أن قال: (وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص) وهذا من المسائل التي وقع فيها الخلاف بين أهل السنة وغيرهم، وهي مسألة الإيمان، وقد اختلفوا فيها في عدة أمور: منها تعريف الإيمان، فاختلف أهل السنة مع غيرهم في تعريف الإيمان، والصواب: أن الإيمان قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح، واختلفوا أيضا في زيادته ونقصه على أقوال، والصحيح: أن الإيمان يزيد وينقص، وأن زيادته بالطاعة، وأن نقصانه بالزلل.." [2]

---

(١) الإيمان بين السلف والمتكلمين أحمد بن عطية بن علي الغامدي ص/١٠٩

(٢) شرح الفتوى الحموية خالد المصلح ٢٤/٨

"الإيمان بين أهل السنة والمرجئة

يقول المصنف رحمه الله: [ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر؛ كما يفعله الخوارج، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي، كما قال سبحانه في آية القصاص: ﴿فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف﴾ [البقرة:١٧٨] ، وقال: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين * إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾ [الحجرات:٩-١٠] .." (١)

"تعريف الإيمان عند أهل السنة

أهل السنة لا يسلبون الفاسق الملي الإسلام بالكلية، ولا يخلدونه في النار كما تقوله المعتزلة؛ بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله: ﴿فتحرير رقبة مؤمنة﴾ [النساء:٩٢] ، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا﴾ [الأنفال:٢] ، وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن) .

ونقول: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم] .

ينتقل المصنف رحمه الله إلى مسألة الإيمان، فيقول: (ومن أصول أهل السنة والجماعة: أن الدين والإيمان قول وعمل) .

قوله: (أن الدين والإيمان) : المعروف أن العطف يقتضي المغايرة، فالإيمان يكون غير الدين، فالدين المقصود به الشيء الذي يدان به، أي: أمر الله ونهيه، وأمر الله ونهيه يجوز أن يفعل ويجوز أن يترك، أما الإيمان فهو الذي يتعلق بالمخلوق، والذي يوجد من المؤمن، هذا هو الفرق.

والدين أمر ونهي وعقيدة (نية) وكذلك الإيمان، وقد قالوا: إن الإيمان في اللغة التصديق، ونازع في هذا بعض العلماء، وقالوا: إنه تصديق خاص.

وأما في الشرع: فهو قول وعمل وعقيدة، وهذا تعريفه عند أهل السنة، والقول يشمل قول القلب، وقول اللسان؛ ولهذا اقتصر بعض أهل السنة على أنه قول وعمل فقط.

وبعضهم جعله مركبا من ثلاثة أشياء، ولا خلاف في هذا؛ لأن الذي اقتصر على شيئين، فقال: قول وعمل، يقصد **بالقول قول القلب وقول** اللسان، والعمل: عمل الجوارح، وعمل القلب هو الخشية والخوف والرجاء، والإنابة وما أشبه ذلك.

ومعلوم أن الإيمان يتكون من أعمال القلب، ومن أعمال الجوارح.

وقول اللسان ظاهر، وهو النطق بالشهادتين، والذكر والتلاوة، وجميع الأعمال التي تؤدى باللسان، وكذلك عمل الجوارح ظاهر كالصلاة والحج والجهاد وإماطة الأذى عن الطريق وما أشبه ذلك من الأعمال التي يأمر الله جل وعلا بها، فهي كلها

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للغنيمان عبد الله بن محمد الغنيمان ٢/٢٦

داخلة في الإيمان.

إذا: الإيمان عند أهل السنة مركب من ثلاثة أشياء: **من قول القلب وعمل** الجوارح، وقول اللسان، وقول اللسان داخل في عمل الجوارح؛ لأنه جارحة.." (١)

"الإيمان قول وعمل

Q من المعلوم أن الإيمان قول وعمل.

أي: قول القلب وعمل القلب، وقول اللسان وعمل اللسان والجوارح، فهل إذا انتفت إحدى هذه الأركان كان الإنسان كافرا؟

A نعم؛ لأن الإيمان مركب من هذه الأجزاء الثلاثة، فلا بد من اجتماعها عند أهل السنة، فإذا فقد واحد منها يكون الإيمان غير صحيح، وعلى هذا كفر كثير من العلماء المرجئة الذين أخرجوا الأعمال من الإيمان وقالوا إن حقيقة الإيمان العلم أو التصديق، كما هو عند الجهمية، ولهذا قالوا: إنهم أجهل الناس بالله؛ حيث وصفوه بما تعالى وتقدس عنه.

ومعلوم أن ترك الصلاة كفر، والرسول صلى الله عليه وسلم رتب دخول الجنة على أمور خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله – وهذه في ضمنها التصديق– وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج، وهذه كلها أعمال، فإذا قالوا: إن الإيمان مجرد التصديق فمعناه أنهم يرون أن الإنسان إذا ترك الصلاة والزكاة والصوم والحج أنه غير معرض لعقاب ولا أنه خارج عن الدين الإسلامي، بل يرون أنه مؤمن كامل الإيمان.." (٢)

"حقيقة الإيمان والخلاف فيه بين طوائف المسلمين

يقول المصنف رحمه الله: [ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوار، وأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر؛ كما يفعله الخوارج، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي، كما قال سبحانه في آية القصاص: ﴿فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف﴾ [البقرة:١٧٨] ، قال: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ [الحجرات:٩] ، ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾ [الحجرات:١٠] ، ولا يسلبون الفاسق الملي الإسلام بالكلية، ولا يخلدونه في النار كما تقوله المعتزلة؛ بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله: ﴿فتحرير رقبة مؤمنة﴾ [النساء:٩٢] ، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا﴾ [الأنفال:٢] ، وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للغنيمان عبد الله بن محمد الغنيمان ٣/٢٦

(٢) شرح العقيدة الواسطية للغنيمان عبد الله بن محمد الغنيمان ١٤/٢٦

إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن) ، ونقول: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم] .

سبق أن الإيمان عند أهل السنة مركب من ثلاثة أشياء: القول، والعقيدة، والعمل، وتعريفه كما يعرفه أهل السنة في كتبهم هو: قول وعمل واعتقاد، وبعضهم يزيد في هذا التعريف ويقول: يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.." (١)

"الأسئلة

يقول المصنف رحمه الله: [ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر؛ كما يفعله الخوارج، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي، كما قال سبحانه في آية القصاص: ﴿فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف﴾ [البقرة:١٧٨] ، قال: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ [الحجرات:٩] ، ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾ [الحجرات:١٠] ، ولا يسلبون الفاسق الملي الإسلام بالكلية، ولا يخلدونه في النار كما تقوله المعتزلة؛ بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله: ﴿فتحرير رقبة مؤمنة﴾ [النساء:٩٢] ، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا﴾ [الأنفال:٢] ، وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن) ، ونقول: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم] .

سبق أن الإيمان عند أهل السنة مركب من ثلاثة أشياء: القول، والعقيدة، والعمل، وتعريفه كما يعرفه أهل السنة في كتبهم هو: قول وعمل واعتقاد، وبعضهم يزيد في هذا التعريف ويقول: يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.." (٢)

"مذهب السلف في الإيمان

قول السلف الذي حكى الإجماع عليه غير واحد من الأئمة أن الإيمان قول وعمل، وألفاظ السلف في هذا المقام مختلفة، ولكن اختلافها من باب اختلاف الألفاظ، فالذي عبر به الجماهير من أئمة السنة والحديث هو أن الإيمان قول وعمل، وعبر طائفة منهم بأن الإيمان قول وعمل واعتقاد، وعبر طائفة منهم البخاري في صحيحه بأن الإيمان: (قول وفعل)، وعبر بعضهم بأن الإيمان: (قول وعمل ونية واتباع للسنة)، إلى أمثال ذلك من الجمل المأثورة عن بعض أعيان السلف.

وهذه الجمل ليس بينها اختلاف عند التحقيق، بل هي جمل متفقة من حيث المعنى، وإن كان المأثور عن جماهير من السلف هو أجود التعبيرات، وهو قولهم: الإيمان قول وعمل، ومرادهم بالقول **هنا: قول القلب وقول** اللسان، ومرادهم بالعمل:

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للغنيمان عبد الله بن محمد الغنيمان ٢/٢٧

(٢) شرح العقيدة الواسطية للغنيمان عبد الله بن محمد الغنيمان ٧/٢٧

عمل القلب وعمل الجوارح، فأما قول اللسان فبين، وأما عمل الجوارح فبين، وهي الشرائع الظاهرة كالصلاة والصوم والحج وأمثال ذلك، **وأما قول القلب** -وهو أصل الإيمان عند السلف ومبناه- فمرادهم به: تصديق القلب.

وأما عمل القلب فهو: حركته بهذا التصديق في أعماله المناسبة له، كالمحبة والرضا والخوف والاستعانة إلى غير ذلك من أعمال القلوب، وعليه فأصول الإيمان على هذا الاعتبار تكون أربعة: تصديق القلب وعمل القلب وقول اللسان وعمل الجوارح.

وأما ذكره الشافعي وأمثاله -وهو الشائع في كلام أكثر المتأخرين من أهل السنة- من أنه قول وعمل واعتقاد، فإنهم يريدون بالقول: قول اللسان، ويريدون بالعمل: الأعمال الظاهرة والباطنة، ويريدون بالاعتقاد: التصديق.

فالقصد أن هذه الجمل المأثورة عن السلف لا خلاف بينها في نفس الأمر.

وعلى هذا المعنى أجمع السلف رحمهم الله، وأجمعوا على أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وزيادته ونقصانه متعلقة بأصوله الأربعة، فليست مختصة بالعمل وحده، بل يزيد وينقص من جهة الأعمال الظاهرة، ومن جهة الأقوال إذا ما فسر قول اللسان بغير الشهادتين، ويزيد وينقص في أعمال القلوب، بل حتى التصديقات متفاضلة.." (١)

"إثبات صفة الكلام لله عز وجل

قال المؤلف رحمه الله: [وقوله صلى الله عليه وسلم: (يقول تعالى: يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار) متفق عليه.

وقوله صلى الله عليه وسلم: (ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان)] .

هذان الحديثان من جملة ما مثل به المؤلف رحمه الله لأحاديث الصفات الواردة في سنة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهما يفيدان إثبات صفة الكلام للرب جل وعلا، وصفة الكلام صفة ذاتية فعلية كما تقدم، وهي: صفة يثبتها أهل السنة والجماعة بالكتاب والسنة والإجماع والعقل، وهي: صفة ثابتة لله عز وجل في جميع الشرائع؛ ولذلك التحريف فيها وإنكارها مما يقدح في الإيمان بالرسل؛ لأن جميع الأنبياء أخبروا بذلك، وهم مجمعون على أن الله سبحانه وتعالى يتكلم بحرف وصوت، كما سيأتي بيانه.

والحديث الأول: فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (يقول الله تعالى) والقول يدل على اتصافه سبحانه وتعالى بالكلام، وهذا النوع من الأحاديث يسمى بـ (الحديث القدسي) ، وهذا التعبير هو المشهور، وهو الاصطلاح المعروف عند كثير من أهل العلم، فالأحاديث المصدرة بقوله: قال الله تعالى، أو التي فيها: قال الله تعالى هي أحاديث قدسية، وشيخ الإسلام رحمه الله يسميها (الأحاديث الإلهية) ، والفرق بين الحديث الإلهي والحديث النبوي أن الحديث الإلهي فيه خبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن ربه، فهو خبر عن الله.

وقد قال جمهور المحدثين: إن الحديث الإلهي -الحديث القدسي- لفظه من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومعناه من الله، واختار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن الحديث الإلهي لفظه ومعناه من الله، وهذا القول قوي، وهو الذي يستفاد

---

(١) شرح الطحاوية - يوسف الغفيص يوسف الغفيص ٤/١٩

من ظواهر الأحاديث، فإن نسبة القول إلى الله هي نسبة لفظ ومعنى، ولكن يفارق الحديث الإلهي -الحديث القدسي- القرآن أن لفظه ليس بمعجز، وأنه لا يتعبد بقراءته، فليس كل حرف فيه بعشر حسنات كما ورد ذلك في القرآن، وأنه لا يشترط في مسه الطهارة لا الصغرى ولا الكبرى، فلو أن كتابا تضمن الأحاديث الإلهية -الأحاديث القدسية- فلا يشترط للمسه ومطالعته أن يكون الإنسان على طهارة، هذا هو الصحيح، وبهذا يتميز الحديث الإلهي -الحديث القدسي- عن القرآن فيقال: إن لفظه ومعناه من الله جل وعلا هذا الأصل، وأن ما يثبت للمصحف من أحكام فهو غير ثابت للحديث الإلهي.

فقول النبي صلى الله عليه وسلم: (يقول الله تعالى) هذا فيه إثبات أن الله جل وعلا يتكلم؛ لأن القول الأصل فيه لا يكون إلا على ما ظهر وتبين من اللفظ، وأما ما يدور في الخاطر فإنه قد يصح أن يقال: إنه قول، لكن لابد من تقييده.

فلا يرد القول مطلقا ويراد به حديث النفس، وإنما إذا أريد بالقول ما يدور في الخاطر وما يجول في الضمير والقلب فلابد من تقييده، **فيقال: قول القلب أو** قول النفس أو قالت نفسي، أما إذا ورد القول مطلقا فإنه لا ينصرف إلا على القول الذي يتبين ويظهر بحرف وصوت.

قوله: (يقول الله تعالى: يا آدم!) هذا فيه خطاب لأبي البشر آدم عليه السلام، وآدم إنما يعقل كلاما بحرف وصوت، وليس المراد كلاما معنويا كما تقول الأشاعرة ومثبتة الصفات.

(فيقول -أي: آدم عليه السلام-: لبيك وسعديك) .

(لبيك وسعديك) هذان مصدران لا مفرد لهما من لفظيهما، ومعنى (لبيك) أي: أقمت على طاعتك وإجابتك، إقامة بعد إقامة، وإجابة بعد إجابة، والتثنية للتكثيف، كقوله تعالى: ﴿ثم ارجع البصر كرتين﴾ [الملك:٤] ، فإن التثنية في كلام العرب ترد ويراد بها مطلق التكثيف لا العدد نفسه.

وكذلك (سعديك) معناها: إسعاد بعد إسعاد، يعني: إعانة بعد إعانة، فهو يطلب من الله عز وجل العون والإسعاد على ما هو بصدده.

(فينادي -والمنادي هو الله جل وعلا- بصوت) ، وهذا لفظ نبوي فيه إثبات النداء بصوت، وقوله: (بصوت) هذا تأكيد للنداء، وإلا فإن أهل اللغة مجمعون على أنه لا يكون نداء إلا بصوت رفيع؛ ولذلك لا حاجة إلى أن نقول: الذي يدل على إثبات الصوت هو قوله: (بصوت) ولا شك أنه إثبات ومستند، ولكن نقول: لو لم يرد إلا النداء مستقلا لأفاد إثبات الصوت لكلامه سبحانه وتعالى، وقد ورد النداء في القرآن في أكثر من عشرين موضعا كما تقدم في الآيات.

(فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار) قد يقول قائل: إن المنادي هنا غير الله بقرينة قوله: (إن الله يأمرك) ولكن هذا مصروف ومردود بأن يقال: إن ذكر لفظ الجلالة وذكر اسم الله سبحانه وتعالى في الأمر يكون لتأكيد الأمر ولزومه وإثباته.

(فينادي -الفعل مضاف إلى الله عز وجل لأنه لم يذكر غيره في السياق- بصوت: إن الله يأمرك) تأكيدا للأمر، فذكر لفظ الجلالة -اسم الله سبحانه وتعالى- في ثنايا الأمر تأكيدا له وإلزاما به.

(إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار) -نعوذ بالله منها- وهذا يثبت هذه الصفة لله عز وجل في موضعين:

الأول: في قوله: (يقول الله تعالى) .

والثاني: في قوله: (فينادي بصوت) .

قال: (وقوله: (ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه)) .

(ما) نافية تفيد العموم، والكاف في قوله: (منكم) كاف الخطاب، فمن المخاطب؟ قيل: المخاطب هم أهل الإسلام؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب الصحابة.

وقيل: إن المخاطب هو جنس الإنسان، فكل سيكلمه الله سبحانه وتعالى من كافر ومسلم: (ما منكم من أحد) وأكد العموم بـ (من) التي هي نص في العموم: (ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه) ، والكلام إنما يفهم ويعرف باللفظ، فليس الكلام هنا كلاما معنويا كما تقول الأشاعرة، إنما هو كلام بحرف وصوت، وهذا الكلام قد وقت بظرف وهو يوم البعث، فدل ذلك على أنه كلام متعلق بمشيئته وإرادته.

وهذا يدل على أن صفة الكلام صفة ذاتية فعلية، فهي ذاتية باعتبار أصل اتصاف الله عز وجل بهذه الصفة، فإنه لم يزل ولا يزال متصفا بهذه الصفة، وفعلية باعتبار أفراد ما يتكلم به جل وعلا، فتكليمه للعباد يوم البعث متعلق بمشيئته، وهذا دليل على أن الكلام صفة فعلية، كما أنه صفة ذاتية له سبحانه وتعالى.

قوله: (سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان) الترجمان هو: المفسر، أي: ليس بينه وبين الله عز وجل مفسر يبين الكلام ويوضحه، وهذا النفي فائدته تحقق التكليف، وأنه من الله مباشرة، ليس هناك بينه وبينه وسيط، هذا فائدة التأكيد في قوله: (ليس بينه وبينه ترجمان) ، وهذا فيه إثبات صفة الكلام لله عز وجل، وسيأتي مزيد بحث في هذه الصفة في كلام المصنف رحمه الله.." (١)

"الإيمان قول وعمل

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد: قال المصنف رحمه الله: [ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح] .

هذا الأصل من الأصول المهمة التي يجب على المؤمن أن يعلم الحق فيها لكثرة الاشتباه والاضطراب.

قال رحمه الله: ومن أصول أهل الفرقة الناجية -جعلنا الله وإياكم منهم- أن الدين والإيمان، الدين: عام، والإيمان: خاص، فهذا من باب عطف الخاص على العام؛ لأن الدين يشمل الإيمان، ويشمل الإسلام، ويشمل الإحسان كما تقدم في أول هذا الكتاب المبارك.

(أن الدين والإيمان قول وعمل) وعلى هذا أجمع أهل السنة والجماعة متقدموهم ومتأخروهم، والعبرة بإجماع السلف، والسلف مجمعون على هذا، حتى إنه لكثرة كلامهم وظهوره في هذا الباب، مما يؤدي إلى هذا المعنى: أن الإيمان قول وعمل؛ أصبحت

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لخالد المصلح خالد المصلح ٤/١٢

هذه الكلمة من علامات السنة، ومن شعائرهم، ومن شعاراتهم، فمن شعارات أهل السنة وأعلامهم: أن الإيمان اعتقاد، وأن الإيمان قول وعمل.

وقد تنوعت عبارات أهل السنة والجماعة في بيان الإيمان: فبعضهم قال: الإيمان قول وعمل كما هو كلام الشيخ رحمه الله، ومنهم من قال: الإيمان قول وعمل ونية، ومنهم من قال: الإيمان قول وعمل ونية واتباع سنة، ومنهم من قال: الإيمان قول اللسان، واعتقاد الجنان، وعمل الجوارح.

واعلم أن هذه المنقولات عن السلف لا اضطراب فيها ولا اختلاف، بل هي من تنوع العبارة، فالعبارة متنوعة لكن المضمون واحد، والعقد فيها متفق، فلا اختلاف، وكلها ترجع إلى أمر واحد، والخلاف هو باعتبار تقسيم المعرف للإيمان، أما من حيث المضمون وما تؤديه هذه العبارات المختلفة فهو واحد.

فمن قال: إن الإيمان قول وعمل **فمراده: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح.

ومن قال: إن الإيمان قول وعمل ونية فمراده: أن عمل القلب لا يدخل في القول؛ لأن القول ظهور من اللفظ، والقلب لا يظهر منه شيء فاحتاج إلى زيادة نية.

ومنهم من زاد: (اتباع السنة) ؛ لأن العمل إذا لم يكن متبعا فيه السنة فإنه مردود على صاحبه، فهذه العبارات المختلفة تؤدي إلى معنى واحد كما بين ذلك شيخ الإسلام رحمه الله، وقال: إن هذا من اختلاف التنوع، والمضمون في كلامهم واحد لا خلاف فيه.

يقول رحمه الله: (قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح) .

فأضاف القول إلى القلب، لو قال قائل: كيف تضيفون القول إلى القلب والقول لا يكون في الأصل إلا في اللسان؟ نقول: إن القول يضاف إلى اللسان وإلى القلب، فهو عند الإطلاق قول اللسان، لكن إذا قيد بإضافة إلى القلب فإنه يصح إثباته للقلب، فما **هو قول القلب في** كلام المؤلف رحمه الله؟ هو إقراره واعتقاده ونيته، وقال **بعضهم: قول القلب هو** إخلاصه.

فقول المؤلف رحمه الله: (قول القلب) يعني: اعتقاده ونيته وإقراره، (وقول اللسان) هو ما ظهر من اللسان من الإقرار بالشهادتين، ولا يمكن أن يكون الإنسان مؤمنا إلا بهذين الأمرين، فإذا صدر منه قول اللسان دون إقرار القلب هل ينفعه هذا الشيء؟ لا، فمن تكلم بالشهادتين لكن قلبه خال منهما فهو منافق، هذه هي حال المنافقين: ﴿يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم﴾ [الفتح:١١] .

ولو قر في قلبه تعظيم هذا الدين ومحبته والتصديق به لكنه لم يتلفظ بلسانه، فلم يقل: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، وهو قادر على التلفظ، هل يكون مسلما؟ الجواب: لا، بإجماع أهل الإسلام؛ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا) والشهادة إنما تكون بالإعلام والبيان، وفي رواية: (حتى يقولوا) والأكثر: (حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله) ، فعلم بهذا أنه لا تستقر قدم أحد على دين الإسلام إلا بهذين الأمرين، قول القلب: وهو إقراره واعتقاده ونيته، وقول اللسان: وهو تلفظه بالشهادتين.

وقوله: (عمل القلب) هل القلب له عمل؟ نعم، القلب له عمل عظيم، وهو أصل عمل الجوارح، المحبة أين هي؟ هل تتحرك

اليدان بالمحبة؟ المحبة أمر قلبي، الخوف أين يكون؟ في القلب، وهكذا الخشية الرجاء التوكل الإنابة الإخبات، فأعمال القلوب كثيرة، وهي حركاته في الطاعات وهي من الإيمان، ويدل لذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (والحياء شعبة من الإيمان) ، والحياء أمر قلبي، وأصله في القلب، وإن كانت تظهر علاماته على الجوارح، لكن أصل الحياء إنما يكون في قلب الإنسان.

قال: (وعمل اللسان) .

الشهادتان مضت في قول اللسان، فما هو عمل اللسان؟ اشتغاله بذكر الله عز وجل: التسبيح التحميد التكبير قراءة القرآن تعليم العلم تعلم العلم إذا كان بقراءة، كل هذا من عمل اللسان فهو من الإيمان، دليل ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضع وسبعون شعبة: أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) ، الشاهد في قوله: (قول لا إله إلا الله) ، وكذلك الأحاديث الكثيرة التي لا حصر لها في فضائل الأقوال، وترتيب الأجور على ما يكون من الإنسان من الأقوال، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من كان آخر كلامه من الدنيا: لا إله إلا الله؛ دخل الجنة) ، والجنة إنما تكون لأهل الإيمان، فجعل هذا القول سببا لدخول الجنة، وهي لا تكون إلا لأهل الإيمان؛ فدل ذلك على أن القول من الإيمان.

قال: (والجوارح) أي: عمل البدن، فعمل البدن كله من الإيمان؛ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في بيان شعب الإيمان: (وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) ، فبهذا نعلم أن الإيمان لا يكون مجرد اعتقاد في القلب، بل لا بد من اعتقاد القلب، وقول اللسان، وعمل الجوارح، فالذي يقول: الإيمان في قلبي، ولا يصلي ولا يتلفظ بالشهادتين هل يكون مسلما؟ الجواب: لا؛ لعدم تلفظه بالشهادتين، وكذلك الذي يترك جنس العمل فلا يعمل عملا صالحا بالكلية هذا أيضا انتفى عنه ركن الإيمان وهو العمل؛ لأن الإيمان قول وعمل.." (١)

"الأسئلة:

س: ما رأيكم في كتاب قوت القلوب لأبي طالب المكي؟

ج: ما قرأته ولا أحكم عليه بشيء.

س: ما رأيكم في كتاب شرح العقيدة الطحاوية لمؤلف يدعى عبد الغني الغنيمي الميداني الحنفي الدمشقي المتوفى سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف، علما بأنه يباع في الرياض؟.

ج: ما قرأته. لكن علي بن أبي العز شارح الطحاوية هذه ذكر أن الطحاوية شرحت بشروح متعددة، وأن شراحها شرحوها على ما يتمشى مع معتقد أهل الكلام وأهل البدع، فأراد أن يشرحها على معتقد أهل السنة والجماعة.

فأنسب الشروح هو هذا الشرح "شرح الطحاوية" لابن أبي العز المنتشر بين أيدي طلبة العلم، هذا الذي أنصح بقراءته وما عداه فلا ينبغي؛ فلعله من الشروح التي ذكر الشارح أنها تتمشى مع معتقد أهل البدع.

وأما ما قرأت هذا الشرح الذي ذكرت. نعم.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لخالد المصلح خالد المصلح ٢/٢٣

س: باب الأفعال أوسع من باب الصفات، فهل معنى هذا أن نقف على ورود اللفظ في النص إن كان فعلا فنطلقه فعلا دون الوصفية؟ .

ج: نعم. الأفعال لها صفة الأفعال يطلق على لفظ الفعل الخلق مثلا يثبت لله على ما ورد الخلق والتصوير والقبض والبسط والخفض والرفع كل هذه صفات أفعال على ما وردت.

﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين (٥٤) ﴾ ما يشتق منها الماكر بل يقال: يمكر الله المكر اللائق به. يخادعون الله وهو خادعهم يقال: إن الله يخدع من خدعه، وهو خادع من خدعه جاء على لفظ الفعل، وعلى لفظ اسم الفاعل بالإضافة لكن ما يشتق منه اسم الخادع.

وكذلك ﴿إنهم يكيدون كيدا (١٥) وأكيد كيدا (١٦) ﴾ وإن الله يكيد من كاد، ولا يشتق منها اسم فيقال: من أسماء الله الكائد إن فعل يأتي على لفظ الفعل. نعم.

س: بعض أهل العلم يجعل شروط لا إله الله شرطين فقط هما: العلم والإخلاص ويقول: مرد الشروط السبعة إلى هذين الشرطين.

ج: نعم هذا من باب الاختصاص؛ لأن الصدق المانع من النفاق من الإخلاص؛ ولأن اليقين كذلك ولكن عند التفصيل تفصيلها أولى. نعم.

س: يقرر بعض أهل العلم أن شروط لا إله الله ثمانية، فما هو الشرط الثامن؟ .

ج: الكفران -كما قالوا-: الكفر بما يعبد من دون الله، وهو معروف، مأخوذ من الشروط الأخرى. نعم.

س: كيف الإجابة عن هذه الشبهة، وهي قول بعضهم: أنتم تقولون: الإيمان قول وعمل واعتقاد، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في الأصول الثلاثة يقول في العلم: هو معرفة الله، فاكتفى بالمعرفة وهذا مذهب باطل، وجزاكم الله خيرا؟.

ج: هذا تفسير العلم ما قال الإيمان، تفسير العلم والمعرفة. الإيمان قول وعمل واعتقاد، هذا قول أهل السنة قاطبة، وبعضهم يقول: قول وعمل، **فالقول: قول القلب وهو** الإقرار والتصديق، وقول اللسان، والعمل عمل القلب والجوارح، أما تفسير العلم فهذا غير تفسير العلم والمعرفة، والشيخ محمد فسر العلم بالمعرفة، فتفسير العلم ما فيه تفسير الإيمان، فالعلم غير الإيمان، نعم.

السؤال في غير محله، ما فيه وجه مقارنة. نعم.

س: أحسن الله إليكم، يقول السائل: إن من القواعد في الصفات أن باب الأخبار أوسع من باب الصفات يعني ذلك أنه يجوز الإخبار عن الله بشيء لم يرد في الكتاب والسنة، لكن قيده بعضهم بقوله مما ورد جنسه في الكتاب والسنة، فهل هذا القيد صحيح، وإن كان صحيحا فنرجو إيضاحه، ومن ذكره من أهل العلم؟.

ج: هذا سبق قوله البارحة هذا من باب الخبر أوسع من باب الصفات يخبر عن الله بأنه شيء بأنه ذات وبأنه موجود. هذا من باب الخبر، ولا يقال من أسماء الله الذات، من أسمائه الموجود.

وشيخ الإسلام كذلك في باب الرد على البدع، يخبر شيخ الإسلام علل بأنه الصانع والذات لها أصل
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ***..................
والصانع ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾ لها أصل.
والوجود كذلك له أصل. نعم.." (١)

"والإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان

هذا قول الطحاوي، يقرر مذهب المرجئة، المرجئة يقولون: الإيمان لا يكون إلا بالتصديق بالجنان، يعني القلب، والإقرار باللسان فقط شيئان، أما أعمال القلوب أعمال الجوارح ما تدخل ليست من الإيمان، هذا هو المشهور عن الإمام أبي حنيفة -رحمه الله- وأول من قال بالإرجاء شيخ أبي حنيفة حماد بن أبي سليمان من أهل الكوفة، هذا يسمى قول مرجئة الفقهاء. والرواية الثانية عن الإمام أبي حنيفة أن الإيمان شيء واحد، وهو التصديق بالقلب، والإقرار باللسان ركن زائد لا يستلزمه مسمى الإيمان، هذا تقرير لمذهب المرجئة، والناس اختلفوا في مسمى الإيمان اختلافا كثيرا، اختلفوا فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلافا كثيرا.

وخلاصة الأقوال في هذه المسألة أنه ذهب الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد وجمهور أهل السنة والأوزاعي وإسحاق ابن راهويه وسائر أهل الحديث وأهل المدينة وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين، وهو قول الصحابة والتابعين والأئمة والعلماء إلى أن الإيمان تصديق بالقلب بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالجوارح، فالإيمان تصديق بالقلب ونطق باللسان وعمل بالقلب وعمل بالجوارح، أربعة أشياء.

وأحيانا يقولون: الإيمان قول وعمل الإيمان قول وعمل والقول قسمان، والعمل قسمان، الإيمان قول وعمل قول القلب، وهو النطق والإقرار قول اللسان، وهو النطق والإقرار وقول القلب، وهو التصديق قول اللسان، وهو النطق، يشهد أن لا إله إلا الله وقول القلب وهو التصديق والإقرار وعمل القلب، وهو النية والإخلاص وعمل الجوارح، لا بد منهما قول مع عمل، فهو قول باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالقلب وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، ولهذا يقول العلماء: تصديق بالجنان، يعني القلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، يعني الجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، هذا هو الحق الذي تدل عليه النصوص من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي أجمع عليه الصحابة والتابعون والأئمة.

المذهب الثاني: مذهب الإمام أبي حنيفة -رحمه الله- وكثير من أصحابه وحماد ابن أبي سليمان شيخ أبي حنيفة ذهبوا إلى ما ذكره الطحاوي من أن الإيمان شيئان الإقرار باللسان والتصديق بالجنان، كما قال المؤلف: يكون الإيمان مكون من شيئين: إقرار باللسان وتصديق بالقلب، وهذه الرواية عليها جمهور أصحاب الإمام أبي حنيفة المذهب.

الثالث: ذهب بعض أصحاب أبي حنيفة، وهي رواية عن الإمام أبي حنيفة أيضا، وإليها ذهب أبو منصور الماتريدي: أن

---

(١) شرح الطحاوية للراجحي عبد العزيز الراجحي ص/٢٦

الإيمان تصديق بالقلب فقط، تصديق بالجنان، والإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلي، بل هو شرط إجراء أحكام الإسلام في الدنيا، ولو لم يقر بلسانه، فهو مؤمن عند الله، هكذا يقولون هذا مذهب من؟ رواية عن الإمام أبي حنيفة ومذهب أبي حنيفة ومذهب الماتريدية، يقولون: الإيمان شيء واحد، التصديق بالقلب، والإقرار باللسان هو مطلوب، لكن ليس من الإيمان شرط لإجراء أحكام الإسلام، فإذا لم يقر بلسانه قتل، لكن إذا كان مصدق بقلبه، فهو مؤمن عند الله، ولو قتل؛ لأن الإيمان هو التصديق بالقلب، والإقرار هذا أيضا من الإيمان مطلوب لإجراء أحكام الإسلام، ولو لم ينطق يعني بالشهادتين، وهذا باطل.

المذهب الثالث أو المذهب الرابع: ذهب الكرامية اتباع محمد بن كرام إلى أن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط، مذهب الكرامية الإيمان هو النطق باللسان فقط، قالوا ولو لم يصدق بقلبه، فهو مؤمن يكفي أن يقر بلسانه، لكن إذا لم يصدق بقلبه، فإنه يكون منافقا، فالمنافقون عند الكرامية مؤمنون كاملو الإيمان، لكن يقولون بأنهم يستحقون الوعيد الذي أوعدهم الله، فعلى مذهب الكرامية إذا نطق بالشهادتين، وهو مكذب في الباطن يكون مؤمنا، ويخلد في النار، فيكون مخلدا في النار، وهو مؤمن على مذهب الكرامية، وهذا من أبطل الباطل، وهو ظاهر الفساد لأنه يلزم تخليد المؤمن الكامل الإيمان في النار.." (١)

"والراجح والصواب في هذه المسألة أن مسمى الإسلام ومسمى الإيمان يختلف مسماهما عند الأفراد وعند الاقتران، فإذا قرن أحدهما بالآخر، فإنه فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة والإيمان بالأعمال الباطنة كما في حديث جبريل، وإذا أطلق أحدهما دخل فيه الآخر كما في حديث وفد عبد القيس إذا أطلق الإيمان وحده دخل فيه الأعمال الظاهرة والباطنة، وإذا أطلق الإسلام وحده شمل الأعمال الظاهرة والباطنة، وإذا اجتمعا فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة والإيمان بالأعمال الباطنة، كما حديث جبريل.

هذا هو الصواب وهو الراجح، وهذا هو التحقيق في هذه المسألة أن الدلالة تختلف بالتجريد والاقتران، ومن فهم هذا انجلت عنه إشكالات كثيرة في كثير من المواضع التي حاد عنها كثير من الطوائف، فإن الإسلام أصله هو الانقياد والطاعة والإيمان، أصله هو ما في القلب من الاعتقاد وحقيقة الفرق أن الإسلام دين، والدين مصدر دان يدين دينا، إذا خضع وذل.

ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده، فأصله في القلب هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه، والإسلام هو الاستسلام لله وهو الخضوع له والعبودية له، هكذا قال أهل اللغة: أسلم الرجل إذا استسلم فالإسلام في الأصل من باب العمل عمل القلب وعمل الجوارح، وأما الإيمان فأصله التصديق والإقرار، أصله تصديق وإقرار ومعرفة، فهو من **باب قول القلب المتضمن** عمل القلب.

والأصل فيه التصديق والعمل تابع له، فلهذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان بإيمان القلب وخضوعه وفسر الإسلام بالأعمال. نعم.." (٢)

---

(١) شرح الطحاوية للراجحي عبد العزيز الراجحي ص/٢٣٦

(٢) شرح الطحاوية للراجحي عبد العزيز الراجحي ص/٢٤٨

"[المسألة الثامنة] :

عرف الإيمان بقوله إقرار باللسان، وتصديق بالجنان، وقلنا في التعريف اعتقاد بالجنان.

والفرق ما بين التصديق والاعتقاد:

أن التصديق شيء واحد؛ بمعنى أنه أمر واحد، عبادة واحدة.

وأما الاعتقاد فإنه يشمل أشياء كثيرة من أعمال القلوب.

لهذا قالت طائفة من السلف في تعريف الإيمان (الإيمان قول وعمل) وهذا دقيق لأنه **يشمل قول القلب وقول** اللسان.

(قول القلب) هو تصديقه وإخلاصه في الله – عز وجل –.

(وقول اللسان) هو إعلانه الشهادة.

وعمل: يشمل عمل القلب وعمل الجوارح.

(وعمل القلب) من محبة الله – عز وجل – والتوكل عليه والخوف منه – جل جلاله – ورجاؤه والإنابة إليه وخشية الرب – جل جلاله – ونحو ذلك من أعمال القلوب.

فإذا ما يتصل بالقلب من أمور الإيمان ليست شيئا واحدا، ليس هو التصديق فقط، بل ثم أشياء كثيرة في القلب، والتصديق هو أحدها.

ولهذا فإن التفاضل –الزيادة والنقصان– زيادة ونقصان باعتبار العمل الظاهر، وزيادة ونقصان باعتبار عمل القلب الباطن.

فالناس يتفاوتون في الإيمان من جهة:

١ – زيادته ونقصانه في أعمالهم الظاهرة وهي أمور الإسلام: من الصلاة والزكاة والصيام والحج والاستسلام لله – عز وجل – في الأوامر والانقياد ونحو ذلك والانتهاء من المحرمات.

٢ – وكذلك أعمال القلوب.

وأعمال القلوب نوعان:

– أعمال واجبة الفعل.

– وأعمال محرمة العمل أو واجبة الترك.

@ أما واجبة الفعل مثل: محبة الله – عز وجل –، والإنابة إليه، والتوكل عليه، وخشيته، والخوف منه، والطمأنينة له، ونحو ذلك من أعمال القلوب.

@ وما يجب تركه من أعمال القلوب المحرمات، محرمات أعمال القلوب التي هي الكبر والبطر وتزكية النفس وسوء الظن بالله – عز وجل – ونحو ذلك، هذه كلها يجب تركها.

فإذا أعمال القلوب مشتملة على:

١ – تصديق.

٢ – ومشتملة على أمور واجب أن يعملها القلب، وأمور واجب أن ينتهي عنها القلب.

* وهذه كلها في الحقيقة متصلة؛ فالتصديق متأثر زيادة ونقصانا بأعمال القلوب.
فأعمال القلوب تؤثر على تصديقه، فأعمال القلوب الواجبة إذا زادت محبته لله – عز وجل – زاد تصديقه، إذا زادت إنابته إلى الله وزاد خشوعه وخضوعه بين يدي الله وزاد توكله على الله سبحانه وتعالى زاد تصديقه وزاد يقينه.
وكذلك إذا انتهى عن المحرمات، خضع لله – عز وجل –، لم يكن متكبرا، ذليلا لله – عز وجل –، غير مترفع على الخلق، محبا لسلامته –سلامة قلبه–، مبتعدا عما يفسد القلب، هذه كلها مؤثرة في تصديقه.
فإذا رجع الأمر في زيادة الإيمان وفي نقصانه إلى زيادة الإيمان في أركانه الثلاثة ونقصان الإيمان في أركانه الثلاثة.
فإذا زيادة الإيمان (يزيد بطاعة الرحمن) يعني:
– يزيد التصديق أو الاعتقاد بطاعة الرحمن.
– يزيد الإقرار باللسان بطاعة الرحمن.
– يزيد العمل بالأركان أيضا بطاعة الرحمن.
فزيادة الإيمان راجعة للثلاثة جميعا.
لأن الزيادة: تارة تكون بالعمل الظاهرمثل زيادة صلاة، زيادة صدقة، زيادة بر، زيادة جهاد في سبيل الله، طلب علم ونحو ذلك، فيرجع هذا إلى التصديق وإلى الإقرار بزيادة.
فيكون تصديقه واعتقاده أكثر وأعظم وأمتن وأثبت وكذلك إقراره.
وهذا يحسه الإنسان من نفسه فإنه إذا زاد إيمانه زاد لهجه بذكر به – عز وجل – تهليلا وتسبيحا وتحميدا وتكبيرا وتمجيدا.
المسائل كثيرة نرجئ البقية إلى موضع آت إن شاء الله.." (١)

"ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان، ويختم لنا به، ويعصمنا من الأهواء المختلفة، والآراء المتفرقة، والمذاهب الردية، مثل المشبهة والمعتزلة والجهمية والجبرية والقدرية وغيرهم، من الذين خالفوا السنة والجماعة، وحالفوا الضلالة، ونحن منهم برآء، وهم عندنا ضلال وأردياء وبالله العصمة والتوفيق.

هذه هي الجملة الأخيرة من هذه العقيدة المباركة، عقيدة أبي جعفر الطحاوي رحمه الله حيث بين فيها أصول الاعتقاد في الله – عز وجل – وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وبين فيها تفاصيل الكلام على مسائل كثيرة تدخل تحت أركان الإيمان الستة، وذكر فيها كعادة من ألف في عقائد السلف ما يتصل بذلك من الكلام في الصحابة وما وقع من الفتن والكلام في من الأحق بالخلافة، والكلام في العشرة المبشرين بالجنة، وما أشبه ذلك من المسائل المتصلة بمسائل الإيمان، وكذلك ذكر عدة مسائل تتعلق بالقول في أهل العلم، وأننا لا نذكر أهل العلم سواء أكانوا من أهل الحديث والأثر أو من أهل الفقه والنظر إلا بالخير ومن ذكرهم بغير الخير فهو على غير السبيل، وما شابه ذلك من المسائل.
وهذه المسائل التي ذكرها حق، ويقرها عامة الأئمة إلا فيما استثني مما وافق فيه أبا حنيفة رحمه الله في بعض مسائل الإيمان

(١) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ = إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل صالح آل الشيخ ص/٤٠٨

ونحوه، مما لاحظنا عليه ولاحظ عليه العلماء من قبل وبعض الألفاظ التي تجنبها أولى، كما مر معنا في مواضعه.
فلما ذكر ذلك كله قال (فهذا ديننا واعتقادنا ظاهرا وباطنا. ونحن برآء إلى الله من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه) .
ولا شك أن أبواب الاعتقاد متعلقة بالقلب، فالقلب أشد ما يكون في التغير، وأشد ما يكون في التقلب، ولهذا كان من دعائه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول «يا مقلب القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك» (١) ، «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» (٢) ، ونحو ذلك مما ورد في الآثار.
فالقلب يتقلب سريعا وأكثر شيء يتقلب فيه **القلب قول القلب وعمل** القلب واعتقاد القلب؛ لأن هذه مبناها على العلم، والعلم ينفع ويذهب، فكلما ترك شيئا من العلم كلما أثر ذلك على القلب، فإذا ترك مسائل العقيدة أثر ذلك على عقيدة القلب إما أثر بنقص العلم وهذا له أثر في اليقين والاعتقاد الحق، أو أثر بوجود الشبهة مع عدم العلم أو ضعف العلم.
والشيطان أفرح ما يكون من الإنسان أن يتغير قلبه، لأنه إذا تغير قلبه فإن الجوارح تتغير كما قال صلى الله عليه وسلم «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» (٣) ، ففساد القلب يكون بالشبهات وبالشهوات، فإذا عرضت الشبهات وتمكنت، وسبب تمكنها نقص العلم فإن القلب يفسد، وأعظم ما تعرض الشبهات في مسائل العقيدة.
لهذا ما زال الأئمة وأهل العلم والنصحة للأمة حق النصيحة لأئمة المسلمين ولعامتهم مازالوا يوصون بالاهتمام بالتوحيد والعقيدة؛ لأنه أقرب ما يكون تغير القلب في العقيدة لأنها تنسى، وقد تبقى المجملات لكن التفصيلات تنسى، ثم تأتي ذنوب القلب شيئا فشيئا وتقع الشبهة وتقع المرية ويقع الريب في القلب، ثم يضر الإنسان بنفسه شيئا فشيئا.
لهذا من أعظم الأدعية التي علمنا إياها ربنا - عز وجل - الدعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم في الصلاة: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ [الفاتحة:٥] ، والهداية للصراط طلب بأن يهدى إلى الصراط، والصراط هو الإسلام والقرآن والسنة، والإسلام والإيمان والقرآن والسنة له تفاصيل، تفاصيل مختلفة، الإسلام شيء يتعلق بالقلب وشيء يتعلق بالجوارح والعمل، والإيمان يتعلق بالقلب، والقرآن ثم أشياء كثيرة فيه آيات التوحيد وفي الغيبيات، هذه كلها عقائد والسنة كذلك.

---

(١) مسلم (٦٩٢١)
(٢) الترمذي (٢١٤٠)
(٣) سبق ذكره (٣٤٥)." [1]
"قول القلب
المحل الأول: قول القلب، وهو تصديقه، وهذا هو أشرف مواضع الإيمان، ولهذا وإن كان السلف يقولون: إن الإيمان قول وعمل، إلا أنهم كما قال شيخ الإسلام رحمه الله: "وعامة السلف مع هذا القول يذهبون إلا أن أصل الإيمان مبناه على

---

(١) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ = إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل صالح آل الشيخ ص/٧٤٤

تصديق القلب" ولهذا إذا تعذر التصديق سقط الإيمان كله، بخلاف العمل فإنه قد يدخله التفصيل، فإن التصديق يقابله التكذيب، والأمر يقابله المخالفة، ولهذا كان الوعيد الشديد في قوله تعالى: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ [النور:٦٣] حتى قال الإمام أحمد: "أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك".

وهذا الوعيد ليس في حق من خالف من عصاة المسلمين، أي: من وقع في معصية، وهو على إقرار بكونها معصية واستقامة في جملة أمره على الإسلام وأحكامه، ولا يقال: إنه داخل في الآية؛ لأنه قد خالف بترك واجب أو فعل معصية، لأن المراد بالآية -على الصحيح- الإعراض عن شيء من أمر الله وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم.

وسبب تفسير المخالفة بالإعراض هو أن الفعل (خالف) يتعدى بنفسه من حيث الأصل؛ فتقول: خالف زيد عمرا، لكنه في الآية عدي بالحرف فأعطي حكم الفعل اللازم؛ وذلك لأنه ضمن معنى فعل آخر، وأقرب ما يقاربه الإعراض، وهذا هو المناسب لسياق الآيات في هذه السورة.

والمقصود من هذا: أن **القول قول القلب هو** أشرف مقامات الإيمان، ولهذا لما سمى النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان قال: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ...) إلخ، فجعل مبناه على التصديق.." (١)

"عمل القلب

المحل الثالث: عمل القلب كالخوف، والرجاء، والاستعانة

إلى غير ذلك.

فإن قيل: فما الفرق **بين قول القلب** -الذي هو تصديقه- وبين عمل القلب؟

قيل: من هدي الصحابة رضي الله عنهم أن ثمة أمورا كثيرة يعلم الفرق بينها ضرورة، تقوم في نفوس العقلاء، وإن كان كثيرا من العقلاء قد لا يحسنون ضبط الحد من جهة الكلام في التفريق بينها، أي: هناك أمور كثيرة مستقرة من حيث الفرق أو مستقرة من حيث المعنى، وإذا طلب من الإنسان التعبير عن هذا الفرق قد لا يحسنه، ولربما كان ذكره للفرق مدعاة للشغب عليه من المخالفين، وإلزامه بشيء من اللوازم.

إذا: الفرق بين التصديق وبين عمل القلب مستقر عند عامة المسلمين وسوادهم؛ فإنهم يفرقون بين تصديقاتهم وبين ما يقوم في قلوبهم من التعلق بالله سبحانه وتعالى، ومحبته، والخوف منه، والرجاء

إلى غير ذلك، فهذا فرق من حيث المعنى مستقر.

وإنما ينبه هذا التنبيه؛ لأن الحد للأشياء -الذي يسمى التعريف، واسمه في المنطق الحد- والمعاني أمر حادث في العلم، ينبغي لطالب العلم ألا يلتفت إليه كثيرا؛ لأن هذا الحد يقع عنه في كثير من الأحوال جملة من المفاسد، من أخصها:

١ - التضييق للمعاني.

٢ - استباق المعاني.

ما معنى استباق المعاني؟

---

(١) شرح كتاب الإيمان - يوسف الغفيص يوسف الغفيص ١٧/١

مثلا: مسألة السنة والبدعة، هي قبل أن تكون حدا وتعريفا هي استقراء في فقه الشرع.

فإذا نقدنا مسألة الحد، وقلنا: إن الذين بالغوا في تقريرها هم علماء الكلام، فقيل: فما البديل عنها؟

قلنا: الذي كان عليه السلف -الصحابة والأئمة من بعدهم- هو الاستقراء؛ فيكون تحقيق المعاني باستقراء جميع مواردها.

مثلا: إذا قيل: ما هي البدعة؟

قيل: لقد عرفها الشاطبي -مثلا- في الاعتصام بأنها: "طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه".

وهذا الحد ليس بالضرورة أن يقال: إنه غلط، لكن نقول: أخذ مثل هذه المسائل الكبرى بحد مختصر يقع لفظه في سطر، ويقع شرحه في صفحة أو صفحتين يظن الآخذ له أنه قد فقه وفهم الفرق بين مدلول السنة ومدلول البدعة، ومتى يسمى القول أو الفعل سنة، ومتى يسمى بدعة، ومتى يكون القائل أو الفاعل على السنة، ومتى يكون على البدعة، ومثل هذه الاستطالات عن طريق الحدود ..

أمر غير متحقق.

ومن يراجع في كتب المنطق وعلم الكلام يرى أنهم يذكرون الحد ويذكرون الرسم، وقد قال الإمام ابن تيمية: "إن المحققين من النظار يرون تأخر الحد عن جمهور الأشياء، وإنما يستعمل معها الرسم".

ما الفرق بين الحد والرسم؟

الحد: هو الضبط للماهية نفسها.

أما الرسم: فهو التمييز للماهية عن غيرها.

قال الإمام ابن تيمية: "وهذا هو التحقيق" فإن الممكن في جمهور المعاني هو التمييز لها عن غيرها، وأما تعيين ماهيتها فهذا في الغالب أنه يتأخر، ويقع عنه ضيق ..

وما إلى ذلك.

إذا يقال: الفرق بين التصديق وعمل القلب هو فرق مستقر؛ فإن أحسن المسلم التفصيل له بلسانه وإلا فكما قال الإمام ابن تيمية: "وكثير من المسلمين، يقوم في نفوسهم من العلوم الضرورية في باب الإيمان بالله ورسوله والنبوة والشريعة وغير ذلك ما لا يستطيعون التعبير عنه .. ".

فهذه مسألة مما ينبغي أن يتفطن له؛ فإن كثيرا من المسلمين يتأخر عن الإبانة عن فرق مستقر.

ولا يفهم من هذا أننا نقصد إلى أن نقول: إن تعريف البدعة أو استعماله غلط.

لكن لا ينبغي أن يستطال فيه وأن يعظم شأنه.

فإذا ذكر الفرق بين التصديق وعمل القلب قيل التصديق: هو التصورات التي يقر القلب بثبوتها، فهو على باب الإثبات والنفي، ولهذا كان ما يقابل التصديق هو التكذيب.

وأما عمل القلب فهو حركته بهذا التصديق بأعماله المناسبة له كالخوف والمحبة والرجاء.

ومعنى هذا أن التصديق -وهذا من معاني أهل السنة في تقريرهم للإيمان- يوجب بذاته عمل القلب، وهذا هو الفرق بين

التصديق الشرعي الإيماني، وبين التصديق المطلق المرادف للمعرفة؛ فإن المعرفة لا تستلزم عمل القلب؛ قال الله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ [البقرة:١٤٦] وقال: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾ [النمل:١٤] فمعرفة الكفار هي علم محض، وأما التصديق الشرعي الذي يذكر في الإيمان فهو ما استلزم العمل.

فإذا كان التصديق لا يستلزم عمل القلب فإنه يتأخر عن كونه تصديقا على التمام الشرعي.." (١)

"تعلق الزيادة والنقصان في الإيمان

يستعمل المتأخرون من أهل السنة في كتبهم عبارة: يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهذا التعبير لا بأس به، لكنه ليس فاضلا، فإنه يوحي -ليس عند العامة بل حتى عند بعض طلبة العلم المبتدئين- أن مورد الزيادة والنقصان هو في الأعمال الظاهرة فقط.

وهذه المسألة فيها نزاع، فإن أبا محمد بن حزم رحمه الله يقرر أن الزيادة والنقصان لا يتعلقان بالتصديق.

فهو يقرر أن الزيادة والنقصان تدخل أعمال القلوب لكونها أعمالا، فالمحبة ليست واحدة، والرجاء ليس واحدا.

وكذلك تدخل أقوال اللسان، فإن الناس متفاوتون في ذكرهم للشريعة وألفاظها وهديها وتوحيد الله وذكره إلى غير ذلك.

وكذلك تدخل أعمال الجوارح.

لكنه تأخر فقال: إنه ليس من طريقة أهل السنة أن الزيادة والنقصان متعلقان بالتصديق.

وعلى هذا يكون التصديق واحدا.

وهذا غلط دخل عليه من المرجئة، فإنه بنى هذا على مسألة أن التصديق يقابله التكذيب، وأنه إذا نقص ذهب، فإما أن يصدق الإنسان وإما أن يكذب ..

فما الوسط بينهما؟ وكيف تحصل الزيادة والنقصان في أمر يدور بين الوجود والعدم؟

هذه هي شبهة المرجئة التي دخلت على ابن حزم رحمه الله، ولا وجه لها ألبتة، لا عقلا ولا شرعا.

فإنه يقال: إن التصديق -لاشك- يقابله التكذيب، لكن التصديق عند عامة العقلاء يتفاوت؛ فإن من صدق بشيء بناء على دليل واحد ليس كمن صدق بهذا الشيء بناء على عشرة أدلة، ومن صدق بشيء بناء على حديث يرى أنه حسن، وهو متردد في ثبوته، ليس كمن صدق بهذا الشيء وقد بناه على حديث متواتر متفق على قبوله.

أي: أن تعدد الأدلة يوجب اختلاف التصديق.

وحتى لو كان الدليل من حيث الثبوت واحدا، كآية من القرآن؛ فإن نظر المخاطبين والمكلفين فيها يتفاوت تصديقه.

مثلا: قول الله تعالى: ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني﴾ [الأعراف:١٤٣] هذه الآية من قرأها من المسلمين يصدق بها، لكن لا يلزم أن كل من قرأها من العلماء والعامة يكونون على درجة واحدة في تصديقهم -هم ليس فيهم مكذب، هذه جملة منتهية؛ لأن من كذب كفر- لأنهم في فقههم لمعناها وتأملهم فيها يتفاوتون،

---

(١) شرح كتاب الإيمان - يوسف الغفيص يوسف الغفيص ١٩/١

ومن هذا الوجه تفاوت إيمان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم، ومن غيره، كأوجه العمل الظاهر والباطن.
والمقصود من هذا بيان أن التصديق يتفاضل؛ فإن مما لا شك فيه: أن تصديق أبي بكر بالنبوة والقرآن والحديث ليس كتصديق آحاد الفساق، مع أن الفاسق لا يكذب.
ولهذا اعتبر الشارع أن تحقيق التصديق تحقيق لتمام التوحيد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح من حديث عثمان رضي الله عنه: (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة).
قد يقول قائل: إن المسلمين يعلمون أنه لا إله إلا الله، إذا أين وعيد أهل الكبائر؟
هل نقول: إن هذا حديث مطلق قيدته أحاديث الكبائر؟
الجواب: لا؛ فإن الإطلاق والتقييد لا يستعملان في مثل هذه النصوص، والقول بأنهما يستعملان فيها غلط، ومع الأسف هذا الغلط شائع بين العلماء: المعاصرين والمتقدمين؛ لأنه غلب في تقرير مسائل الفقه والنظر في أدلة الشريعة الفقهية مسألة أن المطلق يحمل على ما يقيده، والعام يحمل على ما يخصصه، والعام المخصوص والعام الذي أريد به الخصوص، فصاروا يستعملون هذا في تقرير فقه نصوص الأصول، فصاروا يقولون: إن هذا مطلق قيدته أحاديث أهل الكبائر وما يلحقهم من الوعيد.
وهذا الغلط فرع عن الغلط في استعمال الطرق النظرية والحدود والضوابط، وما إلى ذلك من الطرق التي كان المقصود منها تنظيم العلم وليس ذكر حقائق العلم؛ فإن حقائق العلم حقائق تستقرأ من كلام الله ورسوله، وقد ذم الله على أهل الكتاب أنهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، والبدع إنما نشأت في الإسلام من أخذ بعض النصوص وترك بعضها.
فالصواب: أن الحديث على ظاهره، ومعناه: أنه من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة، فإن عدم العلم الذي هو التصديق لم يدخل الجنة، وإن نقص علمه تأخر دخوله.
فإذا قيل: لماذا لم يدخل أصحاب الكبائر الجنة ابتداء مع أنهم يعلمون أنه لا إله إلا الله؟
قيل: لن نخالف الحديث، هل هم يعلمونها على التمام؟
الجواب: لا؛ لأنهم لو حققوا العلم لحققوا العمل، لكن لما نقص علمهم أمكن تأخرهم.
ومما يدل على هذا أن الصحابة لم يستشكلوا شيئا عندما حدث الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث، مع أن بعض الأعراب أو من أسلم حديثا أحيانا كانوا يسألون عن بعض المشكلات، ولا يمكن أن يكون الصحابة لم يفقهوا المعنى ومع ذلك يسكتوا، كما يعتذر ويبرر بعض الناس هذا بقول أنس كما في الصحيح: (نهينا أن نسأل رسول الله عن شيء) فإن الصحابة لم ينهوا عن السؤال عما يتحقق به إيمانهم، وإنما نهوا عن الاستفصال في أمر قد سكت عنه، كما هو في قوله تعالى: ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ [المائدة:١٠١]
وأما ما يتحقق به إيمانهم وتصديقهم فلا يجوز شرعا ولا عقلا أن ينهى الصحابة أو غيرهم عن السؤال عنه، بل هذا السؤال مما أمر الله تعالى به، كما في قوله تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ [النحل:٤٣]
وكذلك لم يستشكلوا عندما حدث النبي صلى الله عليه وسلم الناس بما قد يظهر على أنه مقابل لحديثه هذا، مثل قوله صلى الله عليه وسلم -كما في حديث ابن مسعود -: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) إنما استشكل

رجل فقال: (يا رسول الله! الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس) فكان سؤال الرجل عن هذه المسألة اليسيرة يدل على أنه قد فقه المقصود بأصل الحديث، وأنه لا يراد به أن من في قلبه ذرة من كبر يحرم من الجنة على الإطلاق أو أنه يؤبد في النار.

وسبب هذا الفقه أن الصحابة كانوا على قدر من الاستقراء لفقه الإسلام، وهذا هو الذي ينصح طلاب العلم بتتبعه والقصد إليه.

والمقصود من هذا: أن تمام العلم بتمام العمل.

إذا: من المسائل الأصول في مسمى الإيمان: القول في زيادته ونقصانه، والزيادة والنقصان تقع في موارده الأربعة:

١ - **في قول القلب الذي** هو تصديقه، وقد خالف في هذا ابن حزم وطائفة من أصحاب أحمد والشافعي، وبعض المنتسبين إلى السنة من المتأخرين، وقولهم مخالف لنص الإمام أحمد وغيره من السلف، بل هو مخالف لظواهر الحقائق الشرعية والعقلية، والتي تدل على أن التصديق يتفاضل.

٢ - في أعمال القلوب، وهذا بين؛ فإن محبة المسلمين ورجاءهم لله وخوفهم منه سبحانه وتعالى ليس واحدا.

٣ - في أقوال اللسان وفي أعمال الجوارح على قدر مشهور معروف مدرك بالبديهة.

ومن المسائل الأصول: التلازم بين الظاهر والباطن، ومعناه: أنه إذا عدم الإيمان الباطن عدم الإيمان الظاهر، فمن أظهر شرائع الإسلام أو بعض خصال الإيمان كالصلاة وغيرها ولا باطن معه من الدين فهذا هو المنافق.

إذا: إذا عدم الباطن عدم الظاهر حقيقة وليس حالا، ومعنى: ليس حالا: أي قد يظهر حالا كما ظهر من المنافقين الذين يقع لهم صلاة أو زكاة أو حج أو ما إلى ذلك، ومع ذلك قال الله فيهم: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ [النساء:١٤٥] فهم كفار بالكتاب والسنة والإجماع.

وأما إذا عدم الظاهر فهل يعدم الباطن؟

هذه المسألة فيها تفصيل ليس هذا محله، إلا أن من أسباب الإشكال فيها عند المعاصرين مسألة الحدود، والألفاظ المتأخرة -ككلمة "جنس العمل"- التي بدأت تحاط بها المسائل الكبرى في مسائل أصول الدين.

ويتلخص من هذا أن مسألة مسمى الإيمان تتضمن ثلاثة أصول:

الأصل الأول: أنه قول وعمل.

وهذا ينتج عنه أن الإيمان من حيث المحل أربعة أصول:

١ - قول القلب، وهو تصديقه.

٢ - عمل القلب.

٣ - قول اللسان.

٤ - عمل الجوارح.

الأصل الثاني: أنه يزيد وينقص، وهذه اللفظة أفضل من لفظة: يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وإن كان تصديق القلب إذا تحقق سمي طاعة، لكن كلمة الطاعة والمعصية لما تأخر أمر الناس صارت تتبادر إلى الأعمال الظاهرة، ولهذا يقال: يزيد وينقص ظاهرا وباطنا.

الأصل الثالث: التلازم بين الظاهر والباطن.." (١)

"الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، يعقد الشيخ -رحمه الله- هذا الفصل؛ لبيان منهج أهل السنة في ثلاث مسائل في الحقيقة أنه سبقت الإشارة إلى بعضها، عند الكلام في وسطية أهل السنة والجماعة بين فرق الأمة.

المسألة الأولى: ما يتناوله اسم الإيمان يعني مسمى الإيمان ما هو الإيمان؟ .

يقول الشيخ -رحمه الله-: من أصول أهل السنة أن الدين والإيمان قول وعمل. قول وعمل خلافا للمرجئة الذين يقولون: إنه التصديق فقط، تصديق القلب هو الإيمان، وأما الأعمال فليست من الإيمان، أو كقول الجهمية: هو المعرفة، والمعنى متقارب.

وخلافا للكرامية الذين يقولون: الإيمان هو التصديق باللسان فمن صدق بلسانه فهو مؤمن يعني: في الدنيا، وإن كان مخلدا في النار يوم القيامة، لكن ليس هو في الحقيقة بمؤمن، بل هو منافق، هذا اسمه الشرعي من صدق بلسانه، وأظهر الإيمان بلسانه فليس بمؤمن في الحقيقة ﴿وما هم بمؤمنين (٨) ﴾ (١) .

فأهل السنة يقولون: إن الإيمان قول وعمل؛ للأدلة الكثيرة التي دلت على هذا، فالرسول - صلى الله عليه وسلم - فسر الإيمان في حديث جبريل بأصوله الستة، وهي اعتقادية أن تؤمن بالله ملائكته وكتبه، إلى آخره.

وفسر الإيمان في حديث وفد عبد القيس بأمور عملية قال لهم: " أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ شهادة أن لا الله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم ".

ففسره بنحو تفسيره للإسلام، ففسرها بأمور عملية، وأبلغ من هذا قوله - صلى الله عليه وسلم - " الإيمان بضع وستون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان ".

وقال كثير من الأئمة: الإيمان قول وعمل؛ ردا على المرجئة الذين يقولون الإيمان هو مجرد قول، قول القلب يعني: اعتقاد القلب، وإقرار اللسان.

---

(١) - سورة البقرة آية: ٨.." (٢)

"المرجئة يسمون مرجئة الفقهاء كالإمام أبي حنيفة، ومن تبعه يقول: الإيمان هو التصديق بالقلب، تصديق القلب وإقرار الإيمان، أهل السنة وأئمة أهل السنة ينكرون هذا القول، وما هو أبعد منه.

---

(١) شرح كتاب الإيمان - يوسف الغفيص يوسف الغفيص ٢٢/١

(٢) شرح العقيدة الواسطية للبراك عبد الرحمن بن ناصر البراك ص/٢٣٤

يقولون: الإيمان قول وعمل؛ فلهذا يقول الشيخ: من أصول أهل السنة أن الدين والإيمان قول وعمل، ثم يقسم ذلك **بقوله: قول القلب واللسان** وعمل القلب واللسان والجوارح، يعني: أن الإيمان يشمل هذه الأمور الخمسة:

الإيمان اسم لهذه الأمور الخمسة، يشمل خمسة **أمور: قول القلب يعني**: اعتقاد القلب يعني: التصديق.

وقول اللسان الذي هو الإقرار، كما يقر الكافر عند إسلامه، يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وعمل القلب كمحبة الله ورسوله وأوليائه ومحبة ما يحب، والخوف من الله والرجاء، والتوكل عليه سبحانه.

وعمل اللسان كثير كالذكر بأنواعه، وتلاوة القرآن، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وعمل الجوارح كالصلاة من الركوع مثل ما في الصلاة من عمل الجوارح، فالصلاة مشتملة على أقوال وأعمال، كالقيام، والركوع والسجود، هذه كلها أعمال جوارح، ومثل الحج والطواف بالبيت وسائر المناسك، هي من أعمال الجوارح، فهذا هو الذكر، فالإيمان يشمل كل ذلك.

" الإيمان بضع وستون شعبة " فالصلاة من الإيمان، والزكاة من الإيمان، والصيام من الإيمان، والحج بأعماله من الإيمان، **كله قول القلب واللسان**، هذا تفصيل لما ذكر قول أهل السنة فصله **بقوله: قول القلب واللسان** يعني: اعتقاده. اعتقاد القلب، واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح.

وهذا أتم من قول من يقول: إن الإيمان اعتقاد بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، صحيح أن هذا يرد مذهب الخوارج المرجئة، لكن ما ذكره الشيخ من هذه الأمور الخمسة أتم، يعني: يستوعب كل جوانب الإيمان.." (١)

"العموم والخصوص بين الإسلام والإيمان

هذه المرتبة هي المرتبة الثانية، وقد فرغ الشيخ رحمه الله من المرتبة الأولى وهي مرتبة الإسلام، وتلخص لنا أن الإسلام هو الطاعات الظاهرة، وهذا باعتبار ذكر الإسلام مع الإيمان والإحسان؛ لأن تعريف الإيمان والإسلام والإحسان يختلف فيما إذا اقترن شيء منها بالآخر، وفيما إذا جاء كل منها على انفراد، ففي حال الانفراد يكون معنى الإسلام شاملا كلا من الإيمان والإحسان، وإذا جاء الإيمان منفردا كان الإيمان شاملا للإحسان والإسلام، وكذلك الإحسان إذا جاء منفردا شمل الإسلام والإيمان، وانتبه لهذا التفريق.

أما إذا اجتمعت كما هو الحال في حديث جبريل فإن الإسلام يختص بالأعمال الظاهرة قولية أو فعلية، والإيمان يختص بالأعمال الباطنة، والإحسان هو الكمال والغاية في هذين الأمرين أعمال الظاهر، وأعمال الباطن.

فالمؤلف رحمه الله تعالى قال: [المرتبة الثانية الإيمان] ، ثم بين الإيمان وعرفه بقوله: [وهو بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول (لا اله إلا الله) ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان] ، وهذا تعريف للإيمان بنص نبوي، وفي هذا فائدة ولفتة مهمة لطالب العلم، وهي أن الاصطلاحات الشرعية كالإسلام والإيمان والإحسان والبر والتقوى والصلاة والزكاة وغير ذلك من ألفاظ الشريعة إنما يستقى معناها ويستفاد مفهومها من الشريعة لا من لسان العرب، وهذه فائدة تهمك وتفيدك في تعريف الإيمان، فإن أقواما عرفوا الإيمان بأنه مجرد التصديق، وقيل لهم: من أين لكم هذا؟ قالوا: أفادتنا اللغة

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للبراك عبد الرحمن بن ناصر البراك ص/٢٣٥

بهذا.

قلنا لهم: إن الإيمان أمره كبير، وشأنه خطير، به تحصل النجاة من النار والفوز بالجنة، وهل يعقل أن مثل هذا يتركه الله سبحانه وتعالى، ويتركه رسوله صلى الله عليه وسلم دون بيان أو توضيح؟ الجواب: لا يمكن تركه بدون بيان وإيضاح، ولذلك وجب الرجوع في تعريف الإيمان والإسلام والإحسان وفي غيرها من الاصطلاحات الشرعية إلى بيان الشارع، وإلى ألفاظه وبيانه وتوضيحه، فإنه الغاية والمنتهى في بيان حقائق هذه الأمور، فالشيخ رحمه الله سلك هذا المنهج، فبين الإيمان بقول النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أظن أحدا يقرأ هذا الحديث إلا ويتضح له الإيمان غاية الوضوح؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بأن الإيمان بضع وسبعون شعبة، ثم ضرب مثلا لكل شعبة من شعبه، فهذه المذكورات في هذا الحديث وهي ثلاثة أمور ترجع إليها بقية الشعب، فأعلاها قول: (لا إله إلا الله) هذا أعلى شعب الإيمان، وهذا يفيد أن الأقوال تدخل في مسمى الإيمان، فالقول من الإيمان، ولذلك جعل أعلى مراتب الإيمان قولا، وهو قول: (لا إله إلا الله) ، ثم قال: [والحياء شعبة من الإيمان] ، والحياء عمل قلبي أصله في القلب، وقد تظهر ثماره في الجوارح والسلوك، لكن أصله في قلب الإنسان، وبهذا نعرف أن جميع الأعمال القلبية تدخل في مسمى الإيمان.

وثالث ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم من شعب الإيمان في هذا الحديث (وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) ، وإماطته: إزالته عن الطريق المسلوك.

سواء أكان طريق مشاة، أم طريق سيارات، أم طريق دواب، فكل ما استطرقه الناس ومشوا فيه بأرجلهم أو بدوابهم فإنه يدخل في قوله: (وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) ، وإماطة الأذى من عمل الجوارح، وبه نعرف أن من مسمى الإيمان عمل الجوارح، وأن من أخرج الأعمال عن مسمى الإيمان فقد خالف ما أجمع عليه السلف، وما دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة.

فهمنا من هذا الحديث أن الإيمان يكون في القلب، ويكون في اللسان، ويكون في الجوارح، واعلم أن قول النبي صلى الله عليه وسلم: (فأعلاها قول لا إله إلا الله) ليس المراد مجرد القول الخالي عن تدبر ما تضمنته هذه الكلمة من العمل، فالحقيقة أن قوله: (فأعلاها قول لا إله إلا الله) يشمل القول وعمل القلب؛ لأن القول **هو قول القلب واللسان**، وقول القلب يكون بتصديقه وإخلاصه، وقول اللسان يكون بنطقه وتلفظه.

إذا فهمنا الآن ما هو الإيمان، وأنه قول **وعمل، قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح، وعلى هذا تواطأت كلمات السلف، فمهما اختلف لفظها وتنوع تعبيرها فإنها ترجع إلى أن الإيمان قول وعمل.

قوله: [والإيمان بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول: لا اله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان]

هل هذا تعريف الإيمان إذا قرن به الإسلام؟ الجواب: لا؛ لأننا ذكرنا أن الإسلام هو الأعمال الظاهرة إذا اقترن بالإيمان، وأن الإيمان يكون عمل القلب، والحديث تضمن قول اللسان وعمل الجوارح والقلب.

ففهمنا من هذا أن المؤلف رحمه الله بدأ بيان هذه المرتبة بالبيان العام الذي لا يكون مع الإسلام والإحسان.

أما الإيمان الذي يقصد ويراد عند ذكر الإسلام –أي: عند اقترانه بذكر الإسلام– فهو ما قاله رحمه الله في قوله: [وأركانه

ستة، وهي أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره] ، فهذه كلها أعمال قلبية.
ولذلك سماها شيخ الإسلام رحمه الله: (عقود القلب) ، وسماها (حقائق الإيمان) ، فعقود القلب وحقائق الإيمان كلها من الأعمال القلبية، فإذا قيل لك: ما الإيمان؟ فإن أردت أن تعرفه تعريفا عاما دون اقتران بذكر الإسلام فقل: ما ذكره المؤلف رحمه الله أولا: بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول: (لا اله إلا الله) ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان.
وإذا جاء ذكر الإيمان والإسلام في سياق واحد كقوله تعالى: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات﴾ [الأحزاب:٣٥] حيث ذكر الأمرين: الإسلام والإيمان فالمسلمون في قوله: (إن المسلمين والمسلمات) هم الذين أتوا بالأعمال الظاهرة، والمؤمنون في قوله: (والمؤمنين والمؤمنات) هم الذين أتوا بالأعمال الباطنة، وتنبه إلى هذا الفرق.
فقول المؤلف رحمه الله: [وأركانه ستة] هذا باعتباره مع الإسلام، فلو أن شخصا أتاك وقال لك: عرف الإيمان فقلت: الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره إذا لم يسبق سؤال عن الإسلام فإنك لا تكون قد أوفيت الإيمان ببيان كاف؛ لأنه بقيت الصلاة، والصيام، والحج لم يأت ذكر لواحد منها، فتنبه لهذا، ولذلك لما قال النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس: (آمركم بالإيمان، أتدرون ما الإيمان؟) ، فسره بقوله: (أن تشهدوا ألا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيموا الصلاة، وتؤتوا الزكاة، وتعطوا الخمس من المغنم) ، فعرف الإيمان بالإسلام؛ لأنه لم يأت سؤال عن الإسلام هنا، فكان الإسلام هو الإيمان، وهكذا حيث ذكر الإيمان أو الإسلام مستقلا؛ فإنه لابد في البيان أن تبينه كما بينه النبي صلى الله عليه وسلم بيانا عاما يشمل القول والعمل والاعتقاد، أما إذا سئلت عن الإسلام كما هو الحال في حديث جبريل، ثم جاءك السؤال عن الإيمان ففي هذه الحال يكون الإسلام متعلقا بالأعمال الظاهرة، ويكون الإيمان متعلقا بالأعمال الباطنة.." (١)

"مسائل الإيمان

قال المصنف رحمه الله: [فصل: ومن أصول أهل السنة والجماعة: أن الدين والإيمان قول **وعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح].
قوله: (ومن أصول أهل السنة) إشارة إلى قدر هذا الباب، وأن القول في مسمى الإيمان هو من الأصول المتفق عليها بين أئمة السنة والجماعة، وإذا كان القول من الأصول، فإن القاعدة فيه معروفة من جهة أنه لا يجوز مخالفته، ولا يجوز الاجتهاد بخلافه، حتى ولو كان الاجتهاد عند المجتهد أو الناظر مبنيا على نوع من الدليل الشرعي، ولهذا فلا شك أن قول مرجئة الفقهاء -ولا سيما أئمة هذا القول كـ حماد بن أبي سليمان وأبي حنيفة - لم يكن مبنيا على شيء من الأصول البدعية الكلامية، أما بدع الجهمية والمعتزلة التي خالفوا بها السلف فإنها بنيت على أصول من علم الكلام، بخلاف حماد بن أبي سليمان، فإنه لما قال مقالته -وهو أول من خالف من أئمة السنة في هذه المسألة- فلا شك أنه بناها على شيء من الدليل الشرعي، كالاستدلال بقول الله تعالى في القرآن كثيرا: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ [البقرة:٢٧٧]، وظهر له من

---

(١) شرح ثلاثة الأصول لخالد المصلح خالد المصلح ٧/٥

هذه السياقات أن العمل ليس من الإيمان.
فالمقصود: أن مثل هذا الاجتهاد لا يجوز ولو كان مبنيا على دليل شرعي، وهذا من جهة أن الاجتهاد بعد ثبوت الإجماع يعلم غلطه ولا بد.
وإنما كان محرما ومنهيا عنه؛ لأن الإجماع إذا انعقد علم أن الاجتهاد يتعذر أن يحصل به صواب يخالف ما سبق الإجماع عليه.
وهذه قاعدة مطردة: أن الإجماع إذا تحصل امتنع الاجتهاد بخلافه، ولو كان المجتهد يبني اجتهاده على ظاهر دليل، وحتى لو كان ظاهر الدليل في نظره مخالفا للإجماع، فما دام الإجماع محفوظا، فلا يجوز النظر بخلافه؛ لأنه يعلم الغلط فيه ولا بد.." (١)

"الدين والإيمان قول وعمل
قال رحمه الله: (ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل).
المصنف هنا قال: (الدين والإيمان)، والاختلاف عند أهل القبلة إنما هو في اسم الإيمان، وأما اسم الدين فقد أجمع المسلمون على أن الدين قول وعمل، فهذا مما لا يختلفون فيه، وليس من موارد الخلاف، وأجمعت الطوائف جميعها على أن الإيمان من الدين، ولكن منهم من يذهب إلى الترادف بين الدين والإيمان، ومنهم من يفرق من وجه.
وكأن من محصل مذهب أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان -أو هذين الاسمين- على مسمى واحد، بخلاف المرجئة، فإنهم باتفاقهم لا يجعلون العمل داخلا في مسمى الإيمان وإن كانوا يجعلونه من الدين.
وحتى الطرف الآخر في المسألة وهم الخوارج والمعتزلة الذين يقولون: إن الإيمان قول وعمل ولكنه لا يزيد ولا ينقص، في ظاهر مذهبهم -وإن كانت هذه المسألة لا يعتنون بتحريرها- أنهم يفرقون بين الدين والإيمان.
لكن هناك فرق بين المعتزلة والخوارج، فالمعتزلة حكي في مذهبهم الخلاف، والخوارج منهم من يحكي الإجماع عندهم ومنهم من يحكي الخلاف.
فالمسألة -كما أسلفت- ليست محررة في كتبهم أو فيما نقل عنهم، لكن النوافل منهم من يجعلها من الإيمان، ومنهم من يقول: إنها من الدين وليست من الإيمان، فيتحصل أن الضبط لاسم الدين واسم الإيمان على هذا المعنى هو من المعاني المستقرة في كلام أهل السنة والجماعة.
فقول المصنف: (أن الدين والإيمان) أما الدين فلا خلاف فيه بين المسلمين أنه قول وعمل، وإنما الخلاف في اسم الإيمان.
فإن قيل: فإذا كان لا خلاف فيه فلم ذكره المصنف؟
فالجواب: أن هذا نوع من التصحيح، وهو نوع من الإلزام، بمعنى: أنه إذا كان مستقرا عند المسلمين أن الدين قول وعمل، فينبغي أن يستقر عند المسلمين أن الإيمان قول وعمل، وإن كان النظار من المرجئة أو غيرهم يفرقون بين الدين والإيمان، فإن المستقر عند عامة المسلمين وحتى علماء المرجئة القاصدين للسنة والجماعة أن الأقرب إلى الأصول الشرعية والفطرية أن

(١) شرح الواسطية - يوسف الغفيص يوسف الغفيص ٢/١٩

الدين والإيمان على معنى واحد، فيكون هذا أدعى للتصحيح عند العامة، وهذا ليس من باب الخطاب بالعاميات؛ لأن المخالفين إنما خالفوا بأصول مبتدعة، والأصول التي عند العامة تلقوها عن منهج الرسالة العام، فيكون الاستعمال لها حسنا من هذا الوجه.

وقوله: (قول وعمل)، أجمع السلف رحمهم الله وأئمة السنة والجماعة على أن الإيمان قول وعمل، وإن كانت عباراتهم قد اختلفت ألفاظها، فالمشهور عن جمهورهم أنهم يقولون: الإيمان قول وعمل ..

هذا هو التعبير الذي نطق به الجمهور من السلف، ومن السلف من قال: الإيمان قول وعمل واعتقاد.

ومنهم من يقول: إنه قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح.

ومنهم من يقول: إنه قول وعمل ونية واتباع للسنة.

كـ سهل بن عبد الله، وهو من النساك، وإن كان عنده قدر من العلم، لكنه اشتهر بالعبادة والنسك.

وقال البخاري في صحيحه -في إحدى روايات صحيح البخاري -: الإيمان قول وفعل.

وإن كانت هناك رواية أخرى لصحيح البخاري فيها: أن الإيمان قول وعمل.

لكن الموجود في صحيح البخاري الآن: أن الإيمان قول وفعل.

وإن كان من الشراح من تكلم على تعبير البخاري بالفعل.

والأصل في هذا ألا يبالغ في الفرق بين العبارات، وهذا منهج سبق أن نبهت إليه: أن التفقه في المعنى الاصطلاحي يستعمل في مسائل التكليف، سواء كان هذا التفقه من النظر في كلام الله سبحانه وتعالى، أو كلام رسوله، أو حتى في كلام أهل العلم.

أما تعبير السلف في مسائل الأصول، فكلما قصد إلى أن الخلاف لفظي بينهم فإن هذا يكون أجود، فينبغي أن يجعل الخلاف في التعبير عن الأصول من الخلاف اللفظي، وعلى الأقل: ينبغي أن يجعل ذلك من خلاف التنوع، أما كثرة التفريق بأن هذا يشير بقوله كذا وكذا إلى كذا وكذا من المعاني، وقد يكون اللفظ محتملا لذلك، لكن معرفة أن هذا المتكلم قصد ذلك فيه تعذر.

وفي الغالب أنه صدرت هذه الإجابات من الأئمة ليس عن كثير من هذه الإشارات، إنما كانوا يقصدون بها معنى واضحا: أن الإيمان قول وعمل، على ما فصله شيخ الإسلام هنا.

إذا: تعبير السلف هنا مختلف، وإذا قيل: هل هذا التعبير من الخلاف اللفظي، أم من خلاف التنوع، أم من خلاف التضاد؟ فقطعا أنه ليس من خلاف التضاد، ولكن البعض يقول: إنه خلاف تنوع، وهذا أيضا غلط؛ لأنه إذا اختلف هذا التعبير مع التعبير الآخر فلا بد أن يتضمن أحد التعبيرين معنى ليس في التعبير الآخر، فعندها يكون الاختلاف من باب اختلاف التنوع، فيكون في أحد التعبيرين من المعنى ما ليس في الآخر، وإن كان لا ينافيه، فإذا وجد هذا قيل: إن الخلاف هنا خلاف تنوع.

أما اختلاف ألفاظ السلف في التعبير عن الإيمان فهو من باب الخلاف اللفظي، والخلاف اللفظي لا يفهم منه أنه لا ثمرة له كما هو مشهور عن مسائل الخلاف اللفظي عند كثير من أهل الأصول، إنما هنا وإن كان الخلاف لفظيا إلا أن ثمرته

هي إظهار أبين العبارات وأصدقها في التعبير عن الحقائق العلمية؛ ولذلك كان التعبير الذي يقول: إن الإيمان قول وعمل -وهو الذي عبر به الجمهور من السلف- هو أصدق هذه التعبيرات، أصدقها من جهة الألفاظ؛ لأنه أحكم لفظا، ووجه كونه أحكم من جهة اللفظ: أن قولهم: الإيمان قول وعمل تضمن المقامات **الأربعة: قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح، أما قول اللسان فمعروف، **وأما قول القلب فهو** تصديقه بما هو من التصديقات الشرعية، وأما عمل القلب فهو حركته بهذا التصديق بأعماله المناسبة له؛ كالمحبة والخوف والرجاء ونحو ذلك، وأما عمل الجوارح فهو بين.

فهي أربعة مقامات: قول القلب، وعمل القلب، وقول اللسان، وعمل الجوارح.

وفي هذا بيان لفضل هذه الجمل: أن الإيمان قول وعمل.

وبالنظر البسيط إلى هذا التعريف: أن الإيمان قول وعمل، قد يتبادر إلى ذهن بعض الناس أن يقول: أين الاعتقاد؟ فمن خلال ما سبق يتبين أن الاعتقاد هو قول القلب.

وهناك وجه آخر، وهو وإن لم يكن صريحا لكنه أجود من جهة الإفادة، وهو: الإشارة إلى قدر من التلازم والتركب، ومعنى هذا الكلام: أن الإيمان في سائر موارده متركب من القول والعمل، سواء كان هذا التركب بطريق التضمن أو كان هذا التركب بطريق اللزوم؛ أما المطابقة فلا تكون إلا في شيء واحد، وإذا استعملت التركب فلا بد أن يكون عندك شيء وآخر، فهذا التركب يكون بطريق التضمن تارة ويكون بطريق اللزوم تارة أخرى.

ومن فقه هذا المعنى من النظر العقلي الشرعي، بان له أن سائر أقوال المرجئة ليست خاطئة فحسب؛ بل هي خاطئة من جهة العقل فضلا عن الشرع، ووجه ذلك: أن سائر المرجئة -بل سائر أهل القبلة- يقولون: إن اعتقاد القلب وتصديق القلب هو الإيمان، وهو عند أهل السنة من الإيمان، والمهم أن اعتقاد القلب -الذي هو قول القلب- هو من الإيمان بلا جدل بين المسلمين.

فهنا يقال: إن كل ما هو من الإيمان عند السلف فهو مركب من هذين: قول وعمل، وهذا التركب إما أن يكون تضمنا وإما أن يكون لزوما.

والمرجئة لما جاءوا إلى العبادات الظاهرة كالصلاة قالوا: إنها ليست من الإيمان، مع أنهم اتفقوا على أن التصديق من الإيمان، ومنهم من يخصه به؛ فيرد عليهم أن الصلاة وسائر الأعمال الظاهرة حقيقتها أنها مركبة **من قول القلب الذي** هو تصديقه، ومن العمل، وليس هناك صلاة ولا عمل ظاهر ينفك عن التصديق؛ فالصلاة حقيقتها أنها مركبة من العمل الظاهر -وهي الحركات التي شرعت كالركوع والسجود ورفع اليدين، سواء كانت ركنا أم كانت مستحبة- ومركبة من الاعتقاد والتصديق.

والصلاة ليست ماهيتها تصديقا محضا لا عمل معه، ولو قال قائل: إن الصلاة هي تصديق محض لا عمل معه، لأنكر جميع النظار وجميع المسلمين ذلك.

ولو جاء شخص وقال: أنا أصلي بقلبي، أؤدي الصلاة بقلبي، وأقوم بهذه الأعمال بقلبي وأصدق بها؛ لقيل له: هذه ليست صلاة شرعية، فكذلك من زعم أن الصلاة -والصلاة مثال وسائر الأعمال الشرعية على حكم الصلاة في القاعدة- هي عمل وليست تصديقا، فيقال للمرجئ إذا أقر أن الصلاة مركبة من العمل والتصديق: ألست تجعل التصديق من الإيمان؟

إذا: عرفنا ضرورة عقلية وشرعية أن الصلاة ماهية مركبة من التصديق والعمل، **من قول القلب والعمل**، ولك أن تقول: إنها مركبة من ماهية الإيمان كله عند أهل السنة، وماهية الإيمان أربعة مقامات:

المقام الأول: قول القلب، والصلاة فيها قول القلب، فمن صلى وهو غير مصدق بأن الصلاة من الإسلام فصلاته باطلة، ومن صلى الظهر -مثلا- وهو غير مصدق أن صلاة الظهر شرعها الله ورسوله أربعا، فصلاته غير صحيحة، وكم من التصديقات اللازمة في الصلاة! فهذا قول القلب.

المقام الثاني: عمل القلب، فمن صلى وهو لا يصلي محبة لله وخوفا ورجاء، فصلاته مثل صلاة عبد الله بن أبي، صلى لكنه ما صلى محبة وخوفا ورجاء، فإذا لزم بالضرورة أن الصلاة مضمنة بعمل القلب.

المقام الثالث: قول اللسان؛ فالصلاة متضمنة لقول اللسان، فإن المصلي يقول: الله أكبر، ويقرأ الفاتحة، ويقرأ الشهادتين في آخر الصلاة وما إلى ذلك.

المقام الرابع: عمل الجوارح، فالصلاة متضمنة لعمل الجوارح، فإنه يركع ويسجد وما إلى ذلك.

ولو أن مصليا أسقط أحد هذه المقامات الأربعة فصلاته باطلة بإجماع المسلمين.

إذا: الصلاة الشرعية -والكلام هو في الأعمال الشرعية لا في الأعمال العادية- مركبة من ماهية الإيمان، فيمتنع هنا أن تقول المرجئة: العمل ليس من الإيمان، والتصديق من الإيمان، فقولهم هذا مبني على فرض أن الأعمال توجد منفكة عن التصديقات، وليس هناك عمل شرعي واحد ينفك عن التصديق، فإنه إذا انفك عن التصديق أصبح عملا غير شرعي، ولو أن شخصا دخل المسجد هروبا من لص، أو ممن يريد قتله، أو من شيء من هذا القبيل، فأراد أن يظهر لمن يركض خلفه أنه منشغل بالصلاة، وأنه ليس هو الشخص الذي هرب، فبدأ يتحرك، فإن هذا لا يحتسب له أنه مصل، ومن قام ليري شخصا كيفية الركوع الصحيحة، فهذا لا يقال:." (١)

"تعريف أهل السنة للإيمان

وقبل أن نخوض في حقيقة الخلاف، وهل هو خلاف لفظي أو خلاف معنوي، نقول: عقد أهل السنة والجماعة الذي اشتهر عنهم واتفقوا عليه ولا خلاف بينهم في القرون المفضلة: أن الإيمان قول وعمل، وقد تواترت المقالات والأقوال عن أهل السنة والجماعة في هذا؛ فهم يجعلون **الإيمان قول القلب واللسان**، وعمل القلب والجوارح، فأهل السنة والجماعة عرفوا الإيمان بهذا التعريف المفصل الذي يشمل كل خلال الإيمان وشعبه وصفاته وأخلاق أهله، فمنها ما يكون في القلب، ومنها ما يكون في اللسان، ومنها ما يكون في الجوارح.

والمؤلف رحمه الله هنا اقتصر في تعريف الإيمان على ذكر الإقرار باللسان والتصديق بالجنان، ولم يذكر دخول الأعمال في مسمى الإيمان، ومعلوم أن الإيمان اسم شرعي، والأسماء الشرعية قد جاء الكتاب والسنة ببيانها بيانا واضحا، فلا يتلقى تعريف هذه الأسماء، ولا الوقوف على حقيقتها إلا من الكتاب والسنة، وقد دلا على أن الإيمان يكون منه عقد، ويكون منه قول، ويكون منه عمل، وأشمل ما ورد في الاستدلال: حديث خصال الإيمان، وفيه قول النبي صلى الله عليه وسلم في

---

(١) شرح الواسطية - يوسف الغفيص يوسف الغفيص ٣/١٩

حديث أبي هريرة: (الإيمان بضع وسبعون شعبة) ، وفي رواية (بضع وستون شعبة، أعلاها: قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) ، وإذا تأملت هذه الأعمال وجدت أنها قول في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أعلاها: قول لا إله إلا الله) ، وعمل في قوله: (وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق) ، فجعل إماطة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان، وقال: (والحياء شعبة من الإيمان) ، والحياء عمل قلبي من أعمال القلوب؛ فدل ذلك على أن الإيمان قول وعمل، وأن الأعمال داخلة في الإيمان، ومن طالع نصوص الكتاب والسنة النبوية أيقن إيقانا جازما أن العمل من الإيمان، وأنه يطلق الإيمان في الشرع على الأعمال، وأنها لا تخرج عن مسمى الإيمان، ومن أخرجها فقد خرج عما دلت عليه النصوص.." [1]

"يقول شارح العقيدة الطحاوية الإمام ابن أبي العز "وهنا أصل آخر وهو أن القول **قسمان: قول القلب وهو** الإعتقاد (١) وقول اللسان وهو التكلم بكلم الإسلام: والعمل قسمان عمل القلب وهو نيته وإخلاصه وعمل الجوارح" (٢) .

ويقول صاحب "معارج القبول": " (اعلم) يا أخي وفقني الله وإياك والمسلمين (بأن الدين) الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه ورضيه لأهل سماواته وأرضه. وأمر أن لا يعبد إلا به ولا يقبل من أحد سواه ولا يرغب عنه إلا من سفه نفسه ولا أحسن دينا ممن التزمه واتبعه هو (قول) أي بالقلب واللسان (وعمل) أي بالقلب واللسان والجوارح" (٣) .

ويقول الإمام ابن القيم: "وهاهنا أصل آخر، وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل. والقول **قسمان: قول القلب وهو** الاعتقاد، وقول اللسان وهو التكلم بكلم الإسلام. والعمل قسمان: عمل القلب وهو نيته وإخلاصه وعمل الجوارح" (٤) .

---

(١) وإن الاصطلاح على **تسمية قول القلب هنا** "الاعتقاد" وقصره على ذلك يجب أن يفهم منه شمول الاعتقاد لمعنى الالتزام كما سيأتي بعد، وليس "الاعتقاد" **أو قول القلب هو** مجرد التصديق بمعنى نسبة الصدق إلى الخبر أو المخبر وإنما إن قيل هو التصديق فيعنى به التصديق المخصوص المتضمن للإقرار والالتزام والانقياد، فإنه من المعلوم من الدين بالضرورة أن من "صدق" بشريعة من شرائع الإسلام دون "الالتزام بها" التزام الطاعة بالقبول – وليس التنفيذ كما سيأتي في التفريق بينهما – كان ولا ينجيه الاعتقاد بمعنى التصديق فقط بهذا إلا تضمن الالتزام بطاعة الله فيها فيكون مسلما، حتى وإن ترك أعمال الطاعات كسلا أو هوى، وهذا ما سنفصله بعد في الفصل الثالث من هذا الباب إن شاء الله تعالى.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٤٥.

(٣) معارج القبول جـ٢ص١٧.

(٤) كتاب الصلاة لابن القيم ص٢٤.." [2]

---

[1] شرح الطحاوية لخالد المصلح خالد المصلح ٣/١٥

[2] حقيقة الإيمان طارق عبد الحليم ص/١٥

"وبيان هذه الأقسام (١) هو أن:

قول القلب: تصديقه وانقياده (٢) .

قال تعالى: (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) (٣) . وقال تعالى: (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) (٤) . وفي حديث الشفاعة: "يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه من الخير ما يزن شعيرة ... " (٥) .

قول اللسان: وهو النطق بالشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله والإقرار بلوازمهما (٦)

---

(١) راجع في بيان معاني هذه الأقسام إلى كل من شرح الطحاوية ص٢٤٥ ومعارج القبول جـ٢ص١٧ وغيرها.

(٢) وهو المعنى الذي نبهنا عليه سابقا من أنه إذا اعتبر "الاعتقاد" هو قول القلب لزم أن يكون "قول القلب" يشمل التصديق والانقياد.

(٣) الزمر ٢٣.

(٤) الحجرات ١٥.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

(٦) وننبه هنا إلى أمرين: أولهما: أن النطق بالشهادتين المعتبر شرعا هو المستلزم لمعرفة معناهما وتحقيق لوازمهما مع ترك ما يناقضهما، وليس هو مجرد النطق اللفظي فقط كما سنبين في الفصل الثاني من الباب الثالث، وإلا فإن الجهل بمعناهما يتنافى كلية مع معنى قول القلب السابق لقول اللسان، والذي أجمع العلماء على اعتباره ركن الإيمان، إذ كيف يجتمع الجهل بالشئ مع تصديقه والإقرار به؟! ويرجع في هذا تفصيلا لكتابنا عن عارض الجهل في الشريعة المسمى "الجواب المفيد".

ثانيا: أن المراد بالنطق بالشهادتين هو ظهور دلالة الإسلام، فإن إسلام الفارسي الذي لا يتكلم العربية يتحقق بمجرد إعلانه الإستسلام بلفظ "ميتراس" أي أسلمت، وأي دلالة على الإسلام تكون معتبرة طالما أنها تكفي للتدليل على الإنخلاع من الشرك والتبري من دين الكفر، فإن قول الشهادة يكون معتبرا في بعض الحالات كحالة عباد الأوثان فإنه يكتفي منهم بقول لا إله إلا الله لأنهم لم يكونوا عليها قبل الإسلام، وأما أهل الكتاب المعتقدين لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم إلى العرب فلا يكتفى بنطقه الشهادتين منهم بل لابد من أن ينضم إليهما قول "إلى العرب العالم كافة" يقول الإمام النووي في شرحه على مسلم: "ذكر القاضي عياض معنى هذا وأوضحه، فقال اختصاص عصمة المال بالنفس بمن قال لا إله إلا الله تعبير عن الإجابة إلى الإيمان. وأن المراد بهذا مشركو العرب وأهل الأوثان ومن لا يوحد وهم كانوا أول من دعى إلى الإسلام وقوتل عليه فأما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فلا يكتفي في عصمته بقول لا إله إلا الله إذ كان يقولها في كفره وهي من اعتقاده، ولذلك جاء في الحديث الآخر وأني رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة"اهـ.

كلام القاضي شرح النووي على مسلم جـ١ ص ٢٠٧.

كما نص على هذا المعنى ابن قدامة المقدسي في المغني، قال: "والثانية" أنه إن كان مقرا بالتوحيد كاليهود حكم بإسلامه

لأن توحيد الله ثابت في حقه وقد ضم إليه الإقرار برسالة محمد صلى الله عليه وسلم فكمل إسلامه، وإن كان غير موحد كالنصارى والمجوس والوثنيين لم يحكم بإسلامه حتى يشهد أن لا إله إلا الله وبهذا جاءت أكثر الأخبار وهو الصحيح لأن من جحد شيئين لا يزول جحدهما إلا بإقراره بهما جميعا، وإن قال أشهد أن النبي رسول الله لم يحكم بإسلامه لأنه يحتمل أن يريد غير نبينا ... وعن عمران بن حصين قال: أصاب المسلمون رجلا من بني عقيل فأتوا به النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد إني مسلم فقال صلى الله عليه وسلم "لو كنت قلت وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح" رواه مسلم ويحتمل أن هذا في الكافر الأصلي أو من جحد الوحدانية، أما من كفر بجحد نبي أو كتاب أو فريضة ونحوها فلا يصير مسلما بذلك – أي بقوله إني مسلم أو نطقه بالشهادتين – لأنه ربما اعتقد أن الإسلام ماهو عليه، فإن أهل البدع كلهم يعتقدون أنهم هم المسلمون ومنهم من هو كافر"اهـ.

المغني جـ٨ص١٤٣.

ويراجع في نفس المعنى بدائع الصنائع للكاساني جـ٩ص٤٣١٢، فهذا المعنى متواتر في كتب الفقه والعقائد بأجمعها على اختلاف مذاهبها – فابن قدامة حنبلي والنووي شافعي والقاضي عياض مالكي والكاساني حنفي – والشاهد فيه أن نطق الشهادتين باللسان إنما هو معتبر في حالة دلالته على الإسلام، وليس في كل حالة على الإطلاق، والحديث مبسوط في هذا الأمر في كتابنا عن "التوحيد" وغيره فارجع إليه.." (١)

"ثم يفسر بعدها ما أردناه فيقول: "والمقصود هنا أن من قال من السلف الإيمان قول وعمل، **أراد قول القلب واللسان** وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك فزاد الإعتقاد بالقلب، ومن قال قول وعمل ونية، قال: "القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك، ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك لا يكون محبوبا لله إلا باتباع السنة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل، إنما أرادوا ما كان مشروعا من الأقوال والأعمال، ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط، فقالوا بل هو قول وعمل، والذين جعلوه أربعة فسروا مرادهم كما سئل سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان ما هو، فقال: قول وعمل ونية وسنة، الإيمان إذا كان قولا بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة" (١) .

ثم إن الشبهة قد دخلت على من دخلت عليه - قديما وحديثا - في هذا الباب من أمرين رئيسيين:

أولهما: الخطأ في فهم معنى الكفر العملي.

الثاني: الخلط فيما هو لازم لإجراء الحكم في الظاهر وما هو من أحكام الآخرة.

فنقول وبالله تعالى التوفيق:

أولا: الخطأ في فهم معنى الكفر العملي:

فقد جرى هؤلاء في فهم الكفر العملي على أنه كفر لا يخرج من الملة مطلقا، واعتقدوا أن كل عمل مكفر بالجوارح هو كفر

---

(١) حقيقة الإيمان طارق عبد الحليم ص/١٦

عملي لا يخرج من الملة لوقوعه بالجوارح وعدم دخول الاعتقاد فيه – ولا ندري كيف ظنوا أن ارتكاب أي عمل مكفر لا يلازمه سقوط الاعتقاد؟! فيكون كل كفر عملي عندهم كفرا أصغر لا ينقل عن الملة!!.

والمقصود بالكفر العملي أنه المعاصي التي أطلق عليها الشارع اسم الكفر، ولكن لم يمكن اطلاق الكفر الأكبر عليها لوجود أدلة أخرى من الشريعة تدل على أنها ليست منه.

---

(١) "الإيمان" لابن تيمية ص١٤٦ وبعدها.." (١)

"، فلن يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، وإنما أراد بذلك نقص الإيمان ونفي كماله" (١) إلا أن صاحب الكتاب نفسه قد بين بعد ذلك مباشرة أن هناك من أعمال الجوارح ما يوجب الكفر على صاحبه بمجرده إجماعا، كالساجد للصنم، مثلا، رغم أنه كفر بالعمل لا بالاعتقاد يقول:

"س: وإذا قيل لنا هل السجود للصنم والاستهانة بالكتاب وسب الرسول صلى الله عليه وسلم والهزل بالدين ونحو ذلك، هذا كله من الكفر العملي فيما يظهر فلم كان مخرجا من الدين وقد عرفتم الكفر الأصغر بالعملي؟ "

ج: اعلم أن هذه الأربعة وما شاكلها ليس هي من الكفر العملي إلا من جهة كونها واقعة بعمل الجوارح فيما يظهر منها، ولكنها لا تقع إلا مع ذهاب عمل القلب من نيته وإخلاصه ومحبته وانقياده لا يبقى معها شئ من ذلك، فهي وإن كانت عملية في الظاهر فإنها مستلزمة للكفر الاعتقادي ولابد، ولم تكن هذه لتقع إلا من منافق مارق أو معاند مارد. وهل حمل المنافقين في غزوة تبوك على أن (قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا) إلا ذلك مع قولهم لما سئلوا (إنما كنا نخوض ونلعب) قال الله تعالى: (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) . ونحن لم نعرف الكفر الأصغر بالعملي مطلقا بل بالعملي المحض الذي لم يستلزم الاعتقاد ولم **يناقض قول القلب وعمله**" (٢) .

فتبين من هذا أن هناك ما يثبت كونه كفرا أكبر ناقل عن الملة، وهو من أعمال الجوارح، فلا يصح عندئذ أن يطلق عليه أنه كفر عملي بمعنى أنه كفر أصغر، لمجرد أنه قد أتى بالجوارح، حتى لا يختلط أمره بأفعال المعاصي التي يطلق عليها اسم الكفر – وهي من الكفر الأصغر – فيظن أن هذا من ذاك.

---

(١) "أعلام السنة المنشورة" المطبوع تحت اسم ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة لحافظ حكمي ص٧٥.

(٢) "أعلام السنة المنشورة" ص٧٦.." (٢)

"والحق في ذلك أن لفظ الاعتقاد إنما هو بمعنى "ما يجب أن يعقد عليه القلب" من معان، فخرج بذلك منه كل الأعمال سواء الأعمال التركية – أي ترك أعمال الشرك – كالسجود لصنم والدعاء لغير الله – دعاء عبادة ومسألة – أو الأعمال الفعلية المشترطة لصحة الإسلام – على اختلاف فيها – وصار هو **بمعني قول القلب وعمله**. فالقدر المنجي من

---

(١) حقيقة الإيمان طارق عبد الحليم ص/٤٠

(٢) حقيقة الإيمان طارق عبد الحليم ص/٤٣

الخلود في النار إذن – حسب ما قررنا قبل ذلك – هو:

الاعتقاد: وهو ما يجب أن يعقد عليه القلب من معان خاصة بالربوبية والألوهية، وبرسالة الرسول صلى الله عليه وسلم وما يتضمنها من أوامر ونواهي – عند من بلغته الأوامر والنواهي تفصيلا – معرفة وتصديقا وإقرارا قلبيا (أو التزاما بها) وهذا **معنى قول القلب وعمله** (١) .

العمل: وهو ترك أعمال الشرك الأكبر كلها كالسجود للصنم أو دعاء غير الله تعالى وإتيان الأعمال المشروطة لصحة الإسلام كما أوضحنا من قبل – على خلاف فيها – لمن بلغته الشرائع، تحقيقا لإتيان جنس العمل اللازم لصحة الإيمان إجماعا.

ثم إن هؤلاء قد قالوا – من غير دليل معتبر – أن المسلم مهما أتى من عمل من الأعمال لا يكفر بذلك طالما أن اعتقاده صحيح فيه، وطردوا ذلك المعنى في جميع الأعمال فلم يفرقوا بين أعمال الكفر وأعمال المعاصي، وجعلوا فساد الاعتقاد شرطا في كفر من عمل أي عمل من أعمال الجوارح أيا كان هذا العمل، والحق أن هذه المسألة لها تفصيل.

فإنه يجب أن نفرق بين الأعمال التي يكفر فاعلها، وبين أعمال المعصية عامة.

---

(١) والكفر من باب الاعتقاد يكون إما **بسقوط قول القلب أي** تصديقه، ويكون من المكذب وهو كفر التكذيب، أو بسقوط عمل القلب أي انقياده والتزامه ومحبته كمن أنزل الله تعالى فيهم (لا تعتذروا..) الآية، وجهمية المرجئة قد قصروا الكفر على **سقوط قول القلب فانتبه**.." (١)

"ثم يقول: "واعلم أن الإيمان وإن قيل هو التصديق فالقلب يصدق بالحق والقول يصدق في القول، والعمل يصدق القول (١) والتكذيب بالقول مستلزم للتكذيب بالقلب، ورافع للتصديق الذي كان في القلب، إذ أعمال الجوارح يؤثر في القلب، كما أن أعمال القلب يؤثر في الجوارح، فإنما قام به كفر تعدى حكمه إلى الآخر" (٢) .

ونخلص من هذا إذن إلى أنه من زعم أنه معتقد اعتقادا صحيحا وهو يعمل عملا من أعمال الكفر الأكبر، فهذا لا يصح أن يعتبر مسلما بأي حال من الأحوال بل هو كافر رغم زعمه صحة الاعتقاد، لأن اعتقاده القلبي يكون قد سقط ولا محالة (٣) لإتيانه ما يضاده مضادة كاملة وإن لم يصرح بذلك.

ومن قال إنه يعتبر مسلما لصحة اعتقاده فهو من المرجئة الذين يجعلون الإيمان هو مجرد عقد القلب دون الأعمال.

أما عن أعمال المعاصي كلها فالشأن فيها أن لا يكفر فاعلها إلا إن كان مستحلا لها، وفي هذا المقام نقلت أقوال الفقهاء كلهم عن أن مرتكب أي عمل – ويقصدون به من أعمال المعاصي لا الكفر – لا يكفر إلا إن كان مستحلا له فهو إن كان معتقدا للتحريم آتيا للمعصية بدافع الشهوة فهذا هو المسلم العاصي خلافا للخوارج الذين كفروا بالمعصية مطلقا.

---

(١) المراد بالتكذيب بالقول هنا ما يدل على التكذيب، ولا يلزم التصريح بالقول بالتكذيب، فالتكذيب بالقول لا يستلزم

---

(١) حقيقة الإيمان طارق عبد الحليم ص/٦١

القول بالتكذيب كأنه يقول: "أنا مكذب بالرسول مثلا" فهذا كفره من نوع آخر، والشاهد على ذلك هو استشهاده بقصة المستهزئين بقولهم (إنما كنا نخوض ونلعب) وهم لم يقولوا قولا فيه التصريح بالتكذيب بل كفرهم من باب سقوط عمل القلب من محبة الرسول صلى الله عليه وسلم وتوقيره والانقياد لدينه فانتبه لهذا.

(٢) "الصارم المسلول" لابن تيمية صـ٥٢٤.

(٣) كما سبق أن ذكرنا أن كفره إما **بسقوط قول القلب أي** تصديقه فيكون كافرا كفر تكذيب، أو سقوط عمل لب بسقوط التزامه التزام الطاعة وانقياده ومحبته وتوقيره.." [١]

"الفصل الأول

مجمل أقوال المرجئة

تدور مفاهيم الأرجاء – قديما وحديثا – حول ثلاث نقاط رئيسية ليس لهم عليها دليل، وإنما هو التناقض في فهم الكتاب والسنة، وانحراف مناهج الاستدلال (١) كما ذكرنا من قبل.

وسنورد إن شاء الله تعالى هذه النقاط، ثم نعقبها بالرد ما تيسر لنا ذلك.

النقطة الأولى:

وهي تدور حول مفهوم الإيمان، فقد انقسموا إلى ثلاثة أقوال على الجملة:

أن الإيمان مجرد ما في القلب – **أي قول القلب –** ثم منهم من يدخل فيه أعمال القلب ومنهم من لا يدخلها.

---

(١) وأما عن مناهج استدلالهم فسيأتي بيانها في مبحثنا التالي إن شاء الله تعالى عن "أصول الفكر والنظر عند أهل السنة والجماعة" وسنعرض فيه بإذن الله تعالى إلى مآخذ كل من المرجئة والخوارج في طرق استدلالهم، وحجياتهم التي يقيمون عليها مذاهبهم في فهم نصوص الكتاب والسنة، ومنها ما أخذه المرجئة من أنه ليس للعموم صيغ بالمرة تدل على الاستغراق، وأن هذه الصيغ – مثل الجمع المعرف بأل، ومن في معرض الشرط والفكرة في سياق النفي، ولفظ كل وجميع وأمثال ذلك من صيغ العموم – لا تدل على الاستغراق لغة وشرعا، وما اتبع ذلك من استدلال على مذهبهم المنقوض.. إلى غير ذلك من طرق استدلالهم سواء في اللغة ودلالاتها أو في القواعد الأصولية اللغوية أو الشرعية أو في اعتبار الدليل الشرعي والدليل العقلي وعلاقة كل منهما بالآخر.." [٢]

"يقول ابن القيم: "فإن هذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام، فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم، وهم تحت الجاحدين لها في الدرك الأسفل من النار، فلابد **من قول القلب وقول** اللسان.

وقول القلب يتضمن من معرفتها والتصديق بها، ومعرفة حقيقة ما تضمنته من النفي والإثبات، ومعرفة حقيقة الإلهية المنفية عن غير الله، المختصة به، التي يستحيل ثبوتها لغيره، وقيام هذا المعنى بالقلب علما ومعرفة ويقينا وحالا ما يوجب تحريم

---

(١) حقيقة الإيمان طارق عبد الحليم ص/٦٣

(٢) حقيقة الإيمان طارق عبد الحليم ص/٧٨

قائلها على النار. وكل قول رتب الشارع ما رتب عليه من الثواب، فإنما هو القول التام" (١) .

وهذا المعنى إنما يأتي من أن الألفاظ لا تراد لذواتها وإنما تراد لمعانيها، يقول الإمام ابن القيم مدللا على هذا المعنى في كلام بليغ:

"الألفاظ موضوعة للدلالة على ما في النفس":

إن الله تعالى وضع الألفاظ بين عباده تعريفا ودلالة على ما في نفوسهم، فإذا أراد أحدهم من الآخر شيئا عرفه بمراده وما في نفسه بلفظه، ورتب على تلك الإرادات والمقاصد أحكامها بواسطة الألفاظ، ولم يرتب تلك الأحكام على مجرد ما في النفوس من غير دلالة فعل أو قول، ولا على مجرد ألفاظ مع العلم بأن المتكلم بها لم يرد معانيه ولم يحط بها علما، بل تجاوز للأمة عما حدثت به أنفسها، ما لم تعمل به أو تكلم به، وتجاوز لها عما تكلمت به مخطئة، أو ناسية، أو مكرهة، أو غير عالمة به إذا لم تكن مريدة لمعنى ما تكلمت به، أو قاصدة إليه، فإذا اجتمع القصد والدلالة القولية أو الفعلية ترتب الحكم. هذه قاعدة الشريعة.. الخ" (٢) .

---

(١) "مدارج السالكين" جـ١ ص ٣٣١.

(٢) "إعلام الموقعين" جـ٣ ص ١٠٥.." [1]

"القول والعمل **– قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح – ومات على ذلك دخل الجنة.

٦–شروط (لا إله إلا الله) التي لا ينتفع قائلها إلا باستكمالها:

١–العلم: بمعناها المراد منها نفيا وإثباتا المنافي للجهل بذلك.

قال الله عز وجل: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ (١) ، وقال تعالى: ﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾ (٢) أي من شهد بلا إله إلا الله وهم يعلمون بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم.

وفي الصحيح عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة) .

٢–اليقين: المنافي للشك وذلك بأن يكون قائلها مستيقنا بمدلول هذه الكلمة يقينا جازما.

قال الله عز وجل: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾ (٣) فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا، أي لم يشكوا، فأما المرتاب فهو من المنافقين – والعياذ بالله – الذي قال الله تعالى فيهم: ﴿إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون﴾ (٤) . وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه من حديث طويل أن النبي – صلى الله عليه وسلم – بعثه بنعليه

---

(١) حقيقة الإيمان طارق عبد الحليم ص/٩٧

فقال: (من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره الجنة..) فاشترط في دخول قائلها الجنة أن يكون مستيقنا بها قلبه غير شاك فيها.

---

(١) محمد – صلى الله عليه وسلم –: ١٩.

(٢) الزخرف: ٨٦.

(٣) الحجرات: ١٥.

(٤) التوبة: ٤٥.." [١]

"الفصل الثاني: الإيمان

هذه هي المرتبة الثانية في الحديث المذكور.

*أولا: تعريف الإيمان:

أ–الإيمان لغة وشرعا:

الإيمان لغة: التصديق. قال إخوة يوسف لأبيهم: ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾ (١) أي بمصدق.

وأما في الشريعة: فلإطلاقه حالتان:

الأولى: أن يطلق على الإفراد غير مقترن بذكر الإسلام فحينئذ يراد به الدين كله، القول والعمل.

والثانية: أن يطلق مقرونا بالإسلام وحينئذ يفسر بالاعتقادات الباطنة كما في حديث جبريل وما في معناه وكقوله تعالى: ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ في كثير من الآيات، وكقوله – صلى الله عليه وسلم –: (اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان) (٢) وذلك أن الأعمال بالجوارح إنما يتمكن منها في الحياة أما عند الموت فلا يبقى **غير قول القلب وعمله**. أما أمثلة الحالة الأولى (٣) فمنها قوله تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ (٤) ، وقوله تعالى: ﴿والله ولي المؤمنين﴾ (٥) ، وقوله

---

(١) يوسف: ١٧.

(٢) قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وقال الألباني: وهو كما قالا، تخريج المشكاة ١٦٧٥.

(٣) لما كان الكلام عنها سيطول بعض الشيء إن شاء الله قدمت عليه الكلام في الحالة الثانية.

(٤) البقرة: ٢٥٧.

(٥) آل عمران: ٦٨.." [٢]

---

(١) مختصر معارج القبول هشام آل عقدة ص/٩٣

(٢) مختصر معارج القبول هشام آل عقدة ص/١٧٥

"مرضاة الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك مما في شعب الإيمان قال تعالى: ﴿إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجار لن تبور﴾ (١) ، وقال تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم * التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾ (٢) .

جـ- أنواع الكفر:

إذا حققت الأمور الأربعة السابقة تحقيقا بالغا وعرفت ما يراد بها معرفة تامة وفهمت فهما واضحا ثم أمنعت النظر في أضدادها ونواقضها يتبين ذلك أنواع الكفر لا تخرج عن أربعة:

كفر جهل وتكذيب، وكفر جحود وكتمان أو إنكار، وكفر عناد واستكبار، وكفر نفاق. فأحدها يخرج من الملة بالكلية، وإن اجتمعت في شخص فظلمات بعضها فوق بعض لأنها إما أن تنفي هذه الأمور كلها **– قول القلب وعمله** وقول اللسان وعمل الجوارح – أو ينتفي بعضها، على النحو التالي:

١–فإن انتفت كلها اجتمع أنواع الكفر على النفاق.

٢–وإن انتفى تصديق القلب مع عدم العلم بالحق، فكفر الجهل والتكذيب، وذلك ككفر مشركي العرب. قال تعالى: ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله﴾ (٣) .

---

(١) فاطر: ٢٩.

(٢) التوبة: ١١١، ١١٢.

(٣) يونس: ٣٩.." (١)

"مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله؛ أما بعد:

فإنه من المقطوع به عند أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل (١) يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وتارة يقولون: الإيمان: قول باللسان، وعمل بالأركان (الجوارح) ، واعتقاد بالجنان (القلب) ،وتارة يقولون: قول وعمل ونية،ولهم عبارات لا تختلف عن هذه في معناها، وقد حكى غير واحد إجماع الصحابة والتابعين والفقهاء والمحدثين على ذلك، ومن هؤلاء الشافعي (٢) والبغوي (٣)

---

(١) مختصر معارج القبول هشام آل عقدة ص/١٧٩

(١) قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح.

(٢) قال ابن تيمية في كتاب "الإيمان" (ص٢٩٢) : ((قال الشافعى رضى الله عنه في كتاب الأم فى باب النية فى الصلاة ... وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر)) قلت:لم يرد هذا النقل في كتاب الأم المطبوع فليستدرك من هنا.

(٣) قال في "شرح السنة" (ص٣٨) : ((اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان، ... وقالوا: إن الإيمان قول وعمل وعقيدة ...))." [١]

"وابن عبد البر (١) وغيرهم. بل أصبح هذا مما يميزهم عن أهل البدع.

كما أنه من المقطوع به عندهم أن من الأقوال والأعمال ما هو كفر أكبر يخرج من الملة، وقد حكى غير واحد الإجماع على أن سب الله ورسوله كفر مخرج من الملة، ومن هؤلاء: الإمام إسحاق بن راهوية ومحمد بن سحنون (٢) وغيرهما. فظن بعض الناس أن الكفر العملي لا يخرج صاحبه من الإسلام وأن سب الله ورسوله مستثنى من ذلك (٣) ،

وهذا خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة. بل حكى غير واحد الإجماع على أن الكفر يكون

(١) قال في التمهيد (٩/٢٨) : ((أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية ...))

(٢) انظر النقولات عنهم من هذا الكتاب.

(٣) سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في السعودية (٢/٣٤) السئوال التالي: ((اعتبارهم تارك الصلاة كافرا كفرا عمليا والكفر العملي لا يخرج صاحبه من الملة إلا ما استثنوه من سب الله تعالى وما شابهه فهل تارك الصلاة مستثنى وما وجه الاستثناء؟

فأجابت: ليس كل كفر عملي لا يخرج من ملة الإسلام، بل بعضه يخرج من ملة الإسلام))

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز كما في مجلة الفرقان الكويتية، العدد (٩٤) : ((الذبح لغير الله، والسجود لغير الله،كفر عملي مخرج من الملة، وهكذا لو صلى لغير الله أو سجد لغيره سبحانه، فإنه يكفر كفرا عمليا أكبر– والعياذ بالله – وهكذا إذا سب الدين، أو سب الرسول، أو استهزأ بالله ورسوله، فإن ذلك كفر عملي أكبر عند جميع أهل السنة والجماعة))

لذا قال الشيخ حافظ الحكمي في "أعلام السنة النشورة" (ص١٨٢) " ((نحن لم نعرف الكفر الأصغر بالعملي مطلقا، بل بالعملي المحض الذي لم يستلزم الاعتقاد ولم يناقض قول القلب ولا عمله))." [٢]

"للمصحف العزيز في القاذورة ... وسجدة لكوكب وصورة" (١)

(١) التوسط والاقتصاد علوي السقاف ص/١١

(٢) التوسط والاقتصاد علوي السقاف ص/١٢

٣٧. الحافظ محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. ت:٧٥١هـ

قال في "كتاب الصلاة": ((وشعب الإيمان قسمان: قولية، وفعلية، وكذلك شعب الكفر نوعان: قولية وفعلية، ومن شعب الإيمان القولية: شعبة يوجب زوالها زوال الإيمان فكذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوال الإيمان. وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية، فكما يكفر بالإتيان بكلمة الكفر اختيارا، وهي شعبة من شعب الكفر، فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف، فهذا أصل.

وها هنا أصل آخر، وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل. والقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد، وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام. والعمل قسمان: عمل القلب، وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح، فإذا زالت هذه الأربعة، زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب، لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة. وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق، فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة، فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب، وهو محبته وانقياده كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول، بل ويقرون به سرا وجهرا ويقولون: ليس بكاذب، ولكن لا نتبعه، ولا نؤمن به.

وإذا كان الإيمان يزول بزوال عمل القلب، فغير مستنكر أن يزول بزوال أعظم أعمال الجوارح (٢) ، ولا سيما إذا كان ملزوما لعدم محبة القلب وانقياده الذي هو ملزوم لعدم التصديق الجازم كما تقدم تقريره،

---

(١) انظر: "بهجة الحاوي" (ص ١٩١) دار إحياء الكتب العربية. ط١٣٥١هـ. وهي قصيدة من خمسة آلاف بيت في الفقه الشافعي، ولها شروح كثيرة أشهرها "الغرر البهية شرح البهجة الوردية" لزكريا الأنصاري.

(٢) هذا تقرير ضمني منه رحمه الله، بأن بعض أعمال الجوارح كالصلاة شرط في صحة الإيمان كأعمال القلوب يزول الإيمان بزوالها.." [١]

"نعرف الكفر الأصغر بالعملي مطلقا، بل بالعملي المحض الذي لم يستلزم الاعتقاد ولم **يناقض قول القلب ولا** عمله)) (١) .

١٠٦. الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ. ت:١٣٨٩هـ

قال في شرحه "لكشف الشبهات":

(((فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة) واحدة (يخرجها من لسانه) دون قلبه)) (٢) .

وقال أيضا:

(((إذا كان الأولون لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا بين الشرك

---

(١) التوسط والاقتصاد علوي السقاف ص/٦٠

(١) "أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة " (ص ١٨١-١٨٢) مكتبة السوادي للتوزيع، ط١ - ١٤٠٨هـ.

تعليق: كلامه هنا رحمه الله صريح في التفريق بين الكفر العملي الذي يخرج من الملة والكفر العملي الذي لا يخرج من الملة فليس كل كفر عملي يعد كفرا أصغر كما يظن البعض، بل هناك من الكفر العملي - أي الوقوع في المكفرات القولية والعملية - ما يعد كفرا مخرجا من الملة كما مثل الشيخ له بالسجود للصنم وسب الرسول؟ أما الكفر العملي الذي لا يخرج من الملة فهو ما سماه الشيخ بالكفر العملي المحض الذي لم يستلزم الاعتقاد ولم **يناقض قول القلب ولا** عمله، أي أعمال وأقوال غير مكفرة وهي ما عرفه الشيخ (ص ١٧٩) بقوله: هي كل معصية أطلق عليها الشارع اسم الكفر مع بقاء اسم الإيمان على عامله. فتأمل! وسيأتي ما يؤيد ذلك من جواب اللجنة الدائمة للإفتاء، والشيخ عبد العزيز بن باز وانظر سادسا في المقدمة.

(٢) "شرح كشف الشبهات" (ص٤١) جمع محمد بن قاسم. ط١ - ١٤١٩هـ.." (١)

"تعريف العبادة

ما دمنا نقول: إفراد الله بالعبادة، فالعبادة في اللغة: هي الذل والخضوع، يقال: طريق معبد أي: مذلل وطئته الأقدام.

وتعريفها في الشرع: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

والأقوال الظاهرة مثل: قراءة القرآن، الذكر، التلبية.

الأقوال الباطنة مثل: أول ما يرد على القلب من قضية التصديق يسمى قول القلب.

والأعمال الظاهرة، مثل: الركوع والسجود والصيام والحج، والجهاد في سبيل الله.

والأعمال الباطنة: مثلما يحدث للإنسان بعد قضية الورود من التمكن، ومن الأمثلة على ذلك: أنت إذ ترى شخصا معينا، تجد منذ أن تنظر إليه تشعر أن قلبك يميل إليه لخلقه وما عرف شيئا من خلقه، لكنك وجدت رابطة بينك وبينه، قالوا: هذا أول وارد يرد على القلب، والنتيجة بعد أن تعرفت على هذا الشخص، ورأيت أخلاقه وأدبه وتضحيته وتفانيه وعبادته وصلاحه وطلبه للعلم، تجد أن قلبك يتفاعل.

ولعل من الأمثلة البسيطة على **قضية قول القلب وعمل** القلب: نحن جلوس هنا، وسمعنا صوتا مفزعا، كأن يكون إطلاق نار مثلا، ونحن جلوس ورد على القلب شيء، كل شخص ينظر إلى الباب، هل يدخل أحد أم لا يدخل؟ لكن بعد قليل دخل شخص مسرعا، قال: انتبهوا ورائي الآن شخص يلاحقني، ماذا تكون النتيجة؟ القلب يصبح على نفس الكلام الأول أم يزداد تفاعله؟ يوجد تفاعل كبير جدا، يصبح القلب يخفق وكل واحد ينظر باب نافذة لكي يفك نفسه مخافة أن يصاب بسوء، قالوا: فهذا العمل وهذه الحركة تسمى عمل القلب.

ويدخل في قضية العبادة حب الله ورسوله، ورجاء رحمة الله تعالى والخوف من عذابه، والتوكل عليه وغير ذلك، تدخل هذه

---

(١) التوسط والاقتصاد علوي السقاف ص/١٢٥

كلها وتسمى من الأعمال الباطنة، والعبادة لا شك أنها هي الغاية المحبوبة والمحمودة والمرضية التي خلق الناس من أجلها: ﴿وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات:٥٦] لا شك أن العبادة من حيث هي أعم من كونها توحيدا عموما مطلقا، فكل موحد يكون عابدا لله تعالى، وليس كل عابد لله تعالى يكون موحدا؛ لأن المشرك قد يعبد الله ويعبد غيره، يعبد الله فترة ويعبد غيره، لكن الموحد هو العابد لله حق العبادة.." (١)

"عدم قبول الله عز وجل لعذر من ناقض توحيده عن قصد وإرادة

ثم قال رحمه الله: (وهذه المسألة مسألة طويلة، تتبين لك إذا تأملتها في ألسنة الناس، ترى من يعرف الحق ويترك العمل به لخوف نقص دنيا أو جاه أو مداراة لأحد، وترى من يعمل به ظاهرا -يعني: بالدين- لا باطنا، فإذا سألته عما يعتقد بقلبه فإذا هو لا يعرفه، ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله) ، يعني: هاتين الآيتين من كتاب الله توضح لك صدق ما تقدم من وجوب الإقرار بالتوحيد ظاهرا وباطنا، وأنه لابد فيه **من قول القلب وعمل** القلب، وقول اللسان وعمل الجوارح.

قال رحمه الله: (أولاهما قوله تعالى: ﴿لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ [التوبة:٦٦] فإن الله سبحانه وتعالى لم يقبل منهم عذرا بعد أن وقع منهم ما يناقض التوحيد، فأبطل عذرهم ورده عليهم.

قال الشيخ رحمه الله: (فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه اللعب والمزح تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر ويعمل به خوفا من نقص مال أو جاه أو مداراة لأحد أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها) كان هذا أعظم لأنه تبين له الحق وعرفه وخالفه عن قصد وإرادة جازمة، وأما الذي يمزح فهو هازل فهو دون ذلك الذي قصد المخالفة وعلم بعاقبتها، وهو ما خالف هازلا ولاعبا، وليس كالذي خالف قاصدا عازما جازما، فينبغي للعبد أن يحذر الكفر، وألا يعتذر لنفسه في مواقعة الكفر بأي عذر كان، بل يجب عليه أن يقلع عن الكفر، وقد قال الله سبحانه وتعالى في انتفاء العذر عمن تبين له الحق وعرفه: ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره﴾ [القيامة:١٤-١٥] ، فقد تغش الناس بأعذارك، وقد يعذرك الناس بظاهر حالك أو بحسن بيانك وقولك، ولكن الله الذي يطلع على السرائر، قد قالها في كتابه جل ذكره: ﴿لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ [التوبة:٦٦] ، فالكفر لا تقبل فيه الأعذار؛ ولذلك ينبغي على العبد أن يتقي الله سبحانه وتعالى، وأن يحذر الشرك صغيره وكبيره، فإن الشرك أعظم الظلم كما تقدم بيانه في غير هذا الموضع.." (٢)

"وكذلك الكفر ذو أصل وشعب، فكما أن شعب الإيمان إيمان، فشعب الكفر كفر، والحياء شعبة من الإيمان، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر، والصدق شعبة من شعب الإيمان، والكذب شعبة من شعب الكفر، والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الإيمان، والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر، والمعاصي كلها من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان.

وشعب الإيمان قسمان: قولية وفعلية، وكذلك شعب الكفر نوعان: قولية وفعلية. ومن شعب الإيمان القولية: شعبة يوجب

---

(١) شرح لامية ابن تيمية عمر العيد ١٧/٩

(٢) شرح كشف الشبهات لخالد المصلح خالد المصلح ٤/١١

زوالها زوال الإيمان، فكذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوال الإيمان. وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية، فكما يكفر الإتيان بكلمة الكفر اختيارا، وهي شعبة من شعب الكفر، فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف، فهذا أصل.

وههنا أصل آخر، وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل. والقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد، وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام. والعمل قسمان: عمل القلب،. وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح، فإذا زالت هذه الأربعة، زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب، لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة. وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق، فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة، فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب، وهو محبته وانقياده، كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول، بل ويقرون به سرا وجهرا ويقولون: ليس بكاذب، ولكن لا نتبعه، ولا نؤمن به.." (١)

"((وروى مسلم في صحيحه عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اثنتان في الناس هما بهم كفر)) .

أي هاتان الخصلتان هم كفر قائم بالناس، ففي الخصلتين كفر، حيث كانتا من أعمال الكفار، وهما قائمتان بالناس، لكن ليس كل من قام من شعبة من شعب الكفر يصير كافرا الكفر المطلق، حتى يقوم به حقيقة الكفر.

كما أنه ليس كل من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمنا، حتى يقوم من أصل الإيمان وفرق بين الكفر المعرف باللام، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: ((ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة)) . وبين كفر منكر في الإثبات.

وفرق أيضا بين معنى الاسم المطلق إذا قيل: كافر، أو مؤمن، وبين المعنى المطلق للاسم في جميع موارده، كما في قوله: ((لا ترجعوا بعدي كفارا، يضرب بعضكم رقاب بعض)) .

فقوله: ((يضرب بعضكم رقاب بعض)) تفسير الكفار في هذا الموضع، وهؤلاء يسمون كفارا تسمية مقيدة، ولا يدخلون في الاسم المطلق إذا قيل: كافر، ومؤمن.

كما أن قوله تعالى: ﴿من مآء دافق﴾ سمى المني ماء تسمية مقيدة، ولم يدخل في الاسم المطلق حيث قال: ﴿فلم تجدوا مآء فتيمموا﴾ ..)) .

٦-أن أهل السنة والجماعة يعظمون لفظ التكفير جدا، ويجعلونه حقا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فقط، فلا يجوز ولا يسوغ عندهم تكفير أحد إلا من كفره الله أو كفره رسوله.

ولذا يقول الطحاوي في عقيدته المشهورة المتداولة: ((ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله. ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله)) .

وكذا قرره ابن تيمية في عقيدته: الواسطية المتلقاه بالقبول، حيث يقول:

---

(١) مسألة الإيمان دراسة تأصيلية علي بن عبد العزيز الشبل ص/٤٧

((فصل، ومن أصل أهل السنة: أن الدين والإيمان قول **وعمل: قول القلب واللسان** وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.." (١)

"أركان الإيمان

قال الموفق رحمه الله: [والإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان، وعقد بالجنان].

القول في مسمى الإيمان هو أول أصل حصل فيه نزاع بين أهل القبلة، والمراد بأهل القبلة؛ هم السواد من المسلمين من أهل السنة أو غيرهم.

وهذا الخلاف ظهر في خلافة علي بن أبي طالب، لما أظهر الخوارج القول بأن مرتكب الكبيرة كافر، وأنه مخلد في النار، وهذا مبني على قولهم الباطل في مسمى الإيمان.

وأئمة السلف رحمهم الله أجمعوا على أن الإيمان قول وعمل، وإنما اختلفت ألفاظهم وحروفهم، فالجمهور من أئمة السلف قالوا: الإيمان قول وعمل، وبعضهم قال: الإيمان قول وفعل، كما عبر بذلك البخاري في الرواية المشهورة عنه في صحيحه ..

ومنهم من عبر بأن الإيمان: قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، كما هو التعبير الذي ذكره المصنف، وهو قول الشافعي وجماعة من السلف، وهذا التعبير الثالث هو المشهور في كلام المتأخرين من أهل السنة.

ومن التعابير السلفية أيضا ما ذكره بعض عباد السلف ونساكهم؛ كـ سهل بن عبد الله التستري أنه قال: "الإيمان قول وعمل ونية واتباع للسنة".

وهذه التعابير السلفية وغيرها هل الخلاف بينها لفظي، أم خلاف تنوع، أم خلاف تضاد؟

نقول: الاختلاف بينها لفظي والخلاف اللفظي تكون فيه المعاني من جهة مراد أصحاب الألفاظ معان واحدة لا فرق بينها، ولا اختصاص لواحد منها عن الآخر، أما خلاف التنوع فلا تكون المعاني يصدق بعضها بعضا، ولكن بينها اختصاص، كأسماء الله سبحانه وتعالى، فهي متعددة: السميع، البصير، العزيز، الحكيم

فتجد أن كل اسم يختص بمعنى لم يذكر في الآخر بنفس الدرجة، وإن كان قد يكون لازما في الاسم الآخر ..

وهلم جرا.

إذا ..

تعابير السلف في مسمى الإيمان الاختلاف بينها لفظي محض.

فإذا قيل: أي هذه التعابير أجمع وأحكم من جهة التعبير؟

قيل: أحكمها ما عبر به جمهورهم، وهو قولهم: الإيمان قول وعمل؛ وهذه الجملة أحكم من التعبير الذي ذكره الموفق رحمه الله.

لأن فيها إبانة لتضمن العمل للظاهر والباطن، والقول الظاهر والباطن، كما أن فيها إشارة إلى التلازم بين الظاهر والباطن،

---

(١) مسألة الإيمان دراسة تأصيلية علي بن عبد العزيز الشبل ص/٥٠

فإن العبارة التي ذكرها المصنف هي الصحيحة، لكن حين يقال: الإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان، واعتقاد بالجنان. فإن هذا يفهم منه أن الجنان –الذي هو القلب– ليس فيه إلا الاعتقاد، وأن الأعمال هي أعمال الجوارح، مع أنك تعلم أن الأعمال القلبية في الجملة أجل وأعظم من أعمال الجوارح الظاهرة التي أعمال الأركان.

والمتكلمون من السلف يقصدون دخول أعمال القلب في الإيمان، لكن هذا التعبير فيه اختصار، ولذلك نقول: إن التعبير الذي يقول: الإيمان قول وعمل أتم وأحسن، وهو الذي عبر به جمهور السلف.

لكن قد يقول قائل: إن هذا التعبير ليس فيه ذكر للاعتقاد.

نقول: لما قال السلف: الإيمان قول وعمل.

أرادوا **بالقول: قول القلب وقول** اللسان، وأرادوا بالعمل: عمل القلب وعمل الجوارح.

أما قول القلب: فهو كل تصديق شرعي أخبر الله أو رسوله صلى الله عليه وسلم به.

وقول اللسان: النطق بالشهادتين وغيرها مما يكون باللسان.

وعمل القلب: هو حركته بهذا التصديق بأعماله المناسبة له، مثل: المحبة، والخوف، والرجاء، والإنابة، والتوكل وغير ذلك.

وعمل الجوارح: كالصلاة والطواف بالبيت، والحج

إلى غير ذلك من الأعمال الظاهرة.

والأعمال القلبية ثبوتها في النفس من جنس ثبوت الأعمال الظاهرة، فإن كل عاقل يدرك ما في قلبه من المحبة أو الخوف أو الرجاء أو التعظيم أو الإنابة أو الاستعانة أو غير ذلك من أعمال القلوب، بل إن ثبوت أعمال القلوب أخص من ثبوت أعمال الجوارح؛ ولذلك ليس هناك في الشريعة عمل واحد من أعمال الجوارح إلا وهو مبني على عمل القلب، فإذا تجرد أي عمل ما من أعمال الجوارح الشرعي عن القلب تصديقا وعملا لا يصير عملا شرعيا، فقد يكون نفاقا كالمنافق إذا أظهر الصلاة وليس في قلبه التصديق، وقد تكون صورته صورة العمل الشرعي وهو ليس شرعيا، كشخص اغتسل من الجنابة أو لغسل الجمعة أو نحو ذلك مما شرع الغسل له كدخول مكة، فإذا اغتسل على قصد التقرب، قيل: غسله عبادة مشروعة، وإذا اغتسل تبردا أو تنظفا فهذا ليس من العبادات المقصودة لذاتها.

إذا: عمل القلب أثبت من أعمال الجوارح، وذلك لأنه لا يمكن أن يوجد عمل من أعمال الجوارح إلا وهو مبني على عمل القلب وتصديقه، فهذا التعبير الذي عليه الجمهور من السلف هو الصواب من جهة إحكام الألفاظ، وإلا فمعاني السلف كلها متفقة.." (١)

"ونتيجة هذا المبحث، أن الإيمان في اللغة – عند المحققين من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله – ليس مرادفا للتصديق، وأنه على فرض الترادف بينهما فليس المقصود بالتصديق مجرد الحكم الذهني بنسبة المحمول للموضوع، كما هو الأمر في اصطلاح أهل المنطق والكلام (١) ، ولكنه التصديق في عرف السلف، الشامل للالتزام العملي الذي يقتضيه تمام

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد – يوسف الغفيص يوسف الغفيص ٣/١٠

الإذعان.

وعليه، فإن أصلح تعريف للإيمان من جهة اللغة هو الإقرار لا التصديق، والإقرار يتضمن أمرين اثنين **هما: قول القلب وهو** التصديق وعمل القلب وهو الانقياد، أي تصديق الرسول فيما أخبر، والانقياد له فيما أمر (٢) . قال شيخ الإسلام عليه رحمة الله:» ... فكان تفسيره بلفظ الإقرار أقرب من تفسيره بلفظ التصديق، مع أن بينهما فرقا « (٣)

الفصل الثاني: تعريف الإيمان شرعا عند أهل السنة والجماعة:

قلت في النظم:

في الاصطلاح عند من قد سلفا

بالقول والفعل لديهم عرفا

والبعض بالسنة زاد اعتصما

وزاد الاعتقاد بعض العلما

وبعضهم بنية قد عبروا

وأول المعرفات أظهر

الشرح:

(في الاصطلاح) أي في الشرع، متعلق بعرف (عند من قد سلفا) أي عند السلف الصالح، رضوان الله عليهم، والألف لإطلاق القافية (بالقول) **أي: قول القلب وقول** اللسان (والفعل) أي: عمل القلب وعمل الجوارح (لديهم) أي لدى السلف (عرفا) بتشديد الراء والبناء للمجهول، والألف للإطلاق. والمعنى أن السلف عرفوا الإيمان في الشرع بأنه قول وعمل، وستأتي النقول بذلك عنهم.

---

(١) – أي أغلبهم، وقد جعل بعضهم التصديق شاملا للإذعان والقبول، مثل السعد في شرح العقائد النسفية: ٤٢٣ كما في الجامع في طلب العلم الشريف:٥٣٦/٢، والبيجوري في شرح الجوهرة: ٦٧.

(٢) –.مجموع الفتاوى: ٦٣٨/٧.

(٣) – مجموع الفتاوى: ٢٩١/٧.." [1]

"أن الشارع لم ينقلها ولم يغيرها، ولكن استعملها مقيدة لا مطلقة (١) . وهذا القول الثالث هو الذي رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، واستدل عليه بأدلة متعددة وطويلة (٢) .

والمسألة تبحث في علم أصول الفقه، فلتنظر تفاصيلها هناك (٣) .

---

(١) شرح منظومة الإيمان عصام البشير المراكشي ص/٢٧

وإذا علم هذا، فإن الألفاظ الموجودة في الكتاب أو السنة ينظر في بيان المراد بها إلى مقصود الشارع لا إلى اللغة أو العرف الحادث. ألا ترى أننا إذا قرأنا في الكتاب أو السنة أمرا بإقامة الصلاة فإن أذهاننا تنصرف إلى وجوب إقامة تلك العبادة المخصوصة التي تبدأ بالتكبير وتختم بالتسليم؟ ونفس الشيء يقال بالنسبة لألفاظ أخرى كالزكاة والصوم والحج وغيرها.

ولفظ الإيمان – ومثله ألفاظ الإسلام والنفاق والكفر والفسق وغيرها – من هذا النوع، فلا ينبغي أن يؤخذ تعريفها إلا من بيان رسول الله – صلى الله عليه وسلم –. يقول شيخ الإسلام رحمه الله:» فالنبي – صلى الله عليه وسلم – قد بين المراد بهذه الألفاظ بيانا لا يحتاج معه إلى الاستدلال على ذلك بالاشتقاق وشواهد استعمال العرب ونحو ذلك، فلهذا يجب الرجوع في مسميات هذه الأسماء إلى بيان الله ورسوله، فإنه شاف كاف « (٤) .

وسأذكر– بحول الله عز وجل – أدلة كون الإيمان قولا وعملا من الكتاب والسنة وأقوال السلف، عند تفصيل الكلام على أركان الإيمان فيما سيأتي والله أعلم.

الكلام على قول القلب:

قلت في النظم:

فالقول قول القلب أي تصديقه

بما عن الرسول جا توثيقه

والجزم فيه أعظم المطلوب

فنقضه بالشك والتكذيب

الشرح:

---

(١) – حاشية ابن الحاج على شرح ميارة: ٢٨٩.

(٢) – مجموع الفتاوى: ٢٩٨/٧.

(٣) – إرشاد الفحول: ٤٩ وشرح المحلي على جمع الجوامع: ٣٠٢/١.

(٤) – مجموع الفتاوى: ٢٨٧/٧.." [1]

"(فالقول) الذي هو ركن في الإيمان الشرعي –كما سبق بيانه — نوعان، الأول منهما هو (قول القلب أي تصديقه وإيقانه الجازم (بـ)كل (ما عن الرسول) محمد – صلى الله عليه وسلم – (جا) ء، مقصور للوزن (توثيقه) بنصوص الكتاب الجلية، والأحاديث النبوية السنية.

(والجزم) أي: القطع والتيقن بأي طريق حصل (فيه أعظم المطلوب) أي أول ما يطلب. لذلك (فنقضه) يكون (بالشك)

---

(١) شرح منظومة الإيمان عصام البشير المراكشي ص/٣١

وهو التردد بين أمرين دون ترجيح أحدهما (والتكذيب) وهو نقيض التصديق.

واعلم بأن هذا الركن العظيم – أعني تصديق القلب – قد تظافرت أدلة الكتاب والسنة على اعتباره وبيان خطورته، كما أجمع الناس – باستثناء الكرامية – على كونه ركنا في الإيمان.

قال تعالى: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون * لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين﴾ . قال مجاهد: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به﴾ أصحاب القرآن المؤمنون يجيئون يوم القيامة فيقولون هذا ما أعطيتمونا فعملنا فيه بما أمرتمونا. قال ابن كثير في تفسيره:» وهذا القول عن مجاهد يشمل كل المؤمنين، فإن المؤمنين يقولون الحق ويعملون به والرسول – صلى الله عليه وسلم – أولى الناس بالدخول في هذه الآية على هذا التفسير فإنه جاء بالصدق وصدق المرسلين وآمن بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله « (١) .

---

(١) – تفسير ابن كثير: ٤/٥٠.." [1]

"وبالجملة، فإن المتتبع للآثار عن السلف رضوان الله عليهم، يجزم بأن هذه العقيدة كانت مستقرة عندهم، لا يدور حولها خلاف. فمن أراد السلامة في دينه ودنياه، فلينهج سبيلهم، ولينسج على منوالهم، وأما من تنكب عن طريقهم، وربأ بفهمه عن فهومهم فلا يلومن إلا نفسه والله تعالى أعلم.

الفصل الثاني: أوجه الزيادة والنقصان.

قلت في النظم:

تفاضل الإيمان ذو أسباب

قد ظهرت لدى أولي الألباب

من بينها تفاضل التصديق

وذاك ظاهر لدى التحقيق

ومنه ما يكون بالأعمال

بين مقصر وذي كمال

الشرح:

(تفاضل الإيمان) زيادة ونقصا (ذو أسباب) كثيرة سيأتي ذكر بعضها (قد ظهرت لدى أولي الألباب) من أهل العلم، (من بينها) أي من بين أوجه تفاضل الإيمان (تفاضل التصديق) أي حصول الزيادة والنقص في نفس قول القلب، وهذا أمر ممكن وحاصل خلافا لمن أنكره، لذلك قلت: (وذلك) التفاضل (ظاهر) لكثرة أدلته العقلية والنقلية (لدى التحقيق) في

---

(١) شرح منظومة الإيمان عصام البشير المراكشي ص/٣٢

هذه المسألة بعيدا عن التعصب والجمود. (ومنه) أي: أن من التفاضل (ما يكون بـ) سبب (الأعمال) الظاهرة، ما (بين مقصر) في الإتيان بهذه الأعمال، فإيمانه ناقص تبعا لتقصيره، وبين آخر (ذي كمال) في التزامه العملي بالشريعة، أي في إتيانه بالطاعات واجتنابه للمعاصي، فإيمانه زائد تبعا لأعماله الصالحة.

واعلم بأن هذه الوجه الثاني، هو أشهر أوجه زيادة الإيمان ونقصانه، حتى إن بعض أهل العلم قد يقتصر عليه فلا يعرج على غيره. كما أن الوجه الأول فيه من الخفاء ما جعل العلماء يختلفون حوله فينكره بعضهم. ولأجل هذا ذكرت هذين الوجهين في النظم ولم أذكر غيرهما، مع أن أوجه زيادة الإيمان ونقصانه أكثر من ذلك، فقد حصرها شيخ الإسلام ابن تيمية في تسعة أوجه (١) :

الوجه الأول:

---

(١) – انظر مجموع الفتاوى: ٧/٢٣٢-٢٣٧ و ٧/٥٦٢-٥٧٤ وكتاب "زيادة الإيمان ونقصانه: ١٣٦ وما بعدها.." [1]

"– باعتبارها مصدرا يعني التعبد هي: "التذلل لله محبة وتعظيما بفعل أوامره واجتناب نواهيه وفق شريعته".

– وباعتبارها اسما يعني المتعبد به، هي كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة" (١) .

فتبين من هذا التعريف أن العبادة لا تقوم إلا على أركان التذلل والمحبة والتعظيم، وأنها تجمع أقوالا وأعمالا كثيرة يمكن تقسيمها على المراتب الأربع التي سبق تفصيلها في حقيقة الإيمان، وأقصد **بها قول القلب وقول** اللسان وعمل القلب وعمل الجوارح.

فهذه الأقوال والأعمال كلها لا يجوز صرفها لغير الله عز وجل، لأنها حق خالص له سبحانه وتعالى: يقول ابن القيم رحمه الله: " فالسجود والعبادة والتوكل والإنابة والتقوى والخشية والتحسب والتوبة والنذر والحلف والتسبيح والتكبير والتهليل والتحميد والاستغفار، وحلق الرأس خضوعا وتعبدا، والطواف بالبيت، والدعاء، كل ذلك محض حق الله، لا يصلح ولا ينبغي لسواه من ملك مقرب، ولا نبي مرسل" (٢) . ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "توحيد الألوهية هو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه، وهو توحيد الله بأفعال العباد كالدعاء والرجاء والخوف والخشية والاستعانة والاستعاذة والمحبة والإنابة والنذر والذبح والرغبة والرهبة والخشوع والتذلل والتعظيم" (٣) .

واعلم أن توحيد الألوهية هو أصل هذا الدين، وركنه الركين، وهو أساس دعوة المرسلين، ولب الكتب المنزلة على النبيئين.

---

(١) قاعدة جليلة في العبادة (ضمن مجموعة التوحيد) : ٢٦٧.

---

(١) شرح منظومة الإيمان عصام البشير المراكشي ص/٧٣

(٢) الجواب الكافي: ٩٣/١.

(٣) الدرر السنية: ٣٥/٢.." [(١)]

"أنكروا قول القدرية من المعتزلة، وغيرهم، وبدعوا الطائفتين"١.

"وأشد الطوائف قربا من هؤلاء هو الأشعري ومن وافقه من الفقهاء أصحاب مالك، والشافعي، وأحمد، وغيرهم، وهو مع هذا يثبت للعبد قدرة محدثة، واختيارا، ويقول: إن الفعل كسب للعبد، لكنه يقول: لا تأثير لقدرة العبد على إيجاد المقدور، فلهذا قال من قال: إن هذا الكسب الذي أثبته الأشعري غير معقول"٢.

فصل

ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول، وعمل: قول القلب، واللسان، وعمل القلب، واللسان، والجوارح، بيان هذا أن "أهل السنة والجماعة من الصحابة جميعهم، والتابعين، وأئمة أهل السنة، وأهل الحديث"٣ متفقون "على أن الإيمان، والدين قول، وعمل، هذا لفظ الصحابة، وغيرهم"٤. "فالنقول متواترة عن السلف بأن الإيمان قول، وعمل"٥، حتى صار هذا القول "عند أهل السنة من شعائر السنة، وحكى غير واحد الإجماع على ذلك"٦. "ومن قال من السلف: الإيمان قول، وعمل أراد قول القلب، واللسان، وعمل القلب، والجوارح"٧.

---

١ مجموع الفتاوى (٤٦٠/٨) .

٢ منهاج السنة النبوية (١٠٩/٣) .

٣ مجموع الفتاوى (٤٧٢/١٢) ، وانظر: (٣٣٠/٧) .

٤ المصدر السابق، وانظر: التسعينية (٦٦٠/٢ – ٦٦١) .

٥ المصدر السابق (٣٦٦/٧) .

٦ المصدر السابق (٣٠٨/٧) .

٧ المصدر السابق (١٧١/٧) .." [(٢)]

"إلى البدن بالضرورة، لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب" ١"٢، و "القرآن يبين أن إيمان القلب يستلزم العمل الظاهر بحسبه"٣. "فالإيمان اسم لجميع الطاعات الباطنة، والظاهرة"٤. وقد تنوعت "أقوال السلف، وأئمة السنة في تفسير الإيمان، فتارة يقولون: هو قول، وعمل. وتارة يقولون: هو قول، عمل، ونية. وتارة يقولون: قول، وعمل، ونية، واتباع سنة. وتارة يقولون: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح. وكل هذا صحيح، فإذا قالوا: قول، وعمل، فإنه يدخل في القول قول القلب، واللسان جميعا"٥، وكل هذه التفاسير ترجع إلى

---

(١) شرح منظومة الإيمان عصام البشير المراكشي ص/١٧٤

(٢) شرح العقيدة الواسطية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية خالد المصلح ص/١٦٥

معنى واحد، وإنما هو تنوع عبارة، فمن "قال من السلف: الإيمان قول: وعمل، أراد قول القلب، واللسان، وعمل القلب والجوارح. ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك، فزاد الاعتقاد، وقول اللسان. وأما العمل فقد لا يفهم منه النية، فزاد ذلك. ومن زاد اتباع السنة، فلأن ذلك كله لا يكون محبوبا لله إلا باتباع السنة، وأولئك لم يريدوا كل قول، وعمل، إنما أرادوا ما كان مشروعا من الأقوال، والأعمال. ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولا قط، فقالوا: بل هو قول، وعمل، إنما أرادوا ما كان مشروعا من الأقوال، والأعمال. ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط، فقالوا: بل هو قول، وعمل. والذين جعلوه أربعة أقسام فسروا مرادهم كما سئل سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان ما هو؟ فقال: قول، وعمل، ونية، وسنة؛ لأن الإيمان إذا كان قولا بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولا، وعملا بلا نية

---

١ رواه البخاري (٥٢) ، ومسلم (١٥٩٩) .

٢ مجموع الفتاوى (١٨٧/٧) .

٣ المصدر السابق (٢٢١/٧) .

٤ المصدر السابق (٥٢٢/٧) .

٥ المصدر السابق (١٧٠/٧) .." (١)

"في الأمن، والإقرار دخول في القرار١.

لهذه الأسباب ولغيرها رأى شيخ الإسلام رحمه الله أن أصلح تعريف للإيمان من جهة اللغة هو الإقرار.

قال رحمه الله: "ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق، والإقرار **ضمن قول القلب الذي** هو التصديق وعمل القلب الذي هو الانقياد) ٢.

وقال رحمه الله: " ... فكان تفسيره بلفظ الإقرار أقرب من تفسيره بلفظ التصديق، مع أن بينهما فرقا"٣.

فالمختار إذا أن لفظة آمن لغة بمعنى أقر، والإيمان لغة هو الإقرار

القلبي، وهذا الإقرار مشتمل على أمرين:

١- اعتقاد القلب وهو تصديقه بالأخبار.

٢- عمل القلب وهو إذعانه وانقياده للأوامر.

هذا من جهة اللغة.

أما شرعا: فهو عند أهل السنة والجماعة قول وعمل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض بيانه لعقيدة أهل السنة والجماعة وأصولهم التي اتفقوا عليها:

"ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول **وعمل، قول القلب واللسان**، - وعمل القلب واللسان والجوارح٤.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية خالد المصلح ص/١٦٧

١ انظر الفتاوى (٧/ ٦٣٧) .

٢ الفتاوى (٧/ ٦٣٨) .

٣ الفتاوى (٧/ ٢٩١) .

٤ العقيدة الواسطية لابن تيمية (ص ١٦١) بشرح الهراس.." (١)

"فهذه خمسة أمور اشتمل عليها مسمى الإيمان عند أهل السنة والجماعة: قول القلب، وعمله، وقول اللسان، وعمله، وعمل الجوارح. والأدلة على دخول هذه الأمور في مسمى الإيمان كثيرة وفيرة وفيما يلي ذكر بعضها:

أولا: قول القلب، وهو تصديقه وإيقانه، قال الله تعالى: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين﴾ ١ وقال تعالى: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين﴾ ٢ وقال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ ٣ وقال تعالى في المرتابين الشاكين ﴿يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم﴾ ٤.

وفي حديث الشفاعة "يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه من الخير ما يزن شعيرة"٥، وغير ذلك من الأدلة.

ثانيا: قول اللسان وهو النطق بالشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، والإقرار بلوازمهما، قال الله تعالى: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى

١ سورة الزمر، الآيتان: ٣٣- ٣٤.

٢ سورة الأنعام، الآية: ٧٥.

٣ سورة الحجرات، الآية: ١٥.

٤ سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.

٥ رواه البخاري (١٣/ ٤٧٣) ومسلم (١/ ١٧٧) .." (٢)

"وهم يستبشرون* وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم﴾ ١، وهذه الزيادة ليس مجرد التصديق بأن الله أنزلها بل زادتهم إيمانا بحسب مقتضاها، فإن كانت أمرا بالجهاد أو غيره ازدادوا رغبة، وإن كانت نهيا عن شيء انتهوا عنه فكرهوه، ولهذا قال: ﴿وهم يستبشرون﴾ والاستبشار غير مجرد التصديق ... وقال تعالى: ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم﴾ ٢، وهذه نزلت لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الحديبية فجعل السكينة موجبة لزيادة الإيمان، والسكينة طمأنينة في القلب غير علم القلب وتصديقه.."٣.

وقال ابن سعدى عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾ ٤، وفي هذا دليل على زيادة الإيمان ونقصه

(١) زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/٢١

(٢) زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/٢٢

كما قاله السلف الصالح ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ويزداد الذين آمنوا إيمانا﴾ ٥، ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا﴾ ٦، ويدل عليه أيضا الواقع فإن **الإيمان قول القلب واللسان** وعمل القلب واللسان والجوارح، والمؤمنون متفاوتون في هذه الأمور أعظم تفاوت"٧.

وقال الألوسي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿زادتهم إيمانا﴾ ،"وهذا

---

١ سورة التوبة، الآيتان: ١٢٥- ١٢٦.

٢ سورة الفتح، الآية: ٤.

٣ الإيمان (ص ٢١٥، ٢١٦) .

٤ سورة مريم، الآية: ٧٦.

٥ سورة المدثر، الآية: ٣١.

٦ سورة الأنفال، الآية: ٢.

٧ تفسير ابن سعدي (٥/ ٣٣) .." (١)

"فهذه الآثار لا تشكل على ما ذكرته آنفا من أن مذهب السلف هو جواز الاستثناء في الإيمان، لأنها لا تخلو من أحد أمور:

١- إما أن تكون ضعيفة الإسناد غير ثابتة عن الصحابي أو التابعي المروية عنه كما في بعض الآثار المتقدمة.

٢ - أو أن يكون قاله على سبيل التعميم كما في الأثر الأول، وهذا لا إشكال فيه إذ أهل القبلة كلهم مؤمنون باعتبار الظاهر منهم، وبذلك يتوارثون ويتناكحون ويتعاملون بالأخوة الإيمانية.

٣- أو أن يكون قصد بذلك أصل الإيمان لإتمامه وكماله، بل هذا هو مقصودهم عند إطلاق القول "أنا مؤمن"أو "أنت مؤمن"لأن اسم الإيمان عند السلف على ضربين: مطلق ومقيد.

فإذا استعمل مطلقا شمل جميع ما يحبه الله ورسوله من أقوال العبد وأعماله الظاهرة والباطنة.

وإذا استعمل مقيدا يكون متناولا لأصل الإيمان وأساسه، وهو الإيمان الباطن بأركانه الستة الواردة في حديث جبريل المشهور.

وللإيمان عندهم أصل وفرع؛ فأصل الإيمان في القلب **وهو قول القلب وعمله**، وفرعه الأعمال الظاهرة بأنواعها١.

وعلى هذا فإن من استثنى من السلف في إيمانه قصد به الإيمان التام الكامل المقبول عند الله، ومن لم يستثن قصد الإيمان الباقي الذي هو أصل الإيمان وأساسه وهذا لا استثناء فيه.

وعلى هذا ينبغي لمن سئل هل هو مؤمن أو، لا؟ أن يستفصل من السائل ماذا يريد بالإيمان؟ هل يريد بذلك الإيمان الكامل التام المقبول

---

(١) زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/٤٢

١ انظر الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٦٤٢ وما بعدها) .." [١]

"[مسائل الإيمان]

[مسمى الإيمان]

مسائل الإيمان مسمى الإيمان: لفظ الإيمان في نصوص القرآن والسنة يذكر مفردا، ويذكر مقرونا بالإسلام، فإذا ذكر مقرونا بالإسلام كما في حديث سؤالات جبريل، أريد بالإسلام ما في الظاهر وهو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده، وأركانه خمسة: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام، وأريد بالإيمان ما في الباطن وهو معرفة القلب وتصديقه وإقراره وأركانه ستة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره» .

وإذا ذكر مفردا كما في قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون – الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ [الأنفال: ٢ – ٣] (الأنفال الآية: ٢ – ٣) ، وكما في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإيمان بضع وستون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» ، أريد به الدين كله، كما أن الإسلام إذا أفرد دخل فيه أصل الإيمان وهو ما في القلب.

ومن هنا قلنا: الإيمان قول وعمل.

والمراد قول القلب وهو الاعتقاد، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام.

وعمل القلب: وهو النية والإخلاص ونحو ذلك، وعمل الجوارح كالصلاة والزكاة ونحوهما.." [٢]

"ويدخل في العبادات المحضة ما يلي:

١– العبادات القلبية. وهي تنقسم إلى قسمين:

أ –"قول القلب"، وتسمى"اعتقادية"، وهي: اعتقاد أنه لا رب إلا الله، وأنه لا أحد يستحق أن يعبد سواه، والإيمان بجميع أسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وغير ذلك.

ب –"عمل القلب"، ومنها: الإخلاص، ومحبة الله تعالى، والرجاء لثوابه، والخوف من عقابه، والتوكل عليه، والصبر على فعل أوامره وعلى اجتناب نواهيه، وغيرها.

٢– العبادات القولية.

ومنها النطق بكلمة التوحيد، وقراءة القرآن، وذكر الله تعالى بالتسبيح والتحميد وغيرهما، والدعوة إلى الله تعالى، وتعليم العلم الشرعي، وغير ذلك.

---

(١) زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/٤٨٦

(٢) رسالة في أسس العقيدة محمد بن عودة السعوي ص/٨١

٣- العبادات البدنية:

ومنها الصلاة والسجود، والصوم، والحج، والطواف، والجهاد، وطلب العلم الشرعي، وغير ذلك.

٤- العبادات المالية:

ومنها الزكاة، والصدقة، والذبح، والنذر بإخراج شيء من المال، وغيرها (١) .

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ١/١٢٣- ١٣٣، التجريد للمقريزي الشافعي ص٨٢، ٨٣، تطهير الاعتقاد للصنعاني ص١٩، دلائل التوحيد للقاسمي ص١٠٠،." [١]

"حادثة ويشتد فيها، وإذا سئل عن بعض الأحاديث المهمة في تعريف الإيمان وبيان حده لا يعرفها.

فهناك أحاديث مهمة في تعريف الإيمان وبيان حده، كحديث جبريل"، وحديث وفد عبد القيس، وحديث الشعب وغيرها، ينبغي أن تحفظ وتضبط وتعرف معانيها؛ ليعيش العباد مع نصوص الشريعة، دون زج بهم في مصطلحات حادثة، لا طائل من ورائها ولا ثمرة تقرب إلى الله من تحصيلها إلا زيادة الشقاق وتوسيع الخلاف.

والمصنف ـ رحمه الله ـ عرف الإيمان في هذا المختصر على طريقة السلف وذكر شيئا من دلائله وبراهينه بعيدا عن التكلفات والتعقيدات والمصطلحات المتعبة، وبدأ بذكر تعريفه قبل التفاصيل الأخرى وفقا للقاعدة المشهورة عند العلماء: الحكم على الشيء فرع عن تصوره، فقال:

" والإيمان بأن الإيمان قول وعمل ونية " أي: ومن أمور الاعتقاد: أن الإيمان قول وعمل ونية، وهذا باتفاق السلف ـ رحمهم الله ـ، ليس بينهم خلاف في ذلك. وإن اختلفت عباراتهم في بعض الأحيان إلا أن المؤدى واحد. فقال بعضهم: الإيمان قول وعمل. وقال بعضهم: قول وعمل واعتقاد. وقال بعضهم: قول وعمل ونية. وقال بعضهم: قول وعمل ونية واتباع.

فمن قال: الإيمان قول وعمل. عنى بالقول قول القلب، وهو الاعتقاد الحق الصحيح المتلقى من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وقول اللسان: وهو النطق بالشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله؛ لأن القول إذا أطلق في النصوص شمل قول القلب الذي هو الاعتقاد، وقول." [٢]

"الرد على من زعم أن كلمة التوحيد لفظ فقط

مع بيان المذهب الصحيح في الأحاديث الواردة بخصوصها

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله:

(ليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنه: لا خالق إلا الله، وأن الله رب كل شيء ومليكه، كما كان عباد الأصنام مقرين بذلك وهم مشركون، بل التوحيد يتضمن من محبة الله، والخضوع له، والذل له، وكمال الانقياد لطاعته، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال، والمنع والعطاء، والحب والبغض، ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى

---

(١) تسهيل العقيدة الإسلامية عبد الله بن عبد العزيز الجبرين ص/٦٧

(٢) تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/٢٩٥

المعاصي والإصرار عليها، ومن عرف هذا عرف قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله) (١) وقوله (لا يدخل النار من قال لا إله إلا الله) (٢) ، وما جاء من هذا الضرب من الأحاديث، التي أشكلت على كثير من الناس، حتى ظنها بعضهم منسوخة! وظنها بعضهم قيلت قبل ورود الأوامر والنواهي واستقرار الشرع، وحملها بعضهم على نار المشركين والكفار، وأول بعضهم الدخول بالخلود وقال: المعنى لا يدخلها خالدا، ونحو ذلك من التأويلات المستكرهة. فإن الشارع صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلا بمجرد قول اللسان فقط، فإن هذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام، لأن المنافقين يقولونها بألسنتهم، وهم تحت الجاحدين لها في الدرك الأسفل من النار.

بل لا بد من قول القلب، وقول اللسان.

وقول القلب: يتضمن من معرفتها والتصديق بها، ومعرفة حقيقة ما تضمنته

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق الكلام عليه في شروط لا إله إلا الله.." [1]

"ما يلحق بشعبة الشهادة ويكون إليها أقرب، ومنها ما يلحق بشعبة إماطة الأذى ويكون إليها أقرب. وكذلك الكفر ذو أصل وشعب، فكما أن شعب الإيمان إيمان فشعب الكفر كفر. والحياء شعبة من الإيمان، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر. والصدق شعبة من شعب الإيمان، والكذب شعبة من شعب الكفر، والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الإيمان وتركها من شعب الكفر والحكم بما أنزل الله من شعب الإيمان، والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر، والمعاصي كلها من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان.

(وشعب الإيمان قسمان: قولية وفعلية، وكذلك شعب الكفر نوعان: قولية وفعلية. ومن شعب الإيمان القولية شعب يوجب زوالها زوال الإيمان، فكذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوالها زوال الإيمان، وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية. فكما يكفر بالإتيان بكلمة الكفر اختيارا - وهي شعبة من شعب الكفر - فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف، فهذا أصل)

(وها هنا أصل آخر: وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل، والقول قسمان: قول القلب: هو الاعتقاد. وقول اللسان: وهو التكلم بكلمة الإسلام.

والعمل قسمان: عمل، وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح. فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله. وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة، وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق: فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة فأهل السنة: مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب وهو محبته وانقياده، كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول، بل

---

(١) الولاء والبراء في الإسلام محمد بن سعيد القحطاني ص/٤٦

ويقرون به سرا وجهرا ويقولون: ليس بكاذب ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به.
(وإذا كان الإيمان يزول بزوال عمل القلب فغير مستنكر أن يزول بزوال أعظم أعمال الجوارح ولا سيما إذا كان ملزوما لعدم محبة القلب وانقياده، والذي." (١)

"وتوحيد الربوبية من مقتضيات توحيد الألوهية؛ لأن المشركين لم يعبدوا إلها واحدا، وإنما عبدوا آلهة متعددة، وزعموا أنها تقربهم إلى الله زلفى، وهم مع ذلك معترفون بأنها لا تضر ولا تنفع، لذلك لم يجعلهم الله مؤمنين رغم اعترافهم بتوحيد الربوبية؛ بل جعلهم في عداد الكافرين بإشراكهم غيره في العبادة.
ومن هنا يختلف معتقد السلف- أهل السنة والجماعة- عن غيرهم في الألوهية؛ فلا يعنون كما يعني البعض أن معنى التوحيد أنه لا خالق إلا الله فحسب؛ بل إن توحيد الألوهية عندهم لا يتحقق إلا بوجود أصلين:
الأول: أن تصرف جميع أنواع العبادة له- سبحانه- دون ما سواه، ولا يعطى المخلوق شيئا من حقوق الخالق وخصائصه. فلا يعبد إلا الله، ولا يصلى لغير الله، ولا يسجد لغير الله، ولا ينذر لغير الله، ولا يتوكل على غير الله، وإن توحيد الألوهية يقتضي إفراد الله وحده بالعبادة.
والعبادة: **إما قول القلب واللسان** وإما عمل القلب والجوارح.
قال تعالى: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين - لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣] (١) .

(١) سورة الأنعام: الآيتان، ١٦٢ - ١٦٣.." (٢)

"ومن الإيمان بالله: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يؤمنون بأن الله سبحانه: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى: ١١] ... وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات، فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون، فإنه الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) (١)
.
وقال رحمه الله: (ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت فيؤمنون بفتنة القبر، وبعذاب القبر وبنعيمه ... إلى أن تقوم القيامة الكبرى، فتعاد الأرواح إلى الأجساد، وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه، وعلى لسان رسوله، وأجمع عليها المسلمون، فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين ... وتنصب الموازين، فتوزن فيها أعمال العباد: ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون﴾ [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣] ، وتنشر الدواوين - وهي صحائف الأعمال - فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه

(١) الولاء والبراء في الإسلام محمد بن سعيد القحطاني ص/٥٥
(٢) الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة عبد الله بن عبد الحميد الأثري ٥٣/١

بشماله، أو من وراء ظهره ... وأصناف ما تضمنته الدار الآخرة من الحساب، والثواب والعقاب، والجنة والنار، وتفاصيل ذلك مذكورة في الكتب المنزلة من السماء ...) (٢) .

وقال عن الإيمان: (ومن أصول أهل السنة: أن الدين والإيمان قول **وعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية ...) (٣) .

وعن الصحابة قال رحمه الله: (ومن أصول أهل السنة والجماعة: سلامة

---

(١) العقيدة الواسطية (ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/١٢٩ - ١٣٠) .

(٢) العقيدة الواسطية (ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/١٤٥ - ١٤٨) .

(٣) العقيدة الواسطية (ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/١٥١) .." [١]

"يقولون: هو قول وعمل، وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية: وتارة يقولون: قول وعمل ونية واتباع السنة، وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح. وكل هذا صحيح فإذا قالوا: قول وعمل؛ فإنه يدخل في **القول قول القلب واللسان** جميعا، وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام" (١) .

وقال أيضا: "والمقصود هنا أن من قال من السلف: الإيمان قول وعمل **أراد قول القلب واللسان** وعمل الجوارح والقلب، ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال: قول وعمل ونية. قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك، ومن زاد اتباع فلان كله لا يكون محبوبا لله إلا باتباع السنة ".

وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل وإنما أرادوا ما كان مشروعا من الأقوال والأعمال ولكن كان مقصودهم الرد علي المرجئة الذين جعلوه قولا فقط. فقالوا: بل هو قول وعمل والذين جعلوه أربعة أقسام فسروا مرادهم كما سئل سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان ما هو؟ فقال: قول وعمل ونية وسنة؛ لأن الإيمان إذا كان قولا بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة" (٢) .

واستدل أهل السنة على ما يذهبون إليه من دخول العمل في مسمى الإيمان بأحاديث كثيرة منها:

قوله صلى الله عليه وسلم: " الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/١٧٠.

(٢) مجموع الفتاوى ٧/ ١٧٠." [٢]

---

(١) دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية - عرض ونقد عبد الله بن صالح الغصن ص/٤٦

(٢) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها د. غالب بن علي عواجي ٣/١١١٣

"المطلب الثاني: تعريف الإيمان في الشرع:

لقد اتفق أهل السنة على أن الإيمان: قول **وعمل: قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان الجوارح. ٥.

---

٥ انظر: الآجري: الشريعة (ص: ١١٩) ط. الأولى، باكستان، ت: حامد الفقي، واللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٩١١) . ط. دار طيبة، الثالثة، ت: أحمد سعد حمدان، وابن منده: الإيمان (١/ ٣٤١) ط. المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، ت: علي ناصر فقيهي، وابن أبي العز: شرح الطحاوية (ص: ٣٣٢) ط. المكتب الإسلامي، التاسعة، ت: الألباني. والسفاريني: لوامع الأنوار (١/٢٤٦) ط. المنار، الأولى، سنة ١٣٢٣هـ بمصر. وانظر: أيضا: أبو بكر بن أبي شيبة: الإيمان (ص: ٥٠) ط. المكتب الإسلامي، الثانية،١٤٠٣هـ، ت: الألباني، وأبو عبيد: الإيمان (ص: ١٩) ط. المكتب الإسلامي، الثانية، ت: الألباني.." [١]

"المطلب الأول

جهوده في مسائل الإيمان.

١ - تعريف الإيمان:

الإيمان في اللغة:

مصدر آمن يؤمن إيمانا فهو مؤمن (١)، وهو بمعنى الإقرار لا مجرد التصديق؛ فإن الإيمان يتضمن أمرين:

أحدهما: الإخبار.

ثانيهما: الالتزام.

والتصديق إنما يتضمن الأول دون الثاني، بخلاف الإقرار فإنه يتضمنهما جميعا (٢).

ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: " معلوم أن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق، والإقرار **يتضمن قول القلب الذي** هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد" (٣).

وأما الإيمان في الشرع:

فهو حقيقة مركبة من اعتقاد القلب، وقول اللسان، وعمل الجوارح.

كما عرفة الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله -، بقوله: " قول أهل السنة والجماعة: أن الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان وتصديق بالجنان" (٤).

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (١/ ٢٠٩)، معجم مقاييس اللغة (ص ٨٨)، الصحاح (٥/ ٢٠٧١)، لسان العرب (١٣/ ٢١)، والقاموس المحيط (ص ١٥١٨).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٥٣٠ - ٥٣١).

---

(١) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة تامر محمد محمود متولي ص/٢١٥

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٦٣٨).

(٤) فتاوى اللجنة (٣/ ٢٤٨).." [(١)]

"والمقتصد والسابق كلاهما يدخل الجنة بلا عقوبة، بخلاف الظالم لنفسه، فإنه معرض للوعيد، وهكذا من أتى بالإسلام الظاهر مع التصديق بالقلب، لكن لم يقم بما يجب عليه من الإيمان الباطن، فإنه معرض للوعيد، فأما الإحسان وهو أعم من جهة نفسه وأخص من جهة أهله، والإيمان أعم من جهة نفسه وأخص من جهة أهله من الإسلام، فالإحسان يدخل فيه الإيمان، والإيمان فيه الإسلام، والمحسنون أخص من المؤمنين والمؤمنون أخص من المسلمين (١).

ثالثا: أصل الإيمان:

أصل الإيمان، به يدخل العبد في الإسلام، وبه يكون اعتبار سائر الأعمال، وبصلاح ما في القلب أو فساده يكون صلاح الأعمال أو فسادها، قال صلى الله عليه وسلم: ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب (٢)، فأصل الإيمان في القلب **وهو قول القلب وعمله** وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد، فالتصديق هو قول القلب، وهو المعرفة والاثبات لما دلت عليه الشهادتان. والحب: عمل القلب نحو المشهود لهما، وهو الله تبارك وتعالى في شهادة أن لا إله إلا الله ومحمد بن عبد الله في شهادة أن محمدا رسول الله، فيحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ودينه. والانقياد: عمل القلب أيضا، وهو القبول، وعقد العزم على الامتثال لما دلت عليه الشهادتان (٣)، وينعقد أصل الإيمان بثلاثة أمور:

١. النطق بالشهادتين.

٢. قول القلب وهو العلم والتصديق بمعانهما، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم صادق في كل ما أخبر به عن الله.

---

(١) المصدر نفسه ص١٤٧.

(٢) البخاري رقم ٥٢ ك الإيمان.

(٣) أثر الإيمان في تحصين الأمة (١/ ١٩١).." [(٢)]

"السؤال الثاني:

هناك من يقول: (الإيمان قول وعمل واعتقاد لكن العمل شرط كمال فيه) ، ويقول أيضا: (لا كفر إلا باعتقاد) ، فهل هذا القول من أقوال أهل السنة أم لا؟

الجواب:

ليست هذه الأقوال من أقوال أهل السنة، أهل السنة يقولون: الإيمان هو قول باللسان وقول بالقلب وعمل بالجوارح وعمل

---

(١) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين أحمد بن علي الزاملي ص/٥٥٣

(٢) الإيمان بالله جل جلاله علي محمد الصلابي ص/١٧٣

بالقلب، ومن أقوالهم: الإيمان قول وعمل؛ ومن أقوالهم: الإيمان قول وعمل ونية، فالإيمان لا بد أن يكون بهذه الأمور الأربعة:

١ – قول اللسان وهو النطق باللسان.

٢ – قول القلب وهو الإقرار والتصديق.

٣– عمل القلب وهو النية والإخلاص.

٤ – عمل الجوارح.

فالعمل جزء من أجزاء الإيمان الأربعة، فلا يقال: العمل شرط كمال أو أنه لازم له فإن هذه أقوال المرجئة، ولا نعلم لأهل السنة قولا بأن العمل شرط كمال.." (١)

"وعذابه، ونعيمه، وعن الإيمان بالميزان، والحساب، والحوض المورود، والصراط المنصوب، والشفاعة، والجنة، والنار، وبالقدر خيره وشره، وباللوح المحفوظ، وبأن الله خلق أفعال العباد.

بعد أن تحدث عن الإيمان بذلك كله قال:

" ومن أصول أهل السنة والجماعة: أن الدين والإيمان قول **وعمل؛ قول القلب واللسان**، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

ومع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر، كما يفعله الخوارج، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي، كما قال سبحانه وتعالى في آية القصاص:

﴿فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف﴾ [البقرة: ١٧٨]

وقال: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين – إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾ [الحجرات: ٩ – ١٠]

ولا يسلبون الفاسق الملي اسم الإيمان بالكلية، ولا يخلدونه." (٢)

"المبحث الثاني: العبادة

المطلب الأول: تعريف العبادة وبيان شمولها.

...

المبحث الثاني

العبادة

وفيه مطلبان:

---

(١) أسئلة وأجوبة في الإيمان والكفر عبد العزيز الراجحي ص/٧

(٢) مجمل اعتقاد أئمة السلف عبد الله بن عبد المحسن التركي ص/٨٢

المطلب الأول: تعريف العبادة وبيان شمولها:

عرف شيخ الإسلام ابن تيمية العبادة بقوله: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

وهذا يدل على شمول العبادة، فهي تشمل:

أولا: العبادات المحضة. وهي الأعمال والأقوال التي هي عبادات من أصل مشروعيتها، والتي دل الدليل من النصوص أو غيرها على تحريم صرفها لغير الله تعالى.

ويدخل في العبادات المحضة ما يلي:

١- العبادات القلبية. وهي تنقسم إلى قسمين:

أ - "قول القلب"، وتسمى "اعتقادية"، وهي: اعتقاد أنه لا رب إلا الله، وأنه لا أحد يستحق أن يعبد سواه، والإيمان بجميع أسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وغير ذلك.

ب – "عمل القلب"، ومنها: الإخلاص، ومحبة الله تعالى، والرجاء لثوابه، والخوف من عقابه، والتوكل عليه، والصبر على فعل أوامره وعلى اجتناب نواهيه، وغيرها.

٢- العبادات القولية.

ومنها النطق بكلمة التوحيد، وقراءة القرآن، وذكر الله تعالى." (١)

---

(١) مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية عبد الله بن عبد العزيز الجبرين ص/٢٧